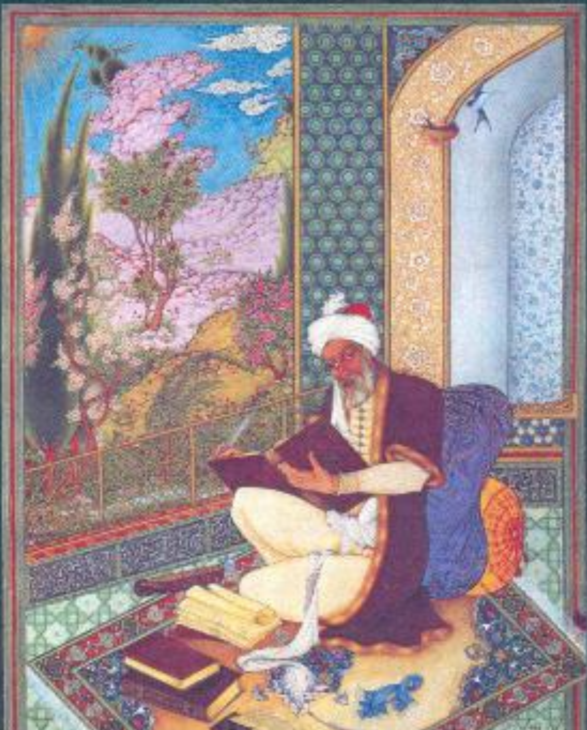
الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب



الجزء الأول

الفتوحات المكية

الجزء الأوّل- الأسفار ١-٣

نسخة المنصوب

نسخة إلكترونية أصلية مجانية

منقحة من الطبعة الورقية الثانية

المحققة من النسخة الأصلية بخط المؤلّف

متاحة من المحقق للاستخدام الشخصي غير التجاري

دون أيّ تعديل مع الإشارة إلى المصدر عند الاستشهاد

ΠΦጸነቭ1ሕ Xዛሰነ

Xየነሕገቭ Xየ1ጸሕ XየነΦ)Xሰየ1ሕ Xዛሰነ

Xየነሕ81ሕ Xየዕ)Φ1ሕ X∘ΠШ1ሕ ነቭ XΨዕነቭ

◇1ሕቭ1ሕ ШዛΠ Xየ1ጸሕ1ሕ Xዛሰነ1ሕ ነቭ XዕዕΨቭ1ሕ

የ)ሕገX1ሕ)የΠ የጸዛ≽1ሕ ቭሕᐊዛXሰሕ11 ዕዕΨቭ1ሕ ነቭ XΨሕXቭ

ᐊሕሃ≽Xሰሕ1ሕ ᐊነ∘)ᐊጸቭ1ሕ ሕ1ሕ X)ሕ≽ሕ1ሕ ∘ቭ 1የᐊ∘X የሕ ነΦᐊ

سلسلة الصفا

الفتوحات المكية

للشيخ الأكبر

محمد بن علي بن محمد ابن العربي الطائي الحاتمي

محيي الدين بن العربي

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة	نوع الطبعة	السنة	الناشر	البلد
الأولى	ورقية	٢٠١٠م	وزارة الثقافة	الجمهورية اليمنية
الثانية	ورقية	٢٠١٣م	المجلس الأعلى للثقافة	جمهورية مصر العربية
الأولى	إلكترونية	٢٠٢٥م	مركز الصفا للدراسات	الجمهورية اليمنية

لوحة الشرف

تحقّق هذا العمل المبارك بمشاركة هامّة من عدد من الإخوة المهتمّين والمحبّين، وهذه اللوحة تضمّ أسماء ذوي الجهود المفضليّة والمتميّزة في الإنجاز، وهم:

توفير المخطوطات

أ. د/ محمد أبو بكر المفلحي الشيخ الدكتور/ محمد عبد الرب النظاري

المراجعة والمقابلة

أ/ أحمد سعيد ناصر م/ محمود سلطان طاهر المنصوب

الدعم الفني والتقني

م. د/ سامي عبد العزيز المنصوب م/ عمر عبد العزيز المنصوب

إلى مَن قال صادقا: "أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" . .

النبيّ، الأمّي، الهادي، الدليل،

خاتم الأنبياء والمرسلين؛ صاحب الحوض، ومدينة العلم .

وإلى مَن اتّبعه، على بصيرة، وخُتمتْ به الولاية المحمّديّة . .

. . . في مشارف ذكراه المئويّة الثامنة

تقديم

د. عبدالعزيز المقالح

"ابن عربي بوّابة الإسلام الموشّاة بسجوف الحكمة والحبّ"
جوته

هذا الكتاب مظلوم، نعم مظلوم، ظلمه النسّاخون، وظلمه الناشرون دون تصحيح، وظلمته لغة المجاز التي كانت تكتفي بالإشارة بعد أن ضاقت العبارة عن نقل ما في الروح الصافية من مكنونات، وظلمه بعض العلماء وبعض الفقهاء الذين رأوا في تحريف النسّاخ وتصحيفاتهم لبعض نصوصه زيغًا لا يُحتمل، وخروجًا لا يمكن القبول به، ومن ذلك التحريف الذي حدث في الوصية التالية: "حسِّن الظنّ بربّك ولا تسيء الظنّ به"، فقد صارت عند النساخ على هذا النحو "حسِّن الظنّ بربّك ولا تنسى الظنّ به"!! يضاف إلى ذلك ما اتّسم به الكتاب من غموض في بعض الإشارات المجازية التي لا يدرك مكنوناتها إلاّ الراسخون في عالم الشعر والراسخون في دنيا التصوّف، ولغته التي تكتفي بالتلميح عن التصريح وبالإيحاء عن المباشرة، وربما ساعدت الظروف المعاصرة بما جدّ عليها من صراعات فكريّة ومذهبيّة في اتّساع دائرة الظلم على هذا الكتاب وعلى صاحبه الذي قضى منذ ثمانية قرون.

لمناسبة صدور الطبعة الجديدة من هذا الكتاب مصوّبة وخالية من المغلوط والمدسوس يأتي هذا التقديم ليشير أوّلًا إلى الجهد الكبير والمتميّز الذي بذله الصديق العزيز الأستاذ عبدالعزيز المنصوب بعد أن عكف ما يقرب من خمسة أعوام لقراءة نصّ الكتاب بخطّ الشيخ الجليل محيي الدين بن عربي محقّقًا ومدقّقًا ومقارنًا النسخة الأصليّة مع ما تمكّن من جمعه من النسخ المغلوطة الأخرى التي قام بنسخها أناس لا يجيدون التعامل مع المخطوطات القديمة ولا يمعنون النظر في معاني الجمل والعبارات، وإنما ينقلونها خطأً ووفقًا لفهمهم المحدود، وقد يضيفون إليها من اجتهاداتهم الخاصّة ما يجعلها تتناقض كليًّا مع مقاصد المؤلّف ومفهوماته، وعندما جاء دور الناشرين في العصر الحديث فقد نشروا الكتاب على علّاته دون تصحيح أو تدارك لما يمكن أن تسبّبه بعض العبارات المغلوطة في الأذهان من إرباك أو

يصدر عن الفهم المغلوط لها من جناية في حقِّ مفكِّرٍ ومبدع ما نقموا منه إلاّ أنّه آمن ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، ورغبته الخالصة في السعي إلى نشر دينه القويم وإبراز ما يتّسع له صدر هذا الدين مِن تسامحٍ وحبٍّ للناس والطبيعة والكائنات والأشياء.

ويبدو أنّ بعض المستشرقين الأوروبيين الذين نقلوا كتابات ابن عربي إلى لغاتهم كانوا أكثر دقّة وحرصًا على التثبُّت من مقاصد الشيخ وأسلوبه في التعبير عما يسكن أعماق كينونته، وكانوا يفرّقون بين فائض المعرفة لديه وفائض الجهل لدى الناسخين، لهذا فلا مِراء في أنّ كتاب الفتوحات المكّيّة التي فتح الله بها عليه وهو في الحرم المكّيّ وغيره من كتاباته قد وصلت إلى المفكرين والمبدعين في أوروبا في صياغة سليمة جعلت شاعرًا كبيرًا مثل جوته أمير البيان في ألمانيا يقول: "إذا كان هذا الشيخ محيي الدين بن عربي قد عاش بيننا على الأرض يومًا من الأيام، وكان بهذا العقل والحكمة والرؤية؛ فإنّني أعترف بأنّ كلّ من لم يصب فطرة الإسلام على يديه فإنّه قد خسر كثيرًا، ولكان ابن عربي أحقّ بأن يكون بوّابة الإسلام الموشّاة بسجوف الحكمة والحبّ".

ولا أرى إلاّ أنّ هذه الكلمة صادرة عن فهم عميق وإدراك ثاقب للمعاني التي عبَّرت عنها مؤلَّفات هذا الشيخ الجليل الذي نفض يديه من الدنيا في مطلع شبابه، وانشغل بحمل رسالة كبرى تقوم على تنقية الروح الإنسانيّة وربطها بعالمها السرمدي، وأوقف شعره ونثره لهذا المفهوم الكوني الذي لم يتنبه إليه الفكر العربي المذهبي المأزوم قديمًا وحديثًا، ولا ما يستحقّه هذا المفكر من تقدير لمحاولته في أن يجعل من بشر الأرض على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم عائلة ربّانيّة واحدة؛ تدين بالإله الواحد، وتؤمن باتّباع النهج القويم في الحياة؛ وهو النهج القائم على الحبّ الجمعيّ المبرّأ من الجسديّة، والهادف إلى ترقية الروح من خلال ذوبانها في الحبِّ الأنقى والأكمل المتمثّل في الحبِّ الإلهيّ في أسمى تجليّاته.

ولعلّ أكثر ما كان يثير الدهشة لدى البعض في كتابات ابن عربي، وما يثير القلق والانزعاج لدى آخرين؛ أنّه سبق عصره بقرون في استخدام الرموز على نحو غير مسبوق، ونجح في استنطاق الكون الصامت الذي يتكلم بلغات لا تحصى وأفواه لا تُعَدّ، فقد أصغى إلى لغة الشمس والقمر والنهر والشجر والحيوانات على اختلافها، ونقل أحاديث الطبيعة وما تقوله على لسان العناصر والموجودات

مستشرفًا تجليّاتها في شعره ونثره، الأمر الذي صنع له هالة من الإبهار لدى المبدعين الأوروبيّين الذين كان قد سبقهم إلى استخدام المجاز اللغوي والتحرر من المباشرة في التعبير، واستطاع أن يتمثّل الصورة المتقدّمة والزاهية لما كانت قد وصلت إليه الحضارة العربية في مجال الفكر الفلسفيّ والإبداع.

ولم يكن غريبًا أن يصفه المستشرق بروكلمان "بأنّه من أخصب المؤلّفين عقلًا وأوسعهم خيالًا" كما لم يكن غريبًا أيضًا أن يقول عنه المفكر العالمي برتراند راسل: "ابن عربي هو إطار فلسفي لتجربة إيمانيّة كبيرة قد توصف بالإنكار والاستنكار؛ فهي إنكار لاختلاف البشر من ناحية واستنكار لفكرة التفرقة والفصل من الأساس". ولا أنسى أنّني عندما كنت طالبًا في القاهرة قد سكنت لبعض الوقت في واحد من شوارعها يسمى شارع "نوال" في منطقة العجوزة، وعرفت من جيراني في ذلك الحيّ أنّ مستشرقًا فرنسيًّا مسلمًا كان يعيش في هذا الشارع سمّى نفسه عبدالواحد يحيى، وأنّه كان من أشدّ المعجبين بابن عربي وفلسفته الصوفيّة، وقد أهداني أحدهم كتابًا من تأليف الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر -يومئذ- فأثار الكتاب إعجابي، ومنه عرفت أنّ الاسم الحقيقي لذلك المستشرق هو "رينيه جينون" ومحتويات الكتاب تدور حول حياة هذا المستشرق الذي قاده إعجابه بابن عربي إلى اعتناق الإسلام وإلى أن تتمحور أبحاثه حول أهميّة الدين الإسلامي ودور ابن عربي في تفسير الأبعاد الروحيّة للإسلام والكشف عن الجوهر الإنساني في دعوته الموجهة إلى كلّ البشر دون استثناء، وهو ما أكده -فيما بعد- المفكر الفرنسي الشهير روجيه جارودي الذي دخل الإسلام من باب المتصوّفة ومن باب ابن عربي خاصّة.

لقد كان الشيخ الجليل محيي الدين بن عربي أوّل من جعل للحروف ألوانًا وأجسامًا، وللكلمات ظِلالًا ومواقف، وكان على قارئه أن يغوص في محيطات هذه الأجسام والظِّلال، وأن لا يكتفي بالوقوف على سطح الحياة أو يقصر التأمّل فيما يطفو عليها من فقاعات لا توحي بما في الأعماق، وما تحتضنه من إيحاءات ودلالات. وأشعر أحيانًا -إن لم يكن دائمًا- أنّنا لم نقرأ تراثنا الدينيّ والفكريّ والإبداعيّ قراءة جادّة عميقة، وأنّ انبهارنا بما يصدره الغرب إلينا من قشور المعرفة الأدبيّة والفكريّة قد ألهانا عن الغوص في محيطاتنا العميقة لاستخراج الخبايا التي ادّخرتها لنا أجيال سابقة من المفكرين

والمبدعين العرب وفي مقدمتهم محيي الدين بن عربي، ولهذا فقد فوجئنا بحفريات المستشرقين وبحثهم الدءوب في هذا التراث، ولا شكّ أنّهم حقّقوا بذلك الحفر الكثير من المعرفة والبهجة لأبناء قومهم، وفتحوا أمامهم نوافذ وآفاقًا سرعان ما أشعلت المخيّلة الأوروبيّة بعد أن كانت أسيرة الصور الحسِّيَّة والتجارب الواقعيّة.

إنّ الروح تصدأ من هيمنة الواقع على رؤاها وهي تشكو من ضيق المكان وتسعى إلى إيجاد نسخة خارج هذا المكان الضيّق، لكي تكتشف ما وراءه من عوالم مجهولة، وتصل إلى أمكنة لا تضيق بأصحابها، وهذا بعض ما فعله الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه هذا وفي بقية كتبه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: التفسير الكبير، ويضم ٦٤ مجلدًا، و"التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة" و"فصوص الحِكَم" و"محاضرة الأبرار" و"الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل" و"ترجمان الأشواق" و"كشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنى" و"مشاهد الأسرار القدسيّة" و"الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة" و"مواقع النجوم ومطالع أَهِلَّة أسرار العلوم" و"الأحاديث القدسيّة". وبعض هذه المؤلَّفات متوفِّر ومطبوع والكثير منها مفقود.

أخيرًا في اللحظات القاسية من حياة الإنسان، وحين يشعر بأنّ وجوده على الأرض مهدَّد من داخل نفسه أوّلًا ومن خارجها ثانيًا؛ فإنّ عليه أن يبحث عن باب للخروج إلى حيث الراحة والأمل. وما أكثر هذه اللحظات التي تتراكم في واقع الإنسان المعاصِر وتتحوّل إلى عمر قاسٍ ومرير، لذلك ما أحوجه إلى معرفة ذلك الباب، وهو عند كثير من أصحاب المعرفة، باب الإيمان المؤدِّي إلى حديقة التصوّف والزهد عن مظاهر الحياة ومطالبها المتكاثرة، ويكون الفرار من وجه الجحيم البشريّ الراهن المتمثّل في التكالب على المناصب والمال وما يصاحب ذلك من جشع واستقتال ومن أحقاد وابتعاد عن التسامح في صورته المثلى بوصفه مطلبًا أساسيًّا لِروّاد الفكر والإبداع يلوذون إليه، وعنده فقط تتحرّر حياتهم من اللحظات القاسية وتصفو معه إبداعاتهم وتتألّق إنسانيّتهم.

كلية الآداب – جامعة صنعاء

في ٢٠١٠/٣/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

خرجت الطبعة الأولى من هذه الموسوعة إلى النور أوائل عام ١٤٣٢هـ، (أواخر عام ٢٠١٠م)، وكانت مفاجأة سارة وغير متوقعة أن تصل قبل أيام قليلة من انعقاد المؤتمر الصوفي العالمي في تريم بحضرموت، ولقيت ترحيبا ممتازا في الوسط الثقافي والصوفي في اليمن وخارجه.

وكان بعض الإخوان قد عاتبوني عن عدم الحديث عن كلّ الجهود التي بذلت لإنجاز تحقيق هذا الكتاب، واقتصاري فقط على الحديث عن المراحل الأخيرة منها. وفي ذات الوقت رغب أعزّاء لنا أن لو كنا قد أشرنا إلى بعض افتراءات مناوئي الشيخ الأكبر وبيّنا حقيقة متابعته للمصطفى عليه الصلاة والسلام.

وإذ أستجيز لنفسي عدم ذكر بقية الجهود التمهيدية والتنفيذية -وهي بحمد الله كثيرة- إلا أني سأورد بدلا عنها عرضا سريعا يبين استقبال المهتمين لهذا الكتاب، وسأعمل -لتنفيذ الطلب الثاني- بأن أستعرض -بإيجاز- قضيتين هامّتين وأبيّن حقيقة موقفه منهما، فقد أكثر مناهضو الشيخ الأكبر من انتقاده عليهما، ووجهوا سهامهم تجاهه، واصفين إيّاه بأوصاف باطلة، ويبنون عليها أحكاما بعيدة عن الصواب.

أوّلا: استقبال الكتاب:

لقد سررت كثيرا بردود الفعل الإيجابية السريعة من قبل المهتمين في اليمن أوّلا ثم من خارج البلاد بعد أن أشير إلى صدور هذه الطبعة المحققة عبر شبكة الإنترنت. حيث بدأت تصلني بعد أسابيع قليلة رسائل من شتى أنحاء المعمورة ومنها مصر والجزائر والمغرب والأردن والعراق والسعودية ودولة الإمارات المتحدة وباكستان وإيطاليا وألمانيا وماليزيا وبريطانيا وفرنسا والبرازيل وتركيا.. وجميع هذه الرسائل ترحب بصدور هذه الطبعة ويسأل أصحابها عن كيفية حصولهم عليها.

ولما كانت الطبعة الأولى قد صدرت بأعداد محدودة للغاية ولم تنزل للبيع في الأسواق وخاصة خارج اليمن، فقد عملت -من خلال مركز الصفا للدراسات- على إهداء نسخ منها إلى عدد من مراكز البحث المتخصصة أو الشخصيات الهامة ومنهم الإمام الأكبر شيخ الأزهر. وكانت سعادتي

كثيرة حين وردت مقترحات من بعض هذه المراكز -بعد أن اطمأنت إلى جودة العمل- تهدف إلى ترجمته إلى لغات أخرى ومنها الأردية والإنجليزية. ودفعني هذا الاستقبال المتميز إلى العمل على إصدار طبعة ثانية تأخذ منها المكتبات الخارجية حاجتها لتكون في متناول المهتمين والباحثين في مختلف أقطارهم.

ثانيا: تفنيد بعض الافتراءات على الشيخ الأكبر:

أمّا أهمّ الانتقادات الموجهة ضد الشيخ الأكبر، وحقيقة مواقفه تجاهها فهي:

١. ترتيب مقامات الرسالة والنبوة والولاية:

قال ابن تيمية: هذا ابن عربي يصرّح في فصوصه أنّ الولاية أعظم من النبوّة؛ بل أكمل من الرّسالة، ومن كلامه:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الوَلِيّ(١)

إلا أننا لم نعثر على هذا البيت في "الفصوص"، ووجدناه في كتاب آخر(٢) بصيغة:

سَمَاءُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ دُوَيْنَ الْوَلِيِّ وَفَوقَ الرَّسُولِ

وقصد الشيخ الأكبر في ذلك كما يظهر من شرحه اللاحق لهذا البيت، وفي الفتوحات المكية، هو كما ذكر بقوله: "اعلم أنّ الولاية هي المحيطة العامّة، وهي الدائرة الكبرى. فمِن حُكْمِها أن يتولّى الله من شاء من عباده بنبوّة، وهي من أحكام الولاية، وقد يتولّاه بالرسالة، وهي من أحكام الولاية أيضا. فكلّ رسول لا بدّ أن يكون نبيّا، وكلّ نبيّ لا بدّ أن يكون وليّا؛ فكلّ رسول لا بدّ أن يكون وليّا. فالرسالة خصوص مقام في الولاية"(٣). وبيّن بعدئذ أنّ "الرسول هو الإمام، والوليّ هو المأموم، والنبيّ إمام مأموم، محفوظ غير معصوم. والرسول من هذا النمط هو المطلوب، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧١)، وانظر أيضا كتبه الأخرى وهي: مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٥٨)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٤١)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣١٠).

(٢) لطائف الأسرار ص ٣٥

(٣) الفتوحات المكية ٤٢٨/٥

(٤) لطائف الأسرار ص ٣٥

ويعزّز هذا الأمر بقوله[1]: " فأمّا منازلُ الأقطاب المحمّديّين الذين هم الرسل -صلوات الله عليهم أجمعين- فلا سبيل لنا إلى الكلام على منازلهم؛ فإنّ كلامَنا عن ذوق، ولا ذوق لنا في مقامات الرسل -عليهم السلام-، وإنما أذواقنا في الوراثة خاصة. فلا يتكلّم في الرسل إلّا رسول، ولا في الأنبياء إلّا نبيّ أو رسول، ولا في الوارثين إلّا رسول أو نبيّ أو وليّ، أو مَن هو منهم؛ هذا هو الأدب الإلهيّ. فلا تُعرف مراتبُ الرسل إلّا من الختم العام الذي يختم الله به الولاية العامّة في آخر الزمان؛ وهو عيسى بن مريم، روحُ الله. فإن سئل عن ذلك؛ فهو يترجم عنهم وعن تفاضلهم؛ فإنّه رسول منهم.

وأمّا نحن فلا سبيل إلى ذلك. فكلامنا في أقطاب الأمم؛ الذين هو ورثة أنبيائهم وأرسالهم، وفي أقطاب هذه الأمّة المحمّديّة المتأخّرة المنعوتة بالخيريّة على جميع الأمم السالفة؛ مؤمنيهم وكافريهم".

إذن لا يعدو الأمر هنا عن احتمالين: أوّلهما عدمُ فهم مقصود الشيخ هو الذي دفع إلى تلك النتيجة غير منطقية. وثانيهما: تعمّد الإساءة إليه بقراءة كلامه وفقا لمنطق "ولا تقربوا الصلاة".

٢. تصويب كل العقائد:

قال ابن تيمية: .. وكما يقوله من يقوله من أصحاب الوحدة، ابن عربي ونحوه، بأنّ كل من اعتقد في الله عقيدة فهو مصيب فيها، حتى قال:

عقد الخلائق في الإله عقائدا　　　　وأنا **اعتقدت** جميع ما عقدوه[2]

والواقع أنّ الشيخ الأكبر لم يقل هذا البيت بهذا النص، بل كتبه بخط يده في الفتوحات المكية كما يلي[3]:

عَقَدَ الخَلائِقُ فِي الإِلَهِ عَقَائِدًا　　　　وأَنا **شَهِدْتُ** جَمِيْعَ ما اعْتَقَدُوهُ

(١) الفتوحات المكية ٣٦٥/١٠

(٢) الصفدية، لابن تيمية (١/ ٩٩)، انظر أيضا كتبه الأخرى: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٦٢، ٨١)، مجموع الفتاوى (٢/ ٣١١)، وفيها "اعتقدوه" بدلا من "عقدوه".

(٣) الفتوحات المكية- ٨/ ١٠٩ (انظر المخطوط؛ الصفحة ٧٨ في السفر ٢٢)


عقدا لملائكة الاله عقايدا
وانا شهدت جميع ما اعتقدوه

الفرق واضح بين التعبيرين ودلالة كلمة "شهِدت" التي استبدلها ابن تيمية هنا بكلمة "اعتقدت" وذهبت بالمعنى بعيدا عما أراده الشيخ الأكبر!

وفي شرح الشيخ الأكبر لعقيدته يقول: "... وكما أشهدتُ الله وملائكته وجميع خلقه وإيّاكم على نفسي بتوحيده، فكذلك أُشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإيّاكم على نفسي، بالإيمان بمن اصطفاه واختاره، واجتباه من وجوده، ذلك سيّدنا محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(١)... وإنّي مؤمن بكلّ ما جاء به ﷺ ممّا علمتُ وما لم أعلم"(٢).

ويبيّن متابعته للرسول ﷺ بقوله: "فَمَن أراد السلامة من مكر الله؛ فلا يُزِل الميزانَ المشروع من يده الذي أخذه عن الرسول وورثه. فكلُّ ما جاءه من عند الله وَضَعَه في ذلك الميزان؛ فإن قَبِلَهُ مَلِكَهُ، وإن لم يقبله سلَّمه لله وتركه؛ فإنّ تَرْكَهُ عَمَلٌ به، ولم يجعل نفسَه محلّا لقبوله. يقول الجنيد رضي الله عنه: عِلْمُنا هذا مقيّد بالكتاب والسنّة"(٣).

* * *

ويستحسن أن نشير هنا إلى واحدة من أهمّ حالات التحريف الذي تعرضت له كتابات الشيخ الأكبر، وهما بيتان ذكرهما لأوّل مرة في كتاب مواقع النجوم، وكررهما في التنزلات الموصلية، والفتوحات المكية وهما:

الرَّبُّ حَقٌّ والعَبْـدُ حَقٌّ ... يَا لَيْتَ شِـعْرِي مَنِ المُكَلَّفْ
إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ ... أَوْ قُلْـتَ رَبٌّ أَنَّى يُكَلَّفْ

إلا أنّ مناوئي الشيخ حرصوا على التلاعب بألفاظ البيتين، وذهبوا بها كل مذهب. ولعلّ

(١) [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]
(٢) الفتوحات المكية ١/ ١٦٦
(٣) الفتوحات المكية ١١/ ١٥٧

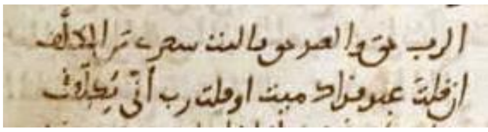
أسوأ هذه المذاهب قولهم أنه ذكرهما في أربعة من كتبه، وهي: مواقع النجوم، والتنزلات الموصلية، وكتاب المسائل، وفي الصفحة الأولى من كتاب الفتوحات المكية بالنص التالي(1):

العبد ربّ والربّ عبد   يا ليت شعري مَنِ المُكَلَّفْ

إن قلت عبد فذاك ربّ   أو قلت ربّ أنّى يكلّف

أكتب هذا الآن وبين يديّ الكتب الأربعة المذكورة، وقد وردت هذه الأبيات في ثلاثة منها ولم ترد في كتاب المسائل، ونصّها في الكتب الثلاثة كلها وفق ما ذكرناه، وبعيد كل البعد عن النص الذي ذكره مناوئوه.

أمّا ابن تيمية فقد شهد بأنه وجد نص الشطر الأوّل من البيت الثاني بخط الشيخ الأكبر أوّل الفتوحات المكية بلفظ: "إنْ قُلْت عَبْدٌ فَذَاكَ رَبٌّ"(2)، وفي موضع آخر ذكر أنه رآه بخطه بالنص التالي: "إنْ قُلْت عَبْدٌ فَذَاكَ نَفْيٌ"(3)!!! هاتان الشهادتان، وكذا شهادة الآخرين تسقط أمام النص المكتوب بخط الشيخ الأكبر في الصفحة رقم ٣ من الفتوحات المكية(4) في الموضع الذي ذكر ابن تيمية أنه رآه بعينه بذلك التعبير!! وهو:


الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت او قلت رب أنى يكلف

اللافت للنظر هنا أن هذه الانتقادات الموجهة للشيخ الأكبر مبنيّة على عبارات له جرى تغييرها أوّلا لكي يسهل انتقاده عليها وهي في حلّتها التي صارت إليها من قِبلهم!! والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: إذا قَبِلَتْ هذه العباراتُ النقدَ أو الحكم بالتكفير.. فإلى من ينبغي أن يوجّه

(١) كتبه محمد حامد الفقي على هامش تحقيقه لكتاب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية في النسخة المطبوعة في دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٩٧٢، في حاشية الصفحة رقم (٦٠) من الجزء الأول. (نقلا عن السيد محمد الكثيري في: السلفية بين أهل السنة والإمامة ٧/١٤). وذكر أنّ الشيخ أوردهما في الفتوحات المكية بالصيغة التي ذكرناها نحن، إلا أنه يرجح أنّ الشيخ لم يقلهما إلا كما أتى بهما هو. وكذلك ذكر هذا النص المزوّر واحد ممن يعتبرون أنفسهم من أنصار الشيخ الأكبر وهو الدكتور نصر حامد أبو زيد، في كتابه "هكذا تكلم ابن عربي" ص ١٧٥!! مع أنه كان قد ذكرهما بالنص الصحيح في صفحة ١٥٥ بنفس الكتاب ومبينا فيها مرجعه في النقل.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٥١)

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٣٣)

(٤) الأمر متروك لعلماء الشريعة وعلى رأسهم الأزهر الشريف ومجمع الفقه الإسلامي لتقرير حكم الشرع في واقعة خطيرة كهذه اتخذت مطية لتكفير الشيخ، ما هو الحكم الشرعي لإقرار ابن تيمية بأنه رأى هذا النص هكذا بخط الشيخ. الغريب أن ابن تيمية لم يثبت على نص واحد بشهادته، وإنما أتى بنصين مختلفين في كتاب واحد ليس بينهما سوى ١٨ صفحة، وكلا النصين مخالف للواقع، علما أن الشيخ الأكبر لم يذكر هذا البيت سوى مرة واحدة في أول الفتوحات المكية.

ذلك النقد أو الحكم: للشيخ الأكبر الذي لم يقلها؟ أم لمن قام بالتغيير فيها؟

ومع ذلك فرغم الحملة الشديدة التي شنّها ابن تيمية على الشيخ الأكبر، وكانت أساسا لذلك الموقف المعادي والتكفيري الذي صبغ كتابات الكثيرين من أتباعه، فإنّ أقوال ومواقف ابن تيمية نفسه لم تصل به إلى ما وصل إليه أصحابه فيما بعد[١]، ولنا في ذلك شهادتان:

١- يقول ابن تيمية: "وإنما كنت قديما ممن **يحسن الظن** بابن عربي **ويعظّمه** لما رأيت في كتبه من **الفوائد** مثل كلامه في الفتوحات، والكُنْه، والمحكم المربوط، والدرة الفاخرة، ومطالع النجوم"[٢]. فرغم شهادته البارزة لما جاء في كتبه التي ذكر خمسة من أمهاتها على سبيل المثال.. إلا أنه رأى بعد ذلك أن لا يحسن الظن به ولا يعظّمه!، وهو -كما نرى- متصل فقط بحسن الظن وسوئه، وتعظيم الشيخ وعدم تعظيمه لا أكثر.

٢- ووفقا لشهادة تلميذه الحميم شمس الدين الذهبي فإنّ قناعته انتهت إلى عدم تكفير أحد من الأمّة، قال الذهبي: "وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أُكَفِّر أحدا من الأمّة"[٣].

نرجو بهذا أن نكون قد وفّقنا في توضيح الحقيقة للباحثين عنها، وإزالة المنكر الذي أحدثه مناوئو الشيخ الأكبر والتصوف لهذا الفكر العظيم ورموزه النبلاء.

والله ولي التوفيق

عبد العزيز سلطان المنصوب
مركز الصفا للدراسات
صنعاء

---

(١) هذا الأمر قد يفتح تساؤلا حول ما إذا كانت كتب الشيخ ابن تيمية نفسه ربما تعرضت أيضا للتحريف من قبل بعض أتباعه في العصور اللاحقة بهدف النيل من الصوفية، ولكن بلسان ابن تيمية!!

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٩٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

ثمانية قرون هجرية مرّت منذ بدأ الشيخ الأكبر إعادة صياغة كتابه "الفتوحات المكيّة" وواظب عليه بهمّة الحكماء، الداعين إلى الحق على بصيرة، ولم يسمح لشيخوخته أن تعتذر عن كتابة آلاف الصفحات بخطّ يده في وقت كان تحت أمره المئات من الفقهاء والقضاة والأدباء والكتّاب الذين سيعتبرون طَلَبَهُ منهم بالنقل بدلا عنه شرفا لهم وأيّ شرف..

وإنه لأمر طيّب أن تبرز النسخة المطبوعة الأولى من هذا الكتاب الموسوعة والتي انتشرت في أجزاء المعمورة في عام ١٣٢٩هـ بعد سبعة قرون بالتمام من انتهاء الشيخ الأكبر من تأليفه في مسودّته الأولى عام ٦٢٩هـ!!. ثم تظهر بعد ذلك هذه النسخة المحقّقة والمتكاملة التي بين أيدينا الآن بعد ثمانية قرون بالتمام من الشروع في تنقيح هذه الموسوعة التي بدأها الشيخ عام ٦٣٢هـ، ومستنِدةً بالكامل على هذه النسخة الثانية المنقّحة.. ويتمّ هذا في يوم ذكرى المولد النبويّ الشريف؛ فهذا الأمر يدلّ على تقدير إلهيّ عظيم.

فهي إذن خير هديّة نقدّمها بين يدي شيخنا الجليل –قدّس الله سرّه- للبشريّة التي أحبّها وكتب لها، ولمحبّيه في الشرق والغرب أولئك الذين حافظوا على خصوصيّة شيخهم الأكبر حتى في لقبه؛ فلم يمنحوه لغيره طيلة هذه القرون.. ولم يحاول أيّ منهم انتزاعه منه أو مشاركته فيه.. وأنّى لمن يفعل ذلك.. فلن يجد أمامه أذنا تصغي إليه، أو لسانا تدعوه به..

⋆ ⋆ ⋆

وننتقل إلى فاس.. هذه المدينة الوادعة ذات العدوتين -عدوة الأندلسيّين، وعدوة القرويّين- التي عرفت النور عام ١٩٢هـ في ولاية إدريس بن إدريس.. تعرّفتْ في شبابها -بعد أربعة قرون بالتمام من ولادتها- على شيخنا الأكبر.. وحدثتْ بينهما ألفة ومودّة.. حتى أنه لم يكن يغادرها في تلك الفترة إلّا ليعود إليها.. وفيها نَهَلَ علوم الحديث والتصوّف.. وأخذ الخرقة من يد إمامها محمد بن

قاسم التميمي في المسجد الأزهر، وفي هذا المسجد جاءته الفيوضات والكشوفات الربّانيّة: إذا دخل محرابه إماما يصلّي بالناس رجع بذاته كلّها عينا واحدا، فيرى مِن جميع جهاته، كما يرى قِبلتَه، وفيه منحه الله سِرًّا من أسراره، وهناك نال مقام ختم الولاية المحمّديّة... وعند انتقاله إلى المشرق لم يعهد بشقيقتيه وابن عمه إلّا إلى فاس تتولّاهم وترعاهم حتى يقضي الله أمره.. وبادلها شيخنا هذا الوداد فخلّد ذكرها في كتبه، وفي هذا الكتاب وحده ذكرها ٤٢ مرة..

وبعد أن غادر شيخنا هذه الحياة الدنيا بقيت فاس ترعى عهود المحبّة، وكيف لها أن لا تفعل ذلك، ولا ترعى حقّ مَن منحه الله هذا المقام السامي الذي تشرئبّ له الأعناق، على ترابها وفي حضنها.. فكان مما عملته أنها أنشأتْ يوما طريقة صوفيّة سمّتها باسمها "الطريقة الفاسيّة الشاذليّة" وعهدتْ إليها، ضمن مهامها، بمراقبة تراث ابنها البار.. حتى لا تعبث به الأيادي، وليبقى منارا للبشريّة، ومفخرة لفاس نفسها التي منحها اللهُ شرفَ أمومة الختم..

وكان الاختبار الأوّل حين قام أخيار في مصر الطاهرة بطباعة أوّل نسخة من الفتوحات المكيّة عام ١٢٧٤هـ، وأحدثوا فيها أخطاء وتشويهات من غير قصد منهم.. بسبب عدم اعتمادهم على النسخة التي نقحها صاحبها، فلم يَرُقْ لفاس ذلك التصرّف، وعهدتْ إلى أحد روّاد طريقتها، ربّ السيف والقلم، الأمير المجاهد عبدالقادر الجزائري، أن يتّجه إلى المشرق، ويتدارك الأمر ويصلح الخطأ.. وكان لها ما أرادتْ؛ فظهرت الطبعة المصحّحة في مصر وفق إمكانيات عصرها عام ١٣٢٩هـ..

ويبدو أنّ فاس قد احتاطتْ للعبث الذي يمكن أن يقوم به بعض أهلِ المشرق لاحقا، ورأت ضرورة الاستعداد المسبق هذه المرّة، فنصبتْ منذ أكثر من قرن خيمتها في أحد جبال اليمن، البلد الأُم لشيخنا الأكبر، ورفعتْ بجانب الخيمة رايتها على قمّة جبل الصراهم برعاية الوليّ الكبير الذي انتقل إليه أمرُ الطريقة الفاسيّة الشاذليّة حسّان بن سنان، قدّس الله سره، في مديرية جبل حبشي -ولعلها ذات المنطقة التي جاء منها أكثر أصحاب الشيخ قربا منه، وصفيّه وخليله، وهو عبد الله بدر الحبشيّ اليمنيّ-..

وجاء الاختبار الثاني منذ أعوام قليلة.. وذلك بعد ظهور طبعة إليكترونيّة مشوّهة لهذه الموسوعة، قام بها للأسف بعض أهل المشرق! -سيأتي الحديث عنها لاحقا-.. وها هم أبناء هذه

الطريقة الفاسية الشاذلية في اليمن ينهضون ويقومون بواجبهم الديني والأخلاقي في مواجهة هذا العبث، ويعقدون العزم على إظهار الحقيقة كما خرجت من منبعها، ويجهّزون هذه النسخة المنقَّحة والمحقَّقة بأفضل المعايير المتوفرّة وأدقِّها بالاعتماد على النسخة المنقَّحة من قبل الشيخ نفسه والتي كتبها بيده الكريمة..

* * *

ألّف الشيخ الأكبر مئات الكتب في مختلف مجالات المعرفة الدينيّة والأدبيّة.. ومنها على سبيل المثال ثلاثة كتب في التفسير أحدها في ٦٤ مجلدا، وألّف في الحديث ١٢ كتابا.. الخ، إلّا أنّه لم يطبع من هذه المؤلّفات -حسب علمي- شيء، واقتصر الاهتمام على المؤلّفات الصوفيّة.. فخسرت المكتبة العربيّة وكذلك الباحثون عن المعرفة فرصة الاستزادة من معارفه في هذه المجالات الهامّة.

بل إنّ غياب هذه المجالات عن الدارسين كان دافعا قويّا لأولئك الذين لا يرون في حياتهم إلا القذى في عيونهم يسقطونه على غيرهم، وشجّعهم على ذلك غياب نظرته في مباحث التفسير والحديث والفقه بشكل مستقل، فراحوا يسقطون غثاءهم ويتقوّلون عليه الأقاويل، إلى أن وصل بهم الأمر إلى تحريف كلامه والافتراء عليه..

وفي هذا المنحى أتمنى على إخواننا، الذين يحبُّ الشيخُ أن يسمّيهم "أهل الفكر" وهم الفلاسفة والأدباء، أن لا يكونوا عونا عليه باستنتاجاتهم الباطلة، وهم يظنّون أنهم يخدمونه. فالشيخ يذكر دائما أنّ علومه صنفان: الأوّل مما ينال بالفكر والاجتهاد، والثاني: لا يُنال إلّا بالكشف؛ وهو ما لم يذكره في كتبه إلّا لمساعدة أهل الكشف على فهم مقتضيات كشفهم، فبعضهم يُكشف له ولا يعي مدلول كشفه.

ونفهم من ذلك أنّ الشيخ خصّ "أهل الفكر" بالصنف الأوّل، ولم يوجِّه الصنف الثاني لهم لانغلاق أبوابه عليهم.. ومن ثمّ فإنّ إصرارهم على الدخول فيه يوقعهم في حرج الخوض فيما لا يدركونه، ويسعون في تفسيره بما لا يقصده صاحبه.. ولذلك كثيرا ما نجد المناوئين يتذرّعون بكلام هؤلاء باعتباره مقصود الشيخ.

والدعوة موجهة إلى مراكز العلم، من جامعات ومراكز بحث، وللصوفيّة والباحثين، ودور

النشر في التوجُّه لتحقيق وإبراز جميع المؤلّفات لشيخنا الأكبر من دون الاقتصار على المجموعة الصوفيّة وحدها، وبروح عال من الكفاءة والمسئولية.

* * *

ستحلّ بعد سبعة أعوام –أي في سنة ١٤٣٨هـ- ذكرى انتقال شيخنا الأكبر إلى رحاب ربّه، ويحسن أن تهتمّ مراكز البحث والدراسات وكذا الطرق الصوفيّة بالاستفادة من هذه الأعوام السبعة للتحضير لإحياء هذه المناسبة بإقامة ندوات ومؤتمرات وإجراء مناقشات تتّصل بالشيخ الأكبر وعلومه.. فهو يستحقّ منّا ذلك، ولعلّي أقول إنّنا نحن من يستحقّ الاستفادة من بحار علمه.

وأخيرا:

نحمد الله تعالى على توفيقه بإنجاز هذا الكتاب الموسوعة، كمساهمة منّا في ذكرى الشيخ الأكبر، ونرجو منه تعالى أن يتقبّله خير قبول، ويجعله في ميزان حسنات شيخنا -قدّس الله سرّه-، ونسأله تعالى أن يعفو عنّا فيما أخطأنا أو قصّرنا فيه، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

الجديد في الطبعة الثانية

١- زيادة حجم الخط المستخدم من ١٨ إلى ٢٠.

٢- تصـــحيح كتابة عدد من الألفاظ التي لم ننتبه إليها في الطبعة الأولى، وتطلب هذا التصحيح جهدا استغرق وقتا يقرب من العام قام به فريق المراجعة بمقابلة الطبعة الأولى مع نسخة قونية[١].

٣- إضافة عدد من التوضيحات والتعريفات.

٤- تنظيم وتجميع الفهرسة بدلا من إبقائها عقب كل سفر على حدة لتسهيل عمل الباحثين. وكنا قد تداركنا الطبعة الأولى بمثل هذا الفهرس ونشرناه عبر شبكة الانترنت.

٥- اعتماد الفهرسـة الجديدة على أرقام صـفحات الكتاب عوضـا عن صـفحات المخطوط كما كان في الطبعة الأولى.

٦- توسـيع فهرسـة المصـطلحات الصـوفية -من غير ادّعاء بإتمامها-، مع تصـحيح معلومات متعلقة بالفهارس الأخرى.

---

(١) جرت هذه المراجعة في عامي ١٤٣٣-١٤٣٤هـ / ٢٠١٢-٢٠١٣م وانتهت في ٢٢ ربيع الآخر عام ١٤٣٤هـ!! وفيها تم تصحيح ما تبقى من اختلافات عثرنا عليها في الطبعة الأولى عن نسخة قونية، وتقلصت نسبة الاختلاف من كلمة واحدة في كل ٥٤٠٠ كلمة في الطبعة الأولى إلى توقع العثور على اختلاف بسيط وغير مؤثر بمقدار كلمة واحدة في كل ٢٢٠٠٠ كلمة.



جامع الشيخ محيي الدين بن العربي في دمشق



ضريح الشيخ الأكبر

ترجمة
الشيخ محيي الدين بن العربي

مدخل:

فتح المسلمون الأندلس في رمضان من عام ٩٢هـ، وتعاقب على حكمها الأمويّون ثم ملوك الطوائف ثم المرابطون الذين كانت حاضرتهم مراكش.. ثمّ شهد القرن الخامس الهجري سقوط المرابطين عام ٥٣٧هـ، وورثهم الموحِّدون في المغرب العربي وغرب الأندلس، ودولة شرق الأندلس التي أقامها عبد الرحمن بن عياض وخلَفه محمد بن سعد بن مردنيش وعاصمتهم مرسية.

بعد وفاة محمد بن سعد عام ٥٦٧هـ آلت شرق الأندلس كلها إلى الموحّدين الذين توسعوا بعد ذلك وكوّنوا مملكة هي الأكبر في شمال أفريقيا والأندلس امتدّت من طرابلس الغرب إلى منتهى البرّ الأفريقي غربا، وشمالا دخل تحت سيطرتها كلّ الأندلس في أقصى امتداد وصل إليه المسلمون في تاريخهم هناك(١).

ومن المعلوم أنّ جزءا من جند الفاتحين كانوا من اليمن، وبعد الفتح انتقلت قبائل عربية يمنية إلى الأندلس لحماية الثغور، واستوطنوها، ونبغوا فيها في مجالات عدة، ولم تمنعهم مهاجرهم الجديدة من ذكر أصولهم اليمنية والاعتزاز بها.

وأسرة الشيخ الأكبر إحدى هذه الأسر العريقة التي انتقلت إلى الأندلس في تلك الأزمنة، وبقيت تحمل ذكرى الأصل والانتماء بعد أجيال من زمان انتقالها.(٢)

يقول الشيخ الأكبر في أكثر من موضع في ذلك:

إنّي لمن أَصْلِ أَجْوَادٍ ذَوِي حَسَبٍ ... العَمُّ مِنْ طَيِّئَ والخَالُ خَوْلَانِي(٣)

---

(١) بدأ حكم الموحدين عام ٥٣٧هـ على أنقاض دولة المرابطين، وكانت حاضرتهم مراكش، واستمر حكمهم إلى عام ٦٦٨هـ (١٣١ عاما)، وأشهر حكامهم هو أبو يعقوب، يوسف بن عبد المؤمن (ت ٥٨٠هـ) الذي اكتملت في عهده سيطرة الموحدين على الأندلس، وبعده كان ابنه أبو يوسف، يعقوب بن يوسف (ت ٥٩٥هـ) وهو الذي بنى مدينة الرباط.

(٢) سيلاحظ المتتبع لتاريخ الأندلس والمغرب العربي كثرة الأسماء اليمنية التي كان لها شأن كبير، ومنها على سبيل المثال السمح بن مالك الخولاني الذي ولي الأندلس بعد فتحها بسنوات قليلة، ومحمد بن أبي عامر المعافري، والقاضي عياض اليحصبي، والقاضي شريح الرعيني، وابن خلدون، وأبوبكر بن العربي المعافري. وهناك ألقاب كثيرة أخرى تدل على أصولها اليمنية مثل الصنعاني والحضرمي والحميدي والزبيدي والمذحجي والحميري والصبيحي والعبسي، والشيباني .. الخ، وهناك قلعة تسمى قلعة بني حماد.

(٣) ديوان ابن عربي ص ٢٤٨

* * *

فأَخْوَالُنَا خَوْلَانُ والعَمُّ طَيِّئٌ   بُنَاةُ العُلَى فِي كُلِّ عَالٍ وسَــافِلِ(١)

ومعلوم أنّ طيّ وخولان قبيلتان يمنيّتان.. ويصرّح الشيخ في موضع آخر:

هِيَ بِنْتُ العِرَاقِ بِنْتُ إِمَامِي   وَأَنا ضِـدَّهَا سَـلِيلٌ يَمَانِي(٢)

اسمه ومولده:

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي الصحابي الجليل عدي بن حاتم (ت ٦٨هـ). يكنى بأبي عبد الله، ويلقّب بمحيي الدين، ويعرف بالطائي الحاتمي، وبابن العربي في عصره وعند المغاربة، وبدون ألف ولام عند المشارقة "ابن عربي".

ولد ﷺ يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥/٧/٢٦م) في مرسية في شرق الأندلس(٣)، في زمن حاكمها أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش، وكانت لوالده مسؤولية عالية في جيش حاكمها(٤). وبعد وفاة ابن مردنيش ودخول مرسية في إطار حكم دولة الموحّدين، "انتقل علي بن محمد العربي -والد شيخنا- مع أسرته إلى إشبيلية عام ٥٦٨ ليستقرّ في الشئون العسكرية بديوان السلطان طيلة خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومدة من خلافة ابنه أبي يوسف يعقوب المنصور"(٥).

ذكر القاري البغدادي وصف ملامح الشيخ الأكبر، فقال: **"لم يكن بالطويل، ولا بالقصير، لين اللحم، بطنه بين الغلظة والرقة، أبيض، مشرب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا بالجعد، ولا بالقطط، أسيل الوجه، أعين، معتدل اللثة، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافيه، أغلظ منه، وما ورق في اعتداله، طويل البنان، سبط الكف، قليل**

(١) ديوان ابن عربي ص ٢٦٧
(٢) ترجمان الأشواق ص ٨٤
(٣) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطي، ٢١/١
(٤) أنظر: ختم القرآن، عبد الباقي مفتاح، ص ٨
(٥) نفس المصدر

الكلام والضحك، إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء، في نظره قَدْع[(١)]، ومشيه ليس بعجلان ولا بطيء"[(٢)].

والده:

تجمع المصادر التاريخية أنّ والد الشيخ كان مقرّبا من الحكام سواء في شرق الأندلس أو في دولة الموحّدين، وبقي على ذلك إلى أن توفّاه الله عام ٥٩٠هـ. ولم يمنعه ذلك القرب من أن يكون تقيّا ورعا؛ يقرأ سورة يس على ابنه حين يمرض إلى أن يشفى ببركتها، ويستقبل الصالحين الذين يزورون ابنه ويجالسهم، ويزورهم مع ابنه في أوقات أخرى، وتقوى علاقته بالمفكرين والفلاسفة وفي مقدمتهم قاضي قرطبة، الفيلسوف الطبيب ابن رشد، ويرسل ابنه إليه ليعلم منه حصاد الكشف الذي أعطاه الله في صغره من غير الطريق التي اعتاد الناس تلقي علومهم منها[(٣)].. ويفخر به ابنه الشيخ الأكبر حين يذكره في كتبه بعد ذلك، ويشير إليه أنه ترقى في المقامات إلى أن أصبح من رجال نَفَس الرحمن[(٤)].

توفّى والد الشيخ عام ٥٩٠هـ في إشبيلية بعد عودته من زيارة الشيخ عبد العزيز المهدوي في تونس برفقة الشيخ محيي الدين.

والدته:

اسمها نور، وهي من أسرة عربيّة أنصاريّة، أصولها يمنيّة من خولان كما قد تبيّن. يقول

(١) القَدْع: الكفّ والمنع، كفُّك إنسانا عن الشيء

(٢) الدر الثمين، للقاري البغدادي (ت بعد ٨١٨هـ)، ص ٢٤

(٣) السفر ٢ (ج١/٤٧٧)

(٤) يذكر الشيخ عن هذا المقام بقوله: "ومن صفات صاحب هذا المقام في موته، إذا نظر الناظر إلى وجهه وهو ميّت، يقول فيه حيّ، وإذا نظر إلى مجسّ عروقه يقول فيه ميّت، فيحار الناظر فيه، فإنّ الله جمع له بين الحياة والموت، في حال حياته وموته. وقد رأيت ذلك لوالدي -رحمه الله-، يكاد أنّا ما دفنّاه إلّا على شكّ، مما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء، ومما كان من سكون عروقه وانقطاع نَفَسه من صورة الأموات. وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته، وأنّه يموت يوم الأربعاء، وكذلك كان. فلمّا كان يوم موته وكان مريضا شديد المرض، استوى قاعدا غير مستند، وقال لي: يا ولدي؛ اليوم يكون الرحيل واللقاء. فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هذا، وبارك لك في لقائك. ففرح بذلك، وقال لي: جزاك الله -يا ولدي- عنّي خيرا، كلّ ما كنت أسمعه منك، تقوله ولا أعرفه، وربما كنت أنكر بعضه، هو ذا أنا أشهده. ثمّ ظهرتْ على جبينه لُمعة بيضاء، تخالف لون جسده من غير سوء، له نور يتلألأ. فشعر بها الوالد. ثمّ إنّ تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمّت بدنه. فقبّلته وودّعته، وخرجت من عنده، وقلت له: أنا أسير إلى المسجد الجامع، إلى أن يأتيني نعيُك. فقال لي: رح ولا تترك أحدا يدخل عليّ. وجمعَ أهله وبناته. فلمّا جاء الظهر جاءني نعيه. فجئت إليه، فوجدته على حالة يشكّ الناظر فيه بين الحياة والموت. وعلى تلك الحالة دفنّاه، وكان له مشهد عظيم. فسبحان من يختصّ برحمته من يشاء". [السفر الثالث (ج١/٦٥٨)]

الشيخ(١): **وكانت أُمّي تنتسب إلى الأنصار:**

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ جُمْلَةِ الأَنْصَارِ   فإِذا مَدَحْتُهُمُ مَدَحْتُ نِجارِي

ويبدو أنّه كان مهتما بأمر والدته وتنمية مداركها الروحيّة، ويأخذها لزيارة الصالحات العارفات، منهنّ نونه فاطمة بنت ابن المثنى التي كانت تقول لها إذا جاءت إلى زيارتها: **"أنا أُمّك الإلهيّة و"نورٌ" أُمّك الترابيّة.. يا نور؛ هذا ولدي، وهو أبوك! فبرِّيهِ، ولا تَعُقِّيْهِ"**(٢).

بعد وفاة والده عام ٥٩٠هـ كفلها الشيخ مع شقيقتيه حتى انتقلت الأمّ إلى جوار ربها.

عمّ الشيخ:

كان لشيخنا عمٌّ، شقيق والده، هو عبد الله بن محمد بن العربي، ذكر الشيخ أنه دخل في هذا الطريق وعمره ثمانون عاما وبقي عليه إلى أن مات بعد ثلاثة أعوام، وكان من المتحقّقين بمقام نفس الرحمن حسّا ومعنى.(٣)

شقيقتا الشيخ:

المراجع لا تذكر أنّ للشيخ إخوة سوى شقيقتين: الكبرى أمّ السعد والصغرى أمّ العلاء. ومات والدهم ولم تتزوجا بعد، ذكرهما الشيخ في كتابه الدرّة الفاخرة.. بقوله: **"واقترح عليّ أمير المؤمنين أن ألتحق بديوانه وأن يُزوّج أُخْتايَ. فرفضت وسافرت بهما مع أهلي وابن عمّ لي إلى فاس وزوّجتهما بفاس"**(٤).

أزواجه:

يذكر الشيخ في الباب ٤٦٣ أنه كان يكره النساء والجماع في بداية دخوله الطريق وبقي على ذلك ثمانية عشر عاما، حتى شهِد مقام القطب الثامن من الأولياء.. عندها تغيّرت رؤيته وصدق في توجهه إلى الله وزالت عنه هذه الحالة، وحبّبهنّ إليه.. ويبدو أنّ زواجه الأوّل كان مع نهاية هذه المدة وبالتحديد عام ٥٩٣هـ التي تقابل مرور ١٨ عاما بعد وصوله مرحلة البلوغ(٥).

(١) السفر ٤ (ج٢/٨٧)
(٢) أنظر السفر ١٦ (ج٦/٢٧)
(٣) السفر ٣ (ج١/٥٦٤)
(٤) ختم القرآن، ص ٢٠ نقلا عن الدرة الفاخرة
(٥) وهناك احتمال آخر أنه تزوج في تونس عام ٥٩٧هـ حيث بقي فيها ٩ أشهر آنذاك، ومعلوم أن أسرة ابن عبدون لها فرع كبير هناك.

ويؤيّد ذلك ما نلاحظه في تعبير الشيخ سالف الذكر، أنه سافر بأختيه مع "أهله" وابن عمّ له إلى فاس، وهو ما يشير إلى أنه كان قد تزوّج قبل ذلك الوقت في إشبيلية، -إذ معلوم أنّ تعبير "أهلي" المقصود به هنا الزوجة- ويكون الأقرب للتوقع أنّ "أهله" المقصودة هنا هي المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون البجائي(١) التي بقيت في عصمته -على ما يبدو- حتى انتقاله إلى رحاب ربّه(٢). وكان الشيخ يشير إليها بالصلاح وسلوك الطريق(٣).

وفي نهاية نسخة قونية يذكر الشيخ اسم زوجة أخرى له هي فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين. وهي أمّ ابنه عماد الدين محمد الكبير الذي وقف عليه النسخة الأولى من الفتوحات المكية التي انتهى من كتابتها عام ٦٢٩. وصيغة التعبير توحي أيضا أنها كانت على قيد الحياة عند كتابته تلك في عام ٦٣٦هـ.

وفي كتابه "الأجوبة العربية في شرح النصائح اليوسفية ص ٢١٧" ذكر زوجة له وصفها أنها "**امرأة جليلة القدر، أخت ملك كبير**". وتحدّث في كتابه "نتائج الأذكار ص ١٥" أنّ من أصحابه عام ٦٣١هـ في دمشق **صهره شمس الدين محمد بن سعد الدين يرنقش**(٤)، ومعلوم أنّ آل "يرنقش" **كان منهم قادة وملوك، كان لهم شأن كبير في بغداد والموصل وديار بكر والشام منذ نهاية القرن الخامس حتى بداية القرن السابع الهجري**.

ويحتمل أنّ هذه السيّدة أو السيّدة فاطمة بنت يونس هي أمّ ابنته زينب التي ذكرها في الفتوحات مرتين مع أُمّها وجدّتها(٥)، ووصفها بأنها كانت رضيعة عمرها دون السنتين في العام الذي **ذهبتْ فيه مع أُمّها وخالها** إلى الحج، وذهب هو من دمشق إلى بغداد(٦)، ومنها إلى مكة المكرمة.

وفي كتاب محاضرة الأبرار يقول الشيخ: **"وكان لنا أهلٌ تقرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها**

---

(١) البجائي: نسبة إلى بجاية؛ إحدى المدن في الجزائر حاليّا، تبعد عن العاصمة من جهة الشرق بحوالي ٢٠٠ كم.

(٢) ذكرها الشيخ في الفتوحات المكية بالاسم ثلاث مرات: في السفر ٤ (ج١١٥/٢)، والسفر ١٦ (ج٢١٢/٦)، والسفر ٢٣ (ج٣٩٨/٨). وصيغة التعبير تدل على أنها كانت حيّة عند ذكره لها كونه لم يترحم عليها كعادته عند ذكر الأموات.

(٣) انظر السفر ٤ (ج١١٥/٢)، والسفر ١٦ (ج٢١٢/٦)

(٤) ورد اسمه ٣٤ مرة في الفتوحات في محاضر السماع، وفي السفر ٢١ ذكره الشيخ في المتن باسم شمس الدين محمد بن يرنقش المعظّمي.

(٥) السفر ٢٠ (ج٣٨٤/٧)، والسفر ٣٠ (ج٤٧٢/١٠).

(٦) كان ذلك عام ٦٠٨هـ وفق رواية ابن النجار

فتذكّرتها ومنزلها بالحلّة من بغداد"[١]. ونظرا لأنّ آخر زيارة معلومة لنا قام بها الشيخ إلى بغداد كانت في عام ٦٠٨هـ فتكون صلته بزوجته البغداديّة قد انقطعت في تلك الآونة أو بعدها، ولا نعلم سبب ذلك الانقطاع؛ هل هو الطلاق أو الموت؟

هذه الحالات الأربع هي التي ذكرها الشيخ صراحة عن أزواجه إما بذكر أسمائهن، أو بتعبيره المتعارف عليه "أهل" أو زوجة.

وذكر القاري البغدادي (توفى بعد ٨١٨هـ) أنّ الشيخ تزوج في دمشق ابنة قاضي قضاة المالكية بدمشق زين الدين أبي محمد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي (٥٨٩-٦٨١هـ) الذي **"ترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ"**[٢].

كما أنّ مصادر أخرى تشير إلى أنّه تزوج بالأناضول أمّ صدر الدّين القونوي بعد وفاة زوجها الأوّل مجد الدّين إسحاق الرومي.

أولاده:

المعلومات المؤكدة تشير إلى أنّه كان له ولدان وبنت.. أما البنت فهي زينب التي ذكر في "الفتوحات المكيّة" كرامة حصلت لها في طفولتها ولم تكن قد بلغت العامين من عمرها.. والولدان هما عماد الدين محمد الكبير، قال الشيخ قطب الدين اليونيني عنه: **"كان فاضلًا سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وتوفّي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٧هـ، ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين"**[٣]. والثاني سعد الدين محمد ولد في مَلْطِيَة في شهر رمضان ٦١٨هـ، سمع الحديث ودرس، وكان شاعرا مجيدا، توفي عام ٦٥٦هـ، ودفن عند والده.

دراسته:

بعد انتقال أسرة الشيخ إلى إشبيلية وعمره حينذاك ثمانية أعوام بدأ شيخنا في إشبيلية يتلقى

---

(١) محاضرة الأبرار ٥٨/٢.
(٢) الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين ص ٤٢. ونلاحظ هنا أنّ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٥٢/١٣) يؤكد مسألة ترك القضاء، إذ يقول عن القاضي الزواوي أنّه: "أول من باشر القضاء في دمشق، وعزل نفسه عنها تورعا وزهادة..".
(٣) الوافي بالوفيات، الصفدي، ٨٦/١

العلوم لدى أئمتها وفقهائها..

في بداية أمره تعلم القرآن الكريم وحفظه لدى جاره، ثم تعلم القراءات السبع على الشيخ محمد بن خلف بن صاف اللخمي(١) بمسجده المعروف به، بقوس الحَنِية بإشبيلية وكان إذ ذاك قد بلغ الثامنة عشرة من عمره،

ودرس الحديث على أبي محمد عبد الحقّ بن عبد الله الأزدي الأشبيلي، وعلى أبي الحسين بن الصائغ بسبتة، من ذرّيّة أبي أيّوب الأنصاري، وعلى أبي الصبر أيّوب الفهري، وعلى أبي محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة، ومحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ومكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني البزار بمكة، وآخرين.

كما أنّه درس واستوعب الفقه لجميع المذاهب الإسلاميّة، وكذا السيرة النبويّة، وكتب الأدب وغير ذلك. وكان الشيخ قد ذكر في إجازته للملك المظفر بن الملك العادل أسماء ستّين من شيوخه في القراءات والحديث والفقه والسِّيَر في الأندلس والمغرب العربي ومصر ومكة وبغداد والموصل وغيرها.. ومن جميع المذاهب الإسلامية.. مبيّنا وجود شيوخ آخرين استفاد منهم غير هؤلاء.

وكذا ذكر أسماء عشرات من شيوخه الآخرين في كتبه الأخرى وأهمها "رسالة روح القدس في محاسبة النفس" و"الدرة الفاخرة فيمن انتفعت به في طريق الآخرة"

تصوفه:

انتسب شيخنا للطريقة أوّل أمرِه من خلال شيخه أبي العبّاس أحمد العريبي الذي قدم إلى إشبيلية من بلده "العُليا" بغرب الأندلس وكان ابن العربي أوّل من سارع إليه، ووصفه أنّه كان **"بدويّا أمّيّا لا يكتب ولا يحسب، وكان إذا تكلّم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع؛ كان يقيّد الخواطر بهمّته ويصدع الوجود بكلمته، لا تجده أبدا إلا ذاكرا على طهارة مستقبل القبلة، أُكثر**

(١) محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صاف أبو بكر الأشبيلي مقرئ كامل إمام حاذق، تلا على أبي الحسن بن شريح بن محمد وأخذ العربية عن أبي القاسم بن الرماك وأجاز له أبو الحسن بن مغيث وغيره، أخذ عنه القراءات أبو جعفر القرطبي إمام كلاسة دمشق وعلى بن محمد البلوي البلنسي وأقرأ الناس نحو خمسين سنة، وشرح الأشعار الستة وفصيح ثعلب، وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة عن قريب الثمانين سنة. [غاية النهاية في طبقات القراء ٣٣٨/١]

دهره صائما... وكان قويّا في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم. كنت إذا دخلت عليه يقول: مرحبا بالابن البار، كلّ ولدي نافق عليّ وجحد نعمتي إلّا أنت؛ فإنك مقرّ بها معترف، لا أنساها الله لك... وكان ﷺ كثير التفكر مبسوطا مع الحقّ في عموم أحواله... وكان ﷺ لا يتجرّد لنوم في ثوب، ولا يهتزّ في سماع، فإذا سمع القرآن تقصّف وتصدّعت أركانه"[١]

وخلال هذه الفترة التي صحب فيها شيخه العريبي كان في حياته أيضا الشيخ الميرتلي[٢]، وله معه أخبار وحكايات أوردها في هذا الكتاب.

ويبدو أنّه فقد شيخه العريبي بعد عودته إلى منطقته "العليا بغرب الأندلس" بعد أن قضى في إشبيلية ستّة أشهر، وكان قد أسنّ وكفّ بصره قبل وفاته -رحمه الله-، وبقي شيخنا بعد ذلك مكتفيا بجلسات السماع الصوفي مع أقرانه مع ما يتخللها من ذكر ورقص وتواجد يستمر إلى الصباح يؤدّون في نهايتها صلاة الفجر بأسرع وقت، وهي التي سماها فيما بعد بالفترة، أو زمن جاهليّته..

ثمّ تعرّف على أحد أهم الشخصيّات التي كان لها تأثير كبير في مسار حياته وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي أحد أصحاب شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث ومن خلاله عرف لأوّل مرة دلالة لفظ التصوّف[٣] -وكان قد سلك الطريق وفتح له فيه دون معرفة مسمى هذا النهج- وقرأ معه الرسالة القشيرية، إضافة إلى فنائه بشيخ الشيوخ الغوث بعد أن ذاق سيرته من شيخه وتلميذه الكومي -كما ذكر ذلك في الفتوحات- ومن أحد الأبدال وهو موسى السّدّراتي.

والواقع إنّ عقد الثمانينات -وعلى الخصوص عامي ٥٨٥ و٥٨٦هـ- كان حافلا بأخبار فتوحاته ومواجيده وعزلته في المقابر وتنقّله في نواحي الأندلس ولقاءاته بعدد من أساطين الفكر والمواجيد.. ولعلّ لقاءه بالفيلسوف الطبيب أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة من أشهر هذه

---

(١) روح القدس في معرفة النفس ص ٦٦-٧٠

(٢) أبو عِمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد، يعرف بالمِيرتُلي، وأصله من ثغر مِيرتلة، وسكن أشبيلية، وكان لا يُعدلُ به أحدٌ من أهل عصره صلاحًا وعبادة مع تصرفه في فنون الأدب، وشعره في الزهديات مجموع. روى عنه ابن حوط الله. ولما احتضر ما زال يكرر: "إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، إلى أن قبض. توفي ليلة السبت مستهل جمادى الأولى سنة أربع وستمائة. [تحفة القادم ٣٠/١]

(٣) روح القدس في معرفة النفس ص ٤٩

اللقاءات[1]. وكان شيخنا يتوق إلى لقاء الغوث، شيخ الشيوخ أبي مدين -الذي كان يقطن بجاية- بعد أن استغرقتْ محبّته له أقصاها.. ولمّا انتقل الشيخ أبو مدين إلى رحاب ربه عام ٥٨٩هـ في تلمسان، تحرّك شيخنا من الأندلس تجاه الضفة الأخرى، إلى حيث مرقد شيخ الشيوخ بتلمسان، ومنها يتّجه صوب تونس ففيها أحد أشهر أصحاب أبي مدين؛ عبد العزيز المهدوي. وكان ابن عمه، أبو الحسين علي بن عبد الله بن محمد بن العربي، مهاجرا هناك يتلقى علومه لدى الشيخ المهدوي.

الفتح الأكبر:

يتبيّن من حديث الشيخ في الباب ٣٥١ أنّ كلّ الفتوحات التي تحدّث عنها قبل عام ٥٩٠هـ إنما كانت بمثابة مقدّمات الفتح الأكبر الذي حصل له في العام ٥٩٠هـ، بعد أو أثناء هذه الزيارة المباركة، وهو دخوله أرض العبودية التي ثبت عليها بقية عمره، وهي التي يصفها بعد ٤٥ عاما بقوله:

"العبوديّة ذلّةٌ محضةٌ خالصةٌ ذاتيّةٌ للعبد؛ لا يكلّف العبد القيام فيها؛ فإنّها عينُ ذاته. فإذا قام بحقّها، كان قيامُه عبادةً. ولا يقوم بها إلّا مَن يسكن الأرض الإلهيّة الواسعة التي تسع الحدوث والقِدم؛ فتلك أرضُ الله؛ مَن سكن فيها تحقّق بعبادة الله، وأضافه الحقّ إليه. قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ يعني فيها. ولي مذ عبدتُ الله فيها، من سنة تسعين وخمسمائة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة".

ولعلنا نستنتج هنا أنّ كون حدوث هذا الأمر بعد انتقال شيخ الشيوخ الغوث أبي مدين، إنما كان إشارة إلى وراثة الشيخ الأكبر له في مقامه، وسيكون من ثمّ قاعدة جديدة للترقّي في إطار هذا الوضع الجديد، ومنها نيله مقام ختم الولاية المحمّدي عندما كان في فاس عامي ٥٩٤ و٥٩٥هـ.

(١) أنظر السفر ٢ (ج١/٤٧٧)، والسفر ٥ (ج٢/٢٤٥)، ويبدو أنّ هذا اللقاء تم عام ٥٨٦هـ حين اصطحب الشيخ ابن العربي والده لزيارة الشيخ أبي محمد مخلوف القبائلي في قرطبة، وفي تلك الزيارة أطلعه الحق وأشهده "أعيان رسله عليهم السلام وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين" قبل وفاة الشيخ القبائلي بأيام. [انظر فصوص الحكم ص ١١٠، وشرح رسالة القدس ص١١٥]

وفي ذلك يقول:

أَنَا خَتْمُ الولايَةِ دُونَ شَكٍّ   لِوِرْثِي الهَاشِمِيِّ مَعَ المَسِيحِ

وليس المقصود بختم الولاية أنّه آخر الأولياء، كما قد يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة، وإنما المقصود به -كما يبيّنه الشيخ- أنها رتبة لا تكون إلّا **"لرجل من العرب، من أكرمها أصلا ويدًا"**[(١)] بحيث **"لا يكون في الأولياء المحمّديّين أكبر منه"**[(٢)]، كما أنّه **"أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه ولا بعد زمانه، أعلمُ بالله وبمواقع الحكم منه. فهو والقرآن إخوان"**[(٣)] **"ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ولهذا يُشعر به إجمالا. ولا يُعلم تفصيلا إلّا مَن أعلمه الله به، أو مَن صدّقه إن عرّفه بنفسه في دعواه ذلك"**[(٤)].

تنقلاته:

بعد عودته إلى الأندلس عام ٥٩٠هـ قضى الشيخ الأكبر فترة ٨ سنوات بعد هذا الوضع الجديد له متنقّلا بين المغرب العربي والأندلس، وعَبَر مضيق جبل طارق ذهابا وجيئة ٣ مرات، وزار فيها جميع مدن دولة الموحّدين المعروفة والتقى خلالها بالأئمة والعلماء والسلاطين ولم يتوقف عن تلقّي العلوم الشرعيّة في مختلف فروعها، كما أنّه قد صار شيخا يشار إليه بالبنان وله أصحاب ومريدون، وأشهرهم على الإطلاق صاحبه الوفي عبد الله بن بدر الحبشي اليمني هاجر إليه من مكة المكرمة إثر رؤيا رآها دعته إلى الهجرة إليه، وبقي ملازما له كظلّه في حلّه وترحاله إلى أن لقي ربّه في ملطية أواخر عام ٦١٨هـ.

رحلته إلى الشرق:

بدأ في أواخر عام ٥٩٦هـ بالتجهز للسفر إلى المشرق العربي.. فنجده ينتقل من الأندلس إلى المغرب، ويودّع شيخه الكومي في سلا ثم يتجه إلى مراكش، ومنها إلى فاس، ثم بجاية حيث كان شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، وأخيرا إلى تونس للبقاء مع الشيخ عبد العزيز المهدوي

---

(١) أنظر السفر ١٢ (ج٤/٤٠٦)
(٢) أنظر السفر ١١ (ج٤/٢٨٥)
(٣) أنظر السفر ٢٥ (ج٩/٦٦)
(٤) أنظر السفر ٢٧ (ج٩/٥٦١)

تسعة أشهر.. وفي ختامها يشدّ الرحيل صوب الشرق لأداء فريضة الحج، وتشاء الأقدار أن تكون هذه رحلته الأولى والأخيرة إلى بلاد الشرق؛ إذ لم يعد بعدها إلى المغرب العربي والأندلس[(١)].

كانت القاهرة هي المحطة الأبرز للشيخ في أوّل قدوم له.. وفيها قضى شهر رمضان المبارك من عام ٥٩٨هـ بضيافة أخوين من أعزّ أصحابه ورفيقي طفولته وجيرانه في إشبيلية، وكانا قد سبقاه في الرحلة إلى الشرق عام ٥٩٠هـ، وهما: أبو عبد الله محمد الخياط وعرف بالقسطلاني في مصر، وأخوه أبو العباس أحمد الأشبيلي الحريري[(٢)]. وبعد انتهاء شهر رمضان ودّعهما لزيارة الخليل إبراهيم عليه السلام في مدينة الخليل وزيارة بيت المقدس، ومنها اتجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في نفس العام. وبقي مجاورا في مكة عامي ٥٩٩ و٦٠٠هـ.

تنقلاته في المشرق:

كان الشيخ الأكبر قد زار الإسكندرية والقاهرة والخليل وبيت المقدس قبل وصوله إلى مكة المكرمة أواخر عام ٥٩٨هـ، وخلال فترة مجاورته بمكة زار الطائف. وفي أوائل ٦٠١هـ يبدأ الشيخ الأكبر في الطواف بين حواضر بلاد المشرق والأناضول.. فنراه يزور المدينة المنورة للسلام

---

(١) تمت هذه الرحلة في عهد السلطان محمد بن يعقوب، أبي عبد الله (ت ٦١٠هـ) وهو الذي آلت إليه دولة الموحدين بعد وفاة والده عام ٥٩٥هـ.

(٢) جاء في "ختم القرآن" للأستاذ عبد الباقي مفتاح ص ٣١١ ما يلي: "ذكر الغبريني (ت: ٧٠٤) في كتابه (عنوان الدراية) أنّ بعض فقهاء مصر حكموا بالإعدام على الشيخ بسبب شطحاته، لكن الشيخ أبا الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي شفع له وأنقذه من تنفيذ الحكم. لكن الغبريني الذي هو أوّل من ذكر هذه الرواية بعد نحو قرن من وجود الشيخ بن العربي في مصر، لم يذكر سندها ولا ممّن سمعها أو أقرأها، كما لا توجد أدنى إشارة إليها في كتب الشيخ أو تلاميذه أو المؤرخين المعاصرين له. والراّجح كما أثبتته السيّدة عدّاس (A:٢٣٠ - ٢٣٢) أنّ ما رواه الغبريني وَهْمٌ، خصوصا أنّه زعم أنّ الشيخ كان يسمّى بابن سراقة، وأنه توفي حوالي عام ٦٤٠. والثابت المشهور هو أنّه توفي عام ٦٣٨هـ ولم يُلقب أصلا بابن سراقة، وإنّما هو لقبٌ لأحد أصحابه، وهو الفقيه الصوفي محي الدين أبو بكر، مدير دار البهائية بحلب، ثم رئيس دار الحديث بمصر بين عامي ٦٥٦ و٦٦٠هـ وتوفى عام ٦٦٢هـ". والواقع أن هذه الرواية المدحوضة كما تبين قد استقبلها البعض ممن عجزوا عن فهم التصوف بفرح شديد ونشروها في كتبهم كدليل واضح على إدانة التصوف والشيخ الأكبر .. ولدحض هذه الفرية نهائيا نورد الآتي: هناك ثلاثة سماعات في الفتوحات المكية، جرت بعد وفاة الشيخ الأكبر بعام واحد في حلب سنة ٦٣٩هـ، وكانت بقراءة "الإمام محيي الدين بن سراقة" وسيجد القارئ نصوصها مثبتة في نهاية الأسفار ٢٠، ٢١، ٢٢. كما جرى إثبات حضور الشيخ محيي الدين بن سراقة في واقعة هامة أواخر عام ٦٤٧هـ إذ كان أحد الشيوخ الكرام الذين رافقوا الجيش المصري في مواجهته مع الصليبيين في معركة المنصورة، وأثبت هذه الواقعة ابن عطاء الله السكندري في "لطائف المنن ص ٤٧" رواها مباشرة عن "الشيخ العارف مكين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري المدرس، والشيخ محيي الدين بن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي.." ونقل هذه الواقعة عنه عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) في "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (٢/ ١٩٣).. وكرر ابن عطاء الله ذكر الشيخ ابن سراقة ص ٤٩ كأحد المقربين من الإمام العز بن عبد السلام. كما ذكر ابن عطاء الله في "لطائف المنن ص ٥٩" أنّ أبا الحسن البجائي كان واحدا ممن قدم إلى مصر من تونس مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ونعلم أن ذاك كان عام ٦٤٢هـ، أي بعد وفاة الشيخ الأكبر بأربعة أعوام.

على الحبيب المصطفى وبغداد والموصل ودنيسير وميافارقين من ديار بكر وقونية وسيواس وملطية وقيصرية وحرّان وحلب ودمشق وغيرها من البلاد، ويكرّر زياراته لعدد منها، مع تكرار عودته إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والمجاورة فيها في الأعوام ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١١هـ[١].

وبعد ولوجه العقد السابع يحطّ شيخنا رحاله في دمشق، وربما اقتصرت زياراته بعد ذلك على حلب لمقابلة أصحابه هناك، ومن أشهرهم فيها تلميذه النجيب إسماعيل بن سودكين النوري[٢].

شيوخه:

يصعب حصر شيوخه وأساتذته، نظرا لأنه يعتبر كلّ من أفاده شيئا شيخا له، وتزخر مؤلفاته بأسماء العشرات منهم. كما تزخر كتب التراجم المؤلفة عن الشيخ الأكبر بالعشرات من الأسماء الذين ذكر فضلهم عليه.. ولعلّ أشهرهم من قد ذكرناهم سابقا عند حديثنا عن دراسته وتصوّفه..

وكان الشيخ قد أوضح أنّ ذكره لهم بهذا الأسلوب إنما هو من باب ذكر فضلهم.. فيقول في السفر ١٩ (ج١/١٤): إنّ الإمام الأيسر الواقف على يسار القطب واسمه عبد الملك **"أنعم عليّ ببشارة بشّرني بها، وكنت لا أعرفها في حالي، وكانت حالي، فأوقفني عليها، ونهاني عن الانتماء إلى مَن لقيت من الشيوخ، وقال لي: لا تَنْتَمِ إلّا لله؛ فليس لأحد ممن لقيتَه عليك يدٌ مما أنت فيه، بل الله تولّاك بعنايته. فاذكر فضل من لقيت إن شئت، ولا تنتسِبْ إليهم وانتسِبْ إلى ربّك. وكان حال هذا الإمام مثل حالي سَواء. لم يكن لأحدٍ ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلّا لله"**.

لبس الخرقة:

جاء في القرآن الكريم أنّ سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن كشف لإخوته عن نفسه: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ. ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى

---

(١) هذا التحديد يبين ما علمناه فقط، ويصعب تتبع تطواف الشيخ غير المنقطع لما يزيد عن ٢٠ عاما في حواضر المشرق

(٢) توفي أبو الطاهر إسماعيل بن سودكين بحلب بعد عوده من زيارة البيت المقدس بأيام، يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس الثالث والعشرين من صفر سنة ست وأربعين وستمائة، ودفن قبل الظهر بتربة أنشأها بالقرب من مشهد الدعاء خارج باب النصر، وكان عمره يومئذ سبعة وستين سنة. [بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ١٠٠/٢]

يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. ومن ذلك اعتبر الصوفيةُ الخرقةَ؛ يمنحها الشيخ للمريد، يخلع عليه فيها أخلاقا تتناسب والمقام الجديد المهيّأ له.. وكان الشيخ في بداية أمره لا يقول بالخرقة المعروفة الآن، **"فإنّ الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلّق، ولهذا لا يوجد لباسها متّصلا برسول الله ﷺ ولكن توجد صحبة وأدبا، وهو المعبَّر عنه بلباس التّقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمرٍ مّا، وأرادوا أن يكمّلوا له حاله، يتّحد به هذا الشيخ؛ فإذا اتّحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله، فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك، فذلك هو اللباس المعروف عندنا، والمنقول عن المحقّقين من شيوخنا"**[2].

واقتنع الشيخ بلبس الخرقة عندما رأى الخضرَ قد اعتبرها، وألبسها شيوخا.. ومنهم تسلسلت ووصلت إلى الشيخ الأكبر بطريقين:

الأولى من يد تقيّ الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزري، ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصريّة وهو محمد بن حمويه[3]، وكان جدّه قد لبسها من يد الخضر.

والثانية من يد علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب عليّ المتوكّل، وأبي عبد الله قضيب البان، كان يسكن بالمِقلى -خارج الموصل- في بستان له، وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان، وألبسها الشيخَ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيّاها.[4]

وفي رسالة نسب الخرقة يذكر الشيخ أنه لبس الخرقة القادرية من يد الشيخ جمال الدين يونس بن أبي الحسن العطار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة بعد أن صحبه وتأدب به.

---

(١) [يوسف: ٩٢، ٩٣].
(٢) السفر ٣ (ج١/٥٦٨).
(٣) صدر الدين شيخ الشيوخ، ابن حمويه، محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، صدر الدين أبو الحسن شيخ الشيوخ ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبي الفتح الجويني البحيراباذي الصوفي. ولي تدريس الشافعي ومشهد الحسين، وسَيّرَهُ الكامل رسولاً إلى الخليفة، وكانت داره مجمع الفضلاء. توفي سنة سبع عشرة وستمائة.. [الوافي بالوفيات ٤٢/٢]
(٤) انظر السفر ٣ (ج١/٥٦٧).

كما أنه كان قد لبس الخرقة من يد أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي.(١)

ويذكر الشيخ أنه لذلك قد ألبس الخرقة عددا من مريديه وأصحابه ذكورا وإناثا، وهناك عدد ممن ألبسهنّ الخرقة ذكرهنّ في ديوانه.

أصحابه:

وكما صعب علينا حصر شيوخه، يصعب علينا أكثر حصر أصحابه وأتباعه لكثرتهم.. ومع ذلك فهناك ثلاثة أسماء لامعة كانت مقرّبة لديه أكثر من غيرها..

أوّلهم هو عبد الله بدر الحبشي اليمني(٢)، والثاني هو إسماعيل بن سودكين النوري(٣)، أما ثالثهم فهو صدر الدين محمد بن إسحق القونوي(٤). كما أنّ هناك العشرات من الذين شاركوا في سماعات "الفتوحات المكيّة" وحدها، وأسماؤهم مبيّنة في مواقعها في الكتاب.. وهم من كبار القضاة والفقهاء والمؤرّخين.. وعددهم يربو على المائة والثلاثين ممن ينتمون إلى جميع المذاهب الإسلامية وفق التعريفات الواردة أمام أسمائهم..

وذكر الشيخ في كتاب "المبشّرات" أنه في عام ٦٢٩هـ رأى رؤيا تبشّره بأنه سيكون له ألف ولد روحي(٥).

---

(١) انظر رسالة نسب الخرقة (ضمن كتاب الطريق إلى الله تعالى، من كلام الشيخ الأكبر) جمع وتأليف محمود محمود الغراب ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) عبد الله بدر الحبشي اليمني: (ت ٦١٨هـ) ذكره الشيخ في الفتوحات المكية مشيرا إلى أنه واحد ممن قيد لهم "الفتوحات المكية" واصفا إيّاه بأنه حبيبه الوليّ، وأخيه الزكي، وولده الرضيّ، وأنه جمع بينه وإسماعيل بن سودكين وبين الختم، وذكر له كرامة حصلت عند موته (انظر (ج١/١٠٣)، و (ج٤/٤٠٧)، (ج١/٦٥٧)، (ج٨/٣٤٦)) .

(٣) إسماعيل بن سودكين بن عبد الله، أبو الطاهر، النوري قال في " الجواهر ": مولده بالقاهرة سنة ثمان، أو تسع وأربعين وخمسمائة. وقال الذهبي: سنة تسع وسبعين وخمسمائة. صحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن العربي مدة، وكتب عنه كثيرًا من تصانيفه. وسمع بمصر من أبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وأبي عبد الله محمد بن حامد الأرتاحي، وبحلب من الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن [الفضل] الهاشمي. وحدث، وروى عنه ابن القواس. وكان فقيهًا، فاضلًا، محدثًا، شاعرًا، له نظم حسن، وكلام في التصوف. مات بحلب، سنة ست وأربعين وستمائة. [الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/١٧٧]

(٤) (القونوي) (٦٠٥-٦٧٣ هـ =١٢٠٩-١٢٧٥ م) محمد بن إسحق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين: صوفي، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين ابن العربي. تزوج ابن العربي أمه، ورباه. وكان شافعي المذهب. وبينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في بعض المسائل الحكمية. من كتبه (النصوص في تحقيق الطور المخصوص - خ) تصوف، و (اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية لابن عربي - خ) و (إعجاز البيان - ط) في تفسير الفاتحة، على لسان القوم، و (مفتاح الغيب - خ) و (شرح الأحاديث الأربعينية - ط) و (شرح الأسماء الحسنى - خ) و (الرسالة الهادية - خ) و (النفحات الإلهية القدسية - خ) و (الرسالة المفصحة - خ) و (الرسالة المرشدية في أحكام الصفات الإلهية - خ) و (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام - خ) و (نفثة المصدور - خ) و (تفسير البسملة - خ) و (برزخ البرازخ - خ). مولده ووفاته بقونية (١). [الأعلام للزركلي ٦/٣٠]

(٥) شمس المغرب ص ٣٧٦ نقلا عن "البحث عن الكبريت الأحمر ص ٣٠٩" لكلوديا عداس

علاقته بعلماء عصره:

اتّسمت علاقته بعلماء عصره بالثقة الكبيرة بين الطرفين والاحترام المتبادل والإفادة والاستفادة دونما حرج.. فنراه يصف علاقته بأحد أهمّ رجال عصره في إشبيلية وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي، بقوله: **"وما راضني أحد من مشايخي سِوَاه؛ فانتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيده؛ فكان لي تلميذا وأستاذا، وكنت له مثل ذلك. وكان الناس يتعجّبون من ذلك!"** [1].

وهناك أيضا يظهر مدى الاحترام الذي كان يحظى به من قبل أساتذة القراءات فيها من خلال القصة الظريفة التالية التي يرويها في السفر ٣٧ (ج١٢/٦٨٤):

"بتنا ليلةً عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل[2] بإشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيرا ما يحتشمني، ويلتزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر بن سام، وأبو الحكم بن السراج، وكلّهم قد منعهم احترام جانبي الانبساط، ولزموا الأدب والسكون. فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا؛ فوجدت طريقا إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتابٍ سمّيناه: "الإرشاد في خرق الأدب المعتاد" فإن شئت عرضتُ عليك فصلا من فصوله؟ فقال لي: أشتهي ذلك. فمددتُ رجلي في حجره، وقلت له كبّسني. ففهِم عنّي ما قصدت، وفهِمت الجماعة؛ فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينيّة".

ومرة أخرى يشرح علاقته بشيوخ عصره في فاس، ويقول: **"وكذلك اجتمعتُ بقطب الزمان، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس. أطلعني الله عليه في واقعة، وعرّفني به.**

فاجتمعنا يوما ببستان ابن حيّون بمدينة فاس، وهو في الجماعة لا يؤبَهُ له. فحضر في الجماعة

---

(١) السفر ٩ (ج٣/٤٥١)

(٢) أبو الحسن محمد أخذ القراءات عن أبيه "عياش بن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل بن عظيمة أبو عمرو العبدري الأشبيلي، أستاذ مجود ثقة أخذ القراءات عن أبيه وعن أبي الحسن شريح" [إكمال الكمال ٦٩/٦]

-وكان غريبا من أهل بجاية؛ أَشَلَّ اليد- وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله، معتبَرون في طريق الله، منهم أبو العباس الحصّار[١]، وأمثاله. وكانت تلك الجماعة بأسرها، إذا حضروا يتأدّبون معنا؛ فلا يكون المجلس إلّا لنا، ولا يتكلّم أحد في علم الطريق فيهم غيري، وإن تكلّموا فيما بينهم رجعوا فيها إليّ"[٢].

وحين قدم إلى مكة المكرمة كانت صلته وثيقة ومتينة مع إمام الحرم المكي الشريف، مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني وأخذ عنه الحديث، وذكره في مواضع عدة في مؤلفاته مشيرا إليه بأنه شيخه[٣]. وتوطدت علاقته كذلك مع مفتي الحجاز الشيخ محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني[٤]، وأشار إلى ذلك في الفتوحات المكية، كما روى الحديث فيها عن يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي القصار[٥].

وفي العراق كانت له علاقة متينة مع علمائها ومنهم العلامة الحنفي أحمد بن مسعود بن شدّاد

---

(١) ذكر الشيخ في الباب ٣٠٩ أن الشيخ الحصّار كان من الذين تحققوا بمقام الملاميّة الذي لا يكون إلّا لأكابر الأولياء، وذكره في السفر ١٧ أنّه رآه في واحد من معارجه الروحية، ومما قاله: ".. ورأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة "لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم"، فإذا الكنز آدم -صلوات الله عليه- ورأيت تحته كنوزا كثيرة أعرفها، ورأيت طيورا حسنة تطير في زواياه. فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور، فسلّم عليَّ. فأُلقي لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد الشرق، وكنت بمدينة مراكش حين كُشف لي عن هذا كلّه. فقلت: ومن هو؟ قيل لي: محمد الحصار، بمدينة فاس، سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق، فخذه معك. فقلت: السمع والطاعة. فقلت له، وهو عين ذلك الطائر: تكون صحبتي، إن شاء الله. فلمّا جئت إلى مدينة فاس، سألت عنه، فجاءني. فقلت له: هل سألتَ الله في حاجة؟ فقال: نعم؛ سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق؛ فقيل لي: إنّ فلانا يحملك، وأنا أنتظرك من ذلك الزمان. فأخذته صحبتي، سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وأوصلته إلى الديار المصريّة، ومات بها -رحمه الله-".

(٢) السفر ٣٠ (ج١٠/٣٦٧)

(٣) زاهر بن رستم ابن أبي الرجاء الأصبهاني. ثم البغدادي الشافعي ثقة صالح، ولد ببغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة ويكنى أبا شجاع. كان صوفيًا وقرأ بالروايات على عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وعلى المبارك بن الحسن بن الشهرزوري وسمع من أحمد بن علي بن عبيد الواحد الدلال ومحمد بن عمر بن يوسف الأرموي وعلي بن عبد السيد بن الصباغ وغيرهم. قال محب الدين ابن النجار: كتبت عنه وكان ثقة حسن الطريقة متديناً فاضلًا أديبًا جيد التلاوة فقيه النفس دمثًا مليح المجالسة حفظة للحكايات والأشعار. وكان يورق بالأجرة. وكتب الكتب الكبار المطولات وغيرها ويكتب خطا حسنًا وحج وتولى الإمامة بالمسجد الحرام في مقام إبراهيم. وتوفي سنة تسع وستمائة. [الوافي بالوفيات ٤٦٩/٤، الصفدي، وغاية النهاية في طبقات القراء ١٢٦/١، لابن الجزري]

(٤) محمد بن إسماعيل بن علي، الفقيه أبو عبد الله اليمني، المعروف بابن أبي الصيف. سمع في مكة من أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسفي وأبي محمد المبارك بن الطباخ وعبد الله بن عبد المنعم الفراوي وطبقتهم. قال الذهبي: كان عارفًا بالمذهب، حصل كثيرًا من الكتب وجمع أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين مدينة، سمع من الكل في مكة، وكان على طريقة حسنة وسيرة جميلة وخير، قال: وتوفي في مكة في ذي الحجة سنة تسع وستمائة، ثم أعاده في سنة تسع عشرة وقال: كان مشهورًا بالدين والعلم والحديث، حدث ونفع وأفاد، والصواب هو الثاني فقد نقله الإسنوي في طبقاته عن التفليسي في طبقاته. قال الإسنوي: وأقام بمكة مدة طويلة يدرس ويفتي. وله نكت على التنبيه مشتملة على فوائد. [طبقات الشافعية ٧٢/١]

(٥) يونس بن يحيى بن أبي البركات بن أحمد: أبو الحسن، وأبو محمد الهاشمي، الأزجي، القصار، المجاور بمكة. ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. وسمع من: أبي الفضل الأرموي، وابن ناصر، وابن الطلاية، وأبي الكرم الشهرزوري، وأبي الوقت، وسعيد بن البناء، وجماعة كثيرة. وسافر إلى الشام، ومصر، وجاور مدة. وحدث بأماكن؛ روى عنه: ابن خليل، والزكي البرزالي، والزكي المنذري، والضياء المقدسي، ويعقوب بن أبي بكر الطبري، والتاج علي ابن القسطلاني. وروى صحيح البخاري بمكة وتوفي بها في صفر وقيل: في شعبان وروى ابن مسدي: في ثامن صفر. وقال: كان ذا عناية بالرواية. [تاريخ الإسلام للذهبي ٣٨١/٩]

المقري الموصلي[١] ومع العلامة والمؤرخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي، وهو الذي كتب "مناقب ابن العربي"[٢]

وفي الشام يذكر قصة ظريفة تشير إلى علاقته الطيّبة بأشهر علمائها، وهو العزّ بن عبد السلام[٣]، وبالقاضي شمس الدين الشيرازي الشافعي. يقول الشيخ في ديوانه ص ٢٥٦:

"رأيت في الواقعة عزّ الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة كالمدرسة يعلّم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه. فرأيت إنسانا قد أتى إليه يسأله عن كرم الله تعالى، فكان ينشده بيتا في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: إنّ لي في هذا المعنى بيتا من قصيدة. فكلما جهدت أن أتذكرهُ لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول له: إنّ الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله. فقال لي: قل، وهو يبتسم، فينطّقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمعي قبل ذلك، وهي:

---

(١) أحمد بن مسعود بن شداد بن خليفة: أبو العباس الصفار الموصلي، الملقب بالذكي، شيخ حسن دمث الأخلاق، سمع بالموصل أبا جعفر أحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاص، وأبا بكر يحيى ابن سعدون بن تمام القرطبي المقرئ، وقدم حلب مرارًا عدة، وسكنها بالآخرة إلى أن توفي بها، وسمعت منه في هذه النوبة جزءًا من أمالي أبي سهل القطان وغيره وسألته عن مولده، فقال لي: في سلخ جمادى الأولى ليلة الأربعاء من سنة خمس وأربعين وخمسمائة.. ومات شيخنا أبو العباس أحمد بن مسعود بن شداد الصفار بحلب في سنة ثلاث عشرة وستمائة رحمه الله. [بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٨٣/١-٣٨٤]

(٢) ابن النجار الحافظ الكبير محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي صاحب تاريخ بغداد (٥٧٨ - ٦٤٣هـ) سمع من ذاكر بن كامل وابن بوش وابن كليب ورحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر وكتب ما لا يوصف وكان ثقة متقنا واسع الحفظ تام المعرفة بالفن قاله في العبر وقال ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية كان شافعي المذهب وأول سماعه وهو ابن عشر سنين وطلب بنفسه وهو ابن خمس عشرة وسمع الكثير وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينة ورحل رحلة عظيمة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان وحران ومرو وهراة ونيسابور واستمر في الرحلة سبعا وعشرين سنة وكتب عمن دب ودرج وعمن نزل وعرج وعنى بهذا الشأن عناية بالغة وكتب الكثير وحصل وجمع قال الذهبي كان إماما ثقة حجة مقرئا مجودا كيسا متواضعا ظريفا صالحا خيرا متنسكا أثنى عليه ابن نقطة والدبيثي والضياء المقدسي وهم من صغار شيوخه من حيث السند وقال ابن الساعي كان ثقة من محاسن الدنيا ووقف كتبه بالنظامية مات ببغداد في خامس شعبان ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب ومن تصانيفه كتاب القمر المنير في المسند الكبير وذكر كل صحابي وماله من الحديث وكتاب كنز الأنام في السنن والأحكام وكتاب جنة الناظرين في معرفة التابعين وكتاب الكمال في معرفة الرجال وذيل على تاريخ بغداد للخطيب في ستة عشر مجلدا وكتاب المستدرك على تاريخ الخطيب في عشر مجلدات وكتاب في المتفق والمفترق على منهاج كتاب الخطيب وكتاب في المؤتلف والمختلف ذيل به على ابن ماكولا وكتاب المعجم له اشتمل على نحو من ثلاثة آلاف شيخ وكتاب العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق وكتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة وكتاب نزهة الورى في أخبار أم القرى وكتاب روضة الأولياء في مسجد إيلياء وكتاب مناقب الشافعي وكتاب غرر الفرائد في ست مجلدات وغير ذلك [شذرات الذهب، ابن العماد، ٢٢٦/٥]

(٣) سلطان العلماء عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وتوفي بمصر في جمادى الأولى سنة ستين وستمائة. صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتقنة كالقواعد ومجاز القرآن والفتاوى المصرية والموصلية. ولي تدريس الغزالية في دمشق، ثم تولى في ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ خطابة جامع دمشق، وفي العام التالي تم عزله من الخطابة وحبسه بالقلعة بعد أن أنكر على الملك الصالح إسماعيل تسليم قلعة الشقيف إلى الفرنج. وبعد الإفراج عنه انتقل إلى مصر عام ٦٣٩هـ، وأقبل عليه السلطان إقبالًا عظيمًا، وولاه الخطابة والقضاء، فعزل نفسه من القضاء مرتين وانقطع. [انظر ديوان الإسلام ٦٣/١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٧١/١٠، الدارس في تاريخ المدارس ١٧٦/١]

الله أكرمُ أن يحــظى بنــعمته الطائعون ويشقى المجرم العاصي

وإن شقي فــكالام يصيبُ بها ألمؤمنين فمن دانٍ ومــن قاصي

وكلّهم عـــالم بالله مستنِــــد إليه: مفـلـسهم ورَبُّ أوقاص

فكان يبتسم. فبينما نحن كذلك إذ مرّ القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله تعالى عنه(١). فلما أبصرني، نزل عن بغلته وجاء فقعد إلى جانب العِزّ بن عبد السلام، ثم أقبل عليّ وقال لي: أريد أن تقبّلني في فمي. فضمّني وقبّلته في فمه. فقال العِزُّ بن عبد السلام: ما هذا؟! فقلت له: إنّا في رؤيا، والتقبيل قبول يطلبه منّي؛ فإنّه شخص قد حسّن الظنّ بي، وقد خطر له قِصر أمله وقبيح عمله واقتراب أجله.

ثمّ قمت فعضدته حتى ركب وانصرف. ثم قال لي العزّ بالإيماء والتلويح لا بالتصريح: كيف حالك مع أهلك؟ فكنت أنشده بيتين ما طرقا سمعي قبل ذلك، بل كان الله ينطّقني في ذلك الوقت بهما وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئا تبسّـمتْ ودَنَتْ مِنّي تمازحني

وإن رأته خليّا من دراهـــــمه تكرّهتْ وانثنت عنّي تقابحني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقتَ. وههنا انتهت المبشّرة والله الواقي".

وعندما قرّر الشيخ الأكبر الاستقرار في دمشق عام ٦٢٠هـ، استضافه طيلة حياته فيها قضاتها الشافعيّون بنو زكي، ووفّروا له دارا بقي فيه حتى انتقاله إلى رحاب ربّه بعد ١٨ عاما، فغسلوه وكفّنوه، وهيّئوا مرقده في تربتهم(٢).

---

(١) أبو نصر بن الشيرازي: القاضي شمس الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندار بن مميل ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة وأجاز له أبو الوقت وطائفة وسمع من أبي يعلى بن الحبوبي وطائفة كثيرة وله مشيخة في جزء درس وأفتى وناظر وصار من كبار أهل دمشق في العلم والرواية والرئاسة والجلالة ودرس مدة بالشامية الكبرى وتوفي في ثامن جمادى الآخرة سنة ٦٣٥هـ [الدارس في تاريخ المدارس ١/١١٤]

(٢) من اللافت للنظر تلك اليقظة المتأخرة لمناوئي التصوف والشيخ الأكبر بعد قرابة القرن من وفاته بهدف تشويه صورته بعد أن لاحظ هؤلاء كبر حجم تأثيره في المشرق العربي الذي يغلب فيه المذهب الشافعي، وأئمته هم الأغلب الذين استضافوا الشيخ الأكبر سواء في مكة المكرمة أو العراق أو الشام، ورأى هؤلاء المناوئون أنّ مواقفهم العدائية لم تلق آذانا صاغية، فما كان منهم إلا الإيعاز لأحد المؤرخين من أتباع المذهب الشافعي (ولن نذكر اسم المؤرخ هنا ولا اسم شيخ الإسلام الذي أوعز إليه، تأسّيا بالشيخ الأكبر حين يتحدث عن مخالفيه) بأنّه علم أنّ سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام -والذي كان قد انتقل هو أيضا إلى رحاب ربّه- كان له موقف معاد للشيخ الأكبر.. الخ،

كراماته:

خصّص الشيخ الأكبر الباب الرابع والثمانين ومائة والباب الذي يليه للحديث عن الكرامات، وفيه يفرّق بين الكرامات الحسّيّة التي تفهمها العامة وهي التي يمكن أن يدخلها المكر الخفيّ والاستدراج، وبين الكرامات المعنويّة التي لا يعرفها إلا الخواص ولا يدخلها مكر ولا استدراج، وهي "**أن تُحْفَظَ عليه آدابُ الشريعة، وأن يوفَّق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغلّ والحقد، من صدره للناس، والحسد، وسوء الظنّ، وطهارة القلب من كلّ صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء، وتفقُّد آثار ربّه في قلبه، ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها؛ فيتلقّاها بالأدب إذا وردتْ عليه، ويُخرِجها وعليها خلعة الحضور**"[(١)].

ولذلك فهو لا يرفض فكرة وجود الكرامات وظهورها على أحد فالأمر بيد الله يعطيه من يشاء، إلا أنّ له موقفا معارضا لمن تتعلق همّته بالكرامات..

وأشار في ثنايا الكتاب إلى عدد من هذه الكرامات التي ظهرت له وحدثت معه.. ولم يذكر أيّ من هذه الكرامات من باب الفخر أو العجب بنفسه، بل كان يأتي بها في حال دلالتها لصدق الحديث الذي يناقشه.. ويعتبر ذلك مصداقا للنبيّ محمد ﷺ. ومما ذكره:

١- "**ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار؛ الكشـــف: فقد سمعنا الأحجارَ تذكر الله رؤية عين، بلســان نُطق تســمعه آذاننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله، مما ليس يدركه**

وعندما نقله هذا المؤرخ منسوبا إلى من ذكره له لم يلق ذلك الأثر المتوخى بين أوساط أتباع المذهب، وإن كان قد لقي ترحيبا ونشرا واسعا من قبل المناوئين الآخرين. ونسى أولئك أن العز بن عبد السلام –وهو الذي عاش في دمشق أثناء مكث الشيخ الأكبر فيها حتى انتقاله إلى جوار ربه- لم يكن يخشى مواجهة أحد إن رأى خروجه عن قواعد الدين، وهو الذي هاجم سلطان دمشق من على منبر الجامع الأموي أوائل عام ٦٣٨هـ، وتعرض للسجن بسبب ذلك، وعندما توجه إلى مصر لم يتوانى عن مهاجمة حكامها المماليك.. كما أنه قد ألف كتبا لم يتطرق فيها إلى مثل هذا الذي قوّلوه افتراء وكذبا. ومما يلفت النظر كذلك أن المؤرخ الشافعي نفسه يبدو أنه لم يكن مقتنعا تماما بما نقله إليه شيخه، إذ وجدناه يختم ترجمته عن الشيخ الأكبر في تاريخه بقوله: "ولابن العربي توسع في الكلام، وذكاءٌ، وقوةٌ حافظةٌ، وتدقيقٌ في التصوف، وتواليف جمةٌ في العرفان. ولولا شطحاتٌ في كلامه وشعره لكان كلمة إجماع، ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته، فنرجو له الخير".

(١) السفر ١٦ (ج٦/٨٧)

كلّ إنسان.. "[1]

٢- "وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيحَ حجر، ونُطْقَه بذِكْر الله"[2].

٣- "فاحذر -يا أخي- يوما تشهد فيه عليك الجلود والجوارح، وأنصف من نفسك، وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله. ولقد رأينا ذلك عيانًا في الدنيا في زمان الأحوال التي كنّا فيها، أعني نُطق الجوارح"[3].

٤- "ولقد رأيت ذلك ذوقا من نفسي. جَرَيْنا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوما في موجٍ كالجبال؛ فكيف لو كان البحر فارغا، والريح من وراء؟! كنّا نقطع أكثر من ذلك"[4].

٥- " فكما لا تشبه الجنّة الدنيا في أحوالها كلّها، وإن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصيّة؛ فإنّ الروحانيّة على نشأة الآخرة أغلب من الحسّيّة. وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا، مع كثافة هذه النشأة. فيكون الإنسان بعينه، في أماكن كثيرة، وأمّا عامّة الناس فيدركون ذلك في المنام"[5].

٦- "وأمّا أنوار الرياح؛ فهي أنوار عنصريّة أخفاها شدّةُ ظهورها؛ فغشيت الأبصارُ عن إدراكها. وما شاهدتُها إلّا في الحضرة البرزخيّة، وإن كان الله قد أتحفنا برؤيتها حِسًّا بمدينة قرطبة، يوما واحدا، اختصاصا إلهيّا، وورثا نبويّا محمديّا"[6].

٧- "...فينتج هذا الذِّكْر لصاحبه مشاهدةَ الحقِّ عند قوله، وقبوله لَهُ. ومَن شاهد الحفظةَ فمِن هذا المقام شَهِدَهم. ولمّا أشهدَنيهم الحقُّ -تعالى- تعذَّبْتُ بشهودهم، ولم أتعذّب بشهود الحقِّ. فلم أَزَل أسألُ اللهَ في أن يحجبهم عنّي؛ فلا أُبصرهم ولا أُكلّمهم. ففعل الله معي

(١) السفر ٢ (ج١/٤٦٠)
(٢) السفر ٥ (ج٢/٣٨٩)
(٣) السفر ٣٦ (ج١٢/٤٩٣)
(٤) السفر ٢٥ (ج٩/١٠٦)
(٥) السفر ٥ (ج٢/٢٢٨)
(٦) السفر ١٧ (ج٦/٤١٣)

ذلك، وسترهم عن عيني"[١].

٨- "ولقد أَذَّنْتُ يوما، فكلّما ذكرتُ كلمة من الأذان كشفَ الله عن بصري، فرأيت ما لها مدّ البصر من الخير. فعاينتُ خيرا عظيما لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكلّ كلمة، وقيل لي: هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان"[٢].

٩- "...وأودعتها (يعني الكعبة) شهادةَ التوحيد عند تقبيل الحجَر. فخرجت الشهادة عند تلفّظي بها -وأنا انظر إليها بعينيّ- في صورة سلك؛ وانفتح في الحجَر الأسود مِثل الطاق، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر فرأيته نحو ذراع"[٣].

١٠- "وأمّا النظرة فما رَوَيْتها عن أحد، ولا سمعتها عن أحد، لكنّي رأيتها من نفسي. نُظِرْتُ نظرةً فعلمتُ ما تضمّنته من العلوم، وأُعطيتُ نظرةً فنظرتُ بها، فَعَلِمَ بها مَن نظرت إليه، جميع ما تضمَّنَتْهُ تلك النظرة من العلوم. وهذا هو علم الأذواق"[٤].

١١- "كانت لي بنت ترضع، وكان عمرها دون السنتين وفوق السنة، لا تتكلّم. فأخذت ألاعبها يوما. فقلت لها: يا زينب؛ فأصغت إليّ. فقلت لها: إنّي أريد أن أسألك عن مسألة مستفتيا: ما قولك في رجل جامع امرأته ولم ينزل، ماذا يجب عليه؟ قالت لي: "يجب عليه الغسل" بكلام فصيح. وأمّها وجدتها تسمعان. فصرخت جدّتها، وغشي عليها"[٥].

مؤلفاته:

أسهب الشيخ الأكبر في التأليف كما لم يفعل غيره.. ولم تمنعه تنقلاته الدائمة من الكتابة في مختلف أبواب المعرفة. وتعدّدت اهتماماته وتشعّبت اتجاهاتها بين التفسير (٣) مؤلفات أحدها في ٦٤ مجلدا) والحديث (١٢ مؤلفا) والسيرة والفقه والتصوف والتراجم والوعظ والوصايا والأدب... الخ. وقد اختلف الباحثون اختلافا بيّنا في تحديد مؤلفاته. كان الشيخ الأكبر قد ذكر في إجازته

---

(١) السفر ٣١ (ج١٦١/١١)
(٢) السفر ٣٦ (ج٤٩٤/١٢)
(٣) السفر ١٠ (ج١٠٢/٤)
(٤) السفر ١٩ (ج١١١/٧)
(٥) السفر ٢٠ (ج٣٨٤/٧)

للملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل في شهر محرم ٦٣٢هـ ما تيسّر وذكر منها ٢٨٤ مؤلفا بين رسالة وكتاب. وذكر الدكتور عثمان يحيى أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر بلغت ٨٤٦ مؤلفا، فُقِد عدد منها والباقي ٥٥٠ مصنفا[١]. أمّا الدكتور محمد حاج يوسف فقد ذكر أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر ٣٦٤ مؤلفا[٢].

كما أنّه كان شاعرا مكثرا.. وعدد قصائده التي عثرنا عليها حتى الآن وتضمّنها ديوانه يضعه في المركز الأوّل بين شعراء العربية حتى عصرنا هذا، من حيث عدد النصوص وعدد الأبيات. فقد بلغت نصوصه الشعرية في ديوانه ٤٠٠٠ نصّا ومجموع أبياتها ٣٠٧٤٣ بيتا، وهناك نصوص أخرى ما زالت مجهولة لدينا لمعرفتنا بتضمينه كتبه ورسائله نصوصا شعرية، ونحن لم نطّلع حتى الآن إلّا على النزر اليسير من مؤلفاته، بل أنّ شيخنا ابن العربي قد ذكر ذلك صراحة في مقدمته لديوانه حين بدأ بتجميع وتقييد نصوصه الشعرية لهذا الديوان في سني عمره الأخيرة بقوله: "فلأجل هذا المشهد الأسنى؛ قيّدتُ ما تيسّر على ذكري في هذا الديوان، والذي فاتني أكثر"[٣].

وفي هذا المجال يتفوّق الشيخ الأكبر على أقرانه الآخرين كونه نظم في كلّ بحور الشعر إضافة إلى الموشحات، كما أنّه نظم في كل قوافي الشعر العربي بدون استثناء.

علاقته بالحكام:

لم يكن الشيخ الأكبر غريبا عن دواوين الحكم منذ طفولته. فلقد كان والده مقرّبا لدى حاكم شرق الأندلس قبل وبعد ولادة الشيخ، واستمرّت هذه العلاقة بعد انضمام شرق الأندلس إلى دولة الموحِّدين وانتقال الأسرة إلى إشبيلية وعمر الشيخ حينئذ كان ٨ سنوات؛ إذ بقيت العلاقة متينة بين أسرة الشيخ وسلاطين الموحِّدين المتعاقبين لدرجة أنّ السلطان أبا يوسف كان قد تحدّث عن خطبة شقيقة الشيخ الكبرى للأمير أبي العلاء بن عزون، وبعد وفاة الأمير ووفاة والد الشيخ الأكبر عام ٥٩٠هـ عرض عليه العمل في ديوانه، وبيَّن له اهتمامه بتزويج أختيه، لولا

(١) انظر "مؤلفات ابن عربي" ص ٧٩
(٢) انظر "شمس المغرب" ص ٤٣٩- ٤٥٠
(٣) انظر مقدمة الشيخ الأكبر للديوان ص ٦٩.

أنّ الشيخ رفض ذلك وفضّل الابتعاد عن هذا الموقع، بل إنه رفض معونة السلطان ذات مرة معتبرا إيّاها مالا حراما لا يحلّ له، ولم تكن ردّة فعل السلطان سوى أنّ له أن يعمل وفق قناعته. ولذلك تميّزت علاقة الشيخ الأكبر بالحكام بالاحترام البالغ من قبل الحكام إليه، وبالنصح والتوجيه من قبل الشيخ لهم.

وفي المغرب العربي يتحدّث الشـــيخ عن علاقة طيّبة ربطته بوالي وَجْدَة أبي عبد الله الطنجي ويترضّى عنه ويصـــفه بأنّه من الأولياء[1]. ويذكر أنّ الأمير أبو يحيى بن واجتّن كان صديقه[2].

وفي المشرق كانت بين الشيخ والملك العادل أبي بكر بن أيّوب، صلة وطيدة، أشار إليها في السفر ٣٢ (ج١١/٢٨٠). ومع الملِك الظاهر غازي بن الملِك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب حلب (ت٦١٣هـ)[3]. وتطورت هذه العلاقة أكثر وبرزت مع اثنين من الحكام اللذين كانا يعتبران نفسيهما مريدين وتلميذين له؛ أولهم كيكاوس الذي تولّى الحكم عام ٦٠٧هـ في بلاد الروم المعروفة الآن ببلاد الأناضول وتوفّي عام ٦١٥هـ، والثاني صاحب ميافارقين الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل (ت ٦٤٥هـ) الذي أجازه الشيخ عام ٦٣٢هـ في رواية كتبه عنه.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء، امتدّت ٧٨ عاما، توزّعت مناصفة بين المغرب العربي ومشرقه، انتقل ﵁ إلى رحاب ربه ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة[4]. **"وكان لجنازته يوم مشهود ووقت مسعود، وشيّعه صاحبُ دمشق راجلا مع جمهور الأمراء والوزراء والعلماء والفقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيّعه. وغلّقت أهلُ الأسواق دكاكينهم ثلاثة أيام تعزية له. ودفن بجبّانة محيي الدين بن الزكي بصالحيّة دمشق، وبني عليه بناء عظيم ومزار**

(١) انظر السفر ١١ (ج٤/٣٠٩)
(٢) انظر السفر ١٤ (ج٥/٤٤٠)
(٣) انظر السفر ٢١ (ج٧/٥٢٨)
(٤) هناك شبه إجماع في كتب التراجم على هذا التاريخ، ومصدرها الرئيسي هو ابن النجار الذي ذكر أنه كان في بيت المقدس وجاءته رسالة من أحد خواص أصحاب الشيخ وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي وفيها ذكر الجمعة ٢٢ ربيع الآخر، وهو يقابل تماما وفق الحساب الفلكي لدمشق ١٢٤٠/١١/٩م.

كريم"[1].

وحين دخل السلطان التركي سليم الأوّل دمشق بعد استيلاء جيوشه على الشام ومصر، كان من أوّل أوامره بناء مقام واسع على ضَريح الشيخ في ساحة مسجد أسّسه بجواره، وصلّيت فيه أوّل جمعة بحضور السلطان عام ٩٢٤هـ (٥ فبراير ١٥١٨)[2].

المعترضون:

ذكر الشيخ في السفر ١٠ (ج٤/١٥٧) أنّه كان يكتب عن مقام إبراهيم الخليل عليه السلام؛ يقول: "**فأخذتني سِنَةٌ. فإذا قائل من الأرواح؛ أرواح الملأ الأعلى، يقول لي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنّه كان أوّاها حليما. ثمّ تلا عليّ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ فعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحِلم، إذ لا حليم عن غير قدرة على مَن يحلم عنه. وعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يبتليَني بكلام في عِرْضِي من أشخاص، فأعاملهم، مع القدرة عليهم، بالحِلم عنهم، ويكون أذى كثير**".

وخلال حياته بلغت شهرته الآفاق وصار قبلة العلماء ومرجعهم.. وبعد انتقاله زاد وهجه ولم يتوقف، وحرص العلماء في أرض العرب وخراسان والهند والسند والأناضول على اقتناء كتبه ودراستها وشرحها.. كل هذا أثار عليه حنق بعض الفقهاء هنا أو هناك فارتفعت أصواتهم قليلا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، مما دفع العشرات من أساطين العلم المشهورين للردّ على هؤلاء المناوئين وفنّدوا اعتراضاتهم[3].. ومع بداية القرن العاشر حسم الأمرَ الإمام جلال الدين السيوطي[4] بمؤلفه "تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي"؛ فألجم المنكرين، وخفتت أصواتهم منذئذ

(١) الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين ص ٢٨، (وهي رسالة كتبها الشيخ الإمام الحجة أبو الحسن علي بن إبراهيم القارئ البغدادي وأرسلها إلى صنوه قاضي القضاة أيام الدولة الرسولية في اليمن أحمد بن أبي بكر الرداد ٨١٧-٨٢١هـ)

(٢) أنظر "ختم القرآن" ص ٣٧٧

(٣) اللافت للنظر هنا أنّ أبرز الفقهاء المناوئين الذين أطلقوا أقلامهم وألسنتهم ضد الشيخ الأكبر في القرن الثامن الهجري هم ممن كانت قد طالتهم تهمة التكفير والمروق بسبب عقائدهم وقضوا أخصب أعوامهم في السجون جراء ذلك!! كما أنّ بعض البارزين من هؤلاء في القرن التاسع بعد أن طالتهم هم تهمة التكفير، لم يتوانوا عن تكفير الشيخ الأكبر إضافة إلى تكفير زملائهم الذين كفّروا الشيخ الأكبر في القرن الثامن!!.

(٤) (الجلال السيوطي) (٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا

لأكثر من خمسة قرون ونصف لم يتوقف خلالها أنصار الشيخ ومحبّوه من التأليف عنه والتحليل والشرح لكتبه.

مسك الختام:

سنورد هنا موقفا حدث في بداية القرن التاسع في اليمن أثناء ظهور هذه الاعتراضات. فقد بعث السلطان الرسولي الملك الناصر بسؤال إلى قاضي القضاة الشيخ الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز أبادي (٧٢٩-٨١٧هـ)، وهو من أئمة اللغة والأدب والتفسير والحديث والفقه والسير، تزيد مؤلفاته عن ٥٠ مؤلفا، صاحب القاموس المحيط، والسؤال هو: **"ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في الكتب المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي كالفتوحات والفصوص؛ هل تحلّ قراءتها وإقراؤها ومطالعتها؟ فأجابه**[1]:

"اللهم أنطقنا بما فيه رضاك. الذي أعتقده في حال المسئول عنه، وأدين الله تعالى به، إنه كان شيخ الطريقة حالا وعلما، وإمام التحقيق حقيقة ورسما، ومحيي رسوم المعارف فعلًا واسما، إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ من مجده غرقتْ فيه خواطره، عبابٌ لا تكدِّره الدِّلاء، وسحابٌ تتقاصر عنه الأنواء، كانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتُفرّق بركاته فتملأ الآفاق، وإنّي أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظنّي أنّي ما أنصفته.

وما عليّ إذا ما قلت معتقدي ... دع الجهول يظنُّ العدل عدوانا

واللهِ واللهِ واللهِ العظيم ومَن ... أقامه حجة لله برهانا

إنّ الذي قلتُ بعضٌ من مناقبه ... ما زِدتُ، إلّا لعلّي زدتُ نقصانا

وأما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر، التي بجواهرها لكثرتها لا يعلم لها أوّل ولا آخر، ما وضع الواضعون بمثلها، وإنما خصّ الله بمعرفة قدرِها أهلَها. ومن خواص كتبه؛ أنّه من واظب على مطالعتها، والنظر فيها، وتأمّل في مبانيها؛ انشرح صدره لحلّ المشكلات، وفكّ المعضلات، وهذا

يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. [الأعلام للزركلي ٣٠١/٣]

(١) انظر كتاب "الإغتباط بمعالجة ابن الخياط" للقاضي الفيروز أبادي ص ٣٨٨، وورد هذا الكتاب ضمن مجلد باسم النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر يحتوي على ٧ كتب حققها أحمد فريد المزيدي، أحد علماء الأزهر الشريف

الشأن لا يكون إلا لأنفاس مَن خصّه الله بالعلوم اللدنيّة الربّانيّة.

ووقفتُ على إجازة كتبها للملك المعظّم، فقال في آخرها: وأجزتُ له أيضا أن يروي عنّي مصنّفاتي، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيفا وأربعمائة مصنّف، ومنها "التفسير الكبير" الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ ستّين سفرا، فاستأثره الله تعالى، وتوفّي ولم يكمل.

وهذا التفسير كتاب عظيم، كلّ سفر منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنّه صاحب الولاية العظمى والصدّيقية الكبرى، فيما نعتقده وندين الله به.

وثَمّ طائفة في الغيّ يعظّمون عليه النكير، وربما بلغ بهم الجهل إلى حدّ التكفير، وما ذلك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله ومعانيها، ولم تنل أيديهم -لِقصرها- إلى اقتطاف مجانيها.

عَلَيَّ نحتُ القوافي مِن مَقاطِعِها وَما عَلَيَّ لَهُم أَن تَفهَمَ البَقَرُ

هذا الذي نعلم، ونعتقده، وندين الله به في حقّه، والله سبحانه وتعالى أعلم".

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفتوحات المكّيّة

يعتبر كتاب "الفتوحات المكّيّة" أهمّ مؤلّفات الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي.. ويمكن القول الآن إنّه يمثّل الموسوعة الصوفيّة الأولى، والمرجع الأساس لجميع المعارف الصوفيّة -بعد القرآن الكريم والحديث النبويّ- دون منازع. قال عنه الصفدي(١): "**وقفت على كتابه الذي سماه الفتوحات المكية لأنه صنّفه بمكة، وهو في عشرين مجلّدة بخطّه، فرأيت أثناءه دقائق وغرائب وعجائب ليست توجد في كلام غيره وكأنّ المنقول والمعقول ممثّلان بين عينيه في صورة محصورة يشاهدها متى أراد أتى بالحديث أو الأمر ونزّله على ما يريده، وهذه قدرة ونهاية إطلاع وتوقّد ذهن وغاية حفظ وذكر، ومَن وقف على هذا الكتاب علِم قدره، وهو من أجلّ مصنفاته**"(٢).

بدأ الشيخ الأكبر تأليف كتابه هذا بمكة المكرّمة عام ٥٩٩هـ، وانتهى منه في دمشق في شهر صفر عام ٦٢٩هـ، وذكر عند إتمامه: "**هذا هو الأصل بخطّي، فإنّي لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودّة أصلا**". إلّا أنّ الشيخ الأكبر رأى في عام ٦٣٢هـ إعادة كتابة هذه الموسوعة بخط يده، معتبرا النسخة الأولى بمثابة مسودّة؛ حذف منها وأضاف إليها، واستغرق عمله ٤ سنوات انتهت عام ٦٣٦هـ وبرز، من ثمّ، الكتاب بصورته النهائية المنقّحة، ليكون بذلك معبّرا تعبيرا أصيلا عن خلاصة رؤيته وتجربته بعد أن بلغ عمره الثانية والسبعين.

واللافت للنظر أنّ الشيخ الأكبر لم يكتف بإعادة كتابته فقط، والتأشير على ذلك، وإنما نجده بعد كتابة كل جزء منه يعمد إلى مقابلته من جديد مع النسخة الأولى بحضور عدد من أصحابه ويتم أثناء السماع إجراء التصحيحات التي يراها مناسبة، وفي نهاية كل مقابلة يثبت السماع ويثبت أسماء الحاضرين والتاريخ بخط القارئ وتأكيد الشيخ الأكبر لذلك ممهورا بتوقيعه.. الخ.. ونجده أحيانا يكرر السماع لبعض الأجزاء في أوقات أخرى ويثبت ذلك وفق ما جرى في السماع الأوّل..

استغرقت النسخة الثانية ١٠٥٤٤ صفحة بخط يده، وقسّمها فيه إلى ٣٧ سفرا(٣)، متضمّنة ٥٦٠ بابا -بعدد السنوات من العام الأوّل للهجرة حتى عام مولد الشيخ الأكبر، وكأنّها تتويج لهذه

---

(١) صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ = ١٢٩٦ - ١٣٦٣ م): أديب، مؤرخ، له زهاء مئتي مصنف.

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي - (٢ / ١٠)، وهو يتحدث هنا عن النسخة الأولى للفتوحات المكية وكانت تقع في ٢٠ مجلدة.

(٣) التقسيم إلى أسفار استحدثه الشيخ في النسخة الثانية

السنوات التي سبقته بمولده قدّس الله سرّه!- موزّعة على ستة فصول. وفي الصفحة الأخيرة يخطّ الشيخ الأكبر بقلمه: "**انتهى الباب -بحمد الله- بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي مُنشيه، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخطّ يدي.**

وكان الفراغ **من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكرة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وستمائة، وكتب منشيه بخطّه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، وفّقه الله.**

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلّدا، وفيها زيادات على النسخة الأُولَى التي وقفتها على ولدي محمد الكبير، الذي أُمّه فاطمة **بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين، وفّقه الله وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقا وغربا، برًّا وبحرا**".

وقبل عدة أشهر من انتقاله إلى جوار ربه أهدى هذه النسخة إلى تلميذه الوفي صدر الدين محمد بن إسحق القونوي، وهذا مبيّن في الصفحة الأولى من السفر الأول، وفيه بقلم الشيخ الأكبر: "**رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه**" مما يشير إلى أنها منذ الآن صارت بعهدة صدر الدين القونوي عنه، وبالقرب منها يحدد الشيخ صدر الدين موعد ذلك الانتقال بما نصه: "**انتقل هذا السفر وسائر الكتاب من منشيه شيخ الإسلام، أيّده الله تعالى، بحكم الإنعام إلى خادمه وربيب نظره محمد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرّب إليه بالشيخ نفعه الله، في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة**".

واحتفظ تلميذه بالنسخة بعد أن أكمل في حلب مقابلة الأجزاء التي لم يتمكن الشيخ من مقابلتها، وأثبت ذلك في حواشيها. وبدوره؛ أوقفها الشيخ صدر الدين القونوي قبيل انتقاله هو إلى جوار ربه بعد وفاة شيخه بـ ٣٤ عاما على دار الكتب التي أنشأها في الزاوية المجاورة لقبره، مشيرا في الوقفيّة إلى أنّ الغرض من ذلك هو انتفاع المسلمين بها، ولا يجوز خروجها من الدار إلى غيرها من المواضع لا برهن ولا بغيره. وعرفت منذئذ بنسخة قونية.

وتشاء الحكمة الإلهية أن يكون هذا المسار لهذه النسخة هو السبب الذي حفظها لنا حتى اليوم. فهي النسخة التي من صورتها أعددنا هذا الكتاب المطبوع بمنّ الله وتوفيقه.

وصف المخطوطات

نسخة السليمانية:

هذه النسخة من محفوظات مكتبة حكيم أوغلو في السليمانية بتركيا، وتتكون من مجلدين رئيسيين: الأوّل يحمل رقم ٤٨٨ ويتضمن ٥٢٩ صفحة مزدوجة، والثاني يحمل رقم ٤٨٩ ويتضمن ٥٢٧ صفحة مزدوجة ويبدأ بالباب ٢٧٠. تتكون الصفحة من ٣٩ سطرا، والسطر من ٢١ كلمة.

هذه النسخة منقولة من النسخة الأولى مباشرة ويتضح ذلك من العبارة قبل الأخيرة في نهاية المجلد الثاني وهي:

"قال الشيخ رضي الله عنه: انتهى الباب بحمد الله بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار، **وهذا هو الأصل بخطي، فإنّي لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودة أصلا. وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفر سنة تسع وعشرين وستمائة، والحمد لله وحده"**.

أما العبارة الأخيرة فتشير إلى كاتبها وزمان كتابته، وهي: **"تمت الفتوحات المكية بحمد الله ومنّه وحسن توفيقه نهار الأحد في آخر شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع عشرة وألف على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن خليل النابلسي لطف الله به والمسلمين آمين"**.

وسيتبيّن لنا لاحقا أنّ هذه النسخة هي التي طبع منها الفتوحات المكية لأوّل مرة عام ١٢٧٤هـ، كما تم الاستعانة بها عند تنفيذ الطبعة الثانية عام ١٣٢٩هـ وفقا للإشارة التي وجدنا باللغة التركية في كلا المجلدين.

نسخة قونية:

تعرّضت النسخة في عمرها الطويل –وهو يقترب الآن من ثمانية قرون- إلى تلف بعض صفحاتها لأسباب عدة منها الرطوبة وتسرُّب المياه إلى بعض أجزائها وكثرة تقليب صفحاتها.. فقد كانت قونية مزارا خلال العقود الثمانية يتّجه إليها النساخون من مختلف بلاد المسلمين لينقلوا نسخا لهم ولمشائخهم منها.. وكان القائمون على هذه النسخة يعملون قدر جهدهم على إعادة كتابة محتويات الصفحات التالفة من خلال خطاطين يجيدون النسخ بالعربية دون معرفة مضمونها في بعض الحالات وهو ما أحدث تشويها لحق بالسفر التاسع على وجه الخصوص، وأشرنا إليه في موضعه،

ومن حسن الحظ أنّه فيما عدا السفر التاسع فإنّ الصفحات التالفة في بقية الأسفار قليلة للغاية وبيّنا مواضعها في الكتاب.

وقامت الحكومة التركية منذ زمن بنقل هذه النسخة إلى مكتبة متحف الآثار الإسلامية باستامبول وأعطت مجلداتها الـ ٣٧ الأرقام ١٨٤٥-١٨٨١ ونسخت صفحاتها فوتوغرافيا، وتوزّعت نسخٌ مصورة منها إلى بعض المكتبات خارج تركيا، وبذلك تعدّدت أماكن حفظ هذا العمل الموسوعيّ الهام.

الكتاب كله -عدا السفر التاسع الذي أعيد نقله وعدد محدود من الصفحات الأخرى- بقلم الشيخ الأكبر، وكثيرة تلك الإشارات التي تثبت هذا، ومنها:

١- في الصفحة الأولى من السفر الأول، وتحت عنوان السفر، نجد عبارة: "**رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه**" وبجانبها بقلم صدر الدين القونوي ما يلي: "**هذا السطر هو بخطّ شيخنا رضي الله عنه**".

٢- السماعات المثبتة في مواقعها في الأعوام ٦٣٣هـ إلى ٦٣٧هـ كلها جرت في منزله بدمشق وبحضور المذكورين عند هذه السماعات، وتوقيع الشيخ بقلمه في كثير منها يؤكد صحة شهاداتها أمامه، ومنها على سبيل المثال: "**كمّل هذا السماع الوليّ في الله تعالى الفقير محيي الدين أبي المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الحسن بن الجباب- أدام الله سعادته: - عليَّ، وكمل بحمد الله. وكتب منشيه وهو المسمَّع له محمد بن علي بن العربيّ بخطّه في التاسع عشر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين وستمائة**"[١].

٣- في السفر ٢٣ هناك عبارة، اختلفت صيغتها في نسخة قونية قليلا عما جاء في نسخة السليمانية بسبب تاريخ الكتابة من قبل الشيخ نفسه، وهي: "**ولي مذ عبدتُ الله فيها، من سنة تسعين وخمسمائة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة**" وكانت قد جاءت في نسخة السليمانية بنفس التعبير عدا الجزء الأخير منه الذي كان: "**وأنا اليوم في سنة ثمان وعشرين وستمائة**"[٢]

٤- وفي نهاية الكتاب يذكر: "**وكان الفراغ من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكرة**

---

(١) السفر الأول (ج١/٢٤٥)

(٢) ق: السفر ٢٣ (ج٨/٣٦٨)، وفي س ج٢ ص ١٥٣

يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثلاثين وستمائة، وكتب منشيه بخطّه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، وفّقه الله".

٥- في كثير من الحالات نجد إشارة إلى نسبة تاريخ هجري إلى يوم معيّن، ولم يكن سهلا من قبل اكتشاف مطابقة التاريخ لليوم المقصود، وإذ تيسّرت في هذا العصر إمكانية التأكد من ذلك، فيصير هذا أحد وسائل التحقق من نسبة صحة الكتاب. وفي هذا الكتاب هناك مواضع كثيرة ذكر فيها التاريخ واليوم وجميعها صحيحة ومنها ما جاء في النقطة السابقة الذي حدد فيها الأربعاء بأنه يقابل ٦٣٦/٣/٢٤هـ. وفي السفر الأول (ج١٤٦/١) نجد في السماع الثاني أنه جرى يوم الأربعاء ٢٦ من شوال عام ٦٣٣هـ، والتطابق واقع بينهما، بل إنّه ذكر تقييده أحد الفصول في الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٧هـ، وذكر مباشرة أنه يقابل ليلة الأربعاء الذي هو الموفي عشرين من فبراير، وهذا التحديد صحيح تماما وفق الحساب الفلكي لدمشق وعامه الميلادي ١٢٣٠[(١)].

كلّ هذه الأدلة -وغيرها كثير- لا تدع مجالا للشكّ من صحة نسبة الكتاب إلى الشيخ الأكبر وأنّه كتب نسخته الثانية بخطّ يده في السنوات الأربع الممتدّة من عام ٦٣٢هـ إلى ٦٣٦هـ.

اسم الكتاب:

أشار الشيخ في بداية الكتاب أنّ الاسم الذي رآه هو: "**رسالة الفتوحات المكيّة في معرفة الأسرار المالكية والملكية**"[(٢)]، ويبدو أنّه كان يتصور أنّ حجم الكتاب سيكون صغيرا بحيث يمكن إطلاق مسمّى "رسالة" عليه. ولما توسّع الكتاب وجدناه يكتفي بـ"**الفتح المكي**" ٩ مرات و"**الفتوحات المكيّة**" ٢٨ مرة.

الخط:

كتب الشيخ كتابه بخطه الأندلسيّ المغاربي.. وأهم سماته في المخطوط ما يلي:

---

(١) السفر ١٧ (ج٣٠٩/٦)

(٢) السفر ١ (ج١٠٣/١)

١- أكثر حروفه المعجمة كانت تهمل، فلم يكن قد رسخ بعد عند العرب استعمال النقاط للحروف المعجمة. ومع ذلك نجد حرص الشيخ واضحا عند شعوره باللبس الذي يمكن حصوله عند القراء؛ فيعمد عندئذ إلى كتابة النقاط في حالات عديدة.

٢- موضع نقطة حرف الفاء -في الأغلب- تحت تعريقة الفاء.

٣- حرف القاف: في الأغلب له نقطة واحدة من فوق، وفي حالات أخرى -ربما خوف اللبس- كان يكتبه بنقطتين.

٤- الحروف المشددة: نوّع التشديدات فيها إلى ثلاثة أنواع.. فهناك شَدّة تدلّ على الضم، وشَدّة تدلّ على الكسر، وشَدّة تدلّ على الفتح. الأولى شكلها قريب من رقم الثمانية الهندي وموقعها فوق الحرف، والثانية مثلها وموقعها تحت الحرف، والثالثة شكلها قريب من رقم السبعة الهندي وموقعها فوق الحرف.

٥- حرفا الطاء والظاء: نجد فيهما إمالة الخط العمودي إلى اليمين.

٦- حرفا الصاد والضاد: لا تضاف إليهما نبرة تفصلهما عما بعدهما.

٧- حرف الكاف: تميلترويسته أفقيًا إلى اليسار مع إمالة صغيرة في النهاية جهة اليمين.

٨- وفي الإملاء يختلف رسم عدد من الكلمات عما هو عليه اليوم، ومنها على سبيل المثال:

رسم الشيخ	الرسم الحالي
إلاه	إله
الاهية	إلهية
الرءيا، الرءية	الرؤيا، الرؤية
أان	آن
أَتووا	أَتوا
ترائى	تراءى
تعلى	تعالى

رسم الشيخ	الرسم الحالي
جا	جاء
جزءي	جزئي
سبحنه	سبحانه
شيت	شئت
قراة	قراءة
ليلا	لئلا
مااخذ	مآخذ

رسم الشيخ	الرسم الحالي
مارب	مآرب
مسئلة	مسألة
ملايمة	ملاءمة
مهمى	مهما
هاذه	هذه

رسم الشيخ	الرسم الحالي
هاكذا	هكذا
هاولا	هؤلاء
يرا	يرى
نشأاتها	نشآتها
هيااتها	هيآتها

وصف الكتاب:

الكتاب عبارة عن ٣٧ سفرا، ومجموع صفحاته ١٠٨٦٠ صفحة منها ٣١٦ صفحة بيضاء، والصفحات المكتوبة ١٠٥٤٤ صفحة. وعند تصوير هذه الصفحات أخذت اللوحات المصورة بواقع لوحة واحدة لكل صفحتين متقابلتين، فصار عدد هذه اللوحات أو الصفحات الجديدة المزدوجة ٥٤٣٠ صفحة منها ١٥٨ صفحة بيضاء و ٥٢٧٢ صفحة مكتوبة[١].

وضع مختصّو التوثيق في تركيا أرقاما لهذه الصفحات في أعلى الجزء الأيسر في الصفحة المزدوجة يعبر عن كلا الجزأين أو الصفحتين وفق المخطوط، ولذلك كنا نشير إلى بداية الصفحة في جزئها الأيمن بالرقم المخصص لتلك الصفحة وفق ذلك التنظيم، ونشير إلى الجزء الأيسر بنفس الرقم مع إضافة حرف ب. فالصفحة رقم ٥ مثلا نشير إلى جزئها الأيمن (ص ٥) وإلى جزئها الأيسر (ص ٥ب) وسيحتاج الباحثون إلى هذا عند بحثهم في الفهارس الملحقة بكل سفر للآيات القرآنية والأحاديث والشعر والمصطلحات والأسماء.. الخ إذ أننا اعتمدنا أرقام صفحات مخطوط قونية لمن يريد الرجوع إليها.

القاعدة العامة في صفحات المخطوط أنّ الصفحة الواحدة تتكون من ١٧ سطرا مستقيمة التنسيق، ومتوسط كلمات السطر الواحد ٩,٧ كلمة، ومتوسط كلمات الصفحة المفردة ١٦٥ كلمة.

(١) أدخلنا الصفحات البيضاء هنا نظرا لأنها أعطيت أرقاما في المخطوط من قبل الجهة الحافظة

أهم الخصائص التي لمسناها في الكتاب ما يلي:

- تعبيرات الكتاب مبسّطة رغم دقائق العلوم التي يناقشها، وحرص الشيخ على إزالة أي غموض متوقع عند استطراده في أي موضوع، فنراه يلتفت إلى أي عبارة أو كلمة يخطر له أنّه ربما يقف عندها أيّ من القراء فيعمل على شرحها أو الإتيان بدليلها من الكتاب أو السنة.. ثم يعود بعد ذلك إلى موضوعه الأصليّ..
- نأى الشيخ بنفسه بعيدا عن تسفيه الآراء الأخرى المخالفة لآرائه مهما كان بعدها عنه، وكذا عدم تجريح أصحابها أو سبّهم أو تكفيرهم، بل نجده يحرص على مناقشة الرأي الآخر برويّة وحكمة وهدوء، ويبذل جهده للبحث عن الصواب لدى ذلك الرأي الآخر سواء بمجمله أو بجزئيّة من جزئيّاته، وهذه صفة حميدة قلّ من يحملها.
- حفظه القرآن الكريم، واستيعابه للقراءات، واستشهاده من كل القراءات المختلفة.
- حرصه الدائم على دعم أفكاره بالنصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة التي تثبت صحة أقواله. وفي هذا الخصوص يصف الشيخ الأكبر نهجه بقوله: "**فجميع ما نتكلّم فيه في مجالسي- وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه؛ أُعطيتُ مفتاح الفهم فيه، والإمداد منه**".
- عاد إلى الآيات القرآنية ١٠٩٩٠ مرة، وعدد الآيات التي ذكرها ٢٤١٤ آية من كل سور القرآن، وهي تقترب من ٤٠٪ من مجموع آيات القرآن الكريم. وعدد مرّات عودته إلى الحديث النبويّ ٣٤٩٨ مرّة لمجموع ٢٠٤٥ حديثا، وتعبيرات الصلاة والسلام على الرسول الكريم زادت عن ٥٠٠٠ مرّة.[١]

(١) ولذلك لم ندخل لفظ الجلالة وكذا اسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام ضمن فهارس الأسماء نظرا لأنهما مذكوران بالاسم أو الإشارة في جلّ صفحات الكتاب.

- احترامه البالغ لأئمة المذاهب الفقهية باعتبارهم من أكابر الأولياء، واستيعابه لاجتهادات المذاهب الفقهية جميعها، وتسليمه لكل اجتهاداتهم بل وتبريرها رغم اختلافاتها، واعتبارها كلها صحيحة وفقا للتوجيه النبويّ الشريف المتعلّق بالاجتهاد.
- حبّه الطاغي للآخرين، وابتعاده عن منهج التنفير، واتّكاؤه على منهج التقريب، وتوسيعه مفهوم الولاية لدرجة تجعل كل من يقرأ للشيخ في هذا الموضوع يشعر -وربما يجزم- أنه من أهل هذه الدرجات.. وفي هذا الخصوص يقول الشيخ: "**واللهِ؛ إنّي لأجد من الحبّ ما لو وُضِع -في ظنّي- على السماء لانفطرت، وعلى النجوم لانكدرت، وعلى الجبال لسُيِّرت**".
- إلمامه الواسع بالأدب العربي وسير الأدباء، وبلغت استشهاداته ٣٤٨ مرة، لـ ٢٢١ نصا (٥٢٩ بيتا) لأدباء من مختلف العصور إلى زمنه.
- نصوصه الشعرية في الكتاب ١٤٩١ نصا (٧١٦١ بيتا)
- ممارسته للنقد الأدبي الراقي حين يجد ضرورة لذلك.
- للشيخ مراجعاته النحوية وترجيحه –بالأدلة- قواعدَ لم يقل بها النحويّون.

وفي الأخير.. نشير إلى أنّ الشيخ كان قد ذكر أنّ السفرين ٣٤، ٣٥ يمثّلان خلاصة أبواب الكتاب كلّها، وخصّ كل باب منها بعنوان رمزيّ وعبارات مركزة لا تزيد عن أسطر قليلة.. وكان يشير في بداية الأمر إلى صلة الخلاصة بالباب المعنيّ، ثم توقّف عن ذلك بعد أن اضطربت الصفحات التي بيده على ما يبدو.. ولقد حاولنا من جانبنا القيام بهذا الأمر ونجحنا في تحديد الصلة لقرابة أربعمائة باب ولم يتسنّ لنا إكمال ذلك لانشغالنا بتجهيز تحقيق مادة الكتاب.. ونأمل أن نستكمله ونرفقه ضمن طبعة قادمة بإذن الله.

مراحل طباعة الفتوحات المكية

المرحلة الأولى:

ظهرت أوّل طبعة للكتاب عام (١٢٧٤هـ=١٨٥٨م) في مصر في عهد الخديوي محمد سعيد باشا[١]. وذيّلها أحد **أشهر** المحقّقين في مصر في ذلك الوقت، وهو الأستاذ محمد قطة العدوي "**بنبذة مختصرة تتضمّن ترجمة صاحبه وذكر شيء من مآثره ومناقبه.. ملخّصا ذلك من كتاب نفح الطيب**"[٢].. وهذه الطبعة عرفت بطبعة بولاق، وكانت معتمدة على نسخة السليمانية وهي منقولة من المخطوطة الأولى التي كتبها الشيخ في الأعوام (٥٩٩-٦٢٩هـ)، وتبيّن ذلك من خلال الكتابة التي ذيّلت بها هذه النسخة.[٣]

لاحظ المهتمّون الذين حصلوا على الطبعة الأولى وجود أخطاء كثيرة فيها ناهيك عن أنها لم تقابل بالنسخة الثانية المخطوطة بقلم الشيخ الأكبر وهي نسخة قونية المعدّلة والمصحّحة.. ولذلك فقد عهد الأمير عبد القادر الجزائري[٤] -والذي كان قد استقرّ به المقام في دمشق- إلى اثنين من العلماء، وهما: الطيب بن الشيخ محمد المبارك الجزائري الدلسي المالكي (ت ١٣١٣هـ)، والشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي، بالتوجه إلى قونية على نفقته الخاصّة في عام ١٢٨٧هـ، لمقابلة النسخة المطبوعة مع نسختها المكتوبة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر، وعادا إلى دمشق بعد أن قابلا هذه النسخة مع نسخة قونية مرتين وسجلا عليها نتيجة هذه المقابلة.. وأشار شاهد الواقعة، عبد الرزاق البيطار، في كتابه "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، إلى أنه: "**وبعد مجيئهما قرأناها جميعًا على الأمير المرقوم (يقصد الأمير عبد القادر) مع التزامنا لإصلاح نسخنا على النسخة**

---

(١) محمد سعيد باشا: حكم مصر بين (١٢٧٠-١٢٧٩هـ/١٨٥٤-١٨٦٣م)

(٢) أنظر تذييل الكتاب، الجزء الرابع. ونفح الطيب كتاب ألفه أحمد بن المقري التلمساني (٩٨٦-١٠٤١هـ)

(٣) جاء فيها تذييل خلاصته أنّ الخديوي عباس باشا الأول (حكم مصر في الفترة ١٢٦٤-١٢٧٠هـ/ ١٨٤٨-١٨٥٤م) كان قد أمر بطبع هذا الكتاب الشريف بنيّة الخير وطلب نسخ من المخطوطات لهذا الغرض وكانت هذه النسخة إحداها، وأرسلت إلى مصر، وأثناء هذا العمل توفى الخديوي عباس وخلفه محمد سعيد باشا الذي استكمل الطباعة وأعاد هذه النسخة مع أربعة مجلدات مطبوعة.

(٤) عبد القادر الجزائري (١٢٢٢-١٣٠٠هـ=١٨٠٧-١٨٨٣م) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري: أمير، مجاهد، من العلماء الشعراء البسلاء. ولد في القيطنة (من قرى إيالة وهران بالجزائر) وتعلم في وهران. وحج مع أبيه سنة ١٢٤١هـ، فزار المدينة ودمشق وبغداد. ولما دخل الفرنسيس بلاد الجزائر (سنة ١٢٤٦هـ-١٨٤٣م) بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم، وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاما، ضرب في أثنائها نقودا سماها "المحمدية" وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة. وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر، كثيرة، لا مجال هنا لاستقصائها. ولما هادنها سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، ضعف أمر عبد القادر، فاشترط شروطا للاستسلام رضي بها الفرنسيون، واستسلم سنة ١٢٦٣هـ (١٨٧٤م) فنفوه إلى طولون، ومنها إلى أنبواز حيث أقام نيفا وأربع سنين. وزاره نابليون الثالث فسرحه، مشترطا أن لا يعود إلى الجزائر. ورتب له مبلغا من المال يأخذه كل عام. فزار باريس والأستانة، واستقر في دمشق سنة ١٢٧١هـ، وتوفي فيها. من آثاره العلمية: ذكرى العاقل، وديوان شعر، والمواقف -ثلاثة أجزاء في التصوف. [الأعلام للزركلي ٤٥/٤]

المقابلة على خطّ المؤلف"[1].

وفي عام (١٣٢٩هـ=١٩١٠م) قامت دار الكتب العربية الكبرى بمصر بطباعته، على نفقة الحاج فدا محمد الكشميري وشركاه بمكة، وفيها إشارة إلى أنها طبعت "**على النسخة المقابلة على نسخة المؤلف الموجودة بمدينة قونية، وقام بهذه المهمة جماعة من العلماء بأمر المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري، رحم الله الجميع وأثابهم المكان الرفيع**"[2].

والواقع أنّ مصححي هذه الطبعة قد استعاروا نسخة مكتبة السليمانية مجددا -وصورتها بين أيدينا- وفيها تذييل في مجلدي هذه النسخة مكتوب باللغة التركية يشير إلى ذلك وترجمته: "**هذا الكتاب من ضمن تصحيح الكتاب الشريف الفتوحات المكيّة الذي طبع في مصر. جُلِب إلى مصر مرة أخرى في عهد والي مصر السابق المتوفى، عباس باشا[3]، وعاد إلى مكتبته**".

وتقلّصت الأخطاء في هذه النسخة إلى حدّ كبير.. وطبعت في ٤ مجلدات كبيرة وبقيت المرجع الرئيسي خلال القرن العشرين. ولقد أجرينا اختبارا بالعينة شمل ١٤٪ من الكتاب فوجدنا نسبة الاختلاف فيها عن نسخة قونية يعادل مرة واحدة في كل ٧٥ كلمة. ونظرا لأنّ المتن الأصلي للكتاب يتضمن (١٧٣٥٠٠٠) كلمة، فهذا يعني وجود ما لا يقل عن ٢٣٠٠٠ اختلاف. وكثير من هذه الاختلافات يمكن التعامل معها، إلا أنها -مع ذلك- تضمّنت أخطاء جسيمة، وفيما يلي عيّنة منها:

المجلد: صفحة	كتابة الشيخ الأكبر	طبعة القاهرة
٤: ٢١٢	إِنْ قُلْتَ إِنِّي لَسْتُ غَيْرًا لَهُ ... وَهْوَ أَنا؛ فَإِنَّهُ يَجْهَلُ	إن قلت إني لسـت غير إله[4] ... وهو أنا؛ فإنه يجهل

(١) أنظر حلية البشر ص ١/ ٣٣٥

(٢) هذه العبارة ثابتة في الصفحة الأولى في كل من المجلدات الأربعة المطبوعة، والترحُّم في نهايتها يدلّ على أنّ هذه الطبعة تمت بعد انتقال الأمير عبد القادر وصاحبيه إلى رحمة الله.

(٣) حكم الخديوي عباس باشا مصر بين عامي (١٣٠٩-١٣٣٣هـ/ ١٨٩٢-١٩١٤م)

(٤) تكرر ورود هذا الخطأ ٤ مرات في غير هذا الموضع، أنظر (ج٦/٦٤) و (ج٧/٤٠) و (ج٩/١٢٤) و(ج١٠/٤٢)

٣: ١٠١	وقد أَغْلَظَ في ذلك رسولُ الله ﷺ وأَظْهَرَ الكراهةَ لمن فعل ذلك[1]	وقد غلط في ذلك رسولُ الله ﷺ وأظهر الكراهة لمن فعل ذلك
٣: ١١٤	فلهذا يُنفى العلم عن المنجِّم، وكلّ ما هو مثله، من خطّ الرمل، وغيره.	فلهذا يُنفى العلم عن المنجِّم، وكلّ ما هو مثله، من حظّ الرسل، وغيره.
١٠: ١٧٧	إنّ خَوْفَ الكِتابِ شَرَّدَ نَوْمِي ... إذْ لَهُ الحُكْمُ في الوُجُودِ وفِيْنا[2]	إنّ خوف الكتاب شرّ ذنوبي ... إذ له الحكم في الوجود وفينا
٨: ٢٣٣	فَمَا كُلُّ عَيْنٍ فِي الوُجُودِ مُغايِرٌ ... أَلَا كُلُّ كَوْنٍ مَا سِوَى اللهِ إِنْسانُ	فما كل عين في الوجود مغاير ... ولا كل كون ما سوى الله إنسان
٨: ٢٤١	ولقد رأيت لبعض أهل الفكر في كتاب سمّاه "المدينة الفاضلة"[3]	ولقد رأيت لبعض أهل الكفر في كتاب سماه المدينة الفاضلة
٥: ٤٠١	إنَّ الولايَةَ عِنْدَ العارِفِيْنَ بِها ... نَعْتُ اشْتِراكٍ ولَكِنْ فِيْهِ أَشْراكُ[4]	إن الولاية عند العارفين بها ... نعت اشتراك ولكن فيه إشراك
١٢: ٢٢٦	فاعمل كما يجِب، إذا دعاك فأجبْ، وإذا سقاك فطِبْ. فإنّه ما يدعوك إلّا ليسقيك، ولا يفنيك إلّا ليبقيك	فاعمل كما يجب إذا دعاك فأجب وإذا سقاك فطب فإنه ما يدعوك إلا ليشقيك ولا يفنيك إلا ليبقيك

(١) انظر الصورة رقم ١ صفحة ٧٠
(٢) انظر الصورة رقم ٢ صفحة ٧٠
(٣) عبارة أشار فيها إلى كتاب المدينة الفاضلة للفيلسوف المسلم أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، انظر الصورة رقم ٣ صفحة ٧١
(٤) انظر الصورة رقم ٤ صفحة ٧١

المرحلة الثانية:

وفي عام ١٩٥٤م تمّ تكليف الدكتور عثمان يحيى من قبل جامعة السوربون ومنظمة اليونسكو والمجلس الأعلى للثقافة في مصر والهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق الكتاب بعد أن لاحظ المعنيّون أنّ نسخة القاهرة ينقصها الكثير من متطلبات التحقيق العلميّ الحديث إضافة إلى شمولها أخطاء كثيرة..

اعتمد د/ عثمان يحيى على ٣ نسخ أساسية في تحقيقه وهي:

١- صورة نسخة مخطوط قونية وهي النسخة الثانية المكتوبة بخط الشيخ.

٢- صورة مخطوطة منقولة من النسخة الأولى وجدها في مكتبة بيازيد بتركيا.

٣- نسخة القاهرة المطبوعة عام ١٣٢٩هـ.

استغرق د/ عثمان يحيى حوالي ١٨ عاما في الأعمال التمهيدية لتظهر عام ١٩٧٢م نتيجة عمله للسفر الأوّل من الكتاب. وتوالى ظهور الأسفار التالية في العقدين اللاحقين وكان آخرها السفر ١٤ عام ١٩٩٢م.. وتوقف العمل بعدئذ لانتقال صاحبه في تسعينيات القرن العشرين إلى رحاب ربه وكان المتبقي أمامه ٢٣ سفرا.

اتضح أنّ د/ عثمان يحيى قد بذل جهدا مضنيا في تحقيق الأسفار الأربعة عشر الأولى من الفتوحات المكية وتميّز بضبط المادة وفق النهج الحديث المعتمد على ضوابط علامات الترقيم لغرض تسهيل قراءة واستيعاب النصوص.. إضافة إلى وضعه فهارس عديدة لتسهيل مهمّة الباحثين في العثور على متطلبات أبحاثهم..[١]

ولأنّ كل عمل وخاصّة بحجم هذا العمل معرّض لحدوث شوائب وأخطاء، فقد سجل الباحثون عليه عددا من الملاحظات لعل أهمها ما يلي:

١- استغرق جلّ عمل التحقيق في إثبات رسم الكلمات والحروف لمخطوطتي قونية وبيازيد مما أهدر وقتا كبيرا وهامّا في ذلك.. وكان يمكنه وضع جدول لكيفية كتابة الكلمات مرة واحدة بدلا من تكرار ذلك مع كل كلمة.. مثل الإشارة لرسم كلمة (ملائكة، ملائكه،

(١) الواجب يستلزم منا ذكر الاستفادة من عدد من ملاحظاته

ملئكة، ملئكه) في كل موضع كتبت فيه بهذا الرسم أو ذاك.. ومع هذا التدقيق الزائد الذي سار عليه فإنه لم يسلم من الوقوع في أخطاء إثبات الرسم؛ فكثيرا ما ينسب رسما معيّنا للنسخة الأولى مثلا في حين يكون هذا الرسم للنسخة الثانية..

٢- لقد ارتاب عدد من دارسي الشيخ الأكبر بعمل الدكتور عثمان يحيى ولم يطمئنوا إليه لملاحظتهم حرصه -في بداية عمله في التحقيق- على اصطناع علاقة خاصّة بين مشرب الشيخ الأكبر وثقافة المدرسة الإسماعيليّة، إلى حدّ يبدو وكأنه تلميذ لشيوخ هذه المدرسة.(١)

٣- كما أنه لم يحالفه الحظ في استخدامه بعض علامات الترقيم في مواقع تصادم الفطرة الدينية الإيمانية، مثل إكثاره من وضع علامة التعجب بعد صيغ التفخيم للمولى ﷻ أو بعد صيغ الصلاة والتسليم على النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

٤- كما لاحظنا سقوط عبارات كاملة وكلمات كثيرة من النسخة المحققة، وورود كلمات مضافة من غير الإشارة إلى ذلك.. إضافة إلى كثرة وقوعه في أخطاء إثبات نسبة نص معيّن إلى نسخة معيّنة في حين يكون أصله للنسخة الأخرى ..

المرحلة الثالثة:

وبعد ظهور الإنترنت والنشر الإليكتروني استبشرنا خيرا بظهور طبعة للفتوحات المكية عبر هذا النظام.. ولكن تبيّن أنه بمجرد الاطلاع على أي صفحة منها يصدم القارئ للأخطاء التي لا يخلو منها سطر، وللعبارات المزوَّرة والمنحولة التي تمتلئ بها هذه الطبعة، وللتكرار غير المنطقيّ لمئات الصفحات وآلاف الأسطر، ولسقوط أبواب وصفحات كثيرة.. والواقع إنها مأساة

(١) انظر قوله في مقدمته للسفر الثاني ص ٤٣: "وموقف الشيخ هنا، كما هو شأنه في كثير من المواضع والميادين، ينبغي أن يدرس ويفهم في ضوء النظريات والتعاليم الشيعيّة وخاصّة الإسماعيليّة، لوحدة الاتجاه الأصيل التي انبعثت عنه هذه الألوان المعيّنة في التفكير الإسلامي، هذا الاتجاه، في نظرنا، هو ما يمكن تسميته: بالتيار الفكري الديني الباطني في الإسلام، الذي بدأ بكبار مفكري الإسماعيليّة، ثم تلاه كبار عرفاء الصوفية، ثم كبار مفكري الإمامية وعرفائهم. وهذا الاتجاه العام، المحدد، المتعدد، يتميز تمامًا عما يمكن تسميته: بالتيار الفكري الديني الظاهري في الإسلام، الذي كان خير ممثل له المعتزلة أولًا ثم الأشاعرة ثانيًا. وهما معًا (أي الاتجاه الديني الظاهري والاتجاه الديني الباطني) يتميزان عما يمكن تسميته: بالتيار الفلسفي في الإسلام، بشتى مظاهره: الأفلاطونية المحدثة (مع الفارابي وابن سينا وأتباعهما) والأرسطية (ابن رشد وأتباعه) والإشراقية (السهروردي ومدرسته)"

أن يطّلع القارئ على تلك الإساءات الواردة في هذا الإصدار..

وواضح هنا أنّ مناوئي التصوف والشيخَ الأكبر لجأوا إلى هذه الحيلة كونها أسهل وسيلة لتشويه الشيخ الأكبر والتصوّف بدلا من مواجهة الحجة بالحجة.. ورأوا أنه يكفي تحويل القارئ المهتم إلى هذا الإصدار ليقتنع من تلقاء نفسه بخطأ الشيخ ونهج التصوف بشكل عام.. والمثير للأسف هنا هو قيام بعض مواقع التصوّف الإليكترونية بالتقاط هذه النسخة المزوّرة ووضعها ضمن الإصدارات الصوفية التي يمكن للمتابعين تنزيلها من لديها.. ولا تخفى خطورة هذا الأمر بسبب غطاء الثقة الذي تمنحه هذه المواقع للإصدارات التي تمرّ عبرها.

واللافت للنظر أنّ الجهة التي ظهرت هذه النسخة لأوّل مرة في أحد مواقعها الإليكترونية تنتمي للتيّار المناوئ للتصوّف، وكانت مراجعها الدينيّة منذ قرون مضت قد اتّهمت الشيخ بتهم باطله وأقوال مزوّرة.. قد كررت -هذه الجهة- تلك الأقوال في هذا الإصدار بعد تغييرها للنصّ الأصلي الذي قاله الشيخ رغم أنّها نقلته –كما هو مفترض- من نسخة القاهرة المطبوعة منذ أكثر من مائة عام!! ولو حاول أحد البحث عن عذر لأولئك المراجع مثل تصوّر احتمال وقوع نسخة مزوّرة بأيديهم جراء النقل الخطأ والتصحيف ورداءة خط الناقل وخلافه.. وهي التي دفعتهم إلى تلك المواقف المعادية للشيخ الأكبر.. فلا نعلم المبرّر لهؤلاء النقلة الجدد بتغيير نسخة مطبوعة لا يحتمل خطها التصحيف والرداءة!! أو تجاهلها والإصرار على نشر مطبوعة لا يُعلم مصدرها، وحشوها بعدد لا يحصى من الأكاذيب والافتراءات الباطلة..

وفي ما يلي عيّنة من حالات التزوير الخطرة التي أضافتها هذه النسخة إلى الأخطاء الواردة في النسخة المطبوعة[1].

المجلد: صفحة	كتابة الشيخ الأكبر	النسخة الإليكترونية
١: ١٦٠-١٦٧	عقيدة الشيخ الأكبر	حُذِفت العقيدة من النسخة

(١) سنتجنب هنا ذكر عبارات لا أخلاقية موجهة ضد رسول الله ﷺ نربأ بأنفسنا عن ذكرها، نسبت للشيخ كذبا وزورا.

٧: ٢٣٦	حتى ينتهي فيها إلى الله -سبحانه-، فهو السبب الأوّل لا عن سبب كان به	حتى ينتهي فيها إلى الله -سبحانه-، فهو السبب الأوّل عن سبب كان به
٩: ٢٩٤	فاعلم أنّ هذا صراط التنزيه؛ فلا ينالُ ذوقا إلّا من نَزَّه نفسَه أن يكون ربّا أو سيّدا من وجهٍ مّا، أو من كلّ وجه.	فاعلم أنّ هذا صراط التنزيه فلا يناله ذوقا من نزّه نفسه أن يكون ربّا أو سيّدا من وجه مّا أو من كلّ وجه
٩: ٢١٢	فما انفصل عنّا إلّا بربوبيّته، وما انفصلنا عنه إلّا بعبوديّتنا	فما انفصل عنّا بربوبيّته وما انفصلنا عنه إلا بعبوديّتنا
٧: ٥٥	وأمّا الكمال الذاتي، وهو غير كمال الرجوليّة، فهو أن لا تتخلّل عبوديّته في نفسه ربّانيّة	وأما الكمال الذاتي وهو غير كمال الرجوليّة، فهو أن يتخلل عبوديته في نفسه ربانية
٧: ٦٢	فكلُّ مَن تذلّل وافتقر إلى غير الله -تعالى- واعتمد عليه، وسكن في كلّ أمره إليه؛ فهو عابِد وثن.	فكل من تذلل وافتقر إلى الله تعالى واعتمد عليه وسكن في كل أمره إليه فهو عابد وثن.
٩: ٤٧	وهذه الأمّة المحمّديّة، لَمّا كان نبيّها محمد ﷺ آخر الأنبياء، وكانت أُمّتُه خيرَ الأمم، صحّ للوارث منهم أن يرثَه ويرثَ جميعَ الأنبياء -عليهم السلام-	وهذه الأمّة المحمدية لَمّا كان نبيّها محمد ﷺ آخر الأنبياء، وكانت أمّته خير الأمم، صحّ للوارث منهم أن يرثه جميع الأنبياء -عليهم السلام-
٩: ٣٥٧	إنّه -سبحانه- لو رحم العالم كلّه لكان، ولو عذَّب العالم كلّه لكان، ولو رحم	إنه سبحانه لو رحم بعضه وعذب بعضه لكان ولو عذبه إلى أجل مسمى لكان

	بعضه وعذّب بعضه لكان، ولو عذّبه إلى أجل مسمّى لكان	
وصية: حسن الظن بربك على كل حال ولا تنسى الظن به	وصيّة: حسّن الظنّ بربّك على كلّ حال، ولا تسيء الظنّ به.	١٢: ٤١٨
والعالم من المخلوقين لا بد أن يكون علمه متناهيا، في كل حال أو زمان، وأن يكون قابلا في كل نفس لعلم ليس عنده، محدث متعلق بالله أو بمخلوق يدجل على الله ذلك العلم	والعالِم من المخلوقين، لا بدّ أن يكون علمُه متناهيا، في كلّ حال أو زمان، وأن يكون قابلا في كلّ نفَس لعلم ليس عنده محدَث؛ متعلّق بالله أو بمخلوق يدلّ على الله ذلك العلم	٧: ٢٨٢
فما يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة والوجود في أحوال تتوالى عليه، الله خلقها دائما بتوجيهات إدارية	فلا يزال العالم مُذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة والوجود في أحوال تتوالى عليه، الله خالِقها دائما بتوجّهات إراديّة	٦: ١٢٦
فوجه الحقّ باق، وهو ذو الجلال والإكرام، والآلام الجسام	فوجهُ الحقّ باق، وهو ذو الجلال والإكرام، والآلاء الجسام	٦: ٢١٣
وقوله: "وعلى ربّهم يتوكّلون" أي يتّخذونه وكيلا، فلا يتكّلون عليه اتّكال الموكّل على الوكيل	وقوله: «وعلى ربّهم يتوكّلون» أي يتّخذونه وكيلا، فيتّكلون عليه اتّكال الموكِّل على الوكيل.	٨: ٣٠٢
فأسماء الأسباب من أسمائه -تعالى- حتى لا يفتقر إليه	فأسماء الأسباب من أسمائه -تعالى- حتى لا يُفتقر إلّا إليه	٨: ٣٢٥

٨: ٣٩١	فطلسمه الفكر، وسلَّطه الله عليه أن يفكّر به لِيَعلم أنّه لا يُعلم أمر من الأمور إلّا بالله	فطلسمه الفكر، وسلّطه الله عليه أن يفكّر به لِيَعلم أنّه لا يُعلم أمر من الأمور بالله
٩: ٥٠	وإنما علّقتُ نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ولا يستعملني فيما يباعدني عنه.[1]	وإنما علّقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يباعدني عنه
٩: ١٤٢	واعلم أنّ الحقّ -تعالى- لا يخلق شيئا بشيء، لكن يخلق شيئًا عند شيء	واعلم أنّ الحقّ -تعالى- لا يخلق شيئا، لكن يخلق شيئاً عند شيء
٩: ٢٦٢	وقد ذمّ الله -تعالى- تعليما لنا في إقامة العدل في الأشياء..	وقد ذمّ الله -تعالى- تعاليمنا في إقامة العدل في الأشياء..
٩: ٢٩٨	وهذا هو الصراط الجامع لكلّ نبيّ ورسول، وهو إقامة الدين، وأن لا يُتفرَّق فيه	وهذا هو الصراط الجامع لكلّ نبيّ ورسول، وهو إقامة الدين، وأن يتفرّق فيه
٩: ٣١٥	لِنعلم -إذا ظهرتْ أعيانُنا، وبلّغَتنا سُفَرَاؤُهُ هذا الأمر- شمول الرحمة وعمومها، ومآل الناس والخلق كلّه إليها؛ فإنّ الرحمن لا يظهر عنه إلّا المرحوم، فافهم	لنعلم -إذا ظهرت أعياننا، وبلّغتنا سفراؤه هذا الأمر- شمول الرحمة وعمومها، ومآل الناس والخلق كلّه إليها؛ فإنّ الرحمن لا يظهر عنه المرحوم، فافهم

(١) انظر الصورة رقم ٥ صفحة ٧١

٩: ٣٢٩	وعَلِم، عند ذلك، هذا العقلُ، أنّ الحقّ ما أوجد العالَم إلّا في العماء، ورأى أنّ العماءَ نَفَسُ الرحمن	وعلم، عند ذلك، هذا العقل أنّ الحقّ ما أوجد العالم إلا في العماء، ورأى أنّ العلماء نفس الرحمن
٩: ٣٧٩	فلا يزال المنزّه غير قابض على شيء، ولا محصِّل لأمرٍ؛ فهم أهل البث؛ لأنّ همّهم متفرِّق والوهم منهم بعيد	فلا يزال المنزّه غير قابض على شيء، ولا محصّل لأمر؛ فهم أهل البيت؛ لأنّ منهم متفرّق والوهم منهم بعيد
٩: ٤٥٩	فعرفوا أنّ وراء النفس الناطقة هو العامِل؛ وهو مسمّى "الله" والنفس في هذا العمل كالآلة المحسوسة سَوَاء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي. ومتى لم يُدرِك هذا الإدراك؛ فلا يتّصف عندنا بأنّه أخلص في عمله جملة واحدة	فعرفوا أنّ وراء النفس الناطقة هو العامل؛ وهو مسمّى "الله" والنفس في هذا العمل كالآلة المحسوسة سواء عند أهل الله وعند أهل النظر العقلي؛ ومتى يدرِك هذا الإدراك فلا يتّصف عندنا بأنّه أخلص في عمله جملة واحدة
١٠: ١٤٠	وأشقى من إبليس فلا يكون	وأشقى من إبليس فلا يكون وقد يكون
١٠: ١٤٨	فلا يرى العارف شيئا إلّا فيه؛ فهو ظَرْفُ إحاطة لكلّ شيء. وكيف لا يكون، وقد نبّه على ذلك باسمه "الدهر"؛ فدخل فيه كلّ ما سِوَى الله؟ فمن رأى شيئا فما رآه إلّا فيه.	فلا يرى العارف شيئا إلا فيه؛ فهو ظرف إحاطة لكلّ شيء. وكيف لا يكون، وقد نبّه على ذلك باسمه الدهر؛ فدخل فيه كلّ ما سوى الله؟ فمن رأى شيئا فما رآه فيه
١١: ١٥٠	ولهذا الذي أشرنا إليه؛ ادَّعى مَن ادَّعى من البشر والجنّ الألوهة، وقُبِل	ولهذا الذي أشرنا إليه؛ ادّعى من ادّعى من البشر والجنّ الألوهة، وقُبِل

	منهم، وعُبدوا من دون الله	منهم، وعبدوا من الله
١١: ٤٥٨	وما في العالَم لفظٌ لا يدلّ على ثناءٍ أَلْبَتَّةَ، أعني ثناءً جميلا	وما في العالم لفظٌ يدلّ على ثناءٍ ألبتة، أعني ثناء جميلا
١٢: ١٧١	ما قال بالعِلل إلّا القائل بأنّ العالَم لم يَزل	ما قال بالله إلا القائل بأنّ العالَم لم يزل
٩: ٤٩٠	الشهوة لا تكون إلّا في النفوس الطبيعيّة	الشهوة لا تكون في النفوس الطبيعية
٦: ٢١٤	وهو أن يُعبد بهذا التوحيد لسبب	وهو أن يعبد بهذا التوحيد السبب

والواقع إنّ هذا يبيّن لنا مدى التردّي النقدي الذي سلكه مناوئو الشيخ الأكبر بوجهٍ خاصّ والتصوّف بشكل عام، بلجوئهم إلى التزوير والتحريف، والابتعاد عن المصداقيّة في مناقشة الرأي الآخر، والتعصّب الأعمى لمرجعيّاتهم حتى لو صادمت الحقّ عملا بضدّ الحكمة القائلة بأنّ "العاقل هو من يعرف الرجال بالحقّ، وغير العاقل هو من يعرف الحقّ بالرجال"!!

ولنا أن نقف هنا ونتساءل:

ما عذر هؤلاء حين يُسألون يوم القيامة عن الشهادة التي وضعها الشيخ الأكبر في أعناقهم كما حمّل النبيّ هود عليه السلام قومَه المكذِّبين به شهادتَه وقال لهم: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.. وقد وضع الشيخ شهادته في عقيدته في صدر هذا الكتاب وجعلها أمانة في أعناق كلّ من قرأها، وهؤلاء منهم.. ماذا سيكون جوابهم عندئذ؟!!..

وإذا كان هؤلاء قد انتزعوا عقيدة الشيخ من الكتاب ولم ينشروها ضمن هذا الإصدار.. أليس هذا التصرف دليلا واضحا على قراءتهم لها وخوفهم من محاسبة الناس قبل محاسبة الله لهم على اجتراح مثل هذه الموبقات!! وأين سيذهبون من قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾؟!!

وما عذر هؤلاء وهم يجدون أن أكثر من ٨٪ من مادة هذا الكتاب وحده هي إمّا نصوص قرآنيّة أو أحاديث نبويّة، وبقية مادته كلها تدور في فلك هذه النصوص القرآنيّة والنبويّة.. كيف يتجرّءون على وصفها بالشرك والمروق من الدين!!..

أوليس في هذا التصـــــــرف جرأة على الله ﷻ الذي حثّ على تدبّر آيات كتابه بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، وجرأة على رســـوله المصـــطفى ﷺ القائل: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله، فإذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله».

وما عذر هؤلاء وهم يجدون أبواب فقه العبادات في الإســـلام حاضرة في هذا الكتاب الموسوعة ويخصص لها بشكل مباشر ستّة أسفار كاملة –تمثل ١٦٪ من حجم مادة الكتاب- قراءة وتحليلا واعتقادا ويثبت صحتها.. ويعتبرها المنهج الذي من حاد عنه هلك وخرج عن الملة.. كيف تسنّى لهم أن يقولوا عن مناقشة المذاهب الإسلامية وإقرار صحتها كلها أنّه كفر وضلال.. أوليس ذلك يقود أيضا إلى تكفير أئمة المذاهب الإسلامية أنفسهم!!

وما عذر هؤلاء أمام جمهور علماء الأمة من المفسّرين والمحدثين والفقهاء.. المنتمين إلى جميع المذاهب الإسلامية، سواء أولئك الذين عاش الشيخ الأكبر معهم وعاشرهم في الأندلس والمغرب العربي ومصر ومكة المكرمة والعراق والأناضول والشام أو أولئك الذين جاءوا في العصور اللاحقة، وهم الذين أشادوا بعِلم هذا العَلَم وورعه وتقواه.. وشهدوا له بالتفوّق والإمامة.. أوَليس الطعن فيه يمثل طعنا وتجريحا بهم وبعدالتهم.. وسيقود ذلك حتما إلى التجريح بكل علومهم التي تركوها لنا!!

وما عذر هؤلاء وهم يحرّفون كلام الشيخ ويستبدلونه بأقوال باطلة من لديهم ويرمون بها الشيخ الجليل، ويتهمونه لذلك بأبشع التهم لهذه الأقوال؟ أوَليست هذه الأقوال الكاذبة والافتراءات صادرةً عنهم، وبالتالي هم أصحابها وليس الشيخ الأكبر؟!! وإذا كان صاحبها يستحقّ تلك الاتهامات والأحكام التي أصدروها في حقّه؟! كيف سيكون أمرهم إذن حين تعود اتّهاماتهم وأحكامهم عليهم؟!!

وأخيرا ما عذر هؤلاء وهم يرتكبون أكبر الكبائر دون أن يستشعروا مراقبة الله لهم فيها، أو

نهي الرسول ﷺ عن أذى المؤمن ناهيك عن تكفيره.. أين سيذهبون من حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم إذ قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ -ثَلَاثًا- قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»!!

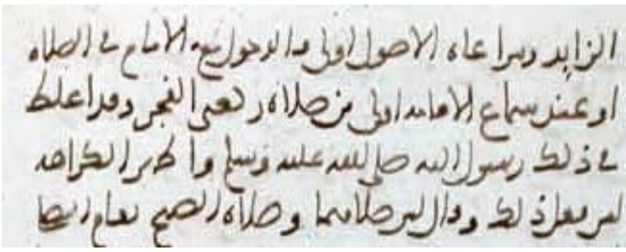
وسؤال أخير يبدو مشروعا هنا.. هل اقتصر هذا التحريف والتزوير على مؤلفات الشيخ الأكبر وحده، أم أنّه طال غيره من المؤلفين.. وإلى أي مدى وصل حجم هذا العمل الشائن.. وما هو دور المثقفين العرب والمسلمين اليوم في كشف هذه الجرائم المنكرة، ومراجعة وتصحيح هذا التراث الرائد..

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

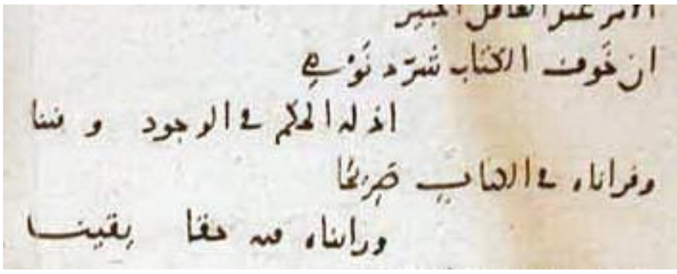
* * *

نماذج من خطّ الشيخ الأكبر تبيّن حقيقة ما كتبه

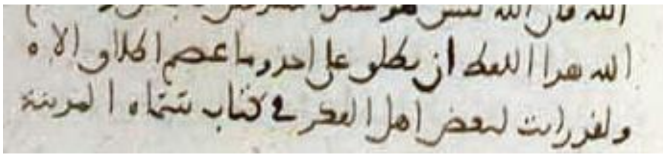
صورة ١



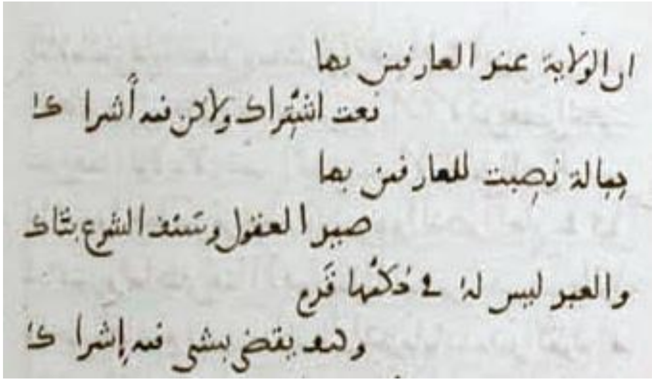
صورة ٢



صورة ٣

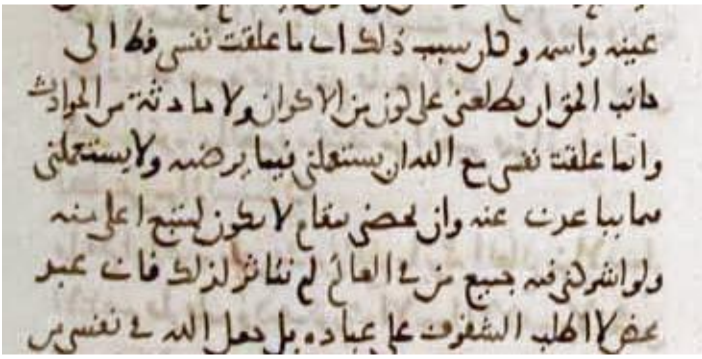


صورة ٤



ان الولاية عند العارفين بها
نعت اشتراك ولا كون فيه اشراك
حبالة نصبت للعارفين بها
صيد العقول وتنتف الشرع بتاك
والعبد ليس له في حكمها قدم
ولم يتصف بشيء فيه إشراك

صورة ٥



٤- هذا العمل

بناء على ما سبق، يتضح أنّ التحديات التي كانت أمامنا كبيرة وكثيرة.. وأهمها ما يلي:

١- أن الكتاب هو في حقيقته موسوعة متكاملة لعلم دقيق وعميق؛ كون مساحة الجزء المكنون فيه واسعة، وكثير من معارفه ودقائقه لا تُنال إلا بالكشف، وعمل التحقيق يتطلب الشروع في مهام عدة؛ مثل الترجيح، وتحديد مسمّى اللفظ في حال التصحيف الذي كثيرا ما يرد في المخطوطات، ومنها قراءة الخطوط من المخطوطات.. ومعلوم أنّ هذه الخطوط تختلف باختلاف البلاد والعصر الذي كتبت فيه، واستيعاب الموضوع حتى يسهل تنسيق الكتابة من خلال (تحديد الفقرات وفقا لبداياتها ونهاياتها، والنقاط والفواصل وعبارات الاعتراض.. الخ) ومعلوم أنّ أي خلل يحدث في ذلك يؤدي في كثير من الحالات إلى اضطراب المعني الذي أراده صاحبه.

هذه وغيرها من لوازم التحقيق تستدعي إدراكا يتناسب مع موضوعات الكتاب. فإذا أضفنا إليه أنّ مؤلفه هو الشيخ الأكبر بفتوحاته وإلهاماته وقدراته التي منحه إياها المولى ﷻ ولم يجاريه فيها أحد من ذوي الشأن.. فإن التصدّي لعمل كهذا يصير مخاطرة من الوزن الثقيل.

٢- حجم هذا الكتاب الموسوعة كبير للغاية.. فأسفاره ٣٧ سفرا، وأبوابه ٥٦٠ بابا، وصفحاته بخط الشيخ الأكبر ١٠٥٤٤ صفحة، وكلماته تزيد عن ١٧٣٥٠٠٠ كلمة. وبالتالي فإنه يتطلب وقتا وتفرّغا وإمكانيات وجهدا يزيد عن طاقة فرد واحد.. إلخ

٣- صعوبة الحصول على مخطوطات الكتاب، وفي علمنا أنّ النسخة الأصليّة المكتوبة بقلم الشيخ نفسه محفوظة في تركيا، ومن ثمّ يصير العمل عبثا إن لم يستند عليها، والحصول على صورة منها يتطلب إذنا خاصّا من رئاسة الجمهورية التركيّة كما بلغنا فيما بعد.. وليس هذا الأمر باليسير. (وكنا قد طرقنا أبواب اليونسكو وأنقرة والقاهرة ودمشق وطوكيو والإمارات.. بل وأبواب مهتمين ممن توجد صورة هذه النسخة لديهم.. إلا أنّ هذه الجهود ذهبت كلها أدراج الرياح!!)

٤- التجارب السابقة التي ذكرناها -رغم توفّر كل الإمكانيات الداعمة لها، والوقت اللازم،

والتفرغ- لم تكتمل ولم تسلم من الوقوع في آلاف الأخطاء التي لا تليق بموسوعة عظيمة كهذه.

* * *

ولكن.. لا مفرّ من قدر.. وإذا أراد الله أمرا يسّر أسبابه، وأوّل التيسير لنا كان توفُّر النيّة والعزم بضرورة معالجة تصحيح هذا الفساد الواقع، وإزالة العبث والتشويه اللامسئول، وإبراز هذا الكتاب بحلّته التي ألبسه إيّاها صاحبه كما هي، من غير زيادة أو نقصان، ورافق هذه النيّة إحساس قويّ بإمكانيّة إنجازه، وساعد على ذلك إشارات وبشارات قبل الشروع في العمل بمدة -وتعزّزت أثناءه بعد ذلك- رأيناها تدفعنا دفعا في هذا العمل.. في وقت لم يكن بأيدينا من أدواته سوى نسخة القاهرة المطبوعة.. وحينئذ فتحت الأبواب المغلقة.

فأبدى أخوان هما المهندس محمود سلطان المنصوب والأستاذ أحمد سعيد ناصر استعدادهما للعمل بتفرغ شبه كامل قرابة ثلاثة أعوام شاركاني فيها عملية المراجعة والتدقيق والفهرسة، وتكرم الشيخ الدكتور/ محمد عبد الرب النظاري بتوفير صورة من نسخة مخطوطة قونية، حصل عليها من مركز جمعة الماجد للمخطوطات في دبي، وكذا الأخ الدكتور/ محمد أبو بكر المفلحي، وزير الثقافة، قام بالتراسل مع وزارة الثقافة التركية وتأمين صورة من نسخة السليمانية.. وتوفَّر الدعم التقني من قبل العزيزين الدكتور المهندس/ سامي عبد العزيز المنصوب، والمهندس/عمر عبد العزيز المنصوب. بعد تدبير أجهزة الكمبيوتر المطلوبة ولم يبق أمامنا بعدئذ سوى الإبحار في مركب الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه، مستمدّين العون والتوفيق من الحقّ تعالى جلّت قدرته.

وفي المرحلة الأولى -التي ابتدأت في شهر رجب من عام ١٤٢٨هـ وانتهت من غير ترتيب مسبق ليلة ٢٧ رمضان من عام ١٤٢٩هـ!!- أنجزنا مهمّتين رئيسيّتين:

- إخراج أوّلي لنسخة محكمة الفقرات والجمل ومختلف علامات الضبط والترقيم.
- استكمال المقابلة والضبط وفق نسخة القاهرة.

وفي المرحلة الثانية التي انتهت آخر ليلة من شهر رمضان عام ١٤٣٠هـ!! -وكنا قد استلمنا صورتي مخطوطتي قونية والسليمانية- أنجزنا كذلك مهمّتين رئيسيتين:

أجرينا المقابلة من جديد لضبط النسخة المحقّقة وفقا لمخطوط قونية باعتبارها الأصل الذي نعمل عليه، مع الاستفادة من نسخة السليمانية ونسخة القاهرة كنسختين مساعدتين في توضيح الكلمات المصحّفة أو العبارات التي ربما تكون سقطت سهوا عند إعادة نقلها من قبل الشيخ الأكبر، أو الحلول محلّ صفحاتها المفقودة[١].

ضبط النصوص القرآنيّة وتثبيت مرجعيّتها[٢]، وكذا الأحاديث النبويّة[٣]، والنصوص الشعرية وتشكيلها. وجدولة المصطلحات الصوفية[٤] والأعلام والأماكن... الخ.

ونظرا لأنّ عملا كبيرا كهذا لن يسلم من الأخطاء بسهولة، فقد بدأنا العام الثالث بإجراء اختبار بالعيّنة لنتبيّن مدى نجاحنا في إبراز النسخة التي كتبها الشيخ الأكبر كما هي تماما.. ومن البداية ظهر لنا وجود اختلاف بمقدار كلمة واحدة في كل ألف وخمسمائة كلمة. ومع أنّ هذه النتيجة تعتبر من المعايير ذات الكفاءة العالية، إضافة إلى أنّ كلّ المؤشّرات كانت تقود إلى أنّ هذه الاختلافات الباقية ناتجة كلها عن السماع عند المقابلة بحيث يسقط أو يزيد فيها حرف من غير أن يؤثّر في المعنى من مثل: (وكان، كان) أو يحلّ حرف بدل حرف آخر، مثل: (وقال، فقال) أو أنها أخطاء مطبعيّة كأنْ يتبادل فيها حرفان موقعيهما.. وكلّها من النوع الذي لا يغيب عن فطنة القارئ. إلّا أنّا رأينا -مع ذلك- إعادة المراجعة والمقابلة لإزالة كلّ ما نعثر عليه من اختلاف عن النصّ الأصلي نظرا لأهميّة هذا الكتاب الموسوعة الذي بين أيدينا، فقد آن الأوان أن يلبس حلّته الأصلية بعيدا عن أي تشويه وتحريف.

---

(١) ولذلك لم نسجل اختلافات نسختي السليمانية والقاهرة عن نسخة قونية إلا في حالات محدودة للغاية باعتبار أنّ وجود النسخة الأصلية التي كتبها الشيخ بنفسه يغني تماما عن إضافة نسخ أخرى دخل فيها التغيير جراء أخطاء النقل المتكرر من ناقل عن ناقل، والتصحيف وخلافه، ورأينا أنّ ذلك سيبتعد بنا عن تحقيق الكتاب الأصلي إلى إدخال اجتهادات الآخرين وأخطائهم ونسبتها إلى الشيخ الأكبر.

(٢) سيلاحظ القارئ الكريم أننا أثبتنا النصوص القرآنية وفق القراءات التي وردت فيها في مواضعها.

(٣) القاعدة العامة التي اتبعناها في تخريج الأحاديث النبوية هو كتابة رقم الحديث في كتابين ورد الحديث فيهما بنفس الصيغة أو أقرب صيغة جاء فيها الحديث، وجل كتب الحديث التي رجعنا إليها هي من محتويات المكتبة الشاملة الإليكترونية.

(٤) استفدنا هنا كثيرا من كتاب الدكتورة سعاد الحكيم، الحكمة في حدود الكلمة.

وانتهت هذه المرحلة بتوفيق المولى الكريم -من غير ترتيب مسبق منّا- يوم الجمعة ١٢ ربيع الأوّل من عام ١٤٣١هـ..

وإذ تزامن هذا الإنجاز مع إعلان مدينة تريم عاصمة للثقافة الإسلامية في هذا العام ٢٠١٠م، فلم نجد عندئذ بدًّا من تسليم النسخة للطباعة ليكون عنوان وفاء تقدمه اليمن لعَلم بارز من أبنائها، كان مشعل هداية، سطع وَهَجُهُ فأنار للإنسانيّة دروبا مظلمة، ولم يخفت هذا الوهج على مدى قرون ثمانية، بل لم تزده الدهور والأزمان إلا سطوعا ولمعانا ورونقا وبَهاء.

شكر وتقدير

الشكر لله أوّلا على عونه وتوفيقه.

وثانيا يلزم الشكر:

- لكلّ من حرص على إنجاح هذا العمل ممن تقدّم ذكرهم من أعزّاء لم يتوانوا لحظة واحدة في بذل الجهد والوقت والاهتمام الذي يتطلبه.
- ولمن حضر معنا للمراجعة والمقابلة في الأوقات التي كانت تتيسّر لهم.. ومنهم: أ/ محمد عبد الله مقبل، م/ أمين المشرقي، أ/ عبد الواسع علي سعيد، أ/ حسن القاضي.والأخ أمر الله إبراهيم من تركيا لترجمته ما جاء في نسخة السليمانية من تعقيبات باللغة التركية.
- ولمن قدّم لنا الدعم المعنويّ والتشجيع، حرصا على إخراج هذا العمل إلى النور؛ وهم الشيخ عبد الغفار عبد القادر حسان، والأستاذ الدكتور/ عبد الله البار رئيس اتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيّين والأستاذ/ أحمد ناجي أحمد، مساعد الأمين العام للإتحاد، والأستاذ/ عبد الباري طاهر رئيس تحرير مجلة الحكمة، والأخ/ جمال موسى معجم.
- ولا أنسى العزيزات آمال وبشرى وليلى على عملهنّ الطيّب في الطباعة، وللعائلة المحترمة والعزيز محمد اللذين وفّرا الهدوء والخدمة المطلوبة لنا خلال مدّة العمل الطويلة.

والحمد لله ربّ العالمين

عبد العزيز سلطان المنصوب

صنعاء

١٢ربيع أول ١٤٣١هـ/٢٦ فبراير ٢٠١٠م

الجزء الأوّل من الفتح المكي[١]

السفر الأوّل من الفتوحات المكّيّة[٢]

(١) العنوان في ص ٢ب

(٢) تلا العنوان عبارة بقلم محمد بن إسحق القونوي: "إنشاء مولانا وسيدنا شيخ الإسلام، صفوة الأنام، إمام الأمة، قدوة الأئمة، سلطان المحققين، وارث الأنبياء والمرسلين، محيي الملة والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي، رضي الله عنه وأرضاه به منه.
ثم بخط الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه" وبجانب هذه العبارة، عبارة تعريفية بقلم محمد بن إسحق القونوي: "هذا السطر هو بخط شيخنا رضي الله عنه".
يلي ذلك: "رواية مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي سماعا عليه عنه. كتبه محمد بن إسحق بن محمد، حامد الله".
يلي ذلك: "انتقل هذا السفر وسائر الكتاب من منشيه شيخ الإسلام، أيده الله تعالى، بحكم الإنعام إلى خادمه وربيب نظره محمد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرب إليه بالشيخ نفعه الله، في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة".
ثم ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥١
يليه: "وقف هذا الكتاب من أوله إلى آخره وهو سبع وثلاثون سفرا صاحبه ومالكه الشيخ الإمام العالم الراسخ قدوة أكابر المحققين صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد-رضي الله عنه وعن سلفه- على دار الكتب المنشأة عند قبره، لينتفع به سائر المسلمين في موضعه، وشرط أن لا يخرج منها... لا برهن ولا بغيره. فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم".
تلى ذلك كتابة باللغة التركية مؤرخة سنة ١٢٧٤. وفي الصفحة السابقة وهي ص ١ب طابع دمغة يحمل رقم ١٨٤٥، وطابع آخر يحمل رقم ١٧٥١، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٣٠٤ صحيفة.

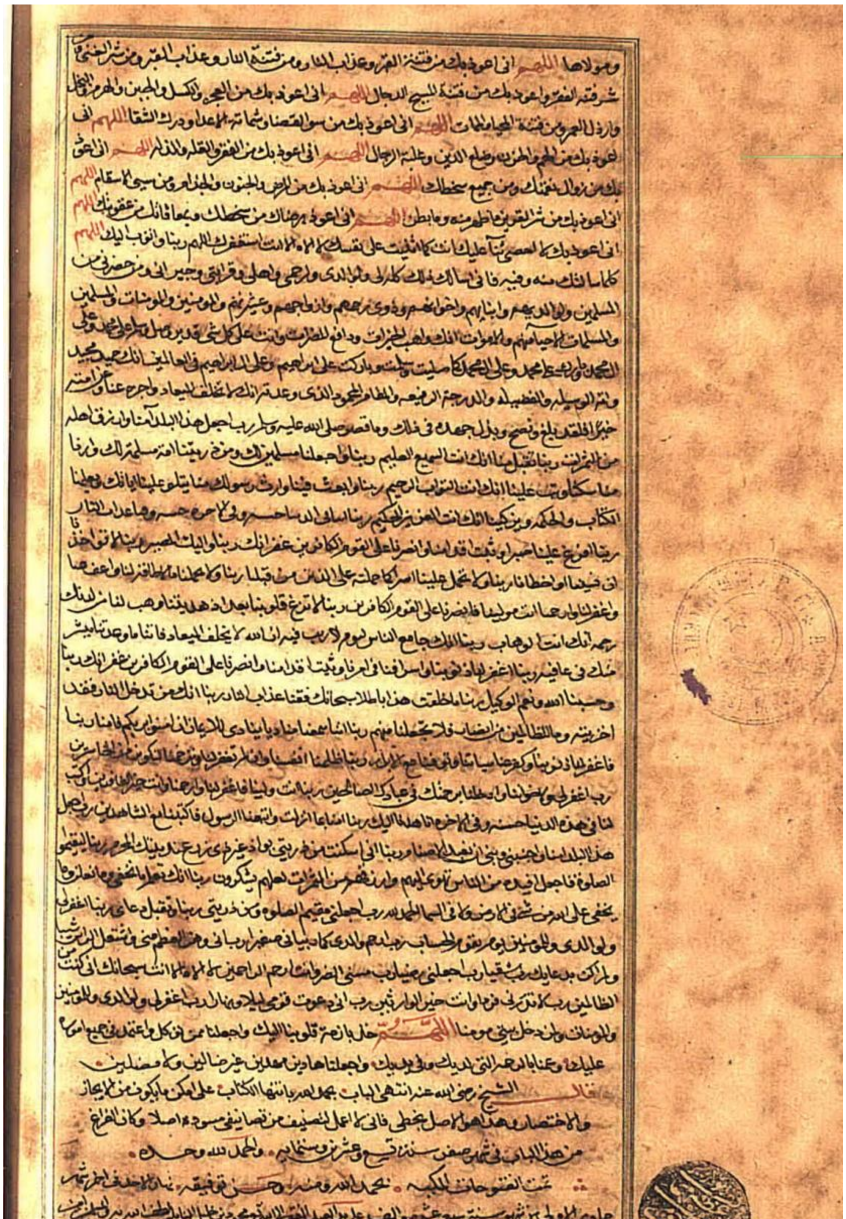
رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾	آيات قرآنيّة
« »	حديث شريف
( )	إضافات أدخلت على الأصل
ق	نسخة قونية
س	نسخة السليمانيّة
هـ	نسخة القاهرة

- إذا جاء التعبير في الحاشية من غير تحديد نسخة فالمقصود به نسخة قونية باعتبارها الأصل.
- عندما تقتصر الحاشية على تعبير مثل: (ص ١) أو (ص ١ب) مثلا، فذلك يعني أنّ الكلمة التي تدلّ عليها هذه الحاشية هي الكلمة الأولى في ص ١ في مخطوط قونية (جهة اليمين) أو (جهة اليسار) على التوالي.



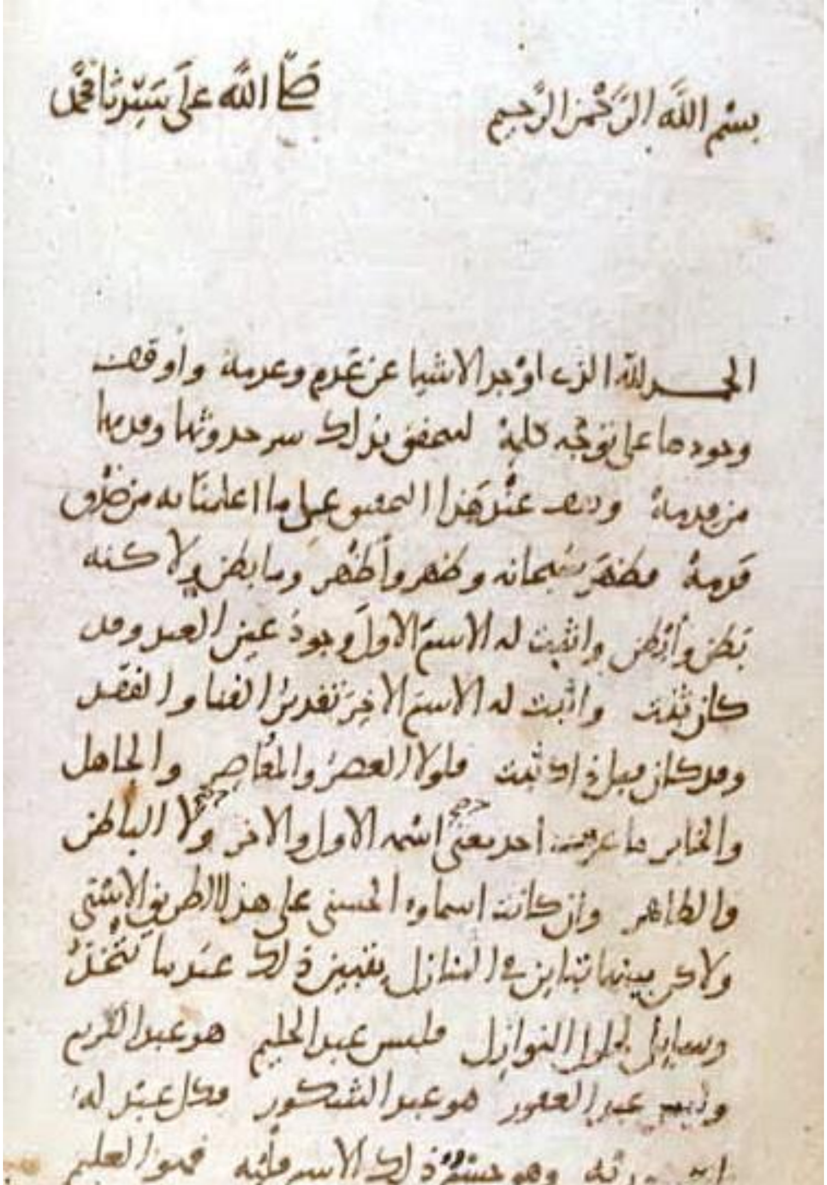
الصفحة الثانية من مخطوط السليمانية



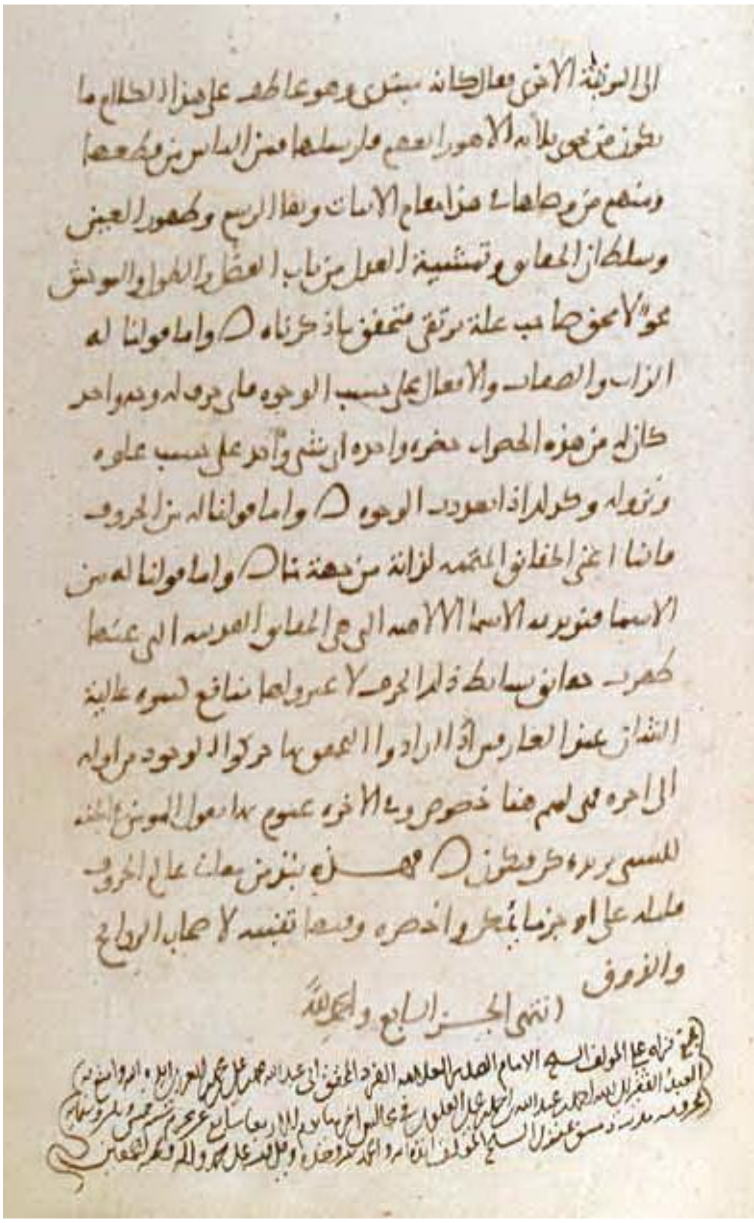
الصورة الأخيرة من مخطوط السليمانية


السفر الأول من الفتوحات المكية

الصفحة الثانية من مخطوط قونية


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه وأوقف
وجودها على توجه كلمة لنتحقق بذلك سر حدوثها وقدمها
من قدمه [illegible] عند هذا التحقق على ما أعلمنا به من طرق
قدمه فظهر سبحانه وظهر وأظهر وما بطن ولكنه
بطن وأبطن وأثبت له الاسم الأول وجود عين العبد وقد
كان ثبت وأثبت له الاسم الآخر بتقدير الفناء والفقد
وقد كان [illegible] ثبت فلولا العبد والعاصي والجاهل
والعالم ما عرف أحد معنى اسمه الأول والآخر ولا الباطن
والظاهر وإن كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق [illegible]
ولكن بينهما تباين في المنازل [illegible] ذلك عند ما [illegible]
وسائل [illegible] النوازل فليس عبد الحليم هو عبد الكريم
وليس عبد الغفور هو عبد الشكور فكل عبد له
اسم [illegible] وهو [illegible] ذلك الاسم [illegible] [illegible] العليم

الصفحة الثالثة من مخطوط قونية



الصفحة الأخيرة في السفر الأول من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

صلّى الله على سيّدنا محمد

(خطبة الكتاب)[٢]:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عَدَمٍ وعَدَمِه. وأوقف وجودها على توجُّه كَلِمِه. لنتحقّق بذلك سِرَّ حدوثها وقِدَمها مِن قِدمه. ونقف عند هذا التحقيق على ما أعلَمنا به من صدق قَدمه.

فظهر -سبحانه- وظهر وأظهر. وما بطن، ولكنّه بطن وأبطن. وأَثبت له الاسمَ الأوّلَ وجودُ عين العبد، وقد كان ثبت. وأثبت له الاسمَ الآخرَ تقديرُ الفناء والفقد، وقد كان قبل ذاك ثبت.

فلولا العصرُ والمُعاصِر، والجاهل والخابر، ما عرف أحد معنى اسمه الأوّل والآخِر، ولا الباطن والظاهر. وإن كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق الأسنى، ولكن بينها تباين في المنازل، يتبيّن ذلك عندما تتّخذ وسائل لحلول النوازل. فليس عبد الحليم هو عبد الكريم، وليس عبد الغفور هو عبد الشكور. فكلُّ عبد له اسم هو ربُّه، وهو جسمٌ، ذلك الاسم قلبُه.

فهو العليم -سبحانه-[٣] الذي عَلِم وعلَّم، والحاكم الذي حَكَم وحَكَّم، والقاهر الذي قهر وأقهر، والقادر الذي قدَّر وكَسَّب ولم يَقدِر.

(وهو) الباقي الذي لم تقم به صفة البقاء، والمقدَّس عند[٤] المشاهدة، عن المواجهة والتلقاء. بل العبد في ذلك الموطن الأنزه لاحِقٌ بالتنزيه لا أنّه ﷻ في ذلك المقام الأَنْوَه[٥] يلحقه التشبيه. فتزول من العبد، في تلك الحضرة[٦]، الجهات وينعدم، عند قيام النظرة به، منه الالتفات.

أحمده حمد من علم أنّه -سبحانه- علا في صفاته وعلّى، وجلَّ في ذاته وجلَّى، وأنّ حجاب العزّة، دون سبحاته، مُسْدَل، وباب الوقوف على معرفة ذاته مُقْفَل. إن خاطب عبدَه: فهو المسمع السميع، وإن فعَل ما أمر بفعله: فهو المطاع المطيع.

---

(١) البسملة ص ٣

(٢) أشار المؤلف إلى هذا العنوان في ختام الخطبة.

(٣) ص ٣ب

(٤) ق: كتب مقابلها في الحاشية: "في" وفوق كل منهما "صح، خ (يعني أخرى).

(٥) الأنوه: الأبرز والأظهر.

(٦) "في تلك الحضرة" كتب بجانبها في الهامش: "في ذلك المقام الأنزه" وبجانبه "صح" وحرف "خ" إشارة إلى أنه النص ثابت في نسخة أخرى، مع تثبيت الألفاظ الجديدة حيث كتب بجانبها لفظ "صح".

ولَمّا حيّرتني هذه الحقيقة، أنشدتُ على حكم الطريقة الخليقة:

الرَّبُّ حَقٌّ والعَبْـدُ حَقٌّ	يا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ المُكَلَّفْ؟
إنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ	أَوْ قُلْـتَ رَبٌّ أَنَّى يُكَلَّفْ؟

فهو -سبحانه- يطيع نفسه، إذا شاء، بخلقه، وينصف نفسه مما تعيّن عليه من واجب حقّه. فليس إلّا أشباح خالية، على[1] عروشها خاوية. وفي ترجيع الصدى، سرُّ ما أشرنا إليه لمن اهتدى.

وأشكره شكر مَن تَحقَّق أنّ بالتكليف ظهر الاسم المعبود. وبوجود حقيقة "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" ظهرت حقيقة الجود. وإلّا، فإذا جعلتَ الجنّةَ جزاء لما عملتَ، فأين الجود الإلهيّ الذي عقلتَ؟ فأنت، عن العلم بأنّك لذاتك، موهوب، وعن العلم بأصل نفسك، محجوب. فإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس لك، فكيف ترى عملك؟

فاترك الأشياء وخالقها، والمرزوقات ورازقها. فهو الواهب -سبحانه- الذي لا يَملُّ، والملك الذي عزّ سلطانه وجلّ، اللطيف بعباده الخبير، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

* * *

والصلاة على سرّ العالَم ونكتتِه، ومطلب العالِم وبُغيتِه. السيّد الصادق. المدْلج إلى ربّه، الطارق. المختَرَق به السبع الطرائق. ليريَه مَن أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق. الذي شاهدتُه عند إنشائي هذه الخطبة، في عالَم حقائق المثال، في حضرة الجلال، مكاشفةً قلبيّة في حضرة غيبيّة.

ولَمّا شهدته ﷺ[3]، سيّدا معصوم المقاصد[4]، محفوظ المشاهد، منصورا، مؤيّدا. وجميع الرسل، بين يديه مصطفّون، وأُمّته التي هي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[5] عليه ملتفّون، وملائكة التسخير، من حول عرش مقامه، حافّون، والملائكة المولّدة من الأعمال، بين يديه صافّون.

---

(١) ص ٤
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) أضيف في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب وحرف خ: "في ذلك العالم" ولم ترد في س، ووردت في هـ
(٤) ص ٤ب، وبدءا من هنا نجد الكتابة بخط حديث استغرق ٤ صفحات انتهت ص ٦ بسبب تلف يبدو أنه أصاب هذه الصفحات.
(٥) [آل عمران: ١١٠]

و"الصِّدِّيق"[١] على يمينه الأنفَس. و"الفاروق" على يساره الأقدس. والختم بين يديه قد جثى، يخبره بحديث الأنثى. و"عليٌّ" ﷺ[٢] يترجم عن الختم بلسانه. و"ذو النورين" مشتمل برداء حيائه، مقبلٌ على شأنه.

فالتفتَ السيّد الأعلى، والمورد العذب الأحلى، والنور الأكشف الأجلى. فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحكم. فقال له السيّد: "هذا عديلك وابنك وخليلك؛ انصِب له منبر الطَّرْفاء[٣] بين يديّ". ثمّ أشار إليّ: "أن قم -يا محمد- عليه، فأَثْنِ على من أرسلني وعَلَيّ. فإنّ فيك شعرةً مِنّي، لا صبر لها عنّي. هي السلطانة في ذاتيّتك، فلا ترجع إليّ إلّا بكلّيّتك. ولا بدّ لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنّها ليست من عالَم الشقاء. فما كان منّي، بعد بعثي، شيء في شيء إلّا سَعِد، وكان ممن شكر في الملأ الأعلى وحمد".

فنَصَبَ الختمُ المنبرَ، في ذلك المشهد الأخطر. وعلى جبهة المنبر مكتوب[٤] بالنور الأزهر: "هذا هو المقام المحمّديّ الأطهر، مَن رقى فيه فقد ورثه، وأرسله الحقّ حافظا لحرمة الشريعة وبَعَثَه". ووُهِبْتُ، في ذلك الوقت، مواهب الحِكَم، حتى كأنّي "أُوتيتُ جوامع الكِلَم". فشكرتُ الله ﷻ وصعِدت أعلاه. وحصلت في موضع وقوفه ﷺ ومستواه.

وبُسِطَ لي على الدرجة التي أنا فيها كُمُّ قميص أبيض، فوقفتُ عليه، حتى لا أباشر الموضع الذي باشره ﷺ بقدميه، تنزيها له وتشريفا، وتنبيها لنا وتعريفا: أنّ المقام الذي شاهده من ربّه، لا يشاهده الورثة إلّا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف، وعرفنا ما عرف.

ألا ترى مَن تقفو أثره لِتعلم خبرَه؟ (فأنت) لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه، ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه. فإنّه شاهَدَ مَثلا، ترابا مستويا، لا صفة له، فمشى عليه، وأنت، على أثره، لا تشاهد إلّا أثر قدميه. وهنا سِرٌّ خفيٌّ، إن بحثتَ عليه وصلتَ إليه: وهو من أجل أنّه إمام -وقد حصل له الأمام- لا يشاهِد أثرا ولا يعرفه: فقد كشفتَ ما لا يكشفه. وهذا المقام قد ظهر في إنكار موسى -صلّى الله على سيّدنا وعليه- على الخضر.

فلمّا وقفتُ ذلك الموقف الأسنى، بين يدي من كان من ربّه في ليلة إسرائه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ

---

(١) الصِّدِّيق، والفاروق، وذو النورين هم: الخلفاء أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.
(٢) س: "عليه السلام"
(٣) الطرفاء: نوع من الشجر ومنه الأثل.
(٤) ص ٥

أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾[1] قمت مُقْنِعا خَجِلا، ثُمّ أُيِّدْتُ بروح القدس فافتتحتُ مرتجِلا:

يا[2] مُـنْزِلَ الآيَاتِ والأَنْبَـاءِ	أَنْزِلْ عَلَيَّ مَعَالِمَ الأَسْمَاءِ
حَتَّى أَكُونَ لِحَمْدِ ذَاتِكَ جامِعًا	بِمَحَامِدِ السَّـرَّاءِ والضَّـرّاءِ

ثمّ أشرت إليه ﷺ:

وَيَكُونُ هَذَا السَّـيِّدُ العَلَمُ الَّذِي	جَـرَّدْتَـهُ مِـنْ دَوْرَةِ الخُـلَـفَـاءِ
وَجَعَلْتَهُ الأَصْـــلَ الكَرِيْمَ وآدَمٌ	مـا بَيْنَ "طِيْنَـةِ خَلْقِهِ والمَـاءِ"
ونَقَلْتَهُ حَتَّى اسْـتَـدَارَ زَمَـانُهُ	وَعَطَفْـتَ آخِرَهُ عَلَى الإِبْـدَاءِ
وأَقَمْتَهُ عَبْدًا ذَلِيْلًا خاضِــعًا	دَهْرًا يُنَـاجِيْكُمْ بِغَـارِ حِرَاءِ
حَتَّى أَتاهُ مُبَشِّـــــرًا مِنْ عِنْدِكُمْ	جِبْرِيْـلُ المَخْصُـــوصُ بِالإِنْبَـاءِ
قالَ: "السَّلامُ عَلَيْكَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ	سِرُّ العِبَـادِ وَخَـاتَمُ النُّبَئَـاءِ"
يا سَيِّدِي؛ حَقًّا أَقُولُ؟ فَقالَ لِي:	"صِدْقًا نَطَقْتَ فَأَنْتَ ظِلُّ رِدَائِي
فاحْمَدْ وَزِدْ فِي حَمْدِ رَبِّكَ جاهِدًا	فَلَقَدْ وُهِبْتَ حَقائِقَ الأَشْـيَاءِ
وانْثُرْ لَنَا مِنْ شَأْنِ رَبِّكَ مَا انْجَلَى	لِفُؤَادِكَ المَحْفُوظِ فِي الظَّلْمَـاءِ
مِـنْ كُلِّ حـقٍّ قَـائِمٍ بِحَقِيْقَـةٍ	يَـأْتِيْـكَ مَمْلُوكًا بِغَيْرِ شِرَاءِ"

ثمّ شرعتُ في الكلام، بلسان العلّام. فقلت، وأشرت إليه ﷺ: حمِدتُ مَن أنزلَ عليك الكتاب المكنون، الذي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[3]، المنزل بحسن شيمك، وتنزيهك عن الآفات وتقديسك. فقال في سورة "نون": ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[4]. نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ. مَآ أَنتَ

(١) [النجم: ٩]
(٢) ص ٥ب
(٣) [الواقعة: ٧٩]
(٤) البسملة ثابتة في الهامش

بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ. وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ. فَسَتُبۡصِرُ[1] وَيُبۡصِرُونَ﴾[2].

ثمّ غمس قلم الإرادة في مداد العلم، وخَطَّ بيمين القدرة، في اللوح المحفوظ المصون، كلّ ما كان، وما هو كائن، وسيكون، وما لا يكون، ممّا لو شاء -وهو لا يشاء- أن يكون، لكان كيف يكون: من قدره المعلوم الموزون، وعلمه الكريم المخزون. فـ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3] ذلك الله الواحد الأحد. فتعالى عمّا أشرك به المشركون.

فكان أوّل اسم كتبه ذلك القلم الأسمى، دون غيره من الأسماء: إنّي أريد أن أخلق من أجلك -يا محمّد- العالَم الذي هو مُلكك. فأخلق جوهرة الماء. فخلقتها دون حجاب العزّة الأحمى. وأنا على ما كنت عليه -ولا شيء معي- في عما. فخلق الماء -سبحانه- بردة جامدة، كالجوهرة في الاستدارة والبياض. وأودع فيها بالقوّة ذوات الأجسام وذوات الأعراض.

ثمّ خلق العرش واستوى عليه[4] اسم[5] الرحمن. ونصب الكرسيّ، وتدلّت إليه القدمان. فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة، فذابت حياء، وتحلّلت أجزاؤها فسالت ماء. وكان عرشه على ذلك الماء، قبل وجود الأرض والسماء. وليس في الوجود، إذ ذاك، إلّا حقائق المستوى عليه والمستوي والاستواء. فأرسل النفَس، فتموّج الماء من زعزعه وأزبد، وصوّت بحمد الحمد[6] المحمود الحقّ، عندما ضرب بساحل العرش، فاهتزّ الساق وقال له: "أنا أحمد" فخجل الماء، ورجع القهقرى يريد ثبجه، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه. فهو مخضةُ ذلك الماء، الحاوي على أكثر الأشياء.

فأنشأ -سبحانه- من ذلك الزبد، الأرضَ، مستديرة النشء، مدحيّة الطول والعرض. ثمّ أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها. ففتق فيه السماوات العلى، وجعله محلّ الأنوار ومنازل الملأ الأعلى. وقابل بنجومها المزيّنة لها النيّرات، ما زيّن به الأرض من أزهار النبات.

وتفرّد -تعالى- لآدم وولديه، بذاته -جلّت عن التشبيه- ويديه. فأقام نشأة جسده، وسوّاها

---

(١) ص ٦

(٢) [القلم: ١-٥]

(٣) [الصافات: ١٨٠]

(٤) ص ٦ب، من هنا تعود الكتابة بخط الشيخ المؤلف.

(٥) كانت في ق: "اسمه" وصححت بجانبها بخط الأصل: "اسم".

(٦) ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

تسويتين: تسوية انقضاء أمده، و(تسوية) قبول أبده. وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود، وأخفى عينها، ثمّ نبّه عباده عليها بقوله -تعالى-: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[1] فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ "الدار الحيوان" مارت[2] قبّة السماء، وانشقّت، فكانت شعلة نار سيّال كالدهان.

فمن فهم حقائق الإضافات، عرف ما ذكرنا له من الإشارات. فيعلم قطعا أنّ "قبّةً" لا تقوم من غير "عمد"، كما لا يكون والدٌ من غير أن يكون له ولد. فالعَمَد هو المعنى الماسك، فإن لم ترد أن يكون (هو) "الإنسان" فاجعله "قدرة المالك". فتبيّن أنّه لا بدّ من ماسك يمسكها. وهي مملكة؛ فلا بدّ لها من مالك يملكها. ومَن مُسِكَتْ من أجله فهو ماسكها، ومَن وُجدت له[3] فهو مالكها.

ولَمّا أَبصرتْ حقائقُ السعداء والأشقياء، عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود -وهي حالة الإنشاء-، حُسْنَ النهاية؛ بعين الموافقة والهداية، وَسُوءَ الغاية؛ بعين المخالفة والغواية، سارعت السعيدة إلى الوجود، وظهر من الشقيّة التثبُّطُ والإباية. ولهذا أخبر الحقّ عن حالة السعداء فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[4] يشير إلى تلك السرعة (الوجوديّة). وقال في الأشقياء: ﴿فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾[5] يشير إلى تلك الرجعة (العدميّة). فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد ما ظهر في هذا العالَم سالكُ غَيٍّ ولا رشاد. ولتلك السرعة و(ذلك) التثبّط أَخبرتَنا -صلّى الله عليك: «أنّ رحمةَ الله سبقَتْ غضبَه»[6].. هكذا نَسَبَ الراوي إليك.

ثمّ أنشأ -سبحانه- الحقائق على عدد أسماء حقّه، وأظهر[7] ملائكة التسخير على عدد خلقه. فجعل لكلّ حقيقة اسمًا من أسمائه؛ تَعبُده وتَعلمُه، وجعل لكلّ سِرِّ حقيقةٍ ملكًا، يخدُمه ويَلْزَمُه. فمن الحقائق مَن حجبته رؤيةُ نفسه عن اسمه، فخرج عن تكليفه وحُكمه، فكان له من الجاحدين.

---

(١) [الرعد: ٢]
(٢) ص ٧
(٣) ق: "بسببه" وعليها إشارة استبدال وفي الهامش: "له" بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٤) [المؤمنون: ٦١]
(٥) [التوبة: ٤٦]
(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٩٠١١، مصنف عبد الرزاق ٢٨٩٨
(٧) ص ٧ب

ومنهم من ثبّت اللهُ أقدامه، واتّخذ اسمه إمامه، وحقَّق بينه وبينه العلامة، وجعله أمامه؛ فكان له من الساجدين.

ثمّ استخرج من الأب الأوّل أنوار الأقطاب شموسا، تسبح في أفلاك المقامات. واستخرج أنوار النجباء نجوما، تسبح في أفلاك الكرامات. وثبّت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان، فانحفظ بهم الثقلان. فأزالوا مَيْدَ الأرض وحركتها، فسكنتْ، فازّينتْ بحليّ أزهارها وحُلل نباتها، وأخرجتْ بركتها، فتنعّمتْ أبصارُ الخلق بمنظرها البهيّ، ومشامّهم بريحها العطريّ، وأحناكهم بمطعومها الشهيّ. ثمّ أرسل الأبدال السبعة، إرسال حكيم عليم، ملوكا على السبعة الأقاليم، لكلّ بدلٍ إقليمٌ. ووَزَرَ للقطب الإمامين، وجعلهما إمامين[1] على الزمامين.

فلمّا أنشأ العالَم على غاية الإتقان، ولم يبق أبدع منه -كما قال أبو حامد[2]- في الإمكان، وأَبْرَزَ جسدَك -صلّى الله عليك- للعِيَان، أَخْبَرَ عنك الراوي أنّك قلت يوما في مجلسك: «إنّ الله كان ولا شيء معه[3]»[4] بل هو على ما عليه كان. وهكذا هي -صلّى الله عليك- حقائقُ الأكوان. فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق إلّا بكونها سابقة، وهُنَّ لواحق. إذ مَن ليس مع شيء، فليس معه شيء. ولو خرجت الحقائق (في العين) على غير ما كانت عليه في العلم، لا مّازَتْ[5] عن الحقيقة المنزّهة بهذا الحكم.

فالحقائق الآن في الحكم (=في العين)، على ما كانت عليه في العِلم. فلنقل: كانت ولا شيء معها في[6] وجودها، وهي الآن على ما كانت عليه في علم معبودها. فقد شمل هذا الخبر، الذي

---

(١) كتب فوقها "صح" وحرف خ، وفي الهامش: "أمينين" وفوقها حرف خ.

(٢) أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ): من طوس، تفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رءوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رءوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه، قال ابن الجوزي: وكتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب.... قال ابن الجوزي: ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرّس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطا واتخذ دارا حسنة، وغرس فيها بستانا أنيقا، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة، ودفن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال: أوصني، فقال: عليك بالإخلاص، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله. (البداية والنهاية [١٢/ ٢١٤])

(٣) ص ٨

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤

(٥) س: لا امتازت.

(٦) ق: "من" وصححت بقلم الأصل: "في".

أطلق على الحقّ، جميع الخلق. ولا تعترض بتعدُّد الأسباب والمسبَّبات، فإنّها تَرُدُّ عليك بوجود الأسماء والصفات، وأنّ المعاني التي تدلّ عليها مختلفات. فلولا ما بين البداية والنهاية سببٌ رابط، وكسبٌ صحيح ضابط، ما عُرِف كلّ واحد منهما بالآخَر، ولا قيل: على حكم الأوّل يثبت(١) الآخر. وليس إلّا الربّ والعبد وكفى. وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود، وشِفا. ألا ترى أنّ الخاتمة عينُ السابقة؟ وهي كلمة، واجبة، صادقة. فما للإنسان يتجاهل ويعمى، ويمشي في دُجُنَّةٍ ظلماء، حيث لا ظلّ ولا ماء؟

وإنّ أَحَقَّ ما سُمِع من النبأ، وأتى به هدهدُ الفهم من سبأ، وجود الفلَك المحيط، الموجود في العالَم المركّب والبسيط المسمّى بالهباء، وأشبهُ شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه(٢). ولَمّا كان هذا الفلَك أصل الوجود، وتجلّى له اسمه النور من حضرة الجود، كان الظهور. وقَبِلَتْ صورتُك -صلّى الله عليك- من ذلك الفلَك، أَوّلَ فيض ذلك النور. فظهرت صورة مِثليّة: مشاهدها عينيّة، ومشاربها غيبيّة، وجَنّتها عدْنيّة، ومعارفها قلَميّة، وعلومها يمينيّة، وأسرارها مداديّة، وأرواحها لوحيّة، وطينتها آدميّة.

فأنت أبٌ لنا في الروحانيّة، كما كان -وأشرتُ إلى آدم -صلّى الله عليه، في ذلك الجمع- أَبًا لنا في الجسميّة. والعناصر له أُمٌّ ووالد، كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد. فلا يكون أمر إلّا عن أمرين، ولا نتيجة إلّا عن مقدّمتين. أليس وجودك عن الحقّ -سبحانه- وكونه قادرا، موقوفا؟ وإحكامك عليه، من كونه عالِمًا، موصوفا؟ واختصاصك بأمر دون غيره، مع جوازه عليك، عليه من كونه مريدا، معروفا؟

فلا يصحّ وجود المعدوم عن وحيد العين، فإنّه من أين يعقل "الأين"؟ فلا بدّ أن تكون ذاتُ الشيء أَيْنًا لأمرٍ مّا، لا يعرفه مَن أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى. وفي معرفة الصفة والموصوف، تتبيّن حقيقة "الأين" المعروف. وإلّا، فكيف تَسأل -صلّى الله عليك- بـ"أين"(٣)، وتقبل من المسئول "فاء الظرف" ثمّ تشهد له بالإيمان(٤) الصرف؟ وشهادتك حقيقة لا مجاز، ووجوب لا جواز. فلولا معرفتك -صلّى الله عليك- بحقيقةٍ مّا؛ ما قَبِلْتَ قولَها -مع كونها خرساء:

---

(١) ق، س: "يأتي" وصحح في هامش ق: "يثبت"
(٢) ص ٨ب
(٣) يشير هنا إلى سؤاله (ص) الأمة السوداء: أين ربك؟ فردت: في السماء.
(٤) ص ٩

في السماء.

ثمّ بعد أن أَوجدَ (اللهُ) العوالمَ اللطيفة والكثيفة، ومهّد المملكة، وهيّأ المرتبة الشــريفة، أنزل في أوّل دورة العذراء الخليفة. ولذلك جعل -سبحانه- مدّتنا[١] في الدنيا سبع آلاف سنة، وتَحِلّ بنا في آخرها حال فناء، بين نوم وسِـنة. فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق، وتغلب فيه الحقائق الطيّارة على جميع الحقائق. فترجع الدولة للأرواح، وخليفتها في ذلك الوقت، طائر له ســـتمائة جناح. وترى الأشــباح في حكم التبَع للأرواح. فيتحوّل الإنســان في أيّ صــورة شــاء، لحقيقةٍ صحّت له عند البعث من القبور في الإنشاء. وذلك موقوف على "سوق الجنّة"، سوق اللطائف والمنّة.

فانظروا -رحمكم الله- وأشرتُ إلى آدم، في الزُّمُرّدة البيضاء قد أودعها الرحمن في أوّل الآباء. وانظروا إلى النور المبين، وأشرتُ[٢] إلى الأب الثاني الذي سمّانا مسلمين[٣]. وانظروا إلى اللُّجَيْن الأخلص، وأشرتُ إلى من أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، كما جاء به النصّ[٤]. وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتــة النفس، وأشرتُ إلى مَن بِيع بثمن بخس[٥]. وانظروا إلى حمرة[٦] الإبريز، وأشرت إلى الخليفة العزيز[٧]. وانظروا إلى نور الياقوتة الصـــفراء في الظلام، وأشرت إلى من فُضّل بالكلام[٨].

فمن سعى إلى هذه الأنوار، حتى وصل إلى ما تكشفه لك طريقها من الأسرار، فقد عرف المرتبةَ التي لها وُجِد، وصحّ له المقام الإلي، وله سجد. فهو الربّ والمربوب والمحبّ والمحبوب.

أُنْظُرْ إِلَى بدْءِ الوُجُودِ وَكُنْ بِهِ فَطِنًا تَرَ الجُودَ القَدِيْمَ المُحْدَثا
فالشّـَيْءُ مِثْلُ الشّـَيْءِ إِلَّا أَنَّهُ أَبْدَاهُ فِي عَيْنِ العَوَالِمِ مُحْدَثا
إِنْ أَقْسَـــمَ الرَّائِي بِأَنَّ وُجُودَهُ أَزَلًا فَبَرٌّ صـــادِقٌ لَنْ يَحْنَثَا

(١) مكتوب بجانبها بخط قريب من الأصل: "مدتها" وبجانبها "صح، خ"
(٢) لفظ "وأشرت" مكتوب في الهامش
(٣) هو سيدنا إبراهيم عليه السلام.
(٤) سيدنا عيسى عليه السلام.
(٥) سيدنا يوسف عليه السلام.
(٦) ص ٩ب
(٧) سيدنا داود عليه السلام.
(٨) سيدنا موسى عليه السلام.

أَوْ أَقْسَـــمَ الرَّائِي بِأَنَّ وُجُودَهُ   عَنْ فَقْدِهِ أَحْرَى وَكانَ مُثَلِّثَا

ثمّ أظهرتُ أسرارا، وقصصتُ أخبارا، لا يسع الوقت إيرادها، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها. فتركتها موقوفة على رأس مهيعها، خوفا من وضع الحكمة في غير موضعها.

ثمّ رُدِدْتُ من ذلك المشهد النوميّ العليّ، إلى العالَم السفليّ. فجعلت ذلك الحمد المقدّس خطبة الكتاب، وأخذت في تتميم صدره. ثمّ أشرع بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب. والحمد لله الغنيّ الوهّاب.

هذه رسالة كتبت بها

أمّا بعد فإنّه:

لَمّـا[١] انْتَهَى لِلْكَعْبَـةِ الحَسْـنَـاءِ ... جِسْـمِي وَحَصَّـلَ رُتْبَةَ الأُمَنَاءِ

وَسَـعَى وَطَـافَ وَثُمَّ عِنْـدَ مَقَـامِهَا ... صَـلَّى وَأَثْبَتَـهُ مِنَ العُـتَقَـاءِ

مَنْ قَـالَ هَـذَا الفِعْـلُ فَرْضٌ واجِـبٌ ... ذَاكَ المـؤَمَّـلُ خـاتَمُ النُّـبَـئَـاءِ

وَرَأَى بِهَـا المَـلَأُ الـكَـرِيْمَ وآدَمًـا ... قَـلْبِي، فَكَانَ لَـهُمْ مِنَ القُـرَنَاءِ

ولآدَمٍ وَلَدًا تَـقِـيًّـا طَـائِـعًـا ... ضَخْمَ الدَّسِـيْعَـةِ أَكْرَمَ الكُرَمَـاءِ

والـكُلُّ بِالـبَـيْـتِ المُكَـرَّمِ طائِـفٌ ... وَقَـدِ اخْتَفَى فِي الحُلَّةِ السَّـوْدَاءِ

يُـرْخِي ذَلاذِلَ بُـرْدِهِ لِـيُرِيْـكَ فِي ... ذَاكَ الـتَّـبَـخْـتُرِ نَخْـوَةَ الخُـيَـلاءِ

وأَبِي[٢] عَـلَى المَلأ الـكَـرِيْمِ مُـقَـدَّمٌ ... يَمْشِـيْ بِأَضْعَفِ مَشْـيَةِ الزُّمَنَاءِ

والعَـبْـدُ بَيْنَ يَـدَيْ أَبِـيْـهِ مُـطَـرِّقٌ ... فِعْـلَ الأَدِيْـبِ وَجِبْرَئِـيـلُ إِزَائِي

يُبْـدِي المَعَـالِمَ والمَنَاسِـكَ خِـدْمَـةً ... لأَبِي لِـيُـورِثَهـا إِلَى الأَبْـنَـاءِ

فَعَجِبْـتُ مِنْهُمْ كَيْفَ قَـالَ جَمِيْعُهُمْ[٣] ... بِفَسَـادِ وَالِدِنا وَسَـفْـكِ دِمـاءِ

إِذْ كانَ يَحْجُبُهُمْ بِظُلْـمَـةِ طِيْـنِـهِ ... عَمَّـا حَوَتْـهُ مِنْ سَـنَـا الأَسْمَـاءِ

وَبَـدَا بِـنُـورٍ لَـيْـسَ فِـيْـهِ[٤] غَـيرهُ ... لَـكِـنَّهُمْ فِـيْـهِ مِـنَ الشُّـهَـدَاءِ

أَنْ كانَ وَالِدُنَا مَـحَـلًّا جـامِـعًـا ... لِـلْأَوْلِـيَـاءِ مَـعًـا وَلِـلأَعْـدَاءِ

وَرَأَى المُـوَيْـهَـةَ والـنُّـوَيْـرَةَ[٥] جـاءَتا ... كَرْهًـا بِغَيْرِ هَوًى وَغَيْرِ صَـفَـاءِ

فَبِنَفْسِ مـا قـامَـتْ بِـهِ أَضْـدَادُهُ ... حَـكَمُوا عَلَيْـهِ بِغـلْـظَـةٍ وبَـذَاءِ

وأَتَى يَـقُـولُ: أَنَا المُسَـبِّحُ والَّذِي ... ما زَالَ يَحْمَدُكُمْ صَـبـاحَ مَسَـاءِ

---

(١) ص ١٠

(٢) يقصد به أبو البشر آدم عليه السلام.

(٣) هم الملائكة الذين قالوا لله حين أمرهم بالسجود لآدم: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ [البقرة: ٣٠]

(٤) "ليس فيه" كتب فوقها: "صح"، ومقابلها في الحاشية من غير إشارة الاستبدال "لا يعاين".

(٥) المويهة والنار: الماء والنار.

وأَنا(١) المُقَدِّسُ ذاتَ نُورِ جَلالِكُمْ ... وَأَتَوْا فِي حَقِّ أَبِي بِكُلِّ جَفَاءِ
لَمّا رَأَوْا جِهَةَ الشِّمَالِ وَلَمْ يَرَوْا ... مِنْهُ يَمِيْنَ القَبْضَةِ البَيْضاءِ
ورَأَوْا نُفُوسَهَمُ عَبِيْدًا خُشَّعًا ... وَرَأَوْهُ رَبًّا طالِبَ اسْتِيْلاءِ
لِحَقِيْقَةٍ جَمَعَتْ لَهُ أَسْمَاءُ مَنْ ... خَصَّ الحَبِيْبَ بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ
وَرَأَوْا مُنَازَعَةَ اللَّعِيْنِ بِجُنْدِهِ ... يَرْنُو إِلَيْهِ بِمُقْلَةِ البَغْضَاءِ
وَبِذَاتِ وَالِدِنا مُنافِقُ ذَاتِهِ ... حَظُّ العُصاةِ وَشَهْوَتا حَوَّاءِ
عَلِمُوا بِأَنَّ الحَرْبَ حَتْمًا وَاقِعٌ ... مِنْهُ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ وَإِباءِ
فَلِذَاكَ مَا نَطَقُوا بِمَا نَطَقُوا بِهِ ... فَاعْذُرْهُمُ فَهُمُ مِنَ الصُّلَحَاءِ
فُطِرُوا عَلَى الخَيْرِ الأَعَمِّ جِبِلَّةً ... لَا يَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ الشَّحْنَاءِ
وَمَتَى رَأَيْتَ أَبِي وَهُمْ فِي مَجْلِسٍ ... كانَ الإِمامَ وَهُمْ مِنَ الخُدَمَاءِ
وأَعَادَ قَوْلَهُمُ عَلَيْهِمْ رَبُّنا ... عَدْلًا فَأَنْزَلَهُمْ إِلَى الأَعْدَاءِ
فَحِرَابَةُ المَلَإِ الكرِيْمِ عُقُوبَةٌ ... لِمَقَالِهِمْ فِي أَوَّلِ الآبَاءِ
أَوَمَا تَرَى فِي يَوْمِ بَدْرٍ حَرْبَهُمْ ... وَنَبِيُّنا فِي نَعْمَةٍ وَرَخَاءِ
بِعَرِيْشِهِ مُتَمَلِّقًا مُتَضَرِّعًا ... لإِلَهِهِ فِي نُصْرَةِ الضُّعَفَاءِ
لَمَّا رَأَى هَذِي الحَقَائِق كُلَّهَا ... مَعْصُومَةً - قَلْبِي- مِنَ الأَهْوَاءِ
نَادَى فَأَسْمَعَ كُلَّ طالِب حِكْمَةٍ ... يَطْوِي لَهَا بِشِمِلَّةٍ وَجْنَاءِ
طَيَّ الذِي يَرْجُو لِقَاءَ مُرَادِهِ ... فَيَجُوب كُلَّ مَفازَةٍ بَيْدَاءِ
يا رَاحِلًا(٢) يَقِصُ المهامِهَ(٣) قاصِدًا ... نَحْوِي لِيَلْحَقَ رُتْبَةَ السُّمَراءِ
قُلْ لِلَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ هُجَرَائِي ... عَنِّي مَقَالَةَ أَنْصَحِ النُّصَحَاءِ

---

(١) ص ١٠ب
(٢) ص ١١
(٣) يقص المهامه: يجتاز الصحاري الواسعة.

واعْلَمْ بِأَنَّكَ خاسِرٌ فِي حَيْرَةٍ ... لَمَّا جَهِلْتَ رِسَالَتِي وَنِدَائِي
إنَّ الذِي ما زِلْتُ أَطْلُبُ شَخْصَهُ[1] ... أَلْفَيْتُهُ بالرَّبْوَةِ الخَضْرَاءِ
البَلْدَةِ الزَّهْرَاءِ بَلْدَةِ تُونِسٍ ... الحَضْرَةِ المُزْدَانَةِ الغَرَّاءِ
بِمَحَلِّهِ الأَسْنَى المُقَدَّسِ تُرْبُهُ ... بِحُلُولِهِ ذِي القِبْلَةِ الزَّوْرَاءِ
فِي عُصْبَةٍ مُخْتَصَّةٍ مُخْتَارَةٍ ... مِنْ صُفَّةِ النُّجَبَاءِ والنُّقَبَاءِ
يَمْشِي بِهِمْ فِي نُورِ عِلْمِ هِدَايَةٍ ... مِنْ هَدْيِهِ بِالسُّنَّةِ البَيْضَاءِ
والذِّكْرُ يُتْلَى والمَعَارِفُ تَنْجَلِي ... فِيْهِ مِنَ الإِمْسَاءِ لِلإِمْسَاءِ
"بَدْرًا" لأَرْبَعَةٍ وَعَشْرٍ لا يُرَى ... أَبَدًا مُنَوِّرَ لَيْلَةٍ قَمْرَاءِ
و"ابْنُ المُرَابِطِ" فِيْهِ وَاحِدُ شَأْنِهِ ... جَلَّتْ حَقَائِقُهُ عَنِ الإِفْشَاءِ
وَبَنُوهُ قَدْ حَفُّوا بِعَرْشِ مَكَانِهِ ... فَهُوَ الإِمَامُ وَهُمْ مِنَ البُدَلاءِ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهُمْ فِي مَجْلِسٍ ... بَدْرٌ تَحُفُّ بِهِ نُجُومُ سَمَاءِ
وإِذا أَتاكَ بِحِكْمَةٍ عُلْوِيَّةٍ ... فَكَأَنَّهُ يُنْبِي عَنِ العَنْقَاءِ
فَلَزِمْتُهُ حَتَّى إذا حَلَّتْ بِهِ ... أُنْثَى لَهَا نَجْلٌ مِنَ الغُرَبَاءِ
حَبْرٌ مِنَ الأَحْبارِ عَاشِقُ نَفْسِهِ ... سِرُّ المَجَانَةِ سَيِّدُ الظُّرَفَاءِ
مِنْ عُصْبَةِ النُّظَّارِ والفُقَهَاءِ ... لَكِنَّهُ فِيْهِمْ مِنَ الفُضَلاءِ
وَافَى[2] وَعِنْدِي لِلتَّنَقُّلِ نِيَّةٌ ... فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ دُجًى وَضُحَاءِ
فَتَرَكْتُهُ وَرَحَلْتُ عَنْهُ وَعِنْدَهُ ... مِنِّي تَغَيُّرُ غَيْرَةِ الأُدَباءِ
وَبَدَا يُخَاطِبُنِي بِأَنَّكَ خُنْتَنِي ... فِي عِتْرَتِي وَصَحَابَتِي القُدَماءِ
وأَخَذْتَ تَائِبَنَا الذِي قامَتْ بِهِ ... دَارِي ولَمْ تُخْبِرْ بِهِ سُجَرَائِي[3]

---

(١) المقصود به هنا هو الشيخ عبد العزيز المهدوي
(٢) ص ١١ب
(٣) السَّجيرُ: خليل الرجل وصَفيّهُ، وجمعه سُجَرَاءُ.

وَاللهُ يَعْلَمُ نِيَّتِي وَطَوِيَّتِي ... فِي أَمْرِ تَائِبِهِ وَصِدْقَ وَفَائِي
فَأَنَا عَلَى العَهْدِ القَدِيْمِ مُلازِمٌ ... فَوِدَادُهُ صَافٍ مِنَ الأَقْذَاءِ
وَمَتَى وَقَعْتَ عَلَى مُفَتِّشِ حِكْمَةٍ ... مَسْتُورَةٍ فِي الغضَّةِ الحَوْرَاءِ
مُتَحَيِّرٍ مُتَشَوِّفٍ قُلْنَا لَهُ: ... يا طَالِبَ الأَسْرارِ فِي الإِسْراءِ
أَسْرِعْ فَقَدْ ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِجَامِعٍ ... لِحَقَائِقِ الأَمْواتِ والأَحْياءِ
نَظَرَ الوُجُودَ فَكانَ تَحْتَ نِعَالِهِ ... مِنْ مُسْتَوَاهُ إِلَى قَرارِ المَاءِ
مَا فَوْقَهُ مِنْ غَايَةٍ يَعْنُو لَهَا ... إِلَّا "هُو" فَـ"هُو" مُصَرِّفُ الأَشْيَاءِ
لَبِسَ الرِّدَاءَ تَنَزُّهًا وَإِزَارَهُ ... لَمَّا أَرَادَ تَكَوُّنَ الإِنْشَاءِ
فَإِذا أَرَادَ تَمَتُّعًا بِوُجُودِهِ ... مِنْ غَيْرِ ما نَظَرٍ إِلَى الرُّقَبَاءِ
شَالَ الرِّدَاءَ فَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا ... وَإِزَارَ تَعْظِيْمٍ عَلَى القُرَنَاءِ
فَبَدَا وُجُودٌ لا تُقَيِّدُهُ لَنَا ... صِفَةٌ وَلَا إِسْمٌ مِنَ الأَسْمَاءِ
إِنْ قِيْلَ مَنْ هَذَا؟ وَمَنْ تَعْنِي بِهِ؟ ... قُلْنَا: المُحَقِّقُ آمِرُ الأُمَراءِ
شَمْسُ الحَقِيْقَةِ قُطْبُها وإِمَامُها ... سِرُّ العِبادِ وعَالِمُ العُلَمَاءِ
عَبْدٌ[1] تَسَوَّدَ وَجْهُهُ مِنْ هَمِّهِ ... نُورُ البَصائِرِ خَاتَمُ الخُلَفَاءِ
سَهْلُ الخَلائِقِ طَيِّبٌ عَذْبُ الجنَى ... غَوْثُ الخَلائِقِ أَرْحَمُ الرُّحَمَاءِ
جَلَّتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ وجَمَالِهِ ... وبَهَاءُ عِزَّتِهِ عَنِ النُّظَرَاءِ
يُمْضِي المَشِيْئَةَ فِي البَنِيْنِ مُقَسِّمًا ... بَيْنَ العَبِيْدِ الصُّمِّ والأُجَرَاءِ
ما زَالَ سَائِسَ أُمَّةٍ كانَتْ بِهِ ... محفُوظَةَ الأَنْحَاءِ والأَرْجَاءِ
شَرْيٌ[2] إِذَا نَازَعْتَهُ فِي مُلْكِهِ ... أَرْيٌ[3] إِذا ما جِئْتَهُ لِحِباءٍ[4]

---

(١) ص ١٢
(٢) الشَرْيُ بالتسكين: الحنظل. ويقال: لفلانٍ طعمان: أَرْيٌ وشَرْيٌ. والشَرْيُ أيضًا: شجر الحنظَل. الواحدة شَرْيَةٌ.
(٣) أري: أَرْيُ السحاب: دِرَّتُهُ. والأَرْيُ أيضًا: العسلُ. وعمل النحل أَرْيٌ أيضًا. وقد أَرَتِ النحلُ تأْري أَرْيًا، إذا عَمِلَتِ العسلَ.
(٤) الحِباء: العطاء.

صُـــلْبٌ ولَكِنْ لَيِّنٌ لِعُفاتِهِ   كالمَاءِ يَجْرِي مِنْ صَــفًى صَمَّاءِ

يُغْنِي ويُفْقِرُ مَنْ يَشَــاءُ فَأَمْرُهُ   مُحْيِي الوُلاةِ ومُهْلِكُ الأَعْدَاءِ

لا أنْسَـــى إذْ قالَ الإمامُ مَقَالَةً   عَنْها يُقَصِّـــرُ أَخْطَبُ الخُطَباءِ

كُنَّا بِنَا وَرِدَاءُ وَصْلِيْ جامِعٌ   لِذَوَاتِنا فَأَنا بِحَيْثُ رِدَائِي

فانْظُرْ إِلَى السِّـــرِّ المُكَتَّمِ دُرَّةً   مَجْلُوَّةً فِي اللُّجَّةِ العَمْياءِ

حَتَّى يَحَارُ الخَلْقُ فِي تَكْيِيْفِها   عَيْنًا كَحَيْرَةِ عَوْدَةِ الإِبْدَاءِ

عَجَبًا لَهَا لَمْ تُخْفِهَا أَصْدَافُها   الشَّمْسُ تَنْفِي حِنْدِسَ الظَّلْمَاءِ

فإذَا أَتَى بِالسِّـــرِّ عَبْدٌ هَكَذَا   قِيْلَ: اكْتُبُوا عَبْدِي مِنَ الأُمَنَاءِ

أَنْ كانَ يُبْدِي السِّـرَّ مَسْتُورًا فَمَا   تَدْرِي بِهِ أَرْضِي فَكَيْفَ سَمَائِي

لَمَّا أَتَيْتُ بِبَعْضِ وَصْفِ جَلَالِهِ   إِذْ كانَ عِيِّي(١) وَاقِفًا بِحِذَائِي

قَالُوا: "لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ بِإِلَهِنَا   فِي الذَّاتِ والأَوْصافِ والأَسْمَاءِ

فَبِأَيِّ(٢) مَعْنَى تَعْرِفُ الحَقَّ الَّذِي   سَوَّاكَ خَلْقًا فِي دُجَى الأَحْشَاءِ"؟

قُلْنَا: صَدَقْتَ وَهَلْ عَرَفْتُ مُحَقِّقًا   مِنْ مُوجِدِ الكَوْنِ الأَعَمِّ سِوَائِي؟

فإذا مَدَحْتُ فإِنَّمَا أُثْنِي عَلَى   نَفْسِي فَنَفْسِي عَيْنُ ذَاتِ ثَنَائِي

وإِذَا أَرَدْتُ تَعَرُّفًا بِوُجُودِهِ   قَسَّمْتُ ما عِنْدِي عَلَى الغُرَمَاءِ(٣)

وعُدِمْتُ مِنْ عَيْنِي فَكَانَ وُجُودهُ   فَظُهُورُهُ وَقْفٌ عَلَى إِخْفَائِي

جَلَّ الإِلَهُ الحَقُّ أَنْ يَبْدُو لَنَا   فَرْدًا وَعَيْنِي ظَاهِرٌ وَبَقَائِي

لَوْ كانَ ذَاكَ لَكانَ فَرْدًا طالِبًا   مُتَحَسِّسًا مُتَجَسِّسًا لِثُنَائِي

هَذَا مُحَالٌ فَلْيَصِحَّ وُجُودُهُ   فِي غَيْبَتِي عَنْ عَيْنِهِ وفَنَائِي

---

(١) العيُّ خلاف البيان.
(٢) ص ١٢ب
(٣) هذا البيت ثابت في الهامش.

فَـمَـتَى ظَـهَـرْتُ إِلَـيْـكُمْ أَخْـفَـيْـتُـهُ … إِخْفـاءَ عَيْنِ الشَّـــمْسِ فِي الأَنْوَاءِ
فـالنَّـاظِرُونَ يَرَوْنَ نُصْـــبَ عُيُونِهِمْ … سُحُبًا تُصَـــــــرِّفُها يَدُ الأَهْوَاءِ
والشَّـــمْسُ خَلْفَ الغَيْمِ تُبْدي نُوْرَها … لِلسُّـــحْبِ والأَبْصـــارِ فِي الظَّلْمَاءِ
فَـتَـقُـولُ: قَـدْ تَجَلَـتْ عَـلَيَّ وَإِنَّهَـا … مَشْـــغُـولَةٌ بِـتَـحَـلُّـلِ الأَجْـزَاءِ
لِتَجُودَ بِالْمَطَرِ الغَزِيرِ عَلَى الثَّرَى … مِنْ غَيْرِ ما نَصَـــبٍ وَلَا إِعْيَـاءِ
وَكَـذَاكَ عِنْـدَ شُرُوقِها فِي نُورِهَـا … تَـمْـحُـو طَـوَالِعَ نَجْـمِ كُلِّ سَمَـاءِ
فإِذا مَضَـــتْ بَعْدَ الغُرُوبِ بِســـاعَةٍ … ظَـهَـرَتْ لِعَـيْـنِـكَ أَنْجُمُ الجَـوْزَاءِ
هَـذَا لِـمِـنَّـتِهـا وَذَاكَ لِـحُـبِّهَـا … فِي ذَاتِهـا وَتَـقُـولُ: حُسْـــنَ رُءَاءِ
فَخَـفَـاؤُهُ مِـنْ أَجْـلِـنَـا، وَظُـهُـورُهُ … مِـنْ أَجْـلِهِ، والـرَّمْـزُ فِي الأَفْـيَـاءِ
كَـخَـفـائِـنـا مِـنْ أَجْـلِهِ، وَظُـهُـورُنا … مِنْ أَجْلِنا، فَسَـنَاهُ عَيْنُ ضِـيَائِي
ثُمَّ[1] التَفَـتْ بِالعَكْسِ رَمْزًا ثانِيًـا … جَلَّـتْ عَوَارِفُـهُ عَنِ الإِحْصَـــاءِ
فَـكَأَنَّـنـا ســـيَّـانَ فِي أَعْـيَـانِـنَـا … كَصَفَا الزُّجَاجَةِ فِي صَفَا الصَّهْبَاءِ[2]
فـالعِلْمُ يَشْـــهَـدُ مُخْلِصَـــيْنِ تَـأَلُّفَـا … والـعَـيْنُ تُـعْـطِي واحِـدًا لِـلـرَّائِي
فـالـرُّوحُ مُـلْـتَـذٌّ بِـمُـبْـدِعِ ذاتِـهِ … وبِـذَاتِـهِ مِـنْ جَـانِـبِ الأَكْـفَـاءِ
والجِـسُّ مُـلْـتَـذٌّ بِـرُؤْيَـةِ رَبِّـهِ … فَـانٍ عَنِ الإِحْســـاسِ بِالنَّعْمَـاءِ
فـــاللهُ أَكْـبَرُ والـكَـبِـيْرُ رِدَائِي … والنُّورُ بَـدْرِي والضِّـيَـاءُ ذَكَائِي[3]
والشَّـــرْقُ غَرْبِي والمَغَارِبُ مَشْـــرِقِي … والبُـعْـدُ قُـرْبِي والدُّنُوُّ تَـنَـائِي[4]
والنَّـارُ غَيْبِي والجِنَـانُ شَـــهَـادَتِي … وَحَقَـائِقُ الخَلْقِ الجَـدِيْـدِ إِمَـائِي
فَـإِذا أَرَدْتُ تَـنَزُّهًـا فِي رَوْضَـــتِي … أَبْصَـــــــرْتُ كُلَّ الخَلْقِ فِيَّ مَرَائِي

---

(١) ص ١٣
(٢) الصهبة: حمرة في سواد. والصهباء: الخمر سميت بذلك بسبب لونها.
(٣) الذكاء: الجمرة الملتهبة، شدة وهج النار.
(٤) البيت ثابت في الهامش بخط الأصل.

وإذا انْصَرَفْتُ أَنا الإمامُ وَلَيْسَ لِي أَحَدٌ أُخَلِّفُهُ يَكُونُ وَرَائِي
فالحَمْدُ للهِ الذِي أَنا جَامِعٌ لِحَقَائِقِ المُنْشِي وَلِلإنْشَاءِ
هَذَا قَرِيْضِي مُنْبِئٌ بِعَجائِبِ ضَاقَتْ مَسَالِكُهَا عَلَى الفُصَحَاءِ
فاشْكُرْ مَعِي عَبْدَ العَزِيْزِ إِلَهَنا ولْنَشْكُرَنْ[1] أَيْضًا إِلَى العَذْرَاءِ
شَرْعًا فَإِنَّ اللهَ قَالَ اشْكُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْكَ وَأَنْتَ عَيْنُ قَضَائِي[2]

وبعد حمد الله بحمد الحمد لا بسِوَاهُ، والصلاة التامّة على مَن أسري به إلى مستواه، فاعلم أيّها العاقل الأديب، الوليّ الحبيب، أنّ الحكيم إذا نأتْ به الدار عن قسِيمِه، وحالت صروف الدهر بينه وبين حميمه، لا بدّ أن يعرّفه بكلّ ما[3] اكتسبه في غَيْبَتِهِ، وما حصّله من الأمتعة الحكميّة في عَيْبَتِهِ[4]. (وهذا) لِيَسُرَّ وليّه بما أسداه إليه البرُّ الرحيمُ من لطائفه، ومَنَحه من عوارفه، وأَودعه مِن حِكَمه، وأَسمعه مِن كَلِمه. فكأنّ وليَّه ما غاب عنه بما عرف منه.

وإن كان الوليّ -أبقاه الله- قد أصاب صفاء وُدِّه بعضُ كَدَرٍ لعرَض، وظهر منه انقباض عند الوداع لإتمام غرَض، فقد غمّض وليّه عن ذلك جفن الانتقاد، وجعله من الوليّ -أبقاه الله- من كريم الاعتقاد.

إذ لا يهتمّ منك إلّا مَن يسأل عنك. فليهنأ الوليُّ -أبقاه الله- فإنّ القلبَ سليمٌ، والودّ -كما يعلم- بين الجوانح مقيم. وقد علِم الوليّ -أبقاه الله- أنّ الودّ فيه كان إلّيًا، لا عرَضيًا[5] ولا نفسيًّا. وثبت عنده هذا قديما عنّي، من غير علّة، ولا فاقة إليه ولا قلّة، ولا طلب لمثوبة، ولا حذر من عقوبة.

وربما كان من الوليّ -حفظه الله تعالى- في الرحلة الأُولَى التي رحلتُ إليه، سنة تسعين وخمسمائة، عدم التفاتٍ فيها إلى جانبي، ونفور عن الجري على مقاصدي ومذاهبي، لما لاحظ فيها ﵁ من النّقص. وعَذَرْتُهُ في ذلك. فإنّه أعطاه ذلك منّي ظاهرُ الحال، وشاهدُ النصّ. فإنّي سترتُ

---

(١) رسمها في ق: ولنشكرا، ولتشكرا، س: ولتشكرا
(٢) هناك عبارتان في الهامش عند نهاية القصيدة، وهما: "بلغ قراءة على مؤلفه"،"بلغ قراءة على الشيخ".
(٣) ص ١٣ب
(٤) العيبة: الصـدر، والجمع: عياب. والعَيْبَةُ: وعاء من ادم يكون فيها المتاع، والجمع عِيابٌ وعِيَبٌ. والعَيْبَةُ أيضـا: زنبيل من ادم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين في لغة همدان.
(٥) ه: غرضيّا.

عنه وعن بنيه ما كنت عليه في نفسي، بما أظهرته إليهم من سوء حالي وشَرَهِ[١] حِسِّي.

وربما كنت أُلَوِّح لهم أحيانا على طريق التنبيه، فيأبى الله أن يلحظني واحد منهم بعين التنزيه. ولقد قرعتُ أسماعهم يوما، في بعض المجالس، والوليّ -أبقاه الله- في صدر ذلك المجلس جالس، بأبيات أنشدتُها، وفي كتاب "الإسراء" لنا أودعتُها، وهي:

أَنَا القُرْآنُ والسَّبْعُ المَثَانِي ... ورُوحُ الرُّوحِ لا رُوحُ الأَوَانِي
فُؤَادِي عِنْدَ مَعْلُومِي مُقِيْمٌ ... يُشَاهِدُهُ وَعِنْدَكُمُ لِسَانِي
فَلا تَنْظُرْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي ... وَعَدِّ عَنِ التَّنَعُّمِ بِالمَغَانِي
وغُصْ فِي بَحْرِ ذَاتِ الذاتِ تُبْصِرْ ... عَجَائِبَ ما تَبَدَّتْ لِلعِيَانِ
وأَسْرَارًا تَرَاءَتْ مُبْهَمَاتٍ ... مُسَتَّرَةً بِأَرْواحِ المَعَانِي

فواللهِ؛ ما أنشدتُ من هذه القطعة بيتا، إلّا وكأنّي أُسمِعه ميتا. وسبب ذلك، حكمةٌ أبغي رضاها، وحاجةٌ في نفس يعقوب قضاها، وما أَحسّ بي، من ذاك الجمع المكرّم، إلّا أبو عبد الله بن المرابط، كِلّيمهم المبرَّز المقدَّم، ولكن بعض إحساس، والغالب عليه في أمري الالتباس. وأمّا الشيخ المسنّ، المرحوم جرّاح، فكنت قد تكاشفت معه على نِيَّةٍ[٢]، في حضرة عليّة. ولم أزل، بعد مفارقتي حضرة الوليّ -أبقاه الله- له ذاكرا، ولأحواله[٣] شاكرا، وبمناقبه ناطقا، ولآدابه عاشقا، وربما سطّرتُ من ذلك في الكتب ما سارت به الركبان، وشهر في بعض البلدان. وقد وقف الوليُّ عليه، ورأى بعض ما لديه. فقد ثبت له الوُدُّ منّي، قبل سببٍ يقتضيه، و(قبل) غرض -عاجل أو آجل- يثبته في النفس ويمضيه.

ثمّ كان الاجتماع بالوليّ -تولّاه الله- بعد ذلك بأعوام، في محلّه الأسنى. وكانت الإقامة معه تسعة أشهر، دون أيّام. في العيش الأرغد الأهنى؛ عيش روح وشبح. وقد جاد كلُّ واحد منّا بذاته على صفيّه وسمح. ولي رفيق وله رفيق. وكلاهما صِدِّيق وصَديق. فرفيقه شيخ، عاقل،

(١) ص ١٤
(٢) لعلها: "علانية" وفق رسم س
(٣) ص ١٤ب

محصِّل، ضابط. يُعرف بأبي عبد الله بن المرابط. ذو نفس أبيّة، وأخلاق رضيّة، وأعمال زكيّة، وخلال مَرْضيّة. يقطع الليل تسبيحا وقرآنا، ويذكر الله على أكثر أحيانه سِرّا وإعلانا. بطلٌ في ميدان المعاملات. فَهِمٌ لما يَرِدُ به صاحب المنازل والمنازلات. مُنْصِفٌ في حالِهِ. مُفَرِّقٌ بين حقّه ومُحَالِه.

وأمّا رفيقي؛ فضياء خالص، ونورٌ صِرْفٌ، حبشيٌّ، اسمه عبد الله، بدرٌ لا يلحقه خسف، يعرف الحقّ لأهله فيؤدّيه، ويوقفه عليهم ولا يعدّيه. قد نال "درجة التمييز". و"تخلّص عند السبك"، كالذهب الإبريز. كلامه حقٌّ. ووعده صدقٌ. فكنّا[١] "الأربعة الأركان" التي قام عليها شخص العالَم والإنسان.

فافترقنا، ونحن على -هذه الحال-، لانحرافٍ قام ببعض هذه المَحالّ. فإنّي كنت نويتُ الحجّ والعمرة. ثمّ أُسرع إلى مجلسه الكريم الكرّة. فلمّا وصلتُ أمَّ القرى، بعد زيارتي الخليل[٢] الذي سَنَّ القِرَى، وبعد صلاتي بالصخرة والأقصى[٣]، وزيارة سيّدي، سيّد[٤] ولد آدم، ديوان الإحاطة والإحصاء، أقام الله في خاطري أن أُعَرِّفَ الوليَّ -أبقاه الله- بفنون من المعارف حصّلتها في غيبتي، وأهدي إليه -أكرمه الله- من جواهر العلم، التي اقتنيتها في غربتي. فقيّدت له هذه الرسالة اليتيمة، التي أوجدها الحقُّ لأعراض الجهل تميمة، ولكلّ صاحبٍ صفيّ، ومحقّق صوفي، ولحبيبنا الوليّ، وأخينا الزكي، وولدنا الرضي، عبد الله بدر الحبشي، اليمني، مُعْتَق أبي الغنائم ابن أبي الفتوح الحرّاني. وسمّيتها: "رسالة الفتوحات المكيّة في معرفة الأسرار المالكيّة والملكيّة". إذ كان الأغلبُ مما أودعتُ هذه الرسالة ما فتح الله به عليّ، عند طوافي ببيته المكرّم، أو قعودي مراقبا له، بحرمه الشريف المعظّم. وجعلتها أبوابا شريفة، وأودعتها المعاني اللطيفة.

فإنّ الإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية إلّا إذا عرف شرف الغاية. ولا[٥] سيما إن ذاق من ذلك عذوبة الجنى. ووقع منه بموقع المنى. فإذا حَصر البابُ البصر، تردّد عين بصيرة الحكيم فنظر، فاستخرج اللآلئ والدرر. ويعطيه الباب، عند ذلك، ما فيه من حِكَم روحانيّة، ونكت

---

(١) ص ١٥

(٢) يقصد هنا مقام النبي إبراهيم الخليل عليه السلام في مدينة الخليل بفلسطين.

(٣) الصخرة: مسجد قبة الصخرة. والأقصى: المسجد الأقصى. وكلاهما ببيت المقدس.

(٤) ثابت في الهامش بخط الأصل.

(٥) ص ١٥ب

ربّانيّة، على قدر نُفُوذِهِ وفَهْمِهِ، وقوّة عَزْمِهِ وهَمِّهِ، واتّساع نفَسه، من أجل غَطْسِهِ في أعماق بحار عِلمِه.

لَـمَّـا لَـزِمْـتُ قَـرْعَ بَابِ اللهِ كُنْتُ المُرَاقِبَ لَمْ أَكُنْ بِاللّاهِي

حَتَّى بَدَتْ لِلعَيْنِ سـُـبْحَةُ وَجْهِهِ وإِلَى هَـلُمَّ لَـمْ تَـكُـنْ إِلّا هِي

فـأَحَطْـتُ عِلْمًا بِالوُجُودِ فَمَا لَنَا فِي قَـلْـبِـنَـا عِـلْمٌ بِـغَـيْرِ اللهِ

لَوْ يَسْـلُكُ الخَلْقُ الغَرِيْبُ مَحَجَّتِي لَمْ يَسْأَلُوكَ عَنِ الحَقَائِقِ ما هِي

فلنقدِّم، قبل الشروع في الكلام على أبواب هذا الكتاب، بابا في فهرست أبوابه. ثمّ أتلوه بمقدّمة في تمهيد ما يتضمّنه هذا الكتاب من العلوم الإلهيّة الأسراريّة. وعلى أثرها، يكون الكلام على الأبواب، على حسب ترتيبها في باب الفهرست، -إن شاء الله تعالى- ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١).

انتهى الجزء الأوّل -والحمد لله- يتلوه الجزء الثاني -إن شاء الله تعالى- وصلّى الله على محمد وعلى آله الطاهرين(٢).

(١) [الأحزاب: ٤]
(٢) في الهامش: "بلغ قراءة على مؤلفه لأحمد العلوي".

الجزء الثاني من الفتح المكي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

باب في فهرست أبواب الكتاب وليس معدودا في الأبواب، وهو على فصول ستّة

الفصل الأوّل في المعارف

(١) العنوان ص ١٦ب، ص ١٦ بيضاء
(٢) البسملة ص ١٧
(٣) ص ١٧ب

الباب الحادي[1] عشر: في معرفة آبائنا العلويّات وأمّهاتنا السفليّات.

الباب الثاني عشر: في معرفة دورة سيّد العالَم، محمد ﷺ وأنّ الزمان في وقته استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى.

الباب[2] الثالث عشر: في معرفة حملة العرش، وهم إسرافيل وآدم وميكائيل وإبراهيم وجبريل ومحمد ورضوان ومالك -عليهم السلام-.

الباب الرابع عشر: في معرفة أسرار أنبياء الأولياء وأقطاب الأمم، من آدم إلى محمد -عليهما السلام- وأنّ القطب واحد منذ خلقه الله، لم يمت، وأين مسكنه؟

الباب الخامس عشر: في معرفة الأنفاس، ومعرفة أقطابها المحقَّقين بها وأسرارهم.

الباب السادس عشر: في معرفة المنازل السفليّة، والعلوم الكونيّة، ومبدأ معرفة الحقّ -تعالى- منها، ومعرفة الأوتاد، والأشخاص السبعة البدلاء، ومَن تولّاهم من الأرواح العلويّة؟ وترتيب أفلاكها.

الباب السابع عشر: في معرفة انتقال العلوم الكونيّة، ونبذ من العلوم الإلهيّة، المِدّة، الأصليّة.

الباب الثامن عشر: في معرفة علم المتهجّدين، وما يتعلّق به من المسائل، ومقداره في مراتب العلوم، وما يظهر عنه من العلوم في الوجود الكوني.

الباب التاسع عشر: في سبب نقص العلوم وزيادتها، وقوله -تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[3] وقوله عليه السلام: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا[4] ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء»[5] الحديث.

الباب الموفي عشرين: في معرفة العلم العيسوي، ومن أين جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ وكيفيّته؟ وهل تعلَّق بطول العالَم، أو بعرضه، أو بهما؟

الباب الحادي والعشرون: في معرفة ثلاثة علوم كونيّة، وتوالج بعضها في بعض.

الباب الثاني والعشرون: في معرفة علم المنزِل والمنازل، وترتيب جميع العلوم الكونيّة.

---

(١) ق: الحادي أحد
(٢) ص ١٨
(٣) [طه: ١١٤]
(٤) ص ١٨ب
(٥) المعجم الكبير للطبراني ١٤٥٢، مسند الحميدي ٦٠٩

الباب الثالث والعشرون: في معرفة الأقطاب المصونين، وأسرار منازل صَوْنِهم.

الباب الرابع والعشرون: في معرفةٍ جاءت عن العلوم الكونيّة، وما تتضمّنه من العجائب، ومَن حصّلها من العالَم، ومراتب أقطابهم. وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتعشّقة بالأنفاس وأصلها، وإلى كم تنتهي منازلها؟

الباب الخامس والعشرون: في معرفة وتد مخصوص معمَّر. وأسرار الأقطاب المختصّين بأربعة أصنافٍ من العالَم. وسِرُّ المنزل والمنازل. ومَن دخله من العالَم؟

الباب السادس والعشرون: في معرفة أقطاب الرموز، وتلويحاتٍ من أسرارهم وعلومهم[1].

الباب السابع والعشرون: في معرفة أقطاب: "صِلْ؛ فقد نويتُ وِصالك" وهو من منازل العالَم النوراني، وأسرارهم.

الباب الثامن والعشرون: في معرفة أقطاب "ألم تر كيف"؟

الباب التاسع والعشرون: في معرفة سِرّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت، والأقطاب الذين منهم ورِثه، ومعرفة أسرارهم.

الباب الثلاثون: في معرفة الطبقة الأُولَى والثانية من الأقطاب الرُّكبانيّة.

الباب الحادي والثلاثون: في معرفة أصول الركبان.

الباب الثاني والثلاثون: في معرفة الأقطاب المدبِّرين من الفرقة الثانية الرُّكبانيّة.

الباب الثالث والثلاثون: في معرفة الأقطاب النِّيّاتيّين وأسرارهم وكيفيّة أصولهم.

الباب الرابع والثلاثون: في معرفة شخصٍ تحقَّق في منزل الأنفاس فعاين أسرارا أذكرها.

الباب الخامس والثلاثون: في معرفة هذا الشخص المحقَّق في منزل الأنفاس وأسرارِه بعد موته.

الباب السادس والثلاثون: في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم.

الباب السابع والثلاثون: في معرفة الأقطاب العيسويين[2] وأسرارهم.

الباب الثامن والثلاثون: في معرفة مَن اطّلع على المقام المحمدي ولم يَنَلْهُ من الأقطاب.

الباب التاسع والثلاثون: في معرفة المنزل الذي ينحطُّ إليه الوليّ إذا طردَه الحقُّ -عافانا الله وإيّاك-

(١) ص ١٩
(٢) ص ١٩ب

وما يتعلّق بهذا المنزل من العجائب والعلوم الإلهيّة، ومعرفة أسرار أقطاب هذا المنزل.

الباب الأربعون: في معرفة منزلٍ مجاور لِعِلم جزئي من علوم الكون، وترتيبه وغرائبه وأقطابه.

الباب الحادي والأربعون: في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم، وأسرار أقطابهم.

الباب الثاني والأربعون: في معرفة الفتوّة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم، وأسرار أقطابهم.

الباب الثالث والأربعون: في معرفة جماعة من أقطاب الورِعين، وعامّة ذلك المقام.

الباب الرابع والأربعون: في معرفة البهاليل وأئمّتهم في البَهللة.

الباب الخامس والأربعون: في معرفة مَن عاد بعد ما وصل، ومَن جعله يعود.

الباب السادس والأربعون: في معرفة العلم القليل، ومَن حصّله من الصالحين[١].

الباب السابع والأربعون: في معرفة أسرار ووصف المنازل السفليّة ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذِكْرِه بدايته فيحنُّ إليها مع علوّ مقامه، وما السِّرّ الذي يتجلّى له حتى يدعوه إلى ذلك؟

الباب الثامن والأربعون: في معرفة إنما كان كذا لكذا.

الباب التاسع والأربعون: في معرفة «إنِّي لأجد نفَس الرحمن من قبل اليمن»[٢] ومعرفة هذا المنزل ورجاله.

الباب الخمسون: في معرفة رجال الحَيْرة والعجز.

الباب الحادي والخمسون: في معرفة رجال من أهل الورع قد تحقّقوا بمنزل "نفَس الرحمن".

الباب الثاني والخمسون: في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشِف من حضرة الغيب إلى عالَم الشهادة.

الباب الثالث والخمسون: في معرفة ما يُلْقي المريد على نفسه من وظائف الأعمال قبل وجود الشيخ.

الباب الرابع والخمسون: في معرفة الإشارات.

---

(١) ص ٢٠

(٢) مسند الشاميين للطبراني ١٠٥٣، كنز العمال ٣٣٩٥١

الباب الخامس والخمسون: في معرفة الخواطر الشيطانيّة.

الباب السادس والخمسون: في معرفة الاستقراء وصحّته وسقمه.

الباب السابع والخمسون: في معرفة تحصيل علم الإلهام[1] بنوعٍ مّا من أنواع الاستدلال، ومعرفة النفْس.

الباب الثامن والخمسون: في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدِلّين، ومعرفة عِلم إلهيّ فاض على القلب فَفَرَّق خواطرَه وشتّتها.

الباب التاسع والخمسون: في معرفة الزمان، الموجود والمقدَّر.

الباب الستّون: في معرفة العناصر، وسلطان العالَم العلوي على العالَم السفلي. وفي أيّ دورة كان وجود هذا العالَم الإنساني من دورات الفلَك الأقصى؟ وأيّ روحانيّة تنظرنا[2]؟

الباب الحادي والستّون: في معرفة جهنّم، وأعظم المخلوقات عذابا فيها، ومعرفة بعض العالَم العلوي.

الباب الثاني والستّون: في معرفة مراتب النار.

الباب الثالث والستّون: في معرفة بقاء الناس في البرزخ، بين الدنيا والبعث.

الباب الرابع والستّون: في معرفة القيامة ومنازلها، وكيفيّة البعث.

الباب الخامس والستّون: في معرفة الجنّة ومنازلها ودرجاتها، وما يتعلّق بهذا الباب[3].

الباب السادس والستّون: في معرفة سرّ الشريعة ظاهرا وباطنا، وأيّ اسم أوجدها؟

الباب السابع والستّون: في[4] معرفة "لا إله إلّا الله محمد رسول الله".

الباب الثامن والستّون: في معرفة أسرار الطهارة.

الباب التاسع والستّون: في معرفة أسرار الصلاة.

الباب السبعون: في معرفة أسرار الزكاة.

الباب الحادي والسبعون: في معرفة أسرار الصيام.

---

(١) ص ٢٠ب

(٢) كتب بقلم آخر فوقها "خ" ومقابلها في الهامش: "إليه" مع إشارة التصويب

(٣) "ودرجاتها...الباب" ثابتة في الهامش بخط الأصل.

(٤) ص ٢١

الباب الثاني والسبعون: في معرفة أسرار الحجّ، ومعرفة مناسكه، وآياتِ بيتِه المكرّم. وما أشهدني الحقّ عند طوافي بالبيت من أسرار الطواف.

الباب الثالث والسبعون: في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف، وعلى كم ينحرف من المقابلة؟

الفصل الثاني في المعاملات

(١) ص ٢١ب

الباب الخامس والتسعون: في معرفة أسرار الجود والكرم والسخاء والإيثار؛ على الخصاصة وعلى غير الخصاصة، مع طلب العِوَض وتَرْكه.

الباب السادس والتسعون: في معرفة الصمت وأسراره.

الباب السابع والتسعون: في معرفة مقام الكلام وأسراره.

الباب الثامن والتسعون: في معرفة مقام[(١)] السهر وأسراره.

الباب التاسع والتسعون: في معرفة مقام النوم وأسراره.

الباب الموفي مائة: في معرفة مقام الخوف وأسراره.

الباب الحادي ومائة: في معرفة مقام ترك الخوف وأسراره.

الباب الثاني ومائة: في معرفة مقام الرجاء وأسراره.

الباب الثالث ومائة: في معرفة مقام ترك الرجاء وأسراره.

الباب الرابع ومائة: في معرفة مقام الحزن وأسراره.

الباب الخامس ومائة: في معرفة مقام ترك الحزن وسببه.

الباب السادس ومائة: في معرفة مقام الجوع وأسراره.

الباب السابع ومائة: في معرفة مقام ترك الجوع وسببه[(٢)].

الباب الثامن ومائة: في معرفة الفتنة والشهوة وصحبة الأحداث والنسوان وأخذ الأرفاق منهنّ، ومتى يأخذ المريد الأرفاق؟

الباب التاسع ومائة: في معرفة الفرق بين الشهوة والإرادة، وبين الشهوة التي لنا في الدنيا والشهوة التي لنا في الجنّة، والفرق بين اللذّة والشهوة، ومعرفة مقام من يَشتهِي ومن يُشتهَى؟ ومن لا يَشتهِي ولا يُشتهَى؟ ومَن يَشتهِي ولا يُشتهَى؟ ومَن لا يَشتهِي ويُشتهَى؟

الباب العاشر ومائة: في[(٣)] معرفة مقام أسرار الخشوع والخضوع.

الباب الحادي[(٤)] عشر ومائة: في معرفة مقام ترك الخشوع والخضوع وأسراره.

---

(١) ص ٢٢

(٢) ق: وأسراره، وصححت بالهامش بقلم الأصل.

(٣) ص ٢٢ب

(٤) ق: الحادي أحد

الباب الثاني عشر ومائة: في معرفة مخالفة النفس وأسرارها.

الباب الثالث عشر ومائة: في معرفة مقام مساعدة النفس في أغراضها، وأسراره.

الباب الرابع عشر ومائة: في معرفة مقام الحسد والغَبْط، ومحمودهما ومذمومهما.

الباب الخامس عشر ومائة: في معرفة مقام الغِيبة، ومحمودها من مذمومها.

الباب السادس عشر ومائة: في معرفة مقام القناعة وأسرارها.

الباب السابع عشر ومائة: في معرفة مقام الشَّرَه والحرص.

الباب الثامن عشر ومائة: في معرفة مقام التوكّل وأسراره.

الباب التاسع عشر ومائة: في معرفة مقام ترك التوكّل.

الباب الموفي عشرين ومائة: في معرفة مقام الشكر وأسراره.

الباب الحادي والعشرون ومائة: في معرفة مقام ترك الشكر وأسراره.

الباب الثاني والعشرون ومائة: في معرفة مقام اليقين وأسراره.

الباب الثالث والعشرون ومائة: في معرفة مقام[(١)] ترك اليقين وأسراره.

الباب الرابع والعشرون ومائة: في معرفة مقام الصبر وتفاصيله، وأسراره.

الباب الخامس والعشرون ومائة: في معرفة مقام ترك الصبر، وأسراره.

الباب السادس والعشرون ومائة: في المراقبة وأسرارها.

الباب السابع والعشرون ومائة: في ترك المراقبة ومقامها وأسراره.

الباب الثامن والعشرون ومائة: في الرضا وأسراره.

الباب التاسع والعشرون ومائة: في ترك الرضا، وأسراره.

الباب الثلاثون ومائة: في العبودة وأسرارها.

الباب الحادي والثلاثون ومائة: في ترك العبودة، وأسراره.

الباب الثاني والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الاستقامة وأسراره.

الباب الثالث والثلاثون ومائة: في معرفة ترك الاستقامة وأسراره.

---

(١) ص ٢٣

الباب الرابع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الإخلاص وأسراره.
الباب الخامس والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الإخلاص، وأسراره.
الباب السادس والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الصدق وأسراره[١].
الباب[٢] السابع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الصدق، وأسراره.
الباب الثامن والثلاثون ومائة: في معرفة مقام الحياء وأسراره.
الباب التاسع والثلاثون ومائة: في معرفة مقام ترك الحياء، وأسراره.
الباب الأربعون ومائة: في معرفة مقام الحرّيّة وأسرارها.
الباب الحادي والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الحرّيّة، وأسراره.
الباب الثاني والأربعون ومائة: في معرفة مقام الذِّكْر وأسراره.
الباب الثالث والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الذِّكْر، وأسراره.
الباب الرابع والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفكر وأسراره.
الباب الخامس والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الفكر وأسراره.
الباب السادس والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفتوّة وأسراره.
الباب السابع والأربعون ومائة: في معرفة مقام ترك الفتوّة وأسراره.
الباب الثامن والأربعون ومائة: في معرفة مقام الفراسة وأسراره.
الباب التاسع والأربعون ومائة: في معرفة مقام الخُلُق وأسراره.
الباب[٣] الخمسون ومائة: في معرفة مقام الغيرة وأسراره.
الباب الحادي والخمسون ومائة: في معرفة مقام ترك الغيرة وأسراره.
الباب الثاني والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية وأسراره.
الباب الثالث والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية البشريّة وأسراره التي تتضمّن الولاية الإلهيّة.

(١) في الهامش: " بلغت قراءة لمحمد بن إسحق على شـيخه المنشـئ لهذا الكتاب ﷺ وسمع بالقراءة المذكورة نجم الدين بن عبد الواحد وشرف الدين بن الاسكاف وناصر الدين بن إبراهيم".
(٢) ص ٢٣ب
(٣) ص ٢٤

الباب الرابع والخمسون ومائة: في معرفة مقام الولاية الملَكيّة وأسراره.
الباب الخامس والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوّة وأسراره.
الباب السادس والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوّة البشريّة وأسراره.
الباب السابع والخمسون ومائة: في معرفة مقام النبوّة الملَكيّة وأسراره.
الباب الثامن والخمسون ومائة: في معرفة مقام الرسالة وأسراره.
الباب التاسع والخمسون ومائة: في معرفة مقام الرسالة البشريّة وأسراره.
الباب الستون ومائة: في معرفة مقام الرسالة الملَكيّة.
الباب الحادي والستون ومائة: في معرفة المقام الذي بين النبوّة والصدّيقيّة.
الباب الثاني[1] والستون ومائة: في معرفة مقام الفقر وأسراره.
الباب الثالث والستون ومائة: في معرفة مقام الغنى وأسراره.
الباب الرابع والستون ومائة: في معرفة مقام التصوّف وأسراره.
الباب الخامس والستون ومائة: في معرفة مقام التحقيق والمحقّقين.
الباب السادس والستون ومائة: في معرفة مقام الحكمة والحكماء.
الباب السابع والستون ومائة: في معرفة مقام كيمياء السعادة وأسراره.
الباب الثامن والستون ومائة: في معرفة مقام الأدب وأسراره.
الباب التاسع والستون ومائة: في معرفة مقام ترك الأدب وأسراره.
الباب السبعون ومائة: في معرفة مقام الصحبة وأسراره.
الباب الحادي والسبعون ومائة: في معرفة مقام ترك الصحبة وأسراره.
الباب الثاني والسبعون ومائة: في معرفة مقام التوحيد وأسراره.
الباب الثالث والسبعون ومائة: في معرفة مقام التثنية -وهو الشِّرك- وأسراره
الباب الرابع والسبعون ومائة: في[2] معرفة مقام السفر -وهو السياحة- وأسراره.

(١) ص ٢٤ب
(٢) ص ٢٥

الباب الخامس والسبعون ومائة: في معرفة مقام ترك السفر وأسراره.
الباب السادس والسبعون ومائة: في معرفة أحوال القوم عند الموت، على قدر مقاماتهم.
الباب السابع والسبعون ومائة: في معرفة مقام المعرفة، على الاختلاف الذي بين الصوفيّة فيها والمحقّقين.
الباب الثامن والسبعون ومائة: في معرفة مقام المحبَّة وأسرارها.
الباب التاسع والسبعون ومائة: في معرفة مقام الخلّة وأسراره.
الباب الثمانون ومائة: في معرفة مقام الشوق والاشتياق وأسرارهما.
الباب الحادي والثمانون ومائة: في معرفة مقام احترام الشيوخ وحِفظ قلوبهم.
الباب الثاني والثمانون ومائة: في معرفة مقام السماع وأسراره.
الباب الثالث والثمانون ومائة: في معرفة مقام ترك السماع وأسراره.
الباب الرابع والثمانون ومائة: في معرفة مقام الكرامات.
الباب الخامس والثمانون ومائة: في معرفة مقام ترك الكرامات.
الباب السادس والثمانون ومائة: في معرفة مقام خرق العادات.
الباب[1] السابع والثمانون ومائة: في معرفة مقام المعجزة، وكيف يكون ذلك الفعل المعجز كرامة لمن كان له معجزة لاختلاف الأحوال؟
الباب الثامن والثمانون ومائة: في معرفة مقام الرؤيا وهي المبشّرات.

---

(١) ص ٢٥ب

الفصل الثالث: في الأحوال

الباب التاسع والثمانون ومائة: في معرفة صورة السالك[١]

الباب التسعون ومائة: في معرفة المسافر وأحواله.

الباب الحادي والتسعون ومائة: في معرفة السفر والطريق.

الباب الثاني والتسعون ومائة: في معرفة الحال وأسراره ورجاله.

الباب الثالث والتسعون ومائة: في معرفة المقام وأسراره.

الباب الرابع والتسعون ومائة: في معرفة المكان وأسراره.

الباب الخامس والتسعون ومائة: في معرفة الشطح وأسراره.

الباب السادس والتسعون ومائة: في معرفة الطوالع وأسرارها.

الباب السابع والتسعون ومائة: في معرفة الذهاب وأسراره.

الباب الثامن والتسعون ومائة: في معرفة النفَس -بفتح الفاء- وأسراره.

الباب[٢] التاسع والتسعون ومائة: في معرفة السرّ وأسراره.

الباب الموفي مائتين: في معرفة الوصل وأسراره.

الباب الحادي ومائتان: في معرفة الفصل وأسراره.

الباب الثاني ومائتان: في معرفة الأدب وأسراره.

الباب الثالث ومائتان: في معرفة الرياضة وأسرارها.

الباب الرابع ومائتان: في معرفة التحلّي -بالحاء المهملة- وأسراره.

الباب الخامس ومائتان: في معرفة التخلّي -بالخاء المعجمة- وأسراره.

الباب السادس ومائتان: في معرفة التجلّي -بالجيم- وأسراره.

الباب السابع ومائتان: في معرفة العلّة وأسرارها.

الباب الثامن ومائتان: في معرفة الانزعاج وأسراره.

---

(١) موقع هذا الباب في الفهرس ورد في آخر الفصل الثاني، إلا أنّ موقعه في المتن هو في بداية الفصل الثالث كما أثبتناه هنا. انظر ج٦/١١٤

(٢) ص ٢٦

الباب التاسع ومائتان: في معرفة المشاهدة وأسرارها.
الباب العاشر ومائتان: في معرفة المكاشفة وأسرارها.
الباب الحادي عشر ومائتان: في معرفة اللوائح وأسرارها.
الباب الثاني عشر ومائتان: في معرفة التلوين وأسراره.
الباب الثالث عشر ومائتان: في معرفة الغَيرة وأسرارها.
الباب الرابع عشر ومائتان: في[١] معرفة الحَيرة وأسرارها.
الباب الخامس عشر ومائتان: في معرفة اللطيفة وأسرارها.
الباب السادس عشر ومائتان: في معرفة الفتوح وأسراره.
الباب السابع عشر ومائتان: في معرفة الوَسم والرسم وأسرارهما.
الباب الثامن عشر ومائتان: في معرفة القبض وأسراره.
الباب التاسع عشر ومائتان: في معرفة البسط وأسراره.
الباب الموفي عشرين ومائتان: في معرفة الفناء وأسراره.
الباب الحادي والعشرون ومائتان: في معرفة البقاء وأسراره.
الباب الثاني والعشرون ومائتان: في معرفة الجمع وأسراره.
الباب الثالث والعشرون ومائتان: في معرفة التفرقة وأسرارها.
الباب الرابع والعشرون ومائتان: في معرفة عين التحكيم وأسراره.
الباب الخامس والعشرون ومائتان: في معرفة الزوائد وأسرارها.
الباب السادس والعشرون ومائتان: في معرفة الإرادة وأسرارها.
الباب السابع والعشرون ومائتان: في معرفة حال المراد وسرِّه.
الباب الثامن والعشرون ومائتان[٢]: في معرفة المريد وأسراره.
الباب التاسع والعشرون ومائتان: في معرفة الهمّة وأسرارها.

---

(١) ص ٢٦ب
(٢) ص ٢٧

الباب الثلاثون ومائتان: في معرفة الغُرْبة وأسرارها.
الباب الحادي والثلاثون ومائتان: في معرفة المكر وأسراره.
الباب الثاني والثلاثون ومائتان: في معرفة الاصطلام وأسراره.
الباب الثالث والثلاثون ومائتان: في معرفة الرغبة وأسرارها.
الباب الرابع والثلاثون ومائتان: في معرفة الرهبة وأسرارها.
الباب الخامس والثلاثون ومائتان: في معرفة التواجد وأسراره.
الباب السادس والثلاثون ومائتان: في معرفة الوجد وأسراره.
الباب السابع والثلاثون ومائتان: في معرفة الوجود.
الباب الثامن والثلاثون ومائتان: في معرفة الوقت وأسراره.
الباب التاسع والثلاثون ومائتان: في معرفة الهيبة وأسرارها.
الباب الأربعون ومائتان: في معرفة الأُنس وأسراره.
الباب الحادي والأربعون ومائتان: في معرفة الجلال وأسراره.
الباب الثاني والأربعون ومائتان: في معرفة الجمال وأسراره[1].
الباب الثالث والأربعون ومائتان: في معرفة الكمال: وهو الاعتدال، وهو الأعراف، وهو أيضا سور الحديد، وهو التجريد عن حكم الأوصاف عليه.
الباب الرابع والأربعون ومائتان: في معرفة الغَيبة وأسرارها.
الباب الخامس والأربعون ومائتان: في معرفة الحضور وأسراره.
الباب السادس والأربعون ومائتان: في معرفة السُّكْر وأسراره.
الباب السابع والأربعون ومائتان: في معرفة الصحو وأسراره.
الباب الثامن والأربعون ومائتان: في معرفة الذوق وأسراره.
الباب التاسع والأربعون ومائتان: في معرفة الشرب وأسراره.
الباب الخمسون ومائتان: في معرفة الرِّي وأسراره.

(١) ص ٢٧ب

الباب الحادي والخمسون ومائتان: في معرفة عدم الرِّي لمن شرب وأسراره.
الباب الثاني والخمسون ومائتان: في معرفة المحو وأسراره.
الباب الثالث والخمسون ومائتان: في معرفة الإثبات وأسراره.
الباب الرابع والخمسون ومائتان: في معرفة الستر وأسراره.
الباب[1] الخامس والخمسون ومائتان: في معرفة المحق ومَحق المحق.
الباب السادس والخمسون ومائتان: في معرفة الإبدار وأسراره.
الباب السابع والخمسون ومائتان: في معرفة المحاضرة وأسرارها.
الباب الثامن والخمسون ومائتان: في معرفة اللوامع وأسرارها.
الباب التاسع والخمسون ومائتان: في معرفة الهجوم والبواده وأسرارهما.
الباب الستّون ومائتان: في معرفة القُرْب وأسراره.
الباب الحادي والستّون ومائتان: في معرفة البُعْد وأسراره.
الباب الثاني والستّون ومائتان: في معرفة الشريعة.
الباب الثالث والستّون ومائتان: في معرفة الحقيقة.
الباب الرابع والستّون ومائتان: في معرفة الخواطر.
الباب الخامس والستّون ومائتان: في معرفة الوارد.
الباب السادس والستّون ومائتان: في معرفة الشاهد.
الباب السابع والستّون ومائتان: في معرفة النفْس -بسكون الفاء-.
الباب الثامن والستّون ومائتان: في معرفة الروح.
الباب التاسع والستّون ومائتان: في معرفة علم[2] اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين.

---

(١) ص ٢٨
(٢) ص ٢٨ب

الفصل الرابع: في المنازل

الباب السبعون ومائتان: في معرفة منزل القطب والإمامين من المناجاة المحمديّة.

الباب الحادي والسبعون ومائتان: في معرفة منزل "عند الصباح يحمد القوم السُّرى" من المناجاة المحمديّة.

الباب الثاني والسبعون ومائتان: في معرفة تنزيه التوحيد منها.

الباب الثالث والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الهلاك للهوى والنفس من المقام الموسوي.

الباب الرابع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الأجل المسمّى من المقام الموسوي.

الباب الخامس والسبعون ومائتان: في معرفة منزل التبرّي من الأوثان من المقام الموسوي.

الباب السادس والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الحوض وأسراره من المقام المحمدي.

الباب السابع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل التكذيب والبُخل من المقام الموسوي وأسراره.

الباب الثامن والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الأُلفة وأسراره من المقام الموسوي والمحمدي.

الباب(١) التاسع والسبعون ومائتان: في معرفة منزل الاعتبار وأسراره من المقام المحمدي.

الباب الثمانون ومائتان: في معرفة منزل "مالي" وأسراره من المقام الموسوي.

الباب الحادي والثمانون ومائتان: في معرفة منزل الضمّ وإقامة الواحد مقام الجمع من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني والثمانون ومائتان: في معرفة منزل زيارة الموتى وأسراره من الحضرة الموسويّة.

الباب الثالث والثمانون ومائتان: في معرفة منزل القواصم وأسرارها من الحضرة المحمديّة.

الباب الرابع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل المجاراة الشريفة وأسرارها من الحضرة المحمديّة.

الباب الخامس والثمانون ومائتان: في معرفة منزل مناجاة الجماد، ومَن حصَل فيه حصّل نِصف الحضرة المحمديّة والموسويّة.

الباب السادس والثمانون ومائتان: في معرفة منزل مَن قيل له: ﴿كُن﴾ فأبى ولم يَكن، من الحضرة المحمديّة.

---

(١) ص ٢٩

الباب السابع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل التجلّي الصمداني وأسراره، من الحضرة المحمديّة.
الباب الثامن والثمانون ومائتان: في معرفة منزل التلاوة الأوّليّة[1]، من الحضرة الموسويّة.
الباب التاسع والثمانون ومائتان: في معرفة منزل العلم الأمّي الذي ما تقدّمه عِلم، من الحضرة الموسويّة.
الباب التسعون ومائتان: في معرفة منزل تقرير النِّعم، من الحضرة الموسويّة.
الباب الحادي والتسعون ومائتان: في معرفة منزل صدر الزمان، وهو الفلك الرابع من الحضرة المحمديّة.
الباب الثاني والتسعون ومائتان: في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب والشهادة، من الحضرة الموسويّة.
الباب الثالث والتسعون ومائتان: في معرفة منزل وجود سبب عالَم الشهادة وسبب ظهور عالَم الغيب، من الحضرة الموسويّة.
الباب الرابع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل المحمدي المكي، من الحضرة الموسويّة.
الباب الخامس والتسعون ومائتان: في معرفة منزل الأعداد المشرّفة، من الحضرة المحمديّة.
الباب السادس والتسعون ومائتان: في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء، من الحضرة الموسويّة.
الباب السابع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل ثناء التسوية الطينيّة الآدميّة في المقام الأعلى، من[2] الحضرة المحمديّة.
الباب الثامن والتسعون ومائتان: في معرفة منزل الذَّكَر من العالَم العُلْوي في الحضرات المحمديّة.
الباب التاسع والتسعون ومائتان: في معرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السّرياني، في الحضرة المحمديّة.
الباب الموفي ثلاثمائة: في معرفة منزل سبب انقسام العالَم العلوي في الحضرات المحمديّة.
الباب الحادي وثلاثمائة: في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم وأهل العذاب.

---
(١) ص ٢٩ب
(٢) ص ٣٠

الباب الثاني وثلاثمائة: في معرفة منزل ذهاب العالَم الأعلى ووجود العالَم الأسفل.

الباب الثالث وثلاثمائة: في معرفة منزل العارف الجَبرئيلي، من الحضرة المحمديّة.

الباب الرابع وثلاثمائة: في معرفة منزل إيثار الغِنى على الفقر، من المقام الموسوي، وإيثار الفقر على الغنى، من الحضرة العيسويّة.

الباب الخامس وثلاثمائة: في معرفة منزل ترادف الأحوال على قلوب الرجال، من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس وثلاثمائة: في معرفة منزل اختصام الملأ الأعلى، من الحضرة الموسويّة.

الباب السابع وثلاثمائة[1]: في معرفة منزل تنزّل الملائكة على المحمدي المُوْقِفِ، من الحضرة الموسويّة.

الباب الثامن وثلاثمائة: في معرفة منزل اختلاط العالَم الكلّي، من الحضرة المحمديّة.

الباب التاسع وثلاثمائة: في معرفة منزل الملاميّة، من الحضرة المحمديّة.

الباب العاشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الصلصلة الروحانيّة، من الحضرة الموسويّة.

الباب الحادي عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل النواشئ الاختصاصيّة الغيبيّة، من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل كيفيّة نزول الوحي على قلوب الأولياء وحفظهم في ذلك من الشياطين، من الحضرة المحمديّة.

الباب الثالث عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل البكاء والنَّوْح، من الحضرة المحمديّة.

الباب الرابع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبيّين والأولياء، من الحضرة المحمديّة.

الباب الخامس عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل وجوب العذاب، من الغَيبة[2] المحمديّة.

الباب السادس عشر وثلاثمائة: في معرفة الصفات القاسِميّة المنقوشة بالقلم الإلهيّ في[3] اللوح المحفوظ الإنساني، من الحضرة الموسويّة.

---

(١) ص ٣٠ب

(٢) ق: "الحضرة" وصححت بالهامش بخط الأصل: "الغيبة".

(٣) ص ٣١

الباب السابع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل الابتلاء وبركاته، وهو منزل الإمام الذي على يسار القطب، وهو منزل "أبي مدين" الذي كان ببجاية -رحمه الله.

الباب الثامن عشر وثلاثمائة: في معرفة نسخ الشريعة المحمديّة بالأغراض النفسيّة -عافانا الله وإيّاك من ذلك-.

الباب التاسع عشر وثلاثمائة: في معرفة منزل سَراح النفس من قيد وجهٍ مّا من وجوه الشريعة بوجهٍ آخر منها، وأنّ ترك السبب الجالب للرزق، من طريق التوكّل، سببٌ جالب للرزق، وأنّ المتّصف به ما خرج عن رقّ الأسباب.

الباب الموفي عشرين وثلاثمائة: في معرفة منزل تسبيح القبضتين وتمييزهما.

الباب الحادي والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل مَن فَرَّق بين عالَم الغيب وعالَم الشهادة. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل مَن باع الحقّ بالخلق، وهو من الحضرة المحمديّة[١].

الباب الثالث والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل بُشرى مبَشِّر بمبشَّرٍ به. وهو من الحضرة المحمديّة[٢].

الباب الرابع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل جمع الرجال والنساء[٣] في بعض المواطن الإلهيّة، وهو من الحضرة العاصميّة.

الباب الخامس والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل التحاور والمنازعة، وهو من الحضرة المحمديّة والموسويّة.

الباب السابع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل المُدِّ والنَّصيف، من الحضرة المحمديّة.

الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل ذهاب المركّبات إلى البسائط عند السبْك، وهو من الحضرات المحمديّة.

---

(١) "الباب الثاني والعشرون... المحمدية" ثابتة في الهامش وبخط الأصل.
(٢) في الهامش: " بلغ العرض بالمقابلة ".
(٣) ص ٣١ب

الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة: في معرفة منزل الآلاء والفراغ إلى البلاء، وهو من الحضرات المحمديّة.

الباب الثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الحادي والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الرؤية(١)، والقوّة عليها، والترقّي والتداني والتلقّي والتدلّي، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الحراسة الإلهيّة لأهل المقامات المحمديّة، وهو من الحضرة الموسويّة.

الباب الثالث والثلاثون(٢) وثلاثمائة: في معرفة منزل «خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي؛ فلا تهتِك ما خلقتُ من أجلي فيما خلقتُ من أجلك»(٣) وهو من الحضرات المحمديّة.

الباب الرابع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل تجديد المعدوم. وهو من الحضرات الموسويّة.

الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأخوّة، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل مبايعة النبات للقطب. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السابع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل محمد ﷺ مع بعض العالَم. وهو من الحضرات الموسويّة.

الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل عقبات السويق وأسراره. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة: في معرفة منزل: جثت الشريعة بين يدي الحقيقة تطلب الاستمداد، من الحضرة المحمديّة.

الباب الأربعون وثلاثمائة: في معرفة المنزل الذي منه خبّأ رسول الله ﷺ ما خبّأ. وهو من الحضرة الموسويّة.

---

(١) رسمها في ق: "الرءية" ومضاف إليها في الهامش: "والرءية".
(٢) ص ٣٢
(٣) فيض القدير ٧٦٠٣

الباب الحادي والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل التقليد[1] في الأسرار، وهو من الحضرة الموسويّة.

الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّين منفصلين عن ثلاثة أسرار تجمعهما حضرة واحدة من حضرات الوحي. وهو من الحضرة الموسويّة.

الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّين في تفصيل الوحي، من حضرة حمد المُلْك كلِّه.

الباب الرابع والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّين من أسرار المغفرة. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّ الإخلاص في الدِّين. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرٍّ صَدَقَ فيه بعض العارفين فرأى نوره كيف ينبعث، من جوانب ذلك المنزل، عليه. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السابع والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الصف الأوّل عند الله -تعالى- والشكّ الإلهيّ، وفتح خيبر، وما تنزّل في ذلك اليوم من الأسرار، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّين من أسرار قلب الجمع والوجود. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب التاسع[2] والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها، وخَلق كلّ أمّة. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل التجلّي الاستفهامي، ورفع الغطاء عن المعاني. وهو من الحضرة المحمديّة، من الاسم "الربّ".

الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات، وهو من حضرة الغَيْرة المحمديّة، من الاسم "الودود".

الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة: في معرفة ثلاثة أسرار طلسميّة مصوّرة مدبَّرة، من حضرة التنزّلات المحمديّة.

---

(١) ص ٣٢ب

(٢) ص ٣٣

الباب الثالث والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسميّة حكميَّة، تشير إلى معرفة السبب وأداءِ حقِّه. وهو من الحضرة المحمديّة.
الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأقصى السرياني. وهو من الحضرة الموسويّة.
الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل السُّبُل المولّدة وأرض العبادة واتّساعها. وهو من الحضرة المحمديّة.
الباب السادس والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار مُكَتَّمة والسِّرِّ[١] الغربي في الأدب الإلهيّ والوحي النفسي، من الحضرة المحمديّة.
الباب السابع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل البهائم، من الحضرة الإلهيّة، وقهرهم تحت سرّين موسويّين.
الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار مختلفة الأنوار، والفِرار والإنذار وصحيح الأخبار. ومن هذا المنزل قلت الشِّعر في خلوةٍ دخلتها نِلته فيها، وهو من أعجب المنازل وأنوَرها.
الباب التاسع والخمسون وثلاثمائة: في معرفة منزل "إيّاك أعني فاسمعي يا جارة" وهو منزل تفريق الأمر وصورة الكتم في الكشف، من الحضرة المحمديّة.
الباب الستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة، وإلحاق مَن ليس من "أهل البيت" "بأهل البيت". وهو من الحضرة المحمديّة.
الباب الحادي والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل الاشتراك مع الحقّ في التقدير. وهو من الحضرة المحمديّة.
الباب الثاني والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل السجدتين: سجود الكلِّ والجزء -وهو سجود القلب والوجه-[٢] وما فيه من أسرار. وهو من الحضرة المحمديّة.
الباب الثالث والستّون[٣] وثلاثمائة: في معرفة منزل إحالة العارف مَن لم يعرفه على مَن هو دونه ليعلّمه ما ليس في وسعه أن يعلّمه، وتنزيه الباري عن الطرب والفرح. وهو من الحضرة المحمديّة.

---
(١) ص ٣٣ب
(٢) وهو سجود القلب والوجه مضافة بالهامش مع إشارة التصويب وبخط حديث.
(٣) ص ٣٤

الباب الرابع والستّون وثلاثمائة: في معرفة سِرّين طلسميين، مَن عرفهما نال الراحة في الدنيا والآخرة، والغَيرة الإلهيّة. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الخامس والستّون وثلاثمائة: في معرفة أسرار طِلسميّة[1] اتّصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه وحاله على الأكوان، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل وزراء المهدي الآتي في آخر الزمان الذي بشَّر به رسول الله ﷺ، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السابع والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل التوكّل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحقِّقين لقلّة القابلين له وقصور الأفهام عن دركه. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثامن والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل "أَتَى" و"لم يأتِ" وحضرة الأمر وحده، وصنف عالَم ما يوحَى إليه على الدوام، وما فيه من الأسرار. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب التاسع[2] والستّون وثلاثمائة: في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود، وتأثير عالَم الشهادة في عالَم الغيب عن عالَم الغيب. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل المزيد وسِرّ وسِرّين، من أسرار الوجود والتبدُّل. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الحادي والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرّ وثلاثة أسرار لوحيّة أُمِّيَّة، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سِرٍّ وسِرَّين، وثَنائك عليك بما ليس لك، وإجابة الحقّ لك في ذلك لمعنى، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثالث والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرتْ في الماء الحِكْمي المفصَّل مركّبة على العالَم بالعناية، وبقاء العالَم أبد الآبدين وإن انتقلت صورته، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الرؤية والرؤية[3] وسوابق الأشياء في الحضرة الرَّبِّيَّة، وأنّ للكفّار قَدما كما أنّ للمؤمنين قَدما، وقدوم كلّ طائفة على قَدمها وآتية بإمامها عدلا وفضلا، وهو من الحضرة المحمديّة.

---

(١) "طلسمية" مضافة في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.

(٢) ص ٣٤ب

(٣) رسمها في ق: الرؤية والرعية

الباب الخامس[1] والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل التضاهي الخيالي وعالَم الحقائق والامتزاج، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب السادس والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل يجمع بين الأولياء والأعداء من الحضرة الحكميّة، ومقارعة عالَم الغيب، بعضهم مع بعض. وهذا المنزل يتضمّن ألف مقام، وهو من الحضرة المحمديّة

الباب السابع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سجود القيّوميّة والصدق والمجد واللؤلؤة والسور، وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثامن والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الأُمّة البهيميّة والإحصاء، والثلاثة الأسرار العلويّة. وتقدُّم المتأخّر، وتأخُّر المتقدّم. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب التاسع والسبعون وثلاثمائة: في معرفة منزل الحلّ والعقد، والإكرام والإهانة، ونشأة الدعاء في صورة الإخبار. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل «العلماء ورثة الأنبياء»[2] وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الحادي والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل التوحيد والجمع وهو يحوي على خمسة آلاف مقام رَفْرَفِيّ، وأكمل[3] مَشاهِده مَن شاهده في نصف الشهر أو في آخره. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الثاني والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل الخواتم وعدد الأعراس الإلهيّة والأسرار الأعجميّة. وهو من الحضرة الموسويّة[4].

الباب الثالث والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات. وهو من الحضرة المحمديّة الاختصاصيّة.

---

(١) ص ٣٥

(٢) أخلاق العلماء للآجري ٧، الأربعون الصغرى للبيهقي ٤

(٣) ص ٣٥ب

(٤) مضاف بجانبها "المحمدية" بخط حديث، مع حرف خ وهي غير موجودة في الباب المقصود.

الفصل الخامس في المنازلات

الباب الرابع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة المنازلات الخطابيّة، وهو من سِرّ قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[1]. وهو من الحضرة المحمديّة.

الباب الخامس والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن حُقِّر غُلِب ومَن استُهين مُنِع".

الباب السادس والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة "حبل الوريد" وأينيّة المعيّة.

الباب السابع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة "التواضع الكبريائي".

الباب الثامن والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة مجهولة عند العبد، وهو إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصِدُهُ من الحقِّ.

الباب[2] التاسع والثمانون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "إِلَيّ كونُكَ وإِلَّكَ كَوْني".

الباب التسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "زمان الشيء وجوده إلّا أنا فلا زمان لي، وإلّا أنت فلا زمان لك: فأنت زماني وأنا زمانك".

الباب الحادي والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "المسلك السيّال الذي لا يثبت عليه رجال السؤال".

الباب الثاني والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن رحم رحمناه، ومَن لم يرحم رحمناه ثمّ غضبنا عليه ونسيناه".

الباب الثالث والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن توقّف عند رؤية ما هاله هلك".

الباب الرابع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن تأدّب وصل، ومَن وصل لم يرجع ولو كان غير أديب".

الباب الخامس والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن دخل حضرتي وبقيَتْ عليه حياته، فعزاؤه عليّ في موت صاحبه".

الباب السادس والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن جمع المعارف والعلوم حجبته عنّي".

---

(١) [الشورى: ٥١]
(٢) ص ٣٦

الباب السابع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: ﴿إِلَيۡهِ[1] يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[2].

الباب الثامن والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "مَن وعظ الناس لم يعرفني، ومَن ذكّرهم عرفني".

الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة: في معرفة منازلة: "منزلٌ مَن دخله ضربتُ عُنُقَه، وما بقي أحدٌ إلّا دَخَلَه".

الباب الموفي أربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن ظهر لي بطنتُ له، ومَن وقف عند حدّي اطّلعتُ عليه".

الباب الحادي وأربعمائة: في منازلة: "الميّت والحيّ ليس لهما إلى رؤيتي سبيل".

الباب الثاني وأربعمائة: في منازلة: "مَن غالبني غلبته، ومَن غالبته غلبني: فالجنوح إلى السلْم أَوْلَى".

الباب الثالث وأربعمائة: في منازلة: "لا حجّة لي على عبيدي: ما قلت لواحد منهم: لِمَ عملتَ؟ إلّا قال لي: أنتَ عملتَ؛ وقال الحقّ: ولكنّ السابقة أسبق ولا تبديل".

الباب الرابع وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن عَنَّف على رعيّته سعى في هلاك مُلْكِه، ومَن رفق بهم بقي مليكا. كلُّ سيِّد قتَل عبدا من عبيده فإنما قتَل سيادة من سيادته، إلّا أنا. فانظر".

الباب الخامس وأربعمائة: في منازلة: "مَن جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري؛ ما يدري أحدٌ ما[3] أعطيه، فلا تشبّهوه بالبيت المعمور؛ فإنّه بيت ملائكتي لا بيتي، ولهذا لم أُسْكِن فيه خليلي. بل بيتي قلب عبدي الذي وَسِعني حين ضاق عنّي أرضي وسمائي[4]".

الباب السادس وأربعمائة: في منازلة: "ما ظهر منّي قطّ شيء لشيء، ولا ينبغي أن يظهر".

الباب السابع وأربعمائة: في منازلة: "في أسرع من الطرفة تُخْتَلَس منّي. إن نظرتَ إلى غيري لا لضعفي ولكن لضعفك".

الباب الثامن وأربعمائة: في معرفة منازلة: "يوم السبت: فحُلّ عنك مئزر الجِدّ الذي شددتَه فقد

---

(١) ص ٣٦ب

(٢) [فاطر: ١٠]

(٣) ص ٣٧

(٤) "بل بيتي.... وسمائي" مكتوبة بالهامش بخط الأصل.

فرغ العالَم منّي وفرغتُ منه".

الباب التاسع وأربعمائة: في منازلة: "أسمائي حجابٌ عليك، فإن رفعتَها وصلتَ إليّ".

الباب العاشر وأربعمائة: في منازلة: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[1] فاعتزّوا بهذا الربّ تسعدوا.

الباب الحادي[2] عشر وأربعمائة: في منازلة: «فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار»[3] من حضرة "كاد لا يدخل النار"؛ فخافوا الكتاب ولا تخافوني، فإنّي وإيّاكم سَوَاء.

الباب الثاني عشر وأربعمائة: في منازلة: "مَن كان لي لم يَذِلّ، ولا يخزى أبدا".

الباب الثالث عشر وأربعمائة: في منازلة: "مَن سألني فما خرج من قضائي، ومَن لم يسألني فما خرج مَن قضائي".

الباب الرابع عشر وأربعمائة[4]: في معرفة منازلة: "لا نُرى إلّا بحجاب".

الباب الخامس عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن دعاني فقد أدَّى حقَّ عبوديّته، ومَن أنصف نفسه فقد أنصفني".

الباب السادس عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة "عين القلب".

الباب السابع عشر وأربعمائة: في معرفة منزلة "مَن أجرُه على الله".

الباب الثامن عشر وأربعمائة: في منازلة "مَن لا يفهم لا يوصل إليه شيء".

الباب التاسع عشر وأربعمائة: في معرفة منازلة "الصكوك".

الباب الموفي عشرين وأربعمائة: في معرفة منازلة "التخلُّص من المقامات".

الباب الحادي والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن طلب الوصول إليَّ من جهة الدليل والبرهان لم يصل إليَّ أبدا: فإنّه لا يشبهني شيء".

الباب الثاني والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن ردّ إليَّ فِعْلِي فقد أعطاني حقّي".

الباب الثالث والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن غار عليَّ لم يذكرني".

---

(١) [النجم: ٤٢]

(٢) ق: الحادي أحد

(٣) الأربعون حديثا للآجري ٦، القضاء والقدر للبيهقي ٦٠

(٤) ص ٣٧ب

الباب الرابع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة[1]: "أحبّك للبقاء معي، وتحبّ الرجوع إلى أهلك؛ فقف حتى أتشفّى منك، وحينئذ تمرّ عنّي".

الباب الخامس والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن طلب العلمَ صرفتُ بصرَه عنّي".

الباب السادس والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة السِّرّ الذي منه قال ﷺ حين استُفْهِمَ عن رؤيتِهِ رَبَّه، فقال: «نور أَنَّى أراه»[2].

الباب السابع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[3].

الباب الثامن والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة الاستفهام عن الإِنِيَّتين.

الباب التاسع والعشرون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن تصاغر لجلالي نزلتُ إليه، ومن تعاظم عليّ تعاظمتُ عليه".

الباب الثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "إنْ حَيَّرْتُك أوصلْتُكَ إليّ".

الباب الحادي والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن حجبَتهُ حجبْتهُ".

الباب الثاني والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "ما تَردَّأتُ بشيء إلّا بك، فاعرف قدرك. وهذا عجب: شيء لا يعرف نفسه!".

الباب الثالث والثلاثون وأربعمائة[4]: في معرفة منازلة: "انظر؛ أيّ تجلٍّ يعدمك فلا تسألنيه فنعطيك إيّاه، فلا أجِد مَن يأخذه".

الباب الرابع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "لا يحجبك "لو شئتُ"؛ فإنِّي لا أشاء بعدُ: فاثبتْ".

الباب الخامس والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "أخذتُ العهد على نفسي، فوقتا وَفَيْتُ، ووقتا لم أَفِ: فلا تعترض".

الباب السادس والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "لو كنتَ عند الناس كما أنت عندي؛ ما عبدوني".

---

(١) ص ٣٨
(٢) صحيح مسلم ٢٦١، مسند أحمد ٢٠٤٢٧
(٣) [النجم: ٩]
(٤) ص ٣٨ب

الباب السابع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن عرف حظّه مِن شريعتي عرف حظّه منّي، فإنّك عندي كما أنا عندك، مرتبة واحدة".

الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن قرأ كلامي رأى غمامتي، فيها سُرُج ملائكتي تنزل عليه وفيه. فإذا سكتَ رَحَلَتْ عنه ونزلتُ أنا".

الباب التاسع والثلاثون وأربعمائة: في معرفة منازلة "قاب قوسين الثاني".

الباب الأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "اشتدّ ركن مَن قَوِيَ قلبُه بمشاهدتي".

الباب[1] الحادي والأربعون وأربعمائة[2]: في معرفة منازلة: "عيون أفئدةِ العارفين ناظرةٌ إلى ما عندي لا إليّ".

الباب الثاني والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن رآني وعرف أنّه رآني فما رآني".

الباب الثالث والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة "واجب الكشف العرفاني".

الباب الرابع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن كتبتُ له كتابَ العَهْدِ الخالص لا يشقى".

الباب الخامس والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "هل عرفتَ أوليائي الذين أَدّبتهم بآدابي؟".

الباب السادس والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "في تعمير نواشىء الليل فوائد الخيرات".

الباب السابع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن دخل حضرة التطهير نطقَ عنّي".

الباب الثامن والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن كشفتُ له شيئا مما عندي بُهِتَ، فكيف يطلب أن يراني؟".

الباب التاسع والأربعون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "ليس عبدي مَن تعبّد[3] عبدي"

الباب الخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن ثبت لظهوري كان بي لا به. سبحاني كان به لا بي، وهذا الحقيقة والأوّل مجاز"[4].

الباب الحادي والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "في المخارج معرفة المعارج"

(١) ص ٣٩

(٢) ثابتة في الهامش بقلم آخر

(٣) ص ٣٩ب

(٤) في الهامش: " سمع من أول الكتاب إلى هنا بقراءة محمد بن إسحق خادم الشيخ، شرف الدين بن الإسكاف وناصر الدين إبراهيم صاحبا الشيخ رضي الله عنه ".

الباب الثاني والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "كلامي كلّه موعظة لعبيدي لو اتّعظوا".

الباب الثالث والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "كرمي ما بذلت لك من الأموال. وكرم كرمي ما وهبتُك مِن عفوِك عن أخيك عند جنايته عليك".

الباب الرابع والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "لا يقوى معنا في حضرتنا غريب، وإنما المعروف لأُولِي القُرْبَى".

الباب الخامس والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن أقبلتُ عليه بظاهري لا يسعد أبدا. ومَن أقبلت عليه بباطني لا يشقى أبدا. وبالعكس".

الباب السادس والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن تحرَّك عند سماع كلامي فقد سمع".

الباب السابع والخمسون[1] وأربعمائة: في معرفة منازلة: "التكليف المطلَق".

الباب الثامن والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "إدراك السبحات".

الباب التاسع والخمسون وأربعمائة: في معرفة منازلة: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[2].

الباب الستّون وأربعمائة: في معرفة منازلة: الإسلام والإيمان والإحسان، وإحسان الإحسان.

الباب الحادي والستّون وأربعمائة: في معرفة منازلة: "مَن أسدلت عليه حجاب كنفي هو مِن ضنائني لا يعرفه أحد ولا يعرِف أحدا".

(١) ص ٤٠
(٢) [ص: ٤٧]

الفصل السادس: في المقامات

الباب الثاني والستّون وأربعمائة: في معرفة الأقطاب المحمديين ومنازلهم.

الباب الثالث والستّون وأربعمائة: في معرفة الاثني عشر قطبا؛ وهم الذين يدور بهم فلَك العالَم.

الباب الرابع والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب الأقطاب المحمديّة الذي كان منزله: ﴿لَا إله إلّا الله﴾.

الباب الخامس والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله[1]: ﴿الله أكبر﴾

الباب السادس والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿سبحان الله﴾

الباب السابع والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الحمد لله﴾.

الباب الثامن والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿الحمد لله على كلّ حال﴾.

الباب التاسع والستّون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[2].

الباب السبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

الباب الحادي والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[4]

الباب الثاني والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ. ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[5]

الباب الثالث والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾[6].

الباب الرابع والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَا[7] عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾[8].

الباب الخامس والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

---

(١) ص ٤٠ب
(٢) [غافر: ٤٤]
(٣) [الذاريات: ٥٦]
(٤) [آل عمران: ٣١]
(٥) [الزمر: ١٧، ١٨]
(٦) [البقرة: ١٦٣]
(٧) ص ٤١
(٨) [النحل: ٩٦]

فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

الباب السادس والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾[2] الحول والقوّة لله؛ "لا حول ولا قوّة إلّا بالله".

الباب السابع والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[3] ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[4].

الباب الثامن والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[5].

الباب التاسع والسبعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾[6] شمّر فإنّ الأمر جدّ.

الباب الثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[7].

الباب الحادي والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: "إنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا"[8].

الباب[9] الثاني والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[10].

الباب الثالث والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[11].

الباب الرابع والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: حَتَّى ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ. وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[12].

---

(١) [الحج: ٣٢]
(٢) [التوبة: ١١٤]
(٣) [المطففين: ٢٦]
(٤) [الصافات: ٦١]
(٥) [لقمان: ١٦]
(٦) [الحج: ٣٠]
(٧) [مريم: ١٢]
(٨) من قوله تعالى: "إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا" [الكهف: ٣٠]
(٩) ص ٤١ب
(١٠) [لقمان: ٢٢]
(١١) [الشمس: ٩، ١٠]
(١٢) [الواقعة: ٨٣، ٨٤]، والآية مسبوقة بـ"حتى" هنا ولم ترد في الباب الأصلي.

الباب الخامس والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾(١).

الباب السادس والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾(٢).

الباب السابع والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ومَن يعمل من الصالحات ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾(٣).

الباب الثامن والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ(٤) رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾(٥).

الباب التاسع والثمانون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾(٦).

الباب التسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾(٧).

الباب الحادي والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾(٨).

الباب الثاني والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(٩).

الباب الثالث والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾(١٠).

الباب الرابع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ

---

(١) [هود: ١٥]
(٢) [الأحزاب: ٣٦]
(٣) [النحل: ٩٧]، والآية: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" [النحل: ٩٧]
(٤) ص ٤٢
(٥) [طه: ١٣١]
(٦) [الأنفال: ٢٨]
(٧) [الصف: ٣]
(٨) [القصص: ٧٦]
(٩) [الجن: ٢٦، ٢٧]
(١٠) [النساء: ٧٨]

ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[1].

الباب الخامس والتسعون وأربعمائة[2]: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾[3].

الباب السادس والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان[4] منزله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[5].

الباب السابع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[6].

الباب الثامن والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[7].

الباب التاسع والتسعون وأربعمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[8].

الباب الموفي خمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾[9].

الباب الحادي وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[10].

الباب الثاني وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[11].

الباب الثالث وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[12].

---

(١) [فاطر: ٢٨]
(٢) ثابتة في الهامش بقلم آخر
(٣) [البقرة: ٢١٧]
(٤) ص ٤٢ب
(٥) [الأنعام: ٩١] وتوجد إضافة بخط حديث للآية القرآنية "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ"، وليست موجودة في الباب.
(٦) [يوسف: ١٠٦]
(٧) [الطلاق: ٢]
(٨) [الشورى: ١١]
(٩) [الأنبياء: ٢٩]
(١٠) [الأنعام: ٤٠]
(١١) [الأنفال: ٢٧]
(١٢) [البينة: ٥]

الباب الرابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ[1] ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[2].

الباب الخامس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[3].

الباب السادس وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[4].

الباب السابع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[5].

الباب الثامن وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[6].

الباب التاسع وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[7].

الباب العاشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[8].

الباب الحادي[9] عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[10] ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[11].

الباب الثاني عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم[12] بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾[13].

الباب الثالث عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ.

---

(١) ص ٤٣
(٢) [الأنعام: ٩١]
(٣) [الطور: ٤٨]
(٤) [آل عمران: ٥٤]
(٥) [العلق: ١٤]
(٦) [البقرة: ٢٥٧]
(٧) [سبأ: ٣٩]
(٨) [الأعراف: ١٤٦]
(٩) ق: الحادي أحد
(١٠) [البقرة: ٢٨٢]
(١١) [الأنفال: ٢٩]
(١٢) ص ٤٣ب
(١٣) [النساء: ٥٦]

إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾[1].

الباب الرابع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[2].

الباب الخامس عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾[3].

الباب السادس عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾[4]. ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[5].

الباب السابع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[6].

الباب الثامن عشر وخمسمائة: في[7] معرفة حال قطب كان منزله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[8].

الباب التاسع عشر وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[9].

الباب الموفي عشرين وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾[10].

الباب الحادي والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ﴾[11].

---

(١) [مريم: ٢، ٣]
(٢) [الطلاق: ٣]
(٣) [ص: ٢٤]
(٤) [التوبة: ٢٤]
(٥) [الذاريات: ٥٠]
(٦) [التوبة: ١١٨]
(٧) ص ٤٤
(٨) [سبأ: ٢٣]
(٩) [الأنفال: ٢٤]
(١٠) [الأنعام: ٣٦]
(١١) [البقرة: ١٩٧]

الباب الثاني والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ. أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(١).

الباب الثالث والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾(٢).

الباب الرابع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي(٣) لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا﴾(٤).

الباب الخامس والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا﴾(٥).

الباب السادس والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا. إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾(٦).

الباب السابع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا. وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾(٧).

الباب الثامن والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾(٨).

الباب التاسع والعشرون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ(٩) بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾(١٠).

---

(١) [المؤمنون: ٦٠، ٦١]
(٢) [النازعات: ٤٠]
(٣) ص ٤٤ب
(٤) [الكهف: ١٠٩]
(٥) [الطلاق: ١]
(٦) [الإسراء: ٧٤، ٧٥]
(٧) [الكهف: ٢٨، ٢٩]
(٨) [الشورى: ٤٠]
(٩) ص ٤٥
(١٠) [الأعراف: ٥٨]

الباب الثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾(1).

الباب الحادي والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(2).

الباب الثاني والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(3).

الباب الثالث والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾(4).

الباب الرابع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(5).

الباب الخامس والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(6).

الباب السادس والثلاثون(7) وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(8).

الباب السابع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾(9).

الباب الثامن والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(10).

الباب التاسع والثلاثون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ

---

(1) [النساء: 108]
(2) [يونس: 61]
(3) [النساء: 103]
(4) [البقرة: 186]، "الداعي إذا دعاني" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وهي: "الداع إذا دعان" وفقا لقراءة حفص.
(5) [القلم: 4]
(6) [آل عمران: 191]
(7) ص 45ب
(8) [الشورى: 20]
(9) [الأحزاب: 37]
(10) [هود: 112]

نَذِيرٞ مُّبِينٞ. وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[1].

الباب الأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾[2].

الباب الحادي والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾[3].

الباب الثاني والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[4].

الباب الثالث والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال[5] قطب كان منزله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[6].

الباب الرابع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[7].

الباب الخامس والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب﴾[8].

الباب السادس والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾[9].

الباب السابع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[10].

الباب الثامن والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[11].

الباب التاسع والأربعون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ. فَأَنتَ لَهُۥ

---

(١) [الذاريات: ٥٠، ٥١]
(٢) [الحجرات: ٥]
(٣) [الفرقان: ١٩]
(٤) [الإسراء: ٧٢]
(٥) ص ٤٦
(٦) [الحشر: ٧]
(٧) [ق: ١٨]
(٨) [العلق: ١٩]
(٩) [النجم: ٢٩]
(١٠) [الحجر: ٩٤]
(١١) [البقرة: ١٥٢]

تَصَدَّىٰ ﴾[1].

الباب الخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾[2].

الباب الحادي والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال[3] قطب كان منزله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[4].

الباب الثاني والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾[5].

الباب الثالث والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[6].

الباب الرابع والخمسون وخمسمائة: في صفة الشخص الذي انتقل إليه معنى خاتم النبوّة وسرّه مثل زرّ الحَجَلةِ في معناه، ومنزله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[7]؛ وهم فيه.

الباب الخامس والخمسون وخمسمائة: في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر بقيّة الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة.

الباب السادس والخمسون وخمسمائة: في معرفة حال قطب كان منزله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[8].

الباب السابع والخمسون وخمسمائة: في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق.

الباب الثامن والخمسون[9] وخمسمائة: في معرفة الأسماء التي لربّ العزّة، وما يجوز أن يطلق به اللفظ عليه وما لا يجوز.

---

(١) [عبس: ٥، ٦]
(٢) [الأعراف: ١٤٣]
(٣) ص ٤٦ب
(٤) [التوبة: ١٠٥]
(٥) [النساء: ٦٤]
(٦) [البروج: ٢٠]
(٧) [آل عمران: ١٨٨]
(٨) [الملك: ١]
(٩) ص ٤٧

الباب التاسع والخمسون وخمسمائة: في معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة. وهذا الباب هو كالمختصر لأبواب هذا الكتاب. لكلّ باب فيه قولنا: "ومن ذلك". وفيه زيادة ثلاثة أو أربعة.

الباب الستّون وخمسمائة: في وصيّة حكميّة شرعيّة إلهيّة ينتفع بها المريد والواصل. وهو آخر أبواب هذا الكتاب.

انتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب. والحمد لله حقّ حمده. والصلاة على محمد، نبيّه وعبده[1].

(١) في الهامش: بلغ قراءة لأحمد العلوي ولإبراهيم بن الخلال سماعا على المؤلف.
وفي أسفل الصفحة كُتب السماعان التاليان:١- السماع الأول بخط جديد: "سمع من أول الكتاب إلى هنا على مصنفه الشيخ الفقيه الإمام العالِم العارف محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن العربي -أبقاه الله- بقراءة الإمام الفاضل أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة: أبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وعيسى بن إسحق الهذباني، ويونس بن عثمان الدمشقي، ويعقوب (بن) معاذ الوربي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم- يعرف بابن زرافة-، وحسين بن محمد الموصلي، وأبو عبد الله محمد بن يرنقش المعظمي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، ويوسف بن الحسن النابلسي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع الدمشقي، ومحمد بن علي بن الحسين الأخلاطي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي - وذلك في سابع شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف بدمشق- حرسها الله-. والحمد لله وحده. وصلاته على محمد نبيه وآله وصحبه وأزواجه وسلم".
٢- السماع الثاني بخط جديد كذلك: " وسمع من أول الكتاب إلى هنا على الشيخ المذكور، الشيخ الإمام العالِم، حسام الدين أبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وابنه جمال الدين أحمد، ومحمد بن علي بن محمد المطرز. وصح لهم ذلك وثبت بقراءة علي بن المظفر بن القاسم النشبي الشافعي. وذلك في يوم الأربعاء سادس وعشرين شوال من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. والحمد لله وحده. وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".

الجزء الثالث من الفتح المكي(١)

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

مقدّمة الكتاب

قلنا: وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب، أوّلا، فصلا في العقائد المؤيّدة بالأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة. ثمّ رأيت أنّ ذلك تشغيب على المتأهّب، الطالب للمزيد، المتعرّض لنفحات الجود بأسرار الوجود. فإنّ المتأهّب إذا لزم الخلوة والذِكْر، وفرّغ المحلّ من الفكر، وقعد فقيرا لا شيء له، عند باب ربّه، حينئذ يمنحه الله -تعالى- ويعطيه من العلم به، والأسرار الإلهيّة والمعارف الربّانيّة، التي أثنى الله -سبحانه- بها على عبده خضر فقال: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(٤) وقال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٥) وقال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾(٦).

قيل للجنيد: بِمَ نلتَ ما نلت؟ فقال: "بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة". وقال أبو يزيد: "أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت" فيحصل لصاحب الهمّة في الخلوة مع الله وبه -جلّت هِبَتُهُ، وعَظُمَتْ مِنَّتُهُ- من العلوم ما يغيب عندها كلّ متكلّم على البسيطة، بل(٧) كلّ صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة، فإنّها وراءَ النظر العقلي.

إذ كانت العلوم على ثلاث مراتب:

- علم العقل: وهو كلّ علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل، بشرط العثور على وجه ذلك الدليل. وشُبَهِه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختصّ بهذا الفنّ من العلوم، ولهذا يقولون في النظر: منه صحيح، ومنه فاسد.
- والعلم الثاني علم الأحوال: ولا سبيل إليها إلّا بالذوق. فلا يقدر عاقل على أن يحُدَّها، ولا يقيم على معرفتها دليلا. كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبِر ولذّة الجماع والعشق والوجد

(١) العنوان ص ٤٨ب. والصفحتان السابقتان٤٧ب، ٤٨ بيضاوان
(٢) البسملة ص ٤٩
(٣) [الكهف: ٦٥]
(٤) [البقرة: ٢٨٢]
(٥) [الأنفال: ٢٩]
(٦) [الحديد: ٢٨]
(٧) ص ٤٩ب

والشوق، وما شاكل هذا النوع من العلوم. فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلّا بأن يتّصف بها ويذوقها. وشُبَهها من جنسها في أهل الذوق، كمن يغلب على محلِّ طعمه المِرّة الصفراء، فيجد العسل مُرًّا. وليس كذلك، فإنّ الذي باشر محلّ الطعم إنما هو المِرّة الصفراء[1].

- والعلم الثالث علوم الأسرار: وهو العلم الذي فوق طور العقل. وهو عِلم نَفْث روح القدس في الرُّوع، يختصّ به النبيّ والوليّ. وهو نوعان: نوع منه يدرك بالعقل؛ كالعلم الأوّل من هذه الأقسام، لكنّ هذا العالِم به لم يحصل له عن نظر، ولكنّ مرتبة هذا العلم أعطتْ هذا. والنوع الآخر على[2] ضربين: ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني، لكن حاله أشرف. والضرب الآخر (هو) من علوم الأخبار. وهي التي يدخلها الصدق والكذب، إلّا أن يكون المخبِرُ به قد ثبت صدقُهُ عند المخبَر، و(ثبتت) عصمتُه فيما يخبِرُ به ويقوله، كإخبار الأنبياء -صلوات الله عليهم- عن الله، كإخبارهم بالجنّة وما فيها.

فقوله (أي صاحب علوم الأسرار): إنّ ثمّ جنّة، (هو) من علم الخبر. وقوله في القيامة: «إنّ فيها حوضا أحلى من العسل»[3] من علم الأحوال وهو علم الذوق. وقوله: «كان الله ولا شيء معه»[4] ومثله، (هو) من علوم العقل، المدرَكة بالنظر.

فهذا الصنف الثالث، الذي هو علم الأسرار، العالِم به يعلم العلوم كلّها ويستغرقها. وليس صاحب تلك العلوم (الأخرى) كذلك. فلا عِلم أشرف من هذا العلم المحيط، الحاوي على جميع المعلومات.

وما بقي إلّا أن يكون المخبِر به صادقا عند السامعين له، معصوما. هذا شرطه عند العامّة. وأمّا العاقل اللبيب، الناصح نفسه، فلا يرمي به. ولكن يقول: هذا جائز عندي أن يكون صدقا أو كذبا. وكذلك ينبغي لكلّ عاقل، إذا أتاه بهذه العلوم (أي علوم الأسرار) غير المعصوم، وإن كان صادقا في نفس الأمر فيما أَخبر به. ولكن، كما لا يلزم هذا السامع له صدقه، لا يلزمه تكذيبه.

---

(١) "فإن....الصفراء": عبارة مكتوبة في الهامش مع لفظ "صح".
(٢) ص ٥٠
(٣) صحيح مسلم ٣٦٤، وسنن الترمذي ٢٣٦٨
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤

ولكن يتوقّف. وإن صدّقه لم يضرّه، لأنّه أتى في(1) خَبَرِه بما لا تحيله العقول -بل بما تجوّزه أو تقف عنده- ولا يهدُّ ركنا من أركان الشريعة، ولا يُبطل أصلا من أصولها.

فإذا أتى بأمر جوّزه العقل وسكت عنه الشارع، فلا ينبغي لنا أن نردّه أصلا. ونحن مخيّرون في قبوله. فإن كانت حالة المخبر به تقتضي العدالة، لم يضرُّنا قبوله، كما نقبل شهادته ونحكم بها في الأموال والأرواح. وإن كان غير عدل، في علمنا، فننظر: فإن كان الذي أخبر به حقّا، بوجهٍ مّا عندنا من الوجوه المصحَّحة، قبِلناه(2)، وإلّا تركناه في باب الجائزات، ولم نتكلّم في قائله بشيء. فإنّها شهادة مكتوبة نُسأل عنها، قال -تعالى-: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾(3).

وأنا أَوْلَى مَن نصح نفسَه في ذلك. ولو لم يأت هذا المخبِر إلّا بما جاء به المعصوم -فهو حاكٍ لنا ما عندنا من روايةٍ عنه- فلا فائدة زادها عندنا بخبره. وإنما يأتون ﷺ بأسرار وحِكَمٍ من أسرار الشريعة مما هي خارجة عن قوّة الفكر والكسب، ولا تُنال أبدا إلّا بالمشاهدة والإلهام، وما شاكل هذه الطرق. ومن هنا تكون الفائدة بقوله عليه السلام: «إن يكن في أمّتي محدَّثون فمنهم عمر»(4)، وقوله في أبي بكر في فضله بالسرّ غيرَه.

ولو لم يقع الإنكار لهذه العلوم في الوجود، لم يُفِد قول أبي(5) هريرة: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قُطِع منّي هذا البلعوم». حدّثني به الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحَجْري، بسبتة، في رمضان، عام تسعة وثمانين وخمسمائة بداره. وحدّثني به أيضا أبو الوليد أحمد بن محمد بن العربي، بداره بإشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، في آخرين كلّهم قالوا: حدّثنا، إلّا أبا(6) الوليد بن العربي فإنّه قال: سمعت أبا الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: حدّثني أبي، أبو عبد الله، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي، سماعا منّي عليهما، عن أبي ذر، سماعا منها عليه، عن أبي محمد هو عبد الله بن أحمد بن حمُّويَة السرخسي الحموي وأبي إسحق المستملي، وأبي الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد الكشميهني، قالوا: أنا أبو عبد الله هو محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال: أنا أبو عبد الله

---

(1) ص ٥٠ب
(2) ثابت في الهامش بخط الأصل.
(3) [الزخرف: ١٩]
(4) صحيح البخاري ٣٢١٠، وصحيح مسلم ٤٤١١
(5) ص ٥١
(6) ق: أبو

البخاري.

وحدّثني به أيضا أبو محمد، يونس بن يحيى بن أبي الحسين بن أبي البركات، الهاشمي، العباسي، بالحرم الشريف المكي، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظّمة، في شهر جمادى الأُولَى، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، عن أبي الوقت، عبد الأوّل بن عيسى السجزي الهروي، عن أبي الحسن عبد الرحمن بن المظفر الداؤدي[1]، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمُّويَة السرخسي، عن أبي عبد الله الفربري، عن البخاري. وقال البخاري في صحيحه: حدّثني إسماعيل، قال: حدّثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. -وذكر الحديث-. وشرْح "البلعوم" لأبي عبد الله البخاري، من رواية أبي ذر، خرّجه في "كتاب العلم". وذكروا أنّ "البلعوم" مجرى الطعام.

و(لو لم يقع الإنكار لهذه العلوم) لم يفد قول ابن عباس، حين قال في قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾[2]: "لو ذكرت تفسيره لرجمتموني"، وفي رواية: "لقلتم: إنّي كافر". حدّثني بهذا الحديث أبو عبد الله محمد بن عيْشون، عن أبي بكر القاضي، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، عن أبي حامد، محمد بن محمد، الطوسي الغزالي.

و(كذلك) لم يكن لقول الرضيّ، من حفدة علي بن أبي طالب ﵁ معنى، إذ قال:

يا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ ... لَقِيْلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا
ولاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ ما يَأْتُونَهُ حَسَنَا

فهؤلاء كلّهم سادات أبرار، فيما أحسب، و(فيما) اشتهر عنهم. قد عَرفوا هذا[3] العلم ورتبته، ومنزلة أكثر العالَم منه، وأنّ الأكثر منكِرون له. وينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم في إنكارهم، فإنّه في قصّة موسى مع خضر مندوحة لهم، وحجّة للطائفتين. وإن كان إنكار موسى عن نسيانٍ لشرطه، ولتعديل الله إيّاه. وبهذه القصّة عَيْنِها نحتجّ على المنكرين. لكنّه لا سبيل إلى

(١) ص ٥١ب
(٢) [الطلاق: ١٢]. ومكتوب بالهامش: " بلغ قراءة لأحمد العلوي ".
(٣) ص ٥٢

خصامهم. ولكن نقول كما قال العبد الصالح: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[1].

* * *

وَصْلٌ
(لا ينبغي القول بأنّ الصوفيّ فيلسوف)

ولا يحجبنك أيّها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبويّ الموروث منهم - صلوات الله عليهم- إذا وقفتَ على مسألة من مسائلهم، قد ذكرها فيلسوف أو متكلِّم أو صاحب نظر في أيّ علم كان، فتقول في هذا القائل الذي هو الصوفي المحقِّق: إنّه فيلسوف، لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها، وإنّه نقلها منهم، أو إنّه لا دين له فإنّ الفيلسوف قد قال بها ولا دين له.

فلا تفعل -يا أخي- فهذا القول قول مَن لا تحصيل له. إذ الفيلسوف ليس كلّ علمه باطلا. فعسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحقّ. ولا سيّما إن وجدنا الرسول عليه السلام قد قال بها. ولا سيّمَا فيما[2] وضعوه من الحِكَم والتبرّؤ من الشهوات ومكائد النفوس، وما تنطوي عليه من سوء الضمائر. فإن كنّا لا نعرف الحقائق، ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعيَّنة وأنّها حقّ، فإنّ الرسول ﷺ قد قال بها، أو الصاحب، أو مالكا[3]، أو الشافعيّ، أو سفيان الثوريّ.

وأمّا قولك، إن قلتَ: سَمِعها من فيلسوف أو طالَعها في كتبهم، فإنّك ربما تقع في الكذب والجهل. أمّا الكذب، فقولك: سمعها أو طالعها، وأنت لم تشاهد ذلك منه. وأمّا الجهل، فكونك لا تفرّق بين الحقّ، في تلك المسألة، والباطل.

وأمّا قولك: إنّ الفيلسوف لا دين له، فلا يدلّ كونه لا دين له على أنّ كلّ ما عنده باطل. وهذا مدرَك بأوّل العقل عند كلّ عاقل.

فقد خرجتَ باعتراضك على الصوفي، في مثل هذه المسألة، عن العلم والصدق والدين، وانخرطتَ في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان، ونقص العقل والدين، وفساد النظر

---

(١) [الكهف: ٧٨]، ومقابلها في الهامش: بلغ قراءة لأحمد العلوي
(٢) ص ٥٢ب
(٣) ق: مالك.

والانحراف. أرأيتَ لو أتاك بها رؤيا رآها، هل كنتَ إلّا عابرها وتطلب على معانيها؟ فكذلك، خذ ما أتاك به هذا الصــوفي، واهتدِ على نفســك قليلا، وفرّغ لما أتاك به محلَّك حتى تبرز لك معناها، أحسن[1] من أن تقول يوم القيامة: ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[2].

فكلّ علم إذا بَسَطَتْهُ العبارةُ، حَسُن وفُهِم معناه، أو قارب وعَذُب عند السامع الفَهِم، فهو علم العقل النظريّ لأنّه تحت إدراكه، ومما يستقلّ به لو نظر. إلّا علم الأسرار، فإنّه إذا أخذتْهُ العبارة سَمُج واعتاص على الأفهام دَرْكُه وخَشُن، وربما مجّته العقول الضعيفة المتعصِّبة، التي لم تتوفّر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث. ولهذا صاحبُ العلم كثيرا ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطَبات الشِّعْريّة.

وأمّا علوم الأحوال فمتوسّطة بين علم الأسرار وعلم العقول. وأكثر ما يؤمنُ بعلم الأحوال أهلُ التجاربِ. وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى العلم النظريّ، العقليّ. لكن يقرب من صنف العلم العقليّ الضروريّ بل هو هو. لكن لمّا كانت العقول لا تتوصّل إليه إلّا بإخبار مَن عَلِمه أو شاهَده، من نبيّ أو وليّ، لذلك تميّز عن (العلم العقليّ) الضروريّ. لكن (علم الأحوال) هو ضروريّ عند مَن شاهده.

ثمّ لتعلم أنّه إذا حسن عندك (علم الأسرار) وقبِلته وآمنتَ به: فأبشر؛ إنّك على كشفٍ منه ضرورة، وأنت لا تدري. لا سبيل إلّا هذا. إذ لا يثلج الصدر إلّا بما يقطع بصحّته. وليس للعقل هنا مدخل، لأنّه ليس من[3] دَرْكِهِ. إلّا إن أتى بذلك معصــومٌ، حينئذ يثلج صــدر العاقل. وأمّا غير المعصوم فلا يَلتذّ بكلامه إلّا صاحب ذوق.

* * *

(الطريق إلى الله تعالى)

فإن قلتَ: فلخّص لي هذه الطريقة، التي تدّعي أنّها الطريقة الشريفة، الموصِلةَ السالكَ عليها إلى الله -تعالى- وما تنطوي عليه من الحقائق والمقامات، بأقرب عبارة، وأوجز لفظ، وأبلغِه، حتى أعمل عليه، ونصِل إلى ما ادّعيت أنّك توصّلت إليه. وبالله أقسم؛ إنّي لا آخذه منك على

(١) ص ٥٣
(٢) [الأنبياء: ٩٧]
(٣) ص ٥٣ب

وجه التجربة والاختبار، وإنما آخذه منك على الصـدق. فإنّي قد حسّـنتُ الظنَّ بك إحسـانَ قطع، إذ قد نبّهتني على حظ ٍّ ما أتيت به من العقل، وأنّ ذلك مما يقطع العقل بجوازه وإمكانه، أو يقف عنده من غير حكم معيّن. فشكَرَ الله لك ذلك، وبلّغك آمالك، ونفعك ونفع بك.

فاعلم أنّ الطريق إلى الله -تعالى- الذي سلكتْ عليه الخاصّة من المؤمنين الطالبين نجاتَهم، دون العامّة الذين شَـغَلُوا أنفسَـهم بغير ما خُلقتْ له، أنّه على أربع شـعب: بواعث، ودواع، وأخلاق، وحقائق. والذي دعاهم إلى هذه الدواعي والبواعث والأخلاق والحقائق، ثلاثةُ حقوق تفرَّضتْ عليهم: حقٌّ لله، وحقٌّ لأنفسهم، وحقٌّ للخلق.

فالحقُّ الذي[1] لله -تعالى- عليهم (هو) أن يعبدوه، لا يشركوا به شيئا. والحقُّ الذي للخلق عليهم، كفُّ الأذى كلّه عنهم، ما لم يأمر به شرعٌ مِن إقامة حدٍّ، وصـنائع المعروف معهم، على الاستطاعة والإيثار، ما لم يَنْهَ عنه شرع، فإنّه لا سبيل إلى موافقة الغرض إلّا بلسان الشرع. والحقُّ الذي لأنفسهم عليهم (هو) أن لا يسلكوا بها من الطرق إلّا الطريق التي فيها سعادتها ونجاتها، وإن أَبَتْ فلجهلٍ قام بها أو سـوء طبْع. فإنّ النفس الأبيّة إنما يحملها[2] على إتيان الأخلاق الفاضلة دينٌ أو مروءة. فالجهل يضادُّ الدين، فإنّ الدين علم من العلوم. وسوء الطبع يضادّ المروءة.

ثمّ نرجع إلى الشُّـعَب الأربع فنقول: الدواعي خمسة: الهاجسُ السببيُّ ويسـمّى: "نقر الخاطر"، ثمّ الإرادة، ثمّ العزم، ثمّ الهمّة، ثمّ النيّة. والبواعث لهذه الدواعي ثلاثةُ أشياء: رغبة أو رهبة أو تعظيم. والرغبة رغبتان: رغبة في المجاورة، ورغبة في المعاينة. وإن شئت قلت: رغبة فيما عنده، ورغبة فيه. والرهبةُ رهبتان: رهبة من العذاب، ورهبة من الحجاب. والتعظيمُ، إفرادُه عنك وجمعُك به.

والأخلاق على ثلاثة أنواع: خُلُقٌ[3] متعدٍّ، وخُلُق غير متعدّ، وخُلُق مشترك. فالمتعدّي على قسمين: متعَدٍّ بمنفعة؛ كالجود والفتوّة، ومتعدٍّ بدفع مضرّة؛ كالعفو والصفح واحتمال الأذى، مع القدرة

---

(١) ص ٥٤
(٢) ق: يحمله، ومصحجه بخط آخر.
(٣) ص ٥٤ب

على الجزاء والتمكن منه. و(الخُلق) غير المتعدّي؛ كالورع والزهد والتوكّل. وأمّا (الخُلق) المشترَك؛ فكالصبر على أذى الخلق، وبسط الوجه.

وأمّا الحقائق فعلى أربعة: حقائق ترجع إلى الذات المقدَّسة، وحقائق ترجع إلى الصفات المنزَّهة، وهي النِّسَب، وحقائق ترجع إلى الأفعال؛ وهي "كن" وأخواتها، وحقائق ترجع إلى المفعولات؛ وهي الأكوان والمكوَّنات. وهذه الحقائق الكونيّة على ثلاث مراتب: عُلويّة؛ وهي المعقولات، وسفليّة؛ وهي المحسوسات، وبرزخيّة؛ وهي المتخيّلات.

فأمّا الحقائق الذاتيّة؛ فكلُّ مشهد يقيمك الحقّ فيه، من غير تشبيه ولا تكييف، لا تسعه العبارة، ولا تومئ إليه الإشارة.

وأمّا الحقائق الصفاتيّة؛ فكلُّ مشهد يقيمك الحقّ فيه، تطّلع منه على معرفة كونه -سبحانه- عالِمًا، قادرا، مريدا، حيّا، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات، المختلفة والمتقابلة والمتماثلة.

وأمّا الحقائق الكونيّة فكلُّ مشهد يقيمك الحقّ فيه، تطّلع منه على معرفة الأرواح والبسائط[١] والمركّبات والأجسام والاتّصال والانفصال.

وأمّا الحقائق الفعليّة، فكلّ مشهد يقيمك (الحقّ) فيه، تطّلع منه على معرفة "كن"، وتعلّق القدرة بالمقدور بضربٍ خاصّ، لكون العبد لا فعل له، ولا أثر لقدرته الحادثة الموصوف بها.

وجميع ما ذكرناه يسمّى الأحوال والمقامات. فالمقام منها، كلُّ صفة يجب الرسوخُ فيها، ولا يصحّ التنقّل عنها، كالتوبة. والحال منها كلُّ صفة تكون فيها في وقت دون وقت، كالسُّكْرِ والمحو والغَيبة والرضا، أو يكون وجودها مشروطا بشرط، فتنعدم لعدم شرطها، كالصبر مع البلاء، والشكر مع النَّعماء.

وهذه الأمور على قسمين: قسمٌ، كمالُه في ظاهر الإنسان وباطنه؛ كالورع والتوبة، وقسم كماله في باطن الإنسان، ثمّ إن تَبِعه الظاهر فلا بأس؛ كالزهد والتوكّل. وليس ثمّ، في طريق الله -تعالى- مقام يكون في الظاهر دون الباطن.

ثمّ إنّ هذه المقامات منها ما يتّصف به الإنسان في الدنيا والآخرة: كالمشاهَدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبَسط. ومنها ما يتّصف به العبد إلى حين موته، إلى القيامة، إلى أوّل

(١) ص ٥٥

قدم يضعه في الجنّة، ويزول عنه: كالخوف والقبض والحزن والرجاء. ومنها، ما يتّصف به العبد إلى حين[1] موته: كالزهد والتوبة والورع والمجاهدة والرياضة والتخلّي والتحلّي، على طريق القربة. ومنها، ما يزول لزوال شرطِه، ويرجع لرجوع شرطه: كالصبر والشكر والورع.

فهذا (=فها أنذا) -وفّقنا الله وإيّاك- قد بيّنتُ لك الطريق، مرتَّب المنازل، ظاهر المعاني والحقائق، على غاية الإيجاز والبيان، والاستيفاء العام. فإن سلكتَ وصلتَ. والله -سبحانه- يرشدنا وإيّاك.

فصل

(مدار العلم الذي يختصّ به أهلُ الله)

ومدار العلم الذي يختصّ به أهلُ الله -تعالى- على سبع مسائل، مَن عرفها لم يعتَصْ عليه شيء من علم الحقائق. وهي معرفة أسماء الله -تعالى- ومعرفة التجلّيات، ومعرفة خطابِ الحقِّ عبادَه بلسان الشرع، ومعرفة كمال الوجود ونقصه، ومعرفة الإنسان من جهة حقائقه، ومعرفة الكشف الخيالي، ومعرفة العلل والأدوية. وذكرنا هذه المسائل في باب المعرفة، من هذا الكتاب، فلتُنظر هنالك، -إن شاء الله-

تتمّة: (سبب منع السالك من الخوض في علم الكلام)

ثمّ نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهِّب لتجلّي الحقّ إلى قلبه، من النظر في صحّة العقائد من جهة علم الكلام.

فمن[2] ذلك، إنّ العوام، بلا خلاف من كلّ متشرّعٍ صحيح العقل، عقائدهم سليمة، وإنّهم مسلمون، مع أنّهم لم يطالعوا شيئا من علم الكلام، ولا عرفوا مذاهب الخصوم. بل أبقاهم الله -تعالى- على صحّة الفطرة؛ وهو العلم بوجود الله -تعالى- بتلقين الوالد المتشرِّع، أو المربّي[3]. وإنّهم، من معرفة الحقّ -سبحانه- وتنزيهه، على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين. وهم فيه، بحمد الله، على صحّة وصواب ما لم يتطرّق أحدٌ منهم إلى التأويل: فإن تطرّق أحد منهم إلى التأويل، خرج عن حكم العامّة، والتحق بصنفٍ مّا من أصناف أهل النظر والتأويل. وهو على حسب تأويله. وعليه يلقى الله -تعالى- فإمّا مصيب وإمّا مخطئ، بالنظر إلى ما يناقض ظاهر ما

(١) ص ٥٥ب
(٢) ص ٥٦
(٣) "أو المربي" مضافة بالهامش مع لفظ التصويب.

جاء به الشارع.

فالعامّة -بحمد الله- سليمة عقائدهم، لأنّهم تلقّوها، كما ذكرناه، من ظاهر الكتاب العزيز، التلقّي الذي يجب القطع به. وذلك أنّ التواتر من الطرق الموصلة إلى العلم. وليس الغرض من العلم إلّا القطع على المعلوم أنّه على حدِّ ما علمنَاه، من غير ريب ولا شكّ. والقرآن العزيز قد ثبت عندنا بالتواتر، أنّه جاء به شخصٌ ادّعى أنّه رسول من عند الله -تعالى- وأنّه جاء بما يدلّ على صدقه، وهو هذا القرآن، وأنّه ما استطاع أحد على معارضته[1] أصلا. فقد صحّ عندنا بالتواتر أنّه رسول الله إلينا، وأنّه جاء بهذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم، وأخبر أنّه كلام الله. وثبت هذا كلّه عندنا تواترا. فقد ثبت العلم به أنّه النبأ الحقّ والقول الفصل. والأدلّة سمعيّة وعقليّة. وإذا حكما على أمر بحكم مّا، فلا شكّ فيه أنّه على ذلك الحكم.

وإذا كان الأمر على ما قلناه، فيأخذ المتأهّب عقيدتَه من القرآن العزيز. وهو بمنزلة الدليل العقليّ في الدلالة، إذ هو الصدق الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]. فلا يحتاج المتأهِّب، مع ثبوت هذا الأصل، إلى أدلّة العقول: إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلَّق، والإصفاق عليه محقَّق عنده.

قالت اليهود لمحمد ﷺ: «انسُب لنا ربّك. فأنزل الله -تعالى- عليه سورة الإخلاص»[3]، ولم يُقِمْ لهم من أدلّة النظر دليلا واحدا. فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾[4] فأثبتَ الوجودَ، ﴿أَحَدٌ﴾ فنفى العدد وأثبتَ الأحديّة لله -سبحانه-، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[5] فنفى الجسمَ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[6] فنفى الوالدَ والولدَ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[7] فنفى الصاحبةَ، كما نفى الشريكَ بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[8]، فيطلب صاحب الدليل العقليّ البرهانَ على[9] صحّة هذه المعاني بالعقل، وقد دلّ على صحّة هذا اللفظ.

(١) ص ٥٦ب
(٢) [فصلت: ٤٢]
(٣) سنن الترمذي ٣٢٨٧، وشعب الإيمان ٩٦
(٤) [الإخلاص: ١]
(٥) [الإخلاص: ٢]
(٦) [الإخلاص: ٣]
(٧) [الإخلاص: ٤]
(٨) [الأنبياء: ٢٢]
(٩) ص ٥٧

فيا ليت شعري؛ هذا الذي يطلب (لـ) يعرف اللهَ من جهة الدليل ويُكفِّر مَن لا ينظر: كيف كانت حالته قبل النظر، وفي حال النظر؟ هل هو مسلِمٍ أم لا؟ وهل يصلّي أو يصوم؟ أو ثبت عنده أنّ محمدا رسول الله إليه؟ أو أنّ الله موجود؟ فإن كان معتقدا لهذا كلّه، فهذه حالة العوامّ. فليتركهم على ما هم عليه، ولا يكفِّر أحدا. وإن لم يكن معتقدا لهذا إلّا حتى ينظر ويقرأ علم الكلام: فنعوذ بالله من هذا المذهب، حيث أدّاه سوء النظر إلى الخروج عن الإيمان.

وعلماء هذا العلم ﷺ ما وضعوه، وصنّفوا فيه ما صنّفوه ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله، وإنما وضعوه إرداعا للخصوم، الذين جحدوا الإله، أو الصفات، أو بعض الصفات، أو الرسالة، أو رسالة محمد ﷺ خاصة، أو حدوثَ العالَم، أو الإعادة إلى الأجسام بعد الموت، أو الحشر والنشر، وما يتعلّق بهذا الصنف. وكانوا كافرين بالقرآن، مكذِّبين به، جاحدين له. فطلب علماء الكلام إقامة الأدلّة عليهم، على الطريقة التي زعموا أنّها أدَّتْهم إلى إبطال ما ادّعينا صحّتَه خاصّة. حتى لا يشوِّشوا على العوام عقائدهم.

فمهما[1] برز في ميدان المجادلة بِدْعِيٌّ بَرَزَ له أشعريّ، أو مَن كان من أصحاب علم النظر. ولم يقتصروا على السيف. رغبةً منهم وحِرصا على أن يردُّوا واحدًا إلى الإيمان، والانتظام في سلك أمّة محمد ﷺ بالبرهان. إذ الذي كان يأتي بالأمر المعجِز، على صـــدق دعواه، قد فُقِد، وهو الرســـول ﷺ. فالبرهان عندهم قائم مقام تلك المعجزة، في حقِّ مَن عرف. فإنّ الراجعَ بالبرهان أصحُّ إسـلاما من الراجعِ بالسـيف، فإنّ الخوف يمكن أن يحمله على النفاق، وصـاحب البرهان ليس كذلك. فلهذا ﷺ وضعوا علم الجوهر والعرَض لا غير. ويكفي في المِصر منه واحدٌ.

فإذا كان الشـــخص مؤمنا بالقرآن أنّه كلام الله، قاطعا به، فليأخذ عقيدته منه، من غير تأويل ولا ميل.

فنزّه -سبحانه- نفسَه أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه شيئا، بقوله -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2]. و﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

وأثبت رؤيتَه في الدار الآخرة بظاهر قوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[4]

(١) ص ٥٧ب
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [الصافات: ١٨٠]
(٤) [القيامة: ٢٢، ٢٣]

و﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[١].

وانتفت الإحاطة بدركه بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[٢].

وثبت كونه قادرا بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ[٣] شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾[٤].

وثبت كونه عالما بقوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[٥].

وثبت كونه مريدا بقوله: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٦].

وثبت كونه سميعا بقوله: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[٧].

وثبت كونه بصيرا بقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[٨].

وثبت كونه متكلّما بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٩].

وثبت كونه حيّا بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[١٠].

وثبت إرسال الرسل بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا يُوحَىٰٓ إِلَيۡهِم﴾[١١].

وثبتت رسالة محمد ﷺ بقوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾[١٢].

وثبت أنّه آخر الأنبياء بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[١٣].

وثبت أنّ كلّ[١٤] ما سِوَاهُ خلق له بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[١٥].

وثبت خلق الجنّ بقوله[١٦]: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[١٧].

---

(١) [المطففين: ١٥]
(٢) [الأنعام: ١٠٣]
(٣) ص ٥٨
(٤) [المائدة: ١٢٠]
(٥) [الطلاق: ١٢]
(٦) [هود: ١٠٧]
(٧) [آل عمران: ١٨١]
(٨) [العلق: ١٤]
(٩) [النساء: ١٦٤]
(١٠) [البقرة: ٢٥٥]
(١١) [يوسف: ١٠٩] ولفظ: "يوحى" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وفي قراءة حفص: نوحي
(١٢) [الفتح: ٢٩]
(١٣) [الأحزاب: ٤٠]
(١٤) لفظ "كل" مكتوب بالهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.
(١٥) [الرعد: ١٦]
(١٦) لفظ "بقوله" بالهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.
(١٧) [الذاريات: ٥٦]

وثبت حشر الأجساد بقوله: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[١].

إلى أمثال هذا مما تحتاج إليه العقائد: من الحشر والنشر، والقضاء والقدر، والجنّة والنار، والقبر والميزان، والحوض والصراط، والحساب والصحف، وكلّ ما لا بدّ للمعتقد أن يعتقده. قال -تعالى-: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[٢].

وإنّ هذا القرآن معجزته عليه السلام بطلب معارضـــته، والعجز عن ذلك، في قوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[٣]. ثمّ قطع أنّ المعارضة[٤] لا تكون أبدا بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُـهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[٥]. وأخبر بعجز من أراد معارضـــته، وإقراره بأنّ الأمر عظيم فيه، فقال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[٦]. إلى قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾[٧].

ففي القرآن العزيز، للعاقل، غُنيةٌ كبيرة، ولصاحب الداء العضال، دواءٌ وشفاءٌ، كما قال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٨]، ومقنعٌ شافٍ لمن عزم على طريق النجاة، ورغب في سموّ الدرجات وترك العلوم التي تورد عليها الشبه والشكوك، فيضيع الوقت ويُخاف المقت. إذ المنتحل لتلك الطريقة قلّما ينجو من التشغيب، أو يشتغل برياضة نفسه وتهذيبها، فإنّه مستغرق الأوقات في إرداع (=ردع) الخصوم الذين لم يوجد لهم عين، ودفع شبه يمكن أن (تكون) وقعت للخصم، ويمكن أن لم تقع؛ فقد تقع وقد لا تقع، وإذا وقعت فسيف الشريعة أردع وأقطع.

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به»[٩]. هذا قوله ﷺ. ولم يدفعنا لمجادلتهم إذا حضروا. إنما هو الجهاد والسيف، إن عاند فيما قيل له. فكيف بخصم متوهّم نَقْطَعُ الزمانَ[١٠] بمجادلته، وما رأينا له عينا، ولا قال لنا شيئا؟ وإنما نحن، مع ما وقع لنا، في نفوسنا، ونتخيّل أنّا مع غيرنا.

---

(١) [طه: ٥٥]
(٢) [الأنعام: ٣٨]
(٣) [يونس: ٣٨]
(٤) ص ٥٨ب
(٥) [الإسراء: ٨٨]
(٦) [المدثر: ١٨]
(٧) [المدثر: ٢٤]
(٨) [الإسراء: ٨٢]
(٩) صحيح البخاري ٢٤، وصحيح مسلم ٣٣
(١٠) ص ٥٩

ومع هذا، فإنّهم ﷺ اجتهدوا، وخيرا قصـــدوا، وإن كان الذي تركوا أوجب عليهم من الذي شغلوا نفوسهم به. فالله ينفع الكلّ بقصده.

ولولا التطويل لتكلّمتُ على مقامات العلوم ومراتبها، وأنّ علم الكلام -مع شرفه- لا يحتاج إليه أكثرُ الناس، بل شخص واحد يكفي منه في البلد؛ مثل الطبيب. والفقهاء العلماء بفروع الدين ليسوا كذلك، بل الناس محتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة. وفي الشريعة، بحمد الله، الغنية والكفاية. ولو مات الإنسان، وهو لا يعرف اصطلاح القائلين بعلم النظر مثل: الجوهر والعرَض والجسم والجسماني والروح والروحاني لم يسأله الله -تعالى- عن ذلك. وإنما يَسأل اللهُ الناسَ عمّا أوجب عليهم من التكليف خاصة. والله يرزقنا الحياء منه.

* * *

وصل يتضمّن ما ينبغي أن يعتقد في العموم؛ وهي عقيدة أهل الإسلام مسلّمة من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان

فيا إخوتي المؤمنين -ختم الله لنا ولكم بالحسنى- لَمّا سمعت قوله -تعالى- عن نبيّه هود عليه السلام[1] حين قال لقومه، المكذّبين به وبرسالته: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[2]. فأشهدَ عليه السلام قومَه، مع كونهم مكذِّبين به، على نفسه بالبراءة من الشرك بالله، والإقرار بأحديّته، لَمّا علم عليه السلام أنّ الله -سبحانه- سيوقف عبادَه بين يديه، ويسألهم عمّا هو عالِم به، لإقامة الحجّة لهم أو عليهم، حتى يؤدّي كلُّ شاهد شهادته.

وقد ورد «أنّ المؤذِّن يشهد له مدى صوته»[3]، من رطب ويابس، وكلّ من سمعه. ولهذا «يدبر الشيطان عند الأذان وله حُصاص[4]»[5] وفي رواية: «وله ضراط». وذلك، حتى لا يسمع نداءَ المؤذّن بالشهادة فتلزمه أن يشهد له، فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له، وهو عدوّ محض، ليس له إلينا خير أَلْبَتَّة -لعنه الله-.

---

(١) ص ٥٩ب
(٢) [هود: ٥٤]
(٣) سنن أبي داود ٤٣٢، وسنن النسائي ٦٤١
(٤) الحُصَاصُ: شدَّة العَدْوِ في سُرعةٍ. والحُصاصُ أيضًا: الضُّرَاطُ.
(٥) مسند أحمد ٩٨٧٣، والمعجم الكبير للطبراني ٩٣٦

وإذا كان العدوّ لا بدّ أن يَشهد لك بما أشهدتَه به على نفسك، فأحرى أن يشهد لك وليُّك وحبيبُك، ومَن هو على دينك وملّتك. وأحرى أن تُشهِده أنت، في الدار الدنيا، على نفسك، بالوحدانيّة والإيمان.

(الشهادة الأُولَى)

فيا إخوتي ويا أحبّائي -رضي الله عنكم- أَشْهَدَكُمْ عبدٌ، ضعيف، مسكين، فقير إلى الله -تعالى- في كلّ لحظة وطرفة، وهو مؤلّفُ هذا الكتاب ومنشئه. أشهدكم على نفسه، بعد أن أَشهد الله -تعالى- وملائكته، ومَن حضره من المؤمنين وسمعه، أنّه[1] يشهد قولا وعقدا:

أنّ الله -تعالى- إله واحد، لا ثاني له في ألوهته.

منزّه عن الصاحبة والولد.

مالك، لا شريك له، ملِك، لا وزير له.

صانع، لا مدبّر معه.

موجود بذاته، من غير افتقار إلى موجِد يوجده، بل كلّ موجود سِوَاهُ، مفتقر إليه -تعالى- في وجوده. فالعالَم كلّه موجود به، وهو وحده متّصف بالوجود لنفسه.

لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه. بل وجود مطلق، غير مقيّد.

قائم بنفسه: ليس بجوهر متحيّز؛ فيقدَّر له المكان، ولا بعرَض؛ فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم؛ فتكون له الجهة والتّلقاء.

مقدَّس عن الجهات والأقطار.

مرئيٌّ بالقلوب والأبصار، إذا شاء.

استوى على عرشه، كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أنّ العرش، وما سِوَاهُ، به استوى. وله الآخرة والأُولَى.

ليس له مِثْل معقول، ولا دلّت عليه العقول. لا يحدّه زمان، ولا يُقِلّه مكان. بل كان ولا مكان. وهو على ما عليه كان.

---

(١) ص ٦٠

خلق المتمكن والمكان. وأنشأ الزمان. وقال: أنا الواحد، الحيّ. لا يئوده حفظ المخلوقات. ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات.

تعالى أن تحلّه الحوادث أو يحلّها، أو تكون بعده أو يكون قبلها. بل يقال: كان ولا شيء معه. فإنّ "القبل" و"البَعد" من صيغ الزمان الذي(١) أبدعه.

فهو القيّوم الذي لا ينام، والقهّار الذي لا يرام. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾(٢).

خلق العرش وجعله حدّ الاستواء. وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماوات العلى.

اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتبا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء.

أبدع العالَم كلّه على غير مثال سبق. وخلق الخلق وأخلق الذي خلق.

أنزل الأرواح في الأشـباح أمناء، وجعل هذه الأشـباح، المنزلة إليها الأرواح، في الأرض خلفاء.

وسخّر لنا ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، فلا تتحرّك ذرّة إلّا إليه، وعنه.

خلق الكلّ من غير حاجة إليه، ولا موجِب أوجب ذلك عليه: لكنّ علمه سـبق بأن يخلق ما خلق.

فـ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾(٣)، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾(٤).

﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾(٥) ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾(٦) ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾(٧) ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾(٨). كيف لا يعلم شيئا هو خلقه؟ ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(٩).

علِم الأشـياء منها قبل وجودها، ثمّ أوجدها على حدّ ما عَلِمها. فلم يزل عالِما بالأشـياء. لم

---

(١) ص ٦٠ب
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [الحديد: ٣]
(٤) [المائدة: ١٢٠]
(٥) [الطلاق: ١٢]
(٦) [الجن: ٢٨]
(٧) [طه: ٧]
(٨) [غافر: ١٩]
(٩) [الملك: ١٤]

يتجدّد له علم عند تجدّد الإنشاء. بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها. وبه حكّم عليها من شاء، وحكّمها. عَلِمِ الكلّيّات على الإطلاق. كما عَلِمِ الجزيئّات بإجماع[1] من أهل النظر الصحيح واتّفاق. فهو ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾[2] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[3].

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4]. فهو المريدُ الكائنات، في عالَم الأرض والسماوات. لم تتعلّق قدرته بشيء حتى أراده. كما أنّه لم يُرِدْه حتى عَلِمه. إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعل المختار، المتمكن من ترك ذلك الفعل، ما لا يريد. كما يستحيل أن توجد نِسب هذه الحقائق في غير حيّ. كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها.

فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيانٌ، ولا ربحٌ ولا خسرانٌ، ولا عبدٌ ولا حُرٌّ، ولا بَرْدٌ ولا حَرٌّ، ولا حياةٌ ولا موتٌ، ولا حصولٌ ولا فوتٌ، ولا نهارٌ ولا ليلٌ، ولا اعتدالٌ ولا ميلٌ، ولا برٌّ ولا بحرٌ، ولا شفعٌ ولا وترٌ، ولا جوهرٌ ولا عرَضٌ، ولا صحّةٌ ولا مرضٌ، ولا فرحٌ ولا ترحٌ، ولا روحٌ ولا شبحٌ، ولا ظلامٌ ولا ضياءٌ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ، ولا تركيبٌ ولا تحليلٌ، ولا كثيرٌ ولا قليلٌ، ولا غداةٌ ولا أصيلٌ، ولا بياضٌ ولا سوادٌ، ولا رقادٌ ولا سُهادٌ، ولا ظاهرٌ ولا باطنٌ، ولا متحرّكٌ ولا ساكنٌ، ولا يابسٌ ولا رطبٌ، ولا قشرٌ ولا لبٌّ، ولا شيءٌ من هذه النِّسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات، إلّا وهو مراد للحقّ -تعالى-، وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده؟ فكيف يوجِد المختار ما لا يريد؟ لا[5] رادّ لأمره، ولا معقّب لحكمه. يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء. و﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[6]. ما شاء كان، وما لم يشأ أن يكون لم يكن.

لو اجتمع الخلائق، كلّهم، على أن يريدوا شيئا لم يرد الله -تعالى- أن يريدوه، ما أرادوه، أو يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده، وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه، ما فعلوه ولا استطاعوا على ذلك، ولا أقدرهم عليه.

فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان: من مشيئته وحكمه وإرادته. ولم يزل -سبحانه-

(١) ص ٦١
(٢) [الأنعام: ٧٣]
(٣) [الأعراف: ١٩٠]
(٤) [هود: ١٠٧]
(٥) ص ٦١ب
(٦) [النحل: ٩٣]

موصوفا بهذه الإرادة أزلا. والعالَم معدوم، غير موجود، وإن كان ثابتا في العلم في عينه. ثمّ أوجد العالَم من غير تفكّر ولا تدبُّر -عن جهل أو عدم علم- فيعطيه التفكّر والتدبّر علم ما جهل. جلّ وعلا عن ذلك. بل أوجد عن العلم السابق، وتعيين الإرادة المنزّهة الأزليّة، القاضية على العالَم بما أَوْجَدَتْهُ عليه من زمان ومكان، وأكوان وألوان. فلا مريد في الوجود، على الحقيقة، سِوَاهُ. إذ هو القائل -سبحانه-: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(١).

وإنّه -سبحانه- كما علِم فأحكَمَ، وأراد فخصّصَ، وقَدَرَ فأوجدَ؛ كذلك سمع ورأى ما تحرّك أو سكن أو نطق في الورى، من العالَم الأسفل والأعلى. لا يحجبُ سَمْعَهُ البُعْدُ: فهو القريب. ولا يحجب بَصَرَهُ القُرْبُ(٢): فهو البعيد. يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفيّة عند اللمس. ويرى السواد في الظلماء، والماء في الماء. لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣).

تكلّم -سبحانه- لا عن صمت متقدِّم، ولا سكوت متوهَّم، بكلام قديم أزليٍّ، كسائر صفاته: مِن علمه وإرادته وقدرته. كلّم به موسى عليه السلام. سمّاه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل. من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا لغات. بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات.

فكلامه -سبحانه- من غير لهاة(٤) ولا لسان. كما أنّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان. كما أنّ بصره من غير حدقة ولا أجفان. كما أنّ إرادته في غير قلب ولا جَنان. كما أنّ علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان. كما أنّ حياته من غير بخار تجويف قلب، حدث عن امتزاج الأركان. كما أنّ ذاتَه لا تقبل الزيادة والنقصان.

فسبحانه سبحانه من بعيد، دان. عظيم السلطان. عميم الإحسان. جسيم الامتنان. كلّ ما سِوَاهُ، فهو عن جوده فائض. وفضله وعدله، الباسط له والقابض.

أكمل صـــنع العالَم وأبدعه، حين أوجده واخترعه. لا شريك له في مِلكه، ولا مدبِّر معه في

(١) [الإنسان: ٣٠]
(٢) ص ٦٢
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) اللَّهاةُ: لَحمة حَمْراء في الحَنك مُعَلَّقَةٌ على عَكَدَةِ اللسان، والجمع لَهَياتٌ. غيره: اللَّهاةُ الهَنَةُ المُطْبِقة في أَقصى سَقْف الفم. ابن سيده: واللَّهاةُ من كلّ ذي حَلق اللحمة المُشْرِفة على الحَلق، وقيل: هي ما بين مُنْقَطَع أَصل اللسان إلى منقطَع القلب من أَعلى الفم، والجمع لَهَواتٌ ولَهَياتٌ ولُهِيٌّ ولِهِيٌّ ولَهًا ولِهاء. (لسان العرب)

مُلكه(١).

إن أنعم فنعَّم: فذلك فضله. وإن أبلى فعذّب: فذلك(٢) عدله. لم يتصرّف في مِلْك غيره فيُنسب إلى الجَوْرِ والحيف. ولا يتوجّه عليه لسِوَاهُ حكم، فيتّصف بالجزع لذلك والخوف. كلّ ما سِوَاهُ تحت سلطان قهره، ومتصرِّف عن إرادته وأمره.

فهو الملْهِمُ نفوسَ المكلَّفين التّقوى والفجور. وهو المتجاوِز عن سيّئات من شاء، والآخذ بها مَن شاء، هنا وفي يوم النشور: لا يحكم عدله في فضله، ولا فضله في عدله.

أخرج العالَم قبضتين. وأوجد لهم منزلتين. فقال: «هؤلاء للجنّة، ولا أبالي، وهؤلاء للنار، ولا أبالي»(٣) ولم يعترض عليه معترض هناك؛ إذ لا موجود، كان ثَمّ، سِوَاهُ. فالكلّ تحت تصريف أسمائه: فقبضةٌ تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه.

ولو أراد -سبحانه- أن يكون العالَم كلّه سعيدا لكان. أو شقيّا لما كان، من ذلك، في شأن. لكنّه -سبحانه- لم يرد: فكان كما أراد. فمنهم الشقيّ والسعيد، هنا وفي يوم المعاد. فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم. وقد قال -تعالى- في الصلاة: «هي خمس وهي خمسون»(٤) ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٥) لتصرُّفي في مِلكي وإنفاذ مشيئتي في مُلكي.

وذلك لحقيقة عميتْ عنها الأبصار والبصائر. ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر. إلّا بِوَهْبٍ إلهيّ، وَجُودٍ رحمانيّ لمن(٦) اعتنى الله به من عباده، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده. فعلم، حين أُعلِم، أنّ الألوهة أعطت هذا التقسيم، وأنّه من رقائق القديم.

فسبحان مَن لا فاعل سِوَاهُ، ولا موجود لنفسه (من نفسه) إلّا إيّاه ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٧) و﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾(٨) ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٩).

---

(١) في الهامش: " بلغ سماع من تقدم ذكره المجلس الثاني بقراءة محمد بن إسحق على شيخهم رضي الله عنه ".
(٢) ص ٦٢ب
(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم٨٤، مسند أبي يعلى الموصلي ٣٣٢٨
(٤) صحيح البخاري٣٣٦، صحيح مسلم ٢٣٧
(٥) [ق: ٢٩]
(٦) ص ٦٣
(٧) [الصافات: ٩٦]
(٨) [الأنبياء: ٢٣]
(٩) [الأنعام: ١٤٩]

الشهادة الثانية

وكما أشـــهدتُ الله وملائكته وجميع خلقه وإيّاكم على نفسي_ بتوحيده، فكذلك أُشـــهده -سبحانه- وملائكته وجميع خلقه وإيّاكم على نفسي_، بالإيمان بمن اصـطفاه واختاره، واجتباه من وجوده، ذلك سيّدنا محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(1).

فبلّغ ﷺ ما أنزل من ربّه إليه، وأدّى أمانته، ونصـح أمّته، ووقف في حجّة وداعه، على كلّ مَن حضر من أتباعه. فخطب وذكّر، وخوّف وحذّر، وبشّر وأنذر، ووعد وأوعد، وأمطر وأرعد، وما خصّ بذلك التذكير أحدا من أحد، عن إذْن الواحد الصـــمد. ثمّ قال: «ألا هل بلّغت»؟ فقالوا: «بلّغت، يا رسول الله» فقال ﷺ: «اللهم، اشهد»(2).

وإنّي مؤمن بكلّ ما جاء به ﷺ ممّا علمتُ وما لم أعلم. فممّا(3) جاء به فقرّر أنّ الموت عن أجل مسمّى عند الله، إذا جاء لا يؤخَّر، فأنا مؤمن بهذا، إيمانا لا ريب فيه ولا شكّ.

كما آمنتُ وأقررتُ أن ســؤال فتّاني القبر حقٌّ. وعذاب القبر حقّ. وبعث الأجســاد من القبور حقّ. والعرض على الله -تعالى- حقّ. والحوض حقّ، والميزان حقّ، وتطاير الصـــحف حقّ، والصراط حقّ، والجنّة حقّ، والنار حقّ، و"فريقا في الجنّة وفريقا في النار" حقّ، وكَرْب ذلك اليوم، حقّ على طائفة، وطائفة أخرى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾(4).

وشــفاعة الملائكة والنبيّين والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين، بعد الشــفاعة من النار مَن شاء حقّ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنّم ثمّ يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حقّ، والتأبيد للمؤمنين والموحِّدين، في النعيم المقيم في الجنان حقّ. والتأبيد لأهل النار في النار حقّ، وكلَّ ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله -عُلِم أو جُهِل- حقّ.

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كلّ من وصلت إليه أن يؤدّيها إذا سُئلها، حيثما كان.

نفعنا الله وإيّاكم بهذا الإيمان، وثبّتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلّنا منها دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دارٍ سرابيلها القطران، وجعلنا من العصابة

---

(1) [الأحزاب: 45، 46]
(2) صحيح البخاري 1625، صحيح مسلم 3180
(3) ص 63ب
(4) [الأنبياء: 103]

التي أخذت الكتب[1] بالأيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريّان، وثُقِّل له الميزان، وثَبَتَتْ له، على الصراط، القدمان؛ إنّه المنعم المحسان.

فـــ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾[2].

فهذه "عقيدة العوام من أهل الإسلام"، أهل التقليد وأهل النظر، ملخّصةٌ، مختصرةٌ.

ثمّ أتلوها -إن شاء الله- "بعقيدة الناشية الشادية"، ضمّنتها اختصار "الاقتصاد"[3]، بأوجز عبارة. نبّهت فيها على مآخذ الأدلّة لهذه الملّة. مسجَّعة الألفاظ، وسمّيتها بـ"رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم". ليسهل على الطالب حفظها. ثمّ أتلوها "بعقيدة خواصّ أهل الله"، من أهل طريق الله -من المحقّقين- أهل الكشف والوجود. وجرَّدتها أيضا في جزء آخر سمّيته: "المعرفة". وبه انتهت مقدّمة الكتاب.

وأمّا التصريح بـ"عقيدة الخلاصة"، فما أفردتها على التعيين، لما فيها من الغموض. لكن جئت بها مبدّدة في أبواب هذا الكتاب، مستوفاة، مبيّنة،. لكنّها، كما ذكرنا، متفرِّقة. فمن رزقه الله الفهم فيها، يعرف أمرَها، ويميّزها من غيرها. فإنّه العلم الحقّ، والقول الصدق. وليس وراءها مرمى. ويستوي فيها البصير والأعمى. تُلحِق الأباعد بالأداني، وتُلحِم الأسافل بالأعالي. والله الموفِّق لا ربّ غيره.

---

(١) ص ٦٤

(٢) [الأعراف: ٤٣]

(٣) لعله يقصد كتاب: الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي.

وصل[1]

الناشئ والشادي في العقائد

قال الشادي: اجتمع أربعة نفر من العلماء في "قُبَّة أَرِين" تحت خطّ الاستواء. الواحد مغربيٌّ، والثاني مشرقيٌّ، والثالث شاميٌّ، والرابع يمنيٌّ. فتجارَوا في العلوم، والفَرق بين الأسماء والرسوم.

فقال كلّ واحد منهم لصاحبه: "لا خير في علم لا يعطي صاحبَه سعادة الأبد، ولا يقدِّس حامله عن تأثير الأمد. فلنبحث في هذه العلوم، التي بين أيدينا، عن العلم الذي هو أعزّ ما يُطلب، وأفضل ما يُكتَسب، وأسنى ما يُدَّخر، وأعظم ما به يُفتخر".

فقال المغربي: عندي من هذا العلم، العلم بالحامل القائم.

وقال المشرقي: عندي منه، العلم بالحامل المحمول اللازم.

وقال الشامي: عندي من هذا العلم، علم الإبداع والتركيب.

وقال اليمني: عندي من هذا العلم، علم التخليص والترتيب.

ثمّ قالوا: لِيُظهِر كلّ واحد منّا ما وعاه، وليكشف عن حقيقة ما ادّعاه.

* * *

الفصل الأوّل

في معرفة الحامل القائم باللسان الغَرْبي

قام الإمام المغربي وقال: لي التقدُّم من أجل مرتبة علمي، فالحكم[2] في الأوليّات حُكْمي. فقال له الحاضرون: تكلَّمْ وأَوجِز، وكن البَلِيغَ المعجِزْ.

باب: الحادث له سبب[3]:

فقال: اعلموا أنّه ما لم يكن ثمّ كان، واستوت في حقّه الأزمان، أنّ المكوِّن يَلْزَمه في الآن.

باب: حكم ما لا يخلو من الحوادث:

(١) ص ٦٤ب

(٢) ص ٦٥

(٣) هذا العنوان والعناوين التالية له مكتوبة بخط الأصل ولكن في الهامش الأيمن أمام موضوع كل منها.

ثمّ قال: كلُّ ما لا يَســْتَغْنِي عن أمرٍ مّا، فحُكْمُه حُكْمُ ذلك الأمر، ولكن إذا كان من عالَم الخلق والأمر؛ فليصرف الطالب النظر إليه، وليعوِّل الباحثُ عليه.

باب: إثبات البقاء واستحالة عدم القديم:

ثمّ قال: مَن كان الوجود يلزمُه؛ فإنّه يستحيل عَدَمُه. والكائنُ -ولم يَكُن- يستحيل قِدَمُه، ولو لم يَسْتَحِلْ عليه العدم؛ لَصَحِبَهُ المقابِلُ في القِدَم. فإن كان المقابِل لم يكن، فالعجز في المقابِل مســتكِن. وإن كان، كان يســتحيلُ على هذا الآخِر "كان". ومُحَالٌ أن يزول بذاتِه؛ لِصِــحَّةِ الشرطِ وإحكام الربْط.

باب: الكمون والظهور:

ثمّ قال: وكلّ ما ظهر عينُه ولم يوجِبْ حُكْمًا، فكونه ظاهرًا محالٌ؛ فإنّه لا يفيد عِلْمًا.

باب: إبطال انتقال العرَض وعدمه لنفسه:

ثمّ قال: ومن[1] المحال عليه تعمير المواطِن؛ لأنّ رحلتَه، في الزمن الثاني من زمان وجوده، لنفْسِــه؛ وليس بقاطِن. ولو جاز أن ينتقل؛ لقام بِنَفْسِــه واسْتَغْنَى عنِ المحَلّ. ولا يُعْدِمُه ضِــدّ لاتّصافه بالفقد، ولا الفاعل، فإنّ قولك: فعَل لا شيء، لا يقول به عاقل.

باب: إبطال حوادث لا أوّل لها:

ثمّ قال: مَن توقّف وجودُه على فناء شيء؛ فلا وُجُودَ له حتى يفنى، فإن وُجِد فقد فنيَ ذلك الشيءُ المتوقَّف عليه، وحصَل المعنى. مَن تقدَّمه شيءٌ فقد انحصر دونه وتقيّد، ولزمه هذا الوصف ولو تأبّد. فقد ثبت العين بلا مَين[2].

باب: القِدَم:

ثمّ قال: ولو كان حُكم المسنَد إليه حُكم المسنِد؛ لما تناهى العَدَد، ولا صحّ وُجُودُ من وُجِدْ.

باب: ليس بجوهر:

ثمّ قال: ولو كان ما أثبتناه يُخْلِي ويُمْلي لكان يَبْلَى ولا يُبْلِي.

باب: ليس بجسم:

---

(١) ص ٦٥ب

(٢) المين: الكذب.

ثمّ قال: ولو كان يقبل التركيبَ لَتَحَلَّل، أو التأليفَ (لـ)اضمَحَل. وإذا وقع التماثُل سَقَط التفاضُل.

باب[1]: ليس بعرض:

ثمّ قال: ولو كان يستدعي وجودُه سِوَاهُ ليقوم به؛ لم يكن ذلك السِّوَى مستنِدا إليه. وقد صحَّ إليه استنادُه؛ فباطلٌ أن يتوقّفَ عليه وجودُه وقد قيَّده إيجادُه. ثمّ إنّه: وَصْفُ الوَصْفِ، محال؛ فلا سبيل إلى هذا العَقْد بحَال.

باب: نفي الجهات:

ثمّ قال: الكُرَة وإن كانت فانية، فليست ذات ناحية. إذا كانت الجهات إليَّ، فحكْمُها عليَّ، وأنا منها خارجٌ عنها. وقد كان ولا أنا؛ ففِيم التشغيب والعَنا؟

باب: الاستواء:

ثمّ قال: كلُّ مَن استوطَن موطِنا؛ جازت عنه رحلته، وثبتت نقلته. من حاذى بذاته شيئا؛ فإنّ التثليث يحدُّه وَيُقَدِّره. وهذا يناقض ما كان العقلُ من قبل يُقَرِّرُه.

باب: الأحديّة:

ثمّ قال: لو كان لا يوجد شيء إلّا عن مستقلّين اتّفاقا واختلافا؛ لما رأينا في الوجود افتراقا وائتلافا. والمقدَّرُ، حكمُه حُكم الواقع. فإذَنْ؛ التقدير هنا للمنازع ليس بنافع.

باب: في الرؤية:

ثمّ[2] قال: إذا وجد الشيء في عينه، جاز أن يراه ذو العين بعينه، المقيَّدة بوجه الظاهر وجَفْنِه. وما ثمّ علّة توجب الرؤية، في مذهب أكثر الأشعريّة، إلّا الوجود، بالبِنية وغير البِنية، ولا بدّ من البِنية. ولو كانت الرؤية تؤثّر في المرئي؛ لأحلناها. فقد بانت المطالب بأدلّتها، كما ذكرناها.

ثمّ صلّى (الإمام المغربي) وسلّم، بَعْدَ ما حمِد. وقعد. فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة، واستيفائه المعاني في دقيق الإشارة.

---

(١) ص ٦٦

(٢) ص ٦٦ب

الفصل الثاني
في معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشرقيّ

باب: القدرة:

ثمّ قام المشرقيّ وقال: تكوين الشيء من الشيء؛ مَيَلٌ. وتكوينه لا من شيء؛ اقتدار الأزل. ومَن لم يمتنع عنك؛ فقدرتك نافذة فيه، ولم تزل.

باب: العلم:

ثمّ قال: إيجاد إحكامٍ في محكَمٍ؛ يُثبِت بحُكمه وجودَ عِلم الْمُحْكِمِ.

باب: الحياة:

ثمّ قال: والحياةُ في العالِم؛ شَرْطٌ لازِم ووصفٌ قائم.

باب(١): الإرادة:

ثمّ قال: الشيء إذا قَبِل التقدُّم والمناص(٢)؛ فلا بدّ من مخصِّص لوقوع الاختصاص. وهو عين الإرادة في حكم العقل والعادة.

باب: الإرادة الحادثة:

ثمّ قال: ولو أراد المُريد بما لم يَكن؛ لكان ما لم يكن مرادًا بما لم يَكُن.

باب: إرادة لا في محلّ:

ثمّ قال: من المحال أن توجِب المعاني أحكامها في غير مَن قامت به؛ فانتَبه.

باب: الكلام:

ثمّ قال: من تحدَّث في نفسه بما مضى، فذلك الحديث ليس بإرادة؛ به حكم الدليل على الكلام وقَضَى.

باب: قدم العلم:

ثمّ قال: القديم لا يقبل الطارئ فلا تُمارِ. ولو أحدث في نفسِـــهِ ما ليس منها؛ لكان، بعدم

---

(١) ص ٦٧

(٢) ناصَ يَنُوصُ مَنِيصًا ومَناصًا: نَجا. وفي التنزيل: ولاتَ حِينَ مَناصٍ؛ أَي وقت مَطْلَبٍ ومَغاثٍ، وقيل: معناه أَي اسْتَغاثوا وليس ساعةَ ملْجإٍ ولا مَهْرب. والنَّوْصُ: الفِرارُ. والمَناصُ: المَهْربُ. والمَناصُ: الملْجأُ والمَفَرُّ. وناصَ عن قِرنه يَنُوص نَوْصًا ومَناصًا أَي فرَّ وراغَ. (لسان العرب)

تلك الصفة، ناقِصًا عنها. ومَن ثبت كمالُه بالعقل والنصّ؛ فلا يُنْسَب إليه النقص.

باب: السمع والبصر:

ثمّ قال: لو لم يبصرك ولم يسمعك؛ لَجَهِلَ كثيرا مِنْك. ونسبة الجهل إليه محال. فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال. ومن ارتكب القول[1] بنفيهما؛ ارتكب مخوفا: لما يؤدّي إلى كونه مؤوفا[2].

باب: إثبات الصفات:

ثمّ قال: من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى. كما (أنّ) من ضرورة المعنى، الذي لا يقوم بنفسه، استدعاء مَغْنى. فيا أيّها المجادل؛ كم ذا تتعنّى؟ ما ذاك إلّا لخوفك من العدد. وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد. ولو علمت أنّ العدد هو الأحد؛ ما شَرَعْتَ في منازعة أحد.

(قال المشرقي): فهذا قد أَبَنْتُ عن الحامل المحمول، العارض واللازم، في تقاسيم هذه المعالِم. ثمّ قعد.

---

(١) ص ٦٧ب

(٢) في الهامش تعريف، المؤوف: ذو الآفة.

الفصل الثالث
في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي

باب: العالَم خلق لله:

ثمّ قام الشـــامي وقال: إذا تماثلت المحدَثات، وكان تعلّق القدرة بها لمجرّد الذّات، فبأيّ دليل يخرج عنها بعض الممكِنات؟.

باب: الكسب:

ثمّ قال: لَمّا كانت الإرادة تتعلّق بمرادها حقيقة، ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة؛ فذلك هو الكســـب. فكَسَـــبَ العبدُ وقَدَرَ الربُّ. ويتبين ذلك بالحركة الاختياريّة، والرعدة الاضطراريّة.

باب[1]: الكسب مراد لله:

ثمّ قال: القدرة مِن شرطِها الإيجاد، إذا ســـاعدها العِلم والإرادة. فإيّاك والعادة. كلّ ما أدّى إلى نقص الألوهة فهو مردود. ومَن جعل، في الوجود الحادث، ما ليس بمراد لله؛ فهو من المعرفة مطرود، وباب التوحيد في وجهه مسـدود. وقد يراد الأمر، ولا يراد المأمور به. وهو الصحيح، وهذا غاية التَّصْريح.

باب: لا يجب خَلق العالَم:

ثمّ قال: من أوجب على الله أمرا؛ فقد أوجب عليه حدَّ الواجب. وذلك على الله محال، في صحيح المذاهب. ومن قال بالوجوب لِسَبْق العِلم؛ فقد خرج عن الحكم، المعروف عند العلماء في الواجب، وهو صحيح الحُكم.

باب: تكليف ما لا يُطاق:

ثمّ قال: تكليف ما لا يُطاق جائز عقلا. وقد عاينّا ذلك مشاهدةً ونقْلًا.

باب: إيلام البريء ليس بظلم في حقّ الله:

ثمّ قال: من لم يَخْرُجْ شيءٌ على الحقيقة عن مِلكِهِ؛ فلا يتّصـفُ بالجور والظلم فيما يجريه مِن حُكْمِهِ في مُلْكِهِ.

---

(١) ص ٦٨

باب: الحُسْن والقُبْح:

ثمّ قال: مَن هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح. وقد ثبت ذلك وصَح. التقبيح[1] والتحسين (ثابتان فقط) بالشرع والغَرَض. ومن قال: إنّ الحُسْن والقبْح لذات الحَسَن والقبيح؛ فهو صاحب جهلٍ عَرَض.

باب: وجوب معرفة الله:

ثمّ قال: إذا كان وجوب معرفة الله وغير ذلك، مِن شَرْطِهِ، ارتباطُ الضَّرر بتركه في المستقبَل؛ فلا يصحّ الوجوب بالعقل؛ لأنّه لا يُعْقَل.

باب: بعث الرسل:

ثمّ قال: إذا كان العقل يستقلّ بنفسه في أمرٍ، وفي أمرٍ لا يستقلّ؛ فلا بدّ من مُوَصِّل إليه مستقلّ: فَلِمَ تَسْتحل بعثة الرُّسُل، وأنّهم أعلم الخلق بالغايات والسُّبُل.

باب: إثبات رسالة رسول بعينه:

ثمّ قال: لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق؛ لانقلبت الحقائق. ولتبدَّلتِ القدرة بالعجز، ولاسْتَنَدَ الكذب إلى حضرة العزّ. وهذا كلّه محال، وغاية الضلال؛ بما ثبت (أنّ) الواحد الأوّل يثبت الثاني، في جميع الوجوه والمعاني.

الفصل الرابع
في معرفة التخليص والترتيب باللسان اليمني

باب: الإعادة:

ثمّ قام اليمنيُّ وقال: من[2] أفسد شيئا بعد ما أنشأه؛ جاز أن يعِيدَه كما بَدَأَه.

باب: سؤال القبر وعذابه:

ثمّ قال: إذا قامت اللطيفة الروحانيّة بجزء مّا من الإنسان، فقد صحّ عليه اسم الحيوان. النائم يرى ما لا يراه اليقظان، وهو إلى جانبه، لاختلاف مذاهبه. من قامت به الحياة؛ جازت عليه اللذّة والألم. فما لك لا تلتزم؟

---

(١) ص ٦٨ب
(٢) ص ٦٩

باب: الميزان:

ثمّ قال: البدلُ من الشيء يَقوم مَقَامه، ويوجب له أحكامَه.

باب: الصراط:

ثمّ قال: مَن قدر على إمســـاك الطير في الهواء، وهي أجْسَـــام، قَدَر على إمســـاك جميع الأجرام.

باب: خلق الجنّة والنار:

ثمّ قال: قد كملت النشأة، واجتمعت أطراف الدائرة، قبل حلول الدائرة.

باب: وجوب الإمامة:

ثمّ قال: إقامة الدين هو المطلوب، ولا يصحّ إلّا بالأمان: فاتّخاذ الإمام واجب في كلّ زمان.

باب: شروط الإمامة:

ثمّ قال: إذا[١] تكاملت الشرائط؛ صحّ العقد، ولزم العالَم الوفاء بالعهد. وهي (أي الشرائط): الذكوريّة، والبلوغ، والعقل، والعِلم، والحرّيّة، والورع، والنجدة، والكفاية، ونســـب قريش، وسلامة حاسة السمع والبصر. وبهذا قال بعض أهل العِلم والنظر.

باب: إذا تعارض إمامان:

ثمّ قال: إذا تَعارَض إمامان؛ فالعقد للأكثر أتباعه. وإذا تعذّر خَلْع إمامٍ ناقصٍ؛ لتحقّق وقوع فسادٍ شاملٍ؛ فإبقاءُ العقد له واجبٌ، ولا يجوز إرداعه.

* * *

قال الشادي: فوفّى كلّ واحد من الأربعة ما اشترط، وانتظم الوجود وارتبط[٢].

(١) ص ٦٩ب

(٢) بالهامش: "سمع إلى هنا محمد بن علي بن محمد المطرز بقراءتي على مؤلفه شيخنا أحسن الله إليه. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي وذلك من البلاغ". (وبخط آخر): "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

وصل

في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف

الحمد لله محيّر العقول في نتائج الهمم، وصلّى الله على محمد وعلى آله وسلّم.

(حدّ العقول)

- مسـألة: أمّا بعد فإنّ للعقول حدًّا تقف عنده من حيث ما هي مفكِّرة، لا من حيث ما هي قابلة. فنقول في الأمر الذي يستحيل عقلا: قد لا يستحيل نِسبةً إلهيّة. كما نقول فيما يجوز عقلا: قد يستحيل نِسبةً إلهيّة.

* * *

(المناسَبة بين الحقّ والممكن)

- مسألة: أيّةُ[١] مناسَبةٍ بين الحقّ، الواجب الوجود بذاته، وبين الممكن، وإن كان واجبا به عند من يقول بذلك، لاقتضـاء الذات أو لاقتضـاء العلم؟ ومآخذها الفكريّة إنما تقوم صحيحة من البراهين الوجوديّة. ولا بدّ بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهَن عليه، مِن وَجْهٍ به يكون التعلّق، له نسـبة إلى الدليل، ونسـبة إلى المدلول عليه بذلك الدليل[٢]. ولولا ذلك الوجه ما وصـل دالٌّ إلى مدلولِ دليله أبدا. فلا يصـحّ أن يجتمع الخلق والحقُّ في وجه أبدا من حيث الذات، لكن من حيث أنّ هذه الذات منعوتة بالألوهة؛ فهذا حكم آخر تستقلّ العقول بإدراكه.

وكلّ ما يستقلّ العقل بإدراكه، عندنا، يمكن أن يتقدّم العلم به على شهوده. وذات الحقّ -تعالى- بائنة عن هذا الحكم؛ فإنّ شهودها يتقدّم على العلم بها. بل تُشْهَد ولا تُعْلَم. كما أنّ الألوهة تُعْلَم ولا تُشْهَد. فالذات تقابلها. وكم من عاقل، ممن يدّعي العقل الرصين من العلماء النظّار، يقول: إنّه حصـل على معرفة الذات، من حيث النظر الفكريّ. وهو غالط في ذلك. وذلك لأنّه متردِّد بفكره، بين السـلب والإثبات. فالإثبات راجع إليه: فإنّه ما أثبت للحقّ (أي) الناظرُ، إلّا ما هو الناظرُ عليه: من كونه عالما، قادرا، مريدا، إلى جميع الأسماء. والسلبُ راجع إلى[٣] العدم والنفي. والنفي لا يكون صـفة ذاتيّة، لأنّ الصـفات الذاتيّة للموجودات إنما هي ثبوتيّة. فما حصـل لهذا

---

(١) ص ٧٠

(٢) "عليه بذلك الدليل" ثابتة في الهامش

(٣) ص ٧٠ب

المفكِّر، المتردِّد بين الإثبات والسلب، من العلم بالله شيء.

(لا يمكن للمقيد أن يعرف المطلق)

- مسألة: أنّى للمقيَّد بمعرفة المطلَق، وذاتُه لا تقتضيه؟ وكيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات، وما من وجهٍ للممكن إلّا ويجوز عليه العدم والدثور والافتقار؟ فلو جُمع، بين الواجب بذاته وبين الممكن وجهٌ؛ لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الدثور والافتقار. وهذا في حقِّ الواجب محال. فإثبات وجهٍ جامع، بين الواجب والممكن، محالٌ. فإنّ وجوهَ الممكن تابعة له. وهو، في نفسه، يجوز عليه العدم: فتوابعه أحرى وأحقّ بهذا الحكم.

و(أيضا لو جُمع بين الواجب لذاته وبين الممكن وجهٌ لـ) ثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات، من ذلك الوجه الجامع. وما ثَمَّ شيء ثبت للممكن من حيث ما هو ثابت للواجب بالذات. فوجود وجهٍ جامع، بين الممكن والواجب بالذات[1]، محال.

* * *

(للألوهة أحكام)

- مسألة: لكنّي أقول: إنّ للألوهة أحكاما وإن كانت حكما. وفي صور هذه الأحكام يقع التجلّي في الدار الآخرة حيث كان. فإنّه قد اخْتُلِفَ في[2] رؤية النبيّ ﷺ ربّه كما ذُكِر. وقد جاء حديث النور الأعظم في رفرف الدرّ والياقوت، وغير ذلك.

* * *

(الحكم الإرادي والاختياري)

- مسألة: أقول بالحكم الإرادي، لكنّي لا أقول بالاختيار. فإنّ الخطاب بالاختيار الوارد، إنما ورد من حيث النظر إلى الممكن، معرّى عن علّتِه وسببيّته.

* * *

(كان الله ولا شيء معه)

- مسألة: فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامي: «إنّ الله كان ولا شيء معه»[3]. إلى هنا انتهى

---

(١) لفظ "بالذات" في الهامش وبخط الأصل مع إشارة التصويب.

(٢) ص ٧١

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤

لفظه ﷺ، وما أتى بعد هذا؛ فهو مدرَج فيه. وهو قولهم: "وهو الآن على ما عليه كان" يريدون في الحكم. فـ"الآن" و"كان" أمران عائدان علينا؛ إذ بنا ظهرا وأمثالهما. وقد انتفت المناسبة.

والمقول عليه: «كان الله ولا شيء معه»[1] إنما هو" "الألوهة" لا "الذات". وكلّ حكم يثبت، في باب العلم الإلهيّ، للذات إنما هو للألوهيّة، وهي أحكام نِسب وإضافات وسلوب: فالكثرة في النِّسب، لا في العين. وهنا زلّت أقدام مَن شرَّك، بين من يقبل التشبيه (وهي الألوهيّة) وبين من لا يقبله (وهي الذات)، عند كلامهم في الصفات. واعتمدوا في ذلك على الأمور الجامعة، التي هي الدليل والحقيقة والعلّة والشرط. وحكموا بها غائبا وشاهدا. فأمّا شاهدا فقد[2] نسلِّم، وأمّا غائبا فغير مسلَّم.

* * *

(بحر العماءِ برزخٌ بين الحقّ والخلق)

- مسألة: بحر العماءِ برزخٌ بين الحقّ والخلق. في هذا البحر اتّصف الممكن بـ"عالِم"، و"قادر"، وجميع الأسماء الإلهيّة التي بأيدينا، واتّصف الحقّ بالتعجّب، والتبشبش، والضحك، والفرح، والمعيّة، وأكثر النعوت الكونيّة. فَرُدَّ ما لَه، وخذ ما لَك. فله النزول، ولنا المعراج.

(الوصول إليه به وبك)

- مسألة: من أردتَ الوصول إليه، لم تصل إليه إلّا به وبك: بك؛ من حيث طلبك، وبه؛ لأنّه موضع قصدك. فالألوهة تطلب ذلك، والذات لا تطلبه.

* * *

(المتوجِّه على إيجاد كلّ ما سِوَى الله -تعالى- هو الألوهة)

- مسألة: المتوجِّه على إيجاد كلّ ما سِوَى الله -تعالى- هو الألوهة، بأحكامها ونِسبها وإضافاتها، وهي التي استدعت الآثار. فإنّ قاهرا بلا مقهور، وقادرا بلا مقدور -صلاحيّة، ووجودا، وقوّة، وفعلا- محال.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤
(٢) ص ٧١ب

(نعت الألوهة الأخص)

- مسألة: النعت الخاصّ الأخصّ، التي انفردت به الألوهة، كونها قادرة، إذ لا قدرة لممكن أصلا، وإنما له التمكن من قبول تعلّق الأثر الإلهيّ به.

* * *

(الكسب)

- مسألة: الكسب تعلُّقُ إرادة[١] الممكن بفعلٍ مّا، دون غيره؛ فيوجده الاقتدار الإلهيّ عند هذا التعلّق، فسمّي ذلك: "كسبا" للممكن.

* * *

(الجبر)

- مسألة: الجبر لا يصحّ عند المحقّق، لكونه ينافي[٢] صحّة الفعل للعبد. فإنّ الجبرَ حَمْلُ الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن. فالجماد ليس بمجبور؛ لأنّه لا يُتصوّر منه فعل، دلالة عقل عادي. فالممكن ليس بمجبور؛ لأنّه لا يُتصوّر منه فعل دلالة عقل محقِّق، مع ظهور الآثار منه.

(تقضي الألوهة أن يكون في العالَم بلاء وعافية)

- مسألة: الألوهة تقضي أن يكون في العالَم بلاء وعافية. فليس إزالة "المنتقم" من الوجود بأَوْلَى من إزالة "الغافر" و"ذي العفو" و"المنعِم". ولو بقي من الأسماء ما لا حكم له، لكان معطَّلا، والتعطيل في الألوهة محال: فعدم أثر الأسماء محال.

* * *

(المدرِك والمدرَك)

- مسألة: المدرِك والمدرَك، كلُّ واحد منهما على ضربين: مدرِك يعلم وله قوّة التخيّل، ومدرِك يعلم وما له قوّة التخيّل. والمدرَك -بفتح الراء- على ضربين: مدرَك له صورة، يعلمه بصورته مَن ليس له قوّة التخيُّل ولا يتصوّره، ويعلمه ويتصوّره مَن له قوّة التخيُّل، ومدرَك ما له صورة: يُعلم فقط.

---

(١) ص ٧٢

(٢) ق، س: "لا ينافي" والترجيح من هـ

(العِلم)

- مســألة[1]: العلم ليس تصــوُّر المعلوم، ولا هو المعنى الذي يتصــوّر المعلوم. فإنّه ما كلّ معلوم يُتصوّر، ولا كلُّ عالِمٍ يَتصوّر، فإنّ التصوُّر للعالِم إنما هو من كونه متخيّلا. والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال. وثَمّ معلومات لا يمسكها خيال أصلا. فثبت أنّها لا صورة لها.

* * *

(الفعل من الممكن)

- مســـألة: لو صحّ الفعل من الممكن؛ لَصَـحَّ أن يكون قادرا. ولا فِعل له؛ فلا قدرة له. فإثبات القدرة للممكن؛ دعوى بلا برهان. وكلامنا في هذا الفصـــل مع الأشـــاعرة المثبتين لها، مع نفي الفعل عنها.

* * *

(لا يصدر عن الواحد إلّا واحد)

- مسألة: لا يصدر عن الواحد من كلّ وجهٍ إلّا واحد. وهل ثَمّ من هو على هذا الوصف أم لا؟ في ذلك نظر للمنصف. ألا ترى الأشاعرة، ما جعلوا الإيجاد للحقّ إلّا من كونه قادرا، والاختصاص من كونه مريدا، والإحكام من كونه عالِمًا؟ وكون الشيء مريدا ما هو عين كونه قادرا. فليس قولهم بعد هذا: "إنّه واحد من كلّ وجه" صحيحا في التعلّق العام. وكيف، وهم مُثبتو الصفات زائدة على الذات، قائمة به -تعالى-؟ وهكذا القائلون بالنِّسب والإضافات.

وكلّ فرقة من الفِرق، ما تخلّصـــت لهم الوحدة من[2] جميع الوجوه. إلّا أنّهم بين مُلْزَمٍ، من مذهبه القول بعدمها، وبين قائل بها. فإثبات الوحدانيّة إنما ذلك في الألوهيّة، أي: "لا إله إلّا هو" وذلك صحيح، مدلول عليه.

* * *

(الصفات نِسب وإضافات)

- مسألة: كون الباري عالِما، حيّا، قادرا، إلى سائر الصفات (كلّ ذلك) نِسب وإضافات له، لا

---

(١) ص ٧٢ب
(٢) ص ٧٣

أعيانٌ زائدة، لما يؤدّي إلى نعتها (به) بالنقص: إذ الكامل بالزائد، ناقص بالذات عن كماله بالزائد. وهو (تعالى) كامل لذاته. فالزائد بالذات على الذات محال، وبالنِّسب والإضافة ليس بمحال.

وأمّا قول القائل: "لا هي هو، ولا هي أغيارٌ له"؛ فكلام في غاية البُعد. فإنّه قد دلّ صاحب هذا المذهب على إثبات الزائد -وهو الغير- بلا شكّ. إلّا أنّه أنكر هذا الإطلاق لا غير. ثمّ تحكَّم في الحدّ بأن قال: الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر: مكانا وزمانا، ووجودا وعدما. وليس هذا بحدّ للغيرين، عند جميع العلماء به.

* * *

(تعدّد التعلّقات)

- مسألة: لا يؤثّر تعدّد التعلّقات من المتعلَّق، في كونه واحدا في نفسه. كما لا يؤثّر تقسيم المتكلَّم به في أحديّة الكلام.

* * *

(تعدّد الصفات الذاتيّة)

- مسألة: الصفات الذاتيّة، للموصوف بها، وإن تعدّدت، فلا تدلّ على تعدّد الموصوف في[1] نفسه، لكونها مجموع ذاته، وإن كانت معقولة، في التميّز، بعضَها من بعض.

* * *

(الصور عَرَضٌ في الجوهر)

- مسألة: كلُّ صورة في العالَم، عَرَضٌ في الجوهر، وهي التي يقع عليها الخَلْع والسلخ. والجوهر واحد. والقسمة في الصورة، لا في الجوهر.

* * *

(وجود الكثرةِ عن المعلول الأوّل)

- مسألة: قول القائل: إنما وجد عن المعلول الأوّل الكثرةُ، وإن كان واحدا، لاعتبارات ثلاثة وُجِدت فيه، وهي: عَقْلُه علّتَه، ونفسَه، وإمكانَه. فنقول لهم: ذلكم يلزمكم في العلّة الأُولَى، أعني وجود اعتبارات فيه، وهو واحد، فلِمَ مَنعتم أن لا يصدر عنه إلّا واحد؟ فإمّا أن تلتزموا صدور

(١) ص ٧٣ب

الكثرة عن العلّة الأُولَى، أو صدور واحد عن المعلول الأوّل. وأنتم غير قائلين بالأمرين.

* * *

(الحقّ تعالى لا يكون علّةً لشيء)

- مسألة: مَن وجب له الكمال الذاتيّ والغِنى الذاتيّ، لا يكون علّةً لشيء؛ لأنّه يؤدّي كونُه علّةً توقّفه على المعلول، والذات منزَّهة عن التوقُّف على شيء؛ فكونها علّة محال. لكن الألوهة قد تقبل الإضافات.

فإن قيل: إنما يُطلق الإله على مَن هو كامل الذات، غنيّ الذات، لا نريد الإضـــافة ولا النِّسب. قلنا: لا مُشاحَّة في اللفظ.

بخلاف العلّة[1]، فإنّها، في أصل وضعها ومِن معناها، تستدعي معلولا. فإن أُريدَ بالعلّة ما أراد هذا بالإله، فمسلَّم، ولا يبقى نزاعٌ في هذا اللفظ إلّا من جهة الشرع: هل يمنع، أو يبيح، أو يسكت؟

(سرّ الألوهة)

- مسألة: الألوهة مَرتبة للذات، لا يستحقّها إلّا الله. فطَلبتْ مستحِقَّها، ما هو طلبها. والمألوه يطلبها، وهي تطلبه. والذات غنيّة عن كلّ شيء. فلو ظهر هذا السرّ، الرابط لما ذكرنا؛ لبطلت الألوهة، ولم يبطل كمال الذات. و"ظَهر" هنا بمعنى زال. كما يقال: ظهروا عن البلد؛ أي ارتفعوا عنه. وهو قول الإمام[2]: "للألوهيّة سِرٌّ لو ظهر لبطلت الألوهيّة".

* * *

(لا يتغيّر العلم بتغيّر المعلوم)

- مســـألة: العلم لا يتغيّر بتغيّر المعلوم، لكن التعلّق يتغيّر. والتعلّق نســـبة إلى معلومٍ مّا. مثاله: تعلُّق العلم بأنّ زيدا ســـيكون فكان. فتعلَّق العلم بكونه كائنا في الحال، وزال تعلُّق العلم باستئناف كونه. ولا يلزم من تغيّر التعلُّق تغيُّر العلم. وكذلك لا يلزم من تغيُّر المســموع والمرئيّ تغيُّر الرؤية والسمع.

---

(١) ص ٧٤

(٢) هو سهل بن عبد الله التستري، انظر السفر ١٧، ١٨

(معلوم العلم لا يتغيّر)

- مسألة: ثبت أنّ العلم لا يتغيّر، فالمعلوم أيضا لا يتغيّر. فإنّ معلوم العلم إنما هو نِسبة لأمرين معلومين محقَّقين. فالجسم معلوم لا يتغيّر أبدا[1]، والقيام معلوم لا يتغيّر، ونسبة القيام للجسم هي المعلومة، التي أُلحق بها التغيير. والنِّسبة أيضا لا تتغيّر. وهذه النِّسبة الشخصيّة أيضا لا تكون لغير هذا الشخص: فلا تتغيّر. وما ثَمّ معلوم أصلا سِوَى هذه الأربعة، وهي الثلاثة الأمور المحقّقة: النِّسبة، والمنسوب، والمنسوب إليه، والنِّسبة الشخصيّة.

فإن قيل: إنما ألحقنا التغيير بالمنسوب إليه، لكونه رأيناه على حالة مّا، ثمّ رأيناه على حالة أخرى. قلنا: لَمّا نظرتَ المنسوب إليه أمرا مّا، لم تنظر إليه من حيث حقيقته، فحقيقته غير متغيّرة، ولا من حيث ما هو منسوب إليه، فتلك حقيقة لا تتغيّر أيضا. وإنما نظرت إليه من حيث ما هو منسوب إليه حالٌ مّا، فإذَنْ؛ ليس المعلوم الآخر هو المنسوب إليه تلك الحالة التي قلت إنّها زالت، فإنّها لا تفارق منسوبَها. وإنما هذا منسوب آخر إليه نسبة أخرى. فإذَنْ؛ فلا يتغيّر علم ولا معلوم. وإنما العلم له تعلُّقات بالمعلومات، أو تعلّق بالمعلومات؛ (قل) كيف شئتَ.

* * *

(العلم التصوُّريّ لا يكتسب)

- مسألة: ليس شيء من العلم التصوُّريّ مكتسبا[2] بالنظر الفكريّ. فالعلوم المكتسَبة ليس إلّا نسبة معلوم تصوُّريّ إلى معلوم تصوُّريّ[3]. والنِّسبة المطلقة، أيضا، من العلم التصوّريّ. فإذا نَسبتَ الاكتساب إلى العلم التصوُّريّ، فليس ذلك إلّا من كونك تسمع لفظا قد اصطلحتْ عليه طائفةٌ مّا لمعنى مّا، يعرفه كلّ أحد. لكن لا يعرف كلُّ أحد أنّ ذلك اللفظ يدلّ عليه. فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ؛ أيُّ معنى هو؟ فيعيّنه له المسؤول بما يعرفه. فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى، من حيث معنويّته، والدلالةُ التي تَوصَّل بها إلى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى، ما قَبِلَهُ وما عرف ما يقول. فلا بدّ أن تكون المعاني كلّها مركوزة في النفس، ثمّ تنكشف له مع الآنات، حالا بعد حال.

---

(١) ص ٧٤ب
(٢) ق: مكتسب
(٣) ص ٧٥

(وَصْفُ العلم بالإحاطة)

- مسألة: وَصْفُ العلم بالإحاطة للمعلومات، يقضي بتناهيها. والتناهي فيها محال، فالإحاطة محال. لكن يقال: العلم محيطٌ بحقيقةِ كلّ معلوم، وإلّا فليس معلوما بطريق الإحاطة. فإنّه مَن علِم أمرا مّا من وجهٍ مّا، لا من جميع وجوهه، فما أحاط به.

* * *

(رؤيةُ البصيرة ورؤية البصر)

- مسألة: رؤيةُ البصيرة عِلمٌ، ورؤية البصر طريقُ حصول علم. فكون الإله سميعا بصيرا، تَعَلُّقٌ تفصيليّ. فهما حكمان للعلم. ووقعت التثنية[1] من أجل المتعلَّق، الذي هو المسموع والمبصَر.

(الأزل)

- مسألة: الأزل نعتٌ سلبيٌّ، وهو نفي الأوّليّة. فإذا قلنا: "أوّل" في حقّ الألوهة، فليس إلّا المرتبة.

(حدوث ما سِوَى الله عند الأشاعرة)

- مسألة: دلّت (=استدلت) الأشاعرة على حدوث كلّ ما سِوَى الله، بحدوث المتحيّزات وحدوث أعراضها. وهذا لا يصحّ حتى يقيموا الدليل على حصر كلّ ما سِوَى الله -تعالى- فيما ذكروه. ونحن نسلِّم حدوث ما ذكروا حدوثه.

* * *

(الموجود اللّا متحيّز)

- مسألة: كلُّ موجود قائم بنفسه غير متحيِّز -وهو ممكن- لا تجري مع وجوده الأزمنة، ولا تطلبه الأمكنة.

* * *

(الممكن الأوّل عند الأشاعرة)

- مسألة: دلالةُ الأشعري، في الممكن الأوّل، أنّه يجوز تقدُّمه على زمان وجوده، وتأخُّره عنه -

(١) ص ٧٥ب

والزمان عنده، في هذه المسألة، مقدَّر لا موجود- فالاختصاص دليل على المخصِّص. فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان: فبطل أن يكون هذا دليلا.

فلو قال: نِسبة الممكنات إلى الوجود، أو نِسبة الوجود إلى الممكنات، نِسبةٌ واحدة، من حيث ما هي نِسبة، لا من حيث ما هو ممكن. فاختصاصُ بعض الممكنات بالوجود، دون غيره من الممكنات، دليل على أنّ لها مخصِّصا[1]. فهذا هو عين حدوث كلِّ ما سِوَى الله.

* * *

(الزمان)

- مسألة: قول القائل: إنّ الزمان مدّة متوهّمة، تقطعها حركة الفلَك، خُلْفٌ من الكلام؛ لأنّ المتوهَّم ليس بوجودٍ محقَّق. وهم ينكرون على الأشاعرة تقدير الزمان في الممكن الأوّل. فحركات الفلَك تقطع في لا شيء. فإن قال الآخر: إنّ الزمان حركة الفلَك، والفلَك متحيّز، فلا تقطع الحركة إلّا في متحيّز.

* * *

(اللفظ المشترك عند الأشاعرة والمجسّمة)

- مسألة: عجبتُ من طائفتين كبيرتين: الأشاعرة والمجسّمة، في غَلطهم في "اللفظ المشترك"، كيف جعلوه للتشبيه، ولا يكون التشبيه إلّا بلفظة المِثل، أو كاف الصفة بين الأمرين، في اللسان. وهذا عزيز الوجود في كلِّ ما جعلاه تشبيها من آيةٍ أو خبرٍ.

ثمّ إنّ الأشاعرة تخيّلتْ أنّها لَمّا تأوّلتْ قد خرجتْ من التشبيه، وهي ما فارقَتْهُ، إلّا أنّها انتقلتْ من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني المحدَثة، المفارقة للنعوت القديمة في الحقيقة والحدّ. فما انتقلوا من التشبيه بالمحدَثات أصلا.

ولو قلنا بقولهم، لم نَعْدِل، مَثَلا، من الاستواء الذي هو الاستقرار، إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء، كما عدلوا. ولا سيّما والعرش مذكور[2] في نسبة هذا الاستواء. ويبطل معنى الاستيلاء مع ذِكْر السرير، ويستحيل صرفُه إلى معنى آخر ينافي الاستقرار.

---

(١) ص ٧٦

(٢) ص ٧٦ب

فكنت أقول: إنّ التشبيه، مثلا، إنما وقع بالاستواء -والاستواء معنى- لا بالمستوَى عليه[١]، الذي هو الجسم. والاستواء حقيقةٌ، معقولة، معنويّة، تنسب إلى كلّ ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات. ولا حاجة لنا إلى التكلُّف في صرف الاستواء عن ظاهره: فهذا غلط بَيِّنٌ، لا خفاء به.

وأمّا المجسِّمة، فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محتملاته، مع إيمانهم ووقوفهم مع قوله -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[٢].

* * *

(الفحشاء بين القضاء والإرادة)

- مسألة: كما أنّه -تعالى- لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدها، لكن قضاها وقدّرها. بيان كونه لا يريدها: لأنّ كونها فاحشة ليس عينها، بل هو حُكم الله فيها. وحُكم الله في الأشياء غير مخلوق. وما لم يجر[٣] عليه الخلق لا يكون مرادا. فإن أُلْزِمناه في الطاعة التزمناه، وقلنا: الإرادة للطاعة ثبتت سمعا لا عقلا، فأَثْبِتوها في الفحشاء. ونحن قبلناها إيمانا، كما قبِلنا وزن الأعمال وصورها، مع كونها أعراضا. فلا يقدح ذلك فيما ذهبنا إليه[٤]، لما اقتضاه الدليل.

* * *

(العدمُ الذي للممكن)

- مسألة: العدمُ للممكن، المتقدِّم بالحكم على وجوده، ليس بمراد. لكن العدم الذي يقارنه حكما، حال وجوده -أن لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسحِبا عليه- هو مراد حال وجود الممكن، لجواز استصحاب العدم له. وعدم الممكن، الذي ليس بمراد، هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته. لأنّ مرتبة الوجود المطلَق، تقابل العدم المطلق الذي للممكن؛ إذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة. وهذا في وجود الألوهة لا غير.

---

(١) ثابت في الهامش.
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ق: يجز
(٤) ص ٧٧

(وجودُ قديم ليس بإله)

- مسألة: لا يستحيل، في العقل، وجودُ قديم ليس بإله؛ فإن لم يكن فمن طريق السمع لا غير.

(تخصيص وجود الممكن)

- مسألة: كون المخصِّص مريدا لوجود ممكنٍ مّا، ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود، لكن من حيث نِسبته لممكنٍ مّا، تجوز نِسبته لممكن آخر. فالوجود، من حيث الممكن مطلَقا، لا من حيث ممكنٍ مّا، ليس بمراد ولا بواقع أصلا إلّا بممكنٍ مّا. وإذا كان بممكنٍ مّا فليس هو بمراد من حيث هو، لكن من حيث نِسبته لممكنٍ مّا، لا غير.

(السبب المخصِّص)

- مسألة: دلّ[1] الدليل على ثبوت السبب المخصَّص، ودلّ الدليل، مثلا، على التوقيف فيما يُنسب إلى هذا المخصِّص من نفي أو إثبات، كما قال لنا بعض النظّار في كلام جرى بيني وبينه. فكنّا نقف كما زعم. لكن دلّ الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسِل. فأخذنا النِّسب الإلهيّة من الرسول. فحكمنا بأنّه كذا، وليس كذا. فكيف والدليل الواضح على وجوده، وأنّ وجودَه عينُ ذاته، وليس بعلّة لذاته لثبوت الافتقار إلى الغير، وهو الكامل بكلّ وجه؟ فهو موجود، ووجودُه عينُ ذاته، لا غيرها.

(التعلّقات الإلهيّة تعدّدت لحقائق المتعلَّقات)

- مسألة: افتقار الممكن للواجب بالذات، والاستغناء الذاتيّ للواجب دون الممكن، يسمّى: إلها.

وتعلُّقها (أي الذات الواجبة) بنفسها، وبحقائق كلّ محقَّق، وجودا كان أو عدما، يسمّى: عِلما.

تعلُّقها بالممكنات، من حيث ما هي الممكنات عليه، يسمّى: اختيارا.

تعلّقها بالممكن، من حيث تقدُّم العلم قبل كون الممكن، يسمّى: مشيئة.

---

(١) ص ٧٧ب

تعلّقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعيين، يسمّى: إرادة.

تعلّقها بإيجاد الكون يسمّى: قدرة.

تعلّقها بإسماع المكوَّن لكونه، يسمّى: أمرا. وهو على نوعين: بواسطة وبلا واسطة. فبارتفاع[1] الوسائط لا بدّ من نفوذ الأمر، وبالواسطة لا يلزم النفوذ، وليس بأمر في عين الحقيقة؛ إذ لا يقف لأمر الله شيء.

تعلُّقها بإسماع المكوَّن لصرفه عن كونه، أو كونٍ مّا يمكن أن يصدر منه، يسمّى: نهيا. وصورته، في التقسيم، صورة الأمر.

تعلُّقها بتحصيل ما هي عليه، هي أو غيرها من الكائنات، أو ما في النفس، يسمّى: إخبارا.

فإن تعلّقتْ بالكون على طريق: أيّ شيء؟ يسمّى: استفهاما.

فإن تعلّقتْ به على جهة النزول إليه بصيغة الأمر، يسمّى: دعاء. ومن باب تعلّق الأمر إلى هذا، يسمّى: كلاما.

تعلّقها بالكلام، من غير اشتراط العلم به، يسمّى: سمعا.

فإن تعلّقتْ، وتبع التعلُّقَ الفهمُ بالمسموع، يسمّى: فَهْمًا.

تعلّقها بكيفيّة النور، وما يحمله من المرئيّات، يسمّى: بصرا ورؤية.

تعلّقها بإدراك كلّ مدرَك، الذي لا يصحّ تعلُّقٌ من هذه التعلّقات كلّها إلّا به، يسمّى: حياة.

والعين في ذلك كلّه واحدة. (وإنما) تعدّدت التعلّقات لحقائق المتعلَّقات، و(تعدّدت) الأسماء لـ(تعدّد حقائق) المسمّيات.

* * *

(نور العقل ونور الإيمان)

- مسألة: للعقل نور تُدرَك به أمور مخصوصة، وللإيمان نورٌ به يدرك كلّ شيء ما لم يقم مانع. فبنور العقل تصل إلى معرفة الألوهة، وما يجب لها ويستحيل[2]، وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب. وبنور الإيمانِ يدرِكِ العقلُ معرفة الذات، وما نسب الحقّ إلى نفسه من النعوت.

---

(١) ص ٧٨

(٢) ص ٧٨ب

(معرفة أحكام الذات)

- مسألة: لا يمكن، عندنا، معرفة كيفيّة ما يُنسب إلى الذوات من الأحكام، إلّا بعد معرفة الذوات المنسوبة والمنسوب إليها، وحينئذ تعرف كيفيّة النِّسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة: كالاستواء، والمعيّة، واليد، والعين، وغير ذلك.

* * *

(الأعيان لا تنقلب، والحقائق لا تتبدّل)

- مسألة: الأعيان لا تنقلب، والحقائق لا تتبدّل. فالنار تحرِق بحقيقتها لا بصورتها. فقوله -تعالى-: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا﴾[1] خطابٌ[2] للصورة وهي الجمرات. وأجرام الجمرات مُحْرِقة بالنار. فلمّا قام النار بها سمّيت نارا. فتقبل البرد كما قبِلت الحرارة.

* * *

(البقاءُ)

- مسألة: البقاءُ استمرار الوجود، مثلا، على الباقي لا غير، ليس بصفة زائدة فيحتاج إلى بقاء ويتسلسل، إلّا على مذهب الأشاعرة في المحدَث. فإنّ البقاء عرَض، فلا يحتاج إلى بقاء، وإنما ذلك في بقاء الحقّ -تعالى-.

* * *

(الكلام واحدٌ)

- مسألة: الكلام، من حيث ما هو كلامٌ، واحدٌ. والقسمة في المتكلَّم به، لا في الكلام. فالأمر[3]، والنهي، والخبر، والاستخبار، والطلب: واحدٌ في الكلام.

* * *

(الاسم والمسمّى والتسمية)

- مسألة: الاختلاف في الاسم والمسمّى والتسمية، اختلافٌ في اللفظ. فأمّا قول من قال:

---

(١) [الأنبياء: ٦٩]

(٢) ق: "خطابا" وفي الهامش بقلم آخر: "خطاب" مع حرف ظ

(٣) ص ٧٩

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾[1] و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾[2] فكالنهي بالسفر بالمصحف إلى أرض العدوّ. وأمّا القول في الحجّة بـ﴿أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾[3] على أنّ الاسم هو المسمّى، فالمعبود الأشخاص، فنسبة الألوهة عبدوا. فلا حجّة في أنّ الاسم هو المسمّى، ولو كان لكان بحكم اللغة والوضع، لا بحكم المعنى.

(وجود الممكنات)

- مسألة: وجود الممكنات، لكمال مراتب الوجود الذاتيّ والعرفانيّ، لا غير.

⋆ ⋆ ⋆

(قسما وجود الممكن)

- مسألة: كلُّ ممكن منحصرٌ في أحد قسمين: في سترٍ أو تجلٍّ. فقد وُجد الممكن على أقصى غاياته وأكملها، فلا أكمل منه. ولو كان الأكمل لا يتناهى؛ لما تَصوَّر خلق الكمالَ. وقد وُجد مطابقا للحضرة الكماليّة، فقد كمل.

⋆ ⋆ ⋆

(انحصار المعلومات)

- مسألة: المعلومات منحصرة، من حيث ما تُدرَك به، في حسّ ظاهر وباطن -وهو الإدراك النفسيّ- وبديهة، وما تركّب من ذلك: عقلا إن كان معنى، وخيالا إن كان صورة. فالخيال لا يركِّب إلّا في الصور خاصّة. فالعقل يعقل ما[4] يركِّب الخيال، وليس في قوّة الخيال أن يصوّر بعض ما يركِّبه العقل. وللاقتدار الإلهيّ سِرٌّ خارج عن هذا كلّه، يقف (العقل) عنده.

(الحسْن والقبح)

- مسألة: الحسْن والقبح، ذاتيٌّ للحسَن والقبيح. لكن منه ما يُدرَك حُسنُه وقُبحه، بالنظر إلى كمالٍ أو نقصٍ أو غرضٍ أو ملاءمة طبع أو منافرته أو وضعٍ. ومنه ما لا يدرَك قُبحه ولا حُسنه

(١) [الرحمن: ٧٨]
(٢) [الأعلى: ١]
(٣) [الأعراف: ٧١]
(٤) ص ٧٩ب

إلّا من جانب الحقّ الذي هو الشرع. فنقول: هذا قبيح وهذا حسن. وهذا من الشرع خبرٌ لا حُكم. ولهذا نقول بشرط الزمان والحال والشخص. وإنما شرطنا هذا، من أجل من يقول في القتل: ابتداء، أو قَودا، أو حدًّا، وفي إيلاج الذّكر في الفرج: سفاحا ونكاحا.

فمن حيث هو إيلاجٌ واحد، لسنا نقول كذلك، فإنّ الزمان مختلف، ولوازم النكاح غير موجودة في السفاح، وزمان تحليل الشيء ليس زمان تحريمه، أن لو كان عينُ المحرَّم واحدا[1]. فالحركة من زيد في زمانٍ مّا، ليست (ت) هي الحركة منه في الزمان الآخَر، ولا الحركة التي من عمرو هي الحركة التي من زيد. فالقبيح لا يكون حسنا أبدا. لأنّ تلك الحركة، الموصوفة بالحسن أو القبح، لا تعود أبدا. فقد علم الحقّ ما كان حسنا وما كان قبيحا، ونحن لا نعلم.

ثمّ إنّه لا يلزم من الشيء إذا كان قبيحا أن يكون أثره قبيحا[2]، (إذ) قد يكون أثره حسنا. والحسن أيضا كذلك، قد يكون أثره قبيحا: كحسن الصدق، وفي مواضع يكون أثره قبيحا، وكقبح الكذب، وفي مواضع يكون أثره حسنا. فتحقّق ما نبّهناك عليه تجد الحقّ.

* * *

(الدليل والمدلول)

- مسألة: لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول. فعلى هذا، لا يصحّ قول الحلوليّ: لو كان الله في شيء، كما كان في عيسى، لأحيا الموتى.

* * *

(الرضا بالقضاء والمقضيّ)

- مسألة: لا يلزم الراضي بالقضاء الرضا بالمقضيّ. فالقضاءُ حكمُ الله، وهو الذي أمرنا بالرضا به. والمقضيُّ (هو) المحكوم به، فلا يلزمنا الرضا به.

* * *

(الاختراع)

- مسألة: إن أُريد بالاختراع حدوث المعنى المخترَع في نفس المخترِع -وهو حقيقة الاختراع- فذلك

(١) ق: واحد.
(٢) ص ٨٠

على الله محال. وإن أريد بالاختراع حدوث المخترَع، على غير مثال سبقه في الوجود، الذي ظهر فيه، فقد يوصف الحقّ، على هذا، بالاختراع.

(ارتباطُ العالَم بالله)

- مسألة: ارتباطُ العالَم بالله (هو) ارتباطُ ممكن بواجب، ومصنوع بصانع. فليس للعالَم، في الأزل، مرتبة؛ فإنّها مرتبة الواجب بالذات. فهو الله ولا شيء معه، سَوَاء كان العالَم موجودا أو معدوما. فمن توهّم، بين الله والعالَم، بَوْنًا يُقَدَّر تَقَدُّم وجود الممكن فيه[١] وتأخُّره، فهو توهُّم باطل، لا حقيقة له. فلهذا نزعنا، في الدلالة على حدوث العالَم، خلاف ما نزعتْ إليه الأشاعرة. وقد ذكرناه في هذا التعليق.

(تعلّق العلم بالمعلوم)

- مسألة: لا يلزم مِن تعلّق العلم بالمعلوم حصولُ المعلوم[٢] في نفس العالِم، ولا مِثالِه. وإنما العلم يتعلّق بالمعلومات، على ما هي المعلومات عليه في حيثيّتها؛ وجودا وعدما. فقول القائل: إنّ بعض المعلومات له في الوجود أربع مراتب: ذهنيّ وعينيّ ولفظيّ وخطّيّ، فإن أراد بالذهن "العلم" فغير مسلَّم، وإن أراد بالذهن "الخيال" فمسلَّم، لكن في كلّ معلوم يُتخيّل خاصّة، وفي كلّ عالِم يَتخيّل. ولكن لا يصحّ هذا إلّا في (المعلوم) الذهنيّ خاصّة لأنّه يطابق العين في الصورة.

و(المعلوم) اللفظيّ و(المعلوم) الخطّيّ ليسا كذلك. فإنّ اللفظ والخطّ موضوعان للدلالة والتفهيم. فلا يتنزّل (أيّ منهما) من حيث الصورة (اللفظيّة أو الخطّيّة) على الصورة (الحقيقيّة العينيّة). فإنّ زَيْدًا اللفظيّ والخطّيّ إنما هو زاي وياء ودال، رقما أو لفظا، ما له يمين ولا شمال ولا جهات، ولا عين ولا سمع. فلهذا قلنا: لا يتنزّل عليه من حيث الصورة، لكن من حيث الدلالة. ولذلك إذا وقعتْ فيه المشاركة، التي تبطل الدلالة، افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان. ولا[٣] يدخل في الذهنيّ مشاركة أصلا، فافهم.

---

(١) ص ٨٠ب
(٢) ق: "العلم" وصححت بالهامش بقلم الأصل.
(٣) ص ٨١

(وجوه المعارف التي للعقل الأوّل)

- مسألة: كنّا حصرنا في "كتاب المعرفة الأوّل" ما للعقل من وجوه المعارف في العالَم، ولم ننبّه من أين حصل لنا ذلك الحصر. فاعلم أنّ للعقل ثلاثمائة وستّين وجها، يقابل كلّ وجه، من جناب الحقّ العزيز، ثلاثمائة وستّين وجها، يمدّه كلّ وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر. فإذا ضربتَ وجوه العقل في وجوه الأخذ، فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل، المسطّرة في اللوح المحفوظ، الذي هو النفس.

وهذا الذي ذكرناه، كشفا إلهيّا، لا يحيله دليل عقل، فيُتلقّى تسليما من قائله. أعني (يُتلقّى) هذا كما تُلُقّي من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبارات، التي للعقل الأوّل، من غير دليل، لكن مصــــادرة. فهذا أَوْلَى من ذلك. فإنّ الحكيم يدّعي في ذلك النظر، فيُدخل عليه بما قد ذكرناه في "عيون المسـائل" في "مسـألة الدرّة البيضـاء" الذي هو العقل الأوّل. وهذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دَخَل، فإنّا ما ادّعيناه نظرا، وإنما ادّعيناه تعريفا. فغاية المنكِر أن يقول للقائل: "تكذب" ليس له غير ذلك. كما يقول له المؤمن به: "صــــدقتَ". فهذا فُرقانٌ بيننا[1] وبين القائلين بالاعتبارات الثلاثة. وبالله التوفيق.

(وجها الممكن من عالَم الخَلق)

- مسـألة: ما من ممكن، من عالَم الخَلق، إلّا وله وجهان: وجهٌ إلى سببه، ووجه إلى الله -تعالى-. فكلّ حجاب وظلمة تطرأ عليه فمن سببه، وكلُّ نور وكشف فمن جانب حقّه. وكلّ ممكن من عالَم الأمر، فلا يُتصوّر في حقّه حجاب؛ لأنّه ليس له إلّا وجه واحد: فهو النور المحض ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2].

* * *

(الإيجاد بين متعلَّق الأمر ومتعلَّق القدرة)

- مسألة: دلّ الدليل العقليّ على أنّ الإيجاد متعلَّق القدرة. وقال الحقّ عن نفسه: إنّ الوجود يقع

(١) ص ٨١ب
(٢) [الزمر: ٣]

عن الأمر الإلهيّ فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فلا بدّ أن ننظر في متعلَّق الأمر ما هو؟ وما هو متعلَّق القدرة؟ حتى أجمع بين السمع والعقل.

فنقول: الامتثال قد وقع بقوله: "فيكون". والمأمور به إنما هو الوجود. فتعلّقتِ الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود، وتعلّقتِ القدرة بالممكن، فأثّرتْ فيه الإيجاد: وهي حالة معقولة بين العدم والوجود. فتعلّق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصَّصة بأن تكون؛ فامتثلتْ، فكانت. فلولا ما كان للممكن عين، ولا وصف لها[2] بالوجود، (بحيث) يتوجّه على تلك العين الأمر بالوجود، لما وقع الوجود. والقائل بتهيّؤ المراد في شرح "كن" غير مصيب.

* * *

(أوّليّة الواجب الوجود بالغير)

- مسألة: معقوليّة الأوّليّة للواجب الوجود بالغير (هي) نسبةٌ سلبيّة عن وجود كون الوجوب المطلَق. فهو أوّلٌ لكلّ مقيّد. إذ يستحيل أن يكون له هناك (أي في مرتبة الوجوب المطلق) قَدم. لأنّه لا يخلو أن يكون بحيث الوجوب المطلق؛ فيكون إمّا هو نفسه؛ وهو محال، وإمّا قائمًا به؛ وهو محال لوجوهٍ: منها أنّه (أي واجب الوجود المطلق) قائم بنفسه، ومنها ما يلزم للواجب المطلق -لو قام به هذا- من الافتقار، فيكون إمّا مقوِّما لذاته وهو محال، أو مقوِّما لمرتبته وهو محال.

* * *

(أوّليّة الواجب المطلَق)

- مسألة: معقوليّة الأوّليّة للواجب المطلَق (هي) نِسبة وضعيّة، لا يَعقِل لها العقل سِوَى استناد الممكن إليه. فيكون أوّلًا بهذا الاعتبار. ولو قُدِّرَ أن لا وجود لممكن، قوّة وفعلا، لانتفت النِّسبة الأوّليّة، إذ لا تجد متعلَّقا.

---

(١) [النحل: ٤٠]
(٢) ص ٨٢

(علمُ الممكناتِ بموجِدها)

- مسألة: أَعلَمُ الممكناتِ لا يَعلمُ موجِدَهُ إلّا مِن حيث هو: فنفسُه عَلِمَ، و(عَلِمَ)[1] مَن هو موجود عنه، غير ذلك لا يصحّ. لأنّ العلم بالشيء يؤذن بالإحاطة به والفراغ منه. وهذا في ذلك الجناب محال: فالعلم به محال. ولا يصحّ أن يُعْلَم منه؛ لأنّه لا يتبعّض. فلم يبق العلم إلّا بما يكون منه. وما يكون منه هو أنت: فأنت المعلوم.

فإن قيل: عِلمنا بِلَيْسَ هو كذا، عِلْمٌ به. قلنا: نعوتُك جرّدْتَه عنها، لِما يقتضيه الدليل من نفي المشاركة. فتميّزتَ أنت، عندك، عن ذات مجهولة لك، من حيث ما هي معلومة لنفسها. ما هي تميّزتْ لك، لعدم الصفات الثبوتيّة التي لها في نفسها. فافهم ما علمتَ، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

لو علمتَه لم يكن هو. ولو جَهِلَك لم تكن أنت. فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدتَه. فهو هو: لِهو، لا لك. وأنت أنت: لِأنت، وَلَهُ. فأنت مرتبط به، ما هو مرتبط بك. الدائرةُ، مطلقةً، مرتبطةٌ بالنقطة. النقطةُ، مطلقةً، ليست مرتبطة بالدائرة. نقطةُ الدائرة مرتبطةٌ بالدائرة، كذلك الذات، مطلَقةً، ليست مرتبطة بك. ألوهيّةُ الذاتِ مرتبطةٌ بالمألوه (وهو أنت) كنقطة الدائرة (في ارتباطها بالدائرة).

* * *

(متعلَّقُ رؤيتنا الحقَّ تعالى، ومتعلّق علمنا به)

- مسألة: متعلَّقُ رؤيتنا الحقَّ -تعالى- ذاته -سبحانه-. ومتعلّق علمنا به، إثباته إلها بالإضافات والسلوب. فاختلف المتعلَّق. فلا يقال في[3] الرؤية: إنّها مزيد وضوح في العلم، لاختلاف المتعلَّق. وإن كان وجودُه عينَ ماهيّته، فلا ننكر أنّ معقوليّة الذات، غير معقوليّة كونها موجودة.

* * *

(العدمُ هو الشرُّ المحض)

- مسألة: إنّ العدمَ هو الشرُّ المحض. لم يعقل بعض الناس حقيقة هذا الكلام لغموضه. وهو قول

---

(١) ص ٨٢ب

(٢) [طه: ١١٤]

(٣) ص ٨٣

المحقِّقين، من العلماء المتقدِّمين والمتأخّرين. لكن أطلقوا هذه اللفظة ولم يوضّحوا معناها.

وقد قال لنا بعض سفراء الحقّ، في منازلةٍ، في الظلمة والنور: "إنّ الخير في الوجود، والشرَّ في العدم". في كلام طويل. عِلمنا أنّ الحقّ -تعالى- له إطلاق الوجود من غير تقييد، وهو الخير المحض الذي لا شرَّ فيه. فيقابله إطلاق العدم الذي هو الشرّ المحض، الذي لا خير فيه. فهذا هو معنى قولهم: إنّ العدم هو الشرّ المحض.

(إطلاق الجواز على الله)

- مسألة: لا يقال، من جمة الحقيقة: إنّ الله جائز أن يوجِد أمرا مّا، وجائز أن لا يوجده. فإنّ فِعله للأشياء ليس بممكن، بالنظر إليه، ولا بإيجاب موجب. ولكن يقال: ذلك الأمر جائز أن يوجَد، وجائز أن لا يوجد. فيفتقر(١) إلى مرجِّح، وهو الله -تعالى-. وقد تقصّينا الشريعةَ فما رأينا فيها ما يناقض ما قلناه. فالذي نقول في الحقّ -تعالى-: إنّه يجب له كذا، ويستحيل عليه كذا. ولا نقول: يجوز عليه كذا.

فهذه عقيدة "أهل الاختصاص" من أهل الله.

* * *

وأمّا عقيدة "خلاصة الخاصّة" في الله -تعالى- فأمرٌ فوق هذا، جعلناه مبدّدا في هذا الكتاب، لكون أكثر العقول، المحجوبة بأفكارها، تقصر عن إدراكه، لعدم تجريدها.

وقد انتهت مقدّمة الكتاب، وهي عليه كالعلاوة. فمن شاء كتبها فيه، ومن شاء تركها ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(٢)

انتهى الجزء الثالث، والحمد لله(٣).

---

(١) ص ٨٣ب

(٢) [الأحزاب: ٤]

(٣) أثبتت السماعات في الحاشية وفي الهامش بالترتيب التالي: "سمع جميع هذا الجزء على مصنفه الشيخ الإمام العالِم العلامة محيي الدين شيخ الإسلام بقية السلف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي بقراءة الإمام الزاهد شمس الدين أبي الحسن علي بن المظفر بن القاسم النشبي؛ الأئمة: أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوى بن الجباب السعدي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي وابنه أحمد، وأبو بكر بن سليمان بن علي الحموي الواعظ، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد، ابنا المصنف، ويعقوب بن معاذ بن عبد الرحمن الوربي، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء الحنفي، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم الحنفي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي، وأبو عبد الله محمد بن يرنقش المعظمي، وعيسى بن إسحق بن يوسف الهذباني، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأبو بكر بن عبد اللطيف بن دينار البغدادي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع الدمشقي، وعبد الغفار بن ثنائي (سنائي ؟) الدمشقي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم، يعرف بابن زرافة، وأبو بكر بن

الجزء الرابع من الفتح المكي[١]

(الفصل الأوّل في المعارف)

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

الباب الأوّل

في معرفة الروح الذي أخذتُ من تفصيل نشأته ما سطّرته في هذا الكتاب، وما كان بيني وبينه من الأسرار

فمن ذلك نظم:

قُلْتُ عِنْدَ الطَّوَافِ: كَيْفَ أَطُوفُ ... وَهْوَ عَنْ دَرْكِ سِرِّنا مَكْفُوفُ؟
جَـلْـمَـدٌ غَـيْرُ عـاقِـلٍ حَـرَكَاتِي ... قِيْـلَ: أَنْـتَ المحَيَّرُ المَتْلُوفُ
أُنْـظُـرِ الـبَـيْـتَ نُـورُهُ يَـتَـلَالا ... لِقُلُوبٍ تَطَهَّرَتْ، مَكْشُـــوفُ
نَـظَـرَتْـهُ باللهِ دُونَ حِـجـابٍ ... فَبَـدَا سِرُّهُ الـعَـلِيُّ المُنِـيـفُ
وَتَجَـلَّى لَـهَـا مِـنُ أفْـقِ جَـلَالِي ... قَمَرُ الصِّدْقِ ما اعْتَرَاهُ خُسُوفُ
لَـوْ رَأَيْـتَ الـوَلِيَّ حِـيْنَ يَـرَاهُ ... قُلْـتَ فِيْـهِ: مُـدَلَّهٌ مَلْهُوفُ
يَلْثِمُ السِّــــــرَّ فِي سَـوَادِ يَمِيْنِي ... أَيُّ سِرٍّ لَـوَ أَنَّـهُ مَـعْـرُوفُ
جُهِلَـتْ ذَاتُـهُ فَقِيـلَ: كَثِيْفٌ ... عِنْـدَ قَوْمٍ، وعِنْـدَ قَوْمٍ لَطِيفُ

محمد بن أبي بكر البلخي، ومحمد بن الحسين بن علي الأخلاطي، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. -في يوم الجمعة، عاشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف بدمشق.- والحمد لله وصلاته على محمد وآله".

السماع الثاني، وهو بنفس السماع الأول وبنفس الخط أيضا: "وسمع مع الجماعة بالقراءة والتاريخ أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن النابلسي.- كتبه إبراهيم القرشي".

السماع الثالث، بخط جديد، وعلى الهامش: "سمع جميع كتاب المعرفة على مؤلّفه الشيخ الإمام العلامة الفرد محيي الدين بن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي -أيده الله تعالى- الشيخ كمال الدين علي بن قائد بن ماجد (؟) الحريري، ونجم الدين عبد السلام بن أبي نصر بن أحمد (؟) ونجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وكاتب الأسماء العبد الفقير إلى الله أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي العلوي، بقراءته بمنزل الشيخ بمدينة دمشق، يوم الأربعاء، خامس عشر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة. والحمد لله وحده وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه".

(١) العنوان ص ٨٤ب. وأما ص ٨٤ فبيضاء.

(٢) البسملة ص ٨٥، وفي الهامش: "بلغ المجلس الثاني قراءة".

قـالَ لِي حِيْنَ قُلْـتُ لِمْ جَهِلُوهُ؟: إنَّمَا يَعْرِفُ الشَّرِيْفَ الشَّرِيْــفُ
عَــرَفُــوهُ فَــلازَمُــوهُ زَمَــانًا فَـتَـوَلّاهُمُ الـرَّحِـيمُ الـرَّءوفُ
واسـْـتَقَـامُوا فَمَـا يُرَى قَطُّ فِيْهِمْ عَنْ طَوَافٍ بِـذَاتِـهِ تَحْرِيفُ
قُمْ فَبَشِّـــــــرْ عَنِّي مُجَاوِرَ بَيْتِي بِـأَمـانٍ مـا عِنْـدَهُ تَخْوِيفُ
إنْ[1] أُمِتْهُـمْ فَرَّحْتُهُمْ بِلِقَـائِي أَوْ يَعِيْشُوا فَالثَّوْبُ مِنْهُمْ نَظِيفُ

اعلم -أيّها الوليّ الحميم، والصفيّ الكريم- أنّي لَمّا وصلت إلى مكة البركات، ومعدن السكنات الروحانيّة والحركات، وكان من شأني فيه ما كان، طفتُ ببيته العتيق في بعض الأحيان. فبينا أنا أطوف مسـبِّحا، وممجِّدا، ومكبِّرا، ومهلّلا، تارة ألثِم وأسـتلم، وتارة للملتزَم ألتزِم، إذ لقيت -وأنا عند الحجر الأسودِ باهت- الفتى الفائت، المتكلّمَ الصامت، الذي ليس بحيّ ولا مائت، المركّب البسيط، المحاط المحيط.

فعندما أبصرتُه يطوف بالبيت، طواف الحيّ بالميت، عرفت حقيقتَه ومجازَه، وعلمتُ أنّ الطواف بالبيت كالصـلاة على الجنازة. وأنشـدت الفتى المذكور ما تسـمعه من الأبيات، عندما رأيتُ الحيَّ طائفا بالأموات. شعر:

وَلَمّا رَأَيْتُ البَيْتَ طافَتْ بِذَاتِهِ شُخُوصٌ لَهُمْ سِرُّ الشَّـــــرِيْعَةِ غَيْبِيُّ
وطَافَ بِهِ قَوْمٌ هُمُ الشَّـرْعُ والحِجا وهُمْ كُحْلُ عَيْنِ الكَشْفِ ما هُمْ بِهِ عُمْيُ
تَعَجَّبْتُ مِنْ مَيْتٍ يَطُوفُ بِهِ حَيٌّ عَزِيْزٌ وَحِيـدُ الدَّهْرِ مـا مِثْلُهُ شَيٌّ
تَجَلَّى لَنـا مِنْ نُورِ ذَاتِ مُجِلِّهِ وَلَيْسَ مِنَ الأَمْلاكِ بَلْ هُوَ إِنْسِــــيُّ
تَيَقَّنْتُ[2] أَنَّ الأَمْرَ غَيْـبٌ وأَنَّهُ لَدَى الكَشْــفِ والتَّحْقِيقِ حَيٌّ ومَرْئِيُّ

قلت: فعندما وقعتْ مِنّي هذه الأبيات، وألحقتُ بيته المكرّم، من جهةٍ مّا، بجانب الأموات؛ خطفني منّي خطفة قاهر، وقال لي قولة رادعٍ زاجر: انظر إلى سرّ البيت قبل الفوت، تجده زاهيا بالمطيفين والطائفين بأحجاره، ناظرا إليهم من خلف حجبه وأسـتاره. فرأيته يزهو كما قال،

(١) ص ٨٥ب
(٢) ص ٨٦

فأفصحتُ له في المقال، وأنشدته في عالَم المثال على الارتجال:

أَرَى البَيْـتَ يَزْهُو بِالْمُطِيْفِينَ حَوْلَهُ ... وَمَا الزَّهْوُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ لَهُ صُــنْعُ
وهَـذَا جَمَـادٌ لا يُحِسُّ وَلَا يَـرَى ... ولَيْسَ لَهُ عَقْـلٌ ولَيْسَ لَهُ سَمْعُ
فَقَـالَ شُخَيْصٌ: هَـذِهِ طَـاعَـةٌ لَنَـا ... قَدَ اثْبَتَهَا طُولَ الحَيَاةِ لَنَا الشَّــــرْعُ
فَقُلتُ لَهُ: هَذَا بَلاغُكَ فاسْـتَمِعْ ... مَقَالَةَ مَنْ أَبْدَى لَهُ الحِكْمَةَ الوَضْــعُ
رَأَيْـتُ جَمَـادًا لا حَيـاةَ بِـذَاتِـهِ ... ولَـيْـسَ لَهُ ضُرٌّ ولَـيْـسَ لَهُ نَـفْـعُ
ولَكِنْ لِعَيْنِ القَلْـبِ فِيْـهِ مَنَـاظِرٌ ... إِذا لَمْ يَكُنْ بِالعَيْنِ ضَعْفٌ وَلَا صَدْعُ
يَـرَاهُ عَـزِيْـزًا إِنْ تَجَـلّى بِـذَاتِـهِ ... فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ عَلَى حَمْلِهِ وُسْــعُ
فَكُنْتُ أَبا حَفْصٍ وَكُنْتُ عَلِيَّنا(١) ... فَمِنّي العَطَـاءُ الجَزْلُ والقَبْضُ والمَنْعُ

* * *

وَصْلٌ(٢)
(منزلة ذلك الفتى)

ثمّ إنّه أطلعني على منزلة ذلك الفتى، ونزاهته عن أين ومتى. فلمّا عرفتُ منزلته وإنزاله، وعاينتُ مكانته من الوجود وأحواله، قبّلتُ يمينَه، ومسـحت من عرق الوحي جبينَه. وقلت له: انظر مِن طالبِ مجالسـتك، وراغبٍ في مؤانسـتك. فأشـار إليّ إيماء ولغزًا؛ أنّه فُطِر على أن لا يكلّم أحدا إلّا رمزا. وأنّ رمزي، إذا علمتَه وتحقّقتَه وفهمتَه، علمتَ أنّه لا تدركه فصاحة الفصحاء، ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء.

---

(١) "أبا حفص.. علينا" هما: عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب، يشـــير إلى الحوار الذي جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب، وجاء ذكره في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤ / ٢٢٧) في الحديث رقم ١٦٣٥ المروي عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف اسـتقبل الحجر، فقال: إنّي أعلم أنك حجر لا تضر، ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسـول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك، ثم قبّله. فقال له علي بن أبي طالب: بلى يا أمير المؤمنين؛ إنه يضر وينفع، قال: ثم قال: بكتاب الله تبارك وتعالى. قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله ﷻ: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرّرهم بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسـان، فقال له افتح فاك. قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال: اشـهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة. وإنّي أشهد: لسمعت رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود، وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد» فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن.

(٢) ص ٨٦ب

فقلت له: يا أيّها البشير؛ وهذا خير كثير. فعرِّفني باصطلاحك، وأوقفني على كيفيّة حركات مفتاحك. فإنِّي أريد مسامرتك، وأحبُّ مصاهرتك. فإنّ عندك الكفؤ والنظير -وهو النازل بذاتك- والأمير. ولولا ما كانت لك حقيقة ظاهرة، ما تطلّعتْ إليه وجوهٌ ناضرة ناظرة. فأشار. فعلمتُ. وجَلَّى لي حقيقة جماله؛ فَهُيِّمْتُ. فَسُقِط في يديّ، وغلبني في الحين عليّ. فعندما أفقتُ من الغشية، وأُرْعِدتْ فرائصي من الخشية، عَلِم أنّ العلم به قد حصل، وألقى عصا سيره ونزل. فتلا حالُه عليّ ما جاءت به الأنباء، وتنزّلتْ به الملائكة الأمناءُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْۗ﴾[١] فجعلها دليلا، واتَّخذها إلى معرفة العلم الحاصل[٢] به سبيلا.

فقلت له: أطلعني على بعض أسرارك، حتى أكون من جملة أحبارك[٣]. فقال: انظر في تفاصيل نشأتي وفي ترتيب هيأتي، تجد ما سألتني عنه فِيَّ مرقوما؛ فإنّي لا أكون مكلِّما ولا كليما. فليس علمي بسِوَائي، وليست ذاتي مغايرة لأسمائي. فأنا العلم والمعلوم والعليم، وأنا الحكمة والمحكَم والحكيم. ثمّ قال لي: طف على أثري، وانظر إليّ بنور قمري، حتى تأخذ من نشأتي، ما تسطِّره في كتابك، وتمليه على كُتَّابك. وعرِّفني ما أشهدك الحقُّ في طوافك من اللطائف، ممّا لا يشهده كلّ طائف. حتى أعرف همّتك ومعناك، فأذكرك على ما عَلِمتُ منك هناك.

فقلت: أنا أُعرّفك -أيّها الشاهد المشهود- ببعض ما أشهدني من أسرار الوجود، المترفَّلات في غلائل النور، والمتّحدات العين من وراء الستور، التي أنشأها الحقّ حجابا مرفوعا، وسماء موضوعا. والفعل، بالنظر إلى الذات، لطيف، ولعدم دركه عليّ شريف.

فَوَصْفُهُ أَلْطَفُ مِنْ ذَاتِهِ   وفِعْلُهُ أَلْطَفُ مِنْ وَصْفِهِ
وأَوْدَعَ الكُلَّ بِذَاتِي كَمَا   أَوْدَعَ مَعْنَى الشَّيْءَ فِي حَرْفِهِ
فالخَلْقُ مَطْلُوبٌ لِمَعْنًى كَمَا   تُطلَبُ ذَاتُ المِسْكِ مِنْ عَرْفِهِ

ولولا[٤] ما أودع فِيَّ ما اقتضته حقيقتي، ووصلتْ إليه طريقتي؛ لم أجد لمشربه نَيْلا، ولا إلى معرفته مَيْلا. ولذلك أعود عَلَيَّ عند النهاية. ولهذا يرجع فَخِذُ البِركار في فتح الدائرة، عند الوصول

---

(١) [فاطر: ٢٨]
(٢) ص ٨٧
(٣) بالهامش قبلها "أنصارك" بخط آخر.
(٤) ص ٨٧ب

إلى غاية وجودها، إلى نقطة البداية. فارتبط آخر الأمر بأوّله، وانعطف أبدُه على أزله. فليس إلّا وجود مستمرّ، وشهود ثابت مستقرّ.

وإنما طال الطريق؛ من أجل رؤية المخلوق. فلو صرف العبد وجهه إلى الذي يليه، من غير أن يَحُلَّ فيه؛ لنظر إلى السالكين إذا وصلوا، بعين "بِئس -والله- ما فعلوا". ولو عرفوا، مِن مكانهم، ما انتقلوا. لكن، حُجبوا بشفعيّة الحقائق، عن وِتْريّة الحقّ الخالق، الذي خلق الله به الأرض والطرائق. فنظروا مدارج الأسماء، وطلبوا معارج الإسراء. وتخيّلوها أعظم منزلة تُطْلَب، وأسنى حالة يُقْصَدُ الحقّ -تعالى- فيها ويُرْغَب. فَسِيْرَ بهم على براق الصدق ورفارفه، وحقَّقهم، بما عاينوه، من آياته ولطائفه.

وذلك لَمّا كانت النظرة شماليّة، وكانت الفطرة على النشأة الكماليّة، تُقابِل بوجهها، في أصل الوضع، نقطة الدائرة. فشَطْرُ مُهجتها من الجانب الأيمن مُنَقَّبَة، ومن الجانب الغربي سافرة. فلو سَفَرَتْ عن اليمين لنالت، من أوّل طرفتها، مقام التمكين، في مشاهدة التعيين. ويا عجبا لمن هو في أعلى علّيّين، ويتخيّل أنّه[1] في أسفل سافلين! ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[2]. فشمالها يمين مديرها، ووقوفها في موضعها الذي وُجِدَت فيه غايةُ مسيرها.

فإذا ثبت عند العاقل ما أشرتُ إليه وصحّ، وعلِم أنّ إليه المرجع؛ فمِن موقفه لم يبرح. لكن يتخيّل المسكين القرعَ والفتحَ، ويقول: وهل في مقابلة الضّيق والحرج إلّا السعة والشرح. ثمّ يتلو ذلك قرآنا على الخصماء: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[3]. فكما أنّ الشرح لا يكون إلّا بعد الضّيق، كذلك المطلوب لا يحصل إلّا بعد سلوك الطريق. وغفل المسكين عن تحصيل ما حصل له بالإلهام، مما لا يحصل إلّا بالفكر والدليل عند أهل النهى والأفهام.

ولقد صدق فيما قال؛ فإنّه ناظر بعين الشمال. فسَلِّموا له حالَه، وثَبّتوا له مُحاله، وضَعّفوا منه مِحاله، وقولوا له: عليك بالاستعانة، إن أردت الوصول إلى ما منه خرجت، لا مَحالة. واستروا عنه مقام المجاورة، وعظِّموا له أجر التزاور والمزاورة والموازرة. فسيحزن عند الوصول

---

(١) ص ٨٨
(٢) [البقرة: ٦٧]
(٣) [الأنعام: ١٢٥]

إلى ما منه سار، وسيفرح بما حصل في طريقه من الأسرار، و(بما إليه) صَارْ. ولولا ما طُلِب الرسول ﷺ بالمعراج ما رحل، ولا صعِد إلى[1] السماء ولا نزل. وكان يأتيه شأن الملأ الأعلى وآيات ربّه في موضعه؛ كما زُوِيتْ له الأرض وهو في مضجعه. ولكنّه سرّ إلهيّ: لينكره من شاء؛ لأنّه لا يعطيه الإنشاء، ويؤمن به من شاء؛ لأنّه جامع للأشياء.

فعندما أتيتُ على هذا العِلم، الذي لا يبلغه العقل وحده، ولا يحصّله على الاستيفاء الفهم؛ قال: لقد أسمعتني سرًّا غريبا، وكشفتَ لي معنًى عجيبا؛ ما سمعته من وليّ قبلك، ولا رأيتُ أحدا تُمِّمَتْ له هذه الحقائق مثلك. على أنّها عندي معلومة، وهي بذاتي مرقومة. ستبدو لك عند رفع ستاراتي، واطّلاعك على إشاراتي. ولكن أخبرني ما أشهدَك عندما أنزلك بِحَرَمِه، وأطلعك على حُرَمِه[2].

* * *

مشاهدة مشهد البيعة الإلهيّة

قلت: اعلم يا فصيحا لا يتكلّم، وسائلا عمّا يعلم؛ لَمّا وصلتُ إليه من الإيمان، ونزلت عليه في حضرة الإحسان، أنزلني في حَرَمِه، وأطلعني على حُرَمه، وقال: "إنما كثَّرْتُ المناسك رغبةً في الْتِمَاسِكْ، فإن لم تجدني هنا وجدتني هنا، وإن احتجبتُ عنك في "جَمْعٍ" تجلّيتُ لك في "مِنَى"، مع أنّي قد أعلمتك، في غير ما موقف من مواقفك، وأشرتُ به إليك غيرَ مرّة في بعض لطائفك، أنّي[3] وإن احتجبتُ فهو تجلٍّ لا يعرفه كلُّ عارف، إلّا مَن أحاط علما بما أحطتَ به من المعارف.

ألا تراني أتجلّى لهم، في القيامة، في غير الصورة التي يعرفونها والعلامة؟ فينكرون ربوبيّتي، ومنها يتعوّذون، وبها يتعوّذون ولكن لا يشعرون. ولكنّهم يقولون لذلك المتجلّي: نعوذ بالله منك، وها نحن لربّنا منتظرون.

فحينئذ أخرجُ عليهم في الصورة التي لديهم، فيقِرُّون لي بالربوبيّة، وعلى أنفسهم بالعبوديّة. فهم لعلامتهم عابدون، وللصورة التي تقرّرتْ عندهم مشاهدون.

---

(١) ص ٨٨ب
(٢) مكتوب في الهامش: "بلغ"
(٣) ص ٨٩

فمن قال منهم: إنّه عبدني، فقوله زور وقد باهتني. وكيف يصــحّ منه ذلك، وعندما تجلّيت له أنكرني؟ فمن قيّدني بصورة دون صورة فتخيُّلَه عَبَدَ؛ وهو الحقيقة المكمنة في قلبه، المستورة. فهو يتخيّل أنّه يعبدني، وهو يجحدني.

والعارفون، ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم؛ لأنّهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم. فلا يظهر لهم عندهم سِوَائي، ولا يعقلون من الموجودات سِوَى أسمائي. فكلّ شيء ظهر لهم وتجلّى، قالوا: أنت المســبَّح الأعلى، فليســوا سَــوَاء. فالناس بين غائب وشــاهد، وكلاهما عندهم شيء واحد. فلمّا سمعتُ كلامه، وفهِمتُ[1] إشـــاراته وإعلامه؛ جذبني جذبة غيور إليه، وأوقفني بين يديه.

* * *

مخاطبات التعليم والألطاف بسرّ الكعبة من الوجود والطواف

ومَدَّ اليمين فقبَّلتُها، ووصلتني الصورة التي تعشّـقتها. فتحوَّل لي في صورة الحياة، فتحوّلتُ له في صورة المات. فطَلَبَتِ الصورةُ تبايع الصورة، فقالت لها: لَم تُحْسِنِ السِّيرةَ، وقبضتْ يمينها عنها، وقالت لها: ما عرفتُ لها في عالَم الشهادة كُنْهًا.

ثمّ تحوَّل لي في صورة البصر، فتحوّلتُ له في صورة مَن عمي عن النظر. وذلك بعد انقضاء شَوْط، وتخيُّل نقض شَرْط. فطَلَبَتِ الصورة تبايع الصورة، فقالت لها مثل المقالة المذكورة.

ثمّ تحوّل لي في صـورة العلم الأعمّ، فتحوّلتُ له في صـورة الجهل[2] الأتمّ. فطَلَبَتِ الصـورةُ تُبايع الصورة، فقالت لها المقالة المشهورة.

ثمّ تحوّل لي في صورة سماع[3] النداء، فتحوّلتُ له في صورة الصَّمَمِ عن الدعاء، فطَلَبَتِ الصورةُ تُبايع الصورة، فأسدل الحقُّ بينهما ستورَه.

ثمّ تحوّل لي في صـورة الخطاب، فتحوّلتُ له[4] في صـورة الخَرس عن الجواب. فطَلَبَتِ[5]

---

(١) ص ٨٩ب

(٢) ثابت بخط الأصل في الهامش.

(٣) ثابت بخط الأصل في الهامش

(٤) ثابت بخط الأصل في الهامش

(٥) ص ٩٠

الصورةُ تُبايع الصورة، فأرسل الحقُّ بينهما رقوم اللوح وسطوره.

ثمّ تحوّل لي في صـــورة الإرادة، فتحوّلتُ له في صـــورة قصـــور الحقيقة والعادة. فطَلَبَتِ الصورةُ تُبايع الصورة، فأفاض الحقُّ بينهما ضياءه ونوره.

ثمّ تحوّل لي في صـــورة القدرة والطاقة، فتحوّلتُ له في صـــورة العجز والفاقة. فطَلَبَتِ الصورةُ تُبايع الصورة، فأبدى الحقُّ للعبد تقصيره.

فقلت، لَمّا رأيت ذلك الإعراض، وما حصـــل لي تمام الآمال والأغراض: لِمَ أَبيتَ عليّ ولم تفِ بعهدي؟ فقال لي: أنت أَبيتَ على نفســك يا عبدي؛ لو قبّلتَ الحجر في كلّ شــوط -أيّها الطائف- لقبّلتَ يميني هنا، في هذه الصــور اللطائف. فإنّ بيتي هناك بمنزلة الذات، وأشـــواط الطواف بمنزلة السـبع الصفات، صفات الكمال لا صفات الجلال، لأنّها صفات الاتّصال بك والانفصال. فسبعة أشواط لسبع صفات، وبيت قائم يدلّ على ذات. غير أنّي أنزلته في فرشي، وقلت للعامّة: هذا عندكم بمنزلة عرشي. وخليفتي في الأرض، هو المستوي عليه والمحتوي. فانظر إلى المَلَك معك طائفا، وإلى جانبك واقفا. فنظرت إليه. فعاد إلى عرشه، وتاه عليَّ بسموِّ نعشه. فتبسّمتُ جذلا، وقلتُ مرتجلا:

يا[1] كَعْبَةً طَافَ بِهَا المُرْسَـــلُونْ　　مِنْ بَعْدِ مَا طَافَ بِهَا المُكْرَمُونْ
ثُمَّ أَتَى مِــنْ بَـعْـدِهِمْ عَـالَـمٌ　　طَافُوا بها مِنْ بَيْنِ عَالٍ وَدُونْ
أَنْـزَلَـهـا مِـثْـلًا إِلَى عَـرْشِـــــهِ　　وَنَحْنُ حـافُّونَ لَهـا مُكرِمُونْ
فـإِنْ يَقُـلْ أَعْظَمُ حَـافٍّ بِـهِ:　　إِنِّي أَنا خَيْرٌ فَهَـلْ تَسْـــمَعُونْ
واللهِ مـا جـاءَ بِـنَـصٍّ وَلَا　　أَتَى لَـنَـا إِلَّا بِـمَـا لَا يَـبِـينْ
هَـلْ ذَاكَ إِلَّا النُّورُ حَفَّـتْ بِـهِ　　أَنْـوارُهُمْ وَنَحْـنُ مَـاءٌ مَـهِـينْ
فانْجَذَبَ الشَّـــــيْءُ إِلَى مِثْلِهِ　　وَكُلّـنـا عَـبْـدٌ لَدَيْـهِ مَكِـينْ
هَـلّا رَأَوْا مـا لَـمْ يَـرَوا إِنَّهُـمْ　　طافُوا بِمَا طُفْنا وَلَيْسُــوا بِطِينْ
لَوْ جُرِّدَ الأَلْطَفُ مِنّا اسْــتَوَى　　عَلَى الَّذِي حَفُّوا بِـهِ طـائِفِينْ

---

(١) ص ٩٠ب

قَـدِّسْــــهُمُ أَنْ يَجْهَلُوا حَقَّ مَنْ	قَـدْ سَخَّرَ اللهُ لَهُ العـالَمِينْ
كَـيْـفَ لَـهُـمْ؟ وَعِـلْـمُـهُـمْ أَنَّـنِي	ابْنُ الَّذِي خَرُّوا لَهُ ســاجِدِينْ
واعْـتَرَفُـوا بَـعْـدَ اعْـتِراضٍ عَـلَى	والِدِنا بِـكَـوْنِـهِـمْ جـاهِـلِـينْ
وأُبلِسَ الشَّـــخْصُ الَّذِي قَدْ أَبَى	وَكانَ لِلْفَضْــلِ مِنَ الجاحِدِينْ
قَـدِّسْــــهُمُ قَـدِّسْــــهُمُ إِنَّـهُـمْ	قَدْ عُصِمُوا مِنْ خَطَأِ الْمُخْطِئِينْ

قلت: ثمّ صرفتُ عنه وَجْهَ قلبي، وأقبلتُ به على ربّي. فقال لي: انتصرتَ لأبيك، حلّتْ بركتي فيك. اسمع منزلة من أثنيتَ عليها[١]، وما قدّمتَه من الخير بين يديها. وأين منزلتك من منازل الملائكة المقرّبين؟ صلوات الله عليكم وعليهم أجمعين.

كعبتي هذه، قلبُ الوجود. وعرشي لهذا القلب جسمٌ محدود. وما وسعني واحد منهما، ولا أخبر عنّي بالذي أخبرتَ عنهما. وبيتي الذي وَسِعَني قلبُكَ المقصود، المودَع في جسدك المشهود. فالطائفون بقلبك (هم) الأسرار. فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الأحجار. والطائفون الحافّون بعرشنا المحيط (هم) كالطائفين منك بعالَم التخطيط. فكما أنّ الجسم منك في الرتبة، دون قلبك البسيط، كذلك هي الكعبة مع العرش المحيط.

فالطائفون بالكعبة (هم) بمنزلة الطائفين بقلبك، لاشتراكهما في القلبيّة. والطائفون بجسمك (هم) كالطائفين بالعرش لاشتراكهما في الصفة الإحاطيّة. فكما أنّ عالَم الأسرار الطائفين بالقلب الذي وسعني (هم) أسنى منزلة مِن غيرهم وأعلى، كذلك أنتم، بنعتِ الشرف والسيادة، على الطائفين بالعرش المحيط، أَوْلَى. فإنّكم الطائفون بقلب وجود العالَم؛ فأنتم بمنزلة أسرار العلماء. وهم الطائفون بجسم العالَم؛ فهم بمنزلة الماء والهواء. فكيف تكونون سواء؟ وما وسعني سِوَاكم، وما تجلّيتُ في صورة كمال إلّا في معناكم. فاعرفوا[٢] قدر ما وَهبتكموه من الشرف العالي. وبعد هذا، فأنا الكبير المتعالي: لا يحدُّني الحدّ، ولا يعرفني السيّد ولا العبد.

تقدّستِ الألوهة؛ فتنزّهت أن تُدْرَك، وفي منزلتها أن تُشْرَك. أنت الإنا، وأنا أنا. فلا تطلبني

---
(١) ص ٩١
(٢) ص ٩١ب

فيك فتتعنّى(١)، ولا من خارج فما تتهنّى. ولا تترك طلبي فتشـــقى. فاطلبني حتى تلقاني فترقى. ولكن تأدّبْ في طلبك، واحضُر عند شروعك في مذهبك.

وميِّز بيني وبينك؛ فإنّك لا تشـهدني، وإنما تشـهد عينَك. فقف في صـفة الاشـتراك، وإلّا فكن عبـدا وقـل: "العجز عن درك الإدراك إدراك"؛ تلحق في ذلك عتيقـا(٢)، وتكن المكرّم الصِّديقا.

ثمّ قال لي: اخرج عن حضرتي، فمثلك لا يصلح لخدمتي. فخرجتُ طريدا. فضجَّ الحاضر. فقال: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا﴾(٣)، ثمّ قال: رُدّوه. فَرُدِدْتُ، وبين يديه من ساعتي وُجِدْتُ. وكأنّي ما زُلتُ عن بساط شهوده، وما برحتُ من حضرة وجوده.

فقال: كيف يدخل عليّ، في حضرتي، مَن لا يصلح لخدمتي؟ لو لم تكن عندك الحرمة التي توجب الخدمة؛ ما قَبِلَتْكَ الحضرة، ولَرَمَتْ(٤) بك في أوّل نظرة. وها أنت فيها، وقد رأيتَ مِن بِرِّها بك وتَحَفِّيها، ما يزيدك احتراما، وعند تجلّيها احتشاما.

ثمّ قال: لِمَ لَمْ تسألني حين أَمرتُ بإخراجك، وردّك على معراجك؟ وأَعْرِفُكَ صاحبَ(٥) حُجّة ولسان. ما أسرع ما نسيتَ -أيّها الإنسان-. فقلت: بهرني عظيمُ مشاهدة ذاتك، وسُقِط في يدي لقبضك يمين البيعة في تجلّيّاتك. وبقيتُ أُرَدِّد النظر: ما الذي طرأ في الغيب من الخبر؟ فلو التفتُّ في ذلك الوقت إليَّ؛ لَعَلِمتُ أنّ منّي أُتِيَ عليّ. ولكنّ الحضرة تعطي أن لا يُشْهَد سِوَاهَا، وأن لا يُنْظَر إلى محيّا غير محيّاها.

فقال: صدقتَ يا محمد؛ فاثبُتْ في المقام الأوحد. وإيّاك والعدد؛ فإنّ فيه هلاك الأبد.

ثمّ اتّفقتْ مخاطبات وأخبار، أذكرها في باب الحجّ ومكة، مع جملة أسرار(٦).

---

(١) ق، ه: "فتعنّى"، والترجيح من س

(٢) عتيقا: أبو بكر الصديق

(٣) [المدثر: ١١]

(٤) ق، س: ولَزِمَتْ، والترجيح من ه.

(٥) ص ٩٢

(٦) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

وَصْلٌ

(مدخل العارفين)

فقال النجيّ الوفيّ: يا أكرم وليٍّ وصفيٍّ؛ ما ذكرتَ لي أمرا إلّا أنا به عالِم، وهو بذاتي مسطّر قائم. قلت: لقد شوّقتني إلى التطلُّع إليك منك، حتى أُخبِر عنك. فقال: نعم، أيّها الغريب الوارد، والطالب القاصد؛ أدخل معي كعبة الحِجْر؛ فهو البيت المتعالي عن الحجاب والستر. وهو مدخل العارفين، وفيه راحة الطائفين. فدخلتُ معه بيت الحِجْر في الحال، وألقى يده على صــــدري، وقال:

أنا السابع في مرتبة الإحاطة بالكون، وبأسرار وجود العين والأين. أوجدني الحقُّ قطعة نور حَوَّائيٍّ ساذِجة، وجعلني للكلّيّات ممازجة.

فبينا أنا متطلّع لما يُلْقَى لديَّ، أو يُنْزَل عليّ، وإذا بالمعلِّم القلميّ الأعلى[1] قد نزل بذاتي من منازله العلى، راكبا على جواد قائم على ثلاث قوائم. فنَكَّس رأســه إلى ذاتي؛ فانتشرــت الأنوار والظلمات، ونفثَ في رُوعي جميع الكائنات. ففتق أرضي وســمائي، وأطلعني على جميع أســمائي. فعرفتُ نفسي- وغيري، وميَّزتُ بين شرّي وخيري. وفصلتُ ما بين خالقي وحقائقي. ثمّ انصرف عنّي ذلك الملَك، وقال:

"تَعَلَّمْ أنّك حضرة الملِك". فتهيّأتُ للنزول وورود الرسول. فتَجارتِ الأملاكُ إليّ، ودارتِ الأفلاكُ عليّ. والكلُّ ليميني مقبّلون، وعلى حضرتي مقبِلون. وما رأيت ملِكا نزل، ولا ملَكا عن الوقوف بين يديّ انتقل. ولَحَظْتُ في بعض جوانبي، فرأيتُ صورة الأزل. فعلمتُ أنّ النزول مُحال؛ فَثَبَتُّ على ذلك الحال. وأعلمتُ بعض الخاصّة ما شهِدْتُ، وأطلعتهم منّي على ما وجدتُ.

فأنا الروضة اليانعة، والثمرة الجامعة. فارفعْ ستوري، واقرأ ما تضمّنَتْهُ سطوري. فما وقفتَ عليه منّي؛ فاجعله في كتابك، وخاطِبْ به جميع أحبابك. فرفعتُ ستورَه، ولحظتُ مسطوره. فأبدى لعيني نورُهُ المودَع فيه، ما يتضمّنه من العلم المكنون ويحويه. فأوّلُ سطر قرأتُه، وأوّل سِرٍّ من ذلك السطر علِمته؛ ما أذكره الآن في هذا الباب الثاني. والله -سبحانه- يهدي إلى العلم وإلى طريق مستقيم[2].

---

(١) ص ٩٢ب

(٢) في الهامش: "سمع إلى هنا على مؤلفه أحسن الله إليه محمد بن علي بن محمد المطرز بقراءتي. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي بمنزله".

الباب[1] الثاني
في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالَم
وما لها من الأسماء الحسنى، ومعرفة الكلمات، ومعرفة العِلم والعالِم والمعلوم

اعلم أنّ هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل في معرفة الحروف.

الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميّز بها الكلمات.

الفصل الثالث في معرفة العلم والعالِم والمعلوم.

* * *

الفصل الأوّل: في معرفة الحروف ومراتبها والحركات؛
وهي الحروف الصغار، وما لها من الأسماء الإلهيّة

إنَّ الحُـرُوفَ أَئِـمَّـةُ الأَلْـفـاظِ ... شَـهِدَتْ بِذَلِكَ أَلْسُـنُ الحُفَّاظِ

دَارَتْ بِهـا الأَفْلَاكُ فِي مَلَكُوتِـهِ ... بَيْنَ النِّيـامِ الخُرْسِ والأَيْقَـاظِ

أَلْحَظْتُهـا الأَسْمَـاءَ مِنْ مَكْنُونِهـا ... فَبَـدَتْ تَـعِـزُّ لِذَلِكَ الإِلْحَـاظِ

وتَقُولُ: لَوْلا فَيْضُ جُودِيَ ما بَدَتْ ... عِنْـدَ الكَلامِ حَقَـائِقُ الأَلْفَـاظِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّه لَمّا كان الوجود مطلَقا من غير تقييد، يتضـمّن المكلِّف وهو الحقّ[2] -تعالى، والمكلَّفين وهم العالَم، والحروف جامعة لما ذكرنا؛ أردنا أن نبيّن مقام المكلِّف من هذه الحروف، من المكلَّفين، من وجهٍ دقيق محقَّق، لا يتبدّل عند أهل الكشف إذا وقفوا عليه. وهو مستخرج من البسائط، التي عنها تركبتْ هذه الحروف، التي تسمّى حروف المعجم بالاصطلاح العربيّ في أسمائها. وإنما سُمّيت حروف المعجم، لأنّها عَجَمَتْ على الناظر فيها معناها.

---

(١) ص ٩٣

(٢) ص ٩٣ب

ولَمّا كوشفنا على بسائط الحروف، وجدناها على أربع مراتب: حروف مرتبتها سبعة أفلاك: وهي الألف والزاي واللام، وحروف مرتبتها ثمانية أفلاك: وهي النون والصاد والضاد، وحروف مرتبتها تسعة أفلاك: وهي العين والغين والسين والشين، وحروف مرتبتها عشرة أفلاك: وهي باقي حروف المعجم، وذلك ثمانية عشر حرفا، كلُّ حرف منها مركّب عن عشرة (أفلاك). كما أنّ كلّ حرف من تلك الحروف (الباقية) منها ما هو (مركب) عن تسعة أفلاك، وعن ثمانية، وعن سبعة لا غير، كما ذكرناه. فعدد الأفلاك التي عنها وُجِدت هذه الحروف -وهي البسائط التي ذكرناها- مائتان وأحد وستّون فلكا.

أمّا المرتبة السبعيّة؛ فالزاي واللام منها، دون الألف، فطبعها الحرارة واليبوسة. وأمّا[١] الألف فطبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة: ترجع مع الحارّ حارّة، ومع الرطب رطبة، ومع البارد باردة، ومع اليابس يابسة: على حسب ما تجاوره من العوالم.

وأمّا المرتبة الثُّمَانيّة فحروفها حارّة يابسة.

وأمّا المرتبة التسعيّة فالعين والغين، طبعهما البرودة واليبوسة، وأمّا السين والشين فطبعهما الحرارة واليبوسة.

وأمّا المرتبة العشريّة فحروفها حارّة يابسة، إلّا الحاء المهملة والخاء المعجمة، فإنّهما باردتان يابستان، وإلّا الهاء والهمزة فإنّهما باردتان رطبتان.

فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة: مائتا فلك[٢] وثلاثة أفلاك. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة: مائتا فلك[٣] وأحد وأربعون فلكا. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة: خمسة وستّون فلكا. وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة: سبعة وعشرون فلكا، مع التوالج والتداخل الذي فيها، على حسب ما ذكرناه آنفا.

فسبعة أفلاك توجَد عن حركتها العناصر الأُوَل الأربعة، وعنها يوجد حرف الألف خاصّة.

ومائة وستّة وتسعون فلكا توجد[٤] عن حركتها الحرارة واليبوسة خاصّة، لا يوجد عنها

---

(١) ص ٩٤

(٢) ق: مائتان فلكا

(٣) ق: مائتان فلكا

(٤) ق، س: يوجد

غيرهما أَلْبَتَّة. وعن هذه[1] الأفلاك يوجد حرف الباء والجيم والدال والواو والزاي والطاء والياء والكاف واللام والميم والنون والصاد والفاء والضاد والقاف والراء والسين والتاء والثاء والذال والظاء والشين.

وثمانية وثمانون فلكا توجد عن حركتها البرودة واليبوسة خاصّة. وعن هذه الأفلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والخاء.

وعشرون فلكا توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصّة. وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء والهمزة.

وأمّا لام ألف فممتزج من السبعة، والمائة، والستّة والتسعين، إذا كان مثل قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[2].

فإن كان مثل قوله -تعالى-: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً﴾[3] فامتزاجه من المائة، والستّة والتسعين، ومن العشرين.

وليس في العالَم فلَك يوجد عنه الحرارة والرطوبة خاصّة، دون غيرهما.

فإذا نظرتَ في طبع الهواء عثرتَ على الحكمة التي مَنَعَتْ أن يكون له فلَك مخصوص. كما أنّه ما ثَمّ فلَك يوجد عنه واحد من هذه العناصر الأُوَل على انفراد.

فالهاء والهمزة يدور بهما الفلَك الرابع، ويقطع الفلَك الأقصى في تسعة آلاف سنة. وأمّا الحاء والخاء والعين والغين فيدور بها الفلَك الثاني، ويقطع الفلَك الأقصى في إحدى عشرة ألف سنة. وباقي[4] الحروف يدور بها الفلك الأوّل، ويقطع الفلك الأقصى في اثنتي عشرة ألف سنة. وهي على منازل في أفلاكها: فمنها ما هو على سطح الفلك، ومنها ما هو في مُقَعَّر الفلك، ومنها ما هو بينهما.

ولولا التطويل لبيّنّا منازلها وحقائقها. ولكن سنُلقي من ذلك ما يَشفي، في الباب الستين من أبواب هذا الكتاب -إن ألهمنا الحقّ ذلك-[5] عند كلامنا في "معرفة العناصر وسلطان العالَم

(١) ص ٩٤ب
(٢) [الزمر: ٦١]
(٣) [الحشر: ١٣]
(٤) ص ٩٥
(٥) الجملة الاعتراضية مكتوبة في الهامش بخط حديث.

العلوي على العالَم السفلي، وفي أيّ دورة كان وجود هذا العالَم الذي نحن فيه الآن، من دورات الفلك الأقصى؟ وأيّ روحانيّة تنظرنا؟". فلنقبض العنان حتى نصل إلى موضعه، أو يصل مَوضعُه -إن شاء الله-.

فلنرجع ونقول: إنّ المرتبة السبعيّة التي لها الزاي والألف واللام، جعلناها للحضرة الإلهيّة المكلِّفة، أي نصيبها من الحروف. وإنّ المرتبة الثُّمانيّة التي هي النون والصاد والضاد جعلناها حظّ الإنسان من عالَم الحروف. وإنّ المرتبة التُّسعيّة التي هي العين والغين والسين والشين جعلناها حظّ[1] الجنّ من عالَم الحروف. وإنّ المرتبة العشريّة وهي المرتبة الثانية من المراتب الأربعة (الآحاد والعشرات والمئات والألوف) التي هي باقي الحروف جعلناها حظّ الملائكة من عالَم الحروف.

وإنما جعلنا هذه الموجودات الأربعة لهذه الأربع مراتب[2] من[3] الحروف، على هذا التقسيم، لحقائق عسيرة المَدْرَك، يحتاج ذِكْرها وبيانها إلى ديوان بنفسه. ولكن قد ذكرناه حتى نتمّمه في كتاب "المبادي والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات" وهو بين أيدينا، ما كمل ولا قيّد منه إلّا أوراق متفرّقة يسيرة. ولكن سأذكر منه في هذا الباب لمحة بارق -إن شاء الله-.

فحصلت الأربعة للجنّ الناري لحقائق هم عليها. وهي التي أدّتهم لقولهم فيما أخبر الحقّ -تعالى- عنهم: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[4]، وفَرَغتْ حقائقهم، ولم تبق لهم حقيقة خامسة يطلبون بها مرتبة زائدة. وإيّاك أن تعتقد أنّ ذلك جائز لهم؛ وهو أن يكون لهم العلوّ وما يقابله؛ اللذان تتمّ بهما الجهات الستّة: فإنّ الحقيقة تأبى ذلك، على ما قرّرناه في كتاب "المبادي والغايات" وبيّنّا فيه لِمَ اختُصُّوا بالعين والغين والسين والشين دون غيرها من الحروف؟ والمناسبة التي بين هذه الحروف وبينهم، وأنّهم موجودون عن الأفلاك التي عنها وُجِدت هذه الحروف.

وحصل للحضرة الإلهيّة من هذه الحروف ثلاثة؛ لحقائق هي عليها أيضا: وهي الذات،

---

(١) ق: "مرتبة" وفوقها بقلم الأصل: "حظ"
(٢) ق: المراتب
(٣) ص ٩٥ب
(٤) [الأعراف: ١٧]

والصفة، والرابط بين الذات والصفة؛ وهي القبول، أي بها كان القبول. لأنّ الصفة لها[1] تعلّق بالموصوف بها، وبمتعلّقها الحقيقيّ لها. كالعلم يربط نفسه بالعالِم به وبالمعلوم، والإرادة تربط نفسها بالمريد بها وبالمراد لها، والقدرة تربط نفسها بالقادر بها وبالمقدور لها، وكذلك جميع الأوصاف والأسماء، وإن كانت نِسَبا.

وكانت الحروف التي اختُصّت بها الألف والزاي واللام، تدلّ على معنى نفي الأوّليّة؛ وهو الأزل. وبسائط هذه الحروف واحدة في العدد. فما أعجب الحقائق لمن وقف عليها! فإنّه (أي هذا الواقف) يتنزَّه فيما يجهله الغير، وتضيق صدور الجهلاء به. وقد تكلّمنا أيضا في المناسبة الجامعة بين هذه الحروف وبين الحضرة الإلهيّة في الكتاب المذكور.

وكذلك حصل للحضرة الإنسانيّة، من هذه الحروف، ثلاثة أيضا، كما حصل للحضرة الإلهيّة، فاتّفقا في العدد. غير أنّها حرف النون والصاد والضاد. ففارقتِ الحضرة الإلهيّة من جهة موادِّها، فإنّ العبوديّة لا تُشرك الربوبيّة في الحقائق التي بها يكون إلهًا، كما أنّ بحقائقه يكون العبد مألوها. وبما هو (أي المخلوق) على الصورة، اختصّ بثلاثة (أحرف) كهو. فلو وقع الاشتراك في الحقائق، لكان (الأمر إمّا) إلها واحدا أو عبدا واحدا، أعنى عينا واحدة. وهذا لا يصحّ. فلا بدّ أن تكون الحقائق متباينة، ولو نُسِبَتْ إلى عين واحدة. ولهذا[2] بايَنَهُمْ بقِدَمِه، كما باينوه بحدوثهم. ولم يُقَل: "باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم"؛ فإنّ فلَكَ العلم واحد: قديما في القديم، محدَثا في المحدَث.

واجتمعت الحضرتان في أنّ كلّ واحدة منهما معقولةٌ من ثلاث حقائق: ذات، وصفة، ورابطة بين الصفة والموصوف بها. غير أنّ العبدَ له ثلاثة أحوال: حالة مع نفسه لا غير؛ وهو الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كلِّ شيء، وحالة مع الله، وحالة مع العالَم. والباري -سبحانه- مبايِنٌ لنا فيما ذكرناه[3]؛ فإنّ له حالين: حال من أجله، وحال من أجل خلقه. وليس فوقه موجود فيكون له -تعالى- وَصْفُ تعلُّق به. فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاءت أمور لا يطاق سماعها. وقد ذكرنا المناسبة التي بين النون والصاد والضاد التي للإنسان، وبين الألف والزاي واللام التي هي للحضرة

(١) ص ٩٦

(٢) ص ٩٦ب

(٣) "فيما ذكرناه" مثبتة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.

الإلهيّة في كتاب "المبادي والغايات". وإن كانت حروف الحضرة الإلهيّة عن سبعة أفلاك، والإنسانيّة عن ثمانية أفلاك؛ فإنّ هذا لا يقدح في المناسبة؛ لِتبيّن الإله والمألوه.

ثمّ إنّه، في نفس النون الرقميّة، التي هي شطر الفلَك، من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلّا مَن شَدّ عليه مئزرَ التسليم، وتحقّق بروح الموت الذي لا يُتصوّر، ممن قام به، اعتراض ولا تطلّع.

وكذلك في نفس نقطة النون، أوّل دلالة النون الروحانيّة، المعقولة فوق شكل النون السفليّة، التي[1] هي النصف من الدائرة، والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أوّل الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يتميّز قطر الدائرة. والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون وينتهي بها، هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهّمة. فنُقَدِّر قيامها من رقدتها، فترتكز (الألف) لك على النون؛ فيظهر من ذلك حرف اللام. والنون نصفها زاي، مع وجود الألف المذكورة.

فتكون النون، بهذا الاعتبار، تعطيك الأزل الإنساني؛ كما أعطاك الألف والزاي واللام في الحقّ. غير أنّه في الحقّ ظاهر؛ لأنّه بذاته أزليٌّ، لا أوّل له، ولا مفتَتَح لوجوده في ذاته، بلا ريب ولا شكّ. ولبعض المحقّقين كلام في الإنسان الأزليّ؛ فَنَسب الإنسانَ إلى الأزل.

فالإنسان خَفي فيه الأزلُ فَجُهِل؛ لأنّ الأزل ليس ظاهرا في ذاته. وإنما صحّ فيه الأزل لوجه مّا من وجوه وجوده، منها أنّ الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، ووجود في العين، ووجود في اللفظ، ووجود في الرقم.

وسيأتي ذِكْرُ هذا، في هذا الكتاب، -إن شاء الله-. فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلي، المتعلّق به في حال ثبوته، فهو موجود أزلا أيضا. كأنّه (أي الإنسان، موجود) بعناية العلم (الأزليّ) المتعلّق به: كالتحيّز للعرَض، بسبب قيامه بالجوهر، فصار متحيّزا بالتبعيّة[2].

فلهذا خفي فيه الأزل. ولحقائقه أيضا الأزليّة، المجرّدة عن الصورة المعيّنة المعقولة، التي تقبل

(١) ص ٩٧

(٢) ص ٩٧ب

القِدم والحدوث، على حســب ما شرحنا ذلك في كتاب "إنشــاء الدوائر والجداول". فانظره هناك، تجده مستوفى. وسنذكر منه طرفا في هذا الكتاب، في بعض الأبواب، إذا مسّت الحاجة إليه.

وظهور ما ذكرناه، من سرّ الأزل في النون، هو في الصاد والضاد أتمّ وأمكن، لوجود كمال الدائرة.

وكذلك ترجع حقائق الألف والزاي واللام التي للحقّ، إلى حقائق النون والصـاد والضـاد التي للعبد. ويرجع الحقّ يتّصف هنا بالأسرار، التي مُنِعْنا عن كشـفها في الكتب. ولكن يُظْهِرُها العارف بين أهلها في علمه ومشربه، أو مسـلِّمٍ في أكمل درجات التسـليم. وهي حرام على غير هذين الصنفين. فتَحقّقْ ما ذكرناه، وتَبيّنه؛ يَبْدُ لك من العجائب التي يبهرُ العقولَ حسنُ جمالها.

وبقي للملائكة باقي حروف المعجم، وهي ثمانية عشر حرفا، وهي: الباء، والجيم، والدال، والهاء، والواو، والحاء، والطاء، والياء، والكاف، والميم، والفاء، والقاف، والراء، والتاء، والثاء، والخاء، والذال، والظاء.

فقلنا: الحضرة الإنسانيّة كالحضرة الإلهيّة. لا؛ بل هي عينها. (وهي) على ثلاث مراتب: مُلك، وملكوت، وجبروت.

وكلّ[1] واحدة من هذه المراتب، تنقسم إلى ثلاث؛ فهي تسعة في العدد. فتأخذ ثلاثة الشهادة (=مرتبة المُلْك) فتضربها في الستّة؛ المجموعة من الحضرة الإلهيّة والإنسانيّة، أو في الستّة الأيّام المقدّرة، التي فيها أَوْجَدَتْ الثلاثةُ الحقّيّةُ الثلاثةَ الخَلْقيّة؛ يخرج لك ثمانية عشر: وهو وجود المَلَك. وكذلك تعمل في الحقّ بهذه المثابة.

فالحقّ له تسـعة أفلاك للإلقاء، والإنسـان له تسـعة أفلاك للتلقّي. فتمتدّ من كلّ حقيقة من التسعة الحقّيّةِ رقائقُ إلى التسعة الخَلقيّة، وتنعطف من التسعة الخَلقيّة رقائقُ على التسعة الحقّيّة. فحيثما اجتمعتْ؛ كان المَلَك ذاك الاجتماع. وحدث هنالك أمر[2]: فـذلك الأمر الزائـد، الذي حدث، هو المَلَك.

فإن أراد أن يميل، بكلّه، نحو التسـعة الواحدة؛ جذبته الأخرى. فهو يتردّد ما بينهما. جبريل

(١) ص ٩٨
(٢) لم ترد في ق، ه وأثبتناها من س

ينزل من حضرة الحقّ على النبيّ ﷺ. وإنّ حقيقة المَلَك لا يصحّ فيها الميل؛ فإنّه منشأ الاعتدال بين التسعتين. والميلُ انحرافٌ؛ ولا انحراف عنده، ولكنّه يتردّد بين الحركة المنكوسة والمستقيمة. و(هذا التردّد) هو عين الرقيقة.

فإن جاءه (أي جاء المَلَكُ الإنسانَ) وهو فاقد؛ فالحركة منكوسة: ذاتيّةً وعرَضيّةً. وإن جاءه وهو واجد؛ فالحركة مستقيمة: عرَضيّةً لا ذاتيّةً. وإن رجع عنه وهو فاقد؛ فالحركة (مستقيمة): ذاتيّةً[1] وعرَضيّةً. وإن رجع عنه وهو واجد؛ فالحركة منكوسة: عرَضيّة لا ذاتيّة.

وقد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبدا، ومن العابد منكوسة أبدا. وسيأتي الكلام عليها في داخل الكتاب، و(سبب) انحصارها في ثلاث: منكوسة وأفقيّة ومستقيمة -إن شاء الله-. فهذه نكتٌ غيبيّة عجيبة.

ثمّ أرجع وأقول: إنّ التسعة (الأفلاك) هي سبعة. وذلك أنّ عالَم الشهادة هو في نفسه برزخٌ: فذلك واحد. وله ظاهر: فذلك اثنان. وله باطن: فذلك ثلاثة. ثمّ عالَم الجبروت برزخٌ في نفسه: فذلك واحد، وهو الرابع. ثمّ له ظاهر، وهو باطن عالَم الشهادة. ثمّ له باطن: وهو الخامس. ثمّ بعد ذلك عالَم الملكوت، هو في نفسه برزخ، وهو السادس. ثمّ له ظاهر، وهو باطن عالَم الجبروت، وله باطن: وهو السابع. وما ثمّ غير هذا. وهذه صورة السبعيّة والتسعيّة.

فتأخذ الثلاثة وتضربها في السبعة، فيكون الخارج واحدا[2] وعشرين؛ فَتُخْرِج الثلاثة الإنسانيّة، فتبقى ثمانية عشر: وهو مقام المَلَك، وهي الأفلاك التي منها يتلقّى الإنسانُ المواردَ.

وكذلك تفعل بالثلاثة الحقّيّة: تضربها أيضا في السبعة، فتكون -عند ذلك- الأفلاكُ التي منها يُلقي الحقُّ على عبده ما يشاء من الواردات. فإن أخذناها من جانب الحقّ، قلنا: أفلاك الإلقاء. وإن أخذناها من[3] جانب الإنسان، قلنا: أفلاك التلقّي. وإن أخذناها منهما معا؛ جعلنا تسعة الحقّ للإلقاء، والأخرى للتلقّي، وباجتماعهما حَدَثَ المَلَك. ولهذا أوجد الحقُّ تسعةَ أفلاك: السماوات السبعَ والكرسيَّ والعرشَ. وإن شئت قلت: فلَك الكواكب والفلَك الأطلس، وهو الصحيح.

---

(١) ص ٩٨ب
(٢) ق: أحدا
(٣) ص ٩٩

تتميم
(سبب منعنا أن يكون للحرارة والرطوبة فلَك)

مَنَعْنَا، في أوّل هذا الفصل، أن يكون للحرارة والرطوبة فلَك، ولم نذكر السبب. فلنذكر منه طرفا في هذا الباب، حتى نستوفيه في داخل الكتاب -إن شاء الله تعالى-. وسأذكر في هذا الباب، بعد هذا التتميم، ما يكون من الحروف حارًّا رطبا؛ وذلك لأنّه دار به فلَك، غير الفلَك الذي ذكرناه في أوّل الباب.

فاعلم أنّ الحرارة والرطوبة هي الحياة الطبيعيّة(١). فلو كان لها فلَك، كما لأخواتها في المَزْجة، لانقضتْ دورة ذلك الفلَك وزال سلطانه، كما يظهر في الحياة العرَضيّة؛ وكانت (الحياة الطبيعيّة) تنعدم أو تنتقل. وحقيقتها تقضي بأن لا تنعدم: فليس لها فلك. ولهذا أنبأَنا الباري -تعالى- أنّ الدار الآخرة هي الحيوان(٢)، وأنّ كلّ شيء يسبّح بحمده(٣). فصار فلَكُ الحياة الأبديّة، الحياةُ الأزليّة تمدّها، وليس لها فلَكٌ فتنقضي دورته. فالحياة الأزليّة ذاتيّة للحيّ، لا يصحّ لها انقضاء. فالحياة الأبديّة(٤) المعلولة بالحياة الأزليّة، لا يصحّ لها انقضاء.

ألا ترى الأرواحَ لَمّا كانت حياتها ذاتيّة لها؛ لم يصحّ فيها موتٌ أَلْبَتَّة؟ ولَمّا كانت الحياة في الأجسام بالعرَض؛ قام بها الموت والفناء؟ فإنّ حياة الجسم، الظاهرة من آثار حياة الروح، (هي) كنور الشمس الذي في الأرض من الشمس، فإذا مضت الشمس؛ تبِعها نورُها، وبقيت الأرض مظلمة. كذلك الروحُ إذا رحل عن الجسم إلى عالَمه الذي جاء منه؛ تبِعته الحياة، المنتشرة منه في الجسم الحيّ، وبقي الجسم في صورة الجماد في رأي العين. فيقال: "مات فلان". وتقول الحقيقة: رجع إلى أصله؛ ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾(٥).

كما رجع، أيضا، الروحُ إلى أصله حتى البعث والنشور، (حيث) يكون من الروح، (إذ ذاك)، تجلٍّ للجسم بطريق العشق؛ فتلتئم أجزاؤه، وتتركّب أعضاؤه بحياة لطيفة جدًّا، تُحَرِّك الأعضاء للتأليف، اكتسبته من التفات الروح. فإذا استوت البنيّة، وقامت النشأة الترابيّة؛ تجلّى

---

(١) ثابتة بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٢) مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]
(٣) مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]
(٤) ص ٩٩ب
(٥) [طه: ٥٥]

له الروح بالرقيقة الإسرافيليّة، في الصُّوْرِ المحيط. فتسري الحياة في أعضائه؛ فيقوم شخصا سويّا كما كان أوّل مرّة، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١) ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾(٢) ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٣) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٤)؛ فإمّا شقيّ وإمّا(٥) سعيد.

واعلم أنّ في امتزاج هذه الأصول عجائب. فإنّ الحرارة والبرودة ضدّان فلا يمتزجان، وإذا لم يمتزجا لم يكن عنهما شيء. وكذلك الرطوبة واليبوسة. وإنما يمتزج ضِدُّ الضدّ بضدّ الضدّ الآخر. فلا يتولّد عنها أبدا إلّا أربعة؛ لأنّها أربعة. ولهذا كانت اثنان ضِدّين لاثنين. فلو لم تكن على هذا؛ لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها. ولا يصحّ أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول؛ فإنّ الأربعة هي أصول العدد. فالثلاثة التي في الأربعة، مع الأربعة؛ سبعة. والاثنان التي فيها، مع هذه السبعة، تسعة. والواحد الذي في الأربعة، مع هذه التسعة، عشرة. وركِّب ما شئتَ بعد هذا. وما تجد عددا يعطيك هذا إلّا الأربعة. كما لا تجد عددا تامّا إلّا الستّة: لأنّ فيها النصف والسدس والثلث(٦).

فامتزجت الحرارة واليبوسة: فكان النار. والحرارة والرطوبة: فكان الهواء. والبرودة والرطوبة: فكان الماء. والبرودة واليبوسة: فكان التراب. فانظر في تكوُّن الهواء عن الحرارة والرطوبة، وهو النفَس الذي هو الحياة الحِسّيّة، وهو المحرِّك لكلّ شيء بنفسه؛ للماء والأرض والنار. وبحركته تتحرّك الأشياء لأنّه الحياة، إذ كانت الحركة أثرَ الحياة. فهذه الأربعة الأركان المولّدة عن الأمّهات الأُوَل.

ثمّ لتعلم أنّ تلك الأمّهات الأُوَل تعطي(٧)، في المركّبات، حقائقَها لا غير، من غير امتزاج. فالتسخينُ: عن الحرارة، لا يكون عن غيرها. وكذلك التجفيف والتقبُّض: عن اليبوسة. فإذا رأيتَ النار قد أيبست المحلَّ من الماء؛ فلا تتخيّل أنّ الحرارة جفّفته؛ فإنّ النار مركّبة من حرارة ويبوسة، كما تقدّم. فبالحرارة التي فيها تَسَخَّنَ الماء، وباليبوسة وقع التجفيف. وكذلك التليينُ لا

---

(١) [الزمر: ٦٨]
(٢) [الزمر: ٦٩]
(٣) [الأعراف: ٢٩]
(٤) [يس: ٧٩]
(٥) ص ١٠٠
(٦) "لأن...والثلث" مثبتة في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.
(٧) ص ١٠٠ب

يكون إلّا عن الرطوبة، والتبريد عن البرودة. فالحرارة تُسَـــخِّن، والبرودة تُبَرِّد، والرطوبة تُلَيِّن، واليبوسة تُجَفِّف.

فهذه الأمّهات متنافرة، لا تجتمع أبدا إلّا في الصـورة، ولكن على حسـب ما تعطيه حقائقها. ولا يوجد منها، في صـــورة أبدا، واحدٌ، لكن يوجد اثنان: إمّا حرارة ويبوســـة، كما تقدّم من تركيبها. وأمّا أن توجد الحرارة وحدها فلا، لأنّها لا يكون عنها، على انفرادها، إلّا هي.

* * *

وَصْلٌ
(الحقائق على قسمين: مفردة ومركّبة)

فإنّ الحقائق على قسـمين: حقائق توجَد مفردات في العقل؛ كالحياة والعلم والنطق والحسّ، وحقائق توجَد بوجود التركيب؛ كالسماء والعالَم والإنسان والحجر.

فإن قلت: فما الســـبب الذي جمع هذه الأمّهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر؟ فهنا سرّ عجيب ومركب صـــعب، يحرم كشـــفه؛ لأنّه لا يطاق حمله؛ لأنّ العقل لا يعقله، ولكنّ الكشـف يشـهده. فلنسكت عنه، وربما[1] نشير إليه من بعيد في مواضع من كتابي هذا يتفطّن إليه الباحث اللبيب.

ولكن أقول: أراد المختار -سـبحانه- أن يؤلّفها لَمّا سـبق في علمه خَلْقُ العالَم، وأنّها أصـل أكثره، أو أصله إن شئت، فألَّفها. ولم تكن موجودة في أعيانها. ولكن أوجدَها مؤلّفة، لم يوجدها مفرَدَة ثمّ جمعها؛ فإنّ حقائقها تأبى ذلك. فأوجَد الصـورة، التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق؛ فصـــارت كأنّها كانت موجودة متفرّقة ثمّ أُلِّفَت. فظهرت للتأليف (=عند التأليف) حقيقةٌ لم تكن في وقت الافتراق. فالحقائق تعطي أنّ هذه الأمّهات لم يكن لها وجود في عينها أَلْبَتَّة، قبل وجود الصور المركّبة عنها.

فلمّا أوجد هذه الصور، التي هي الماء والنار والهواء والأرض، وجعلها -سبحانه- يستحيل بعضها إلى بعض: فيعود النارُ هواءً، والهواءُ نارا، كما تُقلب التاءُ طاءً، والسينُ صادا؛ لأنّ الفلَكَ الذي وُجدت عنه الأمّهات الأُوَل، عنها وُجدت هذه الحروف.

---

(١) ص ١٠١

فالفلَك الذي وُجِد عنه الأرض، وُجِد عنه حرفُ الثاء والتاء، وما عدا رأس الجيم، ونصفُ تعريقة اللام، ورأسُ الخاء، وثلثا الهاء، والدالُ اليابسةُ، والنونُ، والميم.

والفلَك الذي وُجِد عنه الماء، وُجِد عنه حرفُ الشين والغين والطاء والحاء والضاد ورأس الباء -بالنقطة الواحدة[١]- ومَدَّةُ جسد الفاء دون رأسها، ورأسُ القاف، وشيء[٢] من تعريقه، ونصفُ دائرة الظاء المعجمة[٣]، الأسفلُ.

والفلَك الذي وُجِد عنه الهواء، وُجِد عنه طرف الهاء الأخيرُ الذي يَعْقِدُ دائرتها، ورأسُ الفاء، وتعريقُ الخاء على حكم نصف الدائرة، ونصفُ دائرة الظاء المعجمة الأعلى مع قائمته، وحرفُ الذال والعين والزاي والصاد والواو.

والفلَك الذي وُجِد عنه النار، وُجِد عنه حرفُ الهمزة والكاف والباء والسين والراء، ورأسُ الجيم، وجسدُ الياء -باثنتين من أسفل[٤]- دون رأسها، ووسطُ اللام، وجسدُ القاف دون رأسه.

وعن حقيقة الألِف صدرت هذه الحروف كلّها، وهو فلَكها روحا وحسّا.

وكذلك ثَمّ موجود[٥] خامس، هو أصل لهذه الأركان. وفي هذا خلافٌ بين أصحاب علم الطبائع عن النظر. ذكره الحكيم[٦] في الأُسْطُقُسّات، ولم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده. ولم نعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله، وإنما دخل به عليَّ صاحبٌ لي، وهو في يده -وكان يشتغل بتحصيل علم الطبّ- فسألني أن أُمشّيه له، من جهة علمنا بهذه الأشياء: من جهة الكشف، لا من جهة القراءة والنظر. فقرأه علينا، فوقفتُ منه على هذا الخلاف الذي أشرتُ إليه؛ فمن هناك علِمته. ولولا ذلك ما عرفتُ: هل خالف فيه أحدٌ أم لا؟ فإنّه ما عندنا فيه إلّا الشيء الحقّ، الذي هو عليه. وما عندنا خلاف.

فإنّ الحقّ -تعالى- الذي نأخذ العلومَ عنه[٧]، بخلوِّ القلب عن الفكر، والاستعداد لقبول

(١) "بالنقطة الواحدة" مثبت في الهامش بخط آخر.
(٢) ص ١٠١ب
(٣) ثابت في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.
(٤) "باثنتين من أسفل" ثابتة بين السطرين بقلم جديد.
(٥) عليه إشارة "صح" وفي الهامش لفظ "معقول" وعليه حرف "خ".
(٦) الحكيم: أرسطو طاليس
(٧) ص ١٠٢

الواردات هو الذي يعطينا الأمر على أصـــله، من غير إجمال ولا حيرة. فنعرف الحقائق على ما هي عليه، سَـــوَاء كانت المفردات، أو الحادثة بحدوث التأليف، أو الحقائق الإلهيّة، لا نمتري في شيء منها. فمن هناك هو عِلْمُنا. والحقّ -ســـبحانه- معلّمنا؛ ورثا نبويّا، محفوظا، معصـــوما من الخلل والإجمال والظاهر.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾[1] فإنّ الشعر محلُّ الإجمال والرموز والألغاز والتورية. أي ما رمزنا له شيئا، ولا لغزناه، ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر، ولا أجملنا له الخطاب. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾[2] لِما شاهده حين جذبناه، وغيّبناه عنه، وأحضرناه بنا عندنا؛ فكنّا سمعَه وبصرَه. ثمّ رددناه إليكم لتهتدوا به في ظلمات الجهل والكون؛ فكنّا لسانه الذي يخاطبكم به. ثمّ أنزلنا عليه مذكِّرا يذكّره بما شاهده؛ فهو ﴿ذِكْرٌ﴾ له لذلك ﴿وَقُرْءَانٌ﴾، أي: جمعُ أشياءَ كان شاهدها عندنا ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر له؛ لعلمه بأصل ما شاهده وعاينه، في ذلك التقريب الأنزه الأقدس، الذي ناله منه ﷺ ولنا منه، من الحظّ، على قدر صفاء المحلّ والتهيّؤ والتّقوى.

فَمَن عَلِم أنّ الطبائع، والعالَم المركّب منها، في غاية الافتقار والاحتياج إلى الله -تعالى- في وجود أعيانها وتأليفها[3]؛ عَلِمَ أنّ السبب (الفاعل) هو حقائق الحضرة الإلهيّة، (أي) الأسماء الحسنى والأوصاف العُلى، كيف تشاء، على حسب ما تعطيه حقائقها. وقد بيّنّا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب "إنشاء الجداول والدوائر"، وسنذكر من ذلك طرفا في هذا الكتاب. فهذا هو سبب الأسباب، القديمُ، الذي لم يزل مؤلِّف الأمّهات، ومولِّد البنات. فسبحانه سبحانه، خالق الأرض والسماوات.

* * *

وَصْلٌ
(بسائط مراتب الحروف)

انتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جهة المكلِّف والمكلَّفين، وحظّها منهم، وحركتِها في الأفلاك السداسيّة المضاعفة. وعيّنّا سِنِيَّ دورتها في تلك الأفلاك، وحظَّها من

(١) [يس: ٦٩]
(٢) [يس: ٦٩]
(٣) ص ١٠٢ب

الطبيعة من حركة تلك الأفلاك، ومراتبها الأربعة في المكلِّف والمكلَّفين على حسب فَهْمِ العامّة. ولهذا كانت أفلاك بسائطها على نوعين. فالبسائط التي[1] يُقتصر بها على حقائق عامّة العقلاء، على أربعة: حروف الحقِ التي عن الأفلاك السبعيّة، وحروف الإنس عن الثمانية، وحروف الملَك عن التسعة، وحروف الجنّ الناري عن العشرة. وليس ثَمّ قسم زائد عندهم، لقصورهم عن إدراك ما ثَمّ؛ لأنّهم تحت قهر عقولهم. والمحقِّقون (هم) تحت قهر سيّدهم[2] الملِك الحقّ ﷻ. فلهذا عندهم من الكشف ما ليس عند الغير.

فبسائط المحقّقين، على ستّ مراتب: مرتبة للمكلِّف الحقّ -تعالى- وهي النون، وهي ثنائيّة. فإنّ الحقّ لا نعلمه إلّا منّا، وهو معبودنا. ولا يُعْلَم على الكمال إلّا بنا. فلهذا كان له النون التي هي ثنائيّة. فإنّ بسائطها اثنان: الواو والألف. فالألف له، والواو لمعناك. وما في الوجود غير الله وأنت؛ إذ أنت الخليفة. ولهذا؛ الألِفُ عامٌّ، والواو ممتزجة، كما سيأتي ذِكْرُها في هذا الباب.

ودورة هذا الفلَك (=فلك الألف)، المخصوصة، التي بها تقطعُ الفلَكَ المحيطَ الكلّي، (هي) دورة جامعة تقطع الفلَك الكلّي في اثنين وثمانين ألف سنة. وتقطع فلَكُ الواو الفلكَ الكلّيّ في عشرة آلاف سنة، على ما نذكرها بعد، في هذا الباب، عند كلامنا على الحروف مفردةً، وحقائقها. وما بقي من المراتب فعلى عدد المكلَّفين.

وأمّا المرتبة الثانية فهي للإنســـان. وهو أكمل المكلَّفين وجودا، وأعمُّه، وأتمُّهُ خَلْقا، وأَقْوَمُه. ولها حرف واحد وهو[3] الميم. وهي ثلاثيّة. وذلك أنّ بســـائطها ثلاثة: الياء والألف والهمزة. وسيأتي ذِكْرُها في داخل الباب -إن شاء الله-.

وأمّا المرتبة الثالثة فهي للجنّ مطلَقا؛ النُّوري والناري. وهي رباعيّة. ولها من[4] الحروف: الجيم والواو والكاف والقاف، وسيأتي ذِكْرُها.

وأمّا المرتبة الرابعة فهي للبهائم، وهي خماســيّة. لها من الحروف: الدال اليابســة، والزاي، والصاد اليابسـة، والعين اليابسـة، والضاد المعجمة، والسـين اليابسـة، والذال المعجمة، والغين والشين المعجمَتان. وسيأتي ذِكْرها -إن شاء الله-.

---

(١) ق: الذي
(٢) ص ١٠٣
(٣) ق: "وهي" وصححت أعلاه.
(٤) ص ١٠٣ب

وأمّا المرتبة الخامسة فهي للنبات، وهي سداسيّة. لها من الحروف: الألف والهاء واللام. وسيأتي ذِكْرُها -إن شاء الله-.

وأمّا المرتبة السادسة فهي للجماد، وهي سباعيّة. لها من الحروف: الباء، والحاء، والطاء، والياء، والفاء، والراء، والتاء، والثاء، والخاء، والظاء. وسيأتي ذِكْرها -إن شاء الله-.

والغرض في هذا الكتاب إظهار لُمَع ولوائح إشارات، من أسرار الوجود. ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف، وما تقتضيه حقائقها؛ لكَلَّت اليمين، وحَفي القلم، وجفّ المداد، وضاقت القراطيس والألواح، ولو كان الرقّ المنشور. فإنّها من الكلمات التي قال -تعالى- فيها: ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[1] وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾[2].

وهنا سرّ وإشارة عجيبة، لمن تفطّن لها وعثر على هذه الكلمات. فلو[3] كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر؛ لانحصر الإنسان في أقرب مدّة. ولكنّها موارد الحقّ -تعالى- تتوالى على قلب العبد، وأرواحُه البررة تنزل عليه من عالَم غيبه، برحمته التي من عنده، وعلمه الذي من لدنه. والحقّ -تعالى- وهّاب على الدوام، فيّاض على الاستمرار. والمحلُّ قابل على الدوام: فإمّا يقبل الجهل، وإمّا يقبل العلم. فإن استعدّ وتهيّأ، وصفّى مرآة قلبه وجلّاها؛ حصل له الوهب على الدوام، ويحصل له في اللحظة ما لا يقدر على تقييده في أزمنة؛ لاتّساع ذلك الفلَك المعقول، وضيق هذا الفلَك المحسوس. فكيف ينقضي ما لا يُتصوّر له نهاية، ولا غاية يقف عندها؟!.

وقد صرّح بذلك في أمره لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[4] والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلّق بالإله، ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة، فتزيد رغبته في تحميده، فيزاد فضلا على تحميده، دون انتهاء ولا انقطاع. فطلبَ (النبيُّ) منه الزيادة، وقد حصَّل من العلوم والأسرار ما لم يبلغه أحدٌ.

---

(١) [الكهف: ١٠٩] واقتصر النص المكتوب في ق على: ﴿لو كان البحر مدادا﴾

(٢) [لقمان: ٢٧]

(٣) ص ١٠٤

(٤) [طه: ١١٤]

ومما يؤيّد ما ذكرناه -من أنّه أُمِر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره- أنّه كان ﷺ إذا أكل طعاما قال: «اللهمّ بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا قال: اللهمّ بارك لنا فيه وزدنا منه»[1]، لأنّه أُمر بطلب الزيادة. فكان[2] يتذكّر، عندما يرى اللبن، اللبنَ الذي شربه ليلة الإسراء، فقال له جبريل: «أصبتَ الفطرة؛ أصاب الله بك أمّتك»[3].

والفطرةُ: علمُ التوحيد، التي فطر الله الخلق عليها، حين أشهدهم، حين قبضهم من ظهورهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[4] فشاهدوا الربوبيّة قبل كلّ شيء.

ولهذا تأوّل ﷺ اللَّبَن لَمّا شربه في النوم وناول فضله عمر، «قيل: ما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم»[5]. فلولا حقيقة مناسبةٍ بين العلم واللبن، جامعة، ما ظهر بصورته في عالَم الخيال. عرف ذلك مَن عرفه، وجهِله مَن جهله.

فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبدا؟ فشتّان بين مؤلّف يقول: حدّثني فلان -رحمه الله- عن فلان -رحمه الله-، وبين من يقول: "حدّثني قلبي عن ربّي". وإن كان هذا (الأخير) رفيع القدر، فشتّان بينه وبين من يقول: "حدّثني ربّي عن ربّي". أي حدّثني ربّي عن نفسه. وفيه إشارة. الأوّل: ربّ المعتقد. والثاني: الربّ الذي لا يتقيّد. فهو بواسطةٍ لا بواسطة. وهذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة الذاتيّة، التي منها يفيض على السرّ والروح والنفس.

فمن كان هذا مشربه، كيف يُعرف مذهبه؟ فلا تعرفه حتى تعرف الله، وهو لا يُعرف -تعالى- من جميع وجوه المعرفة، كذلك هذا لا يُعرف. فإنّ العقل لا يدري أين هو؟ فإنّ مطلبه الأكوان، ولا كون لهذا، كما قيل:

ظَهَرْتَ[6] لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَعْدَ فَنائِهِ فَكَانَ بِلا كَوْنٍ لأَنَّكَ كُنْتَهُ

فالحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقّي. فنسأله -سبحانه- أن يجعلنا وإيّاكم من أهل

(١) سنن أبي داود ٣٢٤٢، سنن الترمذي ٣٣٧٧
(٢) ص ١٠٤ب
(٣) صحيح البخاري ٣١٨٢، صحيح مسلم ٢٤٥
(٤) [الأعراف: ١٧٢]
(٥) صحيح البخاري ٨٠، سنن الترمذي ٢٢٠٩
(٦) ص ١٠٥

التداني والترقّي.

ثمّ أرجع وأقول: إنّ فصــول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمســمائة فصــل، وفي كلّ فصــل مراتب كثيرة. فتركنا الكلام عليها حتى نســتوفيه في كتاب "المبادي والغايات" -إن شــاء الله-. ولنقتصر هنا منها على ما لا بدّ من ذِكْره، بعد ما نســمّي من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا. وربما نتكلّم على بعضها. وبعد ذلك نأخذها حرفا حرفا، حتى تكمل الحروف كلّها -إن شاء الله-. ثمّ نتبعها بإشــارات من أسرار تَعانُق اللام بالألف، ولزومه إيّاه، وما الســبب لهذا التعشّــق الروحانيّ بينهما خاصّـة، حتى ظهر ذلك في عالَم الكتابة والرقم؟ فإنّ في ارتباط اللام بالألف سرًّا لا ينكشــف، إلّا لمن أقام الألف من رقدتها، وحلّ اللام من عقدتها. والله يرشــدنا وإيّاكم لعمل صالح يرضاه منّا.

انتهى الجزء الرابع والحمد لله.

الجزء الخامس من الفتح المكي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

ذِكْر بعض مراتب الحروف

اعلم -وفّقنا الله وإيّاكم- أنّ الحروف أمّة من الأمم، مخاطبون ومكلّفون، وفيهم رسل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم. ولا يعرف هذا إلّا أهل الكشف من طريقنا. وعالَم الحروف أفصح العالَم لسانا، وأوضحه بيانا. وهم على أقسام، كأقسام العالَم المعروف في العُرف.

فمنهم عالَم الجبروت، عند أبي طالب المكيّ[3]، ونسمّيه نحن عالَم العظمة؛ وهو الهاء والهمزة.

ومنهم العالَم الأعلى، وهو عالَم الملكوت؛ وهو الحاء والخاء والعين والغين.

ومنهم العالَم الوسط، وهو عالَم الجبروت، عندنا وعند أكثر أصحابنا؛ وهو التاء والثاء والجيم والدال والذال والراء والزاي والظاء والكاف واللام والنون والصاد والضاد والقاف والسين والشين والياء الصحيحة.

ومنهم العالَم الأسفل، وهو عالَم المُلك والشهادة؛ وهو[4] الباء والميم والواو الصحيحة.

ومنهم العالَم الممتزِج بين عالَم الشهادة والعالَم الوسط؛ وهو الفاء.

ومنهم عالَم الامتزاج بين عالَم الجبروت الوسط وبين عالَم الملكوت؛ وهو الكاف والقاف. وهو امتزاج المرتبة، ويمازجهم في الصفة الروحانيّة الطاء والظاء والصاد والضاد.

ومنهم عالَم الامتزاج بين عالَم الجبروت الأعظم وبين الملكوت؛ وهو الحاء المهملة.

ومنهم العالَم الذي يشبه العالَم منّا، الذين لا يتّصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنّا؛ وهو الألف والياء والواو المعتلّتان.

فهؤلاء عوالم. ولكلّ عالَم رسول من جنسهم. ولهم شريعة تُعُبِّدوا بها، ولهم لطائف وكثائف، وعليهم من الخطابِ الأمرُ؛ ليس عندهم نهي. وفيهم عامّة، وخاصّة، وخاصة الخاصّة، وصفاء

---

(١) العنوان ص ١٠٥ب

(٢) البسملة ص ١٠٦

(٣) أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي المالكي الواعظ الصوفي نزيل بغداد المتوفى بها سنة ٣٨٦هـ. من تصانيفه قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد في الأخلاق والتصوف. مشكل أعراب القرآن. وغير ذلك. [هدية العارفين (١ / ٤٧٢)]

(٤) ص ١٠٦ب

خلاصة خاصّة الخاصّة.

فالعامّة منهم: الجيم والضاد والخاء والدال والغين والشين.

ومنهم[1] خاصّة الخاصّة؛ وهو الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والغين.

ومنهم خلاصة خاصّة الخاصّة؛ وهو الباء.

ومنهم الخاصة التي فوق العامّة بدرجة؛ وهو حروف أوائل السور، مثل: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ وهي أربعة عشر حرفا: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون.

ومنهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة؛ وهو النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين.

ومنهم العالَم المرسَل؛ وهو الجيم والحاء والخاء والكاف.

ومنهم العالَم الذي تعلّق بالله، وتعلّق به الخلق؛ وهو الألف والدال والذال والراء والزاي والواو. وهو عالَم التقديس من الحروف الكروبيّين.

ومنهم العالَم الذي غلب عليه التخلّق بأوصاف الحقّ؛ وهو[2] التاء والثاء والحاء والذال والزاي والظاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والقاف والشين المعجمة والفاء عند أهل الأنوار.

ومنهم العالَم الذي قد غلب عليهم التحقّق؛ وهو الباء والفاء عند أهل الأسرار، والجيم.

ومنهم العالَم الذي قد تحقّق بمقام الاتّحاد؛ وهو الألف والحاء والدال والراء والطاء اليابسة والكاف واللام والميم والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو. إلّا أنّي أقول: إنّهم على مقامين في الاتّحاد: عال وأعلى. فالعالي: الألف والكاف والميم والعين والسين. والأعلى: ما بقي.

ومنهم العالَم الممتزج الطبائع؛ وهو الجيم والهاء والياء واللام والفاء والقاف والخاء والظاء

---

(١) ص ١٠٧

(٢) ص ١٠٧ب

خاصّة.

وأجناس عوالم الحروف أربعة: جنس مفرد؛ وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو، وجنس ثنائيّ مثل الدال والذال، وجنس[1] ثلاثيّ مثل الجيم والحاء والخاء، وجنس رباعيّ وهو الباء والتاء والثاء والياء في وسط الكلمة، والنون كذلك؛ فهو خماسيّ بهذا الاعتبار. وإن لم تعتبرهما، فتكون الباء والتاء والثاء من الجنس الثلاثيّ، ويسقط الجنس الرباعيّ.

فهذا (=فها نحن) قد قصصنا عليك، من عالَم الحروف، ما إن استعملتَ نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالَم، والاطّلاع على حقائقه، وتحقّق قوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2] فلو كان تسبيح حال كما يزعم بعض علماء النظر، لم تكن فائدة في قوله: ﴿وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ وَصَلْتَ إليها ووقفتَ عليها.

وكنتُ قد ذكرتُ أنّه ربما أتكلّم على بعضها. فنظرتُ، في هؤلاء العوالم[3]، ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره، فوجدناه العالَم المختصّ؛ وهو عالَم أوائل السور المجهولة؛ مثل ﴿الٓمٓ﴾ البقرة و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓرۚ﴾ يونس وأخواتها.

فلنتكلّم على ﴿الٓمٓ﴾ البقرة، التي هي أوّل سورة مبهمة في القرآن، كلاما مختصرا من طريق الأسرار. وربما أُلْحِقُ بذلك الآيات التي تليها، وإن كان ذلك ليس من الباب، ولكن فعلتُه عن أمر ربّي الذي[4] عهدته؛ فلا أتكلّم إلّا على طريق الأذن. كما أنّي سأقف عندما يُحَدُّ لي.

فإنّ تأليفنا، هذا وغيره، لا يجري مجرى التواليف، ولا نجري نحن فيه مجرى المؤلّفين. فإنّ كلّ مؤلِّف إنما هو تحت اختياره، وإن كان مجبورا في اختياره، أو تحت العلم الذي يبثّه خاصّة؛ فيلقي ما يشاء ويمسك ما يشاء، أو يلقي ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسألة التي هو بصددها حتى تُبْرِز حقيقتَها. ونحن، في تواليفنا، لسنا كذلك. إنما هي قلوبٌ عاكفة على باب الحضرة الإلهيّة، مراقبةٌ لما ينفتح له الباب، فقيرةٌ، خاليةٌ من كلّ علمٍ؛ لو سئِلتْ في ذلك المقام عن شيء ما سمِعتْ: لِفقدها إحساسها. فمهما برز لها، من وراء ذلك الستر، أمرٌ مّا؛ بادرتْ لامتثاله، وألقته على حسب ما يُحَدُّ لها في الأمر. فقد تُلْقِي الشيء إلى ما ليس من جنسه، في العادة

---

(١) ص ١٠٨

(٢) [الإسراء: ٤٤]

(٣) ق: "العالم" وصححت في الهامش بقلم الأصل.

(٤) ص ١٠٨ب

والنظر الفكريّ، وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء؛ لمناسبة خفيّة لا يَشعر بها إلّا أهل الكشف. بل ثَمّ ما هو أغرب عندنا: إنّه يُلْقَى إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإيصالها، وهو لا يعلمها في ذلك الوقت؛ لحكمة إلهيّة غابت عن الخلق.

فلهذا لا يتقيّد كلّ شخص، يؤلِّف عن الإلقاء، بعلم ذلك الباب الذي يتكلّم عليه. ولكن يدرج فيه[1] غيره، في علم السامع العاديّ، على حسب ما يلقى إليه. ولكنّه، عندنا، قطعا من نفس ذلك الباب بعينه، لكن بوجه لا يعرفه غيرنا. مثل الحمامة والغراب اللذَيْن اجتمعا؛ لِعَرَج قام بأرجلهما. وقد أُذن لي في تقييد ما ألقيه بعد هذا، فلا بدّ منه.

---

(١) ص ١٠٩

وَصْلٌ

(الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصّة)

الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصّـة؛ على عدد حروفها بالتكرار، وعلى عدد حروفها بغير تكرار، وعلى جملتها في السـور، وعلى إفرادها في ﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ وتثنيتها في ﴿طسٓ﴾ و﴿طه﴾ وأخواتها، وجمعها من ثلاثة فصاعدا، حتى بلغت خمسة حروف متّصلة ومنفصلة، ولم تبلغ أكثر، ولِمَ وُصِلَ بعضُها وقُطِعَ بعضُها؟ ولِمَ كانت "السُّوَر" بالسين ولم تكن بالصاد؟ ولِمَ جُهِل معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الأحوال؟ إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب "الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل". فلنقل على بركة الله ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١):

اعلم أنّ مبادي السُّوَر المجهولة، لا يعرف حقيقتها إلّا أهل الصور المعقولة. ثُمَّ جَعل (الشارع) سور القرآن بالسين، وهو التعبّد الشرعيّ، وهو ظاهر السُّور الذي فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها، وباطنه(٢) بالصاد، وهو مقام الرحمة: وليس إلّا العلم بحقائقها؛ وهو التوحيد.

فجعلها -تبارك وتعالى- تسعا وعشرين سورة؛ وهو كمال الصورة ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾(٣) والتاسع والعشرون: القطبُ الذي به قوام الفلَك، وهو علّة وجوده، وهو سورة آل عمران ﴿الٓمٓ. ٱللَّهُ﴾(٤) ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون.

وجملتها، على تكرار الحروف، ثمانية وسبعون حرفا. فالثمانية حقيقة البضع. قال عليه السلام: «الإيمان بضع وسبعون»(٥) وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفا، فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها.

فإن قلتَ: إنّ البضع مجهول في اللسان؛ فإنّه من واحد إلى تسعة؛ فمن أين قطعتَ بالثمانية عليه؟ فإن شئتَ قلتُ لك من طريق الكشف وصلتُ إليه. فهو الطريق الذي عليه أسلك، والركن الذي إليه أستندُ في علومي كلّها. وإن شئتَ أبديتُ لك منه طرفا من باب العدد، وإن

---

(١) [الأحزاب: ٤]
(٢) ص ١٠٩ب
(٣) [يس: ٣٩]
(٤) [آل عمران: ١، ٢]
(٥) صحيح مسلم ٥١، سنن أبي داود ٤٠٥٦

كان أبو الحكم، عبد السلام بن بَرَّجان[1]، لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره، وإنما ذكره -رحمه الله- من جهة علم الفلَك، وجعله سترا على كشفه، حين قطع به بفتح بيت المقدس، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

فكذلك إن شئنا، نحن، كشفنا، وإن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجابا[2]. فنقول: إنّ البضع الذي في سورة الروم ثمانية، وخذ عدد حروف ﴿الٓمٓ﴾ بالجَزْم الصغير فتكون ثمانية، فتجمعها إلى ثمانية الـ"بِضْعِ" فتكون ستّة عشر، فتزيل الواحد الذي للألف للأُسِّ، فيبقى خمسة عشر، فتمسكها عندك. ثمّ ترجع إلى العمل في ذلك بالجُمَّل الكبير، وهو الجزم، فتضرب ثمانية الـ﴿بِضۡعِ﴾ في أحد وسبعين، واجعل ذلك كلّها سنين، يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون، فتضيف إليها الخمسة عشر، التي أمرتُك أن ترفعَها، فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة؛ وهو زمان فتح البيت المقدس، على قراءة من قرأ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[3] بفتح الغين واللام ﴿سيُغلَبُون﴾ بضمّ الياء وفتح اللام. وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حجّ الكفّار، وهو فتح البيت المقدس.

ولنا في علم العدد، من طريق الكشف، أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه، ومن طريق ما له من الحقائق الإلهيّة. وإن طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتابا -إن شاء الله-.

فلنرجع إلى ما كنّا بسبيله، فنقول: فلا يُكْمِل عبدٌ الأسرار التي تتضمّنها شُعَب الإيمان، إلّا إذا علم حقائق هذه الحروف، على حسب تكرارها في السُّوَر. كما أنّه إذا علمها، من غير تكرار، عَلِم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد.

وتفرَّد القديم[4] -سبحانه- بصفاته الأزليّة، فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفا مفردة، مبهمة. فجعل الثمانية لمعرفة الذات، والسبع الصفات منّا. وجعل الأربعة للطبائع المؤلّفة، التي هي: الدم، والسوداء، والصفراء، والبلغم. فجاءت اثنتي عشرة موجودة. وهذا هو الإنسان من هذا الفلك.

---

(١) عبد السلام بن برجان (٠٠٠ - ٥٣٦ هـ) (٠٠٠ - ١١٤٢ م) عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المغربي، الأفريقي، ثم الأندلسي، الاشبيلي، المعروف بابن برجان مفسر، صوفي مقرئ، محدّث، متكلم، مشارك في الهندسة والحساب. توفي مغربا عن وطنه بمراكش. من تصانيفه: الإرشاد في تفسير القرآن في مجلدات ولم يكمله، وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين. [معجم المؤلفين (٥ / ٢٢٦)]

(٢) ص ١١٠

(٣) [الروم: ٢]

(٤) ص ١١٠ب

ومن فلك آخر، يتركّب من أحد عشر، ومن عشرة، ومن تسعة، ومن ثمانية، حتى إلى فلك الاثنين. ولا يتحلّل إلى الأحديّة أبدا. فإنّها ممّا انفرد بها الحقّ؛ فلا تكون لموجودٍ إلّا له.

ثمّ إنّه -سبحانه- جعل أوّلها الألف في الخطّ، والهمزة في اللفظ، وآخرها النون. فالألف لوجود الذات على كمالها؛ لأنّها غير مفتقرة إلى حركة. والنون لوجود الشطر من العالَم، وهو عالَم التركيب؛ وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك. والنصف الآخر: النون المعقولة عليها، التي لو ظهرت للحسّ وانتقلت من عالَم الروح؛ لكانت دائرة محيطة. ولكن أخفى هذه النون الروحانيّة الذي بها كمال الوجود، وجُعِلَتْ نقطة النون المحسوسة دالة عليها.

فالألف كاملة من جميع وجوهها، والنون ناقصة. فالشمس كاملة، والقمر ناقص؛ لأنّه محو. فصفة ضوئه معارة؛ وهي الأمانة التي حملها. وعلى قدر محوه وسِراره (يكون) إثباته وظهوره. ثلاثة لثلاثة. فثلاثةٌ: غروب القمر القلبيّ الإلهي في[1] الحضرة الأحديّة، وثلاثةٌ: طلوع قمر القلب الإلهيّ في الحضرة الربّانيّة، وما بينهما (يتردّد) في الخروج والرجوع قَدَمًا بقدم لا يختلّ أبدا.

ثمّ جعل -سبحانه- هذه الحروف على مراتب. منها موصول، ومنها مقطوع، ومنها مفرد ومثنّى ومجموع. ثمّ نبّه أنّ في كلّ وصلٍ قطعا، وليس في كلّ قطعٍ وصلٌ[2]. فكلّ وصل يدلّ على فصل، وليس كلّ فصل يدلّ على وصل. فالوصل والفصل، في الجمع وغير الجمع. والفصل وحده في عين الفَرق.

فما أفرده من هذه (الحروف)؛ فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا. وما ثنّاه؛ فإشارة إلى وجود رسم العبوديّة حالا. وما جمعه؛ فإشارة إلى الأبد (المشحون) بالموارد التي لا تتناهى. فالإفرادُ؛ للبحر الأزليّ، والجمع؛ للبحر الأبديّ، والمثنّى؛ للبرزخ المحمّديّ الإنسان.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3] هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان؟ أو بالبحر الذي فصله عنه وسمّاه بالأكوان؟ أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن؟ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يُخرج من بحر الأزل اللؤلؤ، ومن بحر الأبد المرجان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَلَهُ

(١) ص ١١١
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) [الرحمن: ١٩ - ٢١]

ٱلۡجَوَارِ﴾ الروحانيّة ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ من الحقائق الأسمائيّة ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ الذاتيّ الأقدسيّ ﴿كَٱلۡأَعۡلَٰمِ. فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١).

﴿يَسۡـَٔلُهُۥ﴾ العالَم العُلويُّ على علوّه وقدسه، والعالَم السفليُّ على نزوله(٢) وبخسه، كلّ خطرة ﴿فِي شَأۡنٍ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٍ﴾(٣) وإن لم تنعدم الأعيان ولكنّها رحلةٌ مِن دَنَا إلى دان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. سَنَفۡرُغُ﴾(٤) منكم إليكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ. فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٥).

فهكذا لو اعتبر القرآن؛ ما اختلف اثنان، ولا ظهر خصمان، ولا تناطح عنزان. فدبِّروا آياتكم، ولا تخرجوا عن ذاتكم. فإن كان ولا بدّ فإلى صفاتكم. فإنّه إذا سَلِم العالَم من نظركم وتدبيركم؛ كان على الحقيقة تحت تسخيركم. ولهذا خُلِق. قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾(٦). والله يرشدنا وإيّاكم إلى ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة؛ إنّه وليّ كريم(٧).

* * *

وَصْلٌ
(الكلام على "الٓم")

الألف من ﴿الٓمٓ﴾ إشارة إلى التوحيد. والميم للمُلْك الذي لا يهلك. واللام بينهما واسطة؛ لتكون رابطة بينهما. فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخطّ من اللام. فتجد الألف؛ إليه ينتهي أصلها، وتجد الميم؛ منه يبتدئ نشوُّها. ثُمّ تنزل من ﴿أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ وهو السطر إلى ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ منتهى تعريق الميم. قال -تعالى-: ﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ. ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾(٨).

---

(١) [الرحمن: ٢٤ - ٢٥]
(٢) ص ١١١ب
(٣) [الرحمن: ٢٥ - ٢٦]
(٤) [الرحمن: ٣٠ - ٣١]
(٥) [الرحمن: ٣١ - ٣٢]
(٦) [الجاثية: ١٣]
(٧) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي وسماعا لإبراهيم بن الخلال على المؤلف". (وبخط آخر): "بلغ المجلس الثالث قراءة".
(٨) [التين: ٤، ٥]

ونزول الألف إلى السطر، مثل قوله (ص): «ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا»[1] وهو[2] أوّل عالَم التركيب؛ لأنّه سماء آدم عليه السلام، ويليه فلك النار. فلذلك نزل إلى أوّل السطر؛ فإنّه نزل من مقام الأحديّة إلى مقام إيجاد الخليقة، نزول تقديس وتنزيه، لا نزول تمثيل وتشبيه. وكانت اللام واسطة. وهي نائبة مناب المكوِّن والكون؛ فهي القدرة التي عنها وُجِد العالَم، فأشْبَهَتِ الألف في النزول إلى أوّل السطر.

ولَمّا كانت (اللام) ممتزجة من المكوِّن والكون؛ فإنّه لا يتّصف بالقدرة على نفسه، وإنما هو قادر على خَلقه؛ فكان وجه القدرة مصروفا إلى الخلق. ولهذا لا يثبت (وصف القدرة) للخالق إلّا بالخلق؛ فلا بدّ مِن تعلّقها بهم، علوا وسفلا.

ولَمّا كانت حقيقتها لا تتمّ بالوصول إلى السطر -فتكون (اللام) والألف على مرتبة واحدة- طلبتْ بحقيقتها النزول تحت السطر، أو على السطر، كما نزل الميم. فنزلت إلى إيجاد الميم. ولم يتمكن أن تنزل على صورة الميم، فكان لا يوجد عنها أبدا إلّا الميم؛ فنزلتْ نصفَ دائرة، حتى بلغتْ إلى السطر، من غير الجهة التي نزلت منها. فصارتْ نصفَ فلَك محسوس، يطلب نصفَ فلَك معقول؛ فكان منهما فلَكٌ دائر.

فتكوَّن العالَم كلّه، من أوّله إلى آخره، في ستّة أيّام، أجناسا: من أوّل يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة. وبقي يوم السبت للانتقالات؛ من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، والاستحالات من[3] كون إلى كون. ثابت على ذلك، لا يزول ولا يتغيّر. ولذلك كان الوالي على هذا اليوم: البردُ واليبس، وهو من الكواكب زحل.

فصار "ألم" وحده فلكا محيطا؛ مَن دار به عَلِمَ الذات والصفات والأفعال والمفعولات. فمن قرأ "ألم" بهذه الحقيقة والكشف؛ حضر بالكلّ للكلّ مع الكلّ. فلا يبقى شيء، في ذلك الوقت، إلّا يشهده. لكن منه ما يُعلم، ومنه ما لا يعلم.

فتنزُّه الألِف عن قيام الحركات بها يدلّ (على) أنّ الصفات لا تُعْقَل إلّا بالأفعال، كما قال عليه السلام: «كان اللهُ ولا شيءَ معه»[4] وهو على ما عليه كان. فلهذا صرفنا الأمر إلى ما يُعْقَل، لا

(١) صحيح البخاري ١٠٧٧، وصحيح مسلم ١٢٦١
(٢) ص ١١٢
(٣) ص ١١٢ب
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤

إلى ذاته المنزَّهة. فإنّ الإضافة لا تُعقل أبدا إلّا بالمتضايفين. فإنّ الأبوّة لا تُعقل إلّا بالأب والابن، وجودا أو تقديرا. وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصوِّر، وجميع الأسماء التي تطلب العالَم بحقائقها. وموضع التنبيه، من حروف "ألم" عليها، في اتّصال اللام، الذي هو الصفة، بالميم الذي هو أثرها وفعلها.

فالألِفُ ذاتٌ واحدة؛ لا يصحّ فيها اتّصال شيء من الحروف، إذا وقعتْ أوّلًا في الخطّ. فهي الصراط المستقيم، الذي سألته النفس في قولها: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾(1) صراط التنزيه والتوحيد. فلمّا أمّن على دعائها ربُّها، الذي هو الكلمة(2)، الذي أُمرت بالرجوع إليه في "سورة الفجر"(3)، قَبِل -تعالى- تأمينَه على دعائها: فأظهر الألف من ﴿الٓمٓ﴾ عقيب ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(4)، وأخفى "آمين" لأنّه غيب من عالَم الملكوت.

«مَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة»(5) في الغيب المتحقّق، الذي يسمّونه العامّة من الفقهاء: "الإخلاص"، وتسمّيه الصوفيّة: "الحضور"، ويسمّيه المحقّقون: "الهمّة"، ونسمّيه أنا وأمثالنا: "العناية"؛ (استجيب له).

ولَمّا كانت الألف متّحدة، في عالَم الملكوت والشهادة؛ ظهرتْ. فوقع الفَرق بين القديم والمحدَث. فانظر فيما سطّرناه؛ تر عجبا!. ومما يؤيّد ما ذكرناه، من وجود الصفةِ؛ المدُّ الموجود في اللام والميم دون الألِف.

فإن قال صوفيٌّ: وجدنا الألِف مخطوطة، والنطق بالهمزة دون الألف، فَلِمَ لا ينطق بالألف؟ فنقول: وهذا أيضا مما يعضد ما قلناه. فإنّ الألِف لا تقبل الحركة؛ فإنّ الحرف مجهول ما لم يُحَرَّك، فإذا حُرِّكَ مُيِّزَ بالحركة التي تتعلّق به، من رفع ونصب وخفض. والذات لا تُعْلَمُ أبدا على ما هي عليه. فالألف الدالّ عليها، الذي هو في عالَم الحروف خليفة، كالإنسان في العالَم؛ مجهول أيضا. (فهو) كالذات لا تقبل الحركة. فلمّا لم تقبلها؛ لم يبق إلّا أن تُعرف من جهة سلب

---

(1) [الفاتحة: 6]

(2) ص 113

(3) يشير إلى الآيات القرآنية: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر: 27 - 30]

(4) [الفاتحة: 7]

(5) صحيح البخاري 738، موطأ مالك 180

الأوصاف عنها. ولَمّا لم يمكن النطق بساكن؛ نطقنا[1] باسم الألف لا بالألف. فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة. فقامت الهمزة مقام المبدَع الأوّل، وحركتُه صِفَتُه العِلميّة. ومحلُّ إيجاده؛ في اتّصال الكاف بالنون.

فإن قيل: وجدنا الألف، التي في اللام، منطوقا بها، ولم نجدها في الألِف. قلنا: صدقتَ، لا يقع النطق بها إلّا بمتحرّك، مشبع التحرّك، قَبْلها، موصولة به. وإنما كلامنا في الألف المقطوعة، التي لا تشبِع الحرفَ الذي قبلها حركتُه، فلا تظهر في النطق وإن رُقِمَتْ، مثل ألف ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]. فهذان ألِفان بين ميم "إنما" وبين لام المؤمنين؛ موجودتان خطًّا، غير ملفوظ بهما نطقا. وإنما الألف الموصولة؛ التي تقع بعد الحرف، مثل: لآم، هآ، حآ، وشبهها. فإنّه لولا وجودها؛ ما كان المدّ لواحدٍ من هذه الحروف. فمدُّها هو سِرُّ الاستمداد، الذي وقع به إيجاد الصفات في محلّ الحروف.

ولهذا لا يكون المدُّ إلّا بالوصل. فإذا وُصِل الحرف بالألف من اسمه الآخِر، امتدّ الألف بوجود الحرف الموصول به. ولَمّا وُجِد الحرف الموصول به؛ افتقر إلى الصفة الرحمانيّة؛ فأُعطي حركة الفتح التي هي الفتحة. فلمّا أُعطيها طُلب منه الشكر عليها. فقال: وكيف يكون الشكر عليها؟ قيل له: أن تُعْلِم السامعين بأنّ وجودَك ووجودَ[3] صفتك، لم يكن بنفسك، وإنما كان من ذات القديم -تعالى-. فاذكره عند ذِكْرك نفسَك. فقد جعلك، بصفة الرحمة خاصّة، دليلا عليه. ولهذا قال (ص): «إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن»[4] فنطقتْ بالثناء على موجدها؛ فقالت: لام، يآ، هآ، حآ، طآ. فأظهرتْ نُطقًا ما خفي خَطًّا. لأنّ الألف التي في طه، وحم، وطس، موجودة نطقًا، خفيتْ خطًّا؛ لدلالة الصفة عليها، وهي الفتحة، صفةُ افتتاح الوجود.

فإن قال: وكذلك نجد المدَّ في الواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها. فهي أيضا ثلاث ذوات. فكيف يكون هذا، وما ثَمّ إلّا ذاتٌ واحدة؟ فنقول: نعم، أمّا المدّ الموجود في الواو المضموم ما قبلها، في مثل ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[5]، والياء المكسور ما قبلها، مثل الياء من ﴿طسٓ﴾

(١) ص ١١٣ب
(٢) [الأنفال: ٢]
(٣) ص ١١٤
(٤) بغية الحارث ٨٧٥، المعجم الكبير للطبراني ١٣٤٠٤
(٥) [القلم: ١]

وياء الميم من ﴿حمٓ﴾؛ فمن حيث أنّ الله -تعالى- جعلهما حرفي علّة، وكلّ علّة تستدعي معلولها بحقيقتها، وإذا استدعتْ ذلك فلا بدّ من سِرّ بينهما، يقع (به) الاستمداد والإمداد، فلهذا أعطيت المدّ.

وذلك لَمّا أُودِع الرسولُ الملكيُّ الوحيَ، لو لم يكن بينه وبين المُلْقي إليه نسبة مّا، ما قَبِل شيئا. لكنّه خفي عنه ذلك. فلمّا حصل له الوحي، ومقامه الواو؛ لأنّه روحانيّ عُلويّ، والرفع يعطي العلوّ، وهو[1] باب الواو المعتلّة؛ فعبّرنا عنه بالرسول الملكيّ الروحانيّ: جبريل كان أو غيره من الملائكة.

ولَمّا أُودِع الرسول البشريّ ما أُودع من أسرار التوحيد والشرائع؛ أُعطي من الاستمداد والإمداد الذي يُمَدُّ به عالَم التركيب. وخفي عنه سِرّ الاستمداد، ولذلك قال: ﴿مَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ﴾[3] ولَمّا كان موجودا في العالَم السفليّ، عالَم الجسم والتركيب، أعطيناه الياء المكسور ما قبلها، المعتلّة، وهي من حروف الخفض.

فلمّا كانا (أي الرسول الملكيّ والرسول البشريّ) علّتين لوجود الأسرار الإلهيّة، من توحيد وشرع، وُهِبا سِرَّ الاستمداد؛ فلذلك مُدَّتا.

وأمّا الفَرق الذي بينهما وبين الألِف: فإنّ الواو والياء قد يُسلبان عن هذا المقام، فيحرَّكان بجميع الحركات، كقوله (تعالى): ﴿وَوَجَدَكَ﴾[4] ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾[5] و﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾[6]، ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ﴾[7]، ﴿يُغۡنِيهِ﴾[8]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾[9]. وقد يَسْكنان بالسكون الحيّ، كقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾[10] ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ﴾ وشبههما. والألف لا تُحَرَّك أبدا، ولا يوجد ما قبلها أبدا إلّا مفتوحا. فإذَنْ، فلا نِسبة بين الألف وبين الواو والياء.

فمهما حُرِّكَت الواو والياء؛ فإنّ ذلك مقامهما ومن صفاتها. ومهما أُلْحِقَتا بالألِف، في العلّيّة،

---

(١) ص ١١٤ب
(٢) [الأحقاف: ٩]
(٣) [الكهف: ١١٠]
(٤) [الضحى: ٧]
(٥) [الأحزاب: ٥١]
(٦) [الفتح: ٢٢]
(٧) [الأنعام: ٢٦]
(٨) [عبس: ٣٧]
(٩) [الزمر: ٣٠]
(١٠) [إبراهيم: ١٧]

فذلك ليس من ذاتها؛ وإنما[1] ذلك من جانب القديم -سبحانه- (الذي) لا يحتمل الحركة ولا يقبلها. ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته، الذي نزلت به الواو والياء. فمدلول الألِف قديم، والواو والياء، محرّكتان كانتا أو لا محرّكتان؛ فهما حادثان.

فإذا ثبت هذا، فكلُّ ألِف أو واو أو ياء ارتقمتْ، أو حصل النطق بها؛ فإنما هي دليل. وكلّ دليل محدَث يستدعي مُحْدِثا، والمحدِث لا يحصره الرقم ولا النطق؛ إنما هو غيب ظاهر. ولذلك نقول[2] ﴿يسٓ﴾ و﴿نٓ﴾: فتجده نطقا؛ وهو ظهوره، ولا تجده رقما؛ وهو غيبه. وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته، وبوجود ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[3] لا بذاته.

واعلم -أيّها المتلقّي- أنّه كلّ ما دخل تحت الحصر، فهو مبدَع أو مخلوق، وهو مَحَلُّك. فلا تطلب الحقّ لا من داخل ولا من خارج؛ إذ الدخول والخروج من صفات الحدوث. فانظر الكلّ في الكلّ؛ تجد الكلّ. فالعرش مجموع، والكرسيّ مفروق.

يا طالِبًا لِوُجُودِ الحَقِّ يُدْرِكُهُ ارْجِعْ لِذاتِكَ فِيكَ الحَقُّ فالْتَزِمِ

﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾[4] فلو لم يرجعوا لوجدوا النور. فلمّا رجعوا، باعتقاد القطع، ضُرب بينهم بالسور. وإلّا لو عرفوا مَن ناداهم بقوله: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ لقالوا: "أنت مطلوبنا" ولم[5] يرجعوا. فكان رجوعُهم سببَ ضرب السور بينهم. فبدت جهنّم ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[6] وبقي الموحِّدون يمدّون أهل الجنان بالولدان والحور الحسان، من حضرة العيان.

فالوزير محلّ صفات الأمير. والصفة التي انفرد بها الأمير وحده، هي سِرّ التدبير الذي خرجتْ عنه الصفات. فعلِم ما يَصْدُر له من صفته وفعله جملة، ولم يعلم ذلك الوزير إلّا تفصيلا. وهذا هو الفَرق. فتأمّلْ ما قلناه؛ تجد الحقّ -إن شاء الله-.

فإذا تبيّن هذا، وتقرّر أنّ الألِف هي ذات الكلمة، واللام ذات عين الصفة، والميم عين الفعل، وسِرّهم الخفيّ هو الموجدُ إيّاهم.

---

(١) ص ١١٥
(٢) من س فقط
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) [الحديد: ١٣]
(٥) ص ١١٥ب
(٦) [الشعراء: ٩٤]

وَصْلٌ(١)

(الكلام على "ذلك الكتاب")

فنقول: فقوله (تعالى): ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾(٢) بعد قوله: ﴿الٓمٓ﴾ إشـــارة إلى موجود، بيد أنّ فيه بُعْدا. وسبب البُعد لَمّا أشار إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ وهو المفروق، محلّ التفصيل. وأدخل حرف اللام في ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام. والإشـــارة: نداءٌ على رأس البعد عند أهل الله. ولأنّها -أعني اللام- من العالَم الوسط، فهي محلُّ الصفة؛ إذ بالصفة يتميّز المحدَث من القديم. وخَصَّ خطابَ المفرد بالكاف مفردة؛ لئلّا يقع الاشتراك بين المبدَعات. وقد(٣) أشبعنا القول في هذا الفصـــل عندما تكلّمنا على قوله -تعالى-: ﴿ٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾(٤) من كتاب "الجمع والتفصـــيل" أي: اخلع اللام والميم؛ تبق الألف المنزّهة عن الصفات.

ثمّ حال بين الذال، الذي هو الكتاب: محلُّ الفرق الثاني، وبين اللام، التي هي الصفة: محلّ الفرق الأوّل، التي بها يُقْرأ الكتاب، بالألف: التي هي محلّ الجمع؛ لئلّا يَتَوَهَّمَ الفرقُ الخطابَ مِن فَرْقٍ آخر، فلا يبلغ إلى حقيقة أبدا. ففصل بالألف بينهما؛ فصار حجابا بين الذال واللام. فأرادت الذال الوصـول إلى اللام، فقام لها الألف، فقال: بي تصِـل. وأرادت اللام ملاقاة الذال، لتؤدّي إليها أمانتها، فتعرَّض لها، أيضا، الألف، فقال لها: بي تلقاه.

فَمَهْمَا نظرتَ الوجود، جمعا وتفصـــيلا، وجدتَ التوحيد يصـــحبه؛ لا يفارقه أَلْبَتَّة، صحبة الواحدِ الأعدادَ. فإنّ الاثنين لا توجد أبدا ما لم تُضِـف إلى الواحد مثلَه، وهو الاثنين. ولا تصـحّ الثلاثة ما لم تزد واحدا على الاثنين. وهكذا إلى ما لا يتناهى. فالواحد ليس العدد، وهو عين العدد؛ أي به ظهر العدد.

فالعدد كلّه واحد. لو نقص من الأَلْفِ واحدٌ؛ انعدم اسم الألف وحقيقته، وبقيتْ(٥) حقيقة أخرى، وهي تسـعمائة وتسـعة وتسـعون. (وهي أيضـا) لو نقص منها واحد؛ لذهب عينُها. فمتى انعدم الواحد من شيءٍ؛ عُدِم، ومتى ثبتَ؛ وُجِدَ ذلك الشيـء. هكذا التوحيد إنْ حقّقته ﴿وَهُوَ

---

(١) "فنقول وصل" مكتوبة في ق: "وصل: فنقول"
(٢) [البقرة: ٢]
(٣) ص ١١٦
(٤) [طه: ١٢]
(٥) ص ١١٦ب

مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾(١).

فقال (تعالى): ﴿ذَا﴾(٢) وهو حرف مبهَم. فبيّن ذلك المبهَم بقوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ وهو حقيقة ذا. وساق "الكتاب" بحرفي التعريف والعهد، وهما الألف واللام من ﴿الٓمٓ﴾. غير أنهما، هنا، من غير الوجه الذي كانتا عليه في ﴿الٓمٓ﴾. فإنّهما هناك في محلّ الجمع، وهما هنا في أوّل باب من أبواب التفصيل؛ ولكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة، لا في غيرها من السور. هكذا ترتيب الحقائق في الوجود.

فـ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾(٣) هو الكتاب المرقوم. لأنّ أمّهات الكتب ثلاثة: الكتاب المسطور، والكتاب المرقوم، والكتاب المجهول (=المكنون). وقد شرحنا معنى "الكتاب" و"الكاتب" في كتاب "التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة" في الباب التاسع منه، فانظره هناك.

فنقول: إنّ الذوات، وإن اتّحد معناها، فلا بدّ من معنى به يُفرَّق بين الذاتين، يسمّى الوصف. فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم، والكتاب المسطور موصوف(٤) بالتسطير، وهذا الكتاب المجهول، الذي سلب عنه الصفة، لا يخلو من أحد وجهين: إمّا أن يكون صفة ولذلك لا يوصف، وإمّا أن يكون ذاتا غير موصوفة. والكشف يعطي أنّه صفة تسمّى: العِلم، وقلوبُ كلمات الحقّ مَحلُّه.

ألا تراه (تعالى) يقول: ﴿الٓمٓ. تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾(٥) قل(٦): ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾(٧) فخاطب الكاف من ذلك بصفة العلم، الذي هو اللام المخفوضة بالنزول؛ لأنّه يتنزّه عن أن تُدْرَك ذاتُه. فقال للكاف، التي هي الكلمة الإلهيّة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾(٨) المنزل عليك، هو علمي لا عِلمك ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾(٩) عند أهل الحقائق، أُنزله في معرض الهداية لمن اتّقاني، وأنت المنزل فأنت محلّه.

ولا بدّ لكلّ كتاب من أُمّ، وأُمّه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ المجهول؛ لا تعرفه أبدا؛ لأنّه ليس بصفة لك، ولا لأحد، ولا ذات. وإن شئت أن تحقّق هذا؛ فانظر إلى كيفيّة حصول العِلم في العالِم، أو

(١) [الحديد: ٤]
(٢) [البقرة: ٢]
(٣) [البقرة: ٢]
(٤) ص ١١٧
(٥) [السجدة: ١، ٢]
(٦) ربما أراد الاستشهاد بالآية الكريمة: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ...﴾ [الفرقان: ٦]
(٧) [النساء: ١٦٦]
(٨) [البقرة: ٢]
(٩) [البقرة: ٢]

حصول صورة المرئيّ في الرائي: فليست (هي) وليس غيرها.

فانظر إلى درجات حروف ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، ومنازلها على حسب ما نذكره، بعد الكلام الذي نحن بصدده. وتدبَّر ما بثثته لك. وحُلّ عقدة "لام الألف" من ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ تصِرْ[2] أَلِفان. لأنّ تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون ﴿المتَّقِين﴾، وذلك لتأخّر[3] الألف عن اللام من اسمه الآخِر؛ وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه، في قوله ﷺ: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه».

فقدَّم معرفة اللام على معرفة الألِف، فصارت دليلا عليه. ولم يمتزجا حتى يصيرا ذاتا واحدة، بل بانَ كلٌّ واحد منهما بذاته؛ ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول، ولكن وجه الدليل هو الرابط، وهو موضع اتّصال اللام بالألف.

فاضرب الألِفين "اا"[4] أحدهما في الآخر؛ يصحّ لك في الخارج ألفٌ واحدة آ، وهذا حقيقة الاتّصال. كذلك اضرب المحدَث في القديم حسًّا؛ يصحّ لك في الخارج المحدَث، ويَخْفَ[5] القديم بخروجه، وهذا حقيقة الاتّصال والاتّحاد. ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾[6] وهذا نقيض إشارة الجنيد في قوله للعاطس: "إنّ المحدَث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر" لاختلاف المقام.

ألا ترى كيف اتّصل لام الألف من ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ من الكرسيّ فبدت ذاتان؛ "لآ"، جُهِلَ سرّ العقد بينهما، ثمّ فَصَلَهما العرش عند الرجوع إليه والوصول، فصارت على هذا الشكل "آل". فظهرت اللام بحقيقتها؛ لأنّه لم يقم بها (في) مقام الاتّصال والاتّحاد مَن يَردّها على صورته.

فأخرجنا نصف الدائرة من اللام، التي خَفِيَتْ في لام الألف، إلى عالَم التركيب[7] والحسّ، فبقيت أَلِفان: اآ، في الفَرق. فضربنا الواحد في الواحد، وهو ضرب الشيء في نفسه، فصار واحدا: آ. فلَبِس الواحدُ الآخرَ؛ فكان الواحد رداء، وهو الذي ظهر، وهو الخليفة المبدَع -بفتح الدال- وكان الآخَر مرتدِيا، وهو الذي خفي؛ وهو القديم المبدِع. فلا يَعرف المرتديَ إلّا باطنُ الرداء،

(١) [البقرة: ٢]
(٢) ق، س، ه: تصير
(٣) ص ١١٧ب
(٤) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٥) ق، س: ويخفى
(٦) [البقرة: ٣٠]
(٧) ص ١١٨

وهو الجمع. ويصير الرداءُ على شكل المرتدِي. فإن قلت: واحدٌ، صدقتَ. وإن قلت: ذاتان، صدقتَ؛ عينا وكشفا. ولله درّ من قال(١):

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ(٢) الخَمْرُ   فَتَشَاكَلا فَتَشَابَهَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ   وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وأمّا ظاهر الرداء، فلا يَعرف المرتدي أبدا؛ وإنما يعرف باطن ذاته، وهو حجابه. فكذلك لا يَعلم الحقَّ إلّا العلمُ، كما لا يحمده على الحقيقة إلّا الحمدُ. وأمّا أنت، فتعلمه بوساطة العلم، وهو حِجابُك. فإنّك ما تشاهد إلّا العلمَ القائم بك، وإن كان مطابقا للمعلوم. وعِلمك قائم بك، وهو مشهودك ومعبودك. فإيّاك أن تقول، إن جريتَ على أسلوب الحقائق: إنّك علمتَ المعلوم؛ وإنما علمتَ العِلم. والعلمُ هو(٣) العالِم بالمعلوم. وبين العِلم والمعلوم بحور لا يُدْرَك قعرُها. فإنّ سرّ التعلّق بينهما، مع تباين الحقائق، بحر عسيرٌ مَرْكَبُه، بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الإشارة. ولكن يدركه الكشف، من خلف حجب كثيرة دقيقة، لا يُحَسُّ بها أنّها على عين بصيرته لِرِقَّتِها، وهي عسيرة المدارك، فأحرى مَن خَلَقها.

فانظر أين هو مَن يقول: "إنِّي علمتُ الشيء"؛ مَن ذلك الشيء؛ محدَثا كان أو قديما؟ بل ذلك في المحدَث، وأمّا القديم فأبعدُ وأبعدُ؛ إذ لا مِثل له. فمن أين يُتَوصَّل إلى العلم به؟ أو كيف يحصل؟ وسيأتي الكلام على هذه المسألة السَنِيّة، في الفصل الثالث من هذا الباب.

فلا يَعرف ظاهرُ الرداء المرتديَ إلّا من حيث الوجود، بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء. ثمّ يزول ويرجع. لأنّها معرفة علّة، لا معرفة جذب. وهذه رؤية أصحاب الجنّة في الآخرة. وهو تجلٍّ في وقت دون وقت. وسيأتي الكلام عليه في باب الجنّة، من هذا الكتاب. وهذا هو مقام التفرقة. وأمّا أهل الحقائق، (أهل) باطن الرداء، فلا يزالون مشاهِدين أبدا. ومع كونهم مشاهِدين؛

---

(١) القائل هو الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ / ٩٣٨ - ٩٩٥ م) إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس أبو القاسم الطالقاني. وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علمًا وفضلًا وتدبيرًا وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه. فكان يدعوه بذلك. كما لقب ب(كافي الكفاة). ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها. له تصانيف جليلة، وشعر فيه رقة وعذوبة، وتواقيعه آية الإبداع في الإنشاء له معرفة وإلمام بالتفسير والحديث واللغة والتاريخ. قال الصاحب بن عباد: أشتهي أن أزور بغداد فأشاهد جرأة محمد بن عمر العلوي، وتنسك أبي أحمد الموسوي، وظرف أبي محمد بن معروف. له: (المحيط - خ) سبع مجلدات في اللغة، وكتاب (الوزراء)، و(الكشف عن مساوئ شعر المتنبي-ط)، و(الإقناع في العروض وتخريج القوافي-خ)، و(عنوان المعارف وذكر الخلائف-خ) رسالة. (الموسوعة الشعرية)

(٢) س: فرقت

(٣) ص ١١٨ب

فظاهرهم في كرسيّ الصفات: يَنعم بموادّ بَشَرة الباطن نعيمَ اتّصال.

وانظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ[1]، ولم يكن فاعلا ولا مفعولا لم يُسَمَّ فاعلُه. لأنّه لا يصحّ أن يكون فاعلا، لقوله: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ فلو كان فاعلا لَوَقَعَ الريب؛ لأنّ الفاعل إنما هو مُنْزِله لا هو؛ فكيف يُنسب إليه ما ليس بصفته؟ لأنّ مقام الذال، أيضا، يمنع ذلك: فإنّه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها. ولهذا لا يتّصل بالحروف إذا تقدَّم عليها، كالألف وإخوانه: الدال، والراء، والزاي، والواو.

ولا نقول فيه أيضا: مفعول لم يُسَمَّ فاعلُه. لأنّه من ضرورته أن يتقدَّمه كلمةٌ على بِنية مخصوصة، محلّها النحو. و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ هنا، نفسُ الفعل، والفعل لا يقال فيه: فاعل ولا مفعول. وهو (=لفظ ذلك) مرفوع، فلم يبق إلّا أن يكون مبتدأ، ومعنى مبتدأ: لم يُعْرَف غيره من أوّل وهلة ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[2].

فإن قيل: من ضرورة كلّ مبتدأ أن يعمل فيه ابتداء. قلنا: نَعم، عمل فيه "أمُّ الكتاب" فهي الابتداء العاملة في "الكتاب"، والعامل في الكلّ، حقّا وخلقا: اللهُ الربُّ. ولهذا نبّه الله -تبارك وتعالى- بقوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ فشرَّك ثمّ قال: ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[3] فوحَّد. فالشكر من مقام التفرقة.

فكذلك ينبغي لك أن تشكر الرداء لَمّا كان سببا موصلا إلى المرتدي. والمصيرُ، من الرداء ومنك، إلى المرتدي. كلٌّ على شاكلته يصل. فتفهَّمْ ما[4] قلناه. وفرِّق بين مقام الذال والألف، وإن اشتركا في مقام الوحدانيّة المقدّسة، قَبْلِيَّةً: حالا ومقاما، وبَعْدِيّة: مقاما لا حالا.

(١) ص ١١٩
(٢) [الأعراف: ١٧٢]
(٣) [لقمان: ١٤]
(٤) ص ١١٩ب

تَنْبِيْهٌ

(الجمع والتفرقة، والتذكير والتأنيث)

قال (تعالى): ﴿ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: "تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ". فالكتاب للجمع، والآيات للتفرقة. و﴿ذَٰلِكَ﴾ مذكّر مفرد، و"تلك" مفرد مؤنّث. فأشار -تعالى- بـ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أوّلا؛ لوجود الجمع أصلا قبل الفَرْق، ثمّ أوجد الفرق في الآيات، كما جمع العدد كلّه في "الواحد" كما قدّمناه. فإذا أسقطناه؛ انعدمتْ حقيقة ذلك العدد، وما بقي للألف أثر في الوجود. وإذا أبرزناه؛ برزتِ الألف في الوجود. فانظر إلى هذه القوّة العجيبة، التي أعطتها حقيقةُ الواحد، الذي منه ظهرتْ هذه الكثرة إلى ما لا يتناهى. وهو فردٌ في نفسه، ذاتا واسما.

ثمّ أوجد الفَرق في الآيات قال -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[1] ثمّ قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2] فبدأ بالجمع الذي هو كلّ شيء. قال -تعالى-: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. ﴿فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ (إشارة إلى) مقام الفرق، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ إشارة إلى الجمع، ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ ردًّا إلى الفرق، ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3] ردًّا إلى الجمع.

فكلّ موجود، أيّ موجود كان عموما، لا يخلو أن يكون إمّا في عين الجمع، أو[4] في عين الفرق لا غير. ولا سـبيل أن يَعْرى عن هاتين الحقيقتين موجود، ولا (أن) يجمعها أبدا. فالحقّ والإنسـان في عين الجمع، والعالَم في عين التفرقة لا يجتمع. كما لا يفترق الحقّ أبدا؛ كما لا يفترق الإنسان.

فالله -سبحانه- لم يزل في أزله، بذاته وصفاته وأسمائه؛ لم يتجدَّد عليه حال، ولا ثبت له وصـف، من خلق العالَم، لم يكن قبل ذلك عليه. بل هو الآن على ما كان عليه، قبل وجود الكون. كما وصـفه ﷺ، حين قال: «كان الله ولا شيء معه»[5] وزِيد في قوله: "وهو الآن على ما عليه كان". فاندرج في الحديث ما لم يقله ﷺ.

ومقصودهم: أي الصفة التي وجبتْ له، قبل وجود العالَم، هو عليها والعالَم موجود. وهكذا

---

(١) [الدخان: ٣]
(٢) [الدخان: ٤]
(٣) [الأعراف: ١٤٥]
(٤) ص ١٢٠
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٢٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٤٩٠٤

هي الحقائق، عند من أراد أن يقف عليها.

فالتذكير في الأصـــل، وهو آدم، قوله (تعالى): ﴿ذَٰلِكَ﴾، والتأنيث في الفرع، وهو حوّاء، قوله: ﴿تِلۡكَ﴾. وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتاب "الجمع والتفصيل" الذي صنّفناه في معرفة أسرار التنزيل. فآدم؛ لجميع الصــفات، وحوّاء؛ لتفريق الذوات؛ إذ هي محلّ الفِعل والبذر. وكذلك "الآيات" (هي) محلّ الأحكام والقضـايا. وقد جمع الله -تعالى- معنى "ذلك" و"تلك" في قوله -تعالى-: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾(١).

فحروف(٢) "ألم" رقما؛ ثلاثة؛ وهو جماع عالَمها. فإنّ فيها الهمزة وهي من العالَم الأعلى، واللام وهي من العالَم الوسط، والميم وهي من العالَم الأسفل. فقد جمع ﴿الٓمٓ﴾ البرزخ والدارين، والرابط والحقيقتين. وهي على النصـــف من حروف لفظه من غير تكرار، وعلى الثلاث بغير تكرار. وكلّ واحد منها ثُلُث كلِّ ثلاث. وهذه كلّها أسرار، تتبّعناها في كتاب: "المبادي والغايات" وفي كتاب "الجمع والتفصيل".

فليكفِ هذا القدر من الكلام على "ألم" البقرة في هذا الباب، بعد ما رغبنا في ترك تقييد ما تجلّى لنا في "الكتاب" و"الكاتب". فلقد تجلّتْ لنا فيه أمور جسام مهولة، رمينا الكرّاسة من أيدينا عند تجلّيها، وفررنا إلى العالَم، حتى خفّ عنّا ذلك. وحينئذ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلّي. وقُبِلَت الرغبةُ فيه، ومُسِـــكَ علينا. ورجعنا إلى الكلام على الحروف، حرفا حرفا، كما شرطناه أوّلًا في هذا الباب، رغبة في الإيجاز والاختصـــار. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(٣).

انتهى الجزء الخامس، والحمد لله ربّ العالَمين(٤).

---

(١) [ص: ٢٠]
(٢) ص ١٢٠ب
(٣) [الأحزاب: ٤]
(٤) وخلف الصفحة أثبتت السماعات التالية: ١- بخط مخالف لأصل المتن: "سمع جميع هذا الجزء الخامس والرابع قبله، على مصنفها الإمام العالِم العلامة محيي الدين شرف الإسـلام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي – أبقاه الله – بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، ويعقوب بن معاذ الوربي، وعبد الله بن محمد الأندلسي الواعظ، وأبو بكر بن محمد بن محمد بن أبي بكر البلخي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج – الحنفيون-، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم- يعرف بابن زرافة-، وأبو إسحق إبراهيم بن محمد الأنصاري القرطبي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع الدمشقي، وأبو المعالي محمد، وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، وعلي بن أبي الغنائم العسال، وعيسى بن إسحق الهذباني، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم المرصفي، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، وإبراهيم بن خضر بن يوسف- الدمشقيان-، ويحيى بن إسـماعيل بن محمد الملطي، وأبو الحسـن بن راجح بن عبد الرزاق العرضي، وكاتب السـماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز

الجزء السادس من الفتوح المكي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

(الكلام على الحروف)

فمن ذلك حرف الألف

أَلِفُ الذَّاتِ تَنَزَّهْتَ فَهَلْ ... لَكَ فِي الأَكْوانِ عَيْنٌ وَمَحَلْ ؟
قالَ: لا ، غَيْرُ الْتِفاتِي فَأَنَا ... حَرْفُ تَأْبِيدٍ تَضَمَّنْتُ الأَزَلْ
فأَنا العَبْدُ الضَّعِيْفُ المُجْتَبَى ... وأَنا مَنْ عَزَّ سُلْطانِي وَجَلْ

الألِفُ ليس من الحروف، عند مَن شمّ رائحةً من الحقائق، ولكن قد سمّته العامّة حرفا. فإذا قال المحقِّق: "إنّه حرف" فإنما يقول ذلك على سبيل التجوّز في العبارة. ومقام الألف؛ مقام الجمع. له من الأسماء: اسمه الله، وله من الصفات: القيّوميّة، وله من أسماء الأفعال: المبدي والباعث والواسع والحافظ والخالق والبارئ والمصوّر والوهّاب والرزّاق والفتّاح والباسط والمعِزّ والمعيد والرافع والمحيي والوالي والجامع والمغني والنافع، وله من أسماء الذات: الله والربّ والظاهر والواحد والأوّل والآخر والصمد والغنيّ والرقيب والمبين والحقّ.

وله من الحروف اللفظيّة: الهمزة واللام والفاء، وله من البسائط: الزاي والميم والهاء والفاء واللام والهمزة، وله[٣] من المراتب: كلُّها. وظهوره؛ في المرتبة السادسة، وظاهر سلطانه؛ في النبات، وإخوته في هذه المرتبة: الهاء واللام، وله: مجموع عالَم الحروف ومراتبها؛ ليس فيها ولا

القرشي.- وذلك في حادي عشر- من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف بدمشق.- والحمد لله وحده، وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلامه".

٢- ويلي ذلك بخط الشيخ ابن العربي نفسه: "كمّل هذا السماع الولي في الله تعالى الفقير محيي الدين أبي المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الحسن بن الجباب- أدام الله سعادته: - عليّ وكمل بحمد الله. وكتب منشيه وهو المسمَّع له محمد بن علي بن العربي بخطه في التاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة".

٣- ويلي هذا مباشرة بخط جديد: "سمع من التنبيه إلى هذا الجزء على مصنفها الإمام العالِم العلامة محيي الدين- نفع الله به آمين- محمد بن علي بن محمد المطرز بقراءتي في منزله. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي في رابع ذي القعدة المبارك سنة ثلاث وثلاثين وستمائة".

(١) العنوان ص ١٢١ب

(٢) البسملة ص ١٢٢

(٣) ص ١٢٢ب

خارجا[١] عنها: نقطة الدائرة ومحيطها، ومركّب العوالم وبسيطها.

* * *

ومن ذلك حرف الهمزة

هَمْزَةٌ تَقْطَعُ وَقْتًا وَتصِــلْ كُلَّ ما جاوَرَها مِن مُنْفَصِــلْ
فَهِيَ الدَّهْرُ عَظِيْمٌ قَدْرُها جَلَّ أَنْ يَحْضُـرَهُ ضَرْبَ المَثَلْ

الهمزة من الحروف، التي من عالَم الشـهادة والملكوت. لها من المخارج، أقصى- الحلق. ليس لها مرتبة في العدد. لها من البســائط: الفاء والميم والزاي والألف والياء. لها من العالَم: الملكوت، ولها الفلك الرابع. ودورةُ فلكها تســعة[٢] آلاف ســنة. ولها من المراتب الرابعة والســادســة والسابعة، وظهور سلطانها في الجنّ والنبات والجماد.

ولهـا من الحروف: الهـاء والميم والزاي والهـاء في الوقف والتـاء -بالنقطتين من فوق- في الوصل، والتنوين في القطع. لها من الأسماء ما للألف والواو والياء؛ فأغنى عن التكرار. وتختصّ من أســماء الصــفات: بالقهّار[٣] والقاهر والمقتدر والقويّ والقادر. وطبعها؛ الحرارة واليبوســة، وعنصرها؛ النار. واختلفوا: هل هي حرف، أو نصف حرف في الحروف الرقميّة؟ وأمّا في التلفّظ بها، فلا خلاف أنّها حرف عند الجميع.

* * *

ومن ذلك حرف الهاء

هَاءُ الهُوِيَّةِ كَمْ تُشِــيرُ لِكُلِّ ذِي إِنِيَّــةٍ خَفِيَــتْ لَهُ فِي الظَّـاهِرِ
هَلّا مَحَقْتَ وُجُودَ رَسْمِكَ عِنْدَما تَـبْـدُو لأَوَّلِهِ عُـيُـونُ الآخِـرِ

اعلم أنّ الهاء من حروف الغيب. لها من المخارج: أقصىـ الحلق، ولها من العدد: الخمســة، ولها من البســـائط: الألِف والهمزة واللام والفاء[٤] والميم والزاي، ولها من العالَم: الملكوت. ولها

(١) ق: "خارج"
(٢) ق: تسع
(٣) ص ١٢٣
(٤) ق، هـ: والهاء

الفلك الرابع. وزمان حركة فلكها؛ تسعة[1] آلاف سنة. ولها من الطبقات: الخاصّة وخاصّة الخاصّة، ولها من المراتب: السادسة، وظهور سلطانها في النبات. ويوجد منه بآخرها؛ ما كان حارًّا رطبا، وتحيله بعد ذلك إلى البرودة واليبوسة.

ولها من الحركات: المستقيمة والمعوجّة. وهي من حروف الأعراف، ولها الامتزاج، وهي من الكوامل، وهي من[2] عالَم الانفراد، وطبعها: البرودة واليبس والحرارة والرطوبة، مثل عطارد. وعنصرها الأعظم: التراب، وعنصرها الأقلّ: الهواء. ولها من الحروف: الألف والهمزة، ولها من الأسماء الذاتيّة: الله والأوّل والآخر والماجد والمؤمن والمهيمن والمتكبّر والمبين والأحد والملِك، ولها من أسماء الصفات: المقتدر والمحصي، ولها من أسماء الأفعال: اللطيف والفتّاح والمبدي والمجيب والمقيت والمصوِّر والمذلّ والمعزّ والمعيد والمحيي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والمانع، ولها غاية الطريق.

* * *

ومن ذلك حرف العين المهملة

عَيْنُ العُيُونِ حَقِيْقَةُ الإِيْجَادِ فَانْظُرْ إِلَيْهِ بِمَنْزِلِ الأَشْهادِ
تُبْصِرُهُ يَنْظُرُ نَحْوَ مُوجِدِ ذَاتِهِ نَظَرَ السَّقِيمِ مَحاسِنَ العُوّادِ
لَا يَلْتَفِتْ أَبَدًا لِغَيْرِ إِلَهِهِ يَرْجُو وَيَحْذَرُ شِيْمَةَ العُبَّادِ

اعلم أنّ العين من عالَم الشهادة والملكوت، وله من المخارج: وسط الحلق، وله من عدد الجُمَّل: عقد السبعين، وله من البسائط: الياء والنون والألف والهمزة والواو. وله الفلَك[3] الثاني، وزمان حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. وله من طبقات العالَم: الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وله من المراتب: الخامسة، وظهور سلطانه في البهائم.

ويوجَد عنه كلّ حارّ رطب، وله من الحركات: الأفقيّة، وهي المعوجَّة. وهو من حروف الأعراف. وهو من الحروف الخالصة. وهو كامل. وهو من عالَم الأُنس الثنائيّ، وطبعه: الحرارة

(١) ق: تسعُ
(٢) ص ١٢٣ب
(٣) ص ١٢٤

والرطوبة. وله من الحروف: الياء والنون، وله من الأسماء الذاتيّة: الغنيّ والأوّل والآخِر، وله من أسماء الصفات: القويّ والمحصي- والحيّ، ومن أسماء الأفعال: النصير والنافع والواسع والوهّاب والوالي.

* * *

ومن ذلك حرف الحاء المهملة

حَاءُ الحَوامِيْمِ سِرُّ اللهِ فِي السُّوَرِ ... أَخْفَى حَقِيْقَتَهُ عَنْ رُؤْيَةِ البَشَرِ

فإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْ كَوْنٍ وَعَنْ شَبَحٍ ... فَارْحَلْ إِلَى عالَمِ الأَرْواحِ والصُّوَرِ

وانْظُرْ إِلَى حامِلاتِ العَرْشِ قَدْ نَظَرَتْ ... إِلَى حَقائِقِها جَاءَتْ عَلَى قَدَرِ

تَجِدْ لِحائِكَ سُلْطانًا وَعِزَّتُهُ ... أَنْ لا يُدَانَى وَلَا يَخْشَى- مِنَ الغِيَرِ

اعلم -أيّها الوليّ- أنّ الحاء من عالَم الغيب، وله من المخارج: وسط الحلق، وله من العدد[1]: الثمانية، وله من البسائط: الألف والهمزة واللام والهاء والفاء والميم والزاي، وله من العالَم: الملكوت. وله الفلَك الثاني، وسِنيّ حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. وهو من الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وله من المراتب: السابعة. وظهور سلطانه في الجماد. ويوجد عنه ما كان باردا رطبا. وعنصره: الماء. وله من الحركات: المعوجّة. وهو من حروف الأعراف. وهو خالص غير ممتزج. وهو كامل؛ يرفع من اتّصل به. هو من عالَم الأُنس الثلاثيّ. وطبعه: البرودة والرطوبة، وله من الحروف: الألف والهمزة، وله من أسماء الذات: الله والأوّل والآخر والملِك والمؤمن والمهيمن والمتكبّر والمجيد والمبين والمتعالي والعزيز، وله من أسماء الصفات: المقتدر والمحصي، وله من أسماء الأفعال: اللطيف والفتّاح والمبدي والمجيب والمقيت والمصوِّر والمذلّ والمعزّ والمعيد والمحيي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والمانع. وله بداية الطريق.

(١) ص ١٢٤ب

ومن ذلك حرف الغين المنقوطة

الـغَيْنُ مِـثْـلُ الـعَـيْنِ فِي أَحْـوَالِهِ ... إِلَّا تَجَـلِّـيْـهِ الأَطـمّ الأَخْـطَـرِ
فِي[1] الغَيْنِ أَسْرَارُ التَّجَلِّي الأَقْهَرِ ... فاعْرِفْ حَقِيْقَةَ فَيْضِهِ وتَسَتُّرِ
وانْظُرْ إِلَيْـهِ مِنْ سِـتَـارَةِ كَوْنِـهِ ... حَذَرًا عَلَى الرَّسْمِ الضَّعِيْفِ الأَحْقَرِ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ الغين المنقوطة؛ من عالَم الشهادة والملكوت، ومخرجه؛ الحلق، أدنى ما يكون منه إلى الفم. عدده، عندنا، تسعمائة، وعند أهل الأسرار، وأمّا عند أهل الأنوار، فعدده ألف، كلّ ذلك في حساب الجُمَّل الكبير، وبسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو، وفلكه: الثاني، وسِنيّ فلكه في حركته: إحدى عشرة ألف سنة، يتميّز في طبقة العامّة. مرتبته؛ الخامسة، ظهور سلطانه في البهائم.

طبعه: البرودة والرطوبة، عنصره: الماء. يوجد عنه كلّ ما كان باردا رطبا. حركته معوجّة، له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص، كامل، مثنًّى، مؤنس. له الإفراد الذاتيّ. له من الحروف: الياء والنون، له من الأسماء الذاتيّة: الغنيّ والعليّ والله والأوّل والآخِر والواحد، وله من أسماء الصفات: الحيّ والمحصي والقويّ، وله من أسماء الأفعال: النصير والواقي والواسع[2] والوالي والوكيل. وهو ملكوتيٌّ.

* * *

ومن ذلك حرف الخاء المنقوطة

الخَاءُ مَهْمَا أَقْبَلَتْ أَوْ أَدْبَرَتْ ... أَعْطَتْكَ مَنْ أَسْرَارِها وَتَأَخَّرَتْ
فَعُلُوُّها يَهْوَى الكِيانَ، وسُفْلُها ... يَهْوَى المُكَوِّنَ حِكْمَةً قَدْ أُظهِرَتْ

---

(١) ص ١٢٥
(٢) ص ١٢٥ب

أَبْدَى حَقِيْقَتَهَا مُخَطِّطُ ذَاتِهَا فَتَدَنَّسَتْ وَقْتًا وَثُمَّ تَطَهَّرَتْ
فاعْجَبْ لَهَا مِنْ جَنَّةٍ قَدْ أُزْلِفَتْ فِي سُفْلِهَا وَلَهِيْبِ نَارٍ سُعِّرَتْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ الخاء من عالَم الغيب والملكوت. مخرجه: الحلق، مما يلي الفم، عدده: ستمائة، بسائطه: الألِف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلَكه الثاني، سِنيُّ فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يتميّز في العامّة. مرتبته: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. طبعُ رأسه: البرودةُ واليبوسةُ، والحرارةُ والرطوبة بقيّةُ جسده. عنصره الأعظم: الهواء، والأقلّ: التراب. يوجَد عنه كلّ ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع.

حركته معوجّة، له الأحوال والخُلُق والكرامات. ممتزج، كامل، يَرفع مَن اتّصل به على نفسه، مثلَّث، مؤنس، له علامة. له من الحروف: الهمزة[1] والألف، له من الأسماء الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة: كلُّ ما كان في أوّله زاي أو ميم؛ كالملِك والمقتدر والمعزّ، أو هاء؛ كالهادي، أو فاء؛ كالفتّاح، أو لام؛ كاللطيف، أو همزة؛ كالأوّل.

* * *

ومن ذلك حرف القاف

القافُ سِرُّ كَمَالِهِ فِي رَأْسِهِ وَعُلُومُ أَهْلِ الغربِ[2] مَبْدَأُ قُطْرِهِ
والشّرقُ يَثْنِيْهِ وَيَجْعَلُ غَيْبَهُ فِي شَطْرِهِ وَشُهُودَهُ فِي شَطْرِهِ
وانْظُرْ إِلَى تَعْرِيْقِهِ كَهِلَالِهِ وانْظُرْ إِلَى شَكْلِ الرُّؤَيْسِ كَبَدْرِهِ
عَجَبًا لآخِرِ نَشْأَةٍ هُوَ مَبْدَأٌ لِوُجُودِ مَبْدَئِهِ وَمَبْدَأَ عَصْرِهِ

اعلم -أيّدنا الله- أنّ القاف من عالَم الشهادة والجبروت، مخرجه من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك. عدده: مائة، بسائطه: الألف والفاء والهمزة واللام. فلَكه: الثاني، سِنيّ حركة فلَكه: إحدى عشرة ألف سنة. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. مرتبته: الرابعة، ظهور سلطانه في الجنّ. طبعه: الأمّهات الأُوَل، آخِره: حارّ يابس، وسائره: بارد رطب.

(١) ص ١٢٦
(٢) ق، هـ: العُرب

عنصره: الماء والنار، يوجد عنه: الإنسان والعنقاء[١]، له الأحوال. حركته: ممتزجة. ممتزج. مؤنس. مثنّى. علامته: مشتركة. له من الحروف: الألف والفاء، وله من الأسماء على مراتبها: كلُّ اسم في أوّله حرف من حروف بسائطه. له الذات عند أهل الأسرار، وعند أهل الأنوار (له) الذات والصفات.

* * *

ومن ذلك حرف الكاف

كافُ الرَّجَاءِ يُشَاهِدُ الإِجْلالا مِنْ كافِ خَوْفٍ شَاهَدَ الإفْضَالا
فانْظُرْ إِلَى قَبْضٍ وَبَسْطٍ فِيْهِمَا يُعْطِيْكَ ذَا صَـدًّا وَذَاكَ وِصَـالا
اللهُ قَـدْ جَـلَّى لِذا إِجْـلَالَهُ وَلِذَاكَ جَلَّى مِنْ سَـنَاهُ جَمَالا

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ الكاف من عالَم الغيب والجبروت. له من المخارج: مخرج القاف - وقد ذُكِر- إلّا أنّه أسفل منه. عدده: عشرون، بسائطه: الألف والفاء والهمزة واللام. له: الفلك الثاني، حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. مرتبته: الرابعة. ظهور سلطانه في الجنّ. يوجد عنه كلّ ما كان حارًّا يابسا. عنصره النار. طبعه: الحرارة واليبوسة.

مقامه: البداية، حركته: ممتزجة. هو من الأعراف. خالص. كامل. يرفع من اتّصل به عند أهل الأنوار، ولا يرفع عند أهل الأسرار. مفرد. موحش[٢]. له من الحروف؛ ما للقاف، وله من الأسماء: كلّ اسم في أوّله حرف من حروف بسائطه وحروفه.

(١) ص ١٢٦ب
(٢) ص ١٢٧

ومن ذلك حرف الضاد المعجمة

فِي الضَّادِ سِرٌّ لَوْ أَبُوحُ بذِكْرِهِ ... لَرَأَيْتَ سِرَّ اللهِ فِي جَبَرُوتِـهِ
فـانْظُرْ إِلَيْـهِ وَاحِـدًا وَكَمَالُهُ ... مِنْ غَيْرِهِ فِي حَضْـرَتَي رَحَمُوتِهِ
وإِمـامُـهُ اللَّفْظُ الَّذِي بِوُجُودِهِ ... أَسْرَى بِهِ الرَّحمنُ مِنْ مَلَكُوتِهِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ الضاد المعجمة؛ من حروف الشهادة والجبروت. ومخرجه؛ من أوّل حافة اللسان، وما يليها من الأضراس. عدده: تسعون، عندنا، وعند أهل الأنوار: ثمانمائة. بسائطه: الألف والدال اليابسة والهمزة واللام والفاء. فلكه: الثاني، حركة فلكه: إحدى عشرة ألف سنة. يتميّز في العامّة. له وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. ظهور سلطانه في البهائم. طبعه: البرودة والرطوبة. عنصره: الماء. يوجد عنه ما كان باردا رطبا. حركته ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مثنّى. مؤنس. علامته: الفردانيّة. له من الحروف: الألِف والدال، ومن الأسماء، كما أعلمناك في الحرف الذي قبله، رغبة في الاختصار. والله[1] المعين الهادي.

* * *

ومن ذلك حرف الجيم

الجِيْمُ يَرْفَعُ مَنْ يُرِيْدُ وِصَـــالَهُ ... لِمَشاهِدِ الأَبْرَارِ والأَخْيارِ
فَهُوَ العُبَيْـدُ القِنُّ إِلّا أَنَّـهُ ... مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَـةِ الإِيْثَـارِ
يَرْنُو بِغـايَتِـهِ إِلَى مَعْبُودِهِ ... وِبِبُدْئِهِ يَمْشِي عَلَى الآثارِ
هُوَ مِنْ ثَلاثِ حَقَائِقٍ مَعْلُومَةٍ ... ومِزاجُـهُ بَرْدٌ ولَفْحُ النَّـارِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك- أنّ الجيم من عالَم الشهادة والجبروت. ومخرجه؛ من وسط اللسان،

---

(١) ص ١٢٧ب

بينه وبين الحنك. عدده: ثلاثة، بسائطه: الياء والميم والألف والهمزة. فلَكه: الثاني. سِنِيُّهُ: إحدى عشرة ألف سنة. يتميّز في العامّة. له وسط الطريق.

مرتبته: الرابعة. ظهور سلطانه في الجنّ. جسده: بارد يابس، رأسه: حارّ يابس. طبعه: البرودة والحرارة واليبوسة. عنصره الأعظم: التراب، والأقلّ: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: معوجّة.

له الحقائق والمقامات والمنازلات. ممتزج. كامل. يرفع مَن اتّصل به عند أهل الأنوار والأسرار، إلّا الكوفيّون. مثلّث[1]. مؤنس. علامته الفردانيّة. له من الحروف: الياء والميم، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث

فِي الشِّيْنِ سَبْعَةُ أَسْرَارٍ لِمَنْ عَقَلا ... وَكُلُّ مَنْ نَالَهَا يَوْمًا فَقَدْ وَصَلا

تُعْطِيْكَ ذَاتَكَ والأَجْسَامُ ساكِنَةٌ ... إِذا الأَمِيْنُ عَلَى قَلْبٍ بِهَا نَزَلا

لَوْ عَايَنَ النَّاسُ ما تَحْوِيْهِ مِنْ عَجَبٍ ... رَأَوْا هِلالَ مُحَاقِ الشَّهْرِ قَدْ كَمُلا

اعلم -أيّدنا الله نطقا وفهما- أنّ الشين من عالَم الغيب والجبروت، الأوسط منه. مخرجُهُ مخرجُ الجيم. عدده، عندنا، ألف، وعند أهل الأنوار: ثلاثمائة[2]. بسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو. فلكه الثاني، سنيّ هذا الفلك قد تقدّم ذِكْرُها. يتميّز في العامّة. له وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: بارد رطب، عنصره: الماء. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته ممتزجة. كامل. خالص. مثنًّى. مؤنِسٌ. له الذات والصفات والأفعال. له من الحروف: الياء والنون، ومن الأسماء؛ على نحو ما تقدّم. له الخُلُق والأحوال والكرامات.

---

(١) ص ١٢٨

(٢) كانت في ق: "ألف" ومسحت، وصححت في الهامش بقلم آخر: "ثلاثمائة"

ومن ذلك حرف الياء

يَاءُ[1] الرِّسَـــالَةِ حَرْفٌ فِي الثَّرَى ظَهَرا   كالوَاوِ فِي العَـالَمِ العُلْوِيّ مُعتَمِرَا
فَهْوَ المُمِـدُّ جُسُـــومًا ما لَهَا ظُلَـلٌ   وَهُوَ المُمِدُّ قُلُوبًا عانَقَتْ صُـــوَرَا
إذا أَرَادَ يُـنـاجِـيْـكُمْ بِحِـكْمَـتِـهِ   يَتْلُو فَيَسْمَعُ سِرُّ الأَحْرُفِ السُّوَرا

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك بروح منه- أنّ الياء من عالَم الشهادة والجبروت. مخرجه؛ مخرج الشين. عدده: العشرة؛ للأفلاك الاثني عشر، وواحد للأفلاك السبعة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الثاني، سِنِيُّهُ قد ذُكِرَتْ.

يتميّز في الخاصة وخاصة الخاصة. له الغاية، والمرتبة: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. طبعه: الأمّهات الأُوَل، عنصره الأعظم: النار، والأقلّ: الماء. يوجد عنه؛ الحيوان. حركته: ممتزجة. له الحقائق والمقامات والمنازَلات. ممتزج. كامل. رباعيّ. مؤنس. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف اللام

اللّامُ لِلْأَزَلِ الســَّنِيِّ الأَقْدَسِ   وَمَقَـامِـهِ الأَعْلَى البَهِيّ الأَنْفَسِ
مَهْمَـا يَقُمْ تُبْـدِي المُكَوِّنَ ذَاتُـهُ   والعَـالَمَ الكَوْنِيِّ مَهمَـا يَجْلِسِ
يُعْطِيْكَ رُوْحًا مِنْ ثَلاثِ حَقائِقٍ   يَمْشِي وَيَرْفُلُ فِي ثِياب السُّـنْدِسِ

اعلم[2] -أيّدنا الله وإيّاك بروح القدس- أنّ اللام من عالَم الشهادة والجبروت. مخرجه؛ من حافة اللسان، أدناها إلى منتهى طرفه. عدده، في الاثني عشر فلكا: ثلاثون، وفي الأفلاك السبعة: ثلاثة. بسائطه: الألف والميم والهمزة والفاء والياء. فلكه الثاني، سِنِيُّهُ؛ تقدّمَتْ. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. له؛ الغاية. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة والبرودة واليبوسة.

(١) ص ١٢٨ب
(٢) ص ١٢٩

عنصره الأعظم: النار، والأقلّ: التراب. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته: مستقيمة وممتزجة. له الأعراف. ممتزج. كامل. مفرد. موحش. له من الحروف: الألف والميم، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الراء

رَاءُ المَحَبَّةِ فِي مَقَامِ وِصَــــالِهِ　　أَبَـدًا بِـدَارِ نَعِيْمِـهِ لَنْ يُخْـذَلا
وَقْتًا يَقُولُ: أَنَا الوَحِيدُ فَلَا أَرَى　　غَيْرِي، وَوَقْتًا: يَا أَنَا لَنْ تُجْهَلا
لَوْ كانَ قَلْبُكَ عِنْدَ رَبِّكَ هَكَذَا　　كُنْتَ المُقَرَّبَ والحَبِيْبَ الأَكْمَلا

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك بروح منه- أنّ الراء من عالَم الشهادة والجبروت. ومخرجها؛ من ظهر اللسان، وفوق الثنايا. عدده، في الاثني عشر فلَكا، مائتان، وفي[1] الأفلاك السبعة: اثنان. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه الثاني، سِنيّ فلكه معلومة. له الغاية، مرتبته: السابعة. ظهور سلطانه في الجماد. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الأعراف. خالص. ناقص. مقدّس. مثنًّى. مؤنس. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف النون

نُونُ الوُجُودِ تَـدُلُّ نُقْطَـةُ ذَاتِهـا　　فِي عَيْنِها عَيْنًا عَلَى مَعْبُودِهـا
فَوُجُودُهــا مِنْ جُوْدِهِ وَيَمِينِـهِ　　وَجَمِيْعُ أَكْوانِ العُلَى مِنْ جُوْدِها
فانْظُرْ بِعَيْنِكَ نِصْفَ عَيْنِ وُجُودِها　　مِنْ جُودِها تَعْثُرْ عَلَى مَفْقُودِها

اعلم -أيّد الله القلوبَ بالأرواح- أنّ النون من عالَم الملك والجبروت. مخرجه؛ من حافة اللســان، وفويق الثنايا. عدده: خمســون وخمسـة. بسـائطه: الواو والألف. فلَكه: الثاني، سِـنيّ

(١) ص ١٢٩ب

حركته قد ذُكِرتْ. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، له غاية الطريق.

مرتبته: المرتبة المنزّهة الثانية. ظهور سلطانه في الحضرة الإلهيّة. طبعه: البرودة واليبوسة، عنصره[1]: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص. ناقص. مفرد. موحِش. له الذات. له من الحروف: الواو، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الطاء المهملة

فِي الطَّـاءِ خَمْسَـــةُ أَسْرَارٍ مُخَبَّـأَةٍ ... مِنْهَـا حَقِيْقَـةُ عَيْنِ الْمُلْكِ فِي المَلِكِ

والحَقُّ فِي الخَلْقِ والأَسْرَارُ نَائِبَـةٌ[2] ... والنُّورُ فِي النّارِ والإِنْسانُ فِي المَلَكِ

فَهَـذِهِ خَمْسَـــةٌ مَهْمَـا كَلِفْـتَ بِهـا ... عَلِمْـتَ أَنَّ وُجُودَ الفُلْكَ فِي الفَلَكِ

اعلم -أيّدنا الله به- أنّ الطاء من عالَم المُلك والجبروت. مخرجه؛ من طرف اللسان وأصول الثنايا. عدده: تسعة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والميم والزاي والهاء. فلكه: الثاني، سِنِيُّهُ مذكورة. يتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة. وله؛ غاية الطريق. مرتبته: السابعة. سلطانه؛ في الجماد. طبعه: البرودة والرطوبة. عنصره: الماء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: مستقيمة عند أهل الأنوار، ومعوجّة عند أهل الأسرار وعند أهل التحقيق وعندنا معًا، وممتزجة. له؛ الأعراف. خالص. كامل. مثنّى. مؤنس. له من الحروف: الألِف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

(١) ص ١٣٠

(٢) س: "ثابتة"، هـ: "نائبة" وربما قرئت: "تائية" في ق

ومن[1] ذلك حرف الدال المهملة

الدَّالُ مِنْ عَالَمِ الكَوْنِ الذِي انْتَقَلا عَنِ الكِيانِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
عَزَّتْ حَقائِقُهُ عَنْ كُلِّ ذِي بَصَرٍ سُبْحَانَهُ جَلَّ أَنْ يَحْظَى بِهِ بَشَرُ
فِيْهِ الدَّوامُ فَجُودُ الحَقِّ مَنْزِلُهُ فِيْهِ المَثَانِي فَفِيْهِ الآيُ والسُّوَرُ

اعلم -أيّدنا الله بأسمائه- أنّ[2] الدال من عالَم المُلك والجبروت، مخرجه مخرج الطاء. عدده: أربعة. بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والميم. فلكه: الأوّل، سِنيّ حركته: اثنتا عشرة ألف سنة. له غاية الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه؛ في البهائم. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة بين أهل الأنوار والأسرار. له الأعراف. خالص. ناقص. مقدَّس. مثنّى. مؤنس. له من الحروف: الألف واللام، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف التاء -باثنتين من فوق-

التَّاءُ يَظْهَرُ أَحْيانًا وَيَسْتَتِرُ فَحَظُّهُ مِنْ وُجودِ القَوْمِ تَلْوِينُ
تَحْوِي عَلَى الذَّاتِ والأَوْصافِ حَضْرَتُهُ وَما لَهُ فِي جنابِ الفِعْلِ تَمْكِينُ
يَبْدُو فَيُظْهِرُ مِنْ أَسْرَارِهِ عَجَبًا وَمُلْكُهُ اللَّوحُ والأَقْلامُ والنُّونُ
"اللَّيْلُ"[3] و"الشَّمْسُ" و"الأَعْلَى" و"طَارِقُهُ"
فِي ذَاتِهِ و"الضُّحَى" والشَّرْحُ" و"التِّيْنُ"[4]

اعلم -أيّها الوليّ الحميم- أنّ التاء من عالَم الغيب والجبروت. مخرجه مخرج الدال والطاء. عدده: أربعة وأربعمائة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأوّل، سِنِيُّهُ قد ذُكِرَتْ. يتميّز في خاصة الخاصة. مرتبته: السابعة. سلطانه في الجماد. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يُشاكل طبعه. حركته ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات.

(١) ص ١٣٠ب
(٢) ثابتة في الهامش بخط الأصل.
(٣) ص ١٣١
(٤) ما بين الأقواس الصغيرة أسماء سور قرآنية.

خالص. كامل. رباعيّ. مؤنِس. له الذات والصفات. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الصاد اليابسة

فِي الصَّادِ نُورٌ لِقَلْبٍ بَاتَ يَرْقُبُهُ   عِنْدَ الَمَنَامِ وَسِتْرُ السُّهْدِ يَحْجُبُهُ
فَنَمْ فـإِنَّـكَ تَلْقَى نُوْرَ سَجْـدَتِـهِ   يُنِيْرُ صَــدْرَكَ والأَسْرَارُ تَرْقُبُهُ
فَذَلِكَ النُّورُ نُوْرُ الشُّـكْرِ فَارْتَقِبِ المَشْـكُورَ فَهْوَ عَلَى العَاداتِ يُعْقِبُهُ

اعلم -أيّها الصفيّ الكريم- أنّ الصاد من عالَم الغيب والجبروت. مخرجه مما بين طرف اللسان(١) وفويق الثنايا السفلى. عدده: ستون عندنا، وتسعون عند أهل الأنوار. بسائطه: الألف والدال والهمزة واللام والفاء. فلكه الأوّل، سِنِيُّهُ قد ذُكِرتْ. يتميّز في الخاصة وخاصة الخاصة. له أوّل الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يُشاكل طبعه. حركته: ممتزجة مجهولة. له الأعراف. خالص. كامل. مثنّى. مؤنِس. له من الحروف: الألف والدال، ومن الأسماء كما تقدّم.

ثمّ اعلم أنّي جعلت سرّ هذا الصاد اليابسة لا يُنال إلّا في النوم؛ لكوني ما نلته ولا أعطانيه الحقّ -تعالى- إلّا في المنام؛ فلهذا حكمتُ عليه بذلك، وليست حقيقته ذلك؛ والله يعطيه في النوم واليقظة. ولَمّا وقفتُ عنده بالتقييد؛ جعلتُ بعض الأصحاب يقرأ عليّ "أسرار الحروف" لأُصلِح ما اختلّ منها، عند التقييد، لسرعة القلم. فلمّا وصل بالقراءة إلى هذا الحرف، قلت لهم ما اتّفق لي فيه، وأنّ النوم ليس لازما في نَيْلِه، ولكن هكذا أخذتُه فوصفت حالي، وانفضّ الجمعُ.

فلمّا كان من الغد من يوم السبت، قعدنا على سبيل العادة في المجلس، بالمسجد الحرام، تجاه(٢) الركن اليمانيّ من الكعبة المعظّمة.

---

(١) ص ١٣١ب
(٢) ص ١٣٢

وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى بَبْكر بن أبي عبد الله الهاشميّ التويتمي الطرابلسي -رحمه الله- فجاء على عادته. فلمّا فرغنا من القراءة، قال لي: رأيت البارحة في النوم، كأنّي قاعد، وأنت أمامي مستلقٍ[1] على ظهرِك، تذكر الصاد، فأنشدتك مرتجلا.

الصَّادُ حَرْفٌ شَرِيْفٌ　　　والصَّـــادُ فِي الصَّـــادِ

فقلتَ لي في النوم: ما دليلك؟ فقلتُ:

لأَنَّهَا شَكْلُ دَوْرٍ　　　وَمَا مِنَ الدَّوْرِ أَسْبَقْ

ثمّ استيقظتُ. وحكى لي، في هذه الرؤيا، أنّي فرحتُ بجوابه. فلمّا أكمل ذِكْرَه؛ فرحتُ بهذه المبشّرة التي رآها في حقّي، وبهيئة الاضطجاع؛ وذلك رقاد الأنبياء -عليهم السلام-. وهي حالة المستريح، الفارغ من شغله، والمتأهّب لما يَرِدُ عليه من أخبار السماء بالمقابلة.

فاعلم أنّ الصاد حرفٌ من حروف الصدق والصون والصورة. وهو كُرِيُّ الشكل، قابلٌ لجميع الأشكال. فيه أسرار عجيبة. فتعجّبتُ من كشفه في نومه -قُرَّتْ عينُه- على حالتي التي ذكرتُها للأصحاب بالأمس في المجلس. ﴿فَغَفَرْنَا[2] لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[3]. (فالصاد) حرفٌ شريف عظيم،. أقسم (الحقُّ) عند ذِكْره بمقام جوامع الكلم؛ وهو المشهد المحمّديّ في أوج الشرف بلسان التمجيد. وتضمّنتْ هذه السورة من أوصاف الأنبياء -عليهم السلام- ومن أسرار العالَم كلّه الخفيّة، عجائب وآيات.

وهذه الرؤيا فيها من الأسرار، على حسب ما في هذه السورة من الأسرار. فهي تدلّ على خير كثير جسيم، يناله الرائي، ومَن رِيئَت له، وكلّ من شوهد فيها من الله -تعالى-. ويحصل لهما من بركات الأنبياء -عليهم السلام- المذكورين في هذه السورة، ويلحق الأعداء من الكفّار، ما في هذه السورة من البؤس، لا من المؤمنين. نسأل الله لنا ولهم العافية، في الدنيا والآخرة.

فهذه بشرى حصلتْ، وأسرارٌ أرسلها الحقّ إلينا على يد هذا الرائي. وذكر لي الرائي، صاحبنا أبو يحيى، أنّه لَمّا استيقظ تَمَّم على البيتين، اللذين أَنشدهما لي في النوم، قريضا. فسألته أن يرسل إليّ به، حتى أقيّده في كتابي هذا عقيب هذه الرؤيا، وفي هذا الحرف. فإنّ ذلك القريض من

(١) ق، س: "مستلقي" وصححت في هامش ق
(٢) ص ١٣٢ب
(٣) [ص: ٢٥]

إمداد هذه الحقيقة الروحانيّة التي رآها في النوم؛ فأردت أن لا أفصل بينهما. فبعثت[١] معه صاحبنا أبا عبد الله، محمد بن خالد الصدفيّ التلمسانيّ، فجاءني بها، وهي هذه:

الصَّادُ حَرْفٌ شَرِيْفٌ ... والصَّادُ فِي الصَّادِ أَصْدَقْ
قُلْ: مَا الدَّلِيْلُ؟ أَجِدْهُ ... فِي دَاخِلِ القَلْبِ مُلْصَقْ
لأَنَّهَا شَكْلُ دَوْرٍ ... وَمَا مِنَ الدَّوْرِ أَسْبَقْ
وَدَلَّ هَذَا بِأَنِّي ... عَلَى الطَّرِيْقِ مُوَفَّقْ
حَقَّقْتُ فِي اللهِ قَصْدِي ... والحَقُّ يُقْصَدُ بِالحَقْ
إنْ كانَ فِي البَحْرِ عُمْقٌ ... فَسَاحِلُ القَلْبِ أَعْمَقْ
إنْ ضَاقَ قَلْبُكَ عَنِّي ... فَقَلْبُ غَيْرِكَ أَضْيَقْ
دَعِ القَرُوْنَةَ[٢] واقْبِلْ ... مِنْ صَادِقٍ يَتَصَدَّقْ
وَلَا تُخَالِفْ فَتَشْقَى ... فَالقَلْبُ عِنْدِي مُعَلَّقْ
إفْتَحْهُ إشْرَحْهُ وافْعَلْ ... فِعْلَ الَّذِي قَدْ تَحَقَّقْ
إلَى مَتَى قَاسِيَ القَلْبِ ... بَابُ قَلْبِكَ مُغْلَقْ
وفِعْلُ غَيْرِكَ صَافٍ ... وَوَجْهُ فِعْلِكَ أَزْرَقْ
إنّا رَفَقْنَا فَرِفْقًا ... فَالرِّفْقُ فِي الرِّفْقِ أَرْفَقْ
فإِنْ أَتَيْتَ كَسَوْنَاكَ ... ثَوْبَ لُطْفٍ مُعَتَّقْ
وَلَا تَكُنْ كَجَرِيْرٍ ... إذْ ظَلَّ يَهْجُو الفَرَزْدَقْ
والْهَجْ[٣] بِمَدْحِي فَمَدْحِي ... مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ أَشْرَقْ
أَنا الوُجُودُ بِذَاتِي ... وَلِي الوُجُودُ الْمُحَقَّقْ
مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ كَعِلْمِي ... عَلَى الحَقِيْقَةِ مُطْلَقْ

(١) ص ١٣٣

(٢) كتب في الهامش بخط الأصل: النفس. وجاء في [جمهرة اللغة] قَرونةُ الرجل وقرينته، هي نفسه، إذا أعطى ما كان يمنع.

(٣) ص ١٣٣ب

فَهَـلْ ترَى الشَّـــاهُ يَوْمًا   يَـكِـيْـدُهـا فَـرْدُ بَـيْـذَقْ
مَــنْ قَــالَ فِيَّ بِــرَأْيٍ   فَـقَـائِـلُ الـرَّأْيِ أَحْمَـقْ
إنْ ظَــلَّ يَهْـذِي لِـوَهْمٍ   رَأَيْـتَـهُ يَـتَشَـــدَّقْ
فَـكُلٌّ[1] مَـنْ قَـالَ قَـوْلًا   فَالذِّكْرُ مِنْ ذَاكَ أَصْـــدَقْ
أَنا المُهَيْمِنُ ذُو العَرْشِ   لَا أَبِــيْـدُ وأَخْـلَــقْ
بَعَثْـتُ لِلْخَلْقِ رُسْــلِي   وَجَــاءَ أَحْمَــدُ بِالحَــقْ
فَـقَـامَ فِيَّ بِصِـــدْقٍ   وَحِــيْنَ أَرْعَـدَ أَبْــرَقْ
مُـجَـاهِـدًا فِي الأَعَـادِي   وَنَاصِحًـا مـا تَـفَـتَّـقْ
لَـوْ لَـمْ أُغِثْهُـمْ بِـعَـبْـدِي   أَغْرَقْـت مَنْ لَيْسَ يَغْرَقْ
إنَّ السّـــمَـاواتِ والأَرْضَ   مِــنْ عَــذَابِيَ تَـفْــرَقْ
وإنْ أَطَـعْـتُمْ فَـإِنِّي   أَلُـمُّ مَـا يَـتَـفَـرَّقْ
وأَجْمَـعُ الـكُلَّ فِي الخُــلْدِ فِي حَــدَائِــقَ تَـعْـبَـقْ
كُلُّ الـقُـلُـوبِ عَـلَى ذَا   -وَإِنَّنِي اللهُ- أَصْـــفَقْ[2]
فَقُمْـتُ مِنْ حَـالِ نَوْمِي   وَرَاحَـتَـايَ تصَـــفَّـقْ

⋆ ⋆ ⋆

ومن[3] ذلك حرف الزاي

فِي الزَّاي سِرٌّ إذا حَقَّقْتَ مَعْنَـاهُ   كانَتْ حَقائِقُ رُوْحِ الأَمْرِ مَغْنَاهُ
إذا تَجَـلَّى إِلَى قَـلْـبٍ بِحِـكْمَـتِـهِ   عِنْدَ الفَنَاءِ عَنِ التَّنْزِيْهِ أَغْنَاهُ
فَلَيْسَ فِي أَحْرُفِ الذَّاتِ النَّزِيْهَةِ مَنْ   يُحَقِّقُ العِلْمَ أَوْ يَـدْرِيْـهِ إلّا هُوْ

(١) س، هـ: وكلّ.
(٢) أصفقت القلوب: اتفقت.
(٣) ص ١٣٤

اعلم -أيّدك الله بروح الأزل- أنّ الزاي من عالَم الشـــهادة والجبروت والقهر. مخرجه مخرج الصاد والسين. عدده: سبعة. بسائطه: الألف والياء والهمزة واللام والفاء. فلكه: الفلك الأوّل، سِنيّ حركته تقدّم ذِكْرُها. يتميّز في خلاصة خاصّة الخاصّة. له الغاية. مرتبته: الخامسة. سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص. ناقص. مقدّس. مثنّى. مؤنس. له من الحروف: الألف والياء، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف السين المهملة

فِي السِّــيْنِ أَسْرَارُ الوُجُودِ الأَرْبَعُ وَلَهُ التَّحَقُّقُ والمَقَـامُ الأَرْفَعُ

مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ آثَارُ كَوْنٍ شَمْسُـــها تَتَبَرْقَعُ[١]

اعلم[٢] أنّ السين من عالَم الغيب والجبروت واللطف. مخرجه مخرج الصاد والزاي. عدده عند أهل الأنوار: ستّون وستّة[٣]، وعندنا: ثلاثمائة وثلاثة. بسائطه: الياء والنون والألف والهمزة والواو. فلكه: الأوّل، سِنِيُّهُ مذكورة. يتميّز في الخاصّة، وخاصّة الخاصّة، وخلاصة خاصّة الخاصّة، وصفاء خلاصة خاصّة الخاصّة. له الغاية. مرتبته: الخامسة. ظهور سلطانه في البهائم. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الأعراف. خالص. كامل. مثنّى. مؤنس. له من الحروف: الياء والنون، ومن الأسماء الإلهيّة كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الظاء المعجمة

فِي الظَّاءِ سِـتَّةُ أَسْرَارٍ مُكَتَّمَةٍ خَفِيَّـةٍ مَـا لَهَـا فِي الخَلْقِ تَعْيِينُ

إلّا مَجَازًا إذا جَادَتْ بِفاضِـلِها يُرَى لَهَا فِي ظُهُورِ العَيْنِ تَحْسِـينُ

---

(١) كانت في ق: "لِيَ تَطْلِعُ" وعدلت فوقها لتقرأ كما هي في س: "لَمْ تَطْلِعُ" وفوقها كلمة "صح"، وتحتها كتبت "تتبرقع" مع كلمة: "صح"، خ.

(٢) ص ١٣٤ب

(٣) لفظ "وستة" ثابتة في الهامش وبقلم الأصل.

يَرْجُو الإلهَ وَيَخْشَى عَدْلَهُ وَإذا　　　ما غابَ عَنْ كَوْنِهِ لَمْ يَبْدُ تَكْوِينُ

اعلم -أيّها العاقل- أنّ الظاء من عالَم الشهادة والجبروت والقهر. مخرجه؛ مما بين طرفي اللسان، وأطراف الثنايا. عدده: ثمانية وثمانمائة عندنا[1]، وعند أهل الأنوار: تسعمائة. بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأوّل، سِنِيُّهُ: مذكورة. يتميّز في خلاصة خاصّة الخاصّة. له غاية الطريق. مرتبته: السابعة. سلطانه: في الجماد. طبع دائرته: بارد رطب. وقائمته: حارّة رطبة؛ فله: الحرارة والبرودة والرطوبة.

عنصره الأعظم: الماء، والأقلّ: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. ممتزج. كامل. مثنّى. مؤنس. له الذات. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الذال المعجمة

الذالُ يَنْزِلُ أَحْيانًا عَلَى جَسَدِي　　　كَرْهًا وَيَنْزِلُ أَحْيَانًا عَلَى خَلَدِي

طَوْعًا وَيُعْدَمُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ فَمَا　　　يُرَى لَهُ أَثَرُ الزُّلْفَى عَلَى أَحَدِ

هُوَ الإمامُ الذِي ما مِثْلُهُ أَحَدٌ　　　تَدْعُوهُ أَسْمَاؤُهُ بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ

اعلم -أيّها الإمام- أنّ الذال من عالَم الشهادة والجبروت والقهر. مخرجه مخرج الظاء. عدده: سبعمائة وسبعة. بسائطه: الألف واللام والهمزة والفاء والميم. فلكه: الأوّل، سِنيّ حركته مذكورة[2]. يتميّز في العامّة. له؛ وسط الطريق. مرتبته: الخامسة. سلطانه: في البهائم. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: معوجّة ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مقدّس. مثنّى. مؤنس. له الذات. وله من الحروف: الألف واللام، ومن الأسماء كما تقدّم.

---

(١) ص ١٣٥

(٢) ص ١٣٥ب

ومن ذلك حرف الثاء -بالثلاثة

الثّاءَ ذَاتِيَّةُ الأَوْصـــافِ عَالِيَةٌ فِي الوَصْـفِ والفِعْلِ والأَقْلامُ تُوجِدُها
فإنْ تَجَلَّتْ بِسِـرِّ الذَّاتِ واحِدَةً يَوْمَ البِـدَايَـةِ صـــارَ الخَلْقُ يَعْبُـدُهـا
وإنْ تَجَلَّتْ بِسِـرِّ الوَصْفِ ثَانِيَةً يَوْمَ التَّوَسُّـطِ صـارَ النَّعْتُ يَحْمَدُها[١]
وإِنْ تَجَلَّتْ بِســـرِّ الفِعْلِ ثَالِثَةً يَوْمَ الثلاثاءِ صَـــارَ الكَوْنُ يُسْـــعِدُها

اعلم -أيّها السـيّد- أنّ الثاء من عالَم الغيب والجبروت واللطف. مخرجه مخرج الظاء والذال. عدده: خمســة وخمســمائة. بســائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. له الفلَك الأوّل، سِنِيُّهُ مذكورة. يتميّز في خلاصة خاصّة الخاصّة. له؛ غاية الطريق. مرتبته: السابعة. سلطانه في الجماد. طبعه: البرودة واليبوسـة. عنصره[٢]: التراب. يوجد عنه؛ ما يشـاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له الخُلُق والأحوال والكرامات. خالص. كامل. مربّع. مؤنس. له الذات والصفات والأفعال. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الفاء

الفَـاءُ مِنْ عَـالَمِ التَّحْقِيقِ فَـادَّكِرِ وانْظُرْ إِلَى سِرِّها يَأْتِي عَلَى قَـدَرِ
لَهَا مَعَ اليَاءِ مَزْجٌ فِي الوُجُودِ فَمَا تَنْفَكُّ بِالمَزْجِ عَنْ حَقٍّ وَعَنْ بَشَـرِ
فإِنْ قَطَعْتَ وِصَالَ اليَاءِ دَانَ لَهَا مِنْ أَوْجِهِ عَالَمُ الأَرْوَاحِ والصُّـوَرِ

اعلم -أيّد الله القلب الإلهيّ- أنّ الفاء من عالَم الشهادة والجبروت والغيب واللطف. مخرجه من باطن الشـفة السـفلى، وأطراف الثنايا العليا. عدده: ثمانون وثمانية. بسـائطه: الألِف والهمزة واللام[٣] والهاء والميم والزاي. له الفلَك الأوّل، سِـــنِيُّهُ قد ذكرت. يتميّز في الخلاصـــة. له غاية الطريق. مرتبته: السـابعة. سـلطانه في الجماد. طبع رأسـه: الحرارة والرطوبة، وسـائر جسـده: باردٌ رطب.

(١) هذا البيت مكتوب بالهامش وبخط حديث.
(٢) ص ١٣٦
(٣) جميع النسخ: + والفاء

فطبعه: الحرارة والبرودة والرطوبة. عنصره الأعظم: الماء[1]، والأقلّ: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة.

له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الأسرار، وله الخُلُق والأحوال والكرامات عند أهل الأنوار. ممتزج. كامل. مفرد. مثنّى. مؤنس. موحش. له الذات. له من الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الباء بواحدة

البَـاءُ لِلعَـارِفِ الشِــبْلِيِّ مُعْتَبَرُ وَفِي نُقَيْطَتِهَـا لِلْقَلْـبِ مُـدَّكَرُ
سِرُّ العُبُودِيَّـةِ العَلْيَـاءِ مَـازَجَهَـا لِذَاكَ نَابَ مَنَابَ الحَقِّ فَاعْتَبِروا
أَلَيْسَ يَحْذِفُ مِنْ "بِاسْمٍ" حَقِيْقَتَهُ لأَنَّـهُ بَـدَلٌ مِـنْـهُ فَـذَا وَزَرُ

اعلم -أيّها الوالي المتعالي- أنّ الباء من عالَم الملك والشهادة والقهر. مخرجه من الشفتين. عدده: اثنان. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي. فلكه: الأوّل. له الحركة المذكورة. يتميّز في عين صفاء الخلاصة، وفي خاصّة الخاصّة. له بداية الطريق وغايته. مرتبته: السابعة. سلطانه: في الجماد. طبعه: الحرارة واليبوسة. عنصره: النار. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له[2] الحقائق والمقامات والمنازلات. خالص. كامل. مربّع. مؤنس. له الذات. ومن الحروف: الألف والهمزة، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الميم

المِيْمُ كالنُّونِ إِنْ حَقَّقْتَ سِرَّهُمَا فِي غايَةِ الكَوْنِ عَيْنًا والبِدَاياتِ
فَالنُّونُ لِلْحَقِّ والمِيْمُ الكَرِيْمَةُ لِي بُـدْءٌ لِبُـدْءٍ وَغَـاياتٌ لِغَـاياتِ
فَبَرْزَخُ النُّونِ رُوْحٌ فِي مَعارِفِهِ وَبَرْزَخُ المِيْمِ رَبٌّ فِي البَرِيَّاتِ

اعلم -أيّد الله المؤمن- أنّ الميم من عالَم المُلك والشــهادة والقهر. مخرجه مخرج الباء. عدده:

---

(١) ص ١٣٦ب
(٢) ص ١٣٧

أربعة، وأربعون. بسـائطه: الياء والألف والهمزة. فلكه: الأوّل، سِـنِيُّهُ: ذُكِرتْ. يتميّز في الخاصـة، والخلاصة، وصفاء الخلاصة. له الغاية. مرتبته: الثالثة. ظهور سلطانه: في الإنسان. طبعه: البرودة واليبوسـة. عنصره: التراب. يوجد عنه؛ ما يشـاكل طبعه. له الأعراف. خالص. كامل. مقدّس. مفرد. مؤنس. له من الحروف: الياء، ومن الأسماء كما تقدّم.

* * *

ومن ذلك حرف الواو

واوُ إيّاكَ أَقْــــدَسُ ... مِـنْ وُجُـودِي وأَنْـفَسُ

فَـهْـوَ رُوْحٌ مُـكَمَّـلٌ ... وَهْـوَ سِرٌّ مُسَــــدَّسُ

حَيْثُ(١) مَـا لاحَ عَيْنُهُ ... قِيْـلَ: أَرْضٌ(٢) مُقَـدَّسُ

بَـيْـتُـهُ السِّـــدْرَةُ الـعَـلِـيَّـةُ فِـيْـنَـا الْـمُـؤَسَّـــسُ

الواو من عالَم المُلك والشهادة والقهر. مخرجه: من الشفتين. عدده: ستّة. بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء. فلكه: الأوّل، سِنِيُّهُ: مذكورة. يتميّز في خاصة الخاصة، وفي الخلاصة. له غاية الطريق. مرتبته: الرابعة. سلطانه: في الجنّ. طبعه: الحرارة والرطوبة. عنصره: الهواء. يوجد عنه؛ ما يشاكل طبعه. حركته: ممتزجة. له: الأعراف. خالص. ناقص. مقدّس. مفرد. موحش. له من الحروف: الألف، ومن الأسماء كما تقدّم(٣).

* * *

فهذه حروف المعجم قد كملت، بذِكْر ما حُدّ لنا من الإشارات والتنبيهات، لأهل الكشف والخلوات، والاطّلاع على أسرار الموجودات. فإذا أردتَ أن يســهل عليك مأخذها، في باب العبارة عنها، فاعلم اشتراكها في أفلاك البسائط؛ تعلم حقائق الأسماء الممدّة لها. فالألف قد تقدّم الكلام فيها. وكذلك الهمزة تدخل مع الألف والواو والياء المعتلّتين؛ فخرجتا أيضــا عن حكم الحروف بهذا الوجه. فالجيم والزاي واللام والميم(٤) والنون؛ بســائطها مختلفة. والدال والذال

---

(١) ص ١٣٧ب
(٢) كتب بجانبها لفظ "بيت" بخط الأصل.
(٣) في الهامش: "بلغ المجلس الرابع قراءة لمحمود الزنجاني".
(٤) ص ١٣٨

متماثلة، والصاد والضاد متماثلة، والعين والغين والسين والشين متماثلة، والواو والكاف والقاف متماثلة، والباء والهاء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء متماثلة البسائط أيضا. وكلّ متماثل البسائط، متماثل الأسماء فاعلم.

وكنّا ذكرنا أن نذكر "لام ألف" عقيب الحروف، الذي هو نظير الجَوْزَهِرْ(١)، فنذكره في الرقم مفردا عن الحروف. فإنّه حرف زائد، مركّب من ألف ولام، ومن همزة ولام.

ذِكْر لام ألف وألف اللام

أَلِفُ اللَّامِ وَلَامُ الأَلِفِ — نَهْرُ طَالُوتَ فَلَا تَغْتَرِفِ
واشْرَبِ النَّهْرَ إِلَى آخِرِهِ — وَعَنِ النَّهْمَةِ لا تَنْحَرِفِ
ولْتُقِمْ ما دُمْتَ رَيَّانًا فَإِنْ — ظَمِئَتْ نَفْسُكَ قُمْ فَانْصَرِفِ
واعْلَمَ انَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَهُ — نَهَرَ بَلْوَى لِفُؤَادِ المُشْرِفِ
فاصْطَبِرْ بِاللهِ وَاحْذَرْهُ فَقَدْ — يُخْذَلُ العَبْدُ إِذا لَمْ يَقِفِ

* * *

معرفة لام ألف: لا

تَعَانَقَ الأَلِفُ العَلَّامُ واللَّامُ — مِثْلَ الحَبِيبَيْنِ فَالأَعْوامُ أَحْلامُ
والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ التِي عَظُمَتْ — فَجَاءَنِي مِنْهُمَا فِي اللَّفِّ إِعْلامُ
إِنَّ(٢) الفُؤادَ إِذا مَعْنَاهُ عَانَقَهُ — بَدَا لَهُ فِيهِ إِيجَادٌ وإِعْدَامُ

اعلم أنّه لَمّا اصطحب الألف واللام، صَحِبَ كلَّ واحد منهما مَيْل؛ وهو الهوى والغرض. والميل لا يكون إلّا عن حركة عشقيّة. فحركةُ اللام حركةٌ ذاتيّة، وحركةُ الألف حركةٌ عرَضيّة. فظهر سلطان اللام على الألف، لإحداث الحركة فيه. فكانت اللام، في هذا الباب، أقوى من الألف؛ لأنّها أعشق: فهمّتها أكمل وجودا، وأتمّ فعلا. والألف أقلّ عشقا: فهمّتها أقلّ تعلّقا باللام، فلم تستطع أن تقيم أَوَدَها.

---

(١) (فارسية): رأس التنين، والتنين موضع في السماء
(٢) ص ١٣٨ب

فصاحِب الهمّة له الفعل، بالضرورة، عند المحقّقين. هذا حظّ الصوفيّ ومقامه، ولا يقدر يجاوزه إلى غيره. فإن انتقل إلى مقام المحقِّقين؛ فمعرفة المحقّق فوق ذلك. وذلك أنّ الألف ليس ميله من جهة فعل اللام فيه بهمّته، وإنما ميله نزوله إلى اللام بالألطاف، لتمكّن عشق اللام فيه. ألا تراه قد لوى ساقه بقائمة الألف، وانعطف عليه حذرا من الفَوت؟ فميل الألف إليه نزول. كنزول الحقّ إلى السماء الدنيا -وهم أهل الليل- في الثلث الباقي. وميل اللام معلوم عندهما، معلول، مضطرّ، لا اختلاف عندنا فيه إلّا من جهة الباعث خاصة.

فالصوفيّ يجعل مَيْلَ اللام ميل الواجدين والمتواجدين(١)؛ لِتحقّقه عندهم بمقام العشق والتعشُّق وحاله. وميل الألف ميل التواصل والاتّحاد، ولهذا اشتبها في الشكل هكذا: لا. فأيّهما جعلتَ الألف أو اللام؛ قَبِلَ ذلك الجعل. ولذلك اختلف فيه أهل اللسان: أين يجعلون حركة اللام أو الهمزة التي تكون على الألف؟ فطائفة راعت اللفظ فقالت في الأسبق والألف بعد، وطائفة راعت الخطّ. فبأيّ فَخْذٍ ابتدأ المخطِّط فهو اللام، والثاني هو الألف.

وهذا كلّه تعطيه حالة العشق، والصدق في العشق يورث التوجّه في طلب المعشوق. وصدق التوجّه يورث الوصال من المعشوق إلى العاشق. والمحقِّق يقول: باعثُ الميل المعرفةُ عندهما. وكلّ واحد على حسب حقيقته. وأمّا نحن ومَن رقي معنا في معالي درج التحقيق التي ما فوقها(٢) درج، فلسنا نقول بقولهما ولكن لنا في المسألة تفصيل، وذلك أن تلحظ في أيّ حضرة اجتمعا؟ فإنّ العشق حضرةٌ جزئيّة من جملة الحضرات. فقول الصوفيِّ حقٌّ. والمعرفة حضرة أيضا. كذلك فقول المحقِّق حقٌّ. ولكن كلّ واحد منهما قاصر عن التحقيق في هذه المسألة، ناظر بعين واحدة.

ونحن نقول: أوّلُ حضرة اجتمعا فيها (هي) حضرة الإيجاد(٣)، وهي: "لا إلاه إل لا أل لا ه" فهذه حضرة الخلق والخالق. وظهرت كلمة "لا" في النفي مرّتين، وفي الإثبات مرّتين. فلا لالا وإلاه للّاه. فميل الوجود المطلق، الذي هو الألف، في هذه الحضرة؛ إلى الإيجاد، وميل الموجود المقيّد، الذي هو اللام، إلى الإيجاد عند الإيجاد. ولذلك خرج على الصورة. فكلّ حقيقة منهما مطلَقة في منزلتها. فافهم إن كنت تفهم، وإلّا فالزم الخلوة، وعلّق الهمّة بالله الرحمن حتى تعلم.

---

(١) ص ١٣٩
(٢) هـ: الذي ما فوقه. س: الذي ما في فوقه. ق: الذي ما فوقها
(٣) ص ١٣٩ب

فإذا تقيّدَ بعد ما تعيّنَ وجودُه، وظهر لعينه عيْنُهُ فإنّه:

لِلْحَقِّ حَقٌّ وَلِلإِنْسَانِ إِنْسَانُ | عِنْدَ الوُجُودِ وَلِلقُرْآنِ قُرْآنُ
ولِلْعِيانِ عِيانٌ فِي الشُّهُودِ كَمَا | عِنْدَ المُنَاجَاةِ لِلآذَانِ آذَانُ
فانْظُرْ إِلَيْنا بِعَيْنِ الجَمْعِ تَحْظَ بِنا | فِي الفَرْقِ فَالْزَمْهُ فَالقُرْآنُ فُرْقَانُ[1]

فلا بدّ من صفة تقوم به، ويكون بها يقابل مثلها أو ضدّها من الحضرة الإلهيّة. وإنما قلتُ: الضدّ، ولم نقتصر على المِثل، الذي هو الحقّ الصدق؛ رغبة في إصلاح قلب الصوفيّ، والحاصل في أوّل درجات التحقيق. فمشربهما هذا، ولا يعرفان ما فوقه، ولا ما نومي إليه، حتى يأخذ الله بأيديهما، ويشهدهما ما أشهدَناه. وسأذكر[2] طرفا من ذلك في الفصل الثالث، من هذا الباب. فاطلب عليه هناك -إن شاء الله تعالى-.

فاغطسْ في بحر القرآن العزيز، إن كنت واسعَ النَّفَس. وإلّا فاقتصر على مطالعة كتب المفسِّرين لظاهره، ولا تغطس فتهلك؛ فإنّ بحر القرآن عميق. ولولا (أنّ) الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل؛ ما خرج لكم أبدا. فالأنبياء، والورثة الحفظة، هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمةً بالعالَم. وأمّا الواقفون، الذين وَصَلوا ومُسِكوا ولم يُرَدّوا، ولا انتفع بهم أحد، ولا انتفعوا بأحد؛ فقَصدوا بل قُصِد بهم ثَبَجَ البحر[3]؛ فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون.

يرحم الله العبّاداني، شيخ سهل بن عبد الله التستري[4]، حيث قال لسهل: "إلى الأبد" حين قال له سهل: أيسجد القلب؟ فقال الشيخ: إلى الأبد. بل صلّى الله على رسول الله حين قيل له ﷺ في دخول العمرة في الحجّ: «أَلِعامِنا هذا أم لأبد؟ فقال ﷺ: بل لأبد الأبد»[5]. فهي روحانيّة باقية في دار الخلد، يجدها أهل الجنان في كلّ سنة مقدَّرة. فيقولون: ما هذا؟ فيجابون: العمرة في الحجِّ روح ونعيم، ووارِدٌ نزيهٌ شريف، تشرق به أسارير الوجوه، وتزيد به حسنا وجمالا.

---

(١) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

(٢) ص ١٤٠

(٣) الثَّبَجُ: عُلُوُّ وسط البحر إذا تلاقت أَمواجه. وفي حديث أُمّ حَرام: يَرْكَبُون ثَبَجَ هذا البحر أَي وسَطَه ومُعْظَمَه؛ ومنه حديث الزهري: كنتُ إذا فاتَحْتُ عُرْوَةَ ابن الزُّبير فَتَقْتُ به ثَبَجَ بحرٍ. وثَبَجُ البحرُ والليلِ: مُعْظَمُه. (لسان العرب)

(٤) سَهْلُ بنُ عبد الله التُّسْتَرِيُّ. هو سَهْل بنُ عبد الله بنِ يونُسَ بنِ عيسى بنِ عبد الله بن رَفِيع؛ وكُنيْتُه أبو محمد أحد أَئِمة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرياضياتِ، والإخلاص، وعيوب الأفعال. صَحِب خاله محمدَ بن سَوَّار، وشاهد ذا النُّون المِصريَّ، سنة خروجه إلى الحج بمكة تُوُفي في سنة ثلاثٍ وثمانين، وقيل سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين. وأظنُّ أن ثلاثًا وثمانين أصح، والله أعلم. وأسند الحديث. [طبقات الصوفية - (١ / ٦٧)]

(٥) صحيح مسلم ٢١٣٧، سنن ابن ماجة ٣٠٦٥

فإذا غطستَ -وفّقك الله- في بحر القرآن، فاطلب وابحث على صَدَفَتَيْ هاتين الياقوتتين[1]: الألف واللام. وصدفتها هي الكلمة، أو الآية التي تحمِلها. فإن كانت كلمة فعليّة، على طبقاتها نَسَبْتَها من ذلك المقام. وإن كانت كلمة أسمائيّة؛ على طبقاتها نَسَبْتَها من ذلك المقام. وإن كانت كلمة ذاتيّة؛ نَسَبْتَها[2] من ذلك. كما أشار ﷺ وإن لم تكن في الحرف: «أعوذ برضاك من سخطك»[3]. "برضاك": مَيْلُ الألف، "من سخطك" مَيْلُ اللام، (الصدفة هنا) كلمة أسمائيّة. «وبمعافاتك» ميل الألف، «من عقوبتك» ميل اللام، (الصدفة هنا) كلمة فعليّة. و«بك» ميل الألف، «منك» ميل اللام؛ (الصدفة) كلمة ذاتيّة. فانظر ما أعجب سِرَّ النبوّة وما أعلاه، وما أدنى مرماه وما أقصاه.

فَمَن تكلّم على حرفي "لام ألف" من غير أن ينظر في الحضرة التي هو فيها، فليس بكاملٍ. هيهات؛ لا يستوي أبدا لام ألف ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ولام ألف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]. كما لا يستوي لام ألف "لا" التي للنفي، ولام ألف التي للإيجاب. كما لا يستوي لام ألف النفي، ولام ألف النفي والتبرئة، ولام ألف النهي: فَتَرْفع بالنفي، وتُنْصَب بالتبرئة، وتُجْزم بالنهي. و(لا يستوي) لام ألف لام التعريف، والألف التي مِن أصل الكلمة، مثل قوله: الأعراف، والأدبار، والأبصار، والأقلام. كما لا يستوي لام ألف لام التوكيد، والألف الأصليّة، مثل قوله -تعالى-: ﴿لَأَوْضَعُواْ﴾[5] و﴿لَأَنتُمْ﴾[6].

فتحقّق[7] ما ذكرناه لك، وأقِمْ أَلِفَكَ من رقدتها، وحُلَّ لَامَكَ من عقدتها. وفي عقد اللام بالألف سِرٌّ لا يظهر، ولا أقدر على بسط العبارة في مقامات لام ألف كما وردتْ في القرآن، إلّا لو كان السامع يسمعه منّي كما يسمعه من الذي أُنزل عليه لو عَبَّر عنه. ومع هذا فالغرض في هذا الكتاب الإيجاز. وقد طال الباب، واتّسع الكلام فيه على طريق الإجمال؛ لكثرة المراتب وكثرة الحروف.

---

(١) ص ١٤٠ب
(٢) ق: نسبتها
(٣) صحيح مسلم ٧٥١، سنن النسائي ١٦٩
(٤) [يونس: ٦٢]
(٥) [التوبة: ٤٧]
(٦) [الحشر: ١٣]
(٧) ص ١٤١

ولم نذكر، في هذا الكتاب، معرفة المناسبة التي بين الحروف، حتى يصحّ اتّصال بعضها مع بعض. ولا ذكرنا اجتماع حرفين معا، إلّا لام ألِف خاصّة، من جهةٍ مّا. وهذا الباب يتضمّن ثلاثة آلاف مسألة، وخمسمائة مسألة، وأربعين مسألة؛ على عدد الاتّصالات بوجهٍ مّا؛ لكلّ اتّصال علم يخصّه، وتحت كلّ مسألة من هذه المسائل مسائل تتشعب كثيرة. فإنّ كلّ حرف يصطحب مع جميع الحروف كلّها، من جهة رفعه ونصبه وخفضه وسكونه وذاته وحروف العلّة الثلاثة. فمن أراد أن يَتَشَفَّى منها، فليطالع تفسير القرآن الذي سمّيناه "الجمع والتفصيل". وسنوفي الغرض في هذه الحروف -إن شاء الله- في كتاب "المبادي والغايات" لنا، وهو بين أيدينا. فلتكفِ هذه الإشارة في لام ألف. والحمد لله المُفْضِل.

* * *

معرفة[1] ألف اللام: آل

أَلِفُ اللَّامِ لِعِرْفانِ الذَّوَاتْ وَلإِحْيَاءِ العِظامِ النَّخِراتْ

تَنْظُمُ الشَّمْلَ إذا مَا ظَهَرَتْ بِمُحَيَّاها وَما تُبْقِي شَتَاتْ

وتَفِي بِالعَهْدِ صِدْقًا وَلَهَا حَالُ تَعْظِيْمٍ وُجُودِ الحَضَراتْ

اعلم أنّ لام ألف، بعد حلّها ونقْض شكلها وإبراز أسرارها وفنائها عن اسمها ورسمها، تظهر في حضرة الجنس والعهد والتعريف والتعظيم. وذلك لَمّا كان الألف حظَّ الحقّ، واللام حظّ الإنسان؛ صار الألف واللام للجنس. فإذا ذكرتَ الألف واللام؛ ذكرتَ جميع الكون ومكوّنَه. فإن فنيتَ عن الحقّ بالخليقة؛ وذكرتَ الألف واللام؛ كان الألفُ واللامُ الحقَّ والخلقَ. وهذا هو الجنس عندنا.

فقائمة اللام للحقّ -تعالى-، ونصف دائرة اللام المحسوس، الذي يبقى بعد ما يأخذ الألف قائمته، هو شكل النون للخلق. ونصف الدائرة الروحانيّ الغائب؛ للملكوت، والألف التي تُبْرِزُ قطرَ الدائرة؛ للأمر، وهو: "كن". وهذه كلّها أنواع وفصول للجنس الأعمّ، الذي ما فوقه جنس. وهو حقيقة الحقائق؛ التائهة، القديمة في القديم لا في ذاتها، والمحدَثة في[2] المحدَث لا في ذاتها.

---

(١) ص ١٤١ب
(٢) ص ١٤٢

وهي، بالنظر إليها، لا موجودة ولا معدومة. وإذا لم تكن موجودة، لا تتّصف بالقِدَم ولا بالحدوث، كما سيأتي ذِكْرها في الباب السادس من هذا الكتاب. ولها ما شاكلها من جهة قبولها للصور، لا من جهة قبولها للحدوث والقِدَم. فإنّ الذي يشبهها موجود، وكلُّ موجود إمّا محدَث وهو الخَلق، وإمّا محدِث -اسم فاعل- وهو الخالق.

ولَمّا كانت (حقيقة الحقائق) تقبل القِدم والحدوث، كان الحقّ يتجلّى لعباده على ما شاءه من صفاته. ولهذا السبب ينكره قوم في الدار الآخرة؛ لأنّه -تعالى- تجلّى لهم في غير الصورة والصفة التي عرفوها منه. وقد تقدّم طرف منه في الباب الأوّل من هذا الكتاب. فيتجلّى للعارفين على قلوبهم، وعلى ذواتهم في الآخرة عموما. فهذا وجه من وجوه الشبه. وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عندنا، أنّ حقائقها، هي المتجلّاة[1] للصنفين في الدارين، لمن عقل أو فهِم من الله -تعالى-، المرئيّ في الدنيا بالقلوب والأبصار. مع أنّه -سبحانه- منبئ عن عجز العباد عن درك كنهه، فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]. "لطيفٌ" بعباده بتجلّيه لهم على قدر طاقتهم، "خبيرٌ" بضعفهم عن حمل تجلّيه الأقدس[3] على ما تعطيه الألوهة. إذ لا طاقة للمحدَث على حمل جمال القديم، كما لا طاقة للأنهار بحمل البحار. فإنّ البحار تفني أعيانَها، سَوَاء وردت عليه أو ورد عليها. أعني (أنّ) البحر لا يبقي لها أثرا يُشهد ولا يُمَيَّزْ، فاعرف ما ذكرناه، وتحقّق.

وأعلى ما يشبهها من المحدَثات؛ الهباءُ الذي خلق فيه صور العالَم. ثمّ النور أَنْزَلُ منه في الشبه بها. فإنّ النور صورة في الهباء، كما أنّ الهباء صورة فيها. وأَنْزَلُ شبها من النور بها؛ الهواءُ، وأَنْزَلُ منه الماءُ، وأَنْزَلُ منه المعادنُ، وأَنْزَلُ منه الخشبُ وأمثالُهُ، إلى أن تنتهي إلى شيء لا يقبل إلّا صورة واحدة، إن وَجَدْتَه. فتفهّم هذا حتى يأتي بابه من هذا الكتاب -إن شاء الله-.

فهذه الحقيقة التائهة، التي تتضمّن الحقائق التائهات، هي الجنس الأعمّ، التي تستحقّ الألفُ واللامُ الحملَ عليه بذاتها. وكذلك عهدُهما يُجريان حقيقتيهما، على علم ما وقع فيه العهد بين الموجودَين. فعلى أيِّ موجودَين دخلتا، لأمر كان بينهما، من جهة كلّ واحد منهما بالنظر إلى أمر

(١) في الهامش: "المتجلية" بخط حديث.
(٢) [الأنعام: ١٠٣]
(٣) ص ١٤٢ب

ثالث، كانتا لعهد ذلك الأمر الثالث الذي يعرفانه، وعلى حقيقتهما: الألِف لأخذ العهد، واللام لمن أُخِذ عليه (العهد).

وكذلك تعريفهما وتخصيصهما. إنما يخصّصان شيئا، من جنسه، على التعيين، ليحصِّلا[1] العلم به عند من يريد المخبرُ أن يُعْلِمه إيّاه. فعلى أيّ حالة كان المخصِّص والمخصَّص والشيء، الذي بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان، انقلبتا في صورة حقائقهما؛ وهذا هو الاشتراك الذاتي. فإن كان الاشتراك في الصفة، ونريد أن نميّز الأعظم منهما للمخاطَب، فتكونا عند ذلك للتعظيم في الوصف الذي تدخلان عليه[2].

فالألف واللام يقبلان كلّ صورة وحقيقة؛ لأنّهما موجودان جامعان لجميع الحقائق. فأيّ شيء برز أبرزا له الحقيقة التي عندهما منه، فقابَلاه بها. فدلالتهما على الشيء؛ لذاتهما، لا أنهما اكتسبا من الشيء الذي دخلتا عليه. ومثل ذلك: "أهلكَ الناسَ الدينارُ والدرهمُ"، "رأيت الرجل أمس"، "أحببت الرجال دون النساء"، "هويت السِّمان" ويكفي هذا القدر، فقد طال الباب.

انتهى الجزء السادس، والحمد لله[3].

---

(١) ص ١٤٣

(٢) تدخلان عليه: في ق "تدخل".

(٣) في الهامش: "بلغ".

الجزء السابع[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

بيان بعض الأسباب، أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف؛ من بسائط ومراتب وتقديس، وإفراد وتركيب، وأنس ووحشة، وغير ذلك

فاعلم، أوّلا، أنّ هذه الحروف لَمّا كانت مثل العالَم المكلَّف الإنساني، المشاركة له في الخطاب لا في التكليف -دون غيره من العالَم لقبولها جميع الحقائق كالإنسان، وسائر العالَم ليس كذلك- فمنهم القطب كما منّا؛ وهو الألف.

ومقام القطب منّا؛ الحياة القيّوميّة. هذا هو المقام الخاصّ به. فإنّه سارٍ بهمّته في جميع العالَم. كذلك الألف (سارٍ) من كلّ وجهٍ: من وجه روحانيّته، التي ندركها نحن ولا يدركها غيرنا. ومن حيث سريانه نَفَسا، من أقصى المخارج، الذي هو مبعث[٣] النفَس إلى آخر المنَافِس، ويمتدّ في الهواء الخارج وأنت ساكت، وهو الذي يسمّى الصَّدَى. فتلك قيّوميّة الألف، لا أنّه واقف. ومن حيث رقمه؛ فإنّ جميع الحروف تنحلّ إليه وتتركّب منه، ولا ينحلّ هو إليها، كما ينحلّ هو أيضا إلى روحانيّته، وهي النقطة تقديرا، وإن كان الواحد لا ينحلّ. فقد عرّفناك ما لأجله كان الألف قطبا. وهكذا تعمل[٤] فيما نذكره لك بعد هذا إن أردتَ أن تعرف حقيقته.

والإمامان (من الحروف هما) الواو والياء المعتلّتان، اللذان هما حرفا المدّ واللين لا الصحيحتان. والأوتاد أربعة: الألف، والواو، والياء، والنون، الذين هم علامات الإعراب. والأبدال سبعة: الألف، والواو، والياء، والنون، وتاء الضمير، وكافه، وهاؤه. فالألف؛ ألف رجلان، والواو؛ واو العَمْرُون، والياء؛ ياء العَمْرِين، والنون؛ نون[٥] يفعلون.

وسِرّ النسبة بيننا وبينهم في مرتبة الأبدال، كما بيّنّا في القطب، أنّ التاء إذا غابتْ من "قُمْت" تركتْ بدلها. فقال المتكلّم: قام زيد، فنابتْ بنفسها مناب الحروف، التي هي اسم هذا الشخص المخبَر عنه. ولو كان الاسم مركّبا من ألِف حرفٍ؛ ناب الضمير مناب تلك الحروف؛

---

(١) العنوان ص ١٤٣ب

(٢) البسملة ص ١٤٤

(٣) ثابت في الهامش بخط الأصل.

(٤) ص ١٤٤ب

(٥) ثابت في الهامش بخط الأصل

لقوّة حروف الضمائر، وتمكّنها، واتّساع فلَكها. فلو سَمَّيت رَجُلًا: "يا دار مَيَّة بالعلياء فالسند"(١)، فقد نابت التاءُ أو الكاف أو الهاء، مناب جملة هذه الحروف في الدلالة، وتركته بدلها. أو جاءت بدلا منها، كيفما شئت. وإنما صحّ لها هذا لكونها تعلم ذلك، ولا يعلمه من هي بدل عنه، أو (من) هو بدل عنها. فلهذا استحقّتْ هي وأخواتها مقام الأبدال. ومَدْرَكُ من أين عُلِم هذا موقوفٌ على الكشف. فابحث عليه بالخلوة والذِّكْر والهمّة(٢).

وإيّاك أن تتوهّم تكرار هذه الحروف في المقامات، أنّها شيء واحد له وجوه. إنما هي مثل الأشخاص الإنسانيّة. فليس زيد بن علي، هو عين أخيه زيد بن علي الثاني، وإن كانا قد اشتركا في البنوّة والإنسانيّة ووالدهما واحد. ولكن، بالضرورة، نعلم أنّ الأخ الواحد ليس عين الأخ الثاني. فكما يفرِّق البصر بينهما والعلم، كذلك يفرّق العلم بينهما في الحروف، عند أهل الكشف من جهة الكشف، وعند النازلين عن هذه الدرجة من جهة المقام، التي(٣) هي بدل عن حروفه. ويزيد صاحب الكشف، على العالِم من جهة المقام، بأمر آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور. وهو مثلًا: "قُلْتَ"؛ إذا كَرّرته بدلا من اسم بعينه، فتقول لشخص بعينه: قُلْتَ كذا، وقلتَ كذا. فالتاء، عند صاحب الكشف، التي في قلتَ الأوّل، غير التاء التي في قلتَ الثاني؛ لأنّ عين المخاطَب تتجدّد في كلّ نفَس: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾(٤). فهذا شأن الحقّ في العالَم مع أحديّة الجوهر. وكذلك الحركة الروحانيّة، التي عنها أوجد الحقّ -تعالى- التاء الأُولَى، غير الحركة التي أوجد عنها التاء الأخرى، بالغا ما بلغتْ. فيختلف معناها بالضرورة.

فصاحب علم(٥) المقام يتفطّن لاختلاف علم المعنى، ولا يتفطّن لاختلاف التاء، أو أيّ حرفٍ، ضميرا كان أو غير ضمير. فإنّه صاحب رقْم ولفظ لا غير. كما تقول الأشاعرة في الأعراض،

---

(١) صدر بيت للنابغة الذبياني وهي:

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ   أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

والنابغة الذبياني (؟ - ١٨ ق. هـ / ؟ - ٦٠٥ م) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرًا طويلًا. [الموسوعة الشعرية]

(٢) ص ١٤٥

(٣) يوجد تصويب بالهامش بخط حديث: "الذي".

(٤) [ق: ١٥]

(٥) ص ١٤٥ب

سَوَاء. فالناس مجمِعون معهم على ذلك في الحركة خاصّة، ولا يصلون إلى علم ذلك في غير الحركة. فلهذا أنكروه، ولم يقولوا به. ونسبوا القائل بذلك إلى الهوس وإنكار الحسّ. وحُجبوا عن إدراك ضعف عقولهم، وفساد محلّ نظرهم، وقصورهم عن التصرّف في المعاني. فلو حصل لهم (العلم) الأوّل عن كشف حقيقيّ من معدنه، لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الأعراض، حكما عاما لا يختصّ بعرَض دون عرَض؛ وإن اختلفتْ أجناس الأعراض، فلا بدّ من حقيقة جامعة وحقيقة فاصلة. وهكذا هذه المسألة، التي ذكرناها، في حقّ من قال بما قلناه فيها، ومَن أنكره.

فليس المطلوب، عند المحقّقين، الصور المحسوسة لفظا ورقما، وإنما المطلوب؛ المعاني التي تضمَّنها هذا الرقم أو هذا اللفظ، وحقيقة اللفظة والمرقوم عينُها. فإنّ الناظر في الصور إنما هو روحانيّ، فلا يقدر أن يخرج عن جنسه. فلا تُحْجَب بأن ترى الميّت لا يطلب الخبز، لعدم السرّ الروحانيّ منه، ويطلبه الحيّ لوجود الروح فيه(١)، فتقول: نراه يطلب غير جنسه. فاعلم أنّ في الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والمجالس، أرواحا لطيفة غريبة، هي سِرّ حياته وعلمه وتسبيحه ربَّه، وعلوّ منزلته في حضرة مشاهدة خالقه. وتلك الأرواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة، يؤدّونها إلى هذا الروح المودَع في الشبح.

ألا ترى إلى بعضهم كيف يوصل أمانته إليه، الذي هو سِرّ الحياة! فإذا أدّى إليه أمانته، خرج إمّا من الطريق الذي دخل منه، فيسمّى: قيئًا وقَلْسًا، وإمّا من طريق آخر، فيسمّى: عَذِرةً وبولًا. فما أعطاه الاسمَ الأوّل إلّا السرُّ الذي أدّاه إلى الروح، وبقي باسم آخر يطلبه من أجله، صاحب الخضراوات والمدبِّرون(٢) أسباب الاستحالات. هكذا يتقلّب في أطوار الوجود؛ فَيَعْرَى ويكتسي، ويدور بدورة الأكرة كالدولاب، إلى أن يشاء الله العليم الحكيم.

فالروح معذور في تعشُّقه بهذه المحسوسات؛ فإنّه عاين مطلوبَه فيها، فهي منزل محبوبه.

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ سَــلْمَى ... أُقَـبِّـلُ ذَا الجِـدارَ وَذَا الجِـدَارَا

---

(١) ص ١٤٦

(٢) ق: والمدبرين.

وَمَا حُبُّ الدِّيارِ مَضَى بِقَلْبِي   وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَـــكَنَ الدِّيارا[١]

وقال أبو إسحق الزّوالي[٢] -رحمه الله-:

يا[٣] دَارُ إِنَّ غَزَالًا فِيـكَ تَيَّمَنِي   للهِ دَرُّكِ ما تَحْويهِ يا دَارُ

لَوْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْها حُبَّ سَاكِنِها   إِذَنْ رَأَيْتُ بِنَاءَ الدَّارِ يَنْهارُ

فافهموا -فهّمنا الله وإيّاكم- سرائر كِلَمِه، وأطلعنا وإيّاكم على خفيّات غيوب حِكَمِه.

أمّا قولنا الذي ذكرناه بعد كلّ حرف، فأريد أن أبيّنه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفِّركم عمّا لا تعلمون. فأقلُّ درجات الطريق؛ التســـليمُ فيما لا تعلمه، وأعلاه؛ القطعُ بِصِـــدْقِهِ، وما عدا هذين المقامين؛ فحرمان، كما أنّ المتّصـف بهذين المقامين؛ سـعيد. قال أبو يزيد البسـطاميّ لأبي موسى: "يا أبا موسى؛ إذا لقيت مؤمنا بكلام أهل هذه الطريقة، قل له يدعو لك؛ فإنّه مجاب الدعوة". وقال رويم[٤]: "من قعد مع الصـوفيّة، وخالفهم في شيء مما يتحقّقون به؛ نزع الله نور الإيمان من قلبه".

شرح:

فمن ذلك قولنا: حرف كذا، باسمه كما سقته، هو من عالَم الغيب. فاعلم أنّ العالَم، على بعض

---

(١) وجدنا هذين البيتين مع تغير بسيط فيهما؛ إذ جاءت ليلى بدلا من سلمى، ولفظ شغفن بدلا من مضى. وهما لقيس بن الملوح العامري (ت ٦٨هـ) وهو شاعر غزل من المتيمين من أهل نجد. وكان هائمًا في حب ليلى بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها. فهام قيس على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش.. إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحمل إلى أهله. (أنظر الموسوعة الشعرية)

(٢) إبراهيم بن علي الخولاني، أديب من أهل أسطبة، من أعمال قرطبة، عرف بالزوالي، وكنيته: أبو إسحق. عني بالآداب وشهر بها، وتجول كثيرا وولي القضاء بآش من أعمال مرسية. توفي بمراكش ٦١٦هـ. وهاتان البيتان مأخوذتين من بيتين أخريين للعباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ) وردتا في قصيدة له مطلعها:

أمِنكَ للصب عند الوصل تذكار   وكيف والحب إظهار وإضمار

والبيتان هما:

يا دار إن غـــزالا فيك برّح بي   لله درّك ما تحويـــن يا دار

ما زلت أشكو إليها حبّ ساكنها   حتى رأيت بناء الدار ينهار

والعباس بن الأحنف شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس. أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة، ونشأ في بغداد وبها توفي، وقيل بالبصرة. (أنظر الموسوعة الشعرية)

(٣) ص ١٤٦ب

(٤) رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي: كُنْيتُه أبو محمد؛ ويقال: رُوَيْم بنُ محمد بن أحمد. والأول أصح. وهو من أهل بغداد، من جِلّة مشايخهم. وجدُّه، رُوَيْم بنُ يزيدَ حَدَّث عن ليث بن سعد، وغيره. وقيل كُنْيَتُه أبو بكر. وكان فقيهًا على مذهب داود الأصْبَهَانِيِّ. وكان مُقْرِئًا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحدادِ. مات سنة ثلاث وثلاثمائة. وعبارته هي: "قُعودُك مع كل طبقةٍ من الناس أَسْلَمُ من قُعودك مع الصوفية؛ فإن كلَّ الخَلْق قعدوا على الرُّسوم، وقعدتْ هذه الطائفةُ على الحقائق؛ وطالب الخلقُ كلُّهم أَنْفسَهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أَنْفُسَهم بحقيقة الوَرَع ومُداوَمة الصدق. فمن قَعَدَ معهم، وخالفهم في شيءٍ مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه" [انظر طبقات الصوفية - (١ / ٦١)]

تقاسيمه، على قسمين، بالنظر إلى حقيقة مّا معلومة عندنا. قِسْمٌ يسمّى عالَم الغيب؛ وهو كلّ ما غاب عن الحسّ ولم تجر العادة بأن يدرَك بالحسّ، وهو من الحروف: السين والصاد والكاف والخاء المعجمة والتاء -باثنتين من فوق- والفاء والشين والهاء والثاء -بالثلاث- والحاء.

وهذه حروف[1] الرحمة والألطاف، والرأفة والحنان، والسكينة والوقار، والنزول والتواضع. وفيهم (نزلت) هذه الآية: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[2] وفيهم نزل أيضا على الرقيقة المحمديّة التي تمتدّ إليهم منه من كونه "أُوتي جوامع الكلم" أتى إليهم بها رسولهم، فقال -تعالى-: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾[3] وفيهم: ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾[4] وفيهم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[5] وفيهم: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾[6]، وهذا القبيل من الحروف هو، أيضا، الذي نقول فيه: إنّه من اللطف، لما ذكرناه. فهذا من جملة المعاني، التي نطلق عليه منه عالَم الغيب واللطف.

والقسم الآخر؛ يسمّى: عالَم الشهادة والقهر. وهو كلّ عالَم من عالَمي الحروف، جرت العادة عندهم أن يدركوه بحواسّهم، وهو ما بقي من الحروف. وفيهم قوله -تعالى-: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[7] وقوله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[8] وقوله: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[9] فهذا عالَم المُلك والسلطان والقهر والشدّة والجهاد والمصادمة والمقارعة. ومن روحانيّة هذه الحروف يكون لصاحب الوحي الغتّ والغطّ وصلصلة الجرس ورشح الجبين. ولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾[10] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[11] كما[12] أنّه في حروف عالَم الغيب: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ. عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[13]، ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾[14]، ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ

---

(١) ص ١٤٧
(٢) [الفرقان: ٦٣]
(٣) [آل عمران: ١٣٤]
(٤) [المؤمنون: ٦٠]
(٥) [المؤمنون: ٢]
(٦) [طه: ١٠٨]
(٧) [الحجر: ٩٤]
(٨) [التوبة: ٧٣]
(٩) [الإسراء: ٦٤]
(١٠) [المزمل: ١]
(١١) [المدثر: ١]
(١٢) ص ١٤٧ب
(١٣) [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]
(١٤) [القيامة: ١٦]

إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[1].

وأمّا قولنا: والمُلك والجبروت أو الملكوت، فقد تقدّم ذِكْرُه في أوّل هذا الباب، عند قولنا: ذِكْر مراتب الحروف.

وأمّا قولنا: مخرجه كذا، فمعلوم عند القرّاء. وفائدته، عندنا، أن تعرف أفلاكَه. فإنّ الفلَكَ الذي جعله الله سببا لوجود حرفٍ مّا، ليس هو الفلَكَ الذي وجد عنه حرفٌ غيره، وإن توحَّد الفلَك. فليست الدورة واحدة، بالنظر إلى تقديرٍ مّا تفرضه أنت في شيء تقتضي حقيقته ذلك الفرض، ويكون في الفلَك أمرٌ يتميّز عندك عن نفس الفلَك، تجعله علامة في موضع الفرض وترصده. فإذا عادت العلامة إلى حدِّ الفرض الأوّل؛ فقد انتهت الدورة، وابتدأت أخرى. قال عليه السلام: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله»[2] وسيأتي بيان هذا الحديث في الباب الحادي[3] عشر من هذا الكتاب.

وأمّا قولنا: عدده كذا وكذا، أو كذا دون كذا، فهو الذي يسمّيه بعض الناس: "الجَزْم الكبير" و"الجَزْم الصغير". وقد يسمّونه: "الجُمَّل" عوضا من "الجزم". وله سرّ عجيب في أفلاك الدراري، وفي[4] أفلاك البروج. وأسماؤها معلومة عند الناس. فيجعلون الجزم الكبير لفلك البروج، ويطرحون ما اجتمع من العدد ثمانية وعشرين، ثمانية وعشرين. والجزم الصغير لأفلاك الدراري، وطرح عدده تسعة تسعة، بطريقةٍ ليس هذا الكتاب موضعها، وعلمٍ ليس هو مطلوبنا.

وفائدة الأعداد عندنا، في طريقنا الذي تكمل به سعادتنا، أنّ المحقِّق والمريد إذا أخذ حرفا من هذه، أضاف الجزم الصغير إلى الجزم الكبير. مثل أن يضيف إلى القاف، الذي هو مائة بالكبير وواحد بالصغير، فيجعل أبدا عدد الجزم الصغير -وهو من واحد إلى تسعة- فيردّه إلى ذاته. فإن كان واحدا، الذي هو حرف الألف، بالجزمين، والقاف والشين والياء عندنا، وعند غيرنا بدل الشين الغين المعجمة، بالجزم الصغير، فيجعل ذلك الواحدَ لطيفتَه المطلوبة منه، بأيّ جزم كان. فإن كان الألف حتى إلى الطاء، التي هي بسائط الأعداد، فهي مشتركة بين الكبير والصغير في الجزمين. فمن حيث كونها للجزم الصغير؛ رُدَّها إليك، ومن حيث كونها للجزم الكبير؛

(١) [طه: ١١٤]
(٢) صحيح البخاري ٢٩٥٨، وصحيح مسلم ٣١٧٩
(٣) ق: الحادي أحد.
(٤) ص ١٤٨

رُدَّها إلى الواردات المطلوبة لك.

فتطلب في الألِف، التي هي الواحد، ياءَ العشرة وقافَ المائة وشينَ الألْفِ أو غينَه، على الخلاف. وتَمَّتْ مراتب العدد، وانتهى المحيط[1]، ورجع الدور على بُدْئِه. فليس إلّا أربع نقط: شرق وغرب واستواء وحضيض. أربعة أرباع. والأربعة عدد محيط؛ لأنّها مجموع البسائط. كما أنّ هذه العقَد مجموع المركّبات العدديّة.

وإن كان اثنان، الذي هو الباء بالجزمين، والكاف والراء بالجزم الصغير؛ جعلتَ الباءَ منك حالَك، وقابلتَ بها عالَم الغيب والشهادة. فوقفتَ على أسرارها من كونها غيبا وشهادة لا غير؛ وهي الذات والصفات في الإلهيّات، والعلّة والمعلول في الطبيعيّات لا في العقليّات، والشرط والمشروط في العقليّات والشرعيّات لا في الطبيعيّات، لكن في الإلهيّات.

وإن كان ثلاثة، الذي هو الجيم بالجزمين، واللام والسين المهملة عند قوم، والشين المعجمة عند قوم بالجزم الصغير؛ جعلتَ الجيم منك عالَمك، وقابلتَ به عالَم المُلْك من كونه مُلكا، وعالَم الجبروت من كونه جبروتا، وعالَم الملكوت من كونه ملكوتا. وبما في الجيم من العدد الصغير يبرز منك، وبما فيه وفي اللام والسين أو الشين من العدد الكبير تبرز وجوهٌ من المطلوب.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2] ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[3] على حسب الاستعداد، وأقلّ درجاته الذي يشمل العامّة، العَشْرُ[4] المذكور. والتضعيف موقوف على الاستعداد، وفيه يتفاضل رجال الأعمال. وكلّ عالِم في طريقه على ذلك. وليس غرضنا، في هذا الكتاب، ما يعطي اللهُ الحروفَ من الحقائق، إذا تحقّقتْ بحقائقها. وإنما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظًا أو خطًّا، إذا تحقّق بحقائق هذه الحروف، وكوشف على أسرارها. فاعلموا ذلك.

وإن كان أربعة، الذي هو الدال بالجزمين، والميم والتاء بالصغير؛ جعلتَ الدال منك قواعدك، وقابلتَ بها الذات والصفات والأفعال والروابط. وبما في الدال من العدد بالصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي الميم والتاء (من العدد) بالكبير تَبْرُزُ وجوهٌ من المطلوب المقابَل.

---

(١) ص ١٤٨ب
(٢) [الأنعام: ١٦٠]
(٣) [البقرة: ٢٦١]
(٤) ص ١٤٩

والكمال فيها والأكمل بحسب الاستعداد.

وإن كانت خمسة، الذي هو الهاء بالجزمين، والنون والثاء بالصغير؛ جعلتَ الهاء منك مملكتَك في مواطن الحروب[1] ومقارعة الأبطال، وقابلتَ بها الأرواح الخمسة: الحيوانيّ، والخياليّ، والفكريّ، والعقليّ، والقدسيّ. وبما في الهاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي النون والثاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابَل. والكامل والأكمل أثرٌ حاصل عن الاستعداد.

وإن كان ستّة، الذي هو الواو بالجزمين، والصاد[2] أو السين على الخلاف، والخاء بالصغير؛ جعلتَ الواو منك جهاتَك المعلومة، وقابلتَ بها نَفْيَها عن الحقّ بوجهٍ وإثْبَاتَها بوجهٍ، وهو عِلم الصورة. وبما في الواو من أسرار القبول (وهو) بارز بالصغير، وبما فيه وفي الصاد أو السين والخاء بالكبير؛ تبرز وجوهٌ من المطلوب المقابَل. وفي هذا التجلّي يعلم المكاشف أسرار الاستواء و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾[3] ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[4] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾[5] وكلّ آية أو خبر تُثْبِتُ له -جلّ وعلا- الجهة والتحديد والمقدار. والكمال والأكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهّب.

وإن كان سبعة، وهو الزاي بالجزمين، والعين والذال بالصغير؛ جعلتَ الذي منك صفاتَك، وقابلتَ بها صفاتَه. وبما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي العين والذال من الكبير تبرز وجوهٌ من المطلوب المقابَل. وفي هذا التجلّي يعلم المكاشف أسرار المسبّعات كلّها حيث وقعتْ. والكمال والأكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهّب.

وإن كان ثمانية، الذي هو الحاء بالجزمين، والفاء في قول، والصاد في قول، والضاد في قول، والظاء في قول؛ جعلتَ الحاء منك ذاتَك بما فيها، وقابلتَ بها الحضرة الإلهيّة مقابَلة الصورةِ صورةَ المرآة. وبما[6] في الحاء من (الجزم) الصغير يبرز من أسرار قبولك، وبما فيه وفي الفاء والظاء أو الضاد من (الجزم) الكبير تبرز وجوهٌ من المطلوب المقابَل. وفي هذا التجلّي يعلم المكاشف أسرار

(١) تقرأ في ق: الحروف
(٢) ص ١٤٩ب
(٣) [المجادلة: ٧]
(٤) [الحديد: ٤]
(٥) [الزخرف: ٨٤]
(٦) ص ١٥٠

أبواب الجنّة الثمانية وفتحِها لمن شاء الله هنا، وكلّ حضرة مثمّنة في الوجود. والكمال والأكمل بحسب الاستعداد.

وإن كان تسعة، وهو الطاء بالجزمين، والضاد أو الصاد في قول، وفي المئين الظاء أو الغين في قول بالجزم الصغير؛ جعلتَ الطاء منك مراتِبَك في الوجود، التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلّي، وقابلتَ بها مراتب الحضرة[1]، وهو الأبَدُ لها ولك. وبما في الطاء من (الجزم) الصغير يبرز من أسرار القبول، وبما فيه وفي الضاد أو الصاد والغين أو الظاء من (الجزم) الكبير تبرز وجوهٌ من المطلوب المقابَل. وفي هذا التجلّي يعلم المكاشف أسرار المنازل والمقامات الروحانيّة وأسرار الأحديّة. والكامل والأكمل على حسب الاستعداد.

فهذا وجه من الوجوه التي سـقنا عدد الحرف من أجله، فاعمل عليه. وإن كان ثمّ وجوهٌ أُخر. فليتك لو عملتَ على هذا، وهو المفتاح الأوّل. ومن هنا تنفتح لك أسرار الأعداد، وأرواحها، ومنازلها. فإنّ العدد سِرّ من أسرار الله في الوجود: ظهر في الحضرة الإلهيّة بالقوّة[2]، فقال ﷺ: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلّا واحدا، من أحصاها دخل الجنّة»[3] وقال: «إنّ لله سبعين ألف حجاب»[4] إلى غير ذلك. وظهر في العالَم بالفعل، وانسحبتْ معه القوّة. فهو في العالَم بالقوّة والفعل. وغرضنا، إن مدَّ الله في العمر وتراخى الأجل، أن نضع في خواصّ العدد موضوعا لم نُسْبَق إليه في علمي، نُبدي فيه من أسرار الأعداد، وما تعطيه حقائقه في الحضرة الإلهيّة وفي العالَم والروابط؛ ما تغتبط به الأسرار، وتنال به السعادة في دار القرار.

وأمّا قولنا: بسائطه؛ فلسنا نريد بسائطَ شكل الحرف مثلا، الذي هو "ص" وإنما نريد بسائط اللفظ، الذي هو الكلمة الدالّة عليه، وهو الاسم أو التسمية، وهو قولك: "صاد". فبسائط هذه اللفظة نريد. وأمّا بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف، ولكن له النقص والتمام والزيادة. مثل الراء والزاي: نصف النون. والواو: نصف القاف. والكاف: أربعة أخماس الطاء، وأربعة أسداس الظاء. والدال: خُمسا الطاء. والياء: ذالان. واللام: يزيد على الألف بالنون، وعلى النون بالألف. وشبه هذا.

---

(١) هـ: الحضرة الإلهية.

(٢) ص ١٥٠ب

(٣) صحيح البخاري ٢٥٣١، وصحيح مسلم ٤٨٣٦

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٥٦٧٠، مسند أبي يعلى الموصلي ٧٣٥٩

وأمّا بسائط أشكال الحروف، إنما ذلك من النقَط خاصّة. فعلى قدر نُقطه بسائطُهُ. وعلى قدر[١] مرتبة الحرف في العالَم، من جهة ذاته، أو من نعتٍ هو عليه في الحال؛ علوُّ منازل نقطه وأفلاكها ونزولها. فالأفلاك التي عنها وُجِدت بســـائط ذلك الحرف المذكور، باجتماعها وحركاتها كلّها، وُجِد اللفظ به عندنا. وتلك الأفلاك تقطع في فلَكٍ أقصى، على حسب اتّساعها.

وأمّا قولنا: فلكه، وسِنيّ حركة فلكِه. فنريد به الفلَك الذي عنه وُجِد العضو الذي فيه مخرجه. فإنّ الرأس من الإنسان أوجده الله -تعالى- عند حركة مخصوصة، من فلَك مخصوص، من أفلاك مخصوصة. والعُنُق، عن الفلَك الذي يلي هذا الفلَك المذكور. والصدر، عن الفلك الرابع من هذا الفلك الأوّل المذكور. فكلّ ما يوجد في الرأس، من المعاني والأرواح والأسرار والحروف والعروق، وكلّ ما في الرأس من هيئة ومعنى (إنما يكون) عن ذلك الفلَك. ودورته؛ اثنا عشرة ألف سنة. ودورةُ فلَك العنق، وما فيه من هيئة ومعنى، والحروف الحَلْقيّة من جملتها: إحدى عشرة ألف سنة. ودورة فلك الصدر، على حكم ما ذكرناه: تسع آلاف سنة. وطبعه، وعنصره، وما يوجد عنه، راجع إلى حقيقة ذلك الفلَك.

وأمّا قولنا: يتميّز في طبقة كذا. فاعلموا أنّ عالَم الحروف على[٢] طبقات، بالنِّســـبة إلى الحضرة الإلهيّة والقُرب منها، مِثْلُنا.

وتعرفُ ذلك فيهم بما أذكره لك. وذلك أنّ الحضرة الإلهيّة، التي للحروف عندنا في الشاهد، إنما هي في عالَم الرقْم خَطُّ المصحف، وفي الكلام التلاوةُ، وإن كانت ساريةً في الكلام كلّه: تلاوة أو غيرها. فهذا ليس هو عُشُّــكَ أن تعرف أنّ كلّ لافظ بلفظةٍ، إلى الآباد، أنّه قرآن، ولكنّه في الوجود بمنزلة حكم الإباحة في شرعنا. وفتحُ هذا الباب يؤدّي إلى تطويل عظيم؛ فإنّ مجاله رحبٌ. فعدَلْنا إلى أمر جزئيّ، من وجه صِغر فلكه المرقوم، وهو المكتوب والملفوظ به خاصّة.

واعلم أنّ الأمور عندنا، من باب الكشف، إذا ظهر منها في الوجود؛ ما ظهر أنّ الأوّل أشرف من الثاني، وهكذا على التتابع حتى إلى النصف. ومن النصف يقع التفاضل، مثل الأوّل حتى إلى الآخِر. فالآخِر والأوّل أشرف ما ظهر. ثمّ يتفاضلان على حسب ما وُضعا له، وعلى

(١) ص ١٥١
(٢) ص ١٥١ب

حسب المقام. فالأشرف منها أبدا يقدَّم في الموضع الأشرف. ويتبيّن هذا أنّ ليلة خمسة عشر في الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر. وهكذا حتى إلى ليلة طلوع الهلال من أوّل الشهر، وطلوعه من آخر الشهر. وليلةُ المحاق المطلق؛ ليلةُ الإبدار المطلق. فافهم.

فنظرنا كيف تَرَتَّبَ مقامُ رقمِ القرآن عندنا؟ وبماذا بُدئت به السور[1] من الحروف؟ وبماذا ختمت؟ وبماذا اختصّت السور المجهولة في العلم النظريّ، المعلومة بالعلم اللدنّيّ من الحروف؟ ونظرنا إلى تكرار ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ونظرنا في الحروف، التي لم تختصّ بالبداية ولا بالختام، ولا بـ"بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ". وطلبنا من الله -تعالى- أن يُعْلِمنا بهذا الاختصاص الإلهيّ، الذي حصل لهذه الحروف: هل هو اختصاصٌ اعتنائيّ من غير شيء؛ كاختصاص الأنبياء بالنبوّة والأشياء الأُوَل كلّها؟ أو هو اختصاصٌ نالته من طريق الاكتساب؟ فكشف لنا عن ذلك كشفَ إلهام، فرأيناه على الوجهين معًا: في حقّ قوم عناية، وفي حقّ قوم جزاء لما كان منهم في أوّل الوضع. والكلّ، لنا ولهم وللعالَم، عناية من الله -تعالى-.

فلمّا وقفنا على ذلك، جعلنا الحروف التي لم تثبت أوّلا ولا آخرا على مراتب الأوّليّة، كما نذكره: عامّة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآنيّ حظّ، وهم: الجيم والضاد والخاء والذال والغين والشين. وجعلنا الطبقة الأُولَى من الخواصّ حروفَ السور المجهولة، وهم: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون. وأعني بهذا صورة اشتراكهم في اللفظ والرقم. فاشتراكُها في الرقم؛ اشتراكُها في الصورة. والاشتراك اللفظيّ؛ إطلاقُ اسمٍ واحدٍ عليها[2]، مثل زيدٍ وزيدٍ آخر، فقد اشتركا في الصورة والاسم. وأمّا المقرّر عندنا والمعلوم؛ أنّ الصاد من ﴿الٓمٓصٓ﴾ ومن ﴿كٓهيٓعٓصٓ﴾ ومن ﴿صٓ﴾ ليس كلُّ واحد منهنّ عينَ الآخر منهنّ، ويختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنازلها. وهكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة. وهذه تعمّها لفظا وخطّا.

وأمّا الطبقة الثانية من الخاصّة، وهم خاصّة الخاصّة، فكلّ حرف وقع في أوّل سورة من القرآن، مجهولة وغير مجهولة، وهو حرف: الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والهاء والعين.

---

(١) ص ١٥٢

(٢) ص ١٥٢ب

وأمّا الطبقة الثالثة من الخواصّ، وهم الخلاصة؛ فهم الحروف الواقعة في أواخر السور؛ مثل: النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين.

وإن كان الألف، فيما يُرى خطًّا ولفظا، في ﴿رِكۡزَۢا﴾(1) و﴿لِزَامَۢا﴾(2) و﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾(3) فما أعطانا الكشف إلّا الذي قبل ذلك الألف. فوقفنا عنده، وسمّيناه آخِرا، كما شهدنا هناك، وأثبتنا الألف كما رأينا هنا، ولكن في فصل آخر لا في هذا الفصل. فإنّا لا نزيد في التقييد في هذه الفصول على ما نشاهده؛ بل ربما نرغب في(4) نقص شيء منها مخافة التطويل؛ فَنُسْعِفُ في ذلك من جهة الرقم واللفظ، ونعطي لفظا يعمّ تلك المعاني التي كثرت ألفاظها، فنلقيه. فلا نُخِلّ بشيء من الإلقاء، ولا نُنقص، ولا يظهر لذلك الطول الأوّل عين؛ فينقضي المرغوب. لله الحمد.

وأمّا الطبقة الرابعة من الخواصّ، وهم صفاء الخلاصة، وهم حروف ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(5)، وما ذكرت إلّا حيث ذكرها رسول الله ﷺ على حدّ ما ذكرها الله له بالوجهين من الوحي، وهو وحي القرآن، وهو الوحي الأوّل. فإنّ عندنا من طريق الكشف، أنّ الفرقان حصل عند رسول الله ﷺ قرآنا مجملا غير مفصّل الآيات والسور. ولهذا كان ﷺ يعجل به حين كان ينزل عليه به جبريل ﷺ بالفرقان، فقيل له: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الذي عندك، فتلقيه مجملا فلا يُفهم عنك، ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ فرقانا مفصّلا، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾(6) بتفصيل ما أجملته فيّ من المعاني. وقد أشار (الحق) من باب الأسرار فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٍ﴾(7) ولم يقل: "بعضه" ثمّ قال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾(8) وهذا هو وحي الفُرقان، وهو الوجه الآخر من الوجهين. وسيأتي الكلام على ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في(9) بابه الذي أفردتُ له في هذا الكتاب.

---

(1) [مريم: 98]
(2) [الفرقان: 77]
(3) [الإسراء: 15]
(4) ص 153
(5) [الفاتحة: 1]
(6) [طه: 114]
(7) [الدخان: 3]
(8) [الدخان: 4]
(9) ص 153ب

واعلموا أنّ بسـملة سـورة "براءة" هي التي في (سـورة) النمل. فإنّ الحقّ -تعالى- إذا وهب شـيئا لم يرجع فيه ولا يردّه إلى العدم. فلمّا خرجت رحمة براءة، وهي البسـملة، حَكم التبرّي من أهلها برفع الرحمة عنهم. فوقف الملَك بها، لا يدري أين يضعها؟ لأنّ كلّ أمّة من الأمم الإنسـانيّة، قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيّها. فقال: أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان عليه السلام وهي لا يلزمها إيمانٌ إلّا برسولها. فلمّا عرفتْ قدر سليمان وآمنت به؛ أُعطيت من الرحمة الإنسانيّة حظّا، وهو ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] الذي سُلِب عن المشركين، وفي هذه السورة هي الجسّاسة.

وأمّا الطبقة الخامسـة، وهي عين صـفاء الخلاصـة، فذلك حرف الباء، فإنّه الحرف المقدّم؛ لأنّه أوّل البسملة في كلّ سورة.

والسـورة التي لم يكن فيها بسـملة ابتدئت بالباء، فقال -تعالى-: ﴿بَرَآءَةٞ﴾[2]، قال لنا بعض الإسرائيليين من أحبارهم: ما لكم في التوحيد حظّ؛ لأنّ سُوَر كتابكم بالباء. فأجبته: ولا أنتم؛ فإنّ أوّل التوراة باء. فأُفحِم، ولا يتمكن إلّا هذا؛ فإنّ الألف لا يُبتدأ بها أصلا.

فما وقع من هذه الحروف في مبادي السوَر، قلنا فيه: له بدايةُ الطريق. وما وقع آخرا، قلنا: له غايةُ الطريق. وإن كان من العامّة، قلنا: له وسطُ الطريق؛ لأنّ القرآن هو الصراط المستقيم.

وأمّا[3] قولنا: مرتبته الثانية حتى إلى السابعة؛ فنريد بذلك، بسائط هذه الحروف المشتركة في الأعداد. فالنون بسـائطه اثنان في الألوهيّة، والميم بسـائطه ثلاثة في الإنسـان، والجيم والواو والكاف والقاف بسـائطه أربعة في الجنّ، والذال والزاي والصـاد والعين والضـاد والسـين والدال والغين والشين بسائطه خمسة في البهائم، والألف والهاء واللام بسائطه ستّة في النبات، والباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء بسائطه سبعة في الجماد.

وأمّا قولنا: حركته معوجّة، أو مستقيمة، أو منكوسة، أو ممتزجة، أو أُفقيّة. فأريد بالمستقيمة: كلّ حرف حرّك الهمّة إلى جانب الحقّ خاصّــة؛ من جهة السـلب إن كنتَ عالِما، ومن جهة ما

(١) [النمل: ٣٠]
(٢) [التوبة: ١]
(٣) ص ١٥٤

يُشهد إن كنت مشاهدا. والمنكوسة: كلّ حرف حرّك الهمّة إلى الكون وأسراره. والمعوجّة، وهي الأفقيّة: كلّ حرف حرّك الهمّة إلى تعلّق المكوَّن بالمكوِّن. والممتزجة: كلّ حرف حرّك الهمّة إلى معرفة أمرين، مما ذكرتُ لك فصاعدا، وتظهر في الرقم في الألف والميم المعرَّق والحاء والنون، وما أشبه هؤلاء.

وأمّا قولنا: له الأعرافُ، والخُلُق، والأحوال، والكرامات، والحقائق والمقامات والمنازلات. فاعلموا أنّ الشيء لا يُعرف إلّا بوجهه؛ أي بحقيقته. فكلّ ما لا يُعرف الشيء إلّا به؛ فذلك وجهه[1]. فَنُقَطُ الحرفِ وجهُهُ الذي يُعرف به. والنقط على قسمين: نقط فوق الحرف، ونقط تحته. فإذا لم يكن للشيء ما يُعرف به؛ عُرِف بنفسه مشاهدة، وبضدّه نقلا، وهي الحروف اليابسة. فإذا دار الفلَك، أي فلَكُ المعارف، حدثتْ عنه الحروف المنقوطة من فوق، وإذا دار فلك الأعمال؛ حدثتْ عنه الحروف المنقوطة من أسفل، وإذا دار فلَك المشاهدة؛ حدثتْ عنه الحروف اليابسة غير المنقوطة. ففلَك المعارف يعطي الخُلُق والأحوال والكرامات، وفلَك الأعمال يعطي الحقائق والمقامات والمنازلات، وفلَك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كلّه. قيل لأبي يزيد: "كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء؛ إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة، وأنا لا صفة لي". وهذا مقام الأعراف.

وأمّا قولنا: خالص، أو ممتزج. فالخالص: الحرف الموجود عن عنصر واحد. والممتزج: الموجود عن عنصرين فصاعدا.

وأمّا قولنا: كامل، أو ناقص. فالكامل هو الحرف الذي وُجِد عن تمام دورة فلكه. والناقص (هو) الذي وُجِد عن بعض دورة فلكه، فطرأتْ على الفلَك علّة أوقفته؛ فنقَص عمّا كان يعطيه كمال دورته. كالدودة في عالَم الحيوان التي ما عندها سِوَى حاسّة اللمس؛ فغذاؤها مِن لمسها. كالواو مع القاف، والزاي مع النون.

وأمّا قولنا: يرفع[2] من اتّصل به. نريد كلّ حرف إذا وقفتَ على سرّه، ورُزِقْتَ التحقّق به والاتّحاد؛ تميّزتَ في العالَم العُلويّ.

وأمّا قولنا: مقدّس. أي عن التعلّق بغيره. فلا يتّصل في الخطّ بحرف آخر، وتتّصل

---

(١) ص ١٥٤ب
(٢) ص ١٥٥

الحروف به. فهو منزَّه الذات، تمدّها ستّة أفلاك عالية الأوج، عنها وُجِدت الجهات. ومعرفة هذه الستّة الأحرف، بحرٌ عظيم لا يُدْرَك قَعْرُه. فلا يَعرف حقيقتها إلّا الله. فهي مفاتح الغيب. وندرك من باب الكشف أثرها المنوط بها، وهي: الألف والواو والدال والذال والراء والزاي.

وأمّا قولنا: مفرد، ومثنّى، ومثلّث، ومربّع، ومؤنس، وموحش. فنريد بالمفرد إلى المربّع ما نذكره. وذلك أنّ من الأفلاك، التي عنها توجد هذه الحروف، ما له دورة واحدة؛ فذلك قولنا: مفرد. ودورتان، فذلك المثنّى، هكذا إلى المربّع. وأمّا المؤنِس والموحش؛ فالدورة تأنس بأختها، الشيء يألف شكله. قال -تعالى-: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١) فالعارف يألف الحال ويأنس به.

نودي ﷺ في ليلة إسرائه، في استيحاشه، بلغة أبي بكر؛ فأنِس بصوت أبي بكر. خُلِق رسول الله ﷺ وأبو بكر من طينة واحدة، فَسَبَق محمد ﷺ. وصلّى أبو بكر ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٢) فكان كلامُهُما كلامَهُ -سبحانه-. فلم يُعَدِّ المرتبة، وعدَّى الخطابَ إلى(٣) المرتبة الأخرى، فقال كأنّه مبتدئ، وهو عاطف على هذا الكلام: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٤) فأرسلَها. فمن الناس مَن قَطَعها، ومنهم مَن وَصَلَها. في هذا مقام الإثبات، وبقاء الرسم، وظهور العين، وسلطان الحقائق، وتمشية العدل من باب الفضل والطَّوْل. والموحش: محوٌ لا محقٌ، صاحب علّة يرتقي. فتحقّق ما ذكرناه.

وأمّا قولنا: له الذات والصفات والأفعال على حسب الوجوه. فأيّ حرف له وجه واحد؛ كان له من هذه الحضرات حضرة واحدة، أي شيء واحد على حسب علوّه ونزوله. وكذلك إذا تعدّدت الوجوه.

وأمّا قولنا: له من الحروف (كذا وكذا). فإنما أعني الحقائق المتمّمة لذاته من جهةٍ مّا.

وأمّا قولنا: له من الأسماء (كذا وكذا). فنريد به الأسماء الإلهيّة، التي هي الحقائق القديمة، التي عنها ظهرتْ حقائق بسائط ذلك الحرف لا غير. ولها منافع كثيرة عالية الشأن عند العارفين، إذا أرادوا التحقّق بها؛ حرّكوا الوجود من أوّله إلى آخره. فهي لهم هنا خصوص، وفي الآخرة

(١) [الروم: ٢١]
(٢) [التوبة: ٤٠]
(٣) ص ١٥٥ب
(٤) [المجادلة: ٧]

عموم. بها يقول المؤمن في الجنّة للشيء يريده: "كن" فيكون.

فهذه نُبَذٌ من معاني عالَم الحروف، قليلة، على أوجز ما يمكن وأخصَرِه. وفيها تنبيه لأصحاب الروائح والذوق.

انتهى الجزء السابع (بانتهاء السفر الأوّل) والحمد لله[1].

---

(١) أسفل المتن ما يلي: بلغ قراءة على المؤلف الشيخ الإمام الصدر العلامة الفرد المحقّق أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي أيّده الله وأمتع به، العبد الفقير إلى الله أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي العلوي، في مجالس آخرها يوم الأربعاء سابع عشر محرم سنة خمس وثلاثين وستمائة، بمحروسة مدينة دمشق، بمنزل الشيخ المؤلف أيده الله، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وفي الصفحة التالية (ص ١٥٦) توجد عدة سماعات بخطوط مختلفة، وكلها مغايرة لقلم الأصل، وهي:

١- سمع جميع هذا الجزء السابع والسادس قبله على مصنفهما الشيخ الفقيه الإمام العالِم العارف محيي الدين شيخ الطريقة قدوة الحقيقة، أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي، أبقاه الله، بقراءة الإمام الزاهد أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، للأئمة: أبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأربلى، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف البغدادي، وأبو الحسن علي بن محمود بن أبي الرجا الحنفي، ويعقوب بن معاذ الوربي، وأحمد أبي الهيجاء بن أبي المعالي الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي، وعلي بن يوسف بن صدقة المقدسي، وإبراهيم بن خضر بن يوسف الدمشقي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع – الحنفيون -، وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، ومحمد بن عين الدولة بن موسى التركي، وعمران بن حبيش بن علي الحوراني، وأبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وعيسى بن إسحق الهذبانى، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ومحمد بن إبراهيم بن خضر المذكور، وأبو العز بن أبي الوحش الخزرجي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي –عفا الله عنه ". وسمع من حرف القاف إلى آخره أحمد بن موسى بن حسين التركماني. وسمع من حرف الكاف إلى آخره الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وابنه أحمد، وسمع من حرف الضاد إلى أخره محمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة، وذلك في خامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف، بدمشق المحروسة".

٢- وسمع جميع الجزء السابع والسادس قبله على مصنفه الشيخ الإمام العالِم العارف المحقق محيي الدين شيخ الطريقة أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي - نفع الله به- محمد بن علي بن محمد المطرز، بقراءة العبد الفقير الراجي رحمة الملك المنان أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي، بمنزل مؤلفه بدمشق المحروسة، في سابع ذي القعدة المبارك، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة". يلي ذلك مباشرة بخط الشيخ: "صح السماعان المذكوران أعلاه. وكتب محمد بن العربي منشئه بخطه في تاريخه".

٣- "قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجابي جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة المحقق المجتهد محيي الدين شيخ الإسلام محمد بن العربي، بمنزله في دمشق، في مجالس آخرها يوم الأحد ثالث عشر شعبان سنة ست وثلاثين وستمائة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. (يلي هذا مباشرة بخط الشيخ): " صح ما ذكره من السماع والقراءة، وكتب محمد بن علي بن محمد بن العربي في تاريخه".

تلى ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥١

وفي الصفحة المقابلة (ص ١٥٦ب) نطالع التوثيقات التالية:

١- طالعت هذا المجلد المبارك من أوله إلى آخره داعيا لمؤلفه ولواقفه ولكل المسلمين. أقلّ العباد وأحوجهم إلى عفوه محمود بن أحمد بن سليمان ابن الشمس، الحلبي مولدا، الشافعي مذهبا، في شهر شوال من شهور سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

٢- الحمد لله، نظر في هذا المجلد العبد الفقير محمد بن أحمد عقيلة المكي، بقونية، رحم الله مؤلفه، آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٣- الحمد لله الذي وفقنا بكتابة هذا الكتاب من أوله إلى آخره، وهي سبعة وثلاثون مجلدا، بعون الله تعالى وبهمة الشيخ ابن العربي وتلميذه الشيخ صدر الدين أبو المعالي، رضي الله عنهما. وأنا الفقير الحقير قليل البضاعة درويش أحمد شكري بن حافظ زين العابدين، من حفايد الشيخ الكامل عثمان هاشم المولوي الشطاري السلوي، قدس سره. وأنا أكتب هذا الكتاب من أوله إلى آخره جملة واحدة للشيخ سليمان العلوي الحسني البلخي، عفي عنه، في سنة ست وسبعين ومائتين والألف من هجرة النبوة.

٤- طالعت هذا السفر الأول من الفتوحات المكية من أوله إلى آخره داعيا لمؤلفه، وراجيا منه روحانيتة في الدنيا والشفاعة يوم القيامة. الفقير المجاور مدينة منورة محمد طيب بن موسى الداغستاني... في ٢٠ شهر شعبان المكرم في سنة ١٣٠٢

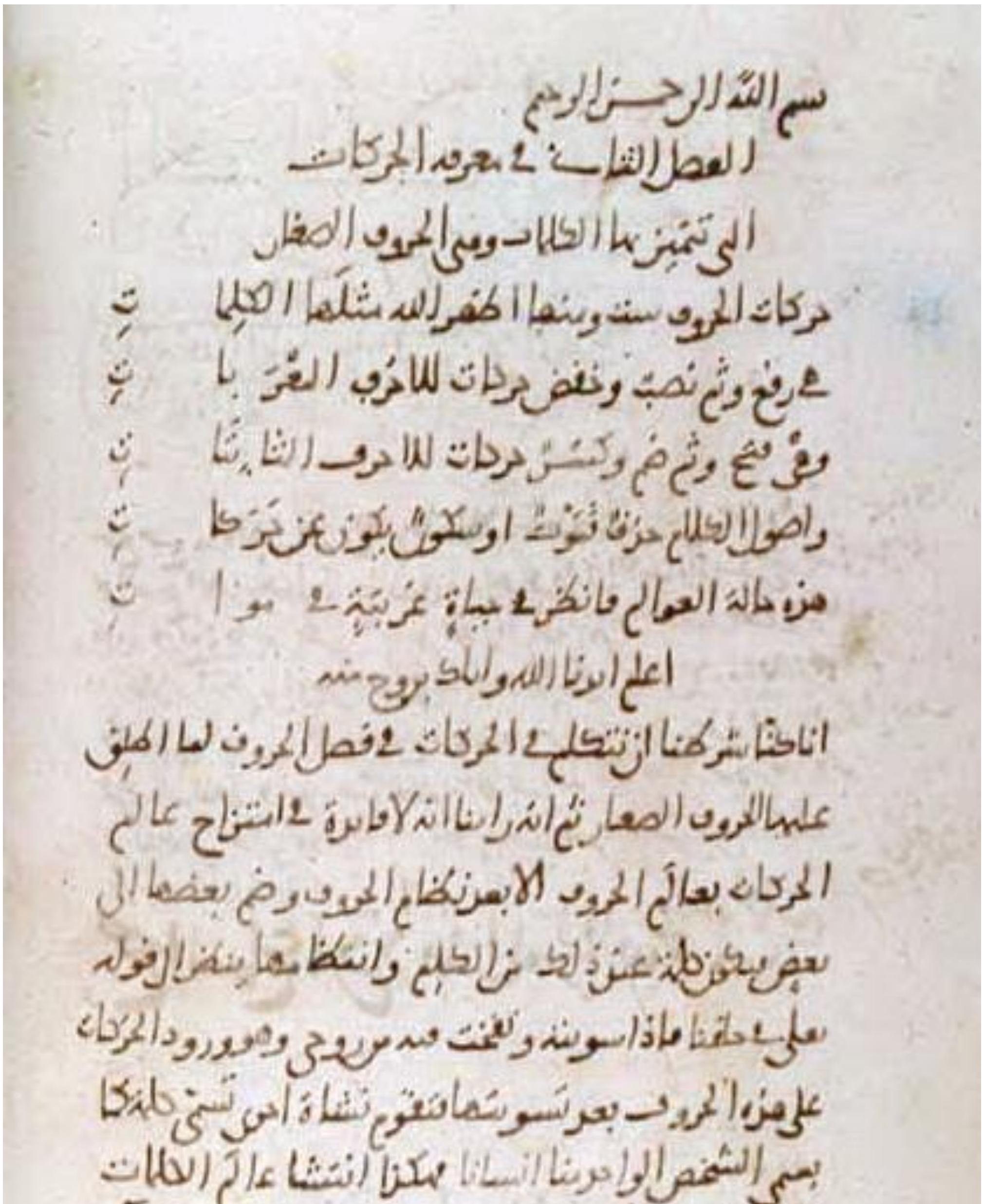
المحتويات

الجزء الثامن من الفتوحات المكيّة(١)

السفر الثاني من الفتوحات المكّيّة(٢)

(١) العنوان في ص ٢ب

(٢) بعد هذا العنوان مباشرة كتب ما يلي بخط الشيخ الأكبر: "إنشاء الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن العربي الطائي".
وبخطه كذلك كتب: " رواية مالك هذه المجلدة محمد بن إسحق القونوي عنه".
يليه بخط القونوي: "رواية مجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي بحق سماعه عليه عنه. كتبه الفقير إلى الله محمد بن إسحق بن محمد حامد الله".
ويليه ما يلي: "سمع جميع هذه المجلدة الثانية من الفتوحات المكية، وهي بخط منشئ الكتاب -رضي الله عنه وأرضاه- بتمامها وكمالها على الشيخ الإمام العالم الراسخ القدوة، صدر الملة والدين، وارث الأنبياء والمرسلين، أثبته الله في أعالي... قلمُه، ورفع في كل حضرة علية علمه، الجماعة السادة منهم السيد الفاضل عفيف الدين سليمان بن علي، وبرهان الدين إبراهيم بن أبي بكر الصنهاجي الحافظ، وكمال الدين محمد بن صديق الأهري، وجمال الدين محمد بن الحسن السلعاني، ومجد الدين أبو بكر بن بندار التبريزي، وفقهم الله وأعاد على... بقراءة الفقير إلى الله تعالى... بن عبد الله الملطي، وسمع من نصف هذه المجلدة إلى آخرها الصدر... علم الدين حسن بن محمود المروري، ومجد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري، وذلك في مجالس آخرها ليلة الخميس لخمس خلون من شهر ذي القعدة سنة ثمان وستون وستمائة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما".
يليه بخط صدر الدين القونوي: "صح السماع لمن ذكر. وكتب الفقير إلى الله محمد بن إسحق بن محمد في مؤرخه ..."
وأخيرا نجد مكتوبا بخط آخر: "وقف هذا الكتاب من أوله إلى آخره كاتب الإجازة بخطه الشيخ الإمام المذكور فوق هذا السطر، وهو الشيخ صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد رضي الله عنه وعن سلفه في حال حياته بحضور مولانا أقضى القضاة سراج الملة والدين والأئمة الحاضرين عنده يومئذ، على دار الكتب المنشأة عند قبره لينتفع به سائر المسلمين هناك خاصة، ولا يخرج منها إلى غيرها من المواضع، لا برهن ولا بغيره. تقبل الله منه وأثابه رضاه يوم يلقاه وقبله وبعده إنه مليّ بذلك قادر عليه".
وفي ص ١ب السابقة ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٧، وطابع دمغة برقم ١٨٤٦، وإشارة إلى عدد صفحات السفر: ٣٠٦ صحيفة



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني في معرفة الحركات

التي تتميز بها الكلمات ومعنى الحروف الصغار

حركات الحروف ست وسنها اظهر الله شكلها الكلما

في رفع وثم نصب وخفض حركات للاحرف العربا

وفي فتح وثم ضم وكسر حركات للاحرف الثابتة

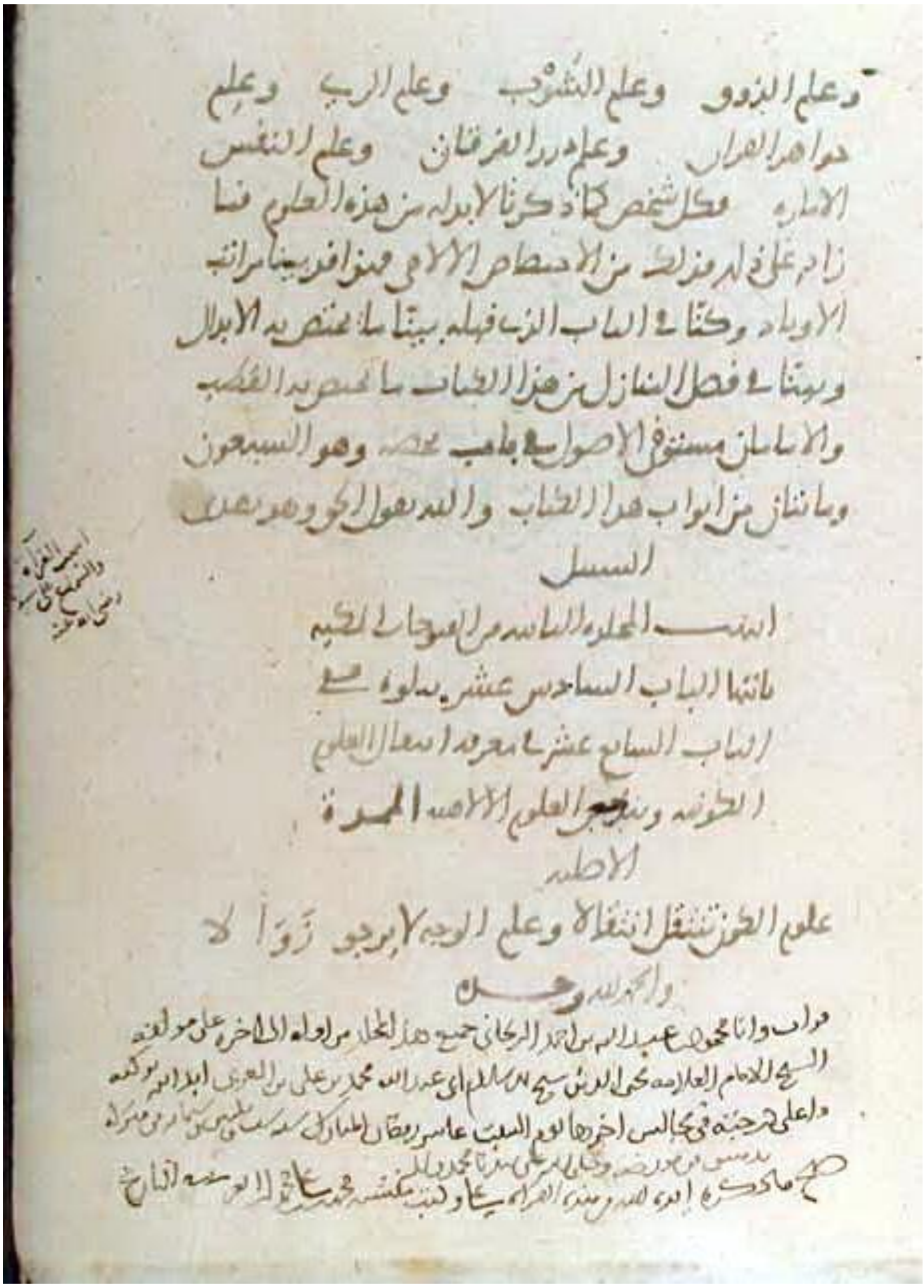
واصول الكلام حركة قوية او سكون يكون عن حركة

هذه حالة العوالم فانظر في حياة عربية في هوا

اعلم ايدنا الله واياك بروح منه

انا اخذنا شرطنا ان نتكلم في الحركات في فصل الحروف لما اطلق
عليها الحروف الصغار ثم انه راينا انه لا فائدة في امتزاج عالم
الحركات بعالم الحروف الا بعد نظام الحروف وضم بعضها الى
بعض فيكون كلمة عند ذلك من الكلم وانتظامها مثل قوله
تعالى خلقنا فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو ورود الحركات
على هذه الحروف بعد تسويتها فتقوم نشأة اخرى تسمى كلمة كما
يسمى الشخص الواحد منا انسانا فهكذا انشأنا عالم الكلمات
والالفاظ من عالم الحروف والحروف للكلمات مواد كالماء

الصفحة الثالثة من مخطوط قونية


وعلم الذوق وعلم الشرب وعلم الري وعلم
جواهر القرآن وعلم درر الفرقان وعلم النفس
الأمارة فكل شخص كما ذكرنا الأبدال من هذه العلوم فما
زاد على ذلك فمنزلته من الاصطلاح الإلهي متوافر بيننا مراتب
الأوتاد وكتبنا في الباب الذي قبله بيننا ما تختص به الأبدال
وبينّا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما تختص به القطب
والإمامان مستوفى الأصول في باب مخصوص وهو السبعون
ومائتان من أبواب هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل
انتهت المجلدة السادسة من الفتوحات المكية
يتلوها الباب السادس عشر يتلوه في
الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم
الكونية ونشر العلوم الإلهية المصورة
الأصلية
علم الكون ينتقل انتقالا وعلم الوجه لا يبرح زوالا
والحمد لله وحده
قرأت وأنا محمود عبد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه
الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي أبقاه الله [illegible]
وأعلى درجته في مجالس آخرها يوم السبت عاشر رمضان المعظم [illegible]
[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الفصل الثاني
في معرفة الحركات التي تميّز بها الكلمات
وهي الحروف الصغار

حَرَكَاتُ الحُرُوفِ سِتٌّ وَمِنْهَا أَظْهَرَ اللهُ مِثْلَهَا الكَلِمَاتِ
هِيَ رَفْعٌ وَثُمَّ نَصْبٌ وَخَفْضٌ حَرَكَاتٌ لِلأَحْرُف المُعْرَبَاتِ
وَهْيَ فَتْحٌ وَثُمَّ ضَمٌّ وَكَسْرٌ حَرَكَاتٌ لِلأَحْرُفِ الثَّابِتَاتِ
وأُصُولُ الكَلَامِ حَذْفٌ فَمَوْتٌ أَوْ سُكُونٌ يَكُونُ عَنْ حَرَكَاتِ
هَذِهِ حَالَةُ العَوَالِمِ فَانْظُرْ فِي حَيَاةٍ غَرِيْبَةٍ فِي مَوَاتِ

اعلم -أيّدنا الله وإيّاك بروح منه- أنّا كنّا شرطنا أن نتكلّم في الحركات في فصل الحروف، لَمّا أُطلِق عليها الحروف الصغار. ثُمّ إنّه رأينا أنّه لا فائدة في امتزاج عالَم الحركات بعالَم الحروف إلّا بعد نظام الحروف، وضمّ بعضها إلى بعض، فتكون كلمة عند ذلك، من الكلِم. وانتظامها ينظر إلى قوله -تعالى- في خَلْقِنا: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2]، وهو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها. فتقوم نشأةٌ أخرى تسمّى كلمة، كما يسمّى الشخص الواحد منّا إنسانا. فكهذا انتشأ عالَم الكلمات والألفاظ من عالَم الحروف.

فالحروف للكلمات، موادّ؛ كالماء والتراب[3] والنار والهواء، لإقامة نشأة أجسامنا. ثمّ نَفَخَ (الحقُّ) الروحَ فيه؛ الأمريَّ، فكان إنسانا. كما قَبِلَت الرياح، عند استعدادها، نفخ الروحَ الأمريّ فكان جانّا. كما قَبِلَت الأنوار، عند استعدادها، نفخ الروح فكانت الملائكة. ومن الكَلِمِ ما يشبه الإنسان؛ وهو أكثرها، ومنها ما يشبه الملائكة والجِنّ، وكلاهما جِنٌّ، وهو أقلّها؛ كالباء الخافضة، واللام الخافضة والمؤكِّدة، وواو القسم وبائه وتائه، وواو العطف وفائه، والقاف من

(١) البسملة في ص ٣
(٢) [الحجر: ٢٩]
(٣) ص ٣ب

"قِ"، والشـــين من "شِ"، والعين من "عِ" إذا أمرت بها من الوقاية والوشي والوعي. وما عدا هذا الصنف المفرد فهو أشبه شيء بالإنسان. وإن كان المفرد يشبه باطن الإنسان، فإنّ باطن الإنســـان جانّ في الحقيقة. فلمّا كان عالَم الحركات لا يوجد إلّا بعد وجود الذوات المتحرّكة بها، وهي الكلمات المنشآت من الحروف، أخّرنا الكلام عليها عن فصل الحروف إلى فصل الألفاظ.

ولَمّا كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب، عن جملة الألفاظ، أردنا أن نتكلّم في الألفاظ على الإطلاق، وحصر عالَمها، ونسبة هذه الحركات منها بعد ما نتكلّم أوّلا على الحركات على الإطلاق. ثمّ بعد ذلك نتكلّم على الحركات المختصّة بالكلمات التي[1] هي حركات اللسان، وعلاماتها التي هي حركات الخطّ. ثمّ بعد ذلك نتكلّم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه.

ولعلّك تقول: هذا العالَم المفرَد من الحروف، الذي قَبِل الحركة دون تركيب؛ كباء الخفض وشبهه من المفردات، كنت تُلحقه بالحروف لانفراده، فإنّ هذا هو باب التركيب وهو الكلمات. قلنا: ما نُفخ في باء الخفض؛ الروحُ، و(ما نُفخ في) أمثاله من مفردات الحروف؛ أرواحُ الحركات؛ ليقوموا بأنفسهم، كما قام عالَم الحروف وحده دون الحركات. وإنما نُفخ فيه الروحُ من أجل غيره؛ فهو مركّب. ولذلك لا يُعطى ذلك حتى يضاف إلى غيره، فيقال: بالله، وتالله، ووالله، لأعبدنّ، وسأعبد، ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي﴾[2]، وما أشبه ذلك. ولا معنى له إذا أفردته، غير معنى نفسه.

وهذه الحقائق، التي تكون عن التركيب، توجد بوجوده وتعدم بعدمه. فإنّ الحيوان حقيقة لا توجد أبدا، إلّا عند تألُّف حقائق مفردة، معقولة في ذواتها، وهي: الجســـميّة، والتغذية، والحسّ. فإذا تألّف الجسم والغذاء والحسّ، ظهرت حقيقة الحيوان؛ ليس هي الجسم وحده، ولا الغذاء وحده، ولا الحسّ وحده. فإذا أســـقطتَ حقيقة الحسّ، وألّفْتَ الجســـم والغذاء، قلت: نبات. (وهذه) حقيقة ليست الأُولَى[3].

ولَمّا كانت الحروف المفردة، التي ذكرناها، مؤثّرة في هذا التركيب الآخر اللفظيّ، الذي ركّبناه لإبراز حقائق لا تعقل عند السامع إلّا بها، لهذا شبّهناها لكم، للتوصيل بالعالَم الروحانيّ كالجنّ. ألا

---

(١) ص ٤

(٢) [آل عمران: ٤٣]

(٣) ص ٤ب

ترى الإنسان يتصرّف بين أربع حقائق: حقيقة ذاتيّة، وحقيقة ربّانيّة، وحقيقة شيطانيّة، وحقائق مَلَكيّة. وسيأتي ذِكْر هذه الحقائق مستوفى، في باب المعرفة للخواطر، من هذا الكتاب. وهذا، في عالَم الكلمات، دخول حرف من هذه الحروف على عالَم الكلمات، فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها. فافهم هذا. فهّمنا الله وإيّاكم سرائر كَلِمه.

نكتة وإشارة

قال رسول الله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». وقال -تعالى-: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾[1] وقال: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ﴾[2] ويقال: "قطع الأمير يد السارق، وضرب الأمير اللصّ". فمن أُلقيَ عن أمره شيء، فهو ألقاه. فكان الملقي محمد عليه السلام ألقى عن الله كلمات العالَم بأسره، من غير استثناء شيء منه أَلْبَتَّة. فمنه ما ألقاه بنفسه؛ كأرواح الملائكة وأكثر[3] العالَم العلويّ. ومنه، أيضا، ما ألقاه عن أمره. فيحدث الشيء عن وسائط، كَبُرَّةِ الزراعة ما تصل إلى أن تجري، في أعضائك، روحا مسبِّحا وممجِّدا، إلّا بعد أدوار كثيرة، وانتقالات في عالم (=عوالم)؛ وتنقلب في كلّ عالَم من جنسه، على شكل أشخاصه. فرجع الكلّ في ذلك إلى مَن "أوتي جوامع الكلم".

فتنفخ الحقيقة الإسرافيليّة من (الحقيقة) المحمّديّة، المضافة[4] إلى الحقّ نفخها كما قال -تعالى-: ﴿وَيَوۡمَ نَنفُخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[5] بالنون. وقُرِئَ بالياء وضمّها وفتح الفاء. والنافخ إنما هو إسرافيل عليه السلام والله قد أضاف النفخ إلى نفسه. فالنفخ من إسرافيل، والقبول من الصوَر. وسِرُّ الحقّ بينهما هو المعنى بين النافخ والقابل، كالرابط من الحروف بين الكلمتين، وذلك هو سرّ الفعل الأقدس الأنزه، الذي لا يطّلع عليه النافخ ولا القابل.

فعلى النافخ أن ينفخ، وعلى النار أن تتّقد، والسراج أن ينطفي. والاتّقاد والانطفاء بالسرّ الإلهيّ. فينفخ فيها فتكون طائرا بإذن الله. قال -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[6] والنفخ واحد، والنافخ

---

(١) [النساء: ١٧١]
(٢) [التحريم: ١٢] ولفظ "كتابه" وفقا لقراءة ورش، وفي قراءة حفص: وكتبه.
(٣) ص ٥
(٤) مبينة في الهامش أنها: "المضافتان".
(٥) [النمل: ٨٧] و"ننفخ" بالنون وفقا لقراءة أبي عمرو، و"ينفخ" لبقية القراء.
(٦) [الزمر: ٦٨]

واحد، والخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد، وقد خَفي السرّ[١] الإلهيّ بينهما في كلّ حالة. فتفطّنوا -يا إخواننا- لهذا الأمر الإلهيّ، و﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] لا يتوصّل أحد إلى معرفة كنه الألوهة أبدا، ولا ينبغي لها أن تُدرك، عزّت وتعالت علوّا كبيرا.

فالعالم كلّه، من أوّله إلى آخره؛ مقيّد بعضه ببعضه، عابدٌ بعضه بعضا. معرفتهم منهم إليهم، وحقائقهم منبعثة عنهم، بالسرّ الإلهيّ الذي لا يدركونه، وعائدة عليهم. فسبحان من لا يجارى في سلطانه، ولا يدانى في إحسانه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٣].

فبَعد فَهْمِ جوامع الكلم، الذي هو العِلم الإحاطيّ والنور الإلهيّ، الذي اختصّ به سِرّ الوجود، وعَمَد القبّة، وساق العرش، وسبب ثبوت كلّ ثابت؛ محمد ﷺ. فاعلموا -وفّقكم الله- أنّ جوامع الكلم، من عالَم الحروف، ثلاثة: ذاتٌ غنيّة قائمة بنفسها، وذاتٌ فقيرة إلى هذه الغنيّة، غير قائمة بنفسها، ولكن يرجع منها إلى الذات الغنيّة وصفٌ تتّصف به، يطلبها بذاته؛ فإنّه ليس من ذاتها إلّا بمصاحبة هذه الذات لها. فقد صحّ أيضا، من وجهٍ، الفقرُ للذات الغنيّة، القائمة بنفسها، كما صحّ للأخرى. وذاتٌ ثالثة رابطة بين ذاتين غنيّتين، أو ذاتين فقيرتين، أو ذات فقيرة[٤] وذات غنيّة، وهذه الذات الرابطة؛ فقيرة لوجود هاتين الذاتين ولا بدّ.

فقد قام الفقر والحاجة بجميع الذوات، من حيث افتقار بعضها إلى بعض، وإن اختلفت الوجوه، حتى لا يصحّ الغنى على الإطلاق إلّا لله -تعالى- الغنيّ الحميد، من حيث ذاته. فَلْنُسَمِّ الغنيّة: ذاتًا، والذات الفقيرة: حدَثا، والذات الثالثة: رابطة. فنقول: الكلِم محصور في ثلاث حقائق: ذاتٌ وحدَثٌ ورابطة، وهذه الثلاثة (هي) جوامع الكلم. فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات، وكذلك تحت جنس كلمة الحدَث والرابط. ولا نحتاج إلى تفصيل هذه الأنواع ومساقها في هذا الكتاب، وقد اتّسع القول في هذه الأنواع في "تفسير القرآن" لنا.

فإن شئت أن تقيس على ما ذكرناه، فانظر في كلام النحويّين، في الاسم والفعل والحرف، وكذلك المنطقيين. فالاسم عندهم هو الذات عندنا، والفعل عندهم هو الحدث عندنا، والحرف عندهم هو الرابطة عندنا. وبعض الأحداث عندهم، بل كلّها، أسماء؛ كالقيام والقعود والضرب.

---

(١) ص ٥ب
(٢) [البقرة: ٢٠٩]
(٣) [آل عمران: ٦]
(٤) ص ٦

وجعلوا الفعل: كلّ كلمة مقيّدة بزمان معيّن. ونحن إنما قصدنا بالكلمات؛ الجري على الحقائق بما هي عليه. فجعلنا: "القيامَ" و"قام" و"يقوم" و"قُم"؛ حدَثا، وفصلنا بينهم بالزمان المبهَم والمعيّن.

وقد تفطّن لذلك الزجّاجيّ[1]، فقال: والحدث -الذي هو القيام مثلا- هو المصـــدر. يريد: هو[2] الذي صـــدر من المُحْدِث، وهو اسم الفعل. يريد أنّ "القيام" -هذه الكلمة- اسم[3] لهذه الحركة المخصـوصـة، من هذا المتحرّك، الذي بها سمّي قائما؛ فتلك الهيئة هي التي سمّيت قياما، بالنظر إلى حال وجودها. و"قام" بالنظر إلى حال انقضـائها وعدمها. و"يقوم" و"قُم" بالنظر إلى توهّم وقوعها. ولا توجد أبدا إلّا في متحرِّك؛ فهي غير قائمة بنفسها.

ثمّ قال: والفعل -يريد لفظة "قام" أو"يقوم"، لا نفس الفعل الصادر من المتحرّك قائما مثلا- مشـتقّ منه. الهاء تعود على لفظة اسم الفعل، الذي هو "القيام"، مأخوذ -يعني "قام" و"يقوم"- من "القيام"، لأنّ النكرة عنده قبل المعرفة، والمبهَم نكرة، والمختصّ معرفة، و"القيام" مجهول الزمان، و"قام" مختصّ الزمان ولو دخلت عليه "إن"، و"يقوم" مختصّ الزمان ولو دخلت عليه "لَمْ". وهذا مذهب من يقول بالتحليل: إنّه فرع عن التركيب، وأنّ المركّب وُجِد مركّبا.

وعلى مذهب من يقول بالتفريق، وإنّ التركيب طارئ -وهو الذي يُعْضَـــد في باب النقل أكثر- فإنّ الأظهر أنّ المعرفة قبل النكرة، وأنّ لفظة "زيد" إنما وُضِـعَتْ لشـخص معيّن، ثمّ طرأ التنكير بكونه شورك في تلك اللفظة، فاحتيج إلى التعريف بالنعت والبدل وشبه ذلك. فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحقّقين، وإن[4] كان لهؤلئك وجه، ولكن هذا أليق.

وأمّا نحن، ومن جرى مجرانا، ورقى[5] مرقانا الأشمخ، فغرضـــنا أمر آخر؛ ليس هو قول أحدهما مطلقا، إلّا بِنِسـب وإضـافات، ونظرٍ إلى وجوهٍ مّا، يطول ذِكْرها، ولا تمسّ الحاجة إليها في هذا الكتاب؛ إذ قد ذكرناها في غيره من تواليفنا. فلنبيّن:

أنّ الحركات على قسـمين: حركة جسـمانيّة، وحركة روحانيّة. والحركة الجسـمانيّة لها أنواع كثيرة، سيأتي ذِكْرها في داخل الكتاب، وكذلك الروحانيّة. ولا نحتاج منها، في هذا الكتاب، إلّا

(١) أبو القاسم الزجّاجي عبد الرحمن بن إسحاق النَّهاوندي النحوي، صاحب التصانيف، أخذ عن أبي إسحاق الزجّاج، وابن دريد وعلي بن سليمان الأخفش وقد انتفع بكتابة الجمل، خلق لا يحصون، فقيل إنه جاور مدة بمكة وصنفه فيها. وكان إذا فرغ الباب، طاف أسبوعًا، ودعا بالمغفرة، اشتغل ببغداد، ثم بحلب وبدمشق، ومات بطبريّة في رمضان عام ٣٤٠هـ. [العبر في خبر من غبر (١ / ١٣٧)]

(٢) ص ٦ب

(٣) لفظ "اسم" بالهامش بخط الأصل.

(٤) ص ٧

(٥) كانت: "ورقى في" وهناك إشارة على حرف الجر لاستبعاده.

إلى حركات الكلام لفظا وخطّا. فالحركات الرقميّة كالأجســـام، والحركات اللفظيّة لها كالأرواح. والمتحرّكات على قسمين: متمكن، ومتلوّن. فالمتلوّن: كلّ متحرّك تحرّك بجميع الحركات أو ببعضها. فالمتحرّك بجميعها؛ كالدال من زيد، والمتحرّك ببعضها؛ كالأسماء التي لا تنصرف، في حال كونها لا تنصرف؛ فإنّها قد تنصرف في التنكير والإضافة كالدال من أحمدَ. والمتمكن: كلّ متحرّك ثبت على حركة واحدة، ولم ينتقل عنها؛ كالأسماء المبنيّة. مثل: هؤلاء، وحَذامِ، وكحروف الأسماء المعرَبة التي قبل حرف الإعراب منها؛ كالزاي والياء من زيد، وشبهه.

واعلم أنّ أفلاك الحركات هي أفلاك الحروف[1] التي تلك الحركات عليها لفظا وخطّا، فانظره هناك. ولها بســـائط وأحوال ومقامات، كما كان للحروف نذكرها في كتاب "المبادي" المخصوص بعلم الحروف -إن شاء الله-.

وكما ثبت التلوين والتمكين للذات، كذلك ثبت للحدث والرابط؛ ولكن في الرفع، والنصب، وحذف الوصــف، وحذف الرسم. ويكون تلوين تركيب الرابط لأمرين: بالموافقة والاســتعارة، والاضــطرار. فبالموافقة: وهو الإتْبَاع: هذا ابْنُمٌ، ورأيت ابْنَمًا، وعجبت من ابْنِمٍ. وبالاســتعارة: حركة النقل، كحركة الدال من ﴿قَدَ أَفْلَحَ﴾[2] في قراءة من نَقَل. وبالاضـطرار: التحريك لالتقاء الساكنين.

وقد تكون حركة الإتْباع الموافق في التركيب الذاتي، وإن كان أصــل الحروف كلّها التمكين، وهو البنـاء، مثـل "الفطرة فينـا". وهنـا أسرار لمن تفطّن. ولكنّ الوالدان ينقلان عن الفطرة المقيّدة، لا الفطرة المطلقة. كذلك الحروف؛ متمكنة في مقامها، لا تختلّ، ثابتة، مبنيّة، كلّها ساكنة في حالها. فأراد اللافظ أن يوصِل إلى السامع ما في نفسه، فافتقر إلى التلوين، فحرّك الفلَك الذي عنه توجد الحركات عند "أبي طالـب". وعنـد غيره؛ هو المتقدّم. واللفظ أو الرقم، عن ذلك الفلَك. وهذا موضع[3] طلبٍ لمريدي معاينة الحقائق.

وأمّا نحن، فلا نقول بقول أبي طالب ونقتصر، ولا بقول الآخَر ونقتصر؛ فإنّ كلّ واحد منهما قال حقّا من جهةٍ مّا، ولم يتمّم. فأقول: إنّ الحقائق الأُوَل الإلهيّة، تتوجّه على الأفلاك العُلويّة، بالوجه الذي تتوجّه به على مَحالِّ آثارها، عند غير أبي طالب المكيّ، وتُقْبَلُ كلّ حقيقة على مرتبتها.

(١) ص ٧ب
(٢) [المؤمنون: ١]
(٣) ص ٨

ولَمّا كانت تلك الأفلاك في اللطافة أقرب، عند غير أبي طالب، إلى الحقائق؛ كان قبولها أسبق؛ لعدم الشغل، وصفاء المحلّ من كدورات العلائق، فإنّه نزيه. فلهذا جعلها السبب المؤثِر.

ولو عرف هذا القائل أنّ تلك الحقائق الأُوَل، إنما توجّهت على ما يناسبها في اللطافة، وهو أنفاس الإنسان، فتحرّك الفلك العُلويّ، الذي يناسبه عالَمُ الأنفاس -وهذا مذهب أبي طالب- ثمّ يحرِّك ذلك الفلَك العُلويّ العضوَ المطلوب بالغرض المطلوب، بتلك المناسبة التي بينهما. فإنّ الفلَك العُلويّ، وإن لَطُف، فهو في أوّل درج الكثافة وآخر درج اللطافة، بخلاف عالَم أنفاسنا.

واجتمعت المذاهب؛ فإنّ الخلافَ لا يصحّ عندنا ولا في طريقنا. لكنّه كاشِفٌ وأُكشف. فتفهّم ما أشرنا إليه وتحقّقه؛ فإنّه سرّ عجيب، من[1] أكبر الأسرار الإلهيّة. وقد أشار إليه أبو طالب في كتاب "القوت" له.

ثمّ نرجع ونقول: فافتقر المتكلِّم إلى التلوين ليبلغ إلى مقصده. فوجد عالَم الحروف والحركات قابلا لما يريده منها، لِعلمها أنّها لا تزول عن حالها، ولا تبطل حقيقتها. فيتخيّل المتكلِّم أنّه قد غيّر الحرف، و(هو) ما غيّره. برهان ذلك: أن تفني نظرك في "دال" زيد، من حيث هو دالٌ، وانظر فيه من حيث تقدَّمه "قام" مثلا، وتفرَّغ إليه، أو أيّ فعل لفظيّ كان، لِيُحَدِّث به عنه. فلا يصحّ لك إلّا الرفع فيه خاصّة؛ فما زال عن بنائه الذي وُجِد عليه.

ومن تخيّل أنّ "دال" الفاعل هو "دال" المفعول أو "دال" المجرور، فقد خلّط، واعتقد أنّ الكلمة الأُولَى هي عين الثانية، لا مِثلها. ومن اعتقد هذا في الوجود فقد بَعُدَ عن الصواب. وربما يأتي من هذا الفصل، في الألفاظ شيء، إن قُدِّر وأُلهمناه.

فقد تبيّن لك أنّ الأصل؛ الثبوتُ لكلّ شيء. ألا ترى العبد؛ حقيقة ثبوته وتمكّنه إنما هو في العبودة؟ فإن اتّصف، يوما مّا، بوصف ربّانيٍّ، فلا تقل هو معار عنده، ولكن انظر إلى الحقيقة التي قبِلتْ ذلك الوصف منه، تجدها ثابتة في ذلك الوصف؛ كلّما ظهر عينُها تحلّت بتلك الحلية.

فإيّاك أن تقول: قد خرج هذا عن[2] طَوْره بوصف ربّه. فإنّ الله -تعالى- ما نزع وصفه وأعطاه إيّاه، وإنما وقع الشبه في اللفظ والمعنى معا، عند غير المحقِّق، فيقول: هذا هو هذا، وقد

---

(١) ص ٨ب
(٢) ص ٩

عِلِمنا أنّ هذا ليس هذا، وهذا ينبغي لهذا ولا ينبغي لهذا؛ فليكن، عند من لا ينبغي له، عارية وأمانة. وهذا قصور، وكلامُ مَن عمي عن إدراك الحقائق. فإنّ هذا ولا بدّ، ينبغي له هذا. فليس الربّ هو العبد.

وإن قيل في الله -سبحانه-: إنّه عالِم، وقيل في العبد: إنّه عالِم، وكذلك الحيّ والمريد والسميع والبصير وسائر الصفات والإدراكات. فإيّاك أن تجعل حياة الحقّ هي حياة العبد في الحدِّ؛ فتلزمك المُحالات. فإذا جعلت حياة الربّ على ما تستحقّه الربوبيّة، وحياة العبد على ما يستحقّه الكون؛ فقد انبغى للعبد أن يكون حيًّا، ولو لم ينبغي له ذلك؛ لم يصحّ أن يكون الحقّ آمِرا ولا قاهرا إلّا لنفسه؛ ويتنزّه -تعالى- أن يكون مأمورا أو مقهورا. فإذا ثبت أن يكون المأمور والمقهور أمرا آخر وعينا أخرى؛ فلا بدّ أن يكون حيّا، عالما، مريدا، متمكنا مما يراد به. هكذا تعطي الحقائق.

فَثَمَّ، على هذا، حرفٌ لا يقبل سِوَى حركته؛ كالهاء من هذا. وثَمّ حرف يقبل الحركتين والثلاث، من جهة صورته الجسميّة والروحيّة؛ كالهاء في الضمير "له" و"لها" و"به". كما[١] تقبل أنت بنفسك الخجل؛ وبصورتك حمرته، وتقبل بنفسك الوجل؛ وبصورتك صفرته، والثوب يقبل الألوان المختلفة. وما بقي الكشف إلّا عن الحقيقة التي تقبل الأعراض: هل هي واحدة، أو شأنها شأن الأعراض في العدم والوجود؟ وهذا مبحث للنظّار، وأمّا نحن فلا نحتاج إليه، ولا نلتفت؛ فإنّه بحر عميق يحال المريد على معرفته من باب الكشف عليه؛ فإنّه بالنظر إلى الكشف يسير، وبالنظر إلى العقل عسير.

ثمّ أرجع وأقول: إنّ الحرف إذا قامت به حقيقة الفاعليّة، بتفريغ الفعل على البنية المخصوصة في اللسان، يقول: قال الله. وإذا قامت به حقيقة تطلبه؛ يسمّى عندها منصوبا بالفعل أو مفعولا، كيف شئتَ. وذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده، كما طلب منّي القيام بما كلّفني. فمن أجل أنّه لم يعطني إلّا بعد سؤالي، فكان سؤالي، أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده، جعله يعطيني. قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، فسؤالي إيّاه؛ من أمره إيّاي به، وإعطاؤه إيّاي؛ من طلبي منه. فتقول: دعوت اللهَ؛ فنصبتَ حرف الهاء، وقد كانت مرفوعة. فعلِمنا بالحركات أنّ

---

(١) ص ٩ب

(٢) [الروم: ٤٧]

الحقائق قد اختلفتْ. بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس.

وهذا إذا كان المتكلِّم به[1] غيرنا. وأمّا المتكلِّم؛ فالحقائق[2] يعلم أوّلا، ويجريها في أفلاكها على ما تقتضيه، بالنظر إلى أفلاك مخصوصة. وكلّ متكلّم بهذه المثابة، وإن لم يعلم بهذا التفصيل، وهو عالِم به من حيث لا يعلم أنّه عالِم به. وذلك أنّ الأشـياء المتلفَّظ بها[3]؛ إمّا لفظ يدلّ على معنى -وهو مقام الباحث في اللفظ: ما مدلوله؟ ليرى ما قصـد به المتكلّم من المعاني- وإمّا معنى يُدَلُّ عليه بلفظ مّا، وهو المخبِر عمّا تحقّق. وأضربنا عن اللحن؛ فإنّ أفلاكه غير هذه الأفلاك. و(كما أضربنا عن ذِكْر) إسقاط الحركات من الخطّ -في حقّ قوم دون قوم- ما سببه؟ ومن أين هو؟ هذا كلّه في كتاب "المبادي". إذ كان القصد بهذا الكتاب الإيجاز والاختصار جهد الطاقة. ولو اطّلعتم على الحقائق كما اطّلعنا عليها، وعلى عالَم الأرواح والمعاني؛ لرأيتم كلّ حقيقة وروح ومعنى على مرتبته. فافهم والزم. قد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات، ما يليق بهذا الكتاب.

فلنقبض العنان، ولنرجع إلى معرفة الكلمات التي ذكرناها، مثل كلمة: الاسـتواء، والأين، وفي، وكان، والضـحك، والفرح، والتبشـبش، والتعجّب، والملل، والمعيّة، والعين، واليد، والقدم، والوجه، والصـورة، والتحوّل، والغضـب، والحياء، والصـلاة، والفراغ، وما ورد في الكتاب العزيز والحديث[4] من هذه الألفاظ التي توهم التشبيه والتجسيم، وغير ذلك مما لا يليق بالله -تعالى- في النظر الفكريّ عند العقل خاصّة، فنقول:

لَمّا كان القرآن مُنزلا على لسـان العرب، ففيه ما في اللسـان العربي. ولَمّا كانت الأعراب لا تَعقل ما لا تعقل، إلّا حتى يُنَزَّل لها في التوصـيل بما تعقله؛ لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحدّ. كما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[5].

لَمّا كانت الملوك، عند العرب، تُجْلِس عبدَها المقرّب المكرّم منها، بهذا القدر في المساحة، فعقلت من هذا الخطاب، قرب محمد ﷺ من ربّه. ولا تبالي بما فهِمتْ من ذلك، من سِوَى القرب -والبرهان العقليّ ينفي الحدّ والمسافة- حتى يأتي الكلام في تنزيه الباري عمّا تعطيه هذه الألفاظ

(١) ص ١٠
(٢) الحرف الأول مهمل في ق، وفي س: "بالحقائق" والترجيح من هـ
(٣) "المتلفظ بها" بالهامش بخط الأصل.
(٤) ص ١٠ب
(٥) [النجم: ٨، ٩]

من التشبيه، في الباب الثالث الذي يلي هذا الباب.

ولَمّا كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام:

ألفاظ متباينة؛ وهي الأسماء التي لم تتعدّ مسمّاها: كالبحر، والمفتاح، والمقصّان.

وألفاظ متواطئة؛ وهي كلّ لفظة قد تووطئ عليها أن تُطلق على آحاد نوع مّا من الأنواع: كالرجل[١] والمرأة.

وألفاظ مشتركة؛ وهي كلّ لفظ على صيغة واحدة، يطلق على[٢] معان مختلفة: كالعين، والمشتري، والإنسان.

وألفاظ مترادفة؛ وهي ألفاظ مختلفة الصيغ، تطلق على معنى واحد: كالأسد والهزبر والغضنفر، وكالسيف والحسام والصارم، وكالخمر والرحيق والصهباء والخندريس. هذه هي الأمّهات؛ مثل البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة في الطبائع.

وثَمّ ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة، وغير ذلك. وكلّها ترجع إلى هذه الأمّهات بالاصطلاح. فإنّ المشتبه وإن قلت فيه: إنّه قَبيل خامس من قبائل الألفاظ؛ مثل النور؛ يطلق على المعلوم وعلى العلم، لِشَبِهِ العلم به، مِن كَشْفِ عين البصيرة به المعلوم، كالنور مع البصر في كشف المرئيّ المحسوس. فلمّا كان هذا الشبه صحيحا؛ سمّي العلم نورا، ويلحق بالألفاظ المشتركة. فإِذَنْ، لا ينفكّ لفظ من هذه الأمّهات. وهذا هو حدّ كلّ ناظر في هذا الباب.

وأمّا نحن، فنقول بهذا معهم. وعندنا زوائد، من باب الاطّلاع على الحقائق، من جهةٍ لم يطّلعوا عليها، عَلِمنا منها أنّ الألفاظ كلّها متباينة، وإن اشتركت في النطق. ومن جهة أخرى أيضا؛ كلّها مشتركة، وإن تباينت في النطق. وقد أشرنا إلى شيء من هذا، فيما تقدّم من هذا الباب، في آخر فصل الحروف.

فإذا[٣] تبيّن هذا، فاعلم -أيّها الوليّ الحميم- أنّ المحقّق الواقف، العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهيّة، من التقديس والتنزيه ونفي المماثلة والتشبيه، لا يحجبه ما نطقتْ به الآيات والأخبار في حقّ الحقّ -تعالى- من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان. كقوله عليه السلام: «أين الله؟ فأشارت (الأَمَةُ) إلى السماء». فأثبت لها الإيمان. فسأل ﷺ بالظرفيّة، عمّا لا يجوز عليه المكان في النظر

---

(١) ق: "كرجل" والترجيح من س.

(٢) ص ١١

(٣) ص ١١ب

العقليّ. والرســـول أعلم بالله، والله أعلم بنفســـه. وقال (تعالى) في الظاهر: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّـمَآءِ﴾[١] بالفاء وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢] و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْـتَوَىٰ﴾[٣] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٤] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٥] و«يفرح بتوبة عبده» و«يعجب من الشابّ ليست له صبوة» وما أشبه ذلك من الأدوات اللفظيّة.

وقد تقرّر بالبرهان العقليّ، خَلْقُهُ الأزمان والأمكنة والجهات، والألفاظ والحروف والأدوات، والمتكلّم بها والمخاطبين من المحدَثات. كلّ ذلك خلقٌ لله -تعالى-. فيعرف المحقِّق قطعا، أنّها مصروفة إلى غير الوجه الذي يعطيك التشبيه والتمثيل، وأنّ الحقيقة لا تقبل ذلك أصلا. ولكن تتفاضل العلماء، السالمة عقائدهم[٦] من التجسيم. فإنّ المشبِّهة والمجسِّمة، قد يُطلق عليهم علماءُ، من حيث علمهم بأمور غير هذا. فتفاضَل العلماء، في هذا الصرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحقّ -تعالى-.

فطائفة لم تشبِّه ولم تجسِّم، وصَرفت علم ذلك، الذي ورد في كلام الله ورسله إلى الله -تعالى-. ولم تَدخل لها قدمٌ في باب التأويل. وقنعتْ بمجرّد الإيمان بما يعلمه الله في هذه الألفاظ والحروف، من غير تأويل، ولا صرف إلى وجه من وجوه التنزيه. بل قالت: "لا أدري" جملة واحدة، ولكنّي أحيل إبقاءه على وجه التشـــبيه؛ لقوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[٧] لا لما يعطيه النظر العقلي. وعلى هذا فضلاء المحدِّثين من أهل الظاهر، السالمة عقائدهم من التشبيه والتعطيل.

وطائفة أخرى من المنزِّهة، عَدَلَت بهذه الكلمات، عن الوجه الذي لا يليق بالله -تعالى- في النظر العقلي، عدلت إلى وجه مّا من وجوه التنزيه على التعيين، مما يجوز في النظر العقلي أن يتّصف به الحقّ -تعالى-، بل هو متّصِفٌ به ولا بدّ. وما بقي النظر إلّا في أنّ هذه الكلمة: هل[٨] المراد بها ذلك الوجه أم لا؟ ولا يقدح ذلك التأويل في ألوهته. وربما عدلوا بها إلى وجهين وثلاثة

(١) [الملك: ١٦]
(٢) [الأحزاب: ٤٠]
(٣) [طه: ٥]
(٤) [الحديد: ٤]
(٥) [المجادلة: ٧]
(٦) ص ١٢
(٧) [الشورى: ١١]
(٨) لفظ بالهامش بقلم الأصل.

وأكثر، على حسب ما[1] تعطيه الكلمة في وضع اللسان، ولكن من الوجوه المنزّهة لا غير. فإذا لم يعرفوا من ذلك الخبر أو الآية، عند التأويل في اللسان، إلّا وجها واحدا؛ قصروا الخبر على ذلك الوجه النزيه، وقالوا: هذا هو، ليس إلّا، في علمنا وفهمنا. وإذا وجدوا له مصرفين فصاعدا؛ صرفوا الخبر أو الآية إلى تلك المصارف.

وقالت طائفة من هؤلاء: يحتمل أن يريد كذا، ويحتمل أن يريد كذا، وتُعَدّد وجوه التنزيه، ثمّ تقول: والله أعلم أيّ ذلك أراد.

وطائفة أخرى تَقَوَّى عندها وجهٌ مّا من تلك الوجوه النزيهة، بقرينة مّا، قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر، وقصرته عليه، ولم تعرّج على باقي الوجوه في ذلك الخبر، وإن كانت كلّها تقتضي التنزيه.

وطائفة من المنزّهة، أيضا، وهي العالية، وهم من أصحابنا؛ فرّغوا قلوبَهم من الفكر والنظر وأخلَوْها. إذ كان المتقدّمون، من الطوائف المتقدّمة، المتأوّلة، أهل فكر ونظر وبحث. فقامت هذه الطائفة المباركة الموفَّقة، والكلُّ موفَّقون بحمد الله، وقالت: حصل في نفوسنا تعظيم الحقّ ﷻ بحيث لا نقدر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده، بدقيق فكر ونظر. فأشبهتْ، في[2] هذا العقد، المحدِّثين، السالمة عقائدهم؛ حيث لم ينظروا، ولا تأوّلوا، ولا صرفوا؛ بل قالوا: ما فهمنا، فقال أصحابنا بقولهم.

ثمّ انتقلوا عن مرتبة هؤلاء، بأن قالوا: لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات، وذلك بأن نفرّغ قلوبَنا من النظر الفكريّ، ونجلس مع الحقّ -تعالى- بالذِّكْر، على بساط الأدب والمراقبة والحضور، والتهيّؤ لقبول ما يرد علينا منه -تعالى- حتى يكون الحقّ -تعالى- يتولّى تعليمنا على الكشف والتحقيق، لَمّا سمعته يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[3] ويقول: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[4] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾[5] ﴿وَعَلَّمۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا﴾[6].

فعندما توجّهت قلوبهم وهممهم إلى الله -تعالى- ولجأتْ إليه، وألقتْ عنها ما استمسك به

(١) ص ١٢ب
(٢) ص ١٣
(٣) [البقرة: ٢٨٢]
(٤) [الأنفال: ٢٩]
(٥) [طه: ١١٤]
(٦) [الكهف: ٦٥]

الغير، من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول؛ كانت عقولهم سـليمة، وقلوبهم مطهّرة فارغة. فعندما كان منهم هذا الاستعداد؛ تجلّى الحقّ لهم معلّمًا. فأطلعتهم تلك المشاهدة على معاني هذه الأخبار والكلمات دفعة واحدة. وهذا ضرب من ضروب المكاشـفة. فإنّهم إذا عاينوا بعيون القلوب، مَن نزّهته العلماء، المتقدّم ذِكْرهم، بالإدراك الفكري؛ لم يصحّ لهم، عند هذا الكشف والمعاينة، أن يجهلوا خبرا من هذه الأخبار التي توهم، ولا[1] أن يبقوا ذلك الخبر منسحبا، على ما فيه من الاحتمالات النزيهة، من غير تعيين؛ بل يعرفون الكلمة، والمعنى النزيه الذي سيقت له؛ فيقصروها على ما أُريدت له. وإن جاء، في خبر آخر، ذلك اللفظ عينه؛ فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدّسة، معيّن عند هذا المشاهد. هذا حال طائفة منّا.

وطائفة أخرى، منّا أيضا، ليس لهم هذا التجلّي، ولكن لهم الإلقاء والإلهام واللقاء والكتابة. وهم معصومون فيما يلقى إليهم، بعلامة عندهم لا يعرفها سِوَاهُم. فيخبرون بما خوطبوا به، وما أُلهموا به، وما أُلقي إليهم أو كُتب. فقد تقرّر عند جميع المحقّقين؛ الذين سلّموا الخبر لقائله، ولم ينظروا ولا شبّهوا ولا عطّلوا، والمحقّقين الذين بحثوا واجتهدوا، ونظروا على طبقاتهم أيضا، والمحقّقين الذين كوشفوا وعاينوا، والمحقّقين الذين خوطبوا وأُلهموا؛ أنّ الحقّ -تعالى- لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيّدة بالتحديد والتشبيه على حدّ ما نعقله في المحدَثات؛ ولكن تدخل عليه بما فيها من معنى التنزيه والتقديس -على طبقات العلماء والمحقّقين في ذلك- لما (هو) فيه وتقتضيه ذاته.

وإذا تقرّر هذا، فقد تبيّن أنّها: أدوات التوصيل[2] إلى إفهام المخاطَبين. وكلُّ عالَم على حسب فهمه فيها، وقوّة نفوذه وبصيرته. فعقيدة التكليف هيّنة الخطب، فُطِر العالَم عليها. ولو بقيت المشبّهة مع ما فُطِرت عليه؛ ما كفرتْ ولا جسّمتْ. وإن كان ما أرادوا التجسيم، وإنما قصدوا إثبات الوجود. لكن لقصور أفهامهم؛ ما ثبت لهم إلّا بهذا التخيّل؛ فلهم النجاة[3].

وإذ وقد ثبت هذا عند المحقّقين، مع تفاضل رُتَبهم في درج التحقيق، فلنقل: إنّ الحقائق أعطت لمن وقف عليها، أن لا يتقيّد وجود الحقّ مع وجود العالَم، بقبْليّة ولا معيّة، ولا بعديّة زمانيّة. فإنّ التقدّم الزماني والمكاني في حقّ الله، ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد. اللهمّ إلّا إن قال به من باب التوصيل، كما قاله الرسول ﷺ ونطق به الكتاب؛ إذ ليس

(١) ص ١٣ب
(٢) ص ١٤
(٣) بالهامش لفظ "بلغ"

كلّ أحد يقوى على كشف هذه الحقائق.

فلم يبق لنا أن نقول، إلّا أنّ الحقَّ -تعالى- موجود بذاته لذاته، مطلَق الوجود؛ غير مقيّد بغيره، ولا معلول عن شيء، ولا علّة لشيء؛ بل هو خالق المعلولات والعلل، والملِك القدّوس الذي لم يزل. وإنّ العالَم موجود بالله -تعالى- لا بنفسه ولا لنفسه، مقيَّد الوجود بوجود الحقّ في ذاته؛ فلا يصحّ وجود العالَم أَلْبَتَّة إلّا[1] بوجود الحقِ. وإذا انتفى الزمان عن وجود الحقِ، وعن وجود مبدأ العالَم؛ فقد وُجِد العالَم في غير زمان.

فلا نقول، من جهة ما هو الأمر عليه: إنّ الله موجود قبل العالَم. إذ قد ثبت أنّ القبل من صيغ الزمان، ولا زمان. ولا أنّ العالَم موجود بعد وجود الحقّ؛ إذ لا بعديّة. ولا مع وجود الحقّ؛ فإنّ الحقّ هو الذي أوجده، وهو فاعله ومخترعه ولم يكن شـيئا. ولكن كما قلنا: الحقّ موجود بذاته، والعالَم موجود به.

فإن سـأَلَ ذو وَهْمٍ: متى كان وجود العالَم مِن وجود الحقّ؟ قلنا: "متى" سـؤال زماني، والزمان من عالَم النِّسـب، وهو مخلوق لله -تعالى-؛ لأنّ عالَم النِّسـب له خَلْق التقدير لا خَلْق الإيجاد. فهذا سـؤالٌ باطلٌ. فانظر كيف تسـأل. فإيّاك أن تحجبك أدوات التوصـيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها.

فلم يبق إلّا وجودٌ صرفٌ خالصٌ، لا عن عدم؛ وهو وجود الحقّ -تعالى- ووجودٌ عن عدم عين الموجود نفسـه؛ وهو وجود العالَم. ولا بينيّة بين الوجودين، ولا امتداد، إلّا التوهّم المقدَّر الذي يحيله العلم، ولا يبقي منه شـيئا. ولكن وجود مطلق و(وجود) مقيّد، وجود فاعل ووجود منفعل. هكذا أعطت الحقائق، والسلام.

☆ ☆ ☆

مسألة[2]

(إطلاق لفظة الاختراع على الحقّ -تعالى)

سـألني وارد الوقت، عن إطلاق (لفظة) الاختراع على الحقّ -تعالى-. فقلت له: عِلْمُ الحقّ بنفسـه؛ عينُ علمه بالعالَم؛ إذ لم يزل العالَم مشـهودا له -تعالى- وإن اتّصف بالعدم. ولم يكن العالَم

---

(١) ص ١٤ب

(٢) ص ١٥

مشـــهودا لنفســـه؛ إذ لم يكن موجودا. وهذا بحرٌ هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشـــف. وبنسبة[1] لم تزل موجودة؛ فعلمه لم يزل موجودا. وعلمُه بنفسه (هو) علمُه بالعالَم. فعلمُه بالعالَم لم يزل موجودا. فعَلِمِ العالَم في حال عدمه، وأوجده على صورته في علمه. وسـيأتي بيان هذا في آخر الكتاب. وهو سرّ القدر الذي خفي عن أكثر المحقِّقين.

وعلى هذا لا يصحّ في العالَم الاختراع، ولكن يطلق عليه (تعالى) الاختراع بوجهٍ مّا، لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع، فإنّ ذلك يؤدّي إلى نقصٍ في الجناب الإلهيّ، فالاختراع لا يصحّ إلّا في حقّ العبد، وذلك أنّ المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعا إلّا حتى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود، في نفسه أوّلا، ثُمّ بعد ذلك تبرزه القوّة العمليّة إلى الوجود الحسّي، على شكلٍ ما يُعْلَمُ له مِثْلٌ. ومتى لم يخترِع الشيءَ، في نفسه أوّلا، وإلّا فليس بمخترِع حقيقة.

فإنّك إذا قدّرت أنّ شخصا علَّمك ترتيب شكلٍ، ما ظهر في الوجود له[2] مِثل، فعلِمته، ثمّ أبرزته أنت للوجود كما علِمته، فلست أنت، في نفس الأمر وعند نفسك، بمخترِعٍ له؛ وإنما المخترِع له مَن اخترع مثالَه في نفســه، ثمّ علّمكه، وإن نســب الناسُ الاختراع لك فيه، من حيث أنّهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك.

فارجع إلى ما تعرفه أنت من نفسك، ولا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك. فإنّ الحقّ -سبحانه- ما دبّر العالَم تدبير مَن يحصِّل ما ليس عنده، ولا فكّر فيه، ولا يجوز عليه ذلك، ولا اخترع في نفسه شيئا لم يكن عليه، ولا قال في نفسه: هل نعمله كذا أو كذا؟ هذا كلّه ما لا يجوز عليه. فإنّ المخترِع للشيء، يأخذ أجزاء موجودة متفرّقة في الموجودات؛ فيؤلّفها في ذهنه ووهمِه تأليفا لم يُسبَق إليه في عِلمه، وإن سُبِق فلا يبالي؛ فإنّه في ذلك بمنزلة الأوّل الذي لم يسبقه أحد إليه، كما تفعله الشعراء والكتّاب الفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة.

فثَمّ اختراعٌ قد سُبِق إليه؛ فيتخيّل السامع أنّه سرقه. فلا ينبغي للمخترِع أن ينظر إلى أحد، إلّا إلى ما حدث عنده خاصّــة؛ إن أراد أن يلتذّ ويســتمتع بلذّة الاختراع. ومهما نظر المخترع لأمر مّا، إلى مَن ســَبَقَه فيه، بعد ما اخترعه، ربما هلك وتفطّرت كبده. وأكثر[3] العلماء بالاختراع: البلغاء والمهندســون، ومن أصحاب الصــنائع: النجّارون والبنّاءون. فهؤلاء أكثر الناس اختراعا،

(١) س: ونفسه
(٢) ص ١٥ب
(٣) ص ١٦

وأذكاهم فطرة، وأشدّهم تصرّفا لعقولهم.

فقد صحّت حقيقة الاختراع، لمن اســـتخرج بالفكر، ما لم يكن يعلم قَبْلَ ذلك، ولا علَّمه غيرُه بالقوّة، أو بالقوّة والفعل إن كان من العلوم التي غايتها العمل. والباري -سبحانه- لم يزل عالِمًا بالعالَم أزلا، ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالَم غير عالِم؛ فما اخترع في نفســـه شـــيئا لم يكن يعلمه.

فإذ وقد ثبت عند العلماء بالله قِدَم عِلمه؛ فقد ثبت كونه مخترعا لنا بالفعل؛ لا إنّه اخترع مِثالنا في نفسـه، الذي هو صـورة عِلمه بنا؛ إذ كان وجودنا على حدّ ما كنّا في علمه. ولو لم يكن كذلك، لخرجنا إلى الوجود على حدِّ ما لم يعلمه، وما لا يعلمه لا يريده؛ وما لا يريده ولا يعلمه لا يوجِده. فنكون إذَنْ موجودين بأنفســنا أو بالاتّفاق. وإذا كان هذا، فلا يصـحّ وجودنا عن عدم. وقد دلّ البرهان على وجودنا عن عدم، وعلى أنّه عَلِمنا وأراد وجودَنا، وأوجدَنا على الصـــورة الثابتة في علمه بنا. ونحن معدومون في أعياننا. فلا اختراع في المثال. فلم يبق إلّا الاختراع في الفعل، وهو صحيح لعدم المثال الموجود في العين. فتحقَّقْ ما ذكرناه، وقل[١] بعد ذلك ما شئت؛ فإن شـئت وصـفته بالاختراع وعدم المثال، وإن شـئت نفيت هذا عنه نفيتَه، ولكن بعد وقوفك على ما أعلمتك به.

(١) ص ١٦ب

الفصل الثالث
في العلم والعالِم والمعلوم
من الباب الثاني

العِـلْمُ والمَعْـلُومُ والعَـالِـمُ ثَلاثَـةٌ حُكْمُهُمْ وَاحِـدُ
وإِنْ تَشَـــأ أَحْكَامُهُمْ مِثْلُهُمْ ثَلاثَةٌ أَثْبَتَهَا الشَّـــاهِدُ
وصَاحِبُ الغَيْبِ يَرَى واحِدًا لَيْسَ عَلَيْهِ فِي العُلَى زائِدُ

اعلم -أيّدك الله- أنّ العلمَ تحصـــيلُ القلب أمرا مّا، على حدِّ ما هو عليه ذلك (الأمر) في نفسـه، معدوما كان ذلك الأمر أو موجودا. فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب، والعالِم هو القلب، والمعلوم هو ذلك الأمر المحصَّل. وتصوُّر حقيقة العلم عسير جدًّا. ولكن أُمهِّد لتحصيل العلم ما يتبيّن به -إن شاء الله تعالى-.

فاعلموا أنّ القلب مرآةٌ مصـــقولة، كلّها وجهٌ؛ لا تصـــدأ أبدا. فإن أطلق يوما عليها أنّها صدئت، كما قال عليه السلام: «إنّ[1] القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» الحديث. وفيه «إنّ جلاءها؛ ذِكْرُ الله وتلاوةُ القرآن» -ولكن من كونه الذِّكْر الحكيم- فليس المراد بهذا الصدأ أنّه طَخَاء[2] طلع على وجه القلب. ولكنّه لما تعلّق واشـــتغل بعلم الأســـباب عن العلم بالله؛ كان تعلُّقه بغير الله صدأ على وجه القلب؛ لأنّه المانع من تجلّي الحقّ إلى هذا القلب.

لأنّ الحضرة الإلهيّة متجلّاة على الدوام، لا يُتصوّر في حقّها حجاب عنّا. فلمّا لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعيّ المحمود، لأنّه قَبِل غيرها، عُبِّر عن قبول ذلك الغير بالصدأ والكِنِّ والقفل والعمى والران وغير ذلك. وإلّا فالحقّ يعطيك أنّ العلم عنده، ولكن بغير الله في علمه. وهو بالله في نفس الأمر، عند العلماء بالله.

ومما يؤيّد ما قلناه، قول الله -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾[3] فكانت في

(١) ص ١٧
(٢) الطخاءُ بالمد: السَحاب المرتفع. ويقال أيضًا: وجدت على قلبي طَخاءً، وهو شبه الغمّ والكرب. [الصحاح]
(٣) [فصلت: ٥]

أَكنّة مما[1] يدعوها الرســول إليه خاصّــة، لا أنّها في "كِنّ". ولكن تعلّقت بغير ما تدعى إليه؛ فعميت عن إدراك ما دُعِيَتْ إليه، فلا تبصر شيئا.

فالقلوب، أبدا، لم تزل مفطورة على الجِلاء، مصقولة، صافية. فكلُّ قلب تجلّت فيه الحضرة الإلهيّة، من حيث هي ياقوت أحمر، الذي هو التجلّي الذاتيّ، فذلك[2] قلب المشاهِد، المكمَّل، العالِم، الذي لا أحد فوقه في تجلٍّ من التجلّيات، ودونه تجلّي الصفات، ودونها تجلّي الأفعال، ولكن من كونها من الحضرة الإلهيّة. ومَن لم تتجلَّ له من كونها من الحضرة الإلهيّة؛ فذلك هو القلب الغافل عن الله -تعالى-، المطرود من قرب الله -تعالى-.

فانظر -وفّقك الله- في القلب على حدّ ما ذكرناه. وانظر: هل تجعله العلم؟ فلا يصحّ. وإن قلت: (العلم هو) الصقالة الذاتيّة له، فلا سبيل؛ ولكن هي سبب. كما أنّ ظهور المعلوم للقلب سبب. وإن قلت: (العلم هو) السبب الذي يُحَصِّل المعلوم في القلب، فلا سبيل. وإن قلت: (العلم هو) المثال المنطبع في النفس من المعلوم، وهو تصوُّر المعلوم، فلا سبيل.

فإن قيل لك: فما هو العلم؟ فقل: دَرْكُ المدرَك على ما هو عليه في نفســه، إذا كان دَرْكُه غير ممتنِع. وأمّا ما يمتنع دَرْكُه، فالعلم به هو لا دَرْكُه، كما قال الصدّيق: "العجز عن درك الإدراك إدراك". فجعل العلم بالله هو "لا دَرْكُه". فاعلم ذلك، ولكن، لا دَرْكُه من جهة كســب العقل كما يعلمه غيرُه، ولكن دَرْكُه مِن جُوده وكرمه ووهبِه، كما يعرفه العارفون أهل الشــهود، لا من قوّة العقل من حيث نظره.

تتميم:

ولَمّا ثبت أنّ العلم بأمر مّا، لا يكون إلّا بمعرفةٍ قد تقدّمتْ قبل[3] هذه المعرفة بأمر آخر، تكون بين المعروفَيْن مناســبة، لا بدّ من ذلك. وقد ثبت أنّه لا مناســبة بين الله -تعالى- وبين خلقِه، من جهة المناسبة التي بين الأشياء؛ وهي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص. فليس لنا علم متقدِّم بشيء، فندرك به ذات الحقِّ، لما بينهما من المناسبة.

مثال ذلك: عِلْمُنا بطبيعة الأفلاك، التي هي طبيعة خامسة. لم نعلمها أصلا، لولا ما سبق علمنا بالأمّهات الأربع. فلمّا رأينا الأفلاك خارجة عن هذه الطبائع، بحكمٍ ليس هو في هذه

(١) "تدعون...مما" في الهامش.
(٢) ص ١٧ب
(٣) ص ١٨

الأمّهات؛ علمنا أنّ ثَمّ طبيعة خامسة، من جهة الحركة: العُلويّة التي في الأثير والهواء، والسفليّة التي في الماء والتراب.

والمناسبة بين الأفلاك والأمّهات (هي) الجوهريّة التي هي جنسٌ جامعٌ للكلّ، و(هي) النوعيّة؛ فإنّها نوع، كما أنّ هذه نوع لجنس واحد، وكذلك (هي) الشخصيّة. ولو لم يكن هذا التناسب؛ لما علِمنا من الطبائع علم طبيعة الفلَك.

وليس بين الباري والعالَم مناسبة من هذه الوجوه. فلا يُعلم بعلم سابق بغيره أبدا، كما يزعم بعضهم، من استدلال الشاهد على الغائب، بالعلم والإرادة والكلام وغير ذلك؛ ثُمّ يقدّسه بعد ما قد حمله على نفسه وقاسه بها.

ثمّ إنّه مما يؤيّد ما ذهبنا إليه، مِن علمنا بالله -تعالى-، أنّ العلم يترتّب بحسب المعلوم، وينفصل[1] في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره. والشيء الذي به ينفصل المعلوم؛ إمّا أن يكون ذاتًا، كالعقل من جهة جوهريّته وكالنفس، وإمّا أن يكون ذاتًا له من جهة طبعه، كالحرارة والإحراق للنار. فكما انفصل العقل عن النفس من جهة جوهريّته، كذلك انفصل النارُ عن غيره بما ذكرناه. وإمّا أن ينفصل عنه بذاته، لكن بما هو محمول فيه؛ إمّا بالحال، كجلوس الجالس وكتابة الكاتب، وإمّا بالهيئة، كسواد الأسود وبياض الأبيض. وهذا حصرُ مدارك العقل عند العقلاء. فلا يوجد معلوم قطعا للعقل، من حيث ما هو خارج عمّا وصفنا، إلّا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره؛ إمّا من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيئته. ولا يدرِك العقلُ شيئا لا توجد فيه هذه الأشياء أَلْبَتَّة.

وهذه الأشياء لا توجد في الله -تعالى-. فلا يعلمه العقل أصلا من حيث هو ناظر وباحث. وكيف يعلمه العقل من حيث نظره؟ وبرهانُه الذي يستند إليه (هو) الحسُّ، أو الضرورةُ، أو التجربةُ. والباري -تعالى- غير مدرَك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانِه. وحينئذ يصحّ له البرهان الوجوديّ.

فكيف يدّعي العاقل؛ أنّه قد علم ربَّه من جهة الدليل، وأنّ الباري معلوم له؟ ولو نظر إلى[2] المفعولات الصناعيّة، والطبيعيّة، والتكوينيّة، والانبعاثيّة، والإبداعيّة، ورأى جهلَ كلِّ

(١) ص ١٨ب
(٢) ص ١٩

واحد منها بفاعله؛ لَعَلِم أنّ الله -تعالى- لا يُعلم بالدليل أبدا. لكن يُعلم أنّه موجود، وأنّ العالَم مفتقر إليه افتقارا ذاتيًّا، لا محيص له عنه أَلْبَتَّة. قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(١).

فمن أراد أن يعرف لُبابَ التوحيد؛ فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز، الذي وحّد بها نفسه. فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه. فلتنظر بما وصف نفسه، وتسأل الله -تعالى- أن يُفَهِّمَكَ ذلك. فستقف على علم إلهيّ، لا يبلغ إليه عقلٌ بفكره أبد الآباد. وسأورد من هذه الآيات، في الباب الذي يلي هذا الباب، شيئا يسيرا.

والله يرزقنا الفهم عنه، آمين، ويجعلنا من العالِمين الذين يعقلون آياته(٢).

---

(١) [فاطر: ١٥]

(٢) في الهامش: "بلغ لأحمد العلوي على مؤلفه أيده الله" يليه: "بلغ قراءة لمحمود الزنجاني".

الباب الثالث
في تنزيه الحقّ -تعالى- عمّا في طيّ الكلمات
التي أطلقها عليه -سبحانه- في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من التشبيه والتجسيم، تعالى[1] الله عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا

نظم:

فِي نَظَرِ العَبْدِ إِلَى رَبِّهِ ... فِي قُدُسِ الأَيْدِ وتَنْزِيْهِهِ
وعُلْوِهِ عَنْ أَدَوَاتٍ أَتَتْ ... تَلْحَقُ بِالكَيْفِ وتَشْبِيْهِهِ
دَلالَةٌ تَحْكُمُ قَطْعًا عَلَى ... مَنْزِلَةِ العَبْدِ وَتَنْوِيْهِهِ
وَصِحَّةِ العِلْمِ وَإِثْبَاتِهِ ... وطَرْحِ بِدْعِيٍّ وَتَمْوِيْهِهِ

اعلم -أيّدك الله- أنّ جميع المعلومات، عُلْوِها وسُفْلِها، حامِلُها العقلُ الذي يأخذ عن الله -تعالى- بغير واسطة. فلم يخفَ عنه شيء من علم الكون الأعلى والأسفل. ومِن وَهْبِه وَجُودِه تكون معرفةُ النفس الأشياءَ، ومِن تجلّيه إليها ونورِه وفيضِه الأقدس. فالعقل مستفيد من الحقّ -تعالى- مفيدٌ للنفس. والنفسُ مستفيدة من العقل، وعنها يكون الفعل. وهذا سارٍ في جميع ما تعلّق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه. وإنما قيّدنا بالتي هي دونه، من أجل ما ذكرناه من الإفادة. وتحفَّظ في نظرك من قوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾[2] وهو العالِم فاعرف النِّسب.

واعلم أنّ العالَم المهيَّم لا يستفيد من العقل الأوّل شيئا، وليس له على[3] المهيَّمين سلطان. بل هم وإيّاه في مرتبة واحدة، كالأفراد منّا الخارجين عن حكم القطب، وإن كان القطب واحدا من الأفراد. لكن خُصِّص العقل بالإفادة، كما خُصَّ القطب من بين الأفراد، بالتولية.

وهو سارٍ في جميع ما تعلّق به علمُ العقل، إلّا علم تجريد التوحيد خاصّة؛ فإنّه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه؛ إذ لا مناسَبة بين الله -تعالى- وبين خلقه ألْبَتَّة. وإن أُطلقت المناسبة،

---

(١) ص ١٩ب
(٢) [محمد: ٣١]
(٣) ص ٢٠

يوما مّا عليه، كما أطلقها الإمام أبو حامد الغزاليّ في كتبه، وغيره؛ فبضربٍ من التكلُّف، ومرمى بعيد عن الحقائق. وإلّا فأيّ نسبة بين المحدَث والقديم؟ أم كيف يشبه مَن لا يقبل المِثل مَن يقبل المِثل؟ هذا محال، كما قال أبو العباس بن العرّيف الصنهاجي[1] في "محاسن المجالس" التي تُعزى إليه: "ليس بينه وبين العباد نَسب إلّا العناية، ولا سبب إلّا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعمًى وتلبيس". وفي رواية: "فعلم" بدل من قوله "فعمًى". فانظر ما أحسن هذا الكلام، وما أتمّ هذه المعرفة بالله، وما أقدس هذه المشاهدة، نفعه الله بما قال.

فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل والنفس، إلّا من حيث أنّه موجود -تعالى وتقدَّس-. وكلّ ما يُتلفَّظ به في حقّ المخلوقات[2]، أو يُتوهَّم في المركّبات وغيرها؛ فالله -سبحانه- في نظر العقل السليم، من حيث فكره وعصمته، بخلاف ذلك؛ لا يجوز عليه ذلك التوهُّم، ولا يجري عليه ذلك اللفظ عقلا من الوجه الذي تقبله المخلوقات. وإن أُطلق عليه؛ فعلى وجه التقريب على الأفهام، لثبوت الوجود عند السامع، لا لثبوت الحقيقة التي هو الحقُّ عليها؛ فإنّ الله -تعالى- يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3].

ولكن يجب علينا شرعا، من أجل قوله -تعالى- لنبيّه ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4] يقول: (اعلم) من إخباري الموافِق لِنظرك؛ لِيصحَّ لك الإيمان علما، كما صحّ لك العلم من غير إيمان، الذي هو قبل التعريف؛ فأمَرَه.

من أجل هذا الأمر، على نظر بعض الناس ورأيه فيه، نظرنا من أين نتوصَّل إلى معرفته؟ فنظرنا على حكم الإنصاف، وما أعطاه العقل الكامل، بعد جدِّه واجتهاده الممكَّن منه. فلم نصل إلى المعرفة به سبحانه، إلّا بالعجز عن معرفته. لأنّا طلبنا أن نعرفه، كما نطلب معرفة الأشياء كلّها، من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها. فلمّا عرفنا أنّ ثمّ موجودا ليس له مِثل، ولا

(١) أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، (ت ٥٣٦هـ) الإمام الزاهد العارف، أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأندلسي ـــ المربي المقرئ، صاحب المقامات والإشارات... وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملتها... وكان متناهيا في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العباد والزهاد يقصدونه، ويألفونه، ويحمدون صحبته، وسعي به إلى السلطان، فأمر بإشخاصه إلى حاضرته بمراكش، فوصلها، وتوفي بها... واحتفل الناس بجنازته، وندم السلطان على ما كان منه في جانبه، فظهرت له كرامات، رحمه الله. [سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١١١)]

(٢) ص ٢٠ب

(٣) [الشورى: ١١]

(٤) [محمد: ١٩]

يُتصـــوَّر في الذهن، ولا يُدرَك؛ فكيف يضـــبطه العقل؟ هذا ما لا يجوز، مع ثبوت العلم[1] بوجوده. فنحن نعلم أنّه موجود، واحد في ألوهته، وهذا هو العلم الذي طلب منّا، غير عالمين بحقيقة ذاته التي يعرف -سـبحانه- نفسَـه عليها. وهو العلم بعدم العلم الذي طلب منّا. لَمّا كان -تعالى- لا يشـبه شـيئا من المخلوقات في نظر العقل، ولا يشـبهه شيء منها، وكان الواجب علينا أوّلا، لَمّا قيل لنا: "فاعلموا أنّه لا إله إلّا الله"[2] أن نعلم: ما العلم؟ وقد علمناه؛ فقد علمنا ما يجب علينا من علم العلم أوّلا.

انتهى الجزء الثامن، والحمد لله[3].

(١) ص ٢١
(٢) يشير إلى النص القرآني: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [محمد: ١٩]
(٣) في الهامش: "بلغت بقراءتي عليه، أحسن الله إليه آمين أحمد بن.... الحموي"، يليه: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف".

الجزء التاسع من الفتوحات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

فلنقل: إنّه لَمّا كانت أمّهات المطالب أربعة، وهي: "هل"، و"ما"، و"كيف"، و"لِم". فـ"هل" و"لِم": مطلبان روحانيّان بسيطان، يصحبهما "ما هو". فـ"هل" و"لِم"؛ هما الأصلان الصحيحان للبسائط؛ لأنّ في "ما هو" ضربٌ من التركيب خاصّة. وليس في هذه المطالب الأربعة، مطلب ينبغي أن يُسأل به عن الله -تعالى- من جهة ما تعطيه الحقيقة؛ إذ لا يصحّ أن يُعرف من علم التوحيد إلّا نفي ما يوجد فيما سِوَاهُ -سبحانه-، ولهذا قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾(٣) و﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٤).

فالعلم بالسلب، هو العلم بالله -سبحانه-. كما لم يَجُز أن نقول في الأرواح: كيف؟ وتقدّست عن ذلك؛ لأنّ حقائقها تخالف هذه العبارة. كذلك ما ينطلق على الأرواح من الأدوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن تطلق على الله -تعالى- ولا ينبغي للمحقّق الموحِّد الذي يحترم حضرة مبدِعِهِ ومخترِعِهِ أن يطلق عليه هذه الألفاظ، فإذَنْ لا يُعلم بهذه المطالب أبدا.

* * *

وَصْلٌ

(المدرك بذاته والمدرك بفعله)

ثمّ إنّا نظرنا، أيضا، في جميع ما سِوَى الحقّ -تعالى- فوجدناه على قسمين: قسم يُدرَك بذاته؛ وهو المحسوس والكثيف، وقسم(٥) يُدرَك بفعله؛ وهو المعقول واللطيف. فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المنزلة؛ وهي التنزُّه أن تُدرَك ذاتُه، وإنما يُدرَك بفعله. ولَمّا كانت هذه أوصاف المخلوقين؛ تقدّس الحقّ -تعالى- عن أن يُدرَك بذاته كالمحسوس، أو بفعله كاللطيف أو المعقول. لأنّه -سبحانه- ليس بينه وبين خلقه مناسبة أصلا؛ لأنّ ذاتَهُ غيرُ مدرَكة لنا فتشبِه المحسوس، ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبِه اللطيف. لأنّ فعل الحقّ -تعالى- إبداعُ الشيء لا من شيء، واللطيف

---

(١) العنوان في ص ٢١ب
(٢) البسملة ص ٢٢
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) [الصافات: ١٨٠]
(٥) ص ٢٢ب

الروحانيّ فعلُ الشيء من الأشياء. فأيّ مناسبة بينهما؟ فإذا امتنعت المشابَهة في الفعل، فأحرى أن تُمتنع المشابهة في الذات.

وإن شئت أن تحقِّق شيئا من هذا الفصل، فانظر إلى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات، مثل المفعول الصناعيّ؛ كالقميص والكرسيّ. فوجدناه لا يعرف صانعه، إلّا أنّه يدلّ بنفسه على وجود صانعه، وعلى عِلمه بصنعته. وكذلك المفعول التكوينيّ، الذي هو الفلَك والكواكب، لا يعرفون مكوِّنهم، ولا المركِّب لهم؛ وهو النفس الكلّيّة المحيطة بهم. وكذلك المفعول الطبيعيّ؛ كالمَوالِد[1] من المعادن والنبات والحيوان، الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكويني[2]، ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذي هو الفلك والكواكب.

فليس العلم بالأفلاك؛ ما تراه من جِرمها وما يدركه الحسّ منها. وأين جَرْم الشمس في نفسها منها في عين الرائي لها منّا؟ وإنما العلم بالأفلاك من جهة روحها ومعناها الذي أوجده الله -تعالى- لها عن النفس الكلّيّة المحيطة، التي هي سبب الأفلاك وما فيها.

وكذلك المفعول الانبعاثي، الذي هو النفس الكلّيّة، المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدِّحييّة[3] من الحقيقة الجبرئيليّة. فإنّها لا تَعرف الذي انبعثَ عنه أصلا، لأنّها تحت حيطته، وهو المحيط بها لأنّها خاطر من خواطره. فكيف تعلم ما هو فوقها، وما ليس فيها منه إلّا ما فيها؟ فلا تعلم منه إلّا ما هي عليه. فنفسَها عَلِمَت، لا سببَها.

وكذلك المفعول الإبداعي، الذي هو الحقيقة المحمديّة عندنا، والعقل الأوّل عند غيرنا. وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله -تعالى- من غير شيء، هو أعجز وأمنع عن إدراك فاعله من كلّ مفعول تقدَّم ذِكْره. إذ بين كلّ مفعول وفاعل، مما تقدّم ذِكْره، ضرب من ضروب المناسبة والمشاكلة؛ فلا بدّ أن يعلم منه قدر ما بينهما من المناسبة؛ إمّا من جهة الجوهريّة أو[4] غير ذلك. ولا مناسبة بين المبدَع الأوّل والحقّ -تعالى-. فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولي

---

(١) الموالد: المواليد

(٢) ص ٢٣

(٣) نسبة إلى دحية الكلبي، وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي. صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرًا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة. وروى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن بن عمر رضي الله عنهما: كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي. وروى الطبراني من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي" وكان دحية رجلًا جميلاً. [الإصابة في معرفة الصحابة (١ / ٣٢٨)]

(٤) ص ٢٣ب

الأســباب. إذ وقد عجز المفعول الذي يشــبه ســببه الفاعل له من وجوه، عن إدراكه والعلم به. فافهم هذا وتحقّقه؛ فإنّه نافع جدّا في باب التوحيد، والعجز عن تعلّق العلم المحدَث بالله -تعالى-.

وَصْلٌ

(إدراك المعلومات بالقوى الخمس)

يؤيّد ما ذكرناه؛ أنّ الإنسان إنما يدرِك المعلومات كلّها بإحدى القوى الخمس[1]: القوّة الحسّيّة وهي على خمس: الشمّ والطعم واللمس والسمع والبصر. فالبصر يدرِك الألوان والمتلوِّنات والأشخاص على حدّ معلوم من القرب والبعد. فالذي يدرِك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين، والذي يدرك منه على عشرين باعا غير الذي يدرك منه على ميل، والذي يدرك منه ويده في يده يقابله غير الذي يدرك منه على عشرين باعا. فالذي يدرِك منه على ميلين شخصا، لا يدري هل هو إنسان أو شجرة؟ وعلى ميل، يعرف أنّه إنسان، وعلى عشرين باعا (يعرف) أنّه أبيض أو أسود، وعلى المقابلة (يعرف) أنّه أزرق أو أكحل. وهكذا سائر الحواسّ في مدركاتها من القُرب والبُعد[2].

والباري -سبحانه- ليس بمحسوس؛ أي ليس بمدرَك بالحسّ عندنا، في وقت طلبنا المعرفة به؛ فلم نعلمه من طريق الحسّ.

وأمّا القوّة الخياليّة؛ فإنّها لا تضبط إلّا ما أعطاها الحسّ؛ إمّا على صورة ما أعطاها، وإمّا على صورة ما أعطاه الفكر مِن حَمْلِه بعضَ المحسوسات على بعض. وإلى هنا انتهت طريقة أهل الفكر في معرفة الحقّ. فهو لسانهم ليس لساننا. وإن كان حقّا، ولكن ننسبه إليهم؛ فإنّه نُقل عنهم. فلم تبرح هذه القوّة، كيفما كان إدراكها، عن الحسّ ألْبَتَّة. وقد بطل تعلّق الحسّ بالله عندنا؛ فقد بطل تعلّق الخيال به.

وأمّا القوّة المفكرة؛ فلا يفكّر الإنسان أبدا إلّا في أشياء موجودة عنده، تلقّاها من جهة الحواسّ وأوائل العقل. ومن الفكر فيها في خزانة الخيال، يحصل له علم بأمر آخر بينه وبين هذه الأشياء التي فكّر فيها مناسبة. ولا مناسبة بين الله وبين خلقه؛ فإذَنْ لا يصحّ العلم به من جهة الفكر. ولهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله -تعالى-.

---

(١) ق: الخمسة

(٢) ص ٢٤

وأمّا القوّة العقليّة؛ فلا يصحّ أن يدركه العقل. فإنّ العقل لا يقبل إلّا ما علمه بديهة، أو ما أعطاه الفكر. وقد بطل إدراك الفكر له[1]؛ فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر. ولكن بما هو عقل، إنما حدُّه أن يعقل ويضبط ما حصل عنده. فقد يهبه الحقُّ المعرفة به؛ فيعقلها لأنّه عقل، لا من طريق الفكر. هذا ما لا نمنعه. فإنّ هذه المعرفة التي يهبها الحقّ -تعالى- لمن يشاء من عباده، لا يستقلّ العقل بإدراكها، ولكن يقبلها؛ فلا يقوم عليها دليل ولا برهان؛ لأنّها وراء طور مدارك العقل.

ثمّ هذه الأوصاف الذاتيّة، لا تمكن العبارة عنها؛ لأنّها خارجة عن التمثيل والقياس فإنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2]. فكلّ عقل لم يُكشف له من هذه المعرفة شيء، يسأل عقلا آخر قد كُشف له منها. (و)ليس في قوّة ذلك العقل المسئول العبارةُ عنها، ولا يمكن. ولذلك قال الصدّيق: "العجز عن درك الإدراك إدراك". ولهذا الكلام مرتبتان، فافهم. فمن طلب الله بعقله من طريق فكره ونظره فهو تائه، وإنما حسبه التهيّؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك، فافهم.

وأمّا القوّة الذاكرة؛ فلا سبيل أن تدرِك العلم بالله؛ فإنّها إنما تذكر ما كان العقل، قَبْلُ، عَلِمَه ثمّ غفل أو نسي. وهو لم يعلمه. فلا سبيل للقوّة الذاكرة إليه.

وانحصرت مدارك الإنسان، بما هو إنسان وما تعطيه ذاته وله[3] فيه كسب. وما بقي إلّا تهيّؤ العقل لقبول ما يهبه الحقّ من معرفته -جلّ وتعالى-. فلا يعرف أبدا من جهة الدليل، إلّا معرفة الوجود، وأنّه الواحد المعبود لا غير. فإنّ الإنسان المدرِك لا يتمكن له أن يدرك شيئا أبدا إلّا ومِثله موجود فيه، ولولا ذلك ما أدركه أَلْبَتَّة، ولا عرفه. فإذا لم يعرف شيئا إلّا وفيه مثل ذلك الشيء المعروف؛ فما عرف إلّا ما يشبهه ويشاكله. والباري -تعالى- لا يشبه شيئا، ولا في شيء مِثْلُه؛ فلا يُعرف أبدا.

ومما يؤيّد ما ذكرناه؛ أنّ الأشياء الطبيعيّة لا تقبل الغذاء إلّا من مُشاكلها؛ فأمّا ما لا يُشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعا. مثال ذلك: أنّ الموالَد، من المعادن والنبات والحيوان؛ مركّبة من الطبائع الأربع، والموالد لا تقبل الغذاء إلّا منها؛ وذلك لأنّ فيها نصيبا منها. ولو رام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركّب من هذه الطبائع، من شيء كائن عن غير هذه الطبائع، أو

---

(١) ص ٢٤ب
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ٢٤a

ما تركّب عنها، لم يستطع.

فكما لا يمكن لشيء من الأجسام الطبيعيّة أن تقبل غذاء إلّا من شيء هو من الطبائع التي هي منها، كذلك لا يمكن لأحد أن يعلم شيئا ليس فيه مثله أَلْبَتَّة. ألا ترى النفس لا تقبل من العقل إلّا ما تشاركه فيه وتشاكله، وما لم تشاركه فيه[1] لا تعلمه منه أبدا؟ وليس من الله في أحد شيء، ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه؛ فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم» فأخبر عليه السلام بأنّ العقل لم يدركه بفكره، ولا بعين بصيرته، كما لم يدركه البصر. وهذا هو الذي أشرنا إليه فيما تقدّم من بابنا. فللّه الحمد على ما ألهم، وأن علّمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله عظيما.

هكذا فليكن التنزيه، ونفي المماثلة والتشبيه. وما ضلّ مَن ضلّ من المشبّهة إلّا بالتأويل، وحمْل ما وردت به الآيات والأخبار، على ما يسبق منها إلى الأفهام، من غير نظر فيما يجب لله -تعالى- من التنزيه. فقادهم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح. ولو طلبوا السلامة، وتركوا الأخبار والآيات على ما جاءت، من غير عدول منهم فيها إلى شيء أَلْبَتَّة، ويَكِلون علم ذلك إلى الله -تعالى- ولرسوله، ويقولون: لا ندري. وكان يكفيهم قول الله -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2].

فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه، فقد أشبه اللهَ شيئا، وهو قد نفى الشبه عن نفسه -سبحانه-. فما بقي إلّا أنّ ذلك الخبر له وجه من[3] وجوه التنزيه، يعرفه الله -تعالى- وجيء به لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه.

وما تجد لفظة، في خبر ولا آية، جملة واحدة، تكون نصّا في التشبيه أبدا. وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوها: منها ما يؤدّي إلى التشبيه، ومنها ما يؤدّي إلى التنزيه. فَحَمْلُ المتأوّل ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدّي إلى التشبيه؛ جورٌ منه على ذلك اللفظ؛ إذ لم يوفِّ حقّه بما يعطيه وضعه في اللسان، وتعدٍّ على الله -تعالى-؛ حيث حمل عليه -سبحانه- ما لا يليق بالله -تعالى-. ونحن نورد -إن شاء الله تعالى- بعض أحاديث وردت في التشبيه، وأنّها ليست بنصّ فيه

(١) ص ٢٤بa
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ٢٥

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

فمن ذلك: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله». نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز: الجارحة تستحيل على الله -تعالى-، الإصبع لفظ مشترك؛ يطلق على الجارحة ويطلق على النعمة. قال الراعي[٢]:

ضَعِيفُ العَصا بَادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ　　　عَلَيْهَا إذا مَا أَمْحَلَ النَّاسُ إِصْبَعا

يقول[٣]: ترى له عليها أثرا حسنا من النعمة، بحسن النظر عليها. تقول العرب: ما أحسن إصبع فلان على ماله، أي أثره فيه. تريد به نموّ ماله لحسن تصرّفه فيه.

أَسرعُ التقليب، ما قلّبته الأصابع؛ لصغر حجمها، وكمال القدرة فيها. فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره. ولَمّا كان تقليبُ الله قلوبَ العباد أسرع شيء؛ أفصح ﷺ للعرب في دعائه بما تعقل. ولأنّ التقليب لا يكون إلّا باليد عندنا، فلذلك جعل التقليب بالأصابع، لأنّ الأصابع من اليد في اليد، والسرعة في الأصابع أمكن. فكان عليه السلام يقول في دعائه: «يا مقلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك». وتقليب الله -تعالى- القلوب؛ هو ما يخلق فيها من الهمّ بالحسن والهمّ بالسوء. فلمّا كان الإنسان يحِسُّ بترادف الخواطر المتعارضة عليه في قلبه، الذي هو عبارة عن تقليب الحقّ القلبَ، وهذا لا يقدر الإنسان يدفع علمه عن نفسه؛ لذلك كان عليه السلام يقول: «يا مقلّب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك».

وفي هذا الحديث، أنّ إحدى أزواجه قالت له: «أَوَتخاف يا رسول الله؟» فقال ﷺ: «قلب المؤمن» وفي رواية: «وما يؤمنني وقلب المؤمن[٤] بين إصبعين من أصابع الله» يشير ﷺ إلى سرعة التقليب[٥] من الإيمان إلى الكفر وما تحتهما. قال -تعالى-: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٦] وهذا الإلهام هو التقليب. والأصابع للسرعة. والاثنينيّة لها: خاطر الحسَن وخاطر القبيح.

فإذا فُهِم من الأصابع ما ذكرته، وفُهِمَتْ منه الجارحة، وفُهِمت منه النعمة والأثر الحسن؛ فبأيّ

---

(١) [الأنعام: ١٤٩]

(٢) الراعي النميري (ت ٩٠هـ) من فحول الشعراء المحدثين. كان من جلّة قومه. عاصر جريرا والفرزدق، وكان يفضّل الفرزدق؛ فهجاه جرير هجاء مرّا. وهو من أصحاب الملحمات. (الموسوعة الشعرية)

(٣) ص ٢٥ب

(٤) "وفي رواية....المؤمن" مثبتة بالهامش بقلم الأصل.

(٥) ص ٢٦

(٦) [الشمس: ٨]

وجه تلحقه بالجارحة، وهذه الوجوه المنزّهة تطلبه؟ فإمّا نسكت، ونَكِلُ عِلم ذلك إلى الله -تعالى- ، وإلى من عرّفه الحقّ ذلك؛ من رسول مرسل، أو وليّ ملهم، بشرط نفي الجارحة ولا بدّ. وإمّا إن أدرَكَنا فضول، وغلب علينا، إلّا أن نردّ بذلك على بِدْعِيٍّ مجسِّم مشبِّه -فليس بفضول؛ بل يجب على العالِم، عند ذلك، تبيين ما في ذلك اللفظ من وجوه التنزيه؛ حتى يدحض به حجّة المجسِّم المخذول. تاب الله علينا وعليه ورزقه الإسلام-. فإن تكلّمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولا بدّ، فالعدول بشرحها إلى الوجه الذي يليق بالله -سبحانه- أَوْلَى. هذا حظُّ العقل في الوضع.

* * *

نفث روح في روع
(الإصبعان سِرُّ الكمال الذاتيّ)

الإصبعان: سِرُّ الكمال الذاتيّ، الذي إذا انكشف إلى الأبصار يوم القيامة؛ يأخذ الإنسان أباه، إذا كان كافرا، ويرمي به في[1] النار، ولا يجد لذلك ألمًا، ولا عليه شفقة، بسرّ هذين الإصبعين المتّحد معناهما، المثنّى لفظهما. خُلِقت الجنّة والنار، وظهر اسم المنوِّر والمظلِم، والمنعِم والمنتقم. فلا تتخيّلهما اثنين من عشرة.

ولا بدّ من الإشارة إلى هذا السرّ، في هذا الباب، في (حديث) «كلتا يديه يمين»، وهذه معرفةُ الكشف. فإنّ لأهل الجنّة نعيمين: نعيما بالجنّة، ونعيما بعذاب أهل النار في النار. وكذلك أهل النار لهم عذابان. وكِلا الفريقين يرون اللهَ رؤية الأسماء، كما كانوا في الدنيا سَوَاء. وفي القبضتين اللتين جاءتا عن الرسول ﷺ في حقّ الحقِّ، سِرُّ ما أشرنا إليه، ومعناه. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

* * *

القبضة واليمين

قال -تعالى-: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ ... وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾[3].

---

(١) ص ٢٦ب
(٢) [الأحزاب: ٤]
(٣) [الزمر: ٦٧]

نظرُ العقل بما يقتضيه الوضع:

مَنَعَ أوّلًا -سبحانه- أن يُقْدَر قَدْرُه، لما يسبق إلى العقول الضعيفة من التشبيه والتجسيم، عند ورود الآيات والأخبار التي تعطي من وجه مّا من وجوهها ذلك. ثمّ قال بعد هذا التنزيه الذي لا يعقله إلّا العالمون: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ﴾(1).

عرفنا(2) من وضع اللسان العربيّ؛ أن يقال: "فلان في قبضتي" يريد أنّه تحت حكمي، وإن كان ليس في يدي منه شيء أَلْبَتَّة، ولكن أمري فيه ماضٍ، وحكمي عليه قاضٍ، مثل حكمي على ما ملكتُهُ يدي حسًّا وقبضت عليه. وكذلك أقول: مالي في قبضتي؛ أي في مِلكي، وإنّي متمكن في التصرّف فيه؛ أي لا يمنع نفسه منّي. فإذا صرّفته، ففي وقت تصرّفي فيه كان أمكن لي أن أقول: هو في قبضتي؛ لتصرّفي فيه، وإن كان عبيدي هم المتصرّفون فيه عن إذني.

فلمّا استحالت الجارحة على الله -تعالى-، عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها: وهو ملك ما قبضتْ عليه في الحال، وإن لم يكن لها، أعني للقابض فيما قبض عليه شيء، ولكن هو في ملك القبضة قطعا. فهكذا العالَم في قبضة الحقّ -تعالى-. والأرض، في الدار الآخرة، تعيين بعض الأملاك، كما نقول: "خادمي في(3) قبضتي" وإن كان خادمي من جملة مَن في قبضتي، فإنما ذكرته اختصاصا لوقوع نازلةٍ مّا.

واليمين، عندنا، محلّ التصريف المطلق القوى. فإنّ اليسار لا يقوى قوّة اليمين. فكنّى باليمين عن التمكن من الطيّ. فهي إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل. فوصِل إلى أفهام العرب بألفاظ تعرفها(4)، وتسرع بالتلقّي لها. قال الشاعر(5):

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِيْنِ

وليس للمجد راية محسوسة، فلا تتلقّاها جارحةُ يمين. فكأنّه يقول: لو ظهر للمجد راية محسوسة، لما كان محلّها أو حاملها، إلّا يمين عَرابةُ الأوسيّ(6). أي صفة المجد به قائمة، وفيه كاملة.

---

(1) [الزمر: 67]

(2) ص 27

(3) ثابت في الهامش بخط الأصل.

(4) ص 27ب

(5) الشاعر هو: الشماخ الذبياني (ت 22هـ) شاعر مخضرم، وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، جمع بعض شعره في ديوان. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان. (الموسوعة الشعرية).

(6) عرابة بن أوس، من بني مالك بن أوس، كان أبوه من كبار المنافقين، أحد القائلين: "إن بيوتنا عورة وما هي بعورة" وذكر ابن إسحاق والواقدي أن عرابة بن أوس استصغره رسول الله ﷺ يوم أحد، فرده في تسعة نفر منهم: عبد الله بن عمرو. وزيد بن ثابت، والبراء بن

فلم تزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة، لاشتراك بينهما من طريق المعنى.

نَفْثُ روح في روع

إذا تجلّى الحقُّ لسرِّ عبدٍ مَلَّكه جميع الأسرار، وألحقه بالأحرار، وكان له التصرّف الذاتي من جهة اليمين. فإنّ شرف الشمال بغيره، وشرف اليمين بذاته. ثمّ أَنْزِل: شرفُ اليمين بالخطاب، وشرفُ الشمال بالتجلّي. شرفُ الإنسان بمعرفته بحقيقته واطّلاعه عليها وهو اليسار، وكلتا يديه من حيث هو شمال، كما أنّ كلتا يدي الحقّ يمين.

أرجعُ إلى معنى الاتّحاد: كلتا يدي العبد يمين. أرجع إلى التوحيد: إحدى يديه يمين والأخرى شمال. فتارة أكون في الجمع وجمع الجمع، وتارة أكون في الفرق وفي فَرْق الفَرْق؛ على حكم التجلّي والوارد:

يَوْمًا[1] يَمَانٍ إذا لَاقَيْتُ ذا يَمَنٍ   وإنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيًا فَعَدْنانِي[2]

* * *

ومن ذلك: "التعجّب، والضحك، والفرح، والغضب"

التعجّب إنما يقع من موجود لا يعلم ذلك المتعجَّب منه، ثمّ يعلمه؛ فيتعجّب منه، ويلحق به الضحك. وهذا محال على الله -تعالى- فإنّه ما خرج شيء عن علمه. فمتى وقع في الوجود شيء يمكن التعجّب منه عندنا؛ حُمِل ذلك التعجّب والضحك على من لا يجوز عليه التعجّب ولا الضحك. لأنّ الأمر الواقع متعجَّب منه عندنا؛ كالشابّ ليست له صبوة. فهذا أمر يُتعجَّب منه. فحلّ عند الله -تعالى- محلّ ما يُتعجّب منه عندنا.

وقد يخرج الضحك والفرح إلى القبول والرضا. فإنّ مَن فعلتَ له فعلا، أظهر لك من أجله

عازب وعرابة بن أوس وأبو سعيد الخدري. كان عرابة سيدًا من سادات قومه كريمًا. ذكر المبرد وابن قتيبة أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقيه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي وكان معه بعيران فأوقرهما له عرابة تمرًا وبرًا، وكساه وأكرمه فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسي يسمو   إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجدٍ   تلقاها عرابة باليمين
إذا بلغتني وحملت رحلي   عرابة فاشرقي بدم الوتين

[الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١ / ٣٨٣)]

(١) ص ٢٨

(٢) من قصيدة لعمران بن حطان السدوسي الخارجي (ت ٨٤هـ)، من أهل البصرة. وكان في بداية أمره من رجال العلم والحديث، روى عن جماعة من الصحابة وروي عنه. ثم لحق بالشراة. طلبه الحجاج ثم الخليفة عبد الملك بن مروان. ففر منهم متنقلا حتى لجأ أخيرا إلى قوم من الأزد في عمان، ومات عندهم أباضيا. كان شاعرا مفلقا مكثرا. (الموسوعة الشعرية)

الضحك والفرح؛ فقد قَبِل ذلك الفعل ورضي به. فضحكُه وفرحُه -تعالى- قبولُه ورضاه عنّا. كما أنّ غضبه -تعالى- منزَّه عن غليان دم القلب طلبا للانتصار، لأنّه -سبحانه- يتقدّس عن الجسميّة والعرَض. فذلك قد يرجع إلى أن يفعل فِعل مَن غضب، ممن يجوز عليه الغضب؛ وهو انتقامه -سبحانه- من الجبّارين، والمخالفين لأمره، والمتعدّين حدوده. قال -تعالى-: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾(1) أي(2) جازاه جزاء المغضوب عليه؛ فالمجازي يكون غاضبا. فظهور الفعل أطلق الاسم.

* * *

التبشبشُ

من باب الفرح: ورد في الخبر: «إنّ الله يتبشبش للرجل يوطِئ المساجد للصلاة والذِّكْر» الحديث.

لَمّا حجب العالَم بالأكوان، واشتغلوا بغير الله عن الله، فصاروا بهذا الفعل في حال غيبة عن الله؛ فلمّا وردوا عليه -سبحانه- بنوع من أنواع الحضور؛ أسدل إليهم -سبحانه- في قلوبهم، من لذّة نعيم محاضرته ومناجاته ومشاهدته، ما تحبّب بها إلى قلوبهم. فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «حِبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه» فكنى بالتبشبش عن هذا الفعل منه؛ لأنّه إظهار سرور بقدومكم عليه. فإنّه من يُسَرُّ بقدومك عليه، فعلامة سروره إظهارُ البرّ بجانبك والتحبّب، وإرسال ما عنده من نِعَمٍ عليك. فلمّا ظهرت هذه الأشياء من الله إلى العبيد النازلين به، سمّاه تبشبشا.

* * *

النِّسيان

قال الله -تعالى-: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾(3). الباري(4) -تعالى- لا يجوز عليه النسيان. ولكنّه -تعالى- لَمّا عذَّبهم عذاب الأبد، ولم تنلهم رحمته -تعالى- صاروا كأنّهم منسيّون عنده، وهو كأنّه ناسٍ لهم. أي هذا فعل الناسي، ومَن لا يتذكّر ما هم فيه من أليم العذاب. وذلك لأنّهم، في حياتهم الدنيا، نسوا الله، فجازاهم بفعلهم؛ ففعلهم أعاده عليهم للمناسبة.

---

(1) [المائدة: ٦٠]
(2) ص ٢٨ب
(3) [التوبة: ٦٧]
(4) ص ٢٩

وقد يكون "نَسِيَهُمْ": أخّرهم، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾[1] أي أخّروا أمر الله فلم يعملوا به. أخّرهم الله في النار، حين أخرج منها مَن أدخله فيها من غيرهم. ويقرب من هذا الباب اتّصافُ الحقّ بالمكر والاستهزاء والسخرية. قال -تعالى-: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾[2] وقال: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾[3] وقال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[4].

* * *

النفَس

قال ﷺ: «لا تسبّوا الريح فإنّها من نفَس الرحمن». وقوله عليه السلام: «إنّي لأجد نفَس الرحمن يأتيني من قبل اليمن». وهذا كلّه من التنفيس. كأنّه يقول: لا تسبّوا الريح؛ فإنّها مما يُنَفِّسُ بها الرحمن عن عباده. وقال عليه السلام: «نُصِرت بالصَّبا» وكذلك يقول: «إنّي لأجد نَفَس» أي تنفيس «الرحمن» عنّي، للكرب الذي كان فيه من تكذيب قومه إيّاه، وردِّهم[5] أمرَ الله، «من قِبَلِ اليمن»؛ فكان الأنصار: نفّس الله بهم عن نبيّه ﷺ ما كان أكربه من المكذِّبين. فإنّ الله -تعالى- منزَّه عن النفَس، الذي هو الهواء الخارج من المتنفِّس، تعالى الله عمّا نسب إليه الظالمون من ذلك علوّا كبيرا.

* * *

الصورة

تطلَق على الأمر، وعلى المعلوم عند الناس، وعلى غير ذلك. ورد في الحديث إضافة الصورة إلى الله، في الصحيح وغيره، مثل حديث عكرمة. قال عليه السلام: «رأيت ربّي في صورة شابّ» الحديث. هذا حالٌ من النبيّ ﷺ. وهو في كلام العرب معلوم متعارَف. وكذلك قوله عليه السلام: «إنّ الله خلق آدم على صورته».

إعلم أنّ المِثليّة، الواردة في القرآن، لغويّة لا عقليّة؛ لأنّ المِثليّة العقليّة تستحيل على الله -تعالى-. زيدٌ الأسدُ شدّةً، زيدٌ زهيرٌ شِعرًا. إذا وصفتَ موجودا بصفة أو صفتين، ثُمّ وصفتَ غيره

(١) [التوبة: ٦٧]
(٢) [التوبة: ٧٩]
(٣) [آل عمران: ٥٤]
(٤) [البقرة: ١٥]
(٥) ص ٢٩ب

بتلك الصفة، وإن كان بينهما تباين من جهة حقائق أُخر، ولكنّهما مشتركان في روح تلك الصفة ومعناها؛ فكلّ واحد منهما على صورة الآخر[1] في تلك الصفة خاصة. فافهم وتنبّه.

وانظر كونك دليلا عليه -سبحانه- وهل وصفتَه بصفة كمال إلّا منك؟ فتفطّن. فإذا دخلتَ من باب التعرية عن المناظرة، سلبتَ النقائص التي تجوز عليك، عنه، وإن كانت لم تقم قطّ به. ولكنّ المجسِّمَ والمشبِّهَ لمّا أضافها إليه، سلبتَ أنت تلك الإضافة. ولو لم يُتوهّم هذا؛ لما فعلتَ شيئا من هذا السلب، فاعلم. وإن كان للصورة هنا مداخل كثيرة، أضربنا عن ذِكْرها، رغبة فيما قصدناه في هذا الكتاب من حذف التطويل. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

* * *

الذراع

ورد في الخبر[3] عن النبيّ ﷺ: «إنّ ضرس الكافر في النار مثل أُحُد، وكثافة جلده أربعون ذراعا بذراع الجبّار». هذه إضافة تشريف مقدار جعله الله -تعالى- أضافه إليه. كما تقول: هذا الشيء كذا وكذا ذراعا بذراع الملِك، تريد الذراع الأكبر الذي جعله الملِك، وإن كان، مَثلا، ذراعُ الملك، الذي هو الجارحة، مِثل أذرع الناس. والذراع الذي جعله مقدارا، يزيد على ذراع الجارحة[4] بنصفه أو مثله. فليس هو إذَنْ ذراعه على حقيقته، وإنما هو مقدارٌ نصبَه، ثمّ أضيف إلى جاعله. فاعلم. والجبّار في اللسان: الملِك العظيم.

* * *

(القدم)

وهكذا القَدَمَ. «يضع الجبّارُ فيها قدمه». القدم: الجارحة. ويقال: لفلان في هذا الأمر قَدم، أي ثبوت. والقَدَمُ جماعة من الخلق. فتكون القدم إضافة. وقد يكون الجبّار ملَكا، وتكون هذه القدم لهذا الملَك، إذ الجارحة تستحيل على الله -تعالى وجلّ-.

(الاستواء)

والاستواء، أيضا، ينطلق على الاستقرار والقصود والاستيلاء. والاستقرار من صفات

---

(١) ص ٣٠
(٢) [الأحزاب: ٤]
(٣) ق: - في الخبر
(٤) ص ٣٠ب

الأجســام، فلا يجوز على الله -تعالى- إلّا إذا كان على وجه الثبوت. والقصــد هو الإرادة، وهي من صفات الكمال. قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(١) أي قصد، و﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾(٢) أي استولى:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَــيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ(٣)

والأخبار والآيات كثيرة، منها صحيح وســقيم. وما منها خبرٌ إلّا وله وجه من وجوه التنزيه. وإن أردت أن يقرب ذلك عليك، فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه، وخذ فائدتها وروحها، أو ما يكون عنها، فاجعله في حقّ الحقّ؛ تفز(٤) بدرجة التنزيه، حين حاز غيرك درك التشــبيه. فهكذا فافعل، وطهِّر ثوبك. ويكفي هذا القدر من هذه الأخبار، فقد طال الباب.

* * *

نفَثَ الروح الأقدس في الرُّوع الأنفس بما تقدّم من الألفاظ

لمّا تعجّب المتعجِّبُ ممن خرج على صورته، وخالفه في سريرته؛ ففرح بوجوده، وضحك من شهوده، وغضب لتولّيه، وتبشبش لتدلّيه، ونسي ظاهره، وتنفّس فأطلق مواخره، وثبت على مُلْكه، وتحكّم بالتقدير على مِلْكه؛ فكان ما أراد، وإلى الله المعاد.

فهذه أرواح مجرَّدة، تنتظرها أشباح مسنَّدة. فإذا بلغ الميقات، وانقضت الأوقات، ومارت السماء، وكُوِّرت الشمس، وبُدِّلت الأرض، وانكدرت النجوم، وانتقلت الأمور، وظهرت الآخرة، وحُشر الإنسان وغيره في الحافرة؛ حينئذ تُحْمَدُ الأشباح، وتتنسّم الأرواح، ويتجلّى الفتّاح، ويَتَّقِد المصباح، وتُشعشَع الراح، ويظهر الودّ الصُّراح، ويزول الإلحاح، ويرفرف الجناح، ويكون الابتنا بالضُّراح(٥)، من أوّل الليل إلى الإصباح. فما أسناها من منزلة، وما أشهاها إلى النفوس من حالة مكمّلة؛ متّعنا الله بها(٦).

---

(١) [البقرة: ٢٩]
(٢) [الأعراف: ٥٤]
(٣) نسب المرزوقي في كتابه "الأزمنة والأمكنة" هذا البيت لبعيث وكانت بمناسبة تولية بشر بن مروان العراق.
(٤) ص ٣١
(٥) الضُّراحُ، بالضم: بيت في السماء مُقابِلُ الكعبة في الأَرض؛ قيل: هو البيت المعمور؛ عن ابن عباس. وفي الحديث: الضُّراحُ بيت في السماء حِيالَ الكعبة. [لسان العرب].
(٦) بالهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف أيده الله".

الباب[1] الرابع
في سبب بُدْءِ العالَم ومراتب الأسماء الحسنى من العالَم كلِّه

فِي سَــبَبِ البُدْءِ وأَحْكامِهِ وَغايَـةِ الصُّـــنْعِ وإِحْكامِهِ
والفَرْقِ ما بَيْنَ رُعاةِ العُلَى فِي نَشْـــئِهِ وَبَيْنَ حُكّامِهِ
دَلائِلٌ دَلَّتْ عَلَى صـــانِعٍ قَدْ قَهَرَ الكُلَّ بِأَحْكامِهِ[2]

قد وقف الصفيّ الوليّ -أبقاه الله- على سبب بُدْءِ العالَم في كتابنا المسمّى "بعنقاء مُغْرِبْ في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب" وفي كتابنا المسمّى بـ"إنشاء الدوائر" الذي أَلَّفْنَا بعضَه بمنزله الكريم، في وقت زيارتنا إيّاه سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ونحن نريد الحجّ. فقيّد له منه خديمه عبد الجبّار -أعلى الله قدره- القدر الذي كنت سطّرته منه. ورحلت به معي إلى مكة -زادها الله تشريفا- في السنة المذكورة، لأتمّمه بها. فشَغلنا هذا الكتاب عنه وعن غيره، بسبب الأمر الإلهيّ الذي ورد علينا في تقييده، مع رغبة بعض الإخوان والفقراء في ذلك، حرصا منهم على مزيد العلم، ورغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف، محلّ البركات والهدى والآيات البيّنات. وأن[3] نُعَرِّف أيضا في هذا الموضوع الصفيَّ الكريم، أبا محمد عبد العزيز ﵁ ما تعطيه مكة من البركات، وأنّها خير وسيلة عباديّة، وأشرف منزلة جماديّة ترابيّة، عسى تنهض به همّة الشوق إليه، وتنزل به رغبة المزيد عليه. فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم، وكان من ربّه في مشاهدة العين أدنى من ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾[4]، ومع هذا التقريب الأكمل والحظّ الأوفر الأجزل، أنزل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[5].

ومن شرط العالِم المشـاهِد، صـاحب المقامات الغيبيّة والمَشـاهد، أن يعلم أنّ للأمكنة في القلوب اللطيفة تأثيرا. ولو وجد القلب، في أيّ موضـع كان، الوجود الأعمّ؛ فوجوده بمكة أسـنى

---

(١) ص ٣١ب
(٢) بالهامش: "بلغ قراءة وسماعا على منشئه رضي الله عنه من أول الكتاب إلى ههنا لكاتبته عفا الله عنها".
(٣) ص ٣٢
(٤) [النجم: ٩]
(٥) [طه: ١١٤]

وأتم. فكما تتفاضل المنازل الروحانيّة، كذلك تتفاضل المنازل الجسمانيّة. وإلّا فهل الدُّرّ مثل الحجر، إلّا عند صاحب الحال؟ وأمّا المكمَّل، صاحب المقام، فإنّه يميّز بينهما، كما ميّز بينهما الحقّ. هل ساوى الحقّ بين دارٍ بناؤها لبن التراب والتبن، ودار بناؤها لبن العسجد واللجين؟ فالحكيم الواصل (هو) مَن أعطى كلّ ذي حقّ حقّه؛ فذلك واحد عصره، وصاحب وقته. فكثير بين مدينة يكون أكثر عمارتها الشهوات، وبين مدينة يكون أكثر عمارتها الآيات البيّنات.

أليس قد جمع معي، صفيّي -أبقاه الله- أنّ وجودَ قلوبنا في بعض المواطن أكثر من بعض؟ وقد كان ﷺ[1] يترك الخلوة في بيوت المنارة المحروسة، الكائنة بشرقيّ تونس بساحل البحر، وينزل إلى الرابطة التي في وسط المقابر، بقرب المنارة من جهة بابها، وهي تُعزى إلى الخضر. فسألته عن ذلك، فقال: إنّ قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة. وقد وجدتُ فيها أنا، أيضا، ما قاله الشيخ.

وقد علم وليّي -أبقاه الله- أنّ ذلك من أجل مَن يَعْمُرُ ذلك الموضع؛ إمّا في الحال، من الملائكة المكرَّمين أو من الجنّ الصادقين، وإمّا مِن همّةِ مَن كان يعمره وفُقِد، كبيت أبي يزيد، الذي يسمّى بيت الأبرار، وكزاوية الجنيد بالشونيزيّة[2]، وكمغارة ابن أدهم[3] باليقين، وما كان من أماكن الصالحين، الذين فَنَوا عن هذه الدار وبقيت آثارهم في أماكنهم، تنفعل لها القلوب اللطيفة. ولهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب، لا في تضاعف الأجر. فقد تجد قلبك في مسجدٍ أكثر مما تجده في غيره من المساجد. وذلك ليس للتراب؛ ولكن لمجالسة الأتراب، أو هممهم. ومَن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد؛ فهو صاحب حال، لا صاحب مقام.

ولا أشكّ، كشفا وعلما، أنّه وإن عَمرت الملائكةُ جميعَ الأرض، مع تفاضلهم في المعارف

---

(١) ص ٣٢ب

(٢) الشونيزية: رباط وتربة أبي القاسم الجنيد غربي بغداد. والجنيد هو: أبو القاسم الجنيد بنُ محمد، الخَزَّار. وكان أبوه يبيع الزُّجاج، فلذلك كان يقال له: القَوارِيريُّ.أصله من " نَهاوَنْد "، ومَوْلِده ومَنْشؤه بالعراق؛ كذلك سمعتُ أبا القاسم النَّصْرَابذى يقولُ. وكان فقيهًا، تفَقَّه على أبي ثَوْر، وكان يُفتِي في حَلْقَتِه. وصَحِب السَّريَّ السَّقَطِيَّ، والحارثَ المحاسبيَّ، ومحمدَ بنَ على القصَّابَ البغداديَّ، وغيرَهم. وهو من أَئِمَّة القوم وسادتِهم؛ مقبولٌ على جميع الألسنةِ. تُوفى سنة سبع وتسعين ومائتين، يوم نَيْروز الخلفية، يومَ السبت. وقيل تُوفِّي في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة، ودفن يوم السبت. [طبقات الصوفية (١ / ٥٥)]

(٣) إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١ هـ) أبو إسحاق البلخي. ولد بمكة، وطافت به أمّه على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحًا فاستجيب لها، وترك الإمارة، وما كان فيه. خرج متصيّدًا، فأثار ثعلبًا -أو أرنبًا- وإذ هو طلبه، هتف به هاتف من قربوس سرجه: "واللهِ؛ ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت!". فنزل عن دابته، وصادف راعي أبيه، فأخذ جبّته -وكانت من صوف- فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه. ثم دخل مكة، ثم الشام، لطلب الحلال. وكان يأكل من عمل يده. وصحب بمكة سفيان الثوري، والفضيل بن عياض. وتوفى بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور - مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر- فدفن بها سنة إحدى وستين ومائة. [طبقات الأولياء - (١ / ١)]

والرتب، فإنّ أعلاهم رتبة وأعظمهم علما ومعرفة، عَمرة المسجد الحرام. وعلى قدر جلسائك يكون وجودك. فإنّه لِهمم الجلساء، في[1] قلب الجليس لهم، تأثيرا. وهممهم، على قدر مراتبهم. وإن كان من جهة الهمم؛ فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ، سِوَى الأولياء. وما من نبيّ ولا وليّ، إلّا وله همّة متعلّقة بهذا البيت.

وهذا البلد الحرام؛ لأنّه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت، وله سِرّ الأوّليّة في المعابد، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ. فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾[2] مِن كلّ مخوف، إلى غير ذلك من الآيات.

فلو رحل الصفيّ -أبقاه الله- إلى هذا البلد الحرام الشريف؛ لوجد من المعارف والزيادات ما لم يكن رآه قبل ذلك، ولا خطر له بالبال. وقد علم ﷺ أنّ النفس تُحشر على صورة عِلمها، والجسم على صورة عَمله. وصورة العلم والعمل بمكة، أتمّ مما في سِوَاهَا. ولو دخلها صاحبُ قلبٍ ساعة واحدة لكان له ذلك، فكيف إن جاور بها وأقام، وأتى فيها بجميع الفرائض والقواعد؟ فلا شكّ أنّ مشهده بها يكون أتمّ وأجلى، ومورده أصفى وأعذب وأحلى.

وإذ وصفيّ -أبقاه الله- قد أخبرني، أنّه يُحِسُّ بالزيادة والنقص، على حسب الأماكن والأمزجة، ويعلم أنّ ذلك راجع، أيضا، إلى حقيقة الساكن به أو همّته -كما ذكرنا- ولا شكّ عندنا أنّ معرفة هذا الفن -أعنى[3] معرفة الأماكن، والإحساس بالزيادة والنقص- من تمام تمكن معرفة العارف وعلوّ مقامه، وشرفه على الأشياء وقوّة مَيْزِهِ. فالله يكتب لوليّي فيها أثرا حسنا، ويهبه فيها خيرا طيّبا، إنّه المليّ بذلك والقادر عليه[4].

اعلم -وفّقنا الله وإيّاك وجميع المسلمين- أنّ أكثر العلماء بالله، من أهل الكشف والحقائق، ليس عندهم علم بسبب بُدْءِ العالَم، إلّا تعلّق العلم القديم بإيجاده؛ فَكوَّن ما عَلِمَ أنّه سيكوِّنه. وهنا ينتهي أكثرُ الناس. وأمّا نحن، ومَن أطلعه الله على ما أطلعنا عليه، فقد وقفنا على أمور أُخَر، غير هذا. وذلك أنّك إذا نظرت العالَم مفصَّلا بحقائقه ونِسبه؛ وجدته محصورَ الحقائق والنِّسب، معلومَ المنازل والرتب، متناهيَ الأجناس، بين متماثل ومختلف. فإذا وقفتَ على هذا الأمر،

(١) ص ٣٣
(٢) [آل عمران: ٩٦، ٩٧]
(٣) ص ٣٣ب
(٤) بالهامش: "بلغ قراءة".

علمتَ أنّ لهذا سرًّا لطيفا وأمرا عجيبا، لا تدرَك حقيقته بدقيق فكر ولا نظر؛ بل بعلم موهوب من علوم الكشف، ونتائج المجاهدات المصاحِبة للهمم. فإنّ مجاهدةً بغير همّةٍ غيرُ منتجة شيئا، ولا مؤثّرة في العلم، لكن تؤثّر في الحال من رقّة وصفاء يجده صاحب المجاهدة.

فاعلم -علّمك الله سرائر الحِكَم، ووهبك من جوامع الكِلَم- أنّ الأسماء الحسنى التي[1] تبلغ فوق أسماء[2] الإحصاء عددا، وتنزل دون أسماء الإحصاء سعادة، هي المؤثّرة في هذا العالَم، وهي المفاتح الأُوَل التي لا يعلمها إلّا هو. وأنّ لكلّ حقيقة اسمًا مّا يخصّها من الأسماء. وأعني بالحقيقة، حقيقة تجمع جنسا من الحقائق، ربُّ تلك الحقيقةِ ذلك الاسمُ، وتلك الحقيقةُ عابِدَتُهُ، وتحت تكليفه. ليس غير ذلك.

وإن جمع لك شيءٌ مّا، أشياء كثيرة، فليس الأمر على ما توهّمته. فإنّك إن نظرتَ إلى ذلك الشيء، وجدتَ له من الوجوه ما يقابل به تلك الأسماء التي تدلّ عليها، وهي الحقائق التي ذكرناها. مثال ذلك: ما ثبت لك في العلم، الذي في ظاهر العقول وتحت حكمها، في حقِّ موجود مّا، (أنّه) فردٌ لا ينقسم، مثل الجوهر الفرد، الجزء الذي لا ينقسم؛ فإنّ فيه حقائق متعدّدة، تطلب أسماء إلهيّة على عددها. فحقيقة إيجاده: يطلب الاسم القادر. ووجه إحكامه: يطلب الاسم العالِم. ووجه اختصاصه: يطلب الاسم المريد. ووجه ظهوره: يطلب الاسم البصير والرائي، إلى غير ذلك. فهذا، وإن كان فردا، فله هذه الوجوه، وغيرها مما لم نذكرها. ولكلّ وجهٍ وجوهٌ متعدّدة، تطلب من الأسماء بحسبها. وتلك الوجوه هي الحقائق -عندنا- الثواني، والوقوف عليها عسير، وتحصيلها من طريق الكشف أعسر.

واعلم أنّ الأسماء قد[3] نتركها على كثرتها، إذا لحظنا وجوه الطالبين لها من العالَم. وإذا لم نلحظ ذلك، فلنرجع ونلحظ أمّهات المطالب التي لا غنى لنا عنها؛ فنعرف أنّ الأسماء، التي الأمّهات موقوفة عليها، هي أيضا أمّهات الأسماء. فيسهل النظر، ويكمل الغرض، ويتيسّر التعدّي من هذه الأمّهات إلى البنات، كما يتيسّر ردّ البنات إلى الأمّهات. فإذا نظرت الأشياء كلّها، المعلومة في العالَم العُلويّ والسفليّ، تجد الأسماء السبعة، المعبَّر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام، تتضمّنها، وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سمّيناه "إنشاء الدوائر".

---

(١) ق: "الذي".
(٢) ص ٣٤
(٣) ص ٣٤ب

وليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الأمّهات السبع[١]، المعبَّر عنها بالصفات؛ ولكن قصدنا الأمّهات التي لا بدّ لإيجاد العالَم منها. كما أنّا لا نحتاج في دلائل العقول، من معرفة الحقّ -سبحانه- إلّا كونه موجودا، عالما، مريدا، قادرا، حيّا، لا غير. وما زاد على هذا، فإنما يقتضيه التكليف. فمجيء الرسولِ ﷺ جعلنا نعرفه متكلّما، والتكليف جعلنا نعرفه سميعا بصيرا، إلى غير ذلك من الأسماء. فالذي نحتاج إليه من معرفة الأسماء (إنما هو) لوجود العالَم. وهي أرباب الأسماء، وما عداها فسدنة لها، كما أنّ بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها.

فأمّهات الأسماء: الحيّ[٢]، العالِم، المريد، القادر، القائل، الجواد، المقسط. وهذه الأسماء؛ بنات الاسمين: المدبِّر والمفصِّل. فالحيُّ يُثبت فهمَك بعد وجودك وقبله. والعالِم يثبت إحكامك في وجودك، وقبل وجودك يثبت تقديرك. والمريد يثبت اختصاصك. والقادر يثبت عدمك. والقائل يثبت قِدمك[٣]. والجواد يثبت إيجادك. والمقسط يثبت مرتبتك، والمرتبة آخر منازل الوجود.

فهذه حقائق لا بدّ من وجودها، فلا بدّ من أسمائها التي هي أربابها. فالحيّ ربّ الأرباب والمربوبين، وهو الإمام. ويليه في الرتبة العالِمُ، ويلي العالِمَ المريدُ، ويلي المريدَ القائلُ، ويلي القائلَ القادرُ، ويلي القادرَ الجوادُ، وآخِرُهم المقسِطُ؛ فإنّه ربّ المراتب، وهي آخر منازل الوجود. وما بقي من الأسماء فَتَحْتَ طاعة هؤلاء الأسماء الأئمّة الأرباب.

وكان سبب توجّه هؤلاء الأسماء إلى الاسم الله، في إيجاد العالَم، بقيّةُ الأسماء مع حقائقها أيضا. على أنّ أئمّة الأسماء، من غير نظر إلى العالَم، إنما هي أربعة لا غير: اسمه الحيُّ، والمتكلّمُ، والسميعُ، والبصيرُ. فإنّه إذا سَمِع كلامَه، ورأى ذاته؛ فقد كمل وجوده في ذاته، من غير نظر إلى العالَم. ونحن[٤] لا نريد من الأسماء إلّا ما يقوم بها وجودُ العالَم. فكثرت علينا الأسماء، فعدلنا إلى أربابها، فدخلنا عليهم في حضراتهم، فما وجدنا غير هؤلاء الذين ذكرناهم، وأبرزناهم على حسب ما شاهدناهم. فكان سبب تَوَجُّهِ أرباب الأسماء إلى الاسم الله، في إيجاد أعياننا، بقيّة الأسماء.

فأوّل مَن قام لطلب هذا العالَم، الاسمُ المدبِّر والمفصِّل، عن سؤال الاسم الملِك. فعندما

---

(١) ق: "السبعة".
(٢) ص ٣٥
(٣) هناك تدخل في كتابة الحرف الأول في ق ويمكن قراءتها: "عدمك"، وأثبتناها من هـ، س.
(٤) ص ٣٥ب

توجّها على الشيء الذي عنه وُجد المِثال في نفس العالِم، من غير عدم متقدِّم، ولكن تقدُّم مرتبة لا تقدُّم وجود؛ كتقدُّم طلوع الشمس على أوّل النهار، وإن كان أوّلُ النهار مقارِنا لطلوع الشمس، ولكن قد تبيَّن أنّ العلّةَ في وجود أوّل النهار طلوعُ الشمس، وقد قارنه في الوجود. فهكذا هو هذا الأمر.

فلمّا دبَّر العالَمَ وفصَّله هذان الاسمان من غير جهلٍ متقدِّم به، أو عدم علم، وانتشأتْ صورة المِثال في نفس العالِم؛ تعلَّقَ اسمه العالِم، إذ ذاك، بذلك المثال، كما تعلَّق بالصورة التي أُخِذ منها، وإن كانت غير مرئيّة لأنّها غير موجودة، كما سنذكره في باب: ممَّ وُجِدَ العالَم؟

فأوّلُ أسماء العالَم هذان الاسمان. والاسمُ المدبِّر هو الذي حقَّق وقت الإيجاد المقدَّر، فتعلَّق به المريدُ على حدّ ما[1] أبرزه المدبِّر ودبّره. وما عملا شيئا من نشء هذا المثال، إلّا بمشاركة بقيّة الأسماء، لكن من وراء حجاب هذين الاسمين. ولهذا صحّت لهما الإمامة. والآخرون لا يشعرون بذلك حتى بدت صورة المثال. فرأوا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم، تجذبهم للتعشّق بها. فصار كلّ اسم يتعشّق بحقيقته التي في المثال، ولكن لا يقدر على التأثير فيها؛ إذ لا تعطي الحضرة التي تجلّى فيها هذا المثال. فأدّاهم ذلك التعشُّق والحبّ إلى الطلب والسعي والرغبة في إيجاد صورة عين ذلك المثال؛ ليظهر سلطانهم، ويصحّ على الحقيقة وجودهم. فلا شيء أعظم همًّا من عزيزٍ لا يجد عزيزا يقهره، حتى يذلّ تحت قهره؛ فيصحّ سلطان عِزّهِ، أو غنيّ لا يجد من يفتقر إلى غناه، وهكذا جميع هذه الأسماء. فلجأت إلى أربابها، الأئمّةِ السبعة التي ذكرناها، ترغب إليها في إيجاد عين هذا المثال الذي شاهدوه في ذات العالِم به؛ وهو المعبَّر عنه بالعالَم.

وربما يقول القائل: يا أيّها المحقِّق؛ وكيف ترى الأسماءُ هذا المثال، ولا يراه إلّا الاسم البصير خاصّة لا غيره، وكلّ اسم على حقيقةٍ ليس الاسم الآخر عليها؟ قلنا له: لتعلم -وفّقك الله- أنّ كلّ اسم إلهيّ يتضمّن جميع الأسماء كلّها، وأنّ كلّ[2] اسم يُنعت بجميع الأسماء في أُفْقِهِ. فكلُّ اسم فهو حيّ، قادر، سميع، بصير، متكلّم، في أُفُقِه وفي علمه. وإلّا، فكيف يصحّ أن يكون ربّا لعابده؟ هيهات، هيهات.

---

(١) ص ٣٦

(٢) ص ٣٦ب

غير أنّ ثَمّ لطيفة لا يُشْــعَر بها. وذلك أنّك تعلم قطعا في حبوب البُرّ وأمثاله، أنّ كلّ بُرّة، فيها من الحقائق ما في أختها، كما تعلم أيضا أنّ هذه الحبّة ليست عين هذه الحبّة الأخرى، وإن كانتا تحويان على حقائق متماثلة، فإنّهما مِثلان. فابحث عن هذه الحقيقة التي تجعلك تفرِّق بين هاتين الحبّتين، وتقول: إنّ هذه ليست عين هذه. وهذا سارٍ في جميع المتماثلات، من حيث ما تماثلوا به. كذلك الأسماء: كلُّ اسمٍ جامعٌ لما جمعت الأسماء من الحقائق، ثمّ تعلمُ على القطع أنّ هذا الاسم ليس هو هذا الآخر، بتلك اللطيفة التي بها فرّقتَ بين حبوب البُرّ، وكلّ متماثل. فابحث عن هذا المعنى حتى تعرفه بالذِّكْر لا بالفكر.

غير أنِّي أريد أن أوقفك على حقيقةٍ ما ذكرها أحدٌ من المتقدّمين، وربما ما اطّلع عليها؛ فربما خُصّصتُ بها، ولا أدري هل تُعطى لغيري بعدي أم لا، من الحضرة التي أُعطيتها؟ فإن استقرأها أو فَهِمها من كتابي فأنا المعلّم له، وأمّا المتقدِّمون فلم يجدوها. وذلك أنّ كلّ اسم -كما قرّرنا- يجمع حقائق الأسماء ويحوي عليها، مع[1] وجود اللطيفة التي وقع لك التمييز بها بين المِثلين. وذلك أنّ الاسم المنعِم والاسم المعذِّب، اللذين هما الظاهر والباطن، كلّ اسم من هذين الاسمين يتضمّن ما تحويه سدنته، من أوّلهم إلى آخرهم. غير أنّ أرباب الأسماء، ومَن سِوَاهُم من الأسماء، على ثلاث مراتب: منها ما يلحق بدرجات أرباب الأسماء، ومنها ما ينفرد بدرجة. فمنها ما ينفرد بدرجة المنعِم وبدرجة المعذِّب. فهذه أسماء العالم محصورة، والله المستعان.

فلمّا لجأت الأسماء كلّها إلى هؤلاء الأئمّة، ولجأت الأئمّة إلى الاسم الله؛ لجأ الاسم الله إلى الذات، من حيث غناها عن الأسماء، سائلا في إسعاف ما سألته الأسماء فيه. فأنعم المحسانُ الجوادُ بذلك، وقال: قل للأئمّة يتعلّقون بإبراز العالَم على حسب ما تعطيه حقائقهم. فخرج إليهم الاسم الله، وأخبرهم الخبر. فانقلبوا مسرعين، فرحين، مبتهجين، ولم يزالوا كذلك. فنظروا إلى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب، فأوجَدوا العالَم كما سنذكره فيما يأتي من الأبواب بعد هذا -إن شاء الله- ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

(١) ص ٣٧

(٢) [الأحزاب: ٤]، وفي الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف أيده الله".

الباب الخامس
في معرفة أسرار ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] والفاتحة من وجه مّا، لا من جميع الوجوه

بَسْـــمَلَةُ[2] الأَسْمَاءِ ذُو مَنْظَرَيْنْ	مـا بَيْنَ إِبْقَـاءٍ وإِفْنـاءِ عَينْ
إلّا بِمَنْ قـالَـتْ لِمَنْ حِيْنَ مَـا	خافَتْ عَلَى النَّمْلِ مِنَ الحَطْمَتَينْ
فَقَـالَ مَنْ أَضْحَكَـهُ[3] قَوْلُهـا	هَـلْ أَثَرٌ يُطْلَـبُ مِنْ بَعْـدِ عَينْ
يا نَفْسِ يا نَفْسِ اسْـتَقِيْمِي فَقَدْ	عَايَنْـتُ مِنْ نَمْلَتِنَـا القَبْضَـــتَينْ
وَهَكَذَا فِي الحَمْدِ فاسْـتَثْنِها	إِنْ شِــئْـتَ أَنْ تُنْعَمَ بِالجَنَّتَينْ
إِحْدَاهُمَا مِنْ عَسْجَدٍ مُشْرِقٍ	جُمْلَتُهـا، وأُخْتُهـا مِـنْ لُجَينْ
يا أُمَّ قُرْآنِ العُلَى هَـلْ تُرَى	مِنْ جِهَـةِ الفُرْقـانِ لِلْفِرْقَتَينْ
أَنْتِ لَنَا السـَّبْعُ المَثَانِي الَّتِي	خُصَّ بِها سـَيِّدُنا دُوْنَ مَينْ
فـأَنْتِ مِفْتَـاحُ الهُـدَى لِلنُّهَى	وَخُصَّ مَنْ عـادَاكِ بالفُرْقَتَينْ

لمّا أردنا أن نفتتح معرفة الوجود وابتداء العالَم، الذي هو عندنا المصـــحف الكبير، الذي تلاه الحقّ علينا تلاوة حال، كما أنّ القرآن تلاوة قول عندنا؛ فالعالَم حروف مخطوطة مرقومة، في رَقِّ الوجود المنشـــور، ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا لا تنتهي. ولَمّا افتتح الله -تعالى- كتابه العزيز بفاتحة الكتاب، وهذا كتابٌ -أعنى العالَم الذي نتكلّم عليه- أردنا أن نفتتح بالكلام على أسرار الفاتحة.

و﴿بِسۡـــمِ ٱللَّهِ﴾ فاتحة الفاتحة، وهي آية أُولَى منها، أو ملازمة لها كالعلاوة، على الخلاف

(١) [الفاتحة: ١]
(٢) ص ٣٧ب
(٣) هو سيدنا سليمان عليه السلام حين سمع النملة تخاطب مجموعتها: "يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون" [النمل: ١٨]

المعلوم بين العلماء. فلا بدّ من[1] الكلام على البسملة. وربما يقع الكلام على بعض آياتٍ من سورة البقرة: آيتين أو ثلاث خاصّة، تبرّكا بكلام الحقّ سبحانه، ثمّ نسوق الأبواب -إن شاء الله تعالى-.

فأقول: إنّه لَمّا قدَّمنا، أنّ الأسماءَ الإلهيّة سببُ وجود العالَم، وأنّها المسلَّطة عليه والمؤثِّرة، لذلك كان ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عندنا: خبر ابتداء مضمَر؛ وهو ابتداء العالَم وظهوره. كأنّه يقول: ظهورُ العالَمِ[2] ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. أي باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالَم.

واختصّ الثلاثة الأسماء؛ لأنّ الحقائق تعطي ذلك. فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلّها، و"الرحمن" صفة عامّة فهو رحمن الدنيا والآخرة؛ بها رحم كلّ شيء من العالَم في الدنيا. ولَمّا كانت الرحمة في الآخرة لا تختصّ إلّا بقبضة السعادة، فإنّها تنفرد عن أختها، وكانت في الدنيا ممتزجة: يولَد كافرا ويموت مؤمنا، أي ينشأ كافرا في عالَم الشهادة وبالعكس. وتارة وتارة. وبعض العالَم تميَّز بإحدى القبضتين بإخبار صادق؛ فجاء الاسم "الرحيم" مختصّا بالدار الآخرة لكلّ من آمن. وتَمَّ العالَم بهذه الثلاثة الأسماء: جملة في الاسم الله، وتفصيلا في الاسمين: "الرحمن الرحيم[3]". فتحقَّقْ ما ذكرناه؛ فإنّي أريد أن أدخُلَ إلى ما في طيّ البسملة والفاتحة من بعض الأسرار، كما شرطناه. فلنبيّن، ونقول:

"بِسْمِ"[4]: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميَّز العابد من المعبود. قيل للشبليّ[5] رضي الله عنه: "أنت الشبليّ؟" فقال: "أنا النقطة التي تحت الباء". وهو قولنا: النقطة للتمييز. وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبوديّة. وكان الشيخ أبو مدين -رحمه الله- يقول: "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الباء عليه مكتوبة".

فالباءُ المصاحبة للموجودات؛ من حضرة الحقّ في مقام الجمع والوجود: "أي بي قام كلّ شيء

---

(١) ص ٣٨

(٢) ثابت في الهامش بخط الأصل مع إشارة التصويب.

(٣) ص ٣٨ب

(٤) كتب فوقها بقلم الأصل: صح

(٥) أبو بكر الشبلي. اسمه دلف، يقال: ابن جحدر، ويقال: ابن جعفر. ويقال: اسمه جعفر بن يونس. سمعت الحسين بن يحيى الشافعي، يذكر ذلك: وكذلك رأيته ببغداد، مكتوبا على قبره. وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد. وأصله من اسروشنة. ومولده - كما قيل- سامرا. تاب في مجلس "خير النساج". وصحب "الجنيد"، ومن في عصره من المشايخ. وصار أوحد وقته حالًا وعلمًا. وكان عالما، فقيها على مذهب مالك. عاش سبعا وثمانين سنة. ومات في ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ودفن في مقبرة الخيزران. وقبره اليوم ظاهر. [طبقات الصوفية (١ / ٩٧)]

وظهر"، وهي من عالَم الشهادة. هذه الباء بدلٌ من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء، واحتيج إليها؛ إذ لا يُنْطَق بساكن. فجُلِبت الهمزة، المعبَّر عنها بالقدرة، محرَّكة -عبارة عن الوجود- لِيُتَوَصَّل بها إلى النطق، الذي هو الإيجاد من إبداعٍ وخلْقٍ، بالساكن الذي هو العدم -وهو أوان وجود المحدَث بعد أن لم يكن- وهو السين. فدخل في الْمِلك بالميم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1].

فصارت الباء بدلا من همزة الوصل، أعني القدرة الأزليّة. وصارت حركة الباء[2] لحركة الهمزة، الذي هو الإيجاد. ووقع الفرق بين الباء والألف الواصلة؛ فإنّ الألف تعطي الذات، والباء تعطي الصفة؛ ولذلك كانت لعين الإيجاد أحقّ من الألف بالنقطة التي تحتها، وهي الموجودات. فصار في الباء الأنواع الثلاثة: شكل الباء، والنقطة، والحركة؛ العوالِمُ الثلاثة. فكما في العالَم الوسط توهُّمٌ مّا، كذلك في نقطة الباء. فالباء ملكوتيّة، والنقطة جبروتيّة، والحركة شهاديّة مُلْكيّة. والألف المحذوفة، التي هي بدل منها، هي حقيقة القائم بالكلّ -تعالى-. واحتجبَ؛ رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء. وعلى هذا الحدِّ نأخذ كلَّ مسألة في هذا الباب، مستوفاة بطريق الإيجاز. فـ﴿بِسْمِ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ واحد.

ثمّ وجدنا الألف من ﴿بِسْمِ﴾، قد ظهرت في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[3] و﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾[4] بين الباء والسين، ولم تظهر بين السين والميم. فلو لم تظهر في ﴿بِٱسْمِ﴾ السفينة؛ ما جرت السفينة. ولو لم تظهر في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾؛ ما عَلِم المِثلُ حقيقتَه، ولا رأى سورتَه. فتيقّظ من سنة الغفلة، وانتبه. فلمّا كثر استعمالها، في أوائل السور؛ حذفت لوجود المِثل (الذي قام) مقامه في الخطاب؛ وهو الباء. فصار المِثل[5] مرآة للسين، فصار السين مثالا. وعلى هذا الترتيب نظام التركيب.

وإنما لم تظهر بين السين والميم، وهو محلّ التغيير وصفات الأفعال، أن لو ظهرت لزال السين والميم؛ إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء؛ فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم؛ إذ كان سبب بقاء

(١) [الأعراف: ١٧٢]
(٢) ص ٣٩
(٣) [العلق: ١]
(٤) [هود: ٤١]
(٥) ص ٣٩ب

وجودهم ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[١] وهو (أي الألف) الرسول. فهذه الباء والسين والميم؛ العالَمُ كلّه.

ثمّ عَمِل الباءُ في الميم الخفضَ، من طريق الشبه بالحدوث؛ إذ الميم مقام الْمُلك، وهو العبوديّة. وخفضتها الباء: عرّفتها بنفسها، وأوقفتها على حقيقتها. فمها وُجِدت الباءُ وُجِدت الميم في مقام الإسلام. فإن زالت الباء يوما مّا لسبب طارئ، وهو ترقّي الميم إلى مقام الإيمان، فتحَ في عالَم الجبروت بـ"سَبِّح" وأشباهه. فأُمر بتنزيه المحلّ لتجلّي المِثل، فقيل له: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[٢] الذي هو مغذّيك بالمواد الإلهيّة؛ فهو ربّك -بفتح الميم-. وجاءت الألف ظاهرة، وزالت الباء؛ لأنّ الأمر توجّه عليها (أي على الميم) بالتسبيح، ولا طاقة لها على ذلك، والباء محدَثة مثلها، والمحدَث من باب الحقائق لا فعل له، ولا[٣] بدّ لها من امتثال الأمر، فلا بدّ من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم.

فلمّا ظهر؛ فعلت القدرة في الميم التسبيح، فسبّح كما أُمِر، وقيل له: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ لأنّه مع الباء في الأسفل. و(هو) في هذا المقام في الوسط. ولا يسبِّح المسبِّحُ مثلَهُ، ولا مَن هو دونه؛ فلا بدّ أن يكون المسبَّح أعلى. ولو كنّا في تفسير سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ لأظهرنا أسرارها. فلا يزال في هذا المقام حتى يتنزَّه في نفسه، فإنّ من ينزّهه مُنَزَّه؛ فإنّه منزَّه عن تنزيهه، فلا بدّ من هذا التنزيه أن يعود على المنزِّه، ويكون هو الأعلى. فإنّ الحقّ من باب الحقيقة لا يصحّ عليه ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ فإنّه من أسماء الإضافة، وضربٌ من وجوه المناسبة؛ فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط، تنزّه عن ذلك وتعالى علوّا كبيرا. بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه، نسبةٌ واحدة. فإذا تنزّه (الميم) خرج عن حدّ الأمر، وخرق حجاب السمع، وحصّل المقام الأعلى. فارتفع الميم بمشاهدة القديم، فحصل له الثناء التامّ بـ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٤].

فكما أنّ الاسم عينُ المسمّى، كذلك العبد عين المولى. «من تواضع لله رفعه الله» وفي

---

(١) [الشورى: ٥١]
(٢) [الأعلى: ١]
(٣) ص ٤٠
(٤) [الرحمن: ٧٨]

الصحيح من الأخبار: «أنّ الحقّ يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره»، لو لم يقبل الخفض من الباءِ في ﴿بِٱسۡمِ﴾، ما[1] حصل له الرفع في النهاية في ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ﴾.

ثمّ اعلم أنّ كلّ حرف من "بِسْمِ" مثلّث على طبقات العوالم. فاسم الباء: باء وألف وهمزة. واسم السين: سين وياء ونون. واسم الميم: ميم وياء وميم. والياء مثل الباء، وهي حقيقة العبد في باب النداء. فما أشرف هذا الموجود؛ كيف انحصر في عابد ومعبود. فهذا شرفٌ مطلقٌ لا يقابله ضدٌّ؛ لأنّ ما سِوَى وجود[2] الحقّ -تعالى- ووجود العبد، عدم محض لا عين له.

ثمّ إنّه سكّن السين من "بِسْمِ"، تحت ذلّ الافتقار والفاقة، كسكوننا تحت طاعة الرسول لَمّا قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[3] فسكنت السين من "بِسْمِ" لتتلقى من الباء الحقَّ اليقين. فلو تحرّكت قبل أن تسكن لاستبدّت بنفسها، وخيف عليها من الدّعوى، وهي سين مقدَّسة، فسكنتْ. فلمّا تلقّت من الباء الحقيقة المطلوبة، أُعطيت الحركة، فلم تتحرّك في بعض المواطن إلّا بعد ذهاب الباء؛ إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ، في أمر مّا، سوء أدب؛ إلّا أن يأمره؛ فامتثال الأمر هو الأدب.

فقال عند مفارقة الباء، يخاطب أهل الدّعوى، تائها بما حصل له في المقام الأعلى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[4]. ثمّ تحرّك، لمن أطاعه، بالرحمة واللين، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا[5] خَٰلِدِينَ﴾[6] يريد حضرة الباء؛ فإنّ الجنّة حضرةُ الرسول ﷺ، وكثيب الرؤية حضرةُ الحقّ. فاصدُق وسلِّم تَكشِف وتَلحق.

فهذه الحضرة، هي التي تنقله إلى الألف المرادة. فكما أنّه ينقلك الرسول إلى الله، كذلك تنقلك حضرته -التي هي الجنّة- إلى الكثيب، الذي هو حضرة الحقّ.

ثمّ اعلم أنّ التنوين في "بِسْمٍ"، لتحقيق العبودة وإشارات التبعيض. فلمّا ظهر منه التنوين

---

(١) ص ٤٠ب
(٢) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٣) [النساء: ٨٠]
(٤) [الأعراف: ١٤٦]
(٥) ص ٤١
(٦) [الزمر: ٧٣]

اصطفاه الحقُّ المبين بإضافة التشريف والتمكين، فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ فحذف التنوين العبديّ، لإضافته إلى المنزل الإلهيّ. ولَمّا كان تنوينَ تخلُّقٍ، لهذا صحّ له هذا التحقُّق، وإلّا فالسكون أَوْلَى به. فاعلم.

انتهى الجزء التاسع(١).

---

(١) في الهامش: "بلغت بقراءتي على سيدي مصنفه أحسن الله إليه. كتبه أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي"، يليه: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على مؤلفه أيده الله"، يليه: "بلغ قراءة لمحمود الزنجابي على مؤلفه". وفي أسفل الصفحة كتبت السماعات التالية: "سمع جميع هذا الجزء والثامن قبله على مصنفهما الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد العلامة، محيي الدين، جمال الإسلام، فخر العلماء، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي، بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الفقهاء أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو بكر بن سليمان بن الحموي الواعظ، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وعبد العزيز بن علي بن جعفر الموصلي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وعمران بن حبيش الحوراني، ورضوان بن أبي بكر بن عبد الواحد الدمشقي، ويعقوب بن معاذ الوربي، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، وعلي بن يوسف، وعمران بن محمد بن عمران، وإبراهيم بن خضر بن يوسف الدمشقي، وابنه محمد، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، ومظفر بن محمود بن أبي القاسم، وأحمد بن محمد بن أبي الفرح التكريتي، -الحنفيون- ومحمد بن علي بن محمد المطرز، ومحمد بن يرنقش المعظمي، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي الواعظ، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم، وعيسى بن إسحق بن يوسف الهذباني... بن طلايع بن حسن الخياط، وأبو العز بن أبي الوحش بن عبد العزيز الحريري، وعلي بن أبي الغنائم الغسال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في تاسع عشرين شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة". وعلى يمين السماع السابق ما يلي: "وسمع الجزأين المذكورين أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي الأنصاري- كتبه إبراهيم حامدا ومصليا".

الجزء العاشر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

وَصْلٌ: قوله: "الله" من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾

ينبغي لك -أيّها المسترشد- أن تعرف أوّلا ما تَحَصّل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف، وحينئذ يقع الكلام عليها -إن شاء الله-، وحروفها: "أ ل ل ا ه و"[٣]. فأوّل ما أقول كلاما مجمَلا مرموزا، ثمّ نأخذ في تبيينه، ليسهل قبوله على عالَم التركيب.

وذلك أنّ العبد، تعلَّق بالألف تعلُّق مَن اضطُرَّ والتجأ؛ فأظهرته اللام الأُولَى[٤] ظهورا؛ وَرَّثَهُ الفوز من العدم والنَّجاة. فلمّا صحّ ظهوره، وانتشر في الوجود نُورُه، وصحّ تعلّقه بالمسمّى، وبطل تخلّقه بالأسماء؛ أَفْنَتْهُ اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها، فناء لم تُبق منه باقية، وذلك عسى ينكشف له المعمَّى. ثمّ جاءت الواو بعد الهاء لِتَمَكُّنِ المراد، وبقيت الهاء لوجوده آخرا، عند محو العباد؛ من أجل العناد؛ فذلك أوان الأجل المسمّى.

وهذا هو المقام الذي تضمحلّ فيه أحوال السائرين، وتنعدم فيه مقامات السالكين، حتى يفنى مَن لم يكن، ويبقى مَن لم يَزَل. لا غيرَ يثبت لظهوره، ولا ظلام يبقى لنوره. «فإن لم تكن تره» اعرف حقيقة «إن لم تَكُنْ» تَكُنْ أَنْتَ "كُنْ" إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات، وهي العبوديّة.

يقول[٥] بعض السادة، وقد سمع عاطسا يقول: "الحمد لله". فقال له ذلك السيّد: "أَتِمَّها كما قال الله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾". فقال العاطس: "يا سيّدنا؛ ومَن العالَم حتى يُذكر مع الله". فقال له: "الآن قله -يا أخي- فإنّ المحدَث إذا قُرن بالقديم؛ لم يبق له أثر". وهذا هو مقام الوصلة، وحال وَلَهِ أهل الفناء عن أنفسهم. وأمّا لو فني عن فنائه، لما قال: "الحمد لله" لأنّ في قوله: "الحمد" أثبت العبد، الذي هو المعبَّر عنه بالرداء عند بعضهم، وبالثوب عند آخرين. ولو قال: "ربِّ العالمين" لكان أرفع من المقام الذي كان فيه.

فذلك مقام الوارثين، ولا مقام أعلى منه؛ لأنّه شهود لا يتحرّك معه لسان، ولا يضطرب

---

(١) العنوان ص ٤١ب
(٢) البسملة ص ٤٢
(٣) أعلى الحروف خط مَدًّا واحدا يبدأ بالألف وينتهي بالواو.
(٤) لفظ "الأولى" بخط آخر مع إشارة التصويب.
(٥) ص ٤٢ب

معه جَنان. أَهْلُ هذا المقام في أحوالهم؛ فاغرةٌ أفواهُهم؛ اســـتولت عليهم أنوار الذات، وبَدَتْ عليهم رسوم الصفات. هم عرائس الله المخبّئون عنده، المحجوبون لديه؛ الذين لا يعرفهم سِوَاهُ، كما لا يعرفون سِـــوَاهُ. تَوَّجَهم بتاج البهاء وإكليل الســـناء، وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس، ومناجاة الديموميّة بلسان القيّوميّة. أورثهم ذلك قوله: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[1] و﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾[2].

فلم تزل القوّة الإلهيّة تمدّهم بالمشاهدة، فيبرزون بالصفات في موضع القدمين: فلا وَلَه إلّا من حيث الاقتداء[3]، ولا ذِكْر إلّا إقامة سنّة أو فرض. لا يحيدون عن سَوَاء السبيل؛ فهم بالحقّ. وإن خاطبوا الخلق، وعاشروهم؛ فليسوا معهم. وإن رأوهم لم يَروهم؛ إذ لا يرون منهم إلّا كونهم من جملة أفعال الله. فهم يشاهدون الصنعة والصانع؛ مقاما عُمَرِيًّا، كما يقعد أحدكم مع نجّار يصنع تابوتا؛ فيشاهد الصنعة والصانع، ولا تحجبه الصنعة عن الصانع، إلّا إن شَغَل قلبَه حسنُ الصنعة؛ فإنّ الدنيا كما قال ﷺ: «حلوة خضرة»، وهي من «خضراء الدِّمَن: جارية حسناء في منبت سوء»؛ مَن أحسن إليها وأحبّها، أساءت إليه وحَرُمَت عليه أُخراه. ولقد أحسن القائل[4]:

إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبِيْبٌ تَكَشَّفَتْ   لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَـــدِيقِ[5]

فهذه الطائفة: الأمناءُ الصدِّيقون؛ إذا أيّدهم الله بالقوّة الإلهيّة وأمدّهم. فهم معه بهذه النِّسبة على وجه المثال، وهذا أعلى مقام يُرقى فيه، وأشرف غاية يُنتهى إليها هذه الغاية القصوى؛ إذ لا غاية إلّا من حيث التوحيد، لا من حيث الموارد والواردات. وهو المســتوَى؛ إذ لا اســتواء إلّا (حيث) الرفيق الأعلى. فهنيئا لهذه العصـــابة بما نالوه من حقائق المشـــاهدة، وهنيئا[6] لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة.

---

(١) [المعارج: ٢٣]
(٢) [المعارج: ٣٣] وفقا لقراءة ورش. وفي قراءة حفص: بشهاداتهم
(٣) ص ٤٣
(٤) القائل هو: أبو نُوّاس (١٤٦ - ١٩٨ هـ / ٧٦٣ - ٨١٣ م) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء. شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها. كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيرة. هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. (الموسوعة الشعرية). والبيت من قصيدة مطلعها:

أَيا رُبَّ وَجهٍ في التُرابِ عَتيقِ   وَيا رُبَّ حُسنٍ في التُرابِ رَقيقِ

(٥) في الهامش: "بلغ قراءة...".
(٦) ص ٤٣ب

مرّ بنا جواد اللســان في حلبة الكلام، فلنرجع إلى ما كنّا بسـبيله والسـلام[1]. فأقول: همزة هذا الاسم، المحذوفة بالإضافة، تحقيق اتّصال الوحدانيّة، وتمحيق انفصال الغيرة. فالألف واللام الملصقة، كما تقدّم، لتحقيق المتّصل، ومحق المنفصل. والألف الموجودة في اللام الثانية؛ لمحو آثار الغير المتحصِّــل. والواو التي بعد الهاء، ليس لها في الخطّ أثر، ومعناها في الوجود، بهاء الهويّة، قد انتشر. أبداها في عالَم المُلك بذاتها، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[2].

فبدأ بالهويّة وختم، وملَّكها الأمر في الوجود والعدم، وجعلها دالّة على الحدوث والقِدم، وهو آخر ذِكْر الذاكرين وأعلاه. فرجع العَجُزُ[3] على الصـــدر، فلاحت ليلة القدر، ووقف بوجودها أهلُ العناية والتأييد على حقائق التوحيد. فالوجود في نقطةِ دائرة هذا الاسم ســاكن، وقد اشتمل عليه بحقيقته؛ اشتمال الأماكن على المتمكن الساكن. ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[4].

واللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ المِشْــكاةِ والنِّبْرَاسِ[5]

فقال -تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا﴾[6] ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[7] وصــيّر الكلّ[8] اسما ومسمّى، وأرسله مكشوفا ومعمّى.

حَلُّ المقفَل وتفصيلُ المجمَل

يقول العبد: "الله" فيثبت (بالألف والهاء) أوّلا وآخرا، وينفي باللامين باطنا وظاهرا. لَزِمَتِ اللّامُ الثانية الهاءَ بوســاطة الألف العِلميّة: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ الثلاثةُ اللام، ﴿وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ فالألف سادس في حقّ الهاء، رابعٌ في حقّ اللام.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[9] العرشُ ظلُّ الله. العرش: اللام الثانية، وما حواه

(١) في الهامش: "بلغ".
(٢) [الحشر: ٢٢]
(٣) العجز: مؤخّر الشيء
(٤) [النحل: ٦٠]
(٥) من قصيدة لأبي تمام (١٨٨-٢٣١هـ) أحد أمراء البيان، ولد بسوريا، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد؛ فأجازه وقدمه على شعراء وقته. فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. له عدة تصانيف في الأدب. (الموسوعة الشعرية)
(٦) [النساء: ١٢٦]
(٧) [الطلاق: ١٢]
(٨) ص ٤٤
(٩) [الفرقان: ٤٥]

اللام الأُولَى بطريق المِلك. واللامان هما الظاهر والباطن، من باب الأسـماء، ظهرتا بين ألف الأوّل وألف الآخر، وهو مقام الاتّصـال؛ لأنّ النهاية تنعطف على البداية، وتتّصـل بها اتّصـال اتّحاد.

ثمّ خرجت الهاء بواوها الباطنة، مخرج الانفصال. والجزء المتّصل بين اللام والهاء، هو السِّرُّ الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيّد، وذلك مركز الألف العِلْمِيَّة، وهو مقام الاضمحلال.

ثمّ جعل -تعالى- في الخطّ المتّصـل، جزءا بين اللامَيْن؛ للاتّصال بين اللام الأُولَى التي هي عالَم المُلك، وبين اللام الثانية التي هي عالَم الملكوت؛ وهو مركز العالَم الأوسَـط[1]، عالَم الجبروت، مقام النفس. ولا بدّ من خطوط فارغة بين كلِّ حرفين، فتلك مقامات فناء رسـوم السالكين، من حضرة إلى حضرة.

تتميم

الألف الأُولَى، التي هي ألف الهمزة، منقطعة. واللام الثانية، أَلِفُها متّصـل، بها قُطعت الألِف في أوائل الخطوط، لقوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه» فلهذا قُطِعت. وتنزّه من الحروف مَن أشبهها في عدم الاتّصال بما بعدها.

والحروف التي أشبهتها؛ على عدد الحقائق العامّة العالية، التي هي الأمّهات. وكذلك إذا كانت آخر الحروف؛ تقطع الاتّصال من البَعديّة الرقميّة. فكان انقطاع الألف تنبيها لما ذكرناه، وكذلك إخوتُه. فالألف للحقِّ، وأشباه الألف للخلق. وذلك: "د، ذ، ر، ز، و" في جميع الحقائق. د: جسم، ذ: متغذٍّ، ر: حسّاس، ز: ناطق، و: وما عداه ممن له لغة[2]. وانحصرت حقائق العالَم الكلّيّة[3].

فلمّا أراد وجود اللام الثانية؛ وهي أوّل موجود في المعنى، وإن تأخّرتْ في الخطّ، فإنّ معرفة الجسـم تتقدّم على معرفة الروح شـاهدا، وكذلك الخطّ شـاهدا. وهي: عالَم الملكوت أوجدها بقدرته. وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به مُعرّى من الإضـافة. وهي لا تفارق الألف.

---

(١) ص ٤٤ب
(٢) طريقة كتابته للحرف وتفسيره من "د: جسم إلى هنا" هي أنه كان يكتب الحرف في السطر وتفسيره فوقه.
(٣) في الهامش: "بلغ".

فلمّا أوجدت هذه الألفُ اللامَ الثانية، جعلها رئيسةً. فطلبتْ[1] مرءوسا تكون عليه بالطبع. فأوجد لها عالَم الشهادة، الذي هو اللّام الأُولَى. فلمّا نظرتْ إليه أشرق وأنار، ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[2] وهو الجزء الذي بين اللامَيْن؛ أمر -سبحانه- اللام الثانية أن تُمِدَّ الأُولَى بما أَمَدّها به -تعالى- من جود ذاته، وأن تكون دليلها إليه[3]. فطلبت منه معنًى تُصرّفه في جميع أمورها، يكون لها كالوزير؛ فتلقي إليه ما تريده، فيلقيه على عالَم اللام الأُولَى. فأوجد لها الجزء المتّصل باللامين، المعبَّر عنه بالكتاب الأوسط، وهو العالَم الجبروتي. وليست له ذات قائمة مثل اللامين؛ فإنّه بمنزلة عالَم الخيال عندنا. فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء، وارتقم فيه ما أريد منها، ووجّهت به إلى اللام الأُولَى، فامتثلت الطاعة حتى قالت: ﴿بَلَىٰ﴾.

فلمّا رأت اللامُ الأُولَى الأمرَ قد أتاها من قِبَل اللام الثانية، بوساطة الجزء الذي هو الشرع، صارت مشاهِدة لما يرِد عليها من ذلك الجزء، راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده. فلمّا صرفت الهمّة إلى ذلك الجزء، واشتغلتْ بمشاهدته؛ احتجبتْ عن الألف التي تقدّمتها ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾[4]. ولو لم تَصْرِف الهمّة إلى ذلك الجزء، لتلقّتْ الأمرَ من الألف الأُولَى بلا واسطة، ولكن[5] لا يمكن لِسِرٍّ عظيم؛ فإنّها ألف الذات، والثانية ألف العلم.

إشارة

ألا ترى أنّ اللام الثانية لَمّا كانت مرادة، مجتباة، منزّهة عن الوسائط، كيف اتّصلت بألف الوحدانيّة اتّصالا شافيا، حتى صار وجودها نطقا يدلّ على الألف دلالة صحيحة؟ وإن كانت الذات خَفِيَت؛ فإنّ لَفْظَكَ باللام محقّق الاتّصال، ويدلّك عليها.

«مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه». مَن عرف اللام الثانية عرف الألف. فجعل نفسك دليلا عليك، ثمّ جعل كونَك دليلا عليك؛ دليلا عليه؛ في حقّ مَن بَعُد، وقدَّم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربّه. ثمّ بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه، لَمّا كان المراد منه أن يعرف ربّه. ألا ترى تعانق اللام الألف، وكيف يوجَد اللام في النطق قبل الألف؟ وفي هذا تنبيه لمن أدرك.

فهذه اللام الملكوتيّة تتلقّى من ألِف الوحدانيّة بغير واسطة؛ فتورده على الجزء الجبروتي

---

(١) ص ٤٥

(٢) [الزمر: ٦٩]

(٣) ق: "عليه" ومصححة بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.

(٤) [الحديد: ١٣]

(٥) ص ٤٥ب

ليؤدّيه إلى لام الشـــهادة والمُلك. هكذا الأمر مادام التركيب والحجاب. فلمّا حصـــلت الأوّليّة والآخريّة والظاهريّة والباطنيّة، أراد -تعالى- كما قدّم الألف منزّهة عن الاتّصـــال من كلّ الوجوه بالحروف، أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء؛ فلا يصحّ بقاء للعبد[1] أوّلا وآخرا؛ فأوجد الهاء مفردة بواو هُويّتها.

فإن توهّم متوهِّمٌ أنّ الهاء ملصَقة إلى اللام، فليسـت كذلك، وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام. والألفُ لا يتّصـــل بها، في البَعديّة، شيء من الحروف. فالهاءُ بعد اللام مقطوعة عن كلّ شيء. فذاك الاتّصـــال باللام في الخطّ، ليس باتّصـــال. فالهاء واحدة، والألف واحدة. فاضرب الواحد في مثله؛ يكن واحدا. فصحّ انفصال الخلق عن الحقّ؛ فبقي الحقُّ.

وإذا صحّ تخلُّقُ اللام المُلكيّة، بما توردہ عليها لام الملكوت، فلا تزال تضمحلّ عن صفاتها، وتفنى عن رسـومها، إلى أن تحصُـل في مقام الفناء عن نفسـها. فإذا فنيَتْ عن ذاتها؛ فني الجزء لفنائها. واتَّحدت اللامان لفظا؛ ينطق بها اللســان مشــدّدة، للإدغام الذي حدث، فصـــارت موجودة بين أَلِفين اشتملا عليها، وأحاطا بها.

فاعطتنا الحكمة الموهوبة، لَمّا سمعنا لفظ الناطق بـ"لا" بين أَلِفين؛ علِمنا ضرورة أنّ المحدَث فني بظهور القديم، فبقي أَلِفان: أُولَى وأخرى. وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي. فضرـــبنا الألف في الألف، ضَرْبَ الواحد في الواحد؛ فخرجت لك الهاء. فلمّا ظهرتْ زال حكم الأوّل والآخر، الذي جعلتَه الواسـطة، كما زال حكم الظاهر والباطن؛ فقيل[2] عند ذلك: «كان الله ولا شيء معه». ثمّ أصل هذا الضمير، الذي هو الهاء، الرفعُ ولا بدّ؛ فإن انفتح أو انخفض، فتلك صفة تعود على مَن فتحه أو خفضه؛ فهي عائدة على العامل الذي قَبْلُ في اللفظ.

تكملة

ثمّ أوجد -سـبحانه- الحركات والحروف والمخارج، تنبيها منه ﷻ أنّ الذوات تتميّز بالصـفات والمقامات. فجعل الحركات نظير الصفات، وجعل الحروف نظير الموصوف، وجعل المخارج نظير المقامات والمعارج. فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه، مِن وصلٍ وقطعٍ: "ء، ا، ل، ه، و" همزة، وألِفًا، ولامًا، وهاءً، وواوًا. فالهمزة أوّلا، والهاء آخرا، ومخرجهما واحد مما يلي

---

(١) ص ٤٦

(٢) ص ٤٦ب

القلب. ثمّ جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام، ومخرجه اللسان؛ ترجمان القلب. فوقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء، كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محلّ الكلام وبين اللسان المترجم عنه. قال الأخطل[1]:

إنَّ الكَلامَ لَفي الفُؤادِ وإنَّمَا جُعِلَ اللِّسانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيْلا

فلمّا كانت اللام من اللسان؛ جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها؛ فأفناها عنها، وهي الحنك الأسفل. فلمّا نظرت إليه لا إلى ذاتها[2]؛ علتْ وارتفعتْ إلى الحنك الأعلى، واشتدّ اللسان بها في الحنك اشتدادا، لتمكن علوّها وارتفاعها بمشاهدته. وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر، مخبرة دالّة عليه؛ وذلك مقام باطن النبوّة؛ وهي الشعرة التي فينا من الرسول ﷺ، وفي ذلك يكون الورث.

فخرج من هذا الوصل؛ أنّ الهمزة والألف والهاء من عالَم الملكوت، واللام من عالَم الجبروت، والواو من عالَم المُلك[3].

* * *

وَصْلٌ: قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من البسملة

الكلام على هذا الاسم في هذا الباب، من وجهين: من وجه الذات، ومن وجه الصفة. فمَن أعربه بدلا؛ جعله ذاتا، ومَن أعربه نعتا؛ جعله صفة. والصفاتُ سِتٌّ، ومن شرط هذه الصفات، الحياة: فظهرت السبعة وجميع هذه الصفات للذات: وهي الألف الموجودة بين الميم والنون، من الرحمن.

ويتركب الكلام على هذا الاسم، من الخبر الثابت عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» من حيث إعادة الضمير على الله. ويؤيّد هذا النظر الرواية الأخرى، وهي قوله عليه السلام: «على صورة الرحمن» وهذه الرواية، وإن لم تصحّ من طريق أهل النقل، فهي صحيحة من

(١) الأَخطَل: (١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبًا بأدبه، تياهًا، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينًا في دمشق وحينًا في الجزيرة. (الموسوعة الشعرية)

(٢) ص ٤٧

(٣) في الهامش: "بلغ قراءة لمحمود الزنجابي".

طريق الكشف.

فأقول[1]: إنّ الألف واللام والراء للعلم والإرادة والقدرة. والحاء والميم والنون: مدلول الكلام والسمع والبصر. وصفة الشرط، التي هي الحياة، مستصحبة لجميع هذه الصفات. ثمّ الألف التي بين الميم والنون: مدلول الموصوف؛ وإنما حُذِفت خطًّا لدلالة الصفات عليها دلالة ضروريّة، من حيث قيام الصفة بالموصوف. فتجلّت للعالَم الصفات. ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها، ولا يعرفونها.

ثُمّ الذي يدلّ على وجود الألِف، ولا بدّ، ما ذكرناه، وزيادة؛ وهي إشباع فتحة الميم. وذلك إشارة إلهيّة إلى بسط الرحمة على العالَم. فلا يكون، أبدا، ما قبل الألف إلّا مفتوحا. فَتَدُلُّ الفتحةُ على الألف في مثل هذا الموطن. وهو محلّ وجود الروح، الذي له مقام البسط لمحلِّ التجلّي. ولهذا ذكر أهل عالَم التركيب، في وضع الخطوط في حروف العلّة، الياءَ المكسورَ ما قبلها -إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها-، وكذلك الواو المضموم ما قبلها. ولَمّا ذكروا الألف لم يقولوا: المفتوحَ ما قبلها، إذ لا توجد إلّا والفتح في الحرف الذي قبلها، بخلاف الواو والياء. فالاعتلال للألف لازمٌ أبدا.

فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منَزَّها عن[2] جميع النقائص إلّا الله -تعالى-، نسي الروح القُدسيّ الأعلى فقال: ما في الوجود إلّا الله. فلمّا سئل في التفصيل، لم يوجد لديه تحصيل.

وإنما خصَّصوا الواو بالمضموم ما قبلها، والياء بالمكسور ما قبلها، لما ذكرناه؛ فصحّت المفارقة بين الألف، وبين الواو والياء. فالألف للذات، والواو العِلّيّة للصفات، والياء العِلّيّة للأفعال. الألف للروح، والعقل صفته، وهو الفتحة. والواو: النفْس، والقبض صفتها، وهو الضمّة. والياء: الجسم، ووجود الفعل صفته، وهو الخفض.

فإن انفتح ما قبل الواو والياء، فذلك راجع إلى حال المخاطَب. ولَمّا كانتا غيرًا ولا بدّ، اختلفتْ عليها الصفات. ولَمّا كانت الألف لا تقبل الحركات، اتّحدتْ بمدلولها، فلم يختلف عليها شيء أَلْبَتَّة. وسمّيت حروف العلّة لما نذكره: فألِف الذات علّة لوجود الصفة، وواو الصفة علّة لوجود الفعل، وياء الفعل علّة لوجود ما يصدر عنه في عالَم الشهادة من حركة وسكون. فلهذا

(١) ص ٤٧ب
(٢) ص ٤٨

سُمّيتْ عللا.

ثمّ أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة في الشكل. والنصف الآخر محصورٌ، معقول في النقطة التي تدلّ على النون الغيبيّة، الذي هو نصف الدائرة. ويحسِب الناسُ[1] النقطةَ أنّها دليلةٌ على النون المحسوسة. ثُمّ أوجد مُقْدَم الحاء مما يلي الألف المحذوفة في الرقم، إشارة إلى مشاهدتها، ولذلك سَكَنَتْ، ولو كان مُقْدَمُها إلى الراء لَتحرّكتْ.

فالألِف الأُولَى للعلم، واللام للإرادة، والراء للقدرة؛ وهي صفة الإيجاد. فوجدنا الألِفَ لها الحركةُ من كونها همزةً[2]، والراء لها الحركة، واللام ساكنة. فاتّحدت الإرادةُ بالقدرة -كما اتّحد العلمُ والإرادةُ بالقدرة- إذا وصلت الرحمن بالله، فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة، بعد ما قُلِبَتْ راءًا، وشُدَّتْ لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء، وجود الكلمة ساكنة. وإنما سَكَنَتْ لأنّها لا تنقسم، والحركة منقسمة. فلمّا كانت الحاء ساكنة سكونا حيًّا، ورأيناها مجاورةً الراء؛ راء القدرة، عرفنا أنّها الكلمة، وتمّينها.

تنبيهٌ

أشار مَن أَعْرَبَهُ بدلًا من قوله: "الله" إلى مقام الجمع واتّحاد الصفات. وهو مقام من روى: «خلَق آدم على صورته» وذلك وجود العبد في مقام الحقّ، حدِّ الخلافة. والخلافة تستدعي المُلْك بالضرورة. والمُلك ينقسم قسمين: قسم راجع لذاته، وقسم راجع لغيره. والواحد من الأقسام يصلح، في هذا المقام، على حدّ ما رتّبناه. فإنّ البدل في الموضع يحلّ محلّ المبدَل منه، مثل قولنا: "جاءني[3] أخوك زيدٌ". فزيد بدلٌ من أخيك، بدل الشيء من الشيء. وهما لعين واحدة: فإنّ زيدا هو أخوك، وأخاك هو زيد بلا شكّ. وهذا مقامٌ مَن اعتقد خلافَه فما وقف على حقيقة، ولا وَحَّدَ قطُّ موجِده.

وأمّا مَن أَعربه نعتًا، فإنّه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة. وهو مقام مَن روى: «خلَق آدم على صورة الرحمن» وهذا مقام الوراثة، ولا تقع إلّا بين غيرين: مقام الحجاب بمغيب الواحد وظهور الثاني، وهو المعبَّر عنه بالمِثل. وفيما قرّرنا دليل على ما أضمرنا، فافهم.

ثمّ أظهر من النون الشطر الأسفل؛ وهو الشطر الظاهر لنا من الفلَك الدائر من نصف

(١) ص ٤٨ب

(٢) "من كونها همزة" بالهامش بقلم الأصل، مع إشارة التصويب.

(٣) ص ٤٩

الدائرة. ومركز العالَم في الوسط، من الخطّ الذي يمتدُّ من طرف الشطر إلى الطرف الثاني. والشطر الثاني، المستور في النقطة -هو الشطر الغائب عنّا من تحت- نقيضُ الخطّ بالإضافة إلينا؛ إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل، في جهة. فالشطر الموجود في الخطّ هو المشرق، والشطر المجموع في النقطة هو المغرب، وهو مطلع وجود الأسرار. فالمشرق -وهو الظاهر المركَّب- ينقسم، والمغرب -وهو الباطن البسيط- لا ينقسم. وفيه أقول:

عَجَبًا[1] لِلظَّاهِرِ يَنْقَسِمُ وَلِبَاطِنِهِ لَا يَنْقَسِمُ
فالظَّاهِرُ شَمْسٌ فِي حَمَلٍ والباطِنُ فِي أَسَدٍ جَلَمُ[2]
حَقِّقْ وانْظُرْ مَعْنًى سَتَرَتْ مِنْ تَحْتِ كَثَائِفِها الظُّلَمُ
إنْ كانَ خَفَى هُوَ ذَاكَ بَدَا عَجَبًا واللهِ هُمَا القَسَمُ
فافْزَعْ لِلشَّمْسِ وَدَعْ قَمَرًا فِي الوِتْرِ يَلُوحُ وَيَنْعَدِمُ
واخْلَعْ نَعْلَيْ قَدَمَي كَوْنَيْ عَلَمَيْ شَفْعٍ يَكُنِ الكَلِمُ

ولذلك يتعلّق العلم بالمعلومات، والإرادة الواحدة بالمرادات، والقدرة الواحدة بالمقدورات. فتقع القسمة والتعداد في المقدورات والمعلومات والمرادات، وهو الشطر الموجود في الرقم. ويقع الاتّحاد والتنزّه عن الأوصاف الباطنة، من علم وقدرة وإرادة. وفي هذا إشارة. فافهم.

ولَمّا كانت الحاء ثمانية، وهو وجود[3] كمال الذات، ولذلك عبَّرنا عنه بالكلمة والروح؛ فكذلك النون خامسة في العشرات، إذ يتقدّمها الميم الذي هو رابع. فالنون جسمانيٌّ، محلّ إيجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل. وهذا كلّه مستودَع في النون. وهي كلّيّة الإنسان الظاهرة، ولهذا ظهرتْ.

تتمة

وإنما[4] فُصِل بين الميم والنون بالألف: "مان"؛ إذ الميم ملكوتيّة، لَمّا جعلناها للروح؛ والنون

(١) ص ٤٩ب
(٢) الجَلَم: القمر.
(٣) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٤) ص ٥٠

مُلْكيّة؛ والنقطة جبروتيّة؛ لوجود سِرِّ سَلْبِ الدّعوى. كأنّه يقول: أي يا روح -الذي هو الميم- لم نَصْطَفِكَ من حيث أنت، لكن عنايةٌ سبقتْ لك في وجود علمي. ولو شئتُ لاطَّلعتُ على نقطة العقل ونون الإنسانيّة، دون واسطة وجودك. فاعرف نفسَك، واعلم أنّ هذا اختصاصٌ بك منّي، من حيث أنا لا من حيث أنت. فصحّت الاصطفائيّة؛ فلا تجلَّى لغيره أبدا. فالحمد لله على ما أَوْلَى.

فتنبّه -يا مسكين- في وجود الميم دائرةً على صورة الجسم مع التقدُّم "ه"[١]، كيف أشار به إلى التنزّه عن الانقسام! وانقسام الدائرة لا يتناهى، فانقسام روح الميم بمعلوماته لا تتناهى، وهو في ذاته لا ينقسم. ثمّ انظر الميم، إذا انفصل وحده "م"[٢]، كيف ظهرت منه مادة التعريق، لَمّا نزل إلى وجود الفعل، في عالَم الخطاب والتكليف؟ فصارت المادة في حقّ الغير لا في حقّ نفسه؛ إذ الدائرة تدلّ عليه خاصّة؛ فما زاد فليس في حقّه إذ قد ثبتت ذاته، فلم يبق إلّا أن يكون في حقّ غيره. فلمّا نظر العبدُ إلى المادّة، مدَّ تعريقا، وهذا هو وجود التحقيق.

ثمّ اعلم أنّ الجزء المتّصل[٣] بين الميم والنون: هو مركز أَلِف الذات "من"[٤]. وخفِيت الألف؛ ليقع الاتّصال بين الميم والنون بطريق المادّة، وهو الجزء المتّصل. ولو ظهرت الألِف لما صحّ التعريق للميم؛ لأنّ الألِف حالتْ بينهما. وفي هذا تنبيهٌ على قوله: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ[٥]﴾[٦]؛ وجود الألف المرادة. هذا على مَن أعربه مبتدأ، ولا يصحّ من طريق التركيب؛ والصحيح أن يُعرب بدلًا من "الربّ". فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح -والحقُّ قائم بالجميع- والميم: السماوات، والنون: الأرض.

وإذا ظهرت الألِف بين الميم والنون "مان"[٧]؛ فإنّ الاتّصال بالميم لا بالنون، فلا تأخذ النون صفة أبدا، من غير واسطة، لقطعها. ودلّ اتّصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة. والعدم، الذي صحّ به القطع، فيه يَفْنَى النون. ويبقى الميم محجوبا عن سِرّ قِدَمه بالنقطة التي في وسطه:

---

(١) ثابتة في الهامش.
(٢) ثابتة في الهامش.
(٣) ص ٥٠ب
(٤) ثابتة في الهامش.
(٥) كتب لفظ الرحمن بالرسم: "الرحمان"
(٦) [النبأ: ٣٧]
(٧) ثابتة في الهامش.

"٥"[١] التي هي جوف دائرته، بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن، فيما ظهر له[٢].

سؤال وجوابه

قيل: فكيف عرفت سِرَّ قِدَمه ولم يعرفه هو، وهو أحقُّ بمعرفة نفسه منك إن نظرتَ إلى ظاهرك؟ أو هل العالِم بِسِرِّ القِدم فيه هو المعنى الموجود فيك، المتكلِّم فيه، وهو ميم الروح، فقد وقف على[٣] سِرِّ قِدَمه؟

الجواب عن ذلك: إنّ الذي علم منّا سِرَّ القِدم هو الذي حجبناه هناك: فمن الوجه الذي أثبتنا له العِلم، غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العِلم. ونقول: إنما حصـــل له ذلك عِلما لا عينا. وهذا موجود: فليس من شرط مَن علم شـيئا أن يراه. والرؤية للمعلوم أتمّ من العلم به مِن وَجْهٍ، وأوضح في المعرفة به؛ فكلُّ عينٍ علمٌ، وليس كلُّ علمٍ عينًا. إذ ليس من شرط مَن عَلِم أنّ ثَمّ مكة، رآها؛ وإذا رآها، قطعًا أنّه يعلمها. ولا أريد الاسم، فللعين درجة على العلم معلومة، كما قيل:

وَلَكِنْ لِلعِيانِ لَطِيْفُ مَعْنَى ... لِذَا سَـــأَلَ المُعايَنَةَ الكَلِيْمُ[٤]

بل أقول: إنّ حقيقة سِرّ القِدم، الذي هو ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ لأنّه لا يعايَن، فلم يشـــاهده لرجوعه لذات موجده. ولو علِم ذاتَ موجده لكان نقصًـــا في حقّه؛ فغاية كماله، في معرفة نفســه بوجودها، بعد أن لم تكن عينا. هذا فصلٌ عجيب إن تدبّرتَه وقفتَ على عجائب، فافهم.

تكملة

اتّصـلت اللام بالراء اتّصـالَ اتّحادٍ نُطقا، من حيث كونهما صـفتين باطنتين؛ فَسـهُل عليهما الاتّحاد. ووجدت الحاء التي هي الكلمة، المعبَّر عنها بالمقدور للراء، منفصـــلة عن الراء التي هي القدرة، ليتميّز المقدور من القدرة، ولئلّا[٥] تتوهّم الحاء المقدورة أنّها صـــفة ذات القدرة. فوقع الفرق بين القديم والمحدَث. فافهم -يرحمك الله-.

---

(١) ثابتة في الهامش.
(٢) في الهامش: "بلغ تركماني، وأحمد البرزالي".
(٣) ص ٥١
(٤) البيت من قصيدة لابن حزم الأندلسي (٣٨٤- ٤٥٦هـ) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، وإليه ينسب المذهب الظاهري. وله مؤلفات كثيرة في مجالات عدة. (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي)
(٥) ص ٥١ب

ثمّ لتعلم أنّ "رحمان" هو الاسم، وهو للذات، والألف واللام، اللذان للتعريف، هما الصفات، ولذلك يقال: "رحمان" مع زوالهما، كما يقال: ذات، ولا تسمّى صفة معها. انظر في اسم مسيلمة الكذّاب(١): تَسَمّى برحمان، ولم يُهْدَ إلى الألف واللّام؛ لأنّ الذات محلّ الدّعوى عند كلّ أحد، وبالصفات يفتضح المدّعي.

فـ"رحمان" مقام الجمع، وهو مقام الجهل. أشرفُ ما يُرتقى إليه في طريق الله: الجهل به -تعالى-، ومعرفة الجهل به، فإنّها حقيقة العبوديّة. قال -تعالى-: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾(٢) فجَرَّدك. ومما يؤيّد هذا قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٣) وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾(٤).

فبحقيقة الاستخلاف سُلِب مسيلمة وإبليس والدجّال، وكان من حالهم ما عُلِم. فلو استحقّوه ذاتًا ما سُلبوه أَلْبَتَّة. ولكن إن نظرتَ بعين التنفيذ والقبول الكلّي، لا بعين الأمر، وجدتَ المخالِفَ طائعا، والمعوجَّ مستقيما، والكلّ داخل في الرقّ، شاءوا أم أبوا. فأمّا إبليس ومسيلمة فصرّحا بالعبوديّة، والدجّال أبى. فتأمّل من أين تكلّم كلُّ واحد منهم؟ وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم(٥) هذه الأحوال؟

---

(١) مسيلمة الكذاب (..- ١٢ هـ =..- ٦٣٣ م) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. وفى الأمثال (أكذب من مسيلمة). ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة. ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي ﷺ مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلّا أنه تخلف مع الرحال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبي ﷺ مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكانا. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فإنّي قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون) فأجابه: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) وذلك في أواخر سنة ١٠ هـ، كما في سيرة ابن هشام (٣: ٧٤) وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن. وتوفى النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة. وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قلتهم في ذلك الحين ألفا ومائتي رجل، منهم أربعمائة وخمسون صحابيا، (كما في الشذرات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة ١٢) ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء، من الصحابة، ظاهرة في قرية (الجبيلة) حيث كانت الواقعة، وقد أكل السيل من أطرافها حتى إن الجالس في أسفل الوادي يرى على ارتفاع خمسة عشر مترا، تقريبا، داخل القبور ولحدها، ولا يزال في نجد وغيرها من ينتسب إلى بني حنيفة الذين تفرقوا في أنحاء الجزيرة. قيل: اسمه (هارون) ومسيلمة لقبه (كما في تاريخ الخميس) ويقال: كان اسمه (مسلمة) وصغره المسلمون تحقيرا له. [الأعلام للزركلي (٧ / ٢٢٦)]

(٢) [الحديد: ٧]

(٣) [الإسراء: ٨٥]

(٤) [البقرة: ١٢١]

(٥) ص ٥٢

تتمّة

لمّا نطقنا بقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لم يظهر للألف واللّام وجودٌ؛ فصار الاتّصال من الذات للذات، والله والرحمن اسمان للذات: فرجع على نفسه بنفسه. ولهذا قال ﷺ: «وأعوذ بك منك»، لَمّا انتهى إلى الذات لم يَرَ غيرا؛ وقد قال: «أعوذ بك» ولا بدّ من مستعاذ منه. فكشف له عنه، فقال: «منك». ومنك: هو، والدليل عليه: «أعوذ» ولا يصحّ أن يُفَصِّل: فإنّه في الذات، ولا يجوز التفصيل فيها.

فتبيّن من هذا أنّ "كلمة الله" هي العبد. فكما أنّ لفظة "الله" للذات دليل، كذلك العبدُ الجامع الكلّيّ. فالعبد هو كلمة الجلالة. قال بعض المحقّقين، في حالٍ مّا: "أنا الله"، وقالها أيضا بعض الصوفيّة من مقامين مختلفين. وشتّان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وُجِد له. فقابَل -تعالى- الحرف بالحرف: «أعوذ برضاك من سخطك» وقابَل المعنى بالمعنى: «وأعوذ بك منك» وهذا غاية المعرفة.

خاتمة

ولعلّك تفرّق بين الله وبين الرحمن لَمّا تعرّض لك في القرآن قوله -تعالى-: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾(١) ولم يقولوا: "وما الله"؟ ولَمّا قيل لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾(٢) ولهذا كان النعت أَوْلَى من البدل عند قوم، وعند آخرين البدل أَوْلَى لقوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ(٣) ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾(٤) فجعلها للذات.

ولم تنكر العرب كلمة "الله" فإنّهم القائلون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾(٥) فعلموه. ولَمّا كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة -وهي صفة موجودة فيهم- خافوا أن يكون المعبود، الذي يدلّهم عليه، من جنسهم؛ فأنكروا، وقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لَمّا لم يكن من شرط كلّ كلام أن يُفهم معناه، ولهذا قال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾(٦) لَمّا كان اللفظان راجعَيْن إلى

---

(١) [النحل: ٣٦]
(٢) [الفرقان: ٦٠]
(٣) ص ٥٢ب
(٤) [الإسراء: ١١٠]
(٥) [الزمر: ٣]
(٦) [الإسراء: ١١٠]

ذات واحدة. وذلك حقيقة العبد؛ والباري منزَّه عن إدراك التوهّم والعلم المحيط به، جلَّ عن ذلك.

وَصْلٌ

في قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ من البسملة

الرحيمُ صـــفة محمد ﷺ. قال -تعالى-: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١). وبه كمال الوجود. وبالرحيم تَمّت البسملة؛ وبتمامها تمّ العالَم خلقا وإبداعا. وكان ﷺ مبتدأ وجود العالَم عقلا ونفسا. «متى كنت نبيّا؟ قال: وآدم بين الماء والطين» فبه بدأ الوجودَ باطنا، وبه ختم المقامَ ظاهرا في عالَم التخطيط، فقال: «لا رسول بعدي ولا نبيّ».

فالرحيم هو محمد ﷺ، و﴿بِسْمِ﴾ هو أبونا آدم. وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته. وذلك أنّ آدم ﷺ هو حامل الأسماء. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٢) ومحمد(٣) ﷺ حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم -عليهما السلام-، وهي الكَلِم. قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكَلِم». ومن أَثنى على نفسه (هو) أمكن وأتمّ ممن أُثْني عليه، كيحيى وعيسى -عليهما السلام-. ومن حصل له الذات، فالأسماء تحت حكمه. وليس مَن حصّل الأسماء أن يكون المسمَّى محصّلا عنده.

وبهذا فُضِّلت الصحابة علينا: فإنّهم حصّلوا الذات، وحصّلنا الاسم. ولَمّا راعينا الاسم، مراعاتهم الذات، ضوعف لنا الأجر، ولحسرة الغَيبة التي لم تكن لهم: فكان تضعيف على تضعيف. فنحن الإخوان، وهم الأصحاب. وهو ﷺ إلينا بالأشواق. وما أفرحَه بلقاء واحد منّا، وكيف لا يفرح، وقد ورد عليه مَن كان بالأشواق إليه؟! فهل تقاس كرامته به وبرِّه وتحفّيه؟ وللعامل منّا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه، لا مِن أعيانهم، لكن من أمثالهم. فذلك قوله: بل منكم. فجِدُّوا واجتهدوا، حتى يَعرفوا أنّهم خلَّفوا بعدهم رجالا، لو أدركوه ما سبقوهم إليه. ومن هنا تقع المجازاة والله المستعان.

تنبيه

ثمّ لتعلم أنّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أربعة ألفاظ، لها أربعة معان: فتلك ثمانية. وهم حملة العرش المحيط، وهم من العرش. وهنا هم الحملة من وجهٍ، والعرش من وجهٍ. فانظر واستخرج

(١) [التوبة: ١٢٨]
(٢) [البقرة: ٣١]
(٣) ص ٥٣

من[1] ذاتك لذاتك.

تنبيه

ثمّ وجدنا ميم "بِسْـــمِ" الذي هو آدم عليه السلام مُعَرَّقا، ووجدنا ميم "الرحيم" معرَّقا، الذي هو محمد -صلى الله عليه وسلم تسليما- فعلمنا أنّ مادة "ميم" آدم عليه السلام لوجود عالم التركيب؛ إذ لم يكن مبعوثا. وعلِمنا أنّ مادة "ميم" محمد صلى الله عليه وسلم لوجود الخطاب عموما، كما كان آدم عندنا عموما. فلهذا امتدّا.

إنْبَاهٌ

قال سـيّدنا الذي لا ينطق عن الهوى: «إن صـلحتْ أمّتي فلها يوم، وإن فسـدتْ فلها نصف يوم» واليوم ربّانيّ، فإنّ "أيّام الربّ" كلّ يوم من ألف سـنة مما نَعُدُّ. بخلاف "أيّام الله" و"أيّام ذي المعارج" فإنّ هذه الأيّام أكبرُ فلكا من "أيّام الربّ"، وسـيأتي -إن شـاء الله- ذكرها في داخل الكتاب، في (فصـل) "معرفة الأزمان"، وصـلاح الأمّة بنظرها إليه صلى الله عليه وسلم، وفسـادها بإعراضها عنه.

فوجدنا ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يتضمّن ألف معنى، كلّ معنى لا يحصل إلّا بعد انقضاء حول. ولا بدّ من حصول هذه المعاني التي تضمّنها ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنّه ما ظهر إلّا ليعطي معناه، فلا بدّ من كمال ألف سـنة لهذه الأمّة. وهي في أوّل "دورة الميزان" ومدّتها سـتّة آلاف سـنة روحانيّة محقَّقة. ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهيّة ما لم يظهر في غيرها من الأمم. فإنّ الدورة التي انقضـت كانت ترابيّة[2]؛ فغاية عِلمهم بالطبائع، والإلهيّون فيهم غرباء، قليلون جدًّا، يكاد لا يظهر لهم عين. ثمّ إنّ المتألِّه منهم ممتزج بالطبيعة ولا بدّ، والمتألِّه منّا صِرفٌ خالصٌ، لا سبيل لحكم الطبع عليه.

مفتاح (ألِف الذات وألِف العلم)

ثمّ وجدنا في "الله" وفي "الرحمن" أَلِفين: ألِف الذات وألِف العلم. ألِف الذات خفيّة، وألِف العلم ظاهرة لتجلّي الصفة على العالَم. ثمّ أيضا خفِيتْ في الله ولم تظهر، لرفع الالتباس في الخطّ بين "الله" و"اللاه".

ووجدنا في "بِسْـــمِ" الذي هو آدم عليه السلام، ألِفًا واحدة خَفِيَتْ لظهور الباء، ووجدنا في

---

(١) ص ٥٣ب
(٢) ص ٥٤

الرحيم، الذي هو محمد ﷺ، أَلِفًا واحدة ظاهرة، وهي أَلِف العِلم. ونفس سـيّدنا محمد ﷺ (هي) الذات، فخفِيتْ في آدم عليه السلام الألِف، لأنّه لم يكن مرسـلا إلى أحد، فلم يحتج إلى ظهور الصـفة. وظهرتْ في سيّدنا محمد ﷺ لكونه مرسَلا؛ فطلب التأييد؛ فأعطي الألِف؛ فظهر بها.

ثمّ وجدنا الباء من "بِسْمِ" قد عمِلَتْ في "ميم" الرحيم: فكان عمَل آدم في محمّد -صلّى الله عليهما وسلّم- وجود التركيب. وفي الله عَمَل سببٍ داعٍ؛ وفي الرحمن عمَل سَبَبٍ[1] مَدْعُوٍّ. ولَمّا رأينا أنّ النهاية أشرف من البداية، قلنا[2]: «مَن عَرَف نفسَه عَرَف ربَّه» والاسم سُلَّمٌ إلى المسمّى. ولَمّا علِمنا أنّ روح "الرحيم" عَمِل في روح "بسم" لكونه نبيّا وآدم بين الماء والطين، ولولاهما ما كان سُمِّي آدم؛ علِمنا أنّ "بسم" هو "الرحيم"؛ إذ لا يعمل شيء إلّا من نفسه لا من غيره. فانعدمت النهاية والبداية، والشرك والتوحيد، وظهر عِزُّ الاتّحاد وسلطانه، فمحمد للجمع وآدم للتفريق[3].

إيضاح (ألف الرَّحِيم أَلِف العلم)

الدليـل على أنّ الألف في قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أَلِف العلم، قوله: ﴿وَلَا خَمۡسَـةٍ إِلَّا هُوَ سَـادِسُـهُمۡ﴾[4] وفي ألف "باسم" ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾[5] فالألِفُ الألِفُ ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾[6] باطن التوحيد ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾[7] يريد ظاهره.

ثمّ خفيت الألِف في آدم من "باسم" لأنّه أوّل موجود، ولم يكن له منازع يدّعي مقامه. فدلّ بذاته، من أوّل وهلة، على وجود موجِده، لَمّا كان مفتتح وجودنا. وذلك لَمّا نظر في وجوده، تعرّض له أمران: هل أوجده موجود لا أوّلَ له؟ أو هل أوجد هو نفسَـه؟ ومحال أن يوجِد هو نفسَـه؛ لأنّه لا يخلو أن يوجد نفسَـه وهو موجود، أو يوجدها وهو معدوم. فإن كان موجودا فما الذي أوجد؟ وإن كان معدوما، فكيف يصـحّ منه إيجاد وهو عدم؟ فلم يبق إلّا أن يوجدَه غيرُه، وهو الألِف. ولذلك كانت السين ساكنة[8]، وهو العدم. والميم متحرّكة، وهو أوان الإيجاب.

فلمّا دلّ عليه من أوّل وهلة، خَفيت الألف لقوّة الدلالة، وظهرت في الرحيم، لضعف الدلالة

---

(١) س، هـ، وربما ق: بسبب.
(٢) ص ٥٤ب
(٣) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على مؤلفه أيّده الله".
(٤) [المجادلة: ٧]
(٥) [المجادلة: ٧]
(٦) [المجادلة: ٧]
(٧) [المجادلة: ٧]
(٨) ص ٥٥

لمحمد ﷺ لوجود المنازِع. فأيَّدَهُ بالألف. فصار الرحيمُ محمدا، والألفُ منه؛ الحقُّ المؤيِّد له من اسمه الظاهر. قال -تعالى-: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾(١) فقال: «قولوا لا إله إلّا الله وإنّي رسوله».

فمن آمن بلفظه؛ لم يخرج مِن رِقِّ الشرك، وهو من أهل الجنّة. ومن آمن بمعناه؛ انتظم في سلك التوحيد؛ فصحّتْ له الجنّة الثامنة، وكان ممن آمن بنفسه، فلم يكن في ميزان غيره: إذ قد وقعت السويّة، واتّحدت الاصطفائيّة جمعا، واختلفت رسالة.

ووجدنا "بسم" ذا نقطة، و"الرحمن" كذلك، و"الرحيم" ذا نقطتين، و"الله" مُصْمَتٌ. فلم توجَد في "الله" لَمّا كان الذات. ووُجدت فيما بقي لكونهم محلّ الصفات. فاتّحدت في "بسم" آدم لكونه فردا غير مرسَل؛ واتّحدت في "الرحمن" لأنّه آدم، وهو المستوي على عرش الكائنات المركّبات(٢)؛ وبقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الألف.

فالياء: الليالي العشر؛ والنقطتان: الشفع؛ والألف: الوتر. والاسم بكلّيّته: والفجر. ومعناه الباطن الجبروتي: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِي﴾(٣) وهو الغيب الملكوتي. وترتيب النقطتين: الواحدة مما تلي الميم، والثانية(٤) مما تلي الألف. والميم: وجود العالَم الذي بعث إليهم. والنقطة التي تليه: أبو بكر رضي الله عنه. والنقطة التي تلي الألف: محمد ﷺ.

وقد تقبَّبت الياء عليهما، كالغار: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾(٥) فإنّه واقف مع صدقه، ومحمد عليه السلام واقف مع الحقّ في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت: فهو الحكيم. كفعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح، وأبو بكر عن ذلك صاح. فإنّ الحكيم يوفّي المواطنَ حقّها. ولَمّا لم يصحّ اجتماع صادقَيْن معا، لذلك لم يُقَم أبو بكر في حال النبيّ ﷺ وثبت مع صِدقه به؛ فلو فُقِد النبيّ ﷺ في ذلك الموطن وحضره أبو بكر؛ لقام في ذلك المقام الذي أُقيم فيه رسول الله ﷺ؛ لأنّه ليس ثمّ أعلى منه يحجبه عن ذلك. فهو صادقُ ذلك الوقت وحكيمُه، وما سِوَاهُ تحت حكمه.

فلمّا نظرتْ نقطةُ أبي بكر إلى الطالبين؛ أسِف عليه؛ فأظهر الشِّدَّة وغَلَّبَ الصدق، وقال: ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ لأثَر ذلك الأسف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ كما أخبرتنا. وإن جعل منازعٌ أنّ محمدا هو القائل

---

(١) [الصف: ١٤]
(٢) لفظ "المركبات" مكتوب في الهامش بخط الأصل.
(٣) [الفجر: ٤] وفقا لقراءة ورش. وفي قراءة حفص: يسرِ
(٤) ص ٥٥ب
(٥) [التوبة: ٤٠]

لم نُبال. لَمّا كان مقامه ﷺ الجمعَ والتفرقةَ معًا؛ وعلم من أبي بكر الأســـف؛ ونظر[1] إلى الألف فتأيّد، وعلم أنّ أمره مستمرّ إلى يوم القيامة، قال: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

وهذا أشرف مقام يُنتهى إليه (الذي هو) تَقَدُّمُ الله عليك "ما رأيت شيئا إلّا رأيت الله قبله" شهود بَكْريٌّ[2]، وراثة محمّديّة. وخاطب (الرسول) الناسَ بـ«مَن عَرَفَ نفسَه عرف ربّه» وهو قوله[3] يخبر عن ربّه -تعالى-: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[4] والمقالة عندنا، إنما كانت لأبي بكر ﷺ، ويؤيّدنا قول النبيّ ﷺ: «لو كنت متّخذا خليلا لاتّخذت أبا بكر خليلا»؛ فالنبيّ ﷺ ليس بمصاحب، وبعضهم أصحاب بعض، وهم له أنصار وأعوان. فافهم إشارتنا تُهْدَ إلى سَوَاء السبيل.

لطيفة (النقطتان الرحيميّة موضع القَدمين)

النقطتان الرحيميّة موضـــع القَدمين؛ وهو أخذ خلع النعلين؛ الأمر والنهي. والألِف: "الليلة المباركة" وهي غيب محمد ﷺ. ثمّ فَرَّقَ فيه إلى الأمر والنهي، وهو قوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾[5] وهو الكرسيّ. والحاء: العرش. والميم: ما حواه. والألِف: حدّ المستوى. والراء: صريف القلم. والنون: الدواة التي في اللام.

فكتب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم، وهو اللوح المحفوظ، المعبَّر عنه بكلّ شيء في الكتاب العزيز، من باب الإشـــارة والتنبيه. قال -تعالى-: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن[6] كُلِّ شَيۡءٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ؛ ﴿مَّوۡعِظَةً وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾[7]، وهو اللوح المحفوظ الجامع. ذلك عبارة عن النبيّ ﷺ في قوله: «أوتيتُ جوامع الكلم» موعظة وتفصيلا.

وهما نقطتا الأمر والنهي لكلّ شيء (اللتان هما) غيب محمد (الذي هو) الألف المشـــار إليه بالليلة المباركة.

فالألِف للعلم؛ وهو المستوى، واللام للإرادة؛ وهو النون -أعني الدواة- والراء للقدرة؛ وهو القلم، والحاء للعرش، والياء للكرسيّ، ورأس الميم للســـماء، وتعريقه للأرض. فهذه ســـبعة أنجم:

---

(١) ص ٥٦

(٢) أي منسوب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) ق: قوله تعالى.

(٤) [الشعراء: ٦٢]

(٥) [الدخان: ٤]

(٦) ص ٥٦ب

(٧) [الأعراف: ١٤٥]

نجم منها يسبح في فلَك الجسم، ونجم في فلَك النفس الناطقة، ونجم في فلَك سِرّ النفس، وهو الصدّيقيّة، ونجم في فلَك القلب، ونجم في فلَك العقل، ونجم في فلَك الروح. فَحُلَّ ما قَفَلنا. وفيما قرّرنا مفتاح لما أضمرنا. فاطلب تجد -إن شاء الله-. فـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وإن تعدّد فهو واحد، إذا حُقِّقَ من وجهٍ مّا.

* * *

وَصْلٌ في أسرار أمّ القرآن من طريق خاصّ

وهي فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والكافية، والبسملة آية منها، وهي تتضمّن الربّ والعبد، ولنا في تقسيمها قريضٌ، منه:

لِلنَّيِّرَيْنِ طُلُوعٌ بِالفُؤادِ فَما ... فِي سُورَةِ الحَمْدِ يَبْدُو ثَالِثٌ لَهُمَا
فالبَدْرُ[1] مَحْوٌ وشَمْسُ الذَّاتِ مُشْرِقَةٌ ... لَوْلا الشُّرُوقُ لَقَدْ أَلْفَيْتَهُ عَدَما
هَذِي النُّجُومُ بِأُفْقِ الشَّرْقِ طالِعَةٌ ... والبَدْرُ لِلمَغْرِبِ العَقْلِيّ قَدْ لَزِما
فإِنْ تَبَدَّى فَلَا نَجْمٌ ولَا قَمَرٌ ... يَلُوحُ فِي الفَلَكِ العُلْوِيّ مُرْتَسِمَا

فهي فاتحة الكتاب. لأنّ الكتاب عبارة، من باب الإشارة، عن المبدَع الأوّل. فالكتاب يتضمّن الفاتحة وغيرها، لأنّها منه. وإنما صحّ لها اسم الفاتحة، من حيث أنّها أوّل ما افتتح بها كتاب الوجود. وهي عبارة عن الْمِثل المنزَّه في ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2]، بأن تكون الكاف عين الصفة. فلمّا أوجد المثل؛ الذي هو الفاتحة، أوجد بعده الكتاب، وجعله مفتاحا له. فتأمّل.

وهي "أمّ القرآن"؛ لأنّ الأمّ محلّ الإيجاد، والموجود فيها هو القرآن، والموجِد: الفاعل في الأمّ. فالأُمّ هي الجامعة الكلّيّة، وهي أمّ الكتاب الذي عنده في قوله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[3]. فانظر عيسى ومريم -عليهما السلام- وفاعل الإيجاد، يخرج لك عكس ما بدا لِحِسِّك. فالأمّ عيسى،

---

(١) ص ٥٧
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [الرعد: ٣٩]

والابن[1] الذي هو الكتاب العِنديّ أو القرآن مريم عليها السلام، فافهم.

وكذلك الروح؛ ازدوج مع النفس بواسطة العقل، فصارت النفس محلَّ الإيجاد حِسًّا، والروح ما أتاها إلّا من النفس. فالنفسُ (هي) الأبُ. فهذه النفس هو الكتاب المرقوم، لنفوذ الخطّ. فظهر في الابن ما خَطَّ القلمُ في الأمّ، وهو القرآن الخارج على عالَم الشهادة. والأمّ أيضا عبارة عن وجود المِثل محلّ الأسرار. فهو الرقّ المنشور، الذي أودع فيه الكتاب المسطور، المودعةُ فيه تلك الأسرار الإلهيّة.

فالكتاب، هنا، أعلى من الفاتحة؛ إذ الفاتحة دليلٌ، الكتابُ مدلُولها. وشرفُ الدليل بحسب ما يدلّ عليه. أرأيتَ لو كان مفتاحا لِضِدّ الكتاب المعلوم، أن لو فرض له ضدّ، حُقِّر الدليل لحقارة المدلول. ولهذا أشار النبيّ ﷺ أن لا يسافَر بالمصحف إلى أرض العدوّ، لدلالة تلك الحروف على كلام الله -تعالى-، إذ قد سمّاها الحقُّ كلام الله. والحروف الذي فيه أمثالُها وأمثالُ الكلمات، إذا لم يُقصد بها الدلالة على كلام الله، يسافَر بها إلى أرض العدوّ، ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهها، والكُنُف[2].

وهي "السبع المثاني والقرآن العظيم". الصفات ظهرت في الوجود في واحدٍ وواحد؛ فحضرةٌ تُفْرِد وحضرة[3] تَجْمَع. فمن البسملة إلى ﴿ٱلدِّينِ﴾ إفراد؛ وكذلك من ﴿ٱهْدِنَا﴾ إلى ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4] تشمل (أي تجمع).

قال الله -تعالى-: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» فلك السؤال ومنه العطاء، كما أنّ له السؤال بالأمر والنهي ولك الامتثال.

يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] يقول الله: «حمدني عبدي»، يقول العبد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6] يقول الله: «أثنى عليّ عبدي»، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[7] يقول الله: «مجّدني عبدي» ومرة قال: «فوّض إليّ عبدي». هذا إفرادٌ إلهيٌّ. وفي رواية: يقول العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ

(١) ص ٥٧ب
(٢) في الهامش: "بلغ قراءة".
(٣) ص ٥٨
(٤) [الفاتحة: ٥]
(٥) [الفاتحة: ٢]
(٦) [الفاتحة: ٣]
(٧) [الفاتحة: ٤]

ﭐلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله: «ذكرني عبدي».

ثمّ قال: يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[1] يقول الله: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل». ف"ما" هي العطاء. و﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهيّ.

يقول العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ. صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2] «فهؤلاء لعبدي»، هذا هو الإفراد العبديّ المألوه، «ولعبدي ما سأل»؛ سأل مألوهٌ مّا إلها.

فلم تبق إلّا حضرتان. فصحّ المثاني. فظهرت في الحقّ وجودا، وفي العبد الكلّي إيجادا. فوصف نفسه بها، ولا موجود سِوَاهُ في العماء. ثُمّ وصف بها عبده حين استخلفه؛ ولذلك[3] خرّوا له ساجدين لتمكن الصورة، ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة.

والقرآن العظيم (الذي هو من أسماء الفاتحة): الجمع والوجود؛ وهو إفراده عنك وجمعُك به، وليس سِوَى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وحسب. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[4].

واقعة

أرسل رسول الله ﷺ عثمان ﷺ إليّ آمرا بالكلام في المنام، بعد ما وقعتْ شفاعتي على جماعتي، ونجا الكلُّ من أسر الهلاك، وقُرِّبَ المنبرُ الأسنى، وصعدتُ عليه عن الإذن العالي المحمّدي الأسمى، بالاقتصار على لفظة "الحمد لله" خاصة، ونزل التأييد، ورسول الله ﷺ على يمين المنبر قاعد. فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأثنى وبسمل:

حقيقة "الحمد" هي العبد المقدَّس المنزَّه، "لله" إشارة إلى الذات الأزليّة، وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله، ثمّ غيّبه عن وجوده، بوجوده الأزليّ وأوصله به، فقال: "لله". فاللام الداخلة على قوله: "الله" الخافضة له، هي حقيقة المألوه، في باب التواضع والذلّة، وهي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء. ثمّ قدّمها -سبحانه- على اسم نفسه، تشريفا لها، وتهمّما وتنزيها لمعرفتها

(١) [الفاتحة: ٥]
(٢) [الفاتحة: ٦-٧]
(٣) ص ٥٨ب
(٤) [الأحزاب: ٤]، وفي الهامش: "بلغ".

بنفسها، وتصديقا لتقديم[1] النبيّ ﷺ إيّاها، في قوله: «مَن عَرَفَ نفسَه عَرَف ربَّه» فقدَّم معرفة النفس على معرفة الربّ.

ثمّ عَمِلَتْ في الاسم "الله" لتحقيق الاتّصال، وتمكُّنِها من المقام. ولَمّا كانت في مقام الوصلة، ربما تُوُهِّم أنّ "الحمد" غير اللام، فَخَفَضَ العبد اتّباعا لحركة اللام، فقرئ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بخفض الدال. فكانت لفظة "الحمد" بدلا من اللام؛ بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة. فالحمد هو وجود اللام، واللام هي الحمد. فإذا كانا شيئا واحدا، كان الحمد في مقام الوصلة مع الله، لأنّه عين اللام؛ فكان معنى، كما كانت اللام لفظا ومعنى.

ثمّ حقيقة الخفض فيها إثبات العبوديّة، ثمّ أحيانا يفنيها عن نفسها فناء كُلِّيًّا ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأوّليّة، ثمّ يبقي حقيقتَها في الآخريّة، فيقول: ﴿الحمدُ لُلّه﴾ برفع اللام إتْباعا لحركة الدال. وهذا مما يؤيّد أنّ الحمد: اللام، وهو المعبَّر عنه بالرداء والثوب، إذ كان (هو) محلّ الصفات وافتراق الجمع. فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت، والحقُّ وراء ذلك كلّه، أو قل: ومع ذلك كلّه.

فلمّا رفعها بالفناء عنها ابتداءً، أراد أن يعرّفها، مع فنائها، أنّها ما برحت من مقامها. فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضا في حقّ الحقّ. فأبقى الهاء مكسورةً، تدلّ[2] على وجود اللام في مقام خفض العبودة. ولهذا شُدّت اللام الوسطى بلفظة "لا" أي ذات الحقّ ليست ذات العبد، وإنما هي حقيقة المِثل لتجلّي الصورة.

ثمّ الهاء تعود على اللام لما هي معمولها. فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحقّ لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كلِّ شيء. فإذا كانت اللام هي نفسَ الحمد، والهاء معمول اللام، فالهاء هي اللام. وقد كانت اللام هي الحمد؛ فالهاء (هي) الحمد بلا مزيد. وقد قلنا: إنّ اللام المشدّدة، لنفي الجمع المتّحد، (هي) موضع الفصل.

فخرج من مضمون هذا الكلام، أنّ الحمد هو قوله: ﴿لِلَّهِ﴾، وأنّ قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ هو قوله الحمد. فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقة للمحدَث على حمل القديم. فأحدث

---

(١) ص ٥٩

(٢) ص ٥٩ب

المثل على الصورة، وصار الموجِدُ مِرآة. فلمّا تجلّت صورة المثل في مرآة الذات، قال لها حين أبصرت الذات، فعطستْ، فميّزتْ نفسها: أحمدي من رأيت. فحمدتْ نفسها، فقالت: "الحمد لله". فقال لها: يرحمك ربّك. يا آدم؛ لهذا خلقتُك. فسبقتْ رحمته غضبه.

ولهذا قال عقيب قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] فقدَّم الرحمة، ثمّ قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[3] فأخّر غضبه. فسبقت الرحمةُ الغضبَ في أوّل افتتاح الوجود. فسبقت الرحمة إلى[4] آدم قبل العقوبة، على أكل الشجرة. ثمّ رُحِم بعد ذلك. فجاءت رحمتان بينهما غضب. فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنّهما مِثلان؛ فانضمّت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما. كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضَاقَ عَلَيْكَ الأَمْرُ — فَكِّرْ فِي "أَلَمْ نَشْرَحْ"
فَعُسْــرٌ بَيْنَ يُسْــرَيْنِ — إِذَا ذَكَـرْتَـهُ فـافْـرَحْ

فالرحمة عبارة عن الموجود الأوّل، المعبّر عنه بالمطلوب. والمغضوب عليه: النفس الأمّارة. والضالّون: عالَم التركيب ما دامت هي مغضوبة عليها، إذ الباري منزَّه عن أن ينزَّه؛ إذ لا غير ولا موجود إلّا هو. ولهذا أشار ﷺ بقوله: «المؤمن مرآة أخيه» لوجود الصورة على كمالها؛ إذ هي محلّ المعرفة، وهي الموصِلة. ولو أوجده على غير تلك الصورة، لكان جمادا. فالحمد لله الذي منّ على العارفين به، الواقفين معه، بموادّ العناية أزلا وأبدا.

تنبيه (اللام تفني الرسم، كما أنّ الباء تبقيه)

اللام تفني الرسم، كما أنّ الباء تبقيه. ولهذا قال أبو العباس بن العرّيف[5]: "العلماء لي، والعارفون بي" فأثبت المقام الأعلى للام. فإنّه قال في كلامه: "والعارفون بالهمم". ثمّ قال في حقّ

---

(١) [الفاتحة: ٢]
(٢) [الفاتحة: ٣]
(٣) [الفاتحة: ٧]
(٤) ص ٦٠
(٥) أبو العباس بن العريف الصنهاجي، سبق تعريفه.

اللام: "والحقّ وراء ذلك كلِّه". ثمّ[1] زاد تنبيها على ذلك، ولم يقنع بهذا وحده، فقال: "والهمم للوصول" والهمّة للعارفين البائيين. وقال في العلماء اللاميين: "وإنما يتبيّن الحقّ عند اضمحلال الرسم" وهذا هو مقام اللام: فناء الرسم.

فـ"الحمد لله" أعلى من "الحمد بالله". فإنّ "الحمد بالله" يبقيك، و"الحمد لله" يفنيك. فإذا قال العالِم: "الحمد لله" أي لا حامد لله إلّا هو، فأحرى أن لا[2] يكون ثَمّ محمود سِوَاهُ. وتقول العامّة: "الحمد لله" أي لا محمود إلّا الله، وهي الحامدة. فاشتركا في صورة اللفظ. فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والمحمودين، والعامّة أفنت المحمودين من الخلق خاصة. وأمّا العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا: "الحمد لله" إلّا مثل العامّة، وإنما مقامهم: "الحمد بالله" لبقاء نفوسهم عندهم. فتحقّق هذا الفصل، فإنّه من لُباب المعرفة[3].

* * *

وَصْلٌ في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ. ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4]

أثبت بقوله، عندنا وفي قلوبنا: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ حضرة الربوبيّة. وهذا مقام العارف، ورسوخ قدم النفس. وهو موضع الصفة. فإنّ قولنا: ﴿لله﴾ ذاتيّة المشهد عالية المحتد. ثمّ أتبعه بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي مربّيهم ومغذّيهم. والعالَمين عبارة عن كلّ ما سِوَى الله. والتربية تنقسم قسمين: تربية بواسطة وبغير واسطة. فأمّا[5] الكلمة (أي الروح الكلّي) فلا يُتصوّر واسطة في حقّه أَلْبَتَّة، وأمّا مَن دونه فلا بدّ من الواسطة. ثمّ تنقسم التربية قسمين: التي بالواسطة خاصّة؛ قسم محمود وقسم مذموم. ومن القديم -تعالى- إلى النفس، والنفس داخلة[6] في الحدّ ما ثَمّ إلّا محدود خاصّة. وأمّا المذموم والمحمود؛ فمن النفس إلى عالَم الحسّ. فكانت النفس محلّا قابلا لوجود التغيير والتطهير.

فنقول: إنّ الله -تعالى- لَمّا أوجد الكلمة، المعبَّر عنها بالروح الكلّيّ، إيجاد إبداع، أوجدها في

---

(١) ص ٦٠ب
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) في الهامش: "بلغ قراءة لابنه أحمد عفا الله عنهما".
(٤) [الفاتحة: ٢-٣]
(٥) ص ٦١
(٦) في س: غير داخلة

مقام الجهل ومحلِّ السلب، أي أعماه عن رؤية نفسه. فبقي لا يعرف من أين[1] صدر؟ ولا كيف صدر؟ وكان الغذاء فيه، الذي هو سبب حياته وبقائه، وهو لا يعلم. فحرّك الله همّته لطلب ما عنده، وهو لا يدري أنّه عنده. فأخذ في الرحلة بهمّته. فأشهده الحقّ -تعالى- ذاته؛ فسكن. وعرف أنّ الذي طلب لم يزل به موصوفا. قال إبراهيم بن مسعود الإلبيري[2]:

قَدْ يَرْحَلُ المَرْءُ لِمَطْلُوبِهِ والسَّبَبُ المَطْلُوبُ فِي الرَّاحِلِ

وعلم ما أودع الله فيه من الأسرار والحِكم، وتحقَّق عنده حدوثه، وعرف ذاته معرفة إحاطيّة. فكانت تلك المعرفة له غذاء معيّنا، يتقوّت به وتدوم حياته إلى غير نهاية.

فقال له عند ذلك[3] التجلّي الأقدس: ما اسمي عندك؟ فقال: أنت ربّي. فلم يعرفه إلّا في حضرة الربوبيّة. وتفرّد القديم بالألوهيّة؛ فإنّه لا يعرفه إلّا هو. فقال له سبحانه: أنت مربوبي وأنا ربّك؛ أعطيتك أسمائي وصفاتي؛ فمن رآك رآني، ومن أطاعك أطاعني، ومَن علِمك علِمني، ومَن جهلك جهلني. فغاية مَن دونك، أن يتوصّلوا إلى معرفة نفوسهم منك. وغاية معرفتهم بك؛ العلم بوجودك، لا بكيفيّتك. كذلك أنت معي؛ لا تتعدّى معرفة نفسك، ولا ترى غيرك، ولا يحصل لك العلم بي إلّا من حيث الوجود. ولو أحطتَ علما بي؛ لكنت أنت أنا، ولكنتُ محاطا لك، وكانت إنيّتي إنيّتك، وليست إنيّتك إنيّتي. فأُمِدُّك بالأسرار الإلهيّة، وأُربّيك بها، فتجدها مجعولة فيك فتعرفها. وقد حجبتك عن معرفة كيفيّة إمدادي لك بها، إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها، إذ لو عرفتَها لاتّحدت الإنيّة، واتّحاد الإنيّة محال، فمشاهدتك لذلك محال. هل ترجع إنيّة المركّب إنيّة البسيط؟ لا سبيل إلى قلب الحقائق. فاعلم أنّ مَن دونك في حكم التبعيّة لك، كما أنت في حكم التبعيّة لي. فأنت ثوبي، وأنت ردائي، وأنت غطائي.

فقال له الروح: ربّي؛ سمعتُك تذكر أنّ لي مُلكا، فأين هو؟ فاستخرج له النفْس منه، وهي المفعول عن الانبعاث. فقال: هذا بعضي وأنا كلّه، كما أنا منك[4] ولستَ منّي. قال: صدقت يا

---

(١) ثابت بالهامش بقلم الأصل.

(٢) الإلبيري: (٣٧٥-٤٦٠هـ) شاعر أندلسي. اشتهر بغرناطة، وأنكر على ملكها استوزاره ابن نَغْزلّة اليهودي، فنفي إلى إلبيرة، وقال في ذلك شعرا. فثارت صنهاجة على اليهودي، وقتلوه. شعره كله في الحكم والمواعظ. والبيت من قصيدة مطلعها:

ما أميلَ النفس إلى الباطل وأهونَ الدنيا على العاقل

(٣) ص ٦١ب

(٤) ص ٦٢

روحي. قال: بك نطقت -يا ربّي- إنّك ربّيتني، وحجبت عنّي سِرَّ الإمداد والتربية، وانفردتَ أنت به. فاجعل إمدادي محجوبا عن هذا المُلك، حتى يجهلني كما جهلتُك. فخلق في النفس صـــفة القبول والافتقار، ووزَّر العقلَ إلى الروح المقدَّس.

ثمّ اطّلع الروحُ على النفس، فقال لها: من أنا؟ قالت: ربّي، بك حياتي وبك بقائي. فتاه الروح بملكه، وقام فيه مقام ربّه فيه، وتخيّل أنّ ذلك هو نفس الإمداد. فأراد الحقّ أن يعرّفه أنّ الأمر على خلاف ما تخيّل، وأنّه لو أعطاه سرّ الإمداد، كما ســـأل، لما انفردتْ الألوهيّة عنه بشيء، ولاتَّحَدَتْ الإنِّيَّة. فلمّا أراد ذلك، خلق الهوى في مقابلته، وخلق الشهوة في مقابلة العقل، ووزَّرها للهوى، وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموما. فحَصَلَت النفسُ بين ربّين قويّين، لهما وزيران عظيمان؛ وما زال هذا يناديها، وهذا يناديها، والكلّ من عند الله. قال -تعالى-: ﴿قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾(١) و﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾(٢) ولهذا كانت النفسُ محلَّ التغيير والتطهير. قال -تعالى-: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾(٣) في إثر قوله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَــوَّىٰهَا﴾(٤). فإن أجابت منادي الهوى كان التغيير، وإن أجابت منادي الروح كان التطهير شرعا وتوحيدا.

فلمّا رأى الروحُ (أنّه) ينادي ولا يُسْمِع مجيبا(٥)، فقال: ما منع مُلكي من إجابتي؟ قال له الوزير: في مقابلتك مَلِك مطاع عظيم السلطان، يسمّى الهوى، عَطِيَّتُه معجَّلة، له الدنيا بحذافيرها؛ فبسط لها (أي للنفس) حضرته، ودعاها فأجابته. فرجع الروح بالشكوى إلى الله -تعالى-، فثبتتْ عبوديّته. وذلك كان المراد.

وتنزّلت الأرباب والمربوبون؛ كلّ واحد على حسب مقامه وقدره: فعالَم الشهادة المنفصل؛ ربّهم عالَم الخطاب، وعالَم الشهادة المتّصل؛ ربّهم عالَم الجبروت، وعالَم الجبروت؛ ربّهم عالَم الملكوت، وعالَم الملكوت؛ ربّهم الكلمة، والكلمة؛ ربّها ربّ الكلّ، الواحد الصمد. وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمّى بـ"التدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة" فأضربنا

(١) [النساء: ٧٨]
(٢) [الإسراء: ٢٠]
(٣) [الشمس: ٨]
(٤) [الشمس: ٧]
(٥) ص ٦٢ب

عن تتميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل، وكذلك ذكرناه أيضا في "تفسير القرآن". فسبحان مَن تفرّد بتربية عباده، وحجب من حجب منهم بالوسائط.

وخرج من هذا الفصل، لمن عرف روحه ومعناه، أنّ الربّ هو الله -سبحانه- وأنّ العالَمين هو المِثل الكلّي؛ ولذلك أوجده في العالَمين، على ثمانية أحرف عرشا، واستوى عليه باللطف والتربية والحنان والرحمة الرحمانيّة، المؤكَّدة بالرحيميّة، لتمييز الدار الحيوان، لقوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فعمّ[1] بالرحمان، وخصّ بالرحيم. فالرحمان، في عالَمه، بالوسائط وغيرها، والرحيم، في كلماته، بلا واسطة لوجود الاختصاص وشرف العناية. فافهم، وإلّا سلِّم تسلم.

* * *

وَصْلٌ في قوله -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[2]

يريد يوم الجزاء. وحضرةُ المُلك من مقام التفرقة. وهي جمع؛ فإنّه لا تقع التفرقة إلّا في الجمع. قال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾[3] فهي مقام الجمع، وقد قبِلت سلطان التفرقة؛ فهي مقام التفرقة. فافترق الجمع إلى: أمرٍ ونهيٍ: خطابًا. وسخطٍ ورضا: إرادةً. وطاعةٍ وعصيانٍ: فِعلَ مألوهٍ. ووعدٍ ووعيدٍ: فِعلَ إله.

والْمَلِك في هذا اليوم مَن حقّت له الشفاعة واختصّ بها، ولم يقل: نفسي، وقال: «أُمَّتي». والْمَلِك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجّلة، التي تظهر في طريق التصوّف، هو الروح القدسيّ. ويوم القيامة (هو) وقتُ إيجاده الجزاء، أو طولب به إن كانت عقوبة، لا بدّ من ذلك. فإن كانت الطاعة؛ فجنّات من نخيل وأعناب، وإن كانت المعصية الكفرانيّة؛ فجهنّم من أغلال وعذاب، من مقام الدّعوى في الصورتين.

فنفرض الكلام في هذه الآية على حدّ الملِك، وما ينبغي له، وهل ترتقي النفس من يوم الدين[4] إلى الفناء عنه؟ فأقول: إنّ الْمَلِك؛ مَن صحّ له الْمُلك بطريق الْمِلك، وسجد له الْمَلَك[5]

---

(١) ص ٦٣

(٢) [الفاتحة: ٤]

(٣) [الدخان: ٤]

(٤) ص ٦٣ب

(٥) ق: "كله" وعليها علامة الشطب ومقابلها مكتوب بالهامش "الملك".

وهو الروح. فلمّا نازعه الهوى، واستعان بالنفس عليه؛ عزم الروح على قتل الهوى واستعدّ. فلمّا برز الروح بجنود التوحيد والملأ الأعلى، وبرز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور والملأ الأسفل، قال الروح للهوى: منّي إليك؛ فإن ظفرتُ بك فالقوم لي، وإن ظفرتَ أنت وهزمتني فالمُلك لك، ولا يهلك القوم بيننا. برز الروح والهوى؛ فقتله الروح بسيف العدم، وظفر بالنفس بعد إباية منها وجهد كبير. فأسلمتْ تحت سيفه، فسلمتْ وأسلمتْ، وتطهّرتْ وتقدّستْ. وآمنت الحواسّ لإيمانها، ودخلوا في رقّ الانقياد، وأذعنوا، وسُلِبت عنهم أردية الدعاوى الفاسدة، واتّحدتْ كلمتهم. وصار الروح والنفس كالشيء الواحد، وصحّ له اسم المَلِك حقيقة. فقال له: ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فردّه إلى مقامه، ونقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد.

والمَلِكُ، على الحقيقة، هو الحقُّ -تعالى- المالك للكلِّ ومصرِّفه. وهو الشفيع لنفسه عامّة وخاصّة: خاصّة في الدنيا، وعامّة في الآخرة من وجهٍ مّا. ولذلك قدّم على قوله: ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية ربّ العالمين. ألا تراه يقول يوم الدين: «شفعت[1] الملائكة والنبيّون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين» ولم يقل: وبقي الجبّار، ولا القهّار؛ ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم.

فمن عرف المعنى في هذا الوجود، صحّ له الاختصاص في مقام "أرحم". ومن جهلها في هذا الوجود، دخل في العامّة في الحشر الأكبر، فتجلّى في مقام "الراحمين". فعاد الفرق جمعا، والفتق رتقا، والشفع وترا بشفاعة أرحم الراحمين؛ من جهنّم، ظاهر السور، إلى جنّة باطنه. فإذا وقع الجدار، وانهدم السور، وامتزجت الأنهار، والتقت البحران، وعدم البرزخ؛ صار العذاب نعيما، وجهنّم جنّة؛ فلا عذاب ولا عقاب، إلّا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان، وترنُّم أطيارٍ بألحان، على المقاصير والأفنان، ولَثْم الحور والوِلدان، وعُدِمَ مالك وبقي رضوان، وصارت جهنّم تتنعّم في حظائر الجنان، واتّضح سِرُّ إبليس فيهم، فإذا هو ومن سجد له سيّان؛ فإنّهما ما تصرّفا إلّا عن قضاء سابق، وقدَر لاحِق، لا محيص لهما عنه، فلا بدّ لهما منه، وحاجَّ آدم موسى.

* * *

(١) ص ٦٤

وَصْلٌ في قوله -جَلّ ثناؤه وتقدّس-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١]

لَمّا ثبت وجوده بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وغِذاؤه بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، واصطفاؤه بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وتمجيده بـ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، أراد تأكيد تكرار الشكر[٢] والثناء، رغبة في المزيد، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذا مقام الشكر. أي لك نُقِرّ بالعبوديّة ونؤوي، وحدك لا شريك لك، ولك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك، على مَن أنزلتهم منّي منزلتي منك. فأنا أُمِدّهم بك لا بنفسي، فأنت المِدّ لا أنا. وأثبت له بهذه الآية نفي الشريك.

فالياء من "إيّاك": العبد الكلّي، قد انحصرت ما بين أَلِفين: أَلِفَي توحيد، حتى لا يكون لها موضع دعوى، برؤية غير؛ فأحاط بها التوحيد. والكافُ ضميرُ الحقّ. فالكاف والألفان شيء واحد؛ فهم مدلول الذات. ثُمّ كان "نعبد" صفة فعل الياء، بالضمير الذي فيه. والعبدُ فعلُ الحقّ. فلم يبق في الوجود إلّا الحضرة الإلهيّة خاصة. غير أنّه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في حقّ نفسه للإبداع الأوّل، حيث لا يُتصوّر غيره، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في حقّ غيره، للخلق المشتقّ منه، وهو محلّ سرّ الخلافة. ففي ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سجدت الملائكة، وأبى مَن استكبر.

* * *

وَصْلٌ في قوله -تعالى-: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ. صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣] آمين

فلمّا قال له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٤]. قال له: وما عبادتي؟ قال: ثبوت التوحيد في الجمع والتفرقة. فلمّا استقرّ ذلك عند النفس؛ أنّ النجاة في التوحيد، الذي هو الصراط[٥] المستقيم -وهو شهود الذات بفنائها، أو بقائها إن عَقِلَتْ- قالت: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٦] فتعرّض لها بقولها: "المستقيم" صراطان: معوجّ؛ وهو صراط الدّعوى، ومستقيم؛ وهو التوحيد. فلم يكن لها مَيْزٌ بين الصراطين إلّا بحسب السالكين عليهما. فرأت ربّما سالكا للمستقيم؛ فعرفته

---

(١) [الفاتحة: ٥]
(٢) ص ٦٤ب
(٣) [الفاتحة: ٦-٧]
(٤) [الفاتحة: ٥]
(٥) ص ٦٥
(٦) [الفاتحة: ٦]

به، ونظرت نفســـها؛ فوجدت بينها وبين ربّها، الذي هو الروح، مقاربة في اللطافة، ونظرت إلى المعوجّ عند عالَم التركيب؛ فذلك قولها: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾(1) وهذا عالَمها المتّصل بها، المركَّب: مغضوب عليه، والمنفصل عنها: ضالّون عنها، بنظرهم إلى المتّصل، المغضوب عليه.

فوقفتْ على رأس الصراطين، ورأتْ غاية المعوجّ الهلاك، وغاية المستقيم النجاة، وعلمتْ أنّ عالَمَها يتبعها حيث سلكتْ. فلمّا أرادت السلوك على المستقيم، وأن تعتكف في حضرة ربّها، وأنّ ذلك لها ومن نفسها، بقولها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ عجزتْ وقُصِّر بها. فطلبت الاستعانة بقولها: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فنبّهها ربّها على ﴿ٱهۡدِنَا﴾ فتيقّظتْ، فقالت: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ فوصفتْ ما رأت بقولها: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الذي هو معرفة ذاتك. قال صاحب المواقف(2): "لا تأتمر للعِلم" وقال: "أنت لما هلكت فيه".

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وقرئ في الشــاذ: ﴿صِرَٰطَ مَن أُنۡعِمَ عَلَيهِ(3)﴾(4) إشــارة إلى الروح القدسي. وتفسير الكلّ: من أنعم الله عليه من رسول ونبيّ. ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ليس كذلك، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

يقول -تعالى-: «فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل». فأجابها، وأقام معوجّها، وأوضح صراطها، ورفع بساطها. يقول ربّها إثر تمام دعائها: "آمين" فحصلت الإجابة بالأمن، تأمين الملائكة. وصار تأمينُ الروح تابعا له اتّباع الأجناد، بل أطوع، لكون الإرادة متّحدة، وصحّ لها النطق، فســمّاها النفس الناطقة، وهي عرش الروح، والعقلُ صورةُ الاستواء. فافهم، وإلّا فسلِّم تسلم. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(5).

---

(١) [الفاتحة: ٧]
(٢) هو محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، أبو عبد الله: (..- ٣٥٤ هـ =..- ٩٦٥ م) عالم بالدين، متصوف. نسبته إلى بلدة (نفر) بين الكوفة والبصرة. من كتبه المواقف والمخاطبات كلاهما في التصوف. [الأعلام للزركلي (٦ / ١٨٤)] والعبارتان وردتا في كتاب المواقف، الأولى (ص١ / ١٧) في موقف" اسمع عهد ولايتك" وهي: "أوقفني وقال لي ما أفطرت لتأتمر للعلم ولا ربيتك لتقف على باب سواي ولا علمتك لتجعل علمي ممرًا تعبر عليه إلى النوم عنه" والعبارة الثانية وردت في موقف البحر (١ / ٢): "وقال لي إن هلكت في سواي كنت لما هلكت فيه".
(٣) ص ٦٥ب
(٤) ورد في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود أن قراءة هذه الآية في مصحف عمر بن الخطاب ومصحف عبد الله بن الزبير، ومصحف الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيين، هو: "صراط من أنعمت عليهم".
(٥) [الأحزاب: ٤]، وفي الهامش "بلغ".

فصول تأنيس وقواعد تأسيس

نظر الجمالِ بعين الوصال: قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ. خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١). إيجاز البيان فيه: يا محمد؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ ستروا محبّتهم فيَّ عنهم، فـ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بكلامك، فإنّهم لا يعقلون غيري. وأنت تنذرهم بِخَلْقي، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه.

وكيف يؤمنون بك؟ وقد ختمتُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ فلم أجعل فيها(٢) متّسعا لغيري، ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾؛ فلا يسمعون كلاما في العالَم إلّا منّي، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ من بهائي، عند مشاهدتي فلا يبصرون سِوَاي، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ عندي: أردّهم بعد هذا المشهد السنيّ إلى إنذارك، وأحجبهم عنّي كما فعلت بك بعد ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾(٣) قربا؛ أنزلتك إلى مَن يُكذِّبك، ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع فيّ ما يضيق له صدرُك. فأين ذلك الشرح الذي شاهدتَه في إسرائك؟ فهكذا أُمنائي على خلقي، الذين أخفيتهم؛ رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبدا.

* * *

بسط ما أوجزناه في هذا الباب

انظر كيف أخفى -سبحانه- أولياءه في صفة أعدائه؟ وذلك لَمّا أبدع الأمناء، من اسمه اللطيف، وتجلّى لهم في اسمه الجميل، فأحبّوه -تعالى-. والغيرة من صفات المحبّة، في المحبوب والمحبّ بوجهين مختلفين. فستروا محبّته غيرة منهم عليه، كالشبليّ وأمثاله، وسترهم بهذه الغيرة عن أن يُعرفوا.

فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة. فقال: لا بدّ أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي، فتأهّبوا لذلك؛ فما استعدّوا. فأنذرتهم على ألسنة

---

(١) [البقرة: ٦، ٧]
(٢) ص ٦٦
(٣) [النجم: ٩]

أنبيائي، الرسل في ذلك العالَم[١]؛ فما عرفوا؛ لأنّهم في عين الجمع. وخاطبهم من عين التفرقة، وهم ما عرفوا عالَم التفصيل، فلم يستعدُّوا، وكان الحبّ قد استولى على قلوبهم سلطانُه، غيرة من الحقّ عليهم في ذلك الوقت.

فأخبر نبيّه ﷺ روحا وقرآنا، بالسبب الذي أصمّهم عن إجابة ما دعاهم إليه. فقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فلم يسعها غيره ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ فلا يسمعون سِوَى كلامه على ألسنة العالَم؛ فيشهدونه في العالَم متكلّما بلغاتهم ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ من سناه -إذ هو النور- وبهائه -إذ له الجلال والهيبة-؛ يريد الصفة التي تجلّى لهم فيها، المتقدّمة.

فأبقاهم غرقى في بحور اللذّات، بمشاهدة الذات. فقال لهم: لا بدّ لكم من عذاب عظيم. فما فهموا ما العذاب، لاتّحاد الصفة عندهم. فأوجد لهم عالَم الكون والفساد، وحينئذ علّمهم جميع الأسماء، وأنزلهم على العرش الرحمانيّ، وفيه عذابهم، وقد كانوا مخبوئين عنده، في خزائن غيوبه. فلمّا أبصرتهم الملائكةُ خرّت سجودا لهم، فعلّموهم الأسماء.

فأمّا أبو يزيد[٢]؛ فلم يستطع الاستواء، ولا أطاق العذاب، فصعق من حينه. فقال -تعالى-: "ردّوا عليّ حبيبي؛ فإنّه لا صبر له عنّي" فحجب بالشوق والمخاطبة. وبقي الكفّار. فنزلوا من العرش إلى الكرسيّ. فبدت لهم القدمان. فنزلوا عليهما، في[٣] الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسميّة، إلى سماء الدنيا النفسيّ. فخاطبوا أهل الثِّقَل الذين لا يقدرون على العروج: "هل من داع فيستجاب له؟ هل من تائب فيُتاب عليه؟ هل من مستغفر فيُغفر له؟" حتى ينصدع الفجر. فإذا انصدع، ظهر الروح العقليّ النوريّ، فرجعوا من حيث جاءوا. قال ﷺ: «مَن كان مواصلا فليواصل حتى السَّحَر" فذلك أوانُ ﴿بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[٤] فكلُّ عبد لم يحذر مكر الله

---

(١) ص ٦٦ب

(٢) أبو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: شيخ الصوفية له نبأ عجيب وحال غريب وهو من كبار مشايخ الرسالة وما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشريعة. وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشك في صحتها عنه منها: سبحاني، وما في الجبة إلّا الله، ما النار لاستندن إليها غدًا وأقول اجعلني لأهلها فداء ولأبلغنها، ما الجنة إلّا لعبة صبيان، هب لي هؤلاء اليهود ما هؤلاء حتى تعذبهم. ومن الناس من يصحح هذا عنه ويقول: قاله في حال سكره. وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنكر عليه أهل بسطام ونقلوا إلى الحسين بن عيسى البسطامي أنه يقول له معراج كما كان النبي ﷺ فأخرجه من بسطام فحج ورجع إلى جرجان فلما مات الحسين رجع إلى بسطام. قلت: كان الحسين من أئمة الحديث. وأبو يزيد فمسلم حاله له والله متولي السرائر ونتبرأ إلى الله من كل من تعمد مخالفة الكتاب والسنة. ومات أبو يزيد سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى. لسان الميزان (٢ / ٧)

(٣) ص ٦٧

(٤) [العاديات: ٩]

فهو مخدوع، فافهم.

* * *

فَصْلٌ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ. يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[١]:

أبدع الله المبدَعات، وتجلّى بلسان الأحديّة في الربوبيّة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾[٢] والمخاطَب في غاية الصفاء، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ فكان كمثل الصدى؛ فإنّهم أجابوه به. فإنّ الوجود المحدَث خيال منصوب، وهذا الإشهاد كان إشهادَ رحمة، لأنّه ما قال لهم: "وحدي؟" إبقاءً عليهم، لَمّا علم من أنّهم يشركون به بما فيهم من الحظّ الطبيعيّ، وبما فيهم من قبول الاقتدار الإلهيّ. "وما يعلمه إلّا قليل".

فلمّا برزتْ صور[٣] العالَم من العلم الأزليّ إلى العين الأبديّ، من وراء ستارة الغيرة والعزّة، بعد ما أسرج السرج، وأنار بيت الوجود، وبقي هو في ظلمة الغيوب. فشوهدت الصوَر متحرّكة، ناطقة بلغات مختلفات، والصوَر تنبعث من الظلمة، فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة، هكذا حتى السَّحَر.

فأراد الفَطِن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره، فإنّ للحسّ أغاليطَ. فقرب من الستارة، فرأى نُطْقَها غيبا فيها. فعلم أنّ ثمّ سِرًّا عجيبا، فوقف عليه من نفسه فعرفه، وعرف الرسولَ وما جاء به من وظائف التكليف. فأوّل وظيفة (هي) كلمةُ التوحيد. فأقرّ الكلّ بها. فما جحد أحدٌ الصانعَ، واختلفتْ عباراتهم عليه. فابتلاهم؛ بأن خاطبَهم بلسان الشرك، شهادة الرسول، فوقع الإنكار باختصاص الجنس.

فتفرّق أهل الإنكار على طريقين: فمنهم مَن نظر في الظواهر، فلم ير تفضيلا[٤] في شيء

---

(١) [البقرة: ٨ - ١٠]
(٢) [الأعراف: ١٧٢]
(٣) ص ٦٧ب
(٤) ق: "تفضلا". والترجيح من هـ، س.

ظاهر؛ فأنكر. ومنهم مَن نظر باطنا عقلا، فرأى الاشتراك في المعقولات، ونسي الاختصاص؛ فأنكر. فأرسله (أي أرسل الحقُّ رسوله) بالسيف، فـ﴿قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[1] من الموت، وداخَلَهم الشكّ على قدر نظرهم. فمنهم من استمر على نفي كلمة الإشراك قطعا؛ فذلك كافر. ومنهم من استمرّ عليها مشاهدة؛ فذلك عالِم بالله. ومنهم من استمرّ على ثبتها[2] نظرا؛ فذلك عارف بالله. ومنهم من استمرّ على ثبتها اعتقادا؛ فتلك العامّة. ومنهم من خاف القتل؛ فلفظ ولم يَعتقد؛ فنادى عليه لسان الحقّ فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ ظاهرا ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] باطنا ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بلزوم الدّعوى وبجهلهم القائم بهم بأنّ الله لا يعلم وأنّي أردّ أعمالهم عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ اليوم بذلك ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكّ مما جاءهم به رسولي ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ شكّا وحجابا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ يوم القيامة وهم فيه ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ ممّا حقّقنا لديهم، ولم تسبق لهم عناية في اللوح القاضي[4].

* * *

وَصْلٌ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[5]

لَمّا أكمل الوجود بثمانية، برز في ميدان التنعيم فارس الدّعوى؛ فلم يكن في جيشِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ من يبرز إليه. فملك الكلّ، وصَبَوا إليه وإلى دينه باطنا. فعوقبوا بطلب الإقرار، وإلّا قُتلوا؛ فأقرّوا لفظا. فحصل لهم العذاب الأليم دنيا وآخرة. فـ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض الأشباح، ﴿قَالُوٓاْ﴾ من خيالهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فقال الله -تعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ عندنا وعندهم، إذ لم يستمتعوا بها على ما يريدون ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ باتّحاد[6] الأشياء، ولو شعروا ما آمنوا ولا كفروا.

* * *

(١) [الأحزاب: ٢٦]
(٢) ص ٦٨
(٣) [البقرة: ٨]
(٤) في الهامش: "بلغ مظفر وعبد الله".
(٥) [البقرة: ١١، ١٢]
(٦) ص ٦٨ب

وَصْلٌ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]

وذلك أنّهم لَمّا انتظموا في سلك الأغيار، أتاهم النداء، أن يقفوا على منازل الشهداء. فسمعوا الخطاب في الأينيّة: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ فحجبوا عن أخذ العهد، بعهد الحسّ والداعي الجنسي. وأصمّهم ذلك، وأعمى أبصارهم، وأغطش ليل جهالتهم، فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾.

لَمّا عدل بهم عن طريق التقديس، ووقفوا مع الهوى، قال الله لنا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الأحلام، لَمّا مَلِكتهم الأهواء، وحجبوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الأفلاذ بالطور. ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ليتميّز العالي ممن هو دونه. وإلّا، فأيّة فائدة لقوله لشيء إذا أراده: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٢)] ذلك الشيء، إلّا إيجاد الأشياء على أحسن قانون. فسبحان من انفرد بالإيجاد والاختراع، والإتقان والإبداع.

* * *

وَصْلٌ

في دعوى المدَّعين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(٣)]

الإيمان في هذا المقام على خمسة أقسام: إيمان تقليد، وإيمان علم، وإيمان عين، وإيمان حقّ، وإيمان حقيقة. فالتقليد للعوام. والعلم: لأصحاب الدليل. والعين: لأهل المشاهدة. والحقّ[(٤)]: للعارفين. والحقيقة: للواقفين. وحقيقة الحقيقة، وهو السادس: للعلماء المرسَلين أصلا ووراثة. مُنِع كشفُها: فلا سبيل إلى إيضاحها. فكانت صفات الدعاوى ﴿إِذَا لَقُواْ﴾ هؤلاء الخمسة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾. فالقلب: للعوام. وسِرّ القلب: لأصحاب الدليل. والروح: لأهل المشاهدة. وسِرّ الروح: للعارفين. وسِرّ السرّ: للواقفين. والسرّ الأعظم: لأهل الغيرة والحجاب.

---

(١) [البقرة: ١٣]
(٢) [يس: ٨٢]
(٣) [البقرة: ١٤]
(٤) ص ٦٩

والمنافقون تعرّوا عن الإيمان، وانتظموا في الإسلام، وإيمانهم ما جاز خزانة خيالهم. فاتّخذوا أصناما في ذواتهم، أقاموها مقام آلهتهم. فـ﴿إِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ﴾ باستيلاء الغفلة عليهم، وخُلُوِّ المحلِّ عن مراتب الإيمان: ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ فوقع عليهم العذاب من قولهم ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ في حال الخلوة. فلمّا قامت الأضداد عندهم، وعاملوا الحقّ والباطل؛ عاملوا الحقّ بستر الباطل، وعاملوا الباطل بإفشاء الحقّ؛ فصحّ لهم النِّفاق. ولو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم؛ ما صحّ عليهم هذا، ولكانوا من أهل الحقائق.

فأوقع اللهُ الجوابَ على الاستهزاء، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾(١)، وهو استهزاؤهم. عجبا كيف قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ وهم عدم؟ لو عاينوا إيمان الحقيقة، لعاينوا الخالق في الخليقة، ولا خَلَوا، ولا نطقوا، ولا صمتوا. بل كانوا يقومون(٢) مقامَ مَن شاهد، وهو روح جامع، صاحبَ المادة. فلينظر الإنسان حقيقة اللقاء؛ فإنّه مؤذن بافتراق متقدِّم.

ثمّ اجتمعوا بصفة لم يعرفوها، بل ظهر لهم منها ظاهر حسن؛ فتأدّبوا معها، ولم يطيقوا أكْثر من ذلك، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾(٣) في الخلوة مع الشيطنة، وهي: البُعد، مثل اللقاء، فقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بالصفة التي لقينا.

فتدبّر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر، وزوال الشكِّ بزوال الستارة ورَفْعِ المواعين، يَلُحْ لك السِّرُّ، في "سبحان" و"النساء" و"الشمس"؛ فتجد الذين لَقُوا كمثل الذين لُقُّوا؛ فتصمت، وإن تكلّمتَ هلكتَ. وهذه حقيقة الحقيقة، التي مُنِع كشفُها إلّا لمن شمّ منها رائحة ذوقا؛ فلا بأس. فانظر، وتدبّر ترشد -إن شاء الله-(٤).

---

(١) [البقرة: ١٥]
(٢) ص ٦٩ب
(٣) [الأنبياء: ٦٥]
(٤) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على مؤلفه أيّده الله".

الجزء الحادي عشر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس

في معرفة بدء الخلق الروحانيّ

ومَن هو أوّل موجود فيه؟ ومِمّ وُجِد؟ وفيم وُجِد؟ وعلى أيّ مثال وُجِد؟ ولِمَ وُجِد؟ وما غايته؟ ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر

انْظُرْ إِلَى هَـذَا الوُجُودِ المُحْكَمِ ... ووُجُـودِنا مِثْـلَ الـرِّدَاءِ المُعْلَمِ
وانْظُرْ(٢) إِلَى خُلَفَائِـهِ فِي مُلْكِهِمْ ... مِنْ مُفْصِـحٍ طَلْقِ اللِّسَـانِ وأعْجَمِ
مـا مِنْهُـمُ أَحَـدٌ يُحِـبُّ إِلَهَـهُ ... إلّا وَيَـمْـزِجُـهُ بِحُـبِّ الدِّرْهَمِ
فَيُقـالُ هَـذَا عَبْـدُ مَعْرِفَـةٍ وَذا ... عَبْـدُ الجِنـانِ وَذا عُبَيْـدُ جَهَنَّمِ
إلّا القَلِيْـلَ مِنَ القَلِيْـلِ فَـإِنَّهُمْ ... سَـكْرَى بِهِ مِنْ غَيْرِ حِسّ تَوَهُّمِ
فَهُمُ عَبِيْـدُ اللهِ لا يَـدْرِي بِهِمْ ... أَحَـدٌ سِـوَاهُ، لا عَبِيْـدُ المُنْعِمِ
فـأَفـادَهُمْ لَمّـا أَرَادَ رُجُـوعَـهُمْ ... لِقُصُـورِهِمْ مِنْ كُلّ عِلْمٍ مُبْهَمِ
عِلْمِ المُقَدَّمِ فِي البَسَـائِطِ وَحْدَهُ ... وأَساسِهِ ذُو عَنْهُ لَمْ يَتَصرَّمِ
وحَقِيْقَةِ الظَّرْفِ الذِي سَتَرَتْهُ عَنْ ... أَمْـثَـالِهِ وَمِـثَـالُهُ لَـمْ يُـكْـتَمِ
والعِلْمِ بِالسَّـبَبِ الذِي وُجِدَتْ لَهُ ... عَيْنُ العَوَالِمِ فِي الطِّرَازِ الأَقْـدَمِ
ونِهـايَـةِ الأَمْرِ الذِي لا غَـايَـةٌ ... تُـدْرَى لَهُ فِيْـهِ، العَظِيْمِ الأَعْظَمِ
وعُلُـومِ أَفْلاكِ الـوُجُـودِ كَبِيْرِهِ ... وصَـغِيْرِهِ الأَعْلَى الذِي لَمْ يُذْمَمِ
هَذِي عُلُومٌ مَنْ تَحَقَّقَ، كَشْـفُهَا ... يَهْدِي القُلُوبَ إِلَى السَّبِيْلِ الأَقْوَمِ

---

(١) العنوان في هامش ص ٦٩، بتعبير: الجزء الحادي أحد عشر
(٢) ص ٧٠

فـالحمـدُ للهِ الّذِي أَنا جَـامِـعٌ لِعُلُومِهـا ولِعِلْمِ مـا لَمْ يُعْلَمِ

إيجاز البيان بضربٍ من الإجمال

بُدْءُ الخلق: الهباءُ، وأوّلُ موجود فيه: الحقيقة المحمديّة الرحمانيّة، ولا أين يحصرها لعدم التحيّز.

وممّ وُجِد؟ وُجِد من الحقيقة المعلومة التي لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم.

وفيم وُجِد؟ في الهباء.

وعلى أيّ مثال وُجِد؟ الصورة(١) المعلومة في نفس الحقّ.

ولِمَ وُجِد؟ لإظهار الحقائق الإلهيّة.

وما غايته؟ التخليص من المزجة، فيعرِف كلُّ عالَم حظَّه من منشئه من غير امتزاج. فغايته إظهارُ حقائقه، ومعرفة أفلاك الأكبر من العالَم؛ وهو ما عدا الإنسان في اصطلاح الجماعة، والعالَم الأصغر؛ يعني الإنسان، روح العالَم وعلّته وسببه. وأفلاكه: مقاماته، وحركاته، وتفصيل طبقاته. فهذا جميع ما يتضمّنه هذا الباب.

فكما أنّ الإنسان عالَم صغير من طريق الجسم، كذلك هو أيضا حقير من طريق الحدوث. وصحّ له التألُّه؛ لأنّه خليفة الله في العالَم، والعالَم مسخَّر له مألوه، كما أنّ الإنسان مألوه لله -تعالى-.

واعلم أنّ أكمل نشأة الإنسان، إنما هي في الدنيا. وأمّا الآخرة، فكلّ إنسان من الفرقتين، على النصف؛ في الحال لا في العلم. فإنّ كلّ فرقة عالمةٌ بنقيض حالها. فليس الإنسان إلّا المؤمن والكافر معا: سعادة وشقاء، نعيم وعذاب، منعَّم ومعذَّب. ولهذا؛ معرفةُ الدنيا أتمُّ، وتجلّي الآخرة أعلى. فافهم، وحلَّ هذا القفل. ولنا رمز لمن تفطّن. وهو لفظه بشيع شنيع، ومعناه بديع:

رُوْحُ الـوُجُـودِ الـكَـبِـيرُ هَذَا الوُجُودُ الصَّـغِيْرُ
لَـوْلاهُ مـا قـالَ: إِنِّي أَنا الـكَـبِـيْرُ الـقَـدِيْرُ
لا يَحْجُبَنْـكَ(٢) حُـدُوثِي وَلا الفَنَـا والنُّشُـورُ

---

(١) ص ٧٠ب
(٢) ص ٧١

فـإِنَّـنِي إِنْ تَـأَمَّـلْـتَـنِي الْـمُـحِـيـطُ الـكَـبِـيْرُ

فَـلِـلْـقَـدِيْمِ بِـذَاتِي   ولِـلْـجَـدِيْـدِ ظُـهُـورُ

واللهُ فَـرْدٌ قَـدِيْمٌ   لا يَـعْـتَرِيْـهِ قُصُـورُ

والكَوْنُ خَلْقٌ جَـدِيْـدٌ   فِي قَبْضَـتَيْـهِ أَسِـيْرُ

فَجَاءَ مِـنْ هَـذَا أَنِّي   أَنا الـوُجُـودُ الحَـقِـيْرُ

وأَنَّ كُلَّ وُجُـودٍ   عَـلَى وُجُـودِي يَـدُوْرُ

فَـلَا كَلَـيْـلِيَ لَـيْـلٌ   وَلا كَـنُـوْرِيَ نُـوْرُ

فَمَـنْ يَـقُـلْ فِيَّ عَـبْـدٌ   أَنا الـعُـبَـيْـدُ الـفَـقِـيْرُ

أَوْ قَـالَ: إِنِّي وُجُـودٌ   أَنا الـوُجُـودُ الخَـبِـيْرُ(١)

فَصـحنِي مَلْكًا تَجِـدْنِي   أَوْ سُـوْقَـةً مـا تَجُورُ

فـيَـا جَهُـولًا بِـقَـدْرِي   أَنْـتَ العَلِيْمُ البَصِـيرُ

بَـلِّـغْ وُجُـودِيَ عَـنِّي   والقَوْلُ صِـدْقٌ وَزُوْرُ

وَقُـلْ لِـقَـوْمِـكَ: إِنِّي   أَنا الـرَّحِـيْمُ الـغَـفُـورُ

وَقُـلْ: بِـأَنَّ عَـذَابِي   هُوَ الـعَـذَابُ الْمُبِيْرُ(٢)

وَقُـلْ: بِـأَنِّي ضَـعِيْفٌ   لا أَسْـتَطِيْعُ أَسِـيْرُ

فَكَيْفَ يُنْعَمُ شَخْصٌ   عَلَى يَـدِي أَوْ يَبُورُ!

* * *

بسط(٣) الباب وبيانه، ومن الله التأييد والعون

اعلموا أنّ المعلومات أربعة: الحقّ -تعالى- وهو الموصوف بالوجود المطلق، لأنّه -سبحانه- ليس معلولا لشيء، ولا علّة؛ بل هو موجود بذاته. والعلم به عبارة عن العلم بوجوده، ووجوده

---

(١) مقابلها بالهامش كلمة "رمز" بخط آخر. وكذا مقابل البيت الثاني.
(٢) المبير: المُهلك.
(٣) ص ٧١ب

ليس غير ذاته؛ مع أنّه غير معلوم الذات، لكن يُعلم ما يُنسب إليه من الصفات، أعني صفات المعاني وهي صفات الكمال. وأمّا العلم بحقيقة الذات فممنوع: لا تُعلم بدليل، ولا ببرهان عقلي، ولا يأخذها حدٌّ؛ فإنّه -سبحانه- لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء؛ فكيف يَعرف مَن يُشبه الأشياءَ مَن لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئا؟ فمعرفتك به، إنما هي أنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾[2] وقد ورد المنع من الشرع في التفكّر في ذات الله.

ومعلوم ثانٍ: وهو الحقيقة الكلّيّة، التي هي للحقّ وللعالَم؛ لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم، ولا بالحدوث ولا بالقِدم؛ هي في القديم إذا وُصف بها قديمة، وفي المحدَث إذا وُصف بها محدَثة. لا تُعلم المعلومات، قديمها وحديثها، حتى تُعلم هذه الحقيقة، ولا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها. فإن وُجِد شيء عن غير عدم متقدِّم، كوجود الحقّ وصفاته، قيل فيها: موجود قديم؛ لاتّصاف الحقّ بها، وإن وُجد شيء عن عدم، كوجود ما سِوَى الله، وهو[3] المحدَث الموجود بغيره، قيل فيها: محدَثة. وهي في كلِّ موجود بحقيقتها؛ فإنّها لا تقبل التجزّي؛ فما فيها كلّ ولا بعض، ولا يُتوصّل إلى معرفتها مجرّدة عن الصورة بدليل ولا ببرهان. فمن هذه الحقيقة وُجد العالَم بوساطة الحقّ -تعالى-، وليست بموجودة. فيكون الحقُّ قد أوجدنا من موجود قديم، فيثبت لنا القِدم.

وكذلك لِتعلم، أيضا، أنّ هذه الحقيقة لا تتّصف بالتقدُّم على العالَم، ولا العالَم بالتأخُّر عنها؛ ولكنّها أصل الموجودات عموما، وهي أصل الجوهر، وفلَك الحياة، والحقُّ المخلوق به، وغير ذلك. وهي الفلَك المحيط المعقول. فإن قلت: إنّها العالَم؛ صدقتَ، أو إنّها ليست العالَم؛ صدقتَ، أو إنّها الحقُّ، أو ليست الحقَّ؛ صدقتَ. تقبل هذا كلَّه، وتتعدَّد بتعدُّد أشخاص العالَم، وتتنزَّه بتنزيه الحقّ.

وإن أردتَ مثالًها حتى يقرب إلى فهمِك؛ فانظر في العُودِيَّةِ: في الخشبة والكرسيّ والمحبرة والمنبر والتابوت، وكذلك التربيع وأمثاله في الأشكال في كلّ مربَّع مثلا؛ من بيت وتابوت وورقة. والتربيعُ والعُودِيّةُ؛ بحقيقتها في كلّ شخص من هذه الأشخاص. وكذلك الألوان: بياض الثوب

(١) [الشورى: ١١]
(٢) [آل عمران: ٢٨]
(٣) ص ٧٢

والجوهر[١] والكاغذ والدقيق والدهان، من غير أن تتّصف البياضيّة المعقولة في الثوب بأنّها جزء منها فيه؛ بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها[٢] في الكاغذ. وكذلك العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، وجميع الأشياء كلّها. فقد بيّنت لك هذا المعلوم. وقد بسطنا القول فيه كثيرا في كتابنا الموسوم بـ"إنشاء الجداول والدوائر".

ومعلوم ثالث؛ وهو العالَم كلُّه: الأملاك والأفلاك، وما تحويه من العوالم؛ والهواء والأرض؛ وما فيهما من العالَم، وهو المُلْك الأكبر.

ومعلوم رابع؛ وهو الإنسان الخليفة، الذي جعله الله في هذا العالَم المقهور تحت تسخيره. قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٣].

فمن عَلِم هذه المعلومات، فما بقي له معلوم أصلا يطلبه. فمنها ما لا يُعلم إلّا وجوده، وهو الحقّ -تعالى-، وتُعلم أفعالُه وصفاتُه بضربٍ من الأمثلة. ومنها ما لا يُعلم إلّا بالمثال، كالعلم بالحقيقة الكلّيّة. ومنها ما يُعلم بهذين الوجهين، وبالماهيّة والكيفيّة؛ وهو العالَم والإنسان.

☆ ☆ ☆

وَصْلٌ

«كان الله ولا شيء معه» ثمّ أُدرِج فيه: "وهو الآن على ما عليه كان". لم يرجع إليه من إيجاده العالَم، صفةٌ لم يكن عليها، بل كان موصوفا لنفسه، ومسمّى قبل خَلْقِه بالأسماء التي يدعونه بها خَلْقُه. فلمّا أراد وجودَ العالَم، وبدأه على حدِّ ما عِلمه بعلمه بنفسه؛ انفعل عن تلك الإرادة المقدَّسة، بضربِ تجلٍّ من تجلّيات التنزيه، إلى الحقيقة الكلّيّة، انفعل عنها حقيقةٌ[٤] تسمّى[٥] الهباء، هي بمنزلة طرح البَنَّاء الجُصَّ، ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور. وهذا هو أوّل موجود في العالَم، وقد ذكره عليّ بن أبي طالب ﷺ، وسهل بن عبد الله -رحمه الله-، وغيرهما من أهل التحقيق، أهل الكشف والوجود.

ثمّ إنّه -سبحانه- تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء، ويسمّونه أصحاب الأفكار: "الهيوليّ الكلّ"،

---

(١) تقرأ: "نرالجوهر".
(٢) ص ٧٢ب
(٣) [الجاثية: ١٣]
(٤) في الهامش بخط آخر: "مطلب: مما له كذا (...) المحدثات".
(٥) ص ٧٣

والعالَم كلّه فيه بالقوّة والصلاحيّة، فقَبِل منه كلُّ شيء في ذلك الهباء، على حسب قوّته واستعداده؛ كما تقبل زوايا البيت نورَ السراج، وعلى قدر قُربه من ذلك النور يشتدّ ضوءه وقبولُه. قال -تعالى-: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾[1] فشبّه نوره بالمصباح. فلم يكن أقرب إليه قبولا في ذلك الهباء، إلّا حقيقة محمد ﷺ المسمّاة بالعقل. فكان سيّدَ العالَم بأسره، وأوّلُ ظاهر في الوجود. فكان وجوده من ذلك النور الإلهيّ، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكلّيّة. وفي الهباء وُجد عينُه، وعينُ العالَم من تجلّيه، وأقربُ الناس إليه عليّ بن أبي طالب، وأسرارُ الأنبياء أجمعين.

وأمّا المثال الذي عليه وُجد العالَم كلّه من غير تفصيل؛ فهو العِلم القائم بنفس الحقّ -تعالى-. فإنّه -سبحانه- عَلِمنا بعلمه بنفسه، وأوجدنا على حدّ ما علِمنا؛ ونحن على هذا الشكل المعيَّن في علمه. ولو لم يكن[2] الأمر كذلك؛ لأخذنا هذا الشكل بالاتّفاق، لا عن قصد؛ لأنّه لا يعلمه. وما يتمكن أن تخرج صورة في الوجود بحكم الاتّفاق. فلولا أنّ هذا الشكل المعيَّن معلوم لله —سبحانه-، ومراد له؛ ما أوجدنا عليه. ولم يأخذ هذا الشكل من غيره؛ إذ قد ثبت أنّه كان ولا شيء معه. فلم يبق إلّا أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصورة. فعِلْمُه بنفسه عِلْمُه بنا أزلًا، لا عن عدم؛ فعلمه بنا كذلك. فمثالنا، الذي هو عين علمه بنا، قديم بقِدم الحقّ؛ لأنّه صفة له، ولا تقوم بنفسه الحوادث -جَلَّ الله عن ذلك-.

وأمّا قولنا: ولِمَ وُجد؟ وما غايته؟ يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[3] فصرّح بالسبب الذي لأجله أوجدنا. وهكذا العالَم كلّه. وخصّصنا والجنَّ بالذِّكر. والجنُّ، هنا، كلُّ مستترٍ من مَلَك وغيره. وقد قال -تعالى- في حقّ السماوات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[4] وكذلك قال: ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾[5] وذلك لَمّا كان عَرْضا، وأمّا لو كان أمرا؛ لأطاعوا وحملوها؛ فإنّه لا تُتصوّر منهم معصية؛ جُبِلوا على ذلك، والجنُّ الناريُّ والإنسُ ما جُبِلا على ذلك.

وكذلك من الإنس، أصحاب الأفكار، من أهل النظر والأدلّة، المقصورة على الحواسّ

---

(١) [النور: ٣٥]
(٢) ص ٧٣ب
(٣) [الذاريات: ٥٦]
(٤) [فصلت: ١١]
(٥) [الأحزاب: ٧٢]

والضرورات والبديهيّات، يقولون: لا بدّ أن[1] يكون المكلَّفُ عاقلا، بحيث يفهم ما يخاطَب به. وصدقوا، وكذلك هو الأمر عندنا؛ العالَم كلّه عاقل، حيّ، ناطق؛ من جهة الكشف، بخرق العادة التي الناس عليها، أعني حصول العلم بهذا عندنا. غير أنّهم قالوا: هذا جماد لا يعقِل، ووقفوا عندما أعطاهم بصرُهم. والأمر عندنا بخلاف ذلك.

فإذا جاء عن نبيّ، أنّ حَجَرا كلّمه، وكتف شـــاة، وجذع نخلة، وبهيمة، يقولون: خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت. والأمر عندنا ليس كذلك؛ بل سِرّ الحياة (ســـارٍ) في جميع العالَم، وأنّ «كلّ مَن يسمع المؤذِّن من رطب ويابس يشهد له» ولا يشهد إلّا مَن عَلِم. هذا عن كشــفٍ عندنا، لا عن اســتنباط من نظر بما يقتضـيه ظاهر خبر، ولا غير ذلك. ومن أراد أن يقف عليه؛ فليسلك طريق الرجال، وليلزم الخلوة والذِّكْر؛ فإنّ الله سيطلعه على هذا كلّه عينا؛ فيعلم أنّ الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق.

فأوجَدَ العالَم سـبحانه؛ ليَظْهَر سـلطانُ الأسـماء: فإنّ قدرةً بلا مقدور، وَجُودًا بلا عطاء، ورازقا بلا مرزوق، ومغيثا بلا مغاث، ورحيما بلا مرحوم، حقائق معطَّلة التأثير. وجعل العالَم في الدنيا ممتزجا: مَزَجَ القبضـتين في العجنة، ثمّ فصّـل الأشـخاص منها؛ فدخل من هذه في هذه، من كلّ قبضة في أختها، فجُهلت الأحوال. وفي هذا تفاضلت العلماء[2] في استخراج الخبيث من الطيّب، والطيّب من الخبيث. وغايته؛ التخليص من هذه المزجة، وتمييز القبضـتين، حتى تنفرد هذه بعالَمها وهذه بعالَمها، كما قال الله -تعالى-: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾[3].

فمن بقي فيه شيء من المزجة حتى مات عليها؛ لم يحشر يوم القيامة من الآمنين. ولكنّه؛ منهم من يتخلّص من المزجة في الحساب، ومنهم من لا يتخلّص منها إلّا في جهنّم؛ فإذا تخلّص أُخرج؛ فهؤلاء هم أهل الشفاعة. وأمّا من تميّز هنا في إحدى القبضتين؛ انقلب إلى الدار الآخرة بحقيقته، من قبره، إلى نعيم أو إلى عذاب وجحيم؛ فإنّه قد تخلّص.

فهذا غاية العالَم. وهاتان حقيقتان راجعتان إلى صـــفةٍ، هو الحقُّ عليها في ذاته. ومن هنا قلنا: يرونه أهل النار معذِّبا، وأهل الجنّة منعِّما. وهذا سِرٌّ شريف، ربما تقف عليه في الدار

---

(١) ص ٧٤

(٢) ص ٧٤ب

(٣) [الأنفال: ٣٧]

الآخرة عند المشاهدة -إن شاء الله-. وقد نالها المحقِّقون في هذه الدار(١).

وأمّا قولنا في هذا الباب: ومعرفة أفلاك العالَم الأكبر والأصغر -الذي هو الإنسان- فأعني به عوالم كلّيّاته وأجناسه، وأمراؤه الذين لهم التأثير في غيرهم. وجعلتها مقابِلةً: هذا نسخة من هذا. وقد(٢) ضربنا لها دوائر، على صور الأفلاك وترتيبها، في كتاب "إنشاء الدوائر والجداول" الذي بدأنا وضعَه بتونس، بمحلّ الإمام أبي محمد عبد العزيز، وَلِيُّنا وصفيّنا -رحمه الله-. فلنلق منه، في هذا الباب، ما يليق بهذا المختصر.

فنقول: إنّ العوالم أربعة: العالَم الأعلى؛ وهو عالَم البقاء. ثمّ عالَم الاستحالة؛ وهو عالَم الفناء. ثمّ عالَم التعمير؛ وهو عالَم البقاء والفناء. ثمّ عالَم النِّسب. وهذه العوالم في موطنين: في العالَم الأكبر؛ وهو ما خرج عن الإنسان، وفي العالَم الأصغر؛ وهو الإنسان.

فأمّا العالَم الأعلى:

فالحقيقة المحمديّة؛ وفلَكها الحياة. نظيرُها، من الإنسان؛ اللطيفةُ والروحُ القُدسيّ.

ومنهم العرش المحيط، ونظيره من الإنسان؛ الجسمُ.

ومن ذلك الكرسيّ، ونظيره من الإنسان؛ النفْسُ.

ومن ذلك البيت المعمور، ونظيره من الإنسان؛ القلبُ.

ومن ذلك الملائكة، ونظيرها من الإنسان؛ الأرواح التي فيه والقُوى.

ومن ذلك زحل وفلكه، نظيره من الإنسان؛ القوّةُ العِلميّة والنَّفَسُ.

ومن ذلك المشتري وفلكه، نظيرهما؛ القوّةُ الذاكرة ومؤخَّر الدماغ.

ومن ذلك الأحمر(٣) وفلكه، نظيرهما؛ القوّة العاقلة واليافوخ.

ومن ذلك الشمس وفلكها، نظيرهما؛ القوّة المفكِّرة ووسط الدماغ.

ثمّ(٤) الزهرة وفلكها، نظيرهما؛ القوّة الوهميّة والروح الحيواني.

ثمّ الكاتب(٥) وفلكه، نظيرهما؛ القوّة الخياليّة ومقدَّم الدماغ.

ثمّ القمر وفلكه، نظيرهما؛ القوّة الحِسّيّة والجوارح التي تُحِسّ.

---

(١) في الهامش: "بلغ إلى هنا".

(٢) ص ٧٥

(٣) الأحمر: المريخ.

(٤) ص ٧٥ب

(٥) الكاتب: عطارد.

فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائرها[1] من الإنسان.

وأمّا عالَم الاستحالة. فمِن ذلك كرة الأثير، وروحها الحرارة واليبوسة -وهي كرة النار-؛ ونظيرها[2] الصفراء، وروحها القوّة الهاضمة. ومن ذلك الهواء، وروحه الحرارة والرطوبة؛ نظيره الدم، وروحه القوّة الجاذبة. ومن ذلك الماء، وروحه البرودة والرطوبة؛ نظيره البلغم، وروحه القوّة الدافعة. ومن ذلك التراب، وروحه البرودة واليبوسة؛ نظيره السوداء، وروحها القوّة الماسكة.

وأمّا الأرض فسبع طباق: أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء. نظير هذه السبعة من الإنسان، في جسمه: الجلد، والشحم، واللحم، والعروق، والعصب، والعضلات، والعظام.

وأمّا عالَم التعمير، فمنهم الروحانيّون؛ نظيرهم القوى التي في الإنسان. ومنهم عالَم الحيوان؛ نظيره ما يُحِسُّ من الإنسان. ومنهم عالَم النبات؛ نظيره ما ينمو من الإنسان. ومن ذلك عالَم الجماد[3]؛ نظيره ما لا يُحِسُّ من الإنسان.

وأمّا عالَم النِّسب، فمنهم العرَض؛ نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان. ثمّ الكيف؛ نظيره الأحوال، مثل الصحيح والسقيم. ثمّ الكمّ؛ نظيره: الساق أطول من الذراع. ثمّ الأين؛ نظيره: العنق مكانٌ للرأس، والساق مكان للفخذ. ثمّ الزمان؛ نظيره: حرّكتُ رأسي وقت تحريك يدي. ثمّ الإضافة؛ نظيرها: هذا أبي فأنا ابنه. ثمّ الوضع؛ نظيره: لغتي ولحني. ثمّ أن يفعل؛ نظيره: أكلتُ. ثمّ أن ينفعل؛ نظيره: شبعتُ. ومنهم اختلاف الصور في الأمّهات؛ كالفيل والحمار والأسد والصرصر؛ نظير هذا: القوّة الإنسانيّة التي تقبل الصور المعنويّة من مذموم ومحمود: هذا فطِن فهو فيل، هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[4].

---

(١) ق، س، ه: ونظائره.
(٢) ق: نظيره.
(٣) ص ٧٦
(٤) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه"، يليه: "بلاغ".

الباب السابع
في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة
وهو آخر جنس موجود من العالَم الكبير، وآخر صنف من المولّدات

نَشَـأَتْ[1] حَقِيْقَةُ بَاطِنِ الإِنْسَـانِ مَلِكًا قَوِيًّا ظاهِرَ السُّـلْطَانِ
ثُمَّ اسـْـتَوَتْ فِي عَرْشِ آدَمَ ذَاتُهُ مِثْلَ اسْـتِواءِ العَرْشِ بِالرَّحْمَنِ
فَبَدَتْ حَقِيْقَةُ جِسْـمِهِ فِي عَيْنِها وَبِها انْتَهَى مُلْكُ الوُجُودِ الثَّانِي
وَبَدَتْ مَعَارِفُ عِلْمِهِ فِي لَفْظِهِ[2] عِنْدَ الكِرَامِ وحَامِلِ الشـَّـنَآنِ
فَتَصَـاغَرَتْ لِعُلُومِـهِ أَحْلَامُهُمْ وَتَكَبَّرَ المَلْعُونُ مِنْ شَـيْطَانِ
بَاؤُوا بِـقُـرْبِ اللهِ فِي مَـلَـكُـوتِـهِ إِلّا الشُّوَيْطِنَ بَاءَ بِالخُسْرَانِ

اعلم -أيّدك الله- أنّه لَمّا مضى من عمر العالَم الطبيعي، المقيّد بالزمان، المحصور بالمكان، إحدى وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا، وهذه المدّة؛ أحد عشر يوما من أيّام غير هذا الاسم، ومن أيّام "ذي المعارج" يوم وخُمْسَا يوم، وفي هذه الأيّام يقع التفاضل. قال -تعالى-: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3] وقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[4]. فأصغر الأيّام هي التي تعدّها حركةُ الفلَك المحيط، الذي يظهر في يومه الليلُ والنهار. فأقصرُ يوم عند العرب، وهو هذا، لأكبر فلَك؛ وذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك؛ إذ كانت حركة ما دونه، في الليل والنهار، حركة قسريّة له، قهر بها سائر الأفلاك التي يحيط بها.

ولكلّ[5] فلك حركةٌ طبيعيّة، تكون له مع الحركة القسريّة. فكلّ فلك دونه؛ ذو حركتين في وقت واحد: حركة طبيعيّة وحركة قسريّة. ولكلّ حركة طبيعيّة، في كلّ فلك، يوم مخصوص،

---

(١) ص ٧٦ب
(٢) "علمه في لفظه" في ق:"لفظه في علمه" وفي الهامش بقلم الأصل: "علمه في لفظه"
(٣) [المعارج: ٤]
(٤) [الحج: ٤٧]
(٥) ص ٧٧

يُعَدُّ مقداره بالأيّام الحادثة عن الفلك المحيط، المعبّر عنها بقوله: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وكلّها تقطع في الفلك المحيط. فكلّما قطعته على الكمال؛ كان يوما لها، ويدور الدَّوْر. فأصغر الأيّام منها هو ثمانية وعشرون يوما، مما تعدّون، وهو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط.

ونصب الله هذه الكواكب السبعة في السماوات، ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط، لنعلم عدد السنين والحساب. قال -تعالى-: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾(١) ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾(٢) ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(٣). فلكلّ كوكب منها يوم مقدَّر، يفضُل بعضها على بعض، على قدر سرعة حركاتها الطبيعيّة، أو صغر أفلاكها وكِبَرِها.

فاعلم أنّ الله -تعالى- لَمّا خلق القلم واللوح، وسمّاهما العقل والروح "=والنفس(٤)"، وأعطى الروح صفتين: صفة علميّة وصفة عمليّة، وجعل العقل لها معلّما ومفيدا، إفادة مشاهدة حاليّة، كما تستفيد من صورة السكين القَطْعَ، من(٥) غير نطق يكون منه في ذلك. وخلق -تعالى- جوهرا دون النفس، الذي هو الروح المذكور، سمّاه الهباء، وهذه الاسميّة له، نقلناها من كلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأمّا الهباء، فمذكور في اللسان العربي، قال -تعالى-: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾(٦) كذلك لَمّا رآها عليّ بن أبي طالب، أعني هذه الجوهرة، منبثّة في جميع الصور الطبيعيّة كلّها -وأنّها لا تخلو صورة منها؛ إذ لا تكون صورة إلّا في هذه الجوهرة- سمّاها هباء. وهي مع كلّ صورة بحقيقتها؛ لا تنقسم، ولا تتجزّأ، ولا تتّصف بالنقص؛ بل هي كالبياض الموجود في كلّ أبيض، بذاته وحقيقته، ولا يقال: قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض، فهذا مَثَلُ حال هذه الجوهرة.

وعَيَّن الله -سبحانه- بين هذا الروح، الموصوف بالصفتين، وبين الهباء أربع مراتب، وجعل كلّ مرتبة منزلا لأربعة أملاك، وجعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه -سبحانه- دونهم من العالَم، من علّيّين إلى أسفل سافلين، ووهب كلّ ملَك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد إمضاءه

---

(١) [يونس: ٥]
(٢) [الإسراء: ١٢]
(٣) [الأنعام: ٩٦]
(٤) لفظ "والنفس" أورده المؤلف بخط يده بالهامش.
(٥) ص ٧٧ب
(٦) [الواقعة: ٦]

في العالَم.

فأوّل شيء أوجده الله في الأعيان، مما يتعلّق به علمُ هؤلاء الملائكة وتدبيرهم: الجسمُ الكلّ. وأوّل شكل فتح في هذا الجسم الشكل(١) الكرّي(٢) المستدير، إذ كان أفضل الأشكال. ثمّ نزل -سبحانه- بالإيجاد والخلق إلى تمام الصنعة. وجعل جميع ما خلقه -تعالى- مملكة لهؤلاء الملائكة، وولّاهم أمورها في الدنيا والآخرة، وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به، فأخبرنا -سبحانه- أنهّم ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(٣).

ولَمّا انتهى خلق المولّدات من الجمادات والنبات والحيوان، بانتهاء إحدى وسبعين ألف سنة من سِنِيّ الدنيا، مما نَعُدُّ، ورتّب العالَم ترتيبا حِكْمِيّا، ولم يجمع -سبحانه- لشيء مما خلقه، من أوّل موجود إلى آخر مولود، وهو الحيوان، بين يديه -تعالى- إلّا للإنسان. وهي هذه النشأة البدنيّة الترابيّة؛ بل خلق كلّ ما سِوَاهَا؛ إمّا عن أمر إلهي، أو عن يد واحدة. قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) فهذا عن أمر إلهيّ. وورد في الخبر: أنّ الله ﷻ خلق جنّةَ عَدْنٍ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وخلق آدم، الذي هو الإنسان، بيديه، فقال - تعالى- لإبليس على جهة التشريف لآدم عليه السلام: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(٥).

ولَمّا خلق اللهُ الفلك الأدنى، الذي هو الأوّل المذكور آنفا، قسّمه اثني عشر قسما سمّاها بروجا، قال -تعالى-: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾(٦) فجعل كلَّ قسم(٧) برجا، وجعل تلك الأقسام ترجع إلى أربعة في الطبيعة، ثمّ كرر كلّ واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع منه، وجعل هذه الأقسام كالمنازل والمناهل، التي ينزل فيها المسافرون، ويسير فيها السائرون في حال سيرهم وسفرهم، لينزل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها وسباحتهم، ما يحدث الله في جوف هذا الفلك من الكواكب التي تقطع بسيرها في هذه البروج؛ لِيُحدث الله عند قطعِها وسيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعيّ والعنصريّ، وجعلها علامات على إثر حركة فلك البروج. فاعلم.

---

(١) ص ٧٨
(٢) ق: "الأكري" وكتب في الهامش مقابلها: "الكري"
(٣) [التحريم: ٦]
(٤) [النحل: ٤٠]
(٥) [ص: ٧٥]
(٦) [البروج: ١]
(٧) ص ٧٨ب

فَقِسم من هذه الأربعة طبيعته الحرارة واليبوسة. والثاني البرودة واليبوسة. والثالث الحرارة والرطوبة. والرابع البرودة والرطوبة. وجعل الخامس والتاسع من هذه الأقسام مثل الأوّل، وجعل السادس والعاشر مثل الثاني، وجعل السابع والحادي[(١)] عشر مثل الثالث، وجعل الثامن والثاني عشر مثل الرابع، أعني في الطبيعة. فحصر الأجسام الطبيعيّة بخلاف، والأجسام العنصريّة بلا خلاف، في هذه الأربعة التي هي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ومع كونها أربعًا أمّهات؛ فإنّ الله جعل اثنين منها أصلا في وجود الاثنين الآخرين؛ فانفعلت[(٢)] اليبوسة عن الحرارة، والرطوبة عن البرودة. فالرطوبة واليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة والبرودة. ولهذا ذكر الله في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(٣)] لأنّ المسبَّب يلزم من وجوده؛ من كونه مسبَّبًا وجود السبب، أو منفعلا وجود الفاعل، كيف شئتَ فَقُل. ولا يلزم من وجود السبب وجود المسبَّبِ.

ولَمّا خلق الله هذا الفلَك الأوّل، دار دورة غير معلومة الانتهاء إلّا لله -تعالى- لأنّه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه؛ فإنّه أوّل الأجرام الشفّافة، فتتعدّد الحركات وتتميّز. ولا كان قد خلق اللهُ في جوفه شيئا، فتتميّز الحركة وتنتهي عند من يكون في جوفه. ولو كان؛ لم تتميّز، أيضا، لأنّه أطلس؛ لا كوكب فيه، متشابه الأجزاء. فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه، ولا تتعيّن. فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه؛ عُدَّ به حركاته بلا شكّ، ولكن عَلِمَ الله قدرَها وانتهاءها وكرورها؛ فحدث عن تلك الحركةِ اليومُ، ولم يكن ثَمّ ليل ولا نهار في هذا اليوم.

ثمّ استمرت حركات هذا الفلَك، فخلق الله ملائكة: خمسة وثلاثين ملكًا، أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر، فكان الجميع أحدا وخمسين ملكا، من جملة هؤلاء الملائكة: جبريل[(٤)]، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل. ثمّ خلق تسعمائة ملَك وأربعا وسبعين، وأضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك، وأوحى إليهم، وأمَرَهم بما يُجري على أيديهم في خلقه، فقالوا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[(٥)] وقال فيهم: ﴿لَّا

---

(١) ق: "والحادي أحد"
(٢) ص ٧٩
(٣) [الأنعام: ٥٩]
(٤) ص ٧٩ب
(٥) [مريم: ٦٤]

يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾(١). فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصة. وخلق الله ملائكةً هم عُمّار السماوات والأرض لعبادته؛ فما في السماء والأرض موضِعٌ إلّا وفيه ملَك، ولا يزال الحقُّ يخلق من أنفاس العالَم ملائكة ما داموا متنفِّسين.

ولَمّا انتهى من حركات هذا الفلَك الأوّل، ومدّته أربع وخمسون ألف سنة مما تعدُّون، خلق الله الدار الدنيا، وجعل لها أمدا معلوما تنتهي إليه، وتنقضي صورتها، وتستحيل من كونها دارًا لنا وقبولها صورة مخصوصة، وهي التي نشاهدها اليوم، إلى أن تُبَدَّل الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ.

ولَمّا انقضى من مدَّة حركة هذا الفلَك ثلاث وستون ألف سنة مما تعدُّون، خلق الله الدار الآخرة؛ الجنّة والنار، اللتين أَعدَّهما اللهُ لعباده، السعداء والأشقياء. فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسع آلاف سنة مما تعدُّون، ولهذا سمّيت آخرة، لتأخُّر خلقها عن خلق الدنيا. وسمّيت الدنيا الأُولَى(٢)؛ لأنّها خلقت قبلها. قال -تعالى-: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾(٣) يخاطب نبيَّه ﷺ ولم يجعل للآخرة مدّة ينتهي إليها بقاؤها؛ فلها البقاء الدائم.

وجعل سقف الجنّة هذا الفلَك، وهو العرش عندهم، الذي لا تتعيّن حركته ولا تتميّز؛ فحركته دائمة لا تنقضي. وما من خَلْقٍ ذكرناه خُلِقَ، إلّا وتعلّق القصد الثاني منه وجود الإنسان، الذي هو الخليفة في العالَم. وإنما قلت: "القصد الثاني" إذ كان القصد الأوّل معرفةَ الحقّ، وعبادته، التي لها خُلِق العالَمُ كلُّه. فما من شيء إلّا وهو يسبّح بحمده. ومعنى القصد الثاني والأوّل: التعلّق الإرادي، لا حدوث الإرادة؛ لأنّ الإرادة لله صفة قديمة أزليّة، اتّصفتْ بها ذاتُه كسائر صفاته.

ولَمّا خلق الله هذه الأفلاك والسماوات، ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾(٤)، ورتّب فيها أنوارَها وسرجها، وعَمَرها بملائكته، وحرَّكها -تعالى-؛ فتحرّكت طائعة لله، آتية إليه طلبًا للكمال في العبوديّة التي تليق بها؛ لأنّه -تعالى- دعاها ودعا الأرض، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ لأمر حُدَّ لهما ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾(٥). فهما آتيَانٌ أبدًا، فلا تزالان متحرّكتين. غير أنّ حركة

(١) [التحريم: ٦]
(٢) ص ٨٠
(٣) [الضحى: ٤]
(٤) [فصلت: ١٢]
(٥) [فصلت: ١١]

الأرض خفيّةٌ عندنا، وحركتُها حولَ الوسط لأنّها أُكَرٌ. فأمّا السماء فأتت طائعة عند أمر الله لها بالإتيان، وأمّا الأرض فأتت طائعة لَمّا علمت نفسها مقهورة(١)، وأنّه لا بدّ أن يؤتى بها بقوله -تعالى-: ﴿أَوۡ كَرۡهًا﴾ فكانت المرادة بقوله - تعالى-: ﴿أَوۡ كَرۡهًا﴾ فأتت طائعة كرها؛ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾(٢).

وقد كان خَلَق الأرضَ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾(٣) من أجل المولّدات؛ فجعلها خزانة لأقواتهم. وقد ذكرنا ترتيب نشء العالَم في كتاب "عُقلة المستوفِز". فكان من تقدير أقواتها؛ وجود الماء والهواء والنار، وما في ذلك من البخارات والسحب والبروق والرعود والآثار العلويّة، و﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾(٤). وخلق الجانّ من النار، والطير، والدواب البرّيّة والبحريّة، والحشرات من عفونات الأرض، ليصفو الهواء لنا من بخارات العفونات، التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله حياة هذا الإنسان والحيوان وعافيته فيه، لكان سقيما مريضا معلولا؛ فصفّى له الجو -سبحانه- لطفا منه، بتكوين هذه المعفّنات؛ فقلّت الأسقام والعلل(٥).

ولَمّا استوت المملكة وتهيّأتْ، وما عَرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلّها من أيّ جنس يكون هذا الخليفة، الذي مهّد الله له هذه المملكة لوجوده، فلمّا وصل الوقت المعيّن في علمه لإيجاد هذا الخليفة، بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة، ومن عمر الآخرة، الذي لا نهاية له في الدوام، ثمان آلاف سنة؛ أمر(٦) الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كلّ أجناس تربة الأرض. فأتاه بها في خبر طويل، معلوم عند الناس. فأخذها -سبحانه- وخَمّرها بيديه. فهو قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(٧).

وكان الحقُّ قد أَودعَ عند كلّ ملَك من الملائكة الذين ذكرناهم، وديعةً لآدم، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾(٨) وهذه الودائع التي بأيديكم له. فإذا خلقته؛ فليؤدِّ إليه كلُّ واحد منكم ما عنده، مما أَمِنتُكُمْ عليه، ثمّ ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(٩). فلمّا خَمّر

---

(١) ص ٨٠ب
(٢) [فصلت: ١٢]
(٣) [فصلت: ١٠]
(٤) [الأنعام: ٩٦]
(٥) في الهامش: "بلغ".
(٦) ص ٨١
(٧) [ص: ٧٥]
(٨) [ص: ٧١]
(٩) [الحجر: ٢٩]

الحقُّ -تعالى- بيديه طينةَ آدم، حتى تغيَّر ريحُها -وهو المسنون- وذلك الجزء الهوائيّ الذي في النشأة جعل ظهرَه محلّا للأشقياء والسعداء من ذريّته، فأودع فيه ما كان في قبضتيه. فإنّه -سبحانه- أخبرنا أنّ في قبضة يمينه السعداء، وفي قبضة اليد الأخرى الأشقياء، و«كلتا يدي ربّي يمين مباركة»، وقال: «هؤلاء للجنّة، وبعمل أهل الجنّة يعملون. وهؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون» وأودعَ الكلَّ طينةَ آدم، وجمع فيه الأضدادَ بحكم المجاورة، وأنشأه على الحركة المستقيمة، وذلك في دولة السنبلة. وجعله ذا جهاتٍ ستٍّ: الفوق وهو ما يلي رأسَه، والتحت يقابله، وهو ما يلي رجليه، واليمين وهو ما يلي جانبه الأقوى، والشمال يقابله وهو ما يلي جانبه الأضعف، والأمام[١] وهو ما يلي الوجه، ويقابله الخلف وهو ما يلي القفا. وصوَّره، وعدّله، وسوّاه. ثمّ نفخ فيه من روحه المضاف إليه. فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه، أركانُ الأخلاط التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم.

فكانت الصفراء عن الركن الناريّ، الذي أنشأه الله منه في قوله -تعالى-: ﴿مِن صَلۡصَـٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾[٢]. وكانت السوداء عن التراب، وهو قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾[٣]. وكان الدم من الهواء، وهو قوله: ﴿مَّسۡنُونٖ﴾[٤]. وكان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا. ثمّ أحدث فيه القوّة الجاذبة، التي بها يجذب الحيوان الأغذية. ثمّ القوّة الماسكة، وبها يمسك ما يتغذّى به الحيوان. ثمّ القوّة الهاضمة، وبها يهضم الغذاء. ثمّ القوّة الدافعة، وبها يدفع الفضلات عن نفسه؛ من عرق وبخار ورياح وبراز وأمثال ذلك.

وأمّا سريان الأبخرة، وتقسيم الدم في العروق من الكبد، وما يخلّصه كلُّ جزء من الحيوان؛ فبالقوّة الجاذبة، لا الدافعة. فحظُّ القوّة الدافعة؛ ما تخرجه -كما قلنا- من الفضلات، لا غير. ثمّ أحدث فيه القوّة الغاذية والمنمّية والحِسّيّة[٥] والخياليّة والوهميّة والحافظة والذاكرة. وهذا كلّه في الإنسان بما هو[٦] حيوان، لا بما هو إنسان فقط. غير أنّ هذه القوى الأربع[٧]: قوّة الخيال والوهم والحفظ والذِّكْر، هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان.

---

(١) ص ٨١ب
(٢) [الرحمن: ١٤]
(٣) [آل عمران: ٥٩]
(٤) [الحجر: ٢٦]
(٥) ق: "والحاسية" وعدلت في الهامش "والحسية".
(٦) ص ٨٢
(٧) ق، س، هـ: الأربعة

ثمّ خصّ آدم، الذي هو الإنسان، بالقوّة المصوِّرة والمفكرة والعاقلة؛ فتميّز عن الحيوان. وجعل هذه القوى كلّها في هذا الجسم، آلات للنفس الناطقة، لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة والمعنويّة. ثمّ أنشأه خلقا آخر، وهو الإنسانيّة، فجعله دَرّاكا بهذه القوى، حيّا عالِما قادرا مريدا متكلّما سميعا بصيرا، على حدٍّ معلوم معتاد في اكتسابه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1].

ثمّ إنّه -سبحانه- ما سمّى نفسه باسم من الأسماء، إلّا وجعل للإنسان من التخلّق بذلك الاسم حظًّا منه، يظهر به في العالَم على قدر ما يليق به. ولذلك تأوّل بعضهم قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» على هذا المعنى، وأنزله خليفة عنه في أرضه، إذ كانت الأرض من عالَم التغيير والاستحالات، بخلاف العالَم الأعلى. فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يَحْدُث في العالَم الأرضيّ من التغيير؛ فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهيّة؛ فلذلك كان خليفة في الأرض دون السماء والجنّة. ثُمّ كان من أمره ما كان: مِن علم الأسماء، وسجود الملائكة، وإباية إبليس. يأتي ذِكْر ذلك كلّه في[2] موضعه -إن شاء الله-.

فإنّ هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانيّة، وهي أربعة أنواع: جسم آدم، وجسم حوّاء، وجسم عيسى، وأجسام بني آدم. وكلّ جسم من هذه الأربعة، نشؤه يخالف نشء الآخر في السببيّة، مع الاجتماع في الصورة الجسمانيّة والروحانيّة. وإنما سقنا هذا، ونبّهنا عليه، لئلّا يتوهّم الضعيف العقل أنّ القدرة الإلهيّة، أو أنّ الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانيّة إلّا عن سبب واحد، يعطي بذاته هذا النشء. فردّ الله هذه الشبهة، بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم، بطريقٍ لم يظهر به جسم حوّاء، وأظهر جسمَ حوّاء بطريق لم يظهر جسم ولد آدم، وأظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى ﷺ. وينطلق على كلّ واحد من هؤلاء اسم الإنسان، بالحدّ والحقيقة، ذلك ليعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[3] ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4].

ثمّ إنّ الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخَلق في آية من القرآن، في سورة الحجرات،

(١) [المؤمنون: ١٤]
(٢) ص ٨٢ب
(٣) [البقرة: ٢٣١]
(٤) [الحج: ٦]

فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾(١) يريد آدم ﴿مِّن ذَكَرٖ﴾ يريد حوّاء ﴿وَأُنثَىٰ﴾ يريد عيسى، ومن المجموع ﴿مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ يريد بني آدم بطريق النكاح والتوالد. فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب، الذي أُوتي محمد ﷺ.

ولَمّا ظهر جسم آدم، كما ذكرناه، ولم تكن فيه(٢) شهوة نكاح، وكان قد سبق في علم الحقّ إيجاد التوالد والتناسل، والنكاح، في هذه الدار، إنما هو لبقاء النوع؛ فاستخرج من ضلع آدم -من القصيرى- حوّاء، فقصرت بذلك عن درجة الرَّجُل، كما قال -تعالى-: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾(٣)، فما تلحق بهم أبدا. وكانت من الضلع؛ للانحناء الذي في الضلوع؛ لتحنو بذلك على ولدها وزوجها. فحنوّ الرجل على المرأة؛ حُنوّه على نفسه؛ لأنّها جزء منه. وحُنوّ المرأة على الرجل؛ لكونها خُلِقت من الضلع، والضلع فيه انحناء وانعطاف.

وعَمَرَ اللهُ الموضعَ من آدم، الذي خرجت منه حوّاء، بالشهوة إليها؛ إذ لا يبقى في الوجود خلاء. فلمّا عمره بالهواء؛ حنّ إليها حنينه إلى نفسه؛ لأنّها جزء منه، وحنّتْ إليه؛ لكونه موطنها الذي نشأتْ فيه. فحُبُّ حوّاء حبّ الموطن، وحبّ آدم حبّ نفسه. ولذلك يظهر حبّ الرجل للمرأة؛ إذ كانت عينَه. وأُعطِيت المرأة القوّة المعبّر عنها بالحياء في محبّة الرجل؛ فقويتْ على الإخفاء؛ لأنّ الموطن لا يتّحدُ بها اتّحادَ آدم بها.

فصوَّر في ذلك الضلع، جميع ما صَوَّره وخلقه في جسم آدم. فكان نشء جسم آدم في صورته؛ كنشء الفاخوريّ(٤) فيما ينشئه من الطين والطبخ. وكان نشء جسم حوّاء؛ نشء النجّار فيما ينحته من الصور في الخشب. فلمّا نحتها في الضلع، وأقام صورتها، وسوّاها وعدّلها؛ نفخ فيها من(٥) روحه؛ فقامت حيّة ناطقة أنثى؛ ليجعلها محلّا للزراعة والحرث، لوجود الإنبات، الذي هو التناسل. فسكن إليها وسكنتْ إليه، وكانت لباسا له وكان لباسا لها. قال -تعالى-: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾(٦) وسَرَتْ الشهوة منه في جميع أجزائه؛ فطلبها.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾(٧) وألقى الماء في الرحم، ودار بتلك النطفة من الماء دمُ الحيض الذي كتبه

---

(١) [الحجرات: ١٣]
(٢) ص ٨٣
(٣) [البقرة: ٢٢٨]
(٤) الفاخوري: صانع الفخّار.
(٥) ص ٨٣ب
(٦) [البقرة: ١٨٧]
(٧) [الأعراف: ١٨٩]

الله على النســاء؛ تكوّن في ذلك الجسـمِ جسـمٌ[١] ثالث، على غير ما تكوّن منه جســم آدم وجســم حوّاء؛ فهذا هو الجســم الثالث. فتولّاه الله بالنشء في الرحم، حالا بعد حال؛ بالانتقال من ماء، إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظم، ثمّ كسا العظم لحما. فلمّا أتمّ نشأته الحيوانيّة؛ أنشأه خلقا آخر؛ فنفخ فيه الروح الإنساني ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[٢].

ولولا طول الأمر لبيّنّا تكوينه في الرحم، حالا بعد حال، ومَن يتولّى ذلك من الملائكة، الموكلين بإنشـاء الصـور في الأرحام إلى حين الخروج. ولكن كان الغرض الإعلام بأنّ الأجســام الإنسـانيّة، وإن كانت واحدة في الحدّ والحقيقة والصـور الحِسـّيّة والمعنويّة، فإنّ أسـباب تأليفها مختلفة؛ لئلّا يُتَخيّل أنّ ذلك لذات السـبب -تعالى الله- بل ذلك راجع إلى فاعل مختار، يفعل ما يشــاء، كيف يشــاء، من غير تحجير، ولا[٣] قصــور على أمر دون أمر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٤].

ولَمّا قال أهلُ الطبيعة: إنّ ماء المرأة لا يتكوّن منه شيء، وإنّ الجنين الكائن في الرحم إنما هو من ماء الرجل؛ لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر، وإن كان تدبيره في الرحم تدبيرَ أجسام البنين. فإن كان من ماء المرأة؛ إذ تمثّل لها الروح ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[٥]، أو كان عن نفخٍ بغير ماء؛ فعلى كلِّ وجهٍ، هو جسم رابع مغاير في النشء غيرَه من أجسام النوع. ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ أي صفة نشء عيسى ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ الضمير يعود على آدم، ووقع الشبه في خلقه من غير أب؛ أي صفة نشئه صفة نشء آدم، إلّا أنّ آدم خلقه من تراب، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾[٦].

ثمّ إنّ عيسى، على ما قيل، لم يلبث في بطن مريم لبْث البنين المعتاد؛ لأنّه أسرع إليه التكوين، لَمّا أراد الله أن يجعله آية، ويردّ به على الطبيعيّين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة، لا بما تقتضيه مما أودع اللهُ فيها من الأسرار والتكوينات العجيبة. ولقد أنصف بعض حذّاق هذا الشأن الطبيعة، فقال: لا نعلم منها إلّا ما أعطتنا خاصّة، وفيها ما لا نعلم.

---

(١) ق: وجسم
(٢) [المؤمنون: ١٤]
(٣) ص ٨٤
(٤) [آل عمران: ٦]
(٥) [مريم: ١٧]
(٦) [آل عمران: ٥٩]

فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانيّة، وأنّها أربعة أجسام مختلفة النشء، كما قرّرنا، وأنّه آخر المولّدات. فهو نظير العقل الأوّل، وبه ارتبط. لأنّ الوجود دائرة، فكان ابتداء[1] الدائرة وجود العقل الأوّل الذي ورد في الخبر: «أنّه أوّل ما خلق الله العقل» فهو أوّل الأجناس، وانتهى الخلق إلى الجنس الإنسانيّ. فكملت الدائرة، واتّصل الإنسان بالعقل، كما يتّصل آخر الدائرة بأوّلها، فكانت دائرة. وما بين طرفي الدائرة، جميع ما خلق الله من أجناس العالَم بين العقل الأوّل، الذي هو القلم أيضا، وبين الإنسان، الذي هو الموجود الآخِر.

ولَمّا كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة، إلى المحيط الذي وجد عنها، تخرج على السواء لكلّ جزء من المحيط؛ كذلك نسبة الحقّ -تعالى- إلى جميع الموجودات نسبة واحدة؛ فلا يقع هناك تغيير أَلْبَتَّة، وكانت الأشياء كلّها ناظرة إليه، وقابلة منه ما يهبها؛ نظر أجزاء المحيط إلى النقطة.

وأقام -سبحانه- هذه الصورة الإنسانيّة بالحركة المستقيمة، (كـ)صورة العَمَد الذي للخيمة؛ فجعله لِقُبَّةِ هذه السماوات. فهو -سبحانه- يمسكها أن تزول بسببه. فعبّرنا عنه بالعَمَد. فإذا فنيتْ هذه الصورةُ، ولم يبق منها على وجه الأرض متنفَّس ﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[2] لأنّ العَمَد زال؛ وهو الإنسان.

ولَمّا انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها، وخربت الدنيا بانتقاله عنها؛ علمنا قطعا أنّ الإنسان هو العين المقصودة لله من العالَم، وأنّه[3] الخليفة حقّا، وأنّه محلّ ظهور الأسماء الإلهيّة، وهو الجامع لحقائق العالَم كلّه: من ملَك وفلَك وروح وجسم وطبيعة وجماد ونبات وحيوان، إلى ما خصّ به من علم الأسماء الإلهيّة، مع صغر حجمه وجِرْمِه. وإنما قال الله فيه: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ لكون الإنسان متولّدا عن السماء والأرض، فهما له كالأبوين، فرفع الله مقدارهما (لأجله) ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4] فلم يُرِد (الكِبَرَ) في الجرميّة، فإنّ ذلك معلوم حِسًّا.

غير أنّ الله -تعالى- ابتلاه ببلاءٍ ما ابتلى به أحدا من خلقه؛ إمّا لأن يسعده أو يشقيه، على

(١) ص ٨٤ب
(٢) [الحاقة: ١٦]
(٣) ص ٨٥
(٤) [غافر: ٥٧]

حسب ما يوفّقه إليه وإلى استعماله. فكان البلاء الذي ابتلاه به؛ أن خلق فيه قوّة تسمّى الفكر، وجعل هذه القوّة خادمة لقوّة أخرى تسمّى العقل. وجبر العقل مع[(١)] سيادته على الفكر، أن يأخذ منه ما يعطيه. ولم يجعل للفكر مجالا إلّا في القوّة الخياليّة. وجعل -سبحانه- القوّة الخياليّة محلّا جامعا لما تعطيها القوّة الحسّاسة. وجعل له قوّة يقال لها: المصوِّرة. فلا يحصل في القوّة الخياليّة، إلّا ما أعطاه الحسّ، أو أعطته القوّة المصوِّرة. ومادة المصوّرة من المحسوسات؛ فتركّب صورا لم يوجد لها عين، لكن أجزاؤها كلّها موجودة حسًّا.

وذلك لأنّ العقل خُلق ساذجا؛ ليس عنده من العلوم النظريّة شيء. وقيل[(٢)] للفكر: ميّز بين الحقّ والباطل، الذي في هذه القوّة الخياليّة. فينظر بحسب ما يقع له؛ فقد يحصُل في شبهة، وقد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك؛ ولكن في زعمه أنّه عالِم بصور الشُّبَه من الأدلّة، وأنّه قد حصل على علم، ولم ينظر إلى قصور المواد التي استند إليها في اقتناء العلوم. فيقبلها العقل منه، ويحكم بها؛ فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب.

ثمّ إنّ الله كلَّف هذا العقل معرفتَه -سبحانه- ليرجع إليه فيها، لا إلى غيره. ففهم العقل نقيض ما أراد به الحقّ، بقوله -تعالى-: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾[(٣)]، ﴿لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)] فاستند إلى الفكر، وجعله إماما يقتدي به، وغفل عن الحقّ في مراده بالتفكّر أنّه خاطبه أن يتفكّر. فيرى أنّ عِلْمه بالله لا سبيل إليه إلّا بتعريف الله؛ فيَكشف له عن الأمر على ما هو عليه. فلم يفهم كلُّ عقل هذا الفهم، إلّا عقول خاصّة الله من أنبيائه وأوليائه[(٥)].

يا ليت شعري؛ هل بأفكارهم قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ حين ﴿أَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[(٦)] في قبضة الذرّيّة من ظهر آدم؟ لا، والله؛ بل عناية إشهاده إيّاهم ذلك، عند أخذِه إيّاهم عنهم من ظهورهم. ولَمّا رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكرة في معرفة الله، لم يجتمعوا قطّ على حكم واحد في معرفة الله، وذهبتْ[(٧)] كلُّ طائفة إلى مذهب. وكثرت القالّة في الجناب الإلهيّ الأحمى. واجترءوا غاية الجرأة على الله. وهذا كلّه من الابتلاء الذي ذكرناه، من خلقِه الفكر في الإنسان.

---

(١) ق: "على" وصححت في الهامش بقلم الأصل وإشارة التصويب.
(٢) ص ٨٥ب
(٣) [الأعراف: ١٨٤]
(٤) [يونس: ٢٤]
(٥) في الهامش: "ابن الحموي ومحمد بن زرافة".
(٦) [الأعراف: ١٧٢]
(٧) ص ٨٦

وأهل الله افتقروا إليه فيما كلّفهم من الإيمان به في معرفته، وعلموا أنّ المراد منهم رجوعهم إليه في ذلك، وفي كلّ حال. فمنهم القائل: "سبحان مَن لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلّا العجز عن معرفته". ومنهم من قال: "العجز عن درك الإدراك إدراك". وقال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك» وقال -تعالى-: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾[1]. فرجعوا إلى الله في المعرفة به، وتركوا الفكر في مرتبته، ووفَّوه حقَّه: لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكّر فيه. وقد ورد النهي عن التفكّر في ذات الله، والله يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾[2]. فوهبهم الله من معرفته ما وهبهم، وأشهدهم من مخلوقاته ومظاهره ما أشهدهم؛ فعلِموا أنّه ما يستحيل عقلا من طريق الفكر، لا يستحيل نسبة إلهيّة، كما سنورد من ذلك طرفا، في باب الأرض المخلوقة من بقيّة طينة آدم، وغيرها.

فالذي ينبغي للعاقل، أن يدين الله به في نفسه، أن يعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[3] من ممكن ومحال، ولا كلّ محال نافذ الاقتدار. واسع العطاء. ليس لإيجاده تكرار؛ بل[4] أمثال تحدث في جوهرٍ أَوْجَدَه، وشاء بقاءه، ولو شاء أفناه مع الأنفاس ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[5].

---

(١) [طه: ١١٠]
(٢) [آل عمران: ٢٨]
(٣) [البقرة: ٢٠]
(٤) ص ٨٦ب
(٥) [آل عمران: ٦]. وفي الهامش: "بلغ قراءة لمحمود الزنجاني".

الباب الثامن
في معرفة الأرض التي خُلِقَتْ من بقيّة خميرة طينة آدم عليه السلام
وهي أرض الحقيقة وذكر بعض ما فيها من الغرائب والعجائب

يا أُخْتِ بَلْ يَا عَمَّتِي المَعْقُولَهْ ... أَنْتِ الأُمَيْمَةُ عِنْدَنا المَجْهُولَهْ(١)
نَظَرَ البَنُونَ إِلَيْكِ أُخْتَ أَبِيهِمِ ... فَتَنَافَسُوا عَنْ هِمَّةٍ مَعْلُولَهْ
إِلّا القَلِيلَ مِنَ البَنِيْنَ فَإِنَّهُمْ ... عَطَفُوا عَلَيْكِ بِأَنْفُسٍ مَجْبُولَهْ
يا عَمَّتِي قُلْ: كَيْفَ أَظْهَرَ سِرَّهُ ... فِيْكِ الأُخَيُّ مُحَقِّقًا تَنْزِيْلَهْ
حَتَّى بَدَا مِنْ مِثْلِ ذَاتِكِ عالَمٌ ... قَدْ يَرْتَضِي رَبُّ الوَرَى تَوْكِيْلَهْ
أَنْتِ الإِمامَةُ، والإِمامُ أَخُوكِ، والمَأْمُومُ أَمْثالٌ لَهُ مَسْلُولَهْ

اعلم أنّ الله -تعالى- لَمّا خلق آدم عليه السلام الذي هو أوّل جسم إنسانيٍّ تكوّن، وجعله أصلا لوجود الأجسام الإنسانيّة، وفضلتْ(٢) من خميرة طينته فضلة، خلق منها النخلة. فهي أخت لآدم عليه السلام وهي لنا عمّة. وسمّاها الشرع عمّةً، وشبّهها بالمؤمن، ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات. وفَضُل من الطينة، بعد خلق النخلة، قدر السمسمة في الخفاء. فمدّ الله في تلك الفُضلة أرضا واسعة الفضاء، إذا جُعِلَ العرش وما حواه والكرسيّ والسماوات والأرضون وما تحت الثرى والجنّات كلّها والنار في هذه الأرض، كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض. وفيها من العجائب والغرائب ما لا يُقْدَرُ قدرُه، ويبهر العقول أمرُه، وفي كلّ نَفَس خلق الله فيها عوالم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾(٣).

وفي هذه الأرض ظهرتْ عظمةُ الله، وعظُمَتْ عند المشاهد لها قُدرته. وكثير من المُحالات العقليّة التي قام الدليل الصحيح العقليّ على إحالتها، هي موجودة في هذه الأرض، وهي مسرح

(١) رسمها في ق بين: "المجهولة" و "المجعولة" وفي هـ، س: المجهولة
(٢) ص ٨٧
(٣) [الأنبياء: ٢٠]

عيون العارفين، العلماء بالله، وفيها يجولون. وخلق الله من جملة عوالمها عالَمًا على صُــوَرنا، إذا أبصرـهم العارفُ يشاهد نفسَـه فيها. وقد أشـار إلى مثل ذلك عبد الله بن عبّاس ﷺ فيما روي عنه في حديث "هذه الكعبة، وأنّها بيت واحد[(١)] من أربعة عشرـ بيتا" و"أنّ في كلّ أرض من الســبع الأرضــين خَلقا مثلنا حتى أنّ فيهم ابن عبّاس مثلي" وصــدقتْ هذه الرواية عند أهل الكشف.

فلنرجع إلى ذِكْر هذه الأرض واتّساعها، وكثرة عالمها المخلوقين فيها ومنها، و(ما) يقع للعارفين فيها (من) تجلّيات إلهيّة. أخبر بعضُ العارفين بأمر أعرفه شـهودا، قال: "دخلت فيها يوما مجلسـا يسمّى مجلس الرحمة، لم أر مجلسا قطّ أعجب منه، فبينا أنا فيه؛ إذ ظهر لي تجلٍّ إلهيّ لم يأخذني عنّي، بل أبقاني معي، وهذا من خاصّــيّة هذه الأرض. فإنّ التجلّيات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الهياكل، تأخذهم عنهم، وتفنيهم عن شـــهودهم، من الأنبياء والأولياء وكلّ مَن وقع له ذلك، وكذلك عالَم السـماوات العلى، والكرسيّ الأزهى، وعالَم العرش المحيط الأعلى، إذا وقع لهم تجلٍّ إلهيّ؛ أخذهم عنهم فصـعقوا. وهذه الأرض إذا حصــل فيها صــاحبُ الكشــف، العارف، ووقع له تجلٍّ؛ لم يفنه عن شـــهوده، ولا اختطفه عن وجوده، وجمع له بين الرؤية والكلام".

قال: واتّفق لي في هذا المجلس أمور وأسرار لا يسعني ذِكْرها؛ لغموض معانيها وعدم وصول الإدراكات، قبل أن يَشْهَدَ مثل هذه المُشاهِدُ لها. وفيها من البساتين والجنّات والحيوان والمعادن، ما لا يَعلم قدر ذلك إلّا الله -تعالى-. وكلّ ما فيها من[(٢)] هذا كلّه، حيٌّ ناطقٌ كحياة كلّ حيٍّ ناطق، ما هو مثل ما هي الأشـــياء (عليه) في الدنيا، وهي باقية لا تفنى ولا تتبدّل، ولا يموت عالَمها، وليست تقبل هذه الأرض شيئا من الأجسام الطبيعيّة الطينيّة البشريّة، سِوَى عالَمِها أو عالَم الأرواح منّا بالخاصّـيّة. وإذا دخلها العارفون، إنما يدخلونها بأرواحهم لا بأجســامهم، فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجرّدون.

وفي تلك الأرض صورٌ عجيبة النشء، بديعة الخلق، قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالَم الذي نحن فيه، من الأرض والسماء والجنّة والنار. فإذا أراد واحدٌ منّا الدخول لتلك

---

(١) ص ٨٧ب
(٢) ص ٨٨

الأرض، من العارفين من أيّ نوع كان، من إنس أو جنّ أو ملَك، أو أهل الجنّة، بشرط المعرفة، وتجرَّد عن هيكله؛ وَجَدَ تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها، قد نصبهم الله -سبحانه- لذلك الشغل. فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل، فيخلع عليه حُلّةً على قدر مقامه، ويأخذ بيده ويجول به في تلك الأرض، و﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾(١) ويَعتبر في مصنوعات الله، ولا يمرّ بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء، ويريد أن يكلِّمه؛ إلّا كلَّمه كما يكلِّم الرجل صاحبه، ولهم لغات مختلفة.

وتعطي هذه الأرضُ، بالخاصّيّة، لكلّ من دخَلَها، الفهمَ بجميع ما فيها من الألسنة. فإذا قضى منها وطَرَه، وأراد الرجوع(٢) إلى موضعه، مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه، يوادعه، ويخلع عنه تلك الحلّة التي كساه، وينصرف عنه، وقد حصّل علوما جمّة ودلائل، وزاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة. وما رأيت الفهم ينفذ، أسرع مما ينفذ، إذا حصل في هذه الأرض.

وقد ظهر عندنا -في هذه الدار، وهذه النشأة- ما يعضد هذا القول. فمِن ذلك ما شاهدناه ولا أذكره. ومنها ما حدّثني أوحدُ الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني -وفّقه الله- قال: كنت أخدم شيخا وأنا شابّ، فمرض الشيخ، وكان في محارة، وقد أخذه البَطْن. فلمّا وصلنا تكريت قلت له: يا سيّدي؛ اتركني أطلب لك دواء ممسكا من صاحب مارستان سنجار من السبيل. فلمّا رأى احتراقي، قال لي: رح إليه.

قال: فَرُحْتُ إلى صاحب السبيل، وهو في خيمته جالس، ورجاله بين يديه قائمون، والشمعة بين يديه، وكان لا يعرفني ولا أعرفه. فرآني واقفا بين الجماعة. فقام إليّ، وأخذ بيدي، وأكرمني، وسألني: ما حاجتك؟ فذكرت له حال الشيخ. فاستحضر الدواء، وأعطاني إيّاه، وخرج معي في خدمتي، والخادم بالشمعة بين يديه. فخفتُ أن يراه الشيخ فيَحْرَج. فحلفتُ عليه أن يرجع؛ فرجع.

فجئت الشيخ، وأعطيته الدواء، وذكرتُ له كرامة الأمير صاحب السبيل بي. فتبسّم الشيخ، وقال لي: يا ولدي؛ إنّي أشفقتُ عليك لَمّا رأيت من احتراقك من أجلي، فأذنتُ(٣) لك. فلمّا

(١) [يوسف: ٥٦]
(٢) ص ٨٨ب
(٣) ص ٨٩

مشيتَ، خفتُ أن يُخجلك الأمير بعدم إقباله عليك؛ فتجرّدتُ عن هيكلي هذا، ودخلتُ في هيكل ذلك الأمير، وقعدتُ في موضعه. فلمّا جئتَ أكرمتك، وفعلتُ معك ما رأيتَ، ثمّ عدتُ إلى هيكلي هذا، ولا حاجة لي في هذا الدواء، وما أستعمله. فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره، فكيف أهل تلك الأرض؟!.

قال لي بعض العارفين: لَمّا دخلت هذه الأرض؛ رأيتُ فيها أرضا كلّها مسك عطر، لو شمّه أحد منّا في هذه الدنيا لهلك؛ لقوّة رائحته؛ تمتدّ ما شاء الله أن تمتدّ. ودخلتُ في هذه الأرض أرضًا من الذهب الأحمر اللين، فيها أشجار كلّها ذهب، وثمرها ذهب. فيأخذ التفاحة أو غيرها من الثمر، فيأكلها؛ فيجد من لذّة طعمها، وحسن رائحتها ونَعْمَتِها، ما لا يصفها واصفٌ: تقصر فاكهة الجنّة عنها، فكيف فاكهة الدنيا. والجسم والصورة والشكل ذهب، والصورة والشكل كصورة الثمرة وشكلها عندنا، وتختلف في الطعم. وفي الثمرة من النقش البديع والزينة الحسنة، ما لا تتوهّمه نفسٌ، فأحرى أن تشهده عين.

ورأيتُ مِن كِبَرِ ثمرها، بحيث لو جُعلت الثمرة بين السماء والأرض، لحجبتْ أهل الأرض عن رؤية السماء. ولو جُعِلتْ على الأرض، لفضلتْ عليها أضعافا. وإذا قبض عليها الذي يريد أكلها، بهذه اليد المعهودة في[1] القدر، عمّها بقبضته لِنَعْمَتِها: ألطف من الهواء، يطبق[2] عليها يده مع هذا العِظَم، وهذا مما تحيله العقول هنا في نظرها. ولَمّا شاهدها ذو النون المصري[3] نطق بما حكي عنه من إيراد الكبير على الصغير، من غير أن يُصَغِّر الكبير، أو يُكَبِّر الصغير، أو يوسِّع الضَّيِّق، أو يضيِّق الواسع، فالعِظَم في التفاحة على ما ذكرته باق، والقبض عليها باليد الصغيرة والإحاطة بها موجود، والكيفيّة مشهودة مجهولة لا يعرفها إلّا الله. وهذا العلم مما انفرد الحقّ به. واليوم الواحد

---

(١) ص ٨٩ب

(٢) ق: "يغلق" وبجانبها "يطبق" بقلم الأصل.

(٣) ذو النون المصري: (ت ٢٤٥هـ)؛ ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم المصري، المعروف بذي النون، المصري الصالح المشهور، أحد رجال الطريقة، كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك. كان أبوه نوبياً، وقيل من أهل إخميم، مولىً لقريش. وسئل عن سبب توبته فقال: خرجت من مصر لبعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه، فقلت: حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وكان قد سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً، وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون: وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية.

وشيخه في الطريقة شقران العابد. ومن كلامه: إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح... وتوفي ذو النون في ذي القعدة سنة خمس وأربعين - وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان وأربعين. (الوافي بالوفيات [٣ /٤٩٤])

الزمانيّ عندنا هو عدّة سنين عندهم، وأزمنة تلك الأرض مختلفة.

قال: ودخلتُ فيها أرضا من فضّة بيضاء في الصورة، ذات شجر وأنهار وثمر شهيّ، كلّ ذلك فضّة، وأجسام أهلها منها كلّها فضّة، وكذلك كلّ أرض شجرها وثمرها وأنهارها وبحارها وخلقها من جنسها. فإذا تُنُووِلَتْ وأُكِلَتْ، وجد فيها من الطعم والروائح والنَّعمة مثل سائر المأكولات، غير أنّ اللذّة لا توصف ولا تحكى. ودخلت فيها أرضا من الكافور الأبيض، وهي في أماكن منها أشدّ حرارة من النار: يخوضها الإنسان ولا تحرقه، وأماكن منها معتدلة، وأماكن باردة. وكلّ أرض من هذه الأرضين، التي هي أماكن في هذه الأرض[1] الكبيرة، لو جُعِلت السماء فيها؛ لكانت كحلقة في فلاة بالنسبة إليها. وما في جميع أراضيها أحسنُ عندي، ولا أوفقُ لمزاجي، من أرض الزعفران. وما رأيت عالَما من عالَم كلِّ أرضٍ أبسط نفوسا منهم، ولا أكْثر بشاشة بالوارد عليهم، يتلقَّونه بالترحيب والتأهيل.

ومن عجائب مطعوماتها؛ أنّه أيّ شيء أكلتَ منها، إذا قطعتَ من الثمرة قطعة، نبتتْ في زمان قَطْعِكَ إيّاها مكانها، ما سَدَّ تلك الثلمة. أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها؛ فزمان قَطْفِكَ إيّاها يتكوّن مِثلها، بحيث لا يشعر بها إلّا الفَطِن، فلا يظهر فيها نقصٌ أصلا.

وإذا نظرتَ إلى نسائها، ترى أنّ النساء الكائنين في الجنّة من الحور بالنسبة إليهنّ، كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان. وأمّا مجامعتهنّ فلا يشبه لذّتها لذّة. وأهلُها أعشقُ الخلق فيمن يَرِد عليهم. وليس عندهم تكليف، بل هم مجبولون على تعظيم الحقّ وجلاله -تعالى-، لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا.

وأمّا أبنيتهم، فمنها ما يحدث عن هممهم، ومنها ما يحدث كما تُبنى عندنا من اتّخاذ الآلات وحسن الصنعة.

ثمّ إنّ بحارها لا يمتزج بعضها ببعض، كما قال -تعالى-: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[2] فتعاين[3] منتهى بحر الذهب تصطفق أمواجه، ويباشره بالمجاورة بحر الحديد؛ فلا يدخل من واحد في الآخر شيء. وماؤهم ألطف من الهواء في الحركة والسيلان، و(هو) من الصفاء بحيث أن لا يخفى عنك من دوابّه، ولا من الأرض التي يجري البحر عليها شيء. فإذا

---

(١) ص ٩٠
(٢) [الرحمن: ١٩، ٢٠]
(٣) ص ٩٠ب

أردت أن تشرب منه؛ وجدت له من اللذّة ما لا تجده لمشروب أصلا.

وخَلْقُها ينبتون فيها كسائر النباتات من غير تناسل، بل يتكوّنون من أرضها تَكَوُّن الحشرات عندنا، ولا ينعقد من مائهم في نكاحهم ولد، وإنّ نكاحهم إنما هو لمجرّد الشهوة والنعيم.

وأمّا مراكبهم فتعظم وتصغر بحسب ما يريده الراكب. وإذا سافروا من بلد إلى بلد، فإنّهم يسافرون برًّا وبحرا، وسرعة مشيهم في البرّ والبحر أسرعُ من إدراك البصر للمبصر.

وخَلْقُها متفاوتون في الأحوال: ففيهم من تغلب عليهم الشهوات، وفيهم من يغلب عليهم تعظيم جناب الحقّ. ورأيت فيها ألوانا لا أعرفها في ألوان الدنيا، ورأيت فيها معادن تشبه الذهب، وما هي بذهب ولا نحاس، وأحجارا من اللآليء ينفذها البصر لصفائها شفّافة من اليواقيت الحمر.

ومن أعجب ما فيها[(١)]: إدراك الألوان في الأجسام السفليّة التي هي كالهواء، ويتعلّق الإدراك بألوانها، كما يتعلّق بالألوان التي في الأجسام الكثيفة. وعلى أبواب مدائنها عقود من الأحجار الياقوتيّة؛ كلّ حجر منها يزيد على الخمسمائة ذراع. وعلوّ الباب في الهواء عظيم، وعليه معلَّق من الأسلحة والعُدد، ما لو اجتمع ملك الأرض كلّها ما وفى بها.

وعندهم ظلمة ونور، من غير شمس تتعاقب. وبتعاقبها يعرفون الزمان، وظلمتهم لا تحجب البصر عن مدرِكه، كما لا يحجبه النور. ويغزو بعضهم بعضا، من غير شحناء ولا عداوة ولا فساد بَنِيَّة. وإذا سافروا في البحر وغرقوا، لا يعدو عليهم الماء كما يعدو علينا؛ بل يمشون فيه كمشي دوابّه، حتى يلحقون بالساحل. وتحلُّ بتلك الأرض زلازل؛ لو حلّت بنا انقلبت[(٢)] الأرض، وهلك ما كان عليها.

وقال: لقد كنتُ يوما مع جماعة منهم في حديث، وجاءت زلزلة شديدة، بحيث أنّي رأيت الأبنية تتحرّك كلّها تحرُّكا، لا يقدر البصر يتمكن من رؤيتها؛ لسرعة الحركة مرورا وكرورا، وما عندنا خبر، وكأنّا على الأرض قطعة منها، إلى أن فرغت الزلزلة. فلمّا فرغت، وسكنت الأرض، أخذت الجماعة بيدي، وعزّتني في ابنة لي اسمها فاطمة!. فقلت[(٣)] للجماعة: إنّي تركتها في عافية عند والدتها. قالوا: صدقتَ ولكن هذه الأرض، ما تزلزل بنا وعندنا أحد، إلّا مات ذلك الشخص، أو مات له أحد. وإنّ هذه الزلزلة لموت ابنتك، فانظر في أمرها.

---

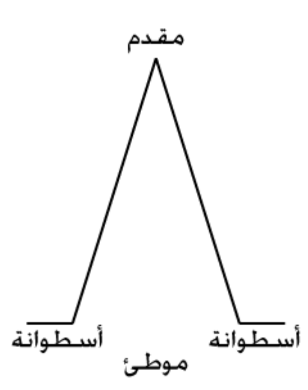
(١) ص ٩١

(٢) س، هـ: لانقلبت

(٣) ص ٩١ب

فقعدتُ معهم ما شاء الله، وصاحبي ينتظرني. فلمّا أردتُ فراقَهم؛ مشوا معي إلى فم السكة، وأخذوا خلعتهم. وجئت إلى بيتي، فلقيت صاحبي فقال لي: إنّ فاطمة تُنازِع. فدخلتُ عليها، فَقَضَتْ. وكنت بمكة مجاورا؛ فجهّزناها، ودفنّاها بالمعلى. فهذا من أعجب ما أُخبرتُ (به) عن تلك الأرض.

(قال): ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها، غير مكسوّة، تكون أكبر من البيت الذي بمكة، ذات أركان أربعة؛ تكلِّمهم إذا طافوا بها، وتحيّيهم، وتفيدهم علوما لم تكن عندهم.



ورأيت في هذه الأرض بحرا من تراب، يجري مثل ما يجري الماء. ورأيت حجارة صغارا وكبارا، يجري بعضها إلى بعض، كما يجري الحديد إلى المغناطيس، فتتألّف هذه الحجارة، ولا تنفصل بعضها من بعض بطبعها، إلّا إنْ فَصَلها فاصل مثل ما يُفصل الحديد عن المغناطيس؛ ليس في قوّته أن يمتنع. فإذا تُركت وطبعها[1]؛ جرتْ بعضها إلى بعض، على مقدارٍ من المساحة مخصوص، فَتُضَمُّ هذه الحجارة بعضها إلى بعض، فينشأ منها صورة[2] سفينة.

ورأيت منها مركبا صغيرا وشِينِيَين[3]. فإذا التأمت السفينةُ من تلك الحجارة، رموا بها في بحر التراب، وركبوا فيها، وسافروا حيث يشتهون من البلاد. غير أنّ قاع السفينة من رمل وتراب، يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصّيّة. فما رأيت فيما رأيت، أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر. وصورة الإنشاء في المراكب سواء، غير أنّ لهم في جناحي السفينة، ممّا يلي مؤخِّرها، اسطوانتين عظيمتين تعلو المركب أكثر من القامة، وأرض المركب من جهة مؤخّره، ما بين الأسطوانتين مفتوح، متساوٍ مع البحر، ولا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلا بالخاصّيّة، وهذا شكله في الهامش:

وفي هذه الأرض مدائن، تسمّى مدائن النور، لا يدخلها من العارفين إلّا كلّ مصطفى مختار.

(١) ق: تُرك وطبعه.
(٢) ص ٩٢
(٣) الشيني: ضرب من السفن. وفي س: وسفينتين

وهي ثلاث عشرة مدينة، وهي[1] على سطح واحد، وبنيانها عجيب؛ وذلك أنّهم عمدوا إلى موضع في هذه الأرض، فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة، يسير الراكب فيها، إذا أراد أن يدور بها، مسيرة ثلاثة أعوام. فلمّا أقاموها؛ جعلوها خزانة لمنافعهم ومصالحهم وعُددهم، وأقاموا على بُعْدٍ من جوانبها، أبراجا تعلو على أبراج المدينة، بما[2] دار بها، ومدّوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت، وجعلوا ذلك السقف أرضا، بَنَوْا عليها مدينة أعظم من التي بَنَوْا أوّلًا، وعمروها واتّخذوها مسكنا، فضاقت عنهم، فَبَنَوْا عليها مدينة أخرى أكبر منها، وما زال يكثر عمّارها، وهم يصعدون بالبنيان، طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة.

(قال): ثمّ إنِّي غبتُ عنهم مدّة، ثمّ دخلتُ إليهم مرّة أخرى، فوجدتهم قد زادوا مدينتين: واحدة فوق أخرى. ولهم ملوكٌ فيهم لطف وحنان، صحبتُ منهم جماعة: منهم "التالي"، وهو التابع، بمنزلة القَيْلِ[3] في حِمْيَرَ[4]. ولم أر مَلِكا أكثر منه ذِكْرا لله تعالى، قد شغله ذِكْر الله عن تدبير مُلكه. انتفعتُ به وكان كثير المجالسة لي. ومنهم "ذو العرف": وهو ملِك عظيم لم أر في ملوك الأرض أكثر مَن تأتي إليه الرسل من الملوك منه، وهو كثير الحركة، هيّن ليّن، يصل إليه كلّ أحد، يتلطّف في النزول، لكنّه إذا أُغْضِب لم يقم لغضبه شيء، أعطاه الله من القوّة ما شاء.

ورأيت لِبحرها مَلِكا منيع الحمى يدعى: "السابح". هو قليل المجالسة مع من يقصد إليه، وما له ذلك الالتفات إلى أحد، غير أنّه مع ما يخطر له لا مع ما يُراد منه[5]. ويجاوره سلطان عظيم اسمه: "السابق"، إذا دخل عليه الوافد؛ قام إليه من مجلسه، وبشّ في وجهه، وأظهر السرور بقدومه، وقام له بجميع ما يحتاج إليه من قبل أن يسأله عن شيء. فقلت له في ذلك. فقال لي: "أكره أن أرى في وجه السائل ذلّة السؤال لمخلوق؛ غَيرة أن يذلَّ أحدٌ لغير الله. وما كلّ أحد يقف مع الله على قدم التوحيد، وإنّ أكثر الوجوه مصروفة إلى الأسباب الموضوعة مع الحجاب عن الله. فهذا يجعلني أن أبادر إلى ما ترى من كرامة الوافد".

قال: ودخلتُ على ملِك آخر يدعى "القائم بأمر الله"، لا يلتفت إلى الوافد عليه لاستيلاء

---

(١) كانت في ق: "وما هي" وهناك إشارة على "ما" يمكن أن تدل على حذفها، وهي كذلك في هـ، س.

(٢) ص ٩٢ب

(٣) المِقْوَل: القَيْل بلغة أَهل اليمن؛ قال ابن سيده: المِقْوَل والقَيْل الملك من مُلوك حِمْير يَقُول ما شاء، وأَصله قَيِّل؛ وقِيلَ: هو دون الملك الأَعلى، والجمع أَقْوال. [لسان العرب]

(٤) حِمْيَر أَبو قبيلة من اليمن، وهو حمير بن سـَبَأ بن يَشْـجُب بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ، ومنهم كانت الملوك في الدهر الأَوَّل، واسم حِمْيَر العَرَنْجَجُ. [لسان العرب]

(٥) ص ٩٣

عظمة الحقّ على قلبه، فلا يشــعر بالوافد، وما يفِد عليه مَن يفد من العارفين، إلّا لينظروا إلى حاله التي هو عليها، تراه واقفا قد عقد يديه إلى صــدره عقد العبد الذليل الجاني، مطرِقا إلى موضع قدميه، لا تتحرّك منه شعرة، ولا يضطرب منه مفصل، كما قيل في قومٍ هذه حالتهم مع سلطانهم:

كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ لَا خَوْفَ ظُلْمٍ ولَكِنْ خَوْفَ إِجْلالِ

يتعلّم العارفون منه حال المراقبة.

قال: ورأيت ملِكا يدعى بـ"الرادع" مهيب المنظر، لطيف المخبر، شديد الغيرة، دائم الفكرة[١] فيما كلّف النظر فيه، إذا رأى أحدا يخرج عن طريق الحقّ ردَّه إلى الحقّ. قال: صحبته وانتفعت به. وجالست من ملوكهم كثيرا، ورأيت منهم من العجائب مما يرجع إلى ما عندهم، من تعظيم الله، ما لو سطّرناه، لأعيا الكاتب والسامع. فاقتصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الأرض. ومدائنها لا تحصى كثرة، ومدائنها أكثر من ضياعها، وجميع من يملكها من الملوك: ثمانية عشر سلطانا؛ منهم من ذكرنا، ومنهم من سكتنا عنه، ولكلّ سلطان سيرة وأحكام ليست لغيره.

قال: وحضرتُ يوما في ديوانهم لأرى ترتيبهم. فممّا رأيت أنّ الملِك منهم هو الذي يقوم برزق رعيّته، بلغوا ما بلغوا؛ فرأيتهم إذا استوى الطعام، وقف خلق لا يحصى عددهم كثرة، يسمّونهم الجباة، وهم رسل أهل كلّ بيت، فيعطيه الأمين من المطبخ على قدر عائلته، ويأخذه الجابي وينصرف.

وأمّا الذي يقسّــمه عليهم شخص واحد لا غير، له من الأيدي على قدر الجباة؛ فيغرف في الزمن الواحد لكلّ شخص طعامه في وعائه وينصرف، وما فَضَـلَ من ذلك يُرفع إلى خزانة. فإذا فرغ منهم ذلك القاسم؛ دخل الخزانة، وأخذ ما فضـل وخرج به إلى الصـعاليك، الذين على باب دار الملِك، فيلقيه إليهم فيأكلوه، هكذا في كلّ يوم.

ولكلّ[٢] ملِك شخص حسن الهيئة، هو على الخزانة، يدعونه "الخازن"، بيده جميع ما يملكه ذلك الملِك. ومن شرعهم أنّه إذا ولّاه ليس له عزله. ورأيت فيهم شخصــا أعجبتني حركاته، وهو

(١) ص ٩٣ب
(٢) ص ٩٤

جالس إلى جانب الملِك، وكنت على يمين الملِك، فسألته: ما منزلة هذا عندكم؟ فتبسّم وقال: أعجبك؟ قلت له: نعم. قال: هذا المعمار الذي يبني لنا المساكن والمدن، وجميع ما تراه من آثار عمله. ورأيت في سوق صيارفهم أنّه لا ينتقد لهم سِكّتهم إلّا واحد في المدينة كلّها، وفيما تحت يد ذلك الملِك من المدن.

قال: وهكذا رأيت سيرتهم في كلّ أمر لا يقوم به إلّا واحد، لكن له وَزَعَة[1]. وأهل هذه الأرض أعرف الناس بالله، وكلّ ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكنا قد وقع، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[2]. فعلمنا أنّ العقول قاصرة، وأنّ الله قادر على جمع الضدّين، ووجود الجسم في مكانين، وقيام العرَض بنفسه وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، وكلّ حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها، وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض، وكلّ جسد يتشكل فيه الروحاني، من ملَك وجنّ، وكلّ صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم: فمن أجساد هذه الأرض لها من هذه الأرض[3] موضع مخصوص، ولهم رقائق ممتدّة إلى جميع العالَم، وعلى كلّ رقيقة أمينٌ. فإذا عاين ذلك الأمين، روحا من الأرواح، قد استعدّ لصورة من هذه الصور التي بيده؛ كساه إيّاها، كصورة دحية لجبريل.

وسبب ذلك: أنّ هذه الأرض مدّها الحقّ -تعالى- في البرزخ، وعيّن منها موضعا لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيّات وتنتقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت، فنحن من بعض عالَمها. ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجنّة يسمّى السوق. ونحن نبيّن لك مثال صورة امتداد الطرف، الذي يلي العالَم من هذه الأرض. وذلك أنّ الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس والقمر، ثمّ حال بأهداب أجفانه بين الناظر والجسم المستنير، يبصر من ذلك الجسم المستنير إلى عينيه، شبه الخطوط من النور، تتّصل من السراج إلى عينيه[4]، متعدِّدة. فإذا رفع تلك الأهداب، من مقابلة الناظر قليلا قليلا، يرى تلك الخطوط الممتدّة، تنقبض إلى الجسم المستنير.

---

(١) وزعة: أعوان.
(٢) [البقرة: ٢٠]
(٣) ص ٩٤ب
(٤) ق: عينه

فالجسم المستنير مثال للموضع المعيّن من هذه الأرض لتلك الصور، والناظر مثال[1] العالم، وامتداد تلك الخطوط كصور الأجساد التي تنتقل إليها في النوم وبعد الموت، وفي سوق الجنّة، والتي تلبسها الأرواح[2]، وقصدُك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل، من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر والجسم النيّر مثال الاستعداد، وانبعاث تلك الخطوط عند هذه الحال انبعاثُ الصور عند الاستعداد، وانقباضُ الخطوط إلى الجسم النيّر عند رفع الحائل، رجوعُ الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد. وليس بعد هذا البيان بيان. وقد بسطنا القول في عجائب هذه الأرض وما يتعلّق بها من المعارف في كتاب كبير لنا فيها خاصّة. انتهى الجزء الحادي[3] عشر[4].

(١) ق: "مثل".
(٢) ص ٩٥
(٣) ق: الحادي أحد
(٤) في الهامش: "بلغ قراءة لأحمد العلوي على المؤلف أيّده الله".
وأسفل الصفة: "سمع جميع هذا الجزء إلى البلاغ في الجزء الثاني عشر بخط القاري على مصنّفه الشيخ الإمام العالم محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي، بقراءة الأمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي، الأئمة أبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الاربلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي الواعظ، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف-، وأبو الفضل يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجا- الحنفيان-، وعيسى بن اسحق الهذياني، ويعقوب بن معاذ الوربي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، ومحمد بن علي بن محمد- الدمشقيان- وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي(= الأخلاطي) ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، وحسين بن محمد الموصلي، ومحمد بن يرنقش المعظمي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم الدمشقي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي.
وسمع من موضع اسمه إلى البلاغ أحمد بن محمد البرزالي.
وسمعوا من موضع أسمائهم إلى البلاغ أحمد بن أبي بكر بن سليمان الحموي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة، وعلي بن أبي الغنائم الغسال.
وسمع من باب "بدء الجسوم الإنسانية" إلى البلاغ بيان بن عثمان بن محمد الحنبلي.- وذلك في مجلسين آخرهما ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمنزل المصنف بدمشق.- والحمد لله وصلاته على محمد وآله".
ثم يلي ذلك في يمين الكتابة السابقة: "وسمع مع هذه الجماعة بالقراءة والتاريخ يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي. كتبه إبراهيم القرشي. وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي الواعظ أبوه. كتبه إبراهيم حامدا ومصليا".

الجزء الثاني عشر من الفتح المكي(١)

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

الباب التاسع

في معرفة وجود الأرواح المارِجيَّةِ النَّارِيَّةِ

مَرَجَ النَّارَ والنَّباتَ فقامَتْ صُورَةُ الجِنِّ بَرْزَخًا بَيْنَ شَيْئَيْنْ
بَيْنَ رُوْحٍ مُجَسَّمٍ ذِي مَكانٍ فِي حَضِيْضٍ وَبَيْنَ رُوْحٍ بِلا أَينْ
فالذِي قابَلَ التَّجَسُّمَ مِنْهَا طَلَبَ القُوتَ لِلتَّغَذِّي بِلا مَينْ
والذِي قابَلَ المَلائِكَ مِنْهَا قَبِلَ القَلْبَ بِالتَّشَكُّلِ فِي العَينْ
ولِهَذَا يُطِيعُ وَقْتًا وَيَعْصِي وَيُجَازَى مُخَالِفُوهُمْ بِنارَينْ

قال الله -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾(٣) وورد في الحديث الصحيح «أنّ الله خلق الملائكة من نور، وخلق الله الجانّ من نار، وخلق الإنسان مما قيل لكم» فأمّا قوله عليه السلام في خلق الإنسان: «مما قيل لكم» ولم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة والجانّ، طلبا للاختصار؛ فإنّه أوتي جوامع الكلم، وهذا منها. فإنّ الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجانّ، وأمّا الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق: فَخَلْقُ آدم لا يشبه خَلْقَ حوّاء، وخَلْقُ(٤) حوّاء لا يشبه خَلْقَ سائر بني آدم، وخَلْقُ عيسى عليه السلام لا يشبه خَلْقَ مَن ذكرنا. فقصد رسول الله ﷺ الاختصار، وأحال على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان. فآدم من طين، وحوّاء من ضلع، وعيسى من نَفْخ روح، وبنو(٥) آدم من ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾(٦).

ولَمّا أنشأ اللهُ الأركان الأربعة، وعلا الدخان إلى مقعّر فلك الكواكب الثابتة، وفتق في ذلك

(١) ص ٩٥ب
(٢) البسملة ص ٩٦
(٣) [الرحمن: ١٥]
(٤) ص ٩٦ب
(٥) ق: "وبني" وصححت بالهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٦) [السجدة: ٨]

الدخان سبع سماوات، ميّز بعضها عن بعض ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾[1] بعد ما قدّر في الأرض أقواتَها، وذلك كلّه في أربعة أيّام. ثمّ قال للسماوات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ أي أجيبا إذا دُعِيتُما لما يراد منكما، مما أُمِّنتما عليه أن تُبرزاه فـ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[2].

فجعل -سبحانه- بين السماء والأرض التحاما معنويّا، وتَوَجُّهًا لما يريد -سبحانه- أن يوجده، في هذه الأرض، من المولّدات من معدن ونبات وحيوان، وجعل الأرض كالأهل[3]، وجعل السماء كالبعل[4]، والسماء تلقي إلى الأرض من الأمر الذي أوحى الله فيها، كما يلقي الرجل الماء بالجماع في المرأة، وتُبْرِز الأرض عند الإلقاء ما خبّأه الحقّ فيها من التكوينات على طبقاتها.

فكان من ذلك أنّ الهواء لمّا اشتعل وحَمِي، اتّقد مثل السراج، وهو اشتعال النار ذلك اللهب، الذي هو احتراق الهواء، وهو المارج. وإنما[5] سمّي مارجا، لأنّه نار مختلط بهواء، وهو الهواء المشتعِل، فإنّ المرْج: الاختلاط، ومنه سمّى المرج مرجا لاختلاط النبات فيه.

فهو من عنصرين: هواء ونار -أعني الجانّ- كما كان آدمُ من عنصرين: ماء وتراب عُجِنَ به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارج، ففتح -سبحانه- في ذلك المارج صورة الجانّ، فبما فيه من الهواء، يتشكل في أيّ صورة شاء، وبما فيه من النار سَخُفَ وعَظُمَ لطفه، وكان فيه طلب القهر والاستكبار والعزّة؛ فإنّ النار أرفع الأركان مكانا. وله سلطان على إحالة الأشياء التي تقتضيها الطبيعة، وهو السبب الموجب، لكونه استكبر عن السجود لآدم عندما أمره الله ﷻ بتأويلٍ أدّاه أن يقول: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[6] يعني بحكم الأصل الذي فضّل الله به بين الأركان الأربعة[7].

وما علم أنّ سلطان الماء، الذي خلق منه آدم أقوى منه، فإنّه يُذهبه، وأنّ التراب أثبت منه، للبرد واليبس، فلآدم القوّة والثبوت لغلبة الركنين اللذين أوجده الله منهما، وإن كان فيه بقيّة الأركان، ولكن ليس لها ذلك السلطان وهو الهواء والنار كما في الجانّ من بقيّة الأركان، ولذا سمّي مارجا، ولكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان.

---

(١) [فصلت: ١٢]
(٢) [فصلت: ١١]
(٣) كالأهل: كالزوجة.
(٤) كالبعل: كالزوج.
(٥) ص ٩٧
(٦) [الأعراف: ١٢]
(٧) في الهامش: "بلغ".

وأعطي آدم التواضع للطينيّة[1] بالطبع، فإن تكبّر فلأمر يَعْرض له، يقبله بما فيه من الناريّة، كما يقبل اختلاف الصور في خياله وفي أحواله من الهوائيّة، وأعطي الجانُّ التكبّر بالطبع للناريّة، فإن تواضع فلأمر يعرض له، يقبله بما فيه من الترابيّة، كما يقبل الثبات على الإغواء، إن كان شيطانا، والثبات على الطاعات إن لم يكن شيطانا.

وقد أخبر النبيّ ﷺ لمّا تلا سورة الرحمن على أصحابه قال: «إنّي تلوتها على الجنّ فكانوا أحسن استماعا لها منكم، فكانوا يقولون: ولا بشيء من آلاء ربّنا نكذب، إذا قلت: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]»، ثابتِين عليه ما تزلزلوا عندما كان يقول لهم عليه السلام في تلاوته: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وذلك بما فيه من الترابيّة، وبما فيه من المائيّة: ذهبت بحميّة الناريّة. فمنهم الطائع والعاصي مثلنا، ولهم التشكّل في الصور كالملائكة.

وأخذ الله بأبصارنا عنهم فلا نراهم، إلّا إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم. ولَمّا كانوا من عالم السخافة واللطف، قبِلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسّيّة، فالصورة الأصليّة التي يُنسب إليها الروحاني، إنما هي أوّل صورة قَبِل عند ما أوجده الله، ثمّ تختلف عليه الصور[3] بحسب ما يريد أن يدخل فيها، ولو كشف الله عن أبصارنا، حتى نرى ما تصوّره القوّة المصوّرة التي وكّلها الله بالتصوير في خيال المتخيّل منّا، لرأيت مع الأناة الإنسان في صور مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا.

ولَمّا نُفِخ الروح في اللهب، وهو كثير الاضطراب لسخافته، زاده النفخ اضطرابا، وغلب الهواء عليه، وعدم قراره على حالة واحدة، ظهر عالَم الجان على تلك الصورة. وكما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم، فكانت الذرّيّة والتوالد في هذا الصنف البشري الآدمي، كذلك وقع التناسل في الجانّ، بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم، فكانت الذرّيّة والتوالد في صنف الجانّ، وكان وجودهم بـ"القوس"[4]، وهو ناريٌّ، هكذا ذكر الوارد حَفِظَه الله.

فكان بين خلق الجانّ وخلق آدم ستّون ألف سنة، وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس، أن ينقطع التوالد من الجانّ بعد انقضاء أربعة آلاف سنة، وينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء

---

(١) ص ٩٧ب
(٢) [الرحمن: ١٣]
(٣) ص ٩٨
(٤) يقصد في برج القوس.

سبعة آلاف سنة، ولم يقع الأمر على ذلك، بل الأمر راجع إلى ما يريده الله. فالتوالد في الجنّ إلى اليوم باق، وكذلك فينا. فتحقّق بهذا كم لآدم من السنين؟ وكم[1] بقي إلى انقضاء الدنيا؟ وفناء البشر عن ظهرها وانقلابهم إلى الدار الآخرة؟ وليس هذا بمذهب الراسخين في العلم، وإنما قال به شرذمة لا يُعتدُّ بقولها.

فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار، والجانّ أرواح منفوخة في رياح، والأناسيّ أرواح منفوخة في أشباح، ويقال: إنّه لم يفصل عن الموجود الأوّل من الجانّ أنثى، كما فصلت حوّاء من آدم. قال بعضهم: "إنّ الله خلق للموجود الأوّل من الجانّ فَرْجًا في نفسه، فنكح بعضه ببعضه، فولد مثل ذرّيّة آدم ذكرانا وإناثا، ثمّ نكح بعضهم بعضا، فكان خلقه خنثى، ولذلك هم الجانّ من عالَم البرزخ، لهم شَبَه بالبشر وشبه بالملائكة، كالخنثى يشبه الذَّكَر ويشبه الأنثى. وقد روينا فيما رويناه من الأخبار، عن بعض أئمّة الدين أنّه رأى رجلا ومعه ولدان -وكان خنثى- الواحد من ظهره، والآخر من بطنه، نَكَح فولد له، ونُكِح فَوَلد. وسمّي خنثى من الإنخناث وهو الاسترخاء، والرخاوةُ عدمُ القوّة والشدّة، فلم تَقْوَ فيه قوّة الذكوريّة، فيكون ذَكَرا، ولم تقو فيه قوّة الأنوثة فيكون أنثى، فاسترخى عن هاتين القوّتين فسمّي خنثى، والله أعلم.

ولَمّا غلب على الجانّ عنصر الهواء والنار، لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء[2] مما في العظام من الدسم، فإنّ الله جاعل لهم فيها رزقا، فإنّا نشاهد جوهر العظم وما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء، فعلِمنا قطعا أنّ الله جاعل لهم فيها رزقا، ولهذا قال النبيّ ﷺ في العظام: «إنّها زاد إخوانكم من الجنّ» وفي حديث «إنّ الله جاعل لهم فيها رزقا» وأخبرني بعض المكاشَفين أنّه رأى الجنّ يأتون إلى العظم فيشمّونه كما تشمّ السباع، ثمّ يرجعون وقد أخذوا رزقَهم وغذاءهم في ذلك الشمّ، فسبحان اللطيف الخبير.

وأمّا اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح، فالتواءٌ مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأَتُّون[3]، أو من فرن الفخار، يدخل بعضه في بعضه، فيلتذّ كلّ واحد من الشخصين بذلك التداخل، ويكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرّد الرائحة، كغذائهم سَوَاء.

وهم قبائل وعشائر، وقد ذكر أنّهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا، ثمّ يتفرّعون إلى

(١) ص ٩٨ب
(٢) ص ٩٩
(٣) الأَتُّونُ: أُخْدُودُ الجَبّارِ والجصَّاص، وأَتُّون الحَمّام.

أفخاذ، وتقع بينهم حروب عظيمة، وبعض الزوابع قد يكون عين حربهم، فإنّ الزوبعة تَقَابُل ريحين، تمنع كلّ واحدة صاحبتها أن تخترقها، فيؤدّي ذلك المنع إلى الدَّوْر المشهود في الغبرة في الحِسّ، التي أثارها تَقابُلُ الريحين المتضادّين، فمثل ذلك يكون حربهم، وما[1] كلّ زوبعة حربهم، وقصّة[2] عمرو الجنّي -رحمه الله-، مشهورة مرويّة، وقَتْلُهُ في الزوبعة التي أُبْصِرتْ فانقشعتْ عنه وهو على الموت، فما لبث أن مات، وكان عبدا صالحا من الجانّ، ولو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار وحكايات لذكرنا منها طرفا، وإنما هذا كتاب علم المعاني، فلتنظر[3] حكاياتهم في تواريخ الأدب وأشعارهم.

ثمّ نرجع ونقول: وإنّ هذا العالَم الروحانيّ إذا تشكل وظهر في صورة حسّيّة، يقيّده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ينظر إليه بالخاصّيّة، ولكن من الإنسان، فإذا قيّده، ولم يبرح ناظرا إليه، وليس له موضع يتوارى فيه، أظهر له هذا الروحانيّ صورة، جعلها عليه كالستر، ثمّ يخيّل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها بصره، فإذا اتّبعها بصره، خرج الروحانيّ عن تقييده، فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي أتبعها بصره، فإنّها للروحانيّ كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نورُه، فإذا غاب جسم السراج فُقِد ذلك النور، فهكذا هذه الصورة. فمن يعرف هذا ويحبّ تقييده، لا يُتبع الصورةَ بصرُه. وهذا من الأسرار الإلهيّة التي[4] لا تُعرف إلّا بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الروحانيّ، بل هي عينه، ولو كانت في ألف مكان، أو في كلّ مكان ومختلفة الأشكال.

وإذا اتّفق قتلُ صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الروحانيّ من الحياة الدنيا إلى البرزخ، كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له في عالَم الدنيا حديث، مِثلنا سَوَاء، وتسمّى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيّات أجسادا وهو قوله -تعالى-: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾[5] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[6] والفَرق بين الجانّ والملائكة وإن اشتركوا في الروحانيّة: أنّ الجانّ غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعيّة من المطاعم.

---

(١) ص ٩٩ب
(٢) ق: "وحديث" وصححت أعلى الكلمة.
(٣) ق: فلينظر.
(٤) ص ١٠٠
(٥) [ص: ٣٤]
(٦) [الأنبياء: ٨]

والملائكة ليست كذلك. ولهذا ذكر الله في قصّة ضيف إبراهيم الخليل: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾[١] يعني إلى العجل الحنيذ، أي لا يأكلون منه، وخاف.

وحين جاء وقت إنشـــاء عالَم الجانّ، توجَّهَ من الأمناء الذين في الفلَك الأوّل من الملائكة، ثلاثة، ثمّ أَخذوا من نوّابهم من الســماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشء، ثمّ نزلوا إلى السماوات، فأخذوا من النوّاب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك، ونزلوا إلى الأركان فهيّؤوا المحلّ، واتّبعتهم ثلاثة أُخر من[٢] الأمناء، وأخذوا من الثانية ما يحتاجون إليه من نوّابهم، ثمّ نزلوا إلى السماء الثالثة والخامسة[٣] من هناك فأخذوا ملَكين، ومرّوا بالسماء السادسة فأخذوا نائبا آخر من الملائكة، ونزلوا إلى الأركان ليُكمّلوا التسوية، فنزلت الستّة الباقية وأخذت ما بقي من النوّاب في الســماء الثانية وفي الســماوات، فاجتمع الكلّ على تسوية هذه النشـأة بإذن العليم الحكيم.

فلمّا تمّتْ نشأتُه، واستقامتْ بِنيته، توجّه الروح من عالَم الأمر، فنفخ في تلك الصورة روحا، سرتْ فيه بوجودها الحياة، فقام ناطقا بالحمد والثناء لمن أوجده جِبِلّة جُبِل عليها، وفي نفسه عزّةٌ وعظمةٌ لا يعرف سببها ولا على من يعتزّ بها، إذ لم يكن ثَمَّ مخلوق آخر من عالَم الطبائع سِوَاهُ، فبقي عابدا لربّه مصرًّا على عزّته، متواضعا لربوبيّة موجده، بما يعرض له مما هو عليه في نشأته، إلى أن خُلق آدم. فلمّا رأى الجانُّ صورتَه غلب على واحد منهم -اسمه الحارث[٤]- بُغض تلك النشأة، وتجهَّم وجهُه لرؤية تلك الصورة الآدميّة، وظهر ذلك منه لجنسه. فعتبوه لذلك، لما رأوه عليه من الغمّ والحزن لها. فلمّا كان من أمر آدم ما كان، أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه، وأبى عن امتثال أمر[٥] خالقه بالسجود لآدم، واستكبر على آدم بنشأته وافتخر بأصله، وغاب عنه سِرّ قوّة الماء الذي جعل الله منه كلّ شيء حيّ، ومنه كانت حياة الجانّ وهم لا يشعرون.

وتأمّل إن كنت من أهل الفهم قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ عَرۡشُـــهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[٦] فحيي العرش

---

(١) [هود: ٧٠]
(٢) ص ١٠٠ب
(٣) ق: "والرابعة" وعليها إشارة حذف، وصححت بالهامش بقلم الأصل.
(٤) رسمها في ق: "الحرث" وكذلك في ما يلي في هذا الباب.
(٥) ص ١٠١
(٦) [هود: ٧]

وما حوى عليه من المخلوقات ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1] فجاء بالنكرة ولا يسبّح إلّا حيّ. ورد في الحديث الحسن عن رسول الله ﷺ: «إنّ الملائكة قالت: يا ربّ -في حديث طويل- هل خلقتَ شيئا أشدّ من النار؟ قال: نعم؛ الماء. فجعل الماء أقوى من النار» فلو كان عنصر الهواء في نشأة الجانّ، غير مشتعل بالنار، لكان الجانُّ أقوى من بني آدم، فإنّ الهواء أقوى من الماء، فإنّ الملائكة قالت في هذا الحديث: «يا ربّ؛ فهل خلقتَ شيئا أشدّ من الماء؟ قال: نعم، الهواء. ثمّ قالت: يا ربّ؛ فهل خلقتَ شيئا أشدّ من الهواء؟ قال: نعم، ابن آدم» الحديث. فجعل النشأة الإنسانيّة أقوى من الهواء، وجعل الماء أقوى من النار، وهو العنصر الأعظم في الإنسان، كما أنّ النار العنصر الأعظم في الجانّ. ولهذا قال في الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2] فلم ينسب إليه من القوّة شيئا، ولم يردّ على العزيز في قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[3] ولا أكْذَبه، مع[4] ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل[5]، فإنّ النساء ناقصات عقل، فما ظنّك بقوّة الرجل!.

وسبب ذلك أنّ النشأة الإنسانيّة، تعطي التؤدة في الأمور والأناة والفكر والتدبير، لغلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه فيكون وافر العقل لأنّ التراب يثبّطه ويُمْسِكُه، والماء يليّنه ويسهّله، والجانّ ليس كذلك، فإنّه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الذي للإنسان، ولهذا يقال: فلانٌ خفيف العقل، وسخيف العقل، إذا كان ضعيفَ الرأي، هلباجة، وهذا هو نعت الجانّ، وبه ضلّ عن طريق الهدى لخفّة عقله، وعدم[6] تثبُّته في نظره، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[7] فجمع بين الجهل وسوء الأدب لخفّته.

فمن عصى من الجانّ، كان شيطانا، أي مبعودا من رحمة الله، وكان أوّل من سمّي شيطانا من الجنّ: الحارث، فأبلسه الله، أي طرده من رحمته، وطرد الرحمة عنه، ومنه تفرّعت الشياطين بأجمعها. فمن آمن منهم، مثل هامة بن الهام بن لاقِيس بن إبليس، التحق بالمؤمنين من الجنّ، ومَن بقي على كفره كان شيطانا. وهي مسألة خلاف بين علماء الشريعة: فقال بعضهم: إنّ الشيطان لا

---

(١) [الإسراء: ٤٤]
(٢) [النساء: ٧٦]
(٣) [يوسف: ٢٨]
(٤) ص ١٠١ب
(٥) ثابت في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.
(٦) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٧) [الأعراف: ١٢]

يُسلِم أبدا، وتأوّل قوله ﷺ في شيطانه وهو القرين الموكل به: «إنّ الله أعانه عليه فأسلم» -روي برفع الميم وفتحِها أيضا-. فتأوّل[١] هذا القائل الرفع أنّه قال: فأسلمُ منه، أي ليس له عليَّ سبيل. وهكذا تأوّله المخالف وتأوّل الفتح فيه على الانقياد، قال: فمعناه انقاد مع كونه عدوّا، فهو -يعنيه- لا يأمرني إلّا بخير، جبرا من الله وعصمة لرسول الله ﷺ. وقال المخالِف: معنى فأسلمَ -بالفتح-: أي آمنَ بالله، كما يُسلِم الكافر عندنا، فيرجع مؤمنا وهو الأَوْلَى والأوجَه.

وأكثر الناس يزعمون أنّه أوّل الجنّ؛ بمنزلة آدم من الناس، وليس كذلك عندنا، بل هو واحد من الجنّ، وأنّ الأوّل فيهم بمنزلة آدم في البشر إنما هو غيره، ولذلك قال الله -تعالى-: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾[٢] أي من هذا الصنف من المخلوقين، كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقيّا، فهو أوّل الأشقياء من البشر، وإبليس أوّل الأشقياء من الجنّ، وعذاب الشياطين من الجنّ في جهنّم أكثر ما يكون بالزمهرير لا بالحَرور، وقد يعذَّب بالنار، وبنو آدم: أكثر عذابهم بالنار.

ووقفتُ يوما على مخبول العقل من الأولياء، وعيناه تدمعان، وهو يقول للناس لا تقفوا مع قوله -تعالى-: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾[٣] لإبليس فقط، بل انظروا في إشارته -سبحانه- لكم بقوله لإبليس: ﴿جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ فإنّه مخلوق من النار، فيعود -لعنه الله- إلى أصله، وإن عذّب به، فعذاب[٤] الفخار بالنار أشدّ، فتحفّظوا. فما نظر هذا الوليّ من ذِكْر جهنّم إلّا النار خاصّة، وغفل عن أنّ جهنّم اسمٌ لحرورها وزمهريرها، وبجملتها سُمّيت جهنّم، لأنّها كريهة المنظر، والجهام: السحاب الذي قد هَرَق ماءه. والغيث: رحمةُ الله. فلمّا أزال الله الغيثَ من السحاب بإنزاله، أطلق عليه اسم الجهام، لزوال الرحمة الذي هو الغيث منه. كذلك الرحمة أزالها الله من جهنّم، فكانت كريهةَ المنظر والمخبر. وسُمّيت أيضا جهنّم لبعد قعرها. يقال: رَكِيَّة جِهنام، إذا كانت بعيدة القعر. نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين الأمن منها[٥]. ويكفي هذا القدر من هذا الباب.

---

(١) ص ١٠٢
(٢) [الكهف: ٥٠]
(٣) [ص: ٨٥]
(٤) ص ١٠٢ب
(٥) "الأمن منها" ثابتة في الهامش.

الباب العاشر
في معرفة دورة المُلْك

وأوّل منفصِل فيها عن أوّل موجود، وآخر منفصَل فيها عن آخر منفصَل عنه، وبماذا عمر الموضع المنفصَل عنه منها؟ وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها، وما مرتبة العالَم الذي بين عيسى ومحمد -عليهما[1] السلام- وهو زمان الفترة

المَلْكُ لَوْلَا وُجُودُ الْمُلْكِ ما عُرِفَا   وَلَمْ تَكُنْ صِفَةٌ مِمَّا بِهِ وُصِفَا
فَدَوْرَةُ الْمُلْكِ بُرْهَانٌ عَلَيْهِ لِذَا   قَدِ التَقَتْ طَرَفاهَا، هَكَذَا كُشِفَا
فَكَانَ آخِرُها كَمِثْلِ أَوَّلِها   وَكانَ أَوَّلُها عَنْ سابِقٍ سَلَفَا
وعِنْدَما كَمُلَتْ بِالخَتْمِ قَامَ بِها   مَلِيْكُها سَيِّدًا للهِ مُعْتَرِفَا
أَعْطاهُ خَالِقُهُ فَضْلًا مَعَارِفَها   وَمَا يَكُونُ وَما قَدْ كانَ وانْصَرَفَا

اعلم -أيّدك الله- أنّه ورد في الخبر، أنّ النبيّ ﷺ قال: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» -بالراء- وفي رواية بالزاي وهو (أي الفخر) التبجح بالباطل وفي صحيح مسلم: «أنا سيّد الناس يوم القيامة» فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر، وقال ﵇: «كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين» يريد (أنّه) على علم بذلك، فأخبره الله -تعالى- بمرتبته، وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانيّة، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم، وألحقَنا الله -تعالى- بأنبيائه، بأن جعلَنا شهداء على أممهم معهم حين يَبعث من كلّ أمّة شهيدا عليهم من أنفسهم وهم الرسل، فكانت الأنبياء في[2] العالَم نوّابه ﷺ، من آدم إلى آخر الرسل -عليهم السلام-.

وقد أبان ﷺ عن هذا المقام، بأمور منها قوله ﷺ: «واللهِ؛ لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني» وقوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان: «إنّه يؤمُّنا منّا»، أي يحكم فينا بسنّة

---
(١) ص ١٠٣
(٢) ص ١٠٣ب

نبيّنا ﷺ، «ويكسر الصليب ويقتل الخنزير» ولو كان محمد ﷺ قد بعث في زمان آدم، لكانت الأنبياء وجميع الناس تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حِسًّا، ولهذا لم يُبعث عامّة إلّا هو، خاصّة، فهو الملِك والسيّد، وكلُّ رسول سِوَاهُ فبُعث إلى قوم مخصوصين، فلم تعمّ رسالة أحد من الرسل سِوَى رسالته ﷺ. فمن زمان آدم ﷺ إلى زمان بعث محمد ﷺ، إلى يوم القيامة مُلكُه، وتقدُّمه في الآخرة على جميع الرسل وسيادته، فمنصوص على ذلك في الصحيح عنه.

فروحانيّته ﷺ موجودة وروحانيّة كلّ نبيّ ورسول، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة، بما يظهرون به من الشرائع والعلوم، في زمان وجودهم رسلا، وتشريعه الشرائع: كعليٍّ ومعاذ وغيرهما في زمان وجودهم ووجوده ﷺ.[(١)] وكإلياس وخضر -عليهما السلام- وعيسى ﷺ في زمان ظهوره في آخر الزمان حاكما بشرع محمد ﷺ في أمّته، المقرّر في الظاهر، لكن لَمّا لم يتقدّم في عالم الحسّ وجود عينه ﷺ أوّلًا، نُسب كلّ شرع إلى مَن بُعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ، وإن كان مفقودَ العين من حيث لا يُعلم ذلك، كما هو مفقود العين الآن، وفي زمان نزول عيسى ﷺ؛ فالحكم بشرعه[(٢)].

وأمّا نَسْخُ الله بشرعه جميعَ الشرائع، فلا يُخرِج هذا النسخ ما تقدّم من الشرائع، أن يكون مِن شرعه، فإنّ الله قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزّل به ﷺ في القرآن والسنّة، النسخَ، مع إجماعنا واتّفاقنا على أنّ ذلك المنسوخ شرعُه الذي بُعث به إلينا، فنسخ بالمتأخِّرِ المتقدّمَ، فكان تنبيها لنا -هذا النسخ الموجود في القرآن والسنّة- على أنّ نسخه لجميع الشرائع المتقدّمة، لا يخرجها عن كونها شرعا له. وكان نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان حاكما بغير شرعه أو بعضه[(٣)] الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكمِه بالشرع المحمديّ المقرّر اليوم، دليلا على أنّه لا حكم لأحد اليوم من[(٤)] الأنبياء -عليهم السلام-، مع وجود ما قرّره ﷺ في شرعه، ويدخل في ذلك ما هم عليه أهلُ الذمّة، من أهل الكتاب ما داموا "يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون" فإنّ حكم الشرع على الأحوال.

فخرج من هذا المجموع كلّه، أنّه مَلِك وسيّد على جميع بني آدم، وأنّ جميع مَن تقدّمه كان

---

(١) ص ١٠٤
(٢) هـ، س: والحكم بشرعه، ق: فالحكم شرعه
(٣) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٤) ص ١٠٤ب

مُلْكا له وتَبَعا، والحاكمون فيه نوّاب عنه. فإن قيل: فقوله ﷺ: «لا تفضّلوني» فالجواب: "نحن ما فضّلناه بل الله فضّله فإنّ ذلك ليس لنا" وإن كان قد ورد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(١) لَمّا ذكر الأنبياء -عليهم السلام- فهو صحيح، فإنّه قال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ وهداهم من الله وهو شرعُه ﷺ، أي الزم شرعك الذي ظهر به نوّابُك من إقامة الدين، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾(٢) فلم يقل: "فبهم اقتده" وفي قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ تنبيهٌ على أحديّة الشرائع، وقوله: ﴿ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(٣) وهو الدين فهو مأمور باتّباع الدين، فإنّ الدين إنما هو من الله لا من غيره.

وانظروا في قوله ﷺ: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني» فأضاف الاتّباع إليه، وأُمِر هو ﷺ باتّباع الدين وهَدْي الأنبياء لا بهم، فإنّ الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوّابه حكمٌ إلّا(٤) له، فإذا غاب حكم النوّاب بمراسمه، فهو الحاكم غيبا وشهادة، وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات، إلّا تأنيسا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه، ولا أطلعه الله على ذلك من نفسه.

وأمّا أهل الله فهم على ما نحن عليه فيه، قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك، من عند ربّهم في نفوسهم، وإن كان يُتصوّر على جميع ما أوردناه في ذلك احتمالات كثيرة، فذلك راجع إلى ما تعطيه الألفاظ من القوّة في أصل وضعها، لا ما هو عليه الأمر في نفسه، عند أهل الأذواق، الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر وأمثاله. فإنّ الإنسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحدا -مَثَلا- من المعاني التي يتضمّنها ذلك الكلام، فإذا فُسِّر بغير مقصود المتكلّم من تلك المعاني، فإنما فَسَّر المفسِّر بعض(٥) ما تعطيه قوّة اللفظ، وإن كان لم يصب مقصود المتكلّم.

ألا ترى الصحابة كيف شَقَّ عليهم قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾(٦) فأتى به نكرة، فقالوا: "وأيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟". فهؤلاء الصحابة، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، ما عرفوا مقصود الحقّ من الآية، والذي نظروه سائغ في الكلمة غير منكور، فقال لهم النبيّ ﷺ: «ليس الأمر كما ظننتم؛ وإنما أراد الله(٧) بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:

---

(١) [الأنعام: ٩٠]
(٢) [الشورى: ١٣]
(٣) [النحل: ١٢٣]
(٤) ص ١٠٥
(٥) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٦) [الأنعام: ٨٢]
(٧) ص ١٠٥ب

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[1]» فقوّة الكلمة تعمّ كلّ ظلم، وقصدُ المتكلّم إنما هو ظلم معيّن مخصوص. فكذلك ما أوردناه من الأخبار، في أنّ بني آدم سوقة ومُلك لهذا السيّد محمد ﷺ هو المقصود من طريق الكشف، كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلّم به؛ الشرك خاصة. ولذلك تتقوّى التفاسير في الكلام بقرائن الأحوال، فإنّها المميّزة للمعاني المقصودة للمتكلِّم، فكيف من عنده الكشف الإلهيّ، والعلم اللدنّيّ الربّانيّ؟

فينبغي للعاقل المنصف، أن يسلِّم لهؤلاء القوم ما يخبِرون به، فإن صدقوا في ذلك، فذلك الظنّ بهم، وأُنصفوا بالتسليم، حيث لم يَرُدَّ المسلِّم ما هو حقٌّ في نفس الأمر. وإن لم يصدقوا لم يضرّ المسلِّم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطعٌ، ورَدُّوا علم ذلك إلى الله -تعالى- . فَوَفَّوا الربوبيّة حقّها، إذ كان ما قاله أولياءُ الله ممكنا، فالتسليم أَوْلَى بكلّ وجه.

وهذا الذي نزعنا إليه من دورة المُلْك، قال به غيرنا كالإمام أبي القاسم بن قسيّ[2] في "خلعه"، وهو روايتنا عن ابنه عنه، وهو من سادات القوم، وكان شيخه الذي كشف له على يديه، من[3] أكبر شيوخ المغرب، يقال له: ابن خليل من أهل لَبْلَة، فنحن ما نعتمد في كلّ ما نذكره إلّا على ما يلقي الله عندنا من ذلك، لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه، وقد تكون جميع المحتملات في بعض الكلام مقصودة للمتكلِّم، فنقول بها كلّها.

فدورة المُلْك، عبارة عمّا مهّد الله من آدم إلى زمان محمد ﷺ، من الترتيبات في هذه النشأة الإنسانيّة، بما ظهر من الأحكام الإلهيّة فيها، فكانوا خلفاء الخليفة السيّد، فأوّل موجود ظهر من الأجسام الإنسانيّة، كان آدم عليه السلام وهو الأب الأوّل من هذا الجنس، وسائر الآباء من الأجناس يأتي بعد هذا الباب -إن شاء الله-.

وهو أوّل مَن ظهر بحكم الله من هذا الجنس، ولكن كما قرّرناه، ثمّ فَصَل عنه أبًا ثانيا لنا سمّاه أُمّا، فصحّ لهذا الأب الأوّل الدرجة عليها لكونه أصلا لها، فختم النوّاب من دورة المُلْك بمثل ما به بدأ، لينبّه على أنّ الفضل بيد الله، وأنّ ذلك الأمر ما اقتضاه الأب الأوّل لذاته، فأوجد عيسى عن مريم، فتنزّلت مريم منزلة آدم، وتنزّل عيسى منزلة حوّاء، فكما وُجِدَتْ أنثى من ذكر وُجِد

---

(١) [لقمان: ١٣]

(٢) ابن قسي: أحمد بن القسي- أبو القاسم الصوفي صاحب المرتلة من بلاد الأندلس. سجنه عبد المؤمن، ومات بها سنة ٥٤٥. صنف "خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين". [هدية العارفين (١ / ٤٤)]

(٣) ص ١٠٦

ذَكَرٌ من أنثى، فَخَتم بمثل ما به بدأ، في إيجاد ابن من غير أب، كما كانت حوّاء من غير أُمّ، فكان عيسى وحوّاء أخوين[١]، وكان آدم ومريم أبوين[٢] لهما.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ[٣] عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[٤] فأوقع التشبيه في عدم الأبوّة الذُّكرانيّة، من أجل أنّه نصبه دليلا لعيسى في براءة أُمِّه ولم يوقع التشبيه بحوّاء، وإن كان الأمر عليه، لكون المرأة محلّ التهمة لوجود الحمل، إذ كانت محلّا موضوعا للولادة، وليس الرجل بمحلّ لذلك، والمقصود من الأدلّة ارتفاع الشكوك، وفي حوّاء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلّا لما صدر عنه من الولادة، وهذا لا يكون دليلا إلّا عند مَن ثبت عنده وجود آدم وتكوينه، والتكوين منه، وكما لا يُعهد ابنٌ من غير أب، كذلك لا يُعهد من غير أُمّ، فَالمَثَلُ من طريق المعنى، أنّ عيسى كحوّاء، ولكن لَمّا كان الدَّخَلْ يتطرَّق في ذلك من المنكِر، لكون الأنثى، كما قلنا، محلّا لما صدر عنها، ولذلك كانت التهمة، كان التشبيه بآدم لحصول براءة مريم مما يمكن في العادة. فظهور عيسى من مريم من غير أب كظهور حوّاء من آدم من غير أمٍّ وهو الأب الثاني.

ولَمّا انفصلتْ حوّاء من آدم، عَمَر موضعها منه بالشهوة النكاحيّة إليها، التي وقع بها الغشيان لظهور التناسل والتوالد، وكان الهواء الخارج الذي عَمَر موضعه جسم حوّاء عند خروجها، إذ لا خلاء في العالَم، فطلب ذلك الجزء الهوائيُّ موضعه الذي أخذَتْهُ حوّاء بشخصيّتها، فحرّك آدم لطلب موضعه، فوجده معمورا[٥] بحوّاء، فوقع عليها فلمّا تغشّاها حملت منه فجاءت بالذرّيّة، فبقي ذلك سنّة جارية في الحيوان من بني آدم وغيره بالطبع.

لكن الإنسان هو الكلمة الجامعة ونسخة العالَم، فكلّ ما في العالَم جزء منه، وليس الإنسان بجزء لواحد من العالَم، وكان سبب هذا الفصل، وإيجاد هذا المنفصل الأوّل، طلب[٦] الأنس بالمُشاكل في الجنس، الذي هو النوع الأخصّ، وليكون في عالَم الأجسام بهذا الالتحام الطبيعيّ الإنسانيّ الكامل بالصورة، الذي أراده الله، ما يشبه القلم الأعلى واللوح المحفوظ، الذي يعبَّر عنه بالعقل الأوّل والنفس الكلّ. فإذا قلت: القلم الأعلى، فتفطّن للإشارة، التي تتضمّن الكاتب

(١) ق، هـ، س: أخوان
(٢) ق، هـ، س: أبوان
(٣) ص ١٠٦ب
(٤) [آل عمران: ٥٩]
(٥) ص ١٠٧
(٦) ثابت في الهامش بخط الأصل.

وقصد الكتابة، فيقوم معك معنى قول الشارع: «إنّ الله خلق آدم على صورته».

ثمّ عبارة الشارع في الكتاب العزيز، في إيجاد الأشياء عن ﴿كُن﴾ فأتى بحرفين، اللذين هما بمنزلة المقدِّمتين، وما يكون عند ﴿كُن﴾ بالنتيجة، وهذان الحرفان هما الظاهران. والثالث الذي هو الرابط بين المقدّمتين خفي في ﴿كُن﴾ وهو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين. كذلك إذا التقى الرجل والمرأة، لم يبق للقلم عينٌ ظاهرة، فكان إلقاؤه النطفة في الرحم، غيبا، لأنّه سِرٌّ، ولهذا عبّر عن النكاح بالسرّ في اللسان قال -تعالى-: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[1] وكذلك[2] عند الإلقاء يسكنان عن الحركة، وتَمَكَّنَ إخفاءُ القلم كما خفي الحرف الثالث الذي هو الواو من "كن" للساكنين، وكان الواو، لأنّ له العلوّ، لأنّه متولّد عن الرفع، وهو إشباع الضمّة، وهو من حروف العلّة.

وهذا الذي ذكرناه، إنما هو إذا كان المُلْك عبارة عن الأناسيّ خاصة، فإن نظرنا إلى سيادته على جميع ما سِوَى الحقّ، كما ذهب إليه بعض الناس، للحديث المرويّ: «إنّ الله يقول: لولاك -يا محمد- ما خلقتُ سماء ولا أرضا ولا جنّة ولا نارا» وذكر خلق كلّ ما سِوَى الله. فيكون أوّلُ منفصل فيها: النفسَ الكلّيّة عن أوّل موجود، وهو العقل الأوّل، وآخر منفصل فيها حوّاء عن آخر موجود آدم. فإنّ الإنسان آخر موجود من أجناس العالَم. فإنّه ما ثَمّ إلّا ستة أجناس، وكلّ جنس تحته أنواع، وتحت الأنواع أنواع. فالجنس الأوّل الْمَلَك. والثاني الجانّ. والثالث المعدن. والرابع النبات. والخامس الحيوان. وانتهى المُلْك وتمهّد واستوى، وكان الجنس السادس جنس الإنسان، وهو الخليفة على هذه المملكة.

وإنما وُجد آخرا، ليكون إماما بالفعل حقيقةً، لا بالصلاحيّة والقوّة. فعندما وُجد عينه، لم يوجد إلّا واليا سلطانا ملحوظا، ثمّ جعل له نوّابا حين تأخّرت نشأة جسده؛ فأوّل[3] نائب كان له وخليفة: آدم عليه السلام. ثمّ ولَد واتّصل النسل، وعيّن في كلّ زمان خلفاء، إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر محمد ﷺ، فظهر مثل الشمس الباهرة، فاندرج كلُّ نور في نوره الساطع، وغاب كلّ حكم في حكمه، وانقادتْ جميع الشرائع إليه، وظهرتْ سيادته التي كانت باطنة، فـ﴿هُوَ

(١) [البقرة: ٢٣٥]
(٢) ص ١٠٧ب
(٣) ص ١٠٨

﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] فإنّه قال: «أوتيت جوامع الكلم» وقال عن ربّه: «ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمتُ علم الأوّلين والآخرين» فحصل له التخلّق والنَّسب الإلهيّ من قوله -تعالى- عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ وجاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي ﴿فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[2] كذلك بُعث بالسيف وأُرسل رحمة للعالَمين.

وكلّ منفصل عن شيء فقد كان عامرا لما عنه انفصل، وقد قلنا: "إنّه لا خلاء في العالم"، فعمر موضع انفصاله بظلّه، إذ كان انفصاله إلى النور، وهو الظهور. فلمّا قابل النور بذاته امتدّ ظلُّه، فعَمَر موضع انفصاله؛ فلم يفقِده مَن انفصل عنه؛ فكان مشهودا لمن انفصل إليه، ومشهودا لمن انفصل عنه، وهو المعنى الذي أراده القائل[3] بقوله:

شَهِدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فمن[4] أسرار العالَم، أنّه ما من شيء يحدث إلّا وله ظلّ يسجد لله ليقوم بعبادة ربّه على كلّ حال، سَوَاء كان ذلك الأمر الحادث مطيعا أو عاصيا. فإن كان من أهل الموافقة كان وظلُّه على السواء، وإن كان مخالفا ناب ظلُّه منابه في الطاعة لله، قال الله -تعالى-: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[5].

السلطان ظلّ الله في الأرض؛ إذ كان ظهوره بجميع صور الأسماء الإلهيّة التي لها الأثر في عالم الدنيا. والعرش ظلّ الله في الآخرة. فالظِّلالات أبدا تابعة للصورة المنبعثة عنها، حِسًّا ومعنى. فالحسّ قاصر لا يقوى قوّة الظلّ المعنويّ للصورة المعنويّة، لأنّه يستدعي نورا مقيَّدا، لما في الحسّ من التقييد والضّيق وعدم الاتّساع. ولهذا نبّهنا على الظلّ المعنويّ، بما جاء في الشرع، من أنّ «السلطان ظلُّ الله في الأرض»، فقد بان لك أنّ بالظِّلالات عُمِرت الأماكن.

فهذا قد ذكرنا طرفا مما يليق بهذا الباب، ولم نمعن فيه مخافة التطويل، وفيما أوردناه كفاية لمن تنبّه، إن كان ذا فهم سليم، وتذكرة لمن شاهد وعلِم، واشتغل بما هو أعلى، أو غفل بما هو أنزل،

---

(١) [الحديد: ٣]

(٢) [الحديد: ٢٥]

(٣) القائل هو أبو بكر الشبلي (سبق تعريفه في الباب الخامس)، والبيت:

فلما أراني الوجدُ أنّكَ حاضري   شَهِدتُكَ موجودًا بكل مكانِ

(٤) ص ١٠٨ب

(٥) [الرعد: ١٥]

فيرجع إلى ما ذكرناه عندما ينظر في هذا الباب.

* * *

فَصْلٌ

(مراتب أهل الفترة)

وأمّا مرتبة العالَم الذي بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، وهم أهل الفترة، فهم على مراتب مختلفة بحسب ما(١) يتجلّى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم. فمنهم مَن وحَّد الله بما تجلّى لقلبه عند فكره، وهو صاحب الدليل، فهو على نور من ربّه، ممتزج بكونٍ من أجل فكره، فهذا يُبعث أمّة وحده، كقسّ بن ساعدة(٢) وأمثاله، فإنّه ذكر في خطبته ما يدلّ على ذلك، فإنّه ذكر المخلوقات واعتبارَه فيها، وهذا هو الفكر.

ومنهم مَن وحّد الله بنورٍ وجده في قلبه، لا يقدر على دفعه، من غير فكرة ولا رويّة، ولا

---

(١) ص ١٠٩

(٢) قس بن ساعدة: حكيم من أهل الفترة "هو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية، وأول من اتكأ على عصا في الخطبة، وأول من قال أما بعد. وأول من كتب: من فلان إلى فلان. وقد جاء أنه خطب الناس بعكاظ وبشرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحثّهم على اتّباعه وذلك قبل البعثة. روى الإمام محمد بن داود بن علي الظاهري في كتاب (الزهرة): أن وفد إياد لما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلموا سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قس بن ساعدة فقالوا: يا رسول الله مات. قال: كأنّي أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أحمر أورق وهو يخطب الناس وهو يقول كلاما ما أراني أحفظه. فقال بعض القوم: نحن نحفظه يا رسول الله. فقال: هاتوا. فقال قائلهم إنه قال: أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جميع وأشتات، وآيات بعد آيات، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا، ليل داج وسماء ذات فجاج وبحار ذات أمواج، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا، أقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا آثما، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا خاتما حان حينه وأظللكم أوانه وأدرككم إبانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه. ثم قال: تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعواد، وأين الفراعنة الشداد، أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد وغره المال والولد، أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال: أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأولادا وأبعد منكم آمالا وأطوال منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم الدهر بتطاوله، فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فأيكم يروي شعره؟ فأنشده أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال:

في الذاهبين الأوليـــــــن من القرون لنا بصـــائر

لمـا رأيـت مـواردا ... للموت ليس لها مصـــادر

ورأيـت قومي نحوهـا ... تمضي الأصـاغر والأكابر

لا يـرجع المـاضي إلي ... ولا مـن البـاقين غـابر

أيـقنـت أنّي لا محـالة حيـث صـــار القـوم صـــائر

[سبل الهدى والرشاد (من الموسوعة) ٢/١٨٦-١٨٧]

نظر ولا استدلال، فهم على نور من ربّهم خالص غير ممتزجٍ بكونٍ، فهؤلاء يُحشرون أخفياء أبرياء.

ومنهم من أُلقي في نفسه، واطّلع من كشفه لشدّة نوره وصفاء سرّه، لخلوص يقينه، على منزلة محمد ﷺ وسيادته، وعموم رسالته باطنا من زمان[1] آدم إلى وقت هذا المكاشف، فآمن به في عالَم الغيب على شهادة منه، وبيّنة من ربّه، وهو قوله -تعالى-: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[2] يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به، فهذا يُحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه، وفي باطنيّة محمد ﷺ[3].

ومنهم من تَبِع ملّة حقٍّ، ممن تقدّمه، كمن تهوّد أو تنصّر أو اتّبع ملّة إبراهيم أو من كان من الأنبياء، لَمّا علِم وأُعْلِم أنّهم رسل من عند الله، يدعون[4] إلى الحقّ لطائفة مخصوصة، فتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم، فحرّم على نفسه ما حرّمه ذلك الرسول، وتعبّد نفسه مع الله بشريعته، وإن كان ذلك ليس بواجب عليه، إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا إليه، فهذا يُحشر مع من تبعه يوم القيامة ويتميّز في زمرته في ظاهريّته؛ إذ كان شرع ذلك النبيّ قد تقرّر في الظاهر.

ومنهم مَن طالع في كتب الأنبياء، شرفَ محمد ﷺ، ودينَه، وثوابَ من اتّبعه؛ فآمن به وصدّق على علم، وإن لم يدخل في شرع نبيّ ممن تقدّم، وأتى مكارم الأخلاق، فهذا أيضا يُحشر في المؤمنين بمحمد ﷺ، لا في العاملين، ولكن في ظاهريّته ﷺ.

ومنهم مَن آمن بنبيّه، وأدرك نبوّة محمد ﷺ، فآمن به، فله أجران، وهؤلاء كلّهم سعداء عند الله.

ومنهم مَن عطّل، فلم يقرّ بوجودٍ عن نظر قاصر، ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوّته، لِضعفٍ في مزاجه عن قوّة غيره.

ومنهم مَن عَطَّل، لا عن نظر بل عن تقليد، فذلك شقيّ مطلق.

ومنهم مَن أشرك عن نظر، أخطأ فيه طريق الحقّ، مع بذْل المجهود الذي تعطيه قوّته.

ومنهم مَن أشرك لا عن استقصاء نظر، فذلك شقيٌّ.

---

(١) ثابت في الهامش بقلم الأصل.

(٢) [هود: ١٧]

(٣) في الهامش: "بلغ".

(٤) ص ١٠٩ب

ومنهم مَن أشرك عن تقليد فذلك شقيٌّ[1].
ومنهم مَن عطَّل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوّة التي هو عليها لضعفها.
ومنهم مَن عطَّل بعد ما أثبت، لا عن استقصاء في النظر أو تقليد، فذلك شقيٌّ.
فهذه كلّها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب[2].

(١) ص ١١٠
(٢) في الهامش: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي".

الباب الحادي عشر[1]
في معرفة آبائنا العُلويّات وأمّهاتنا السفليّات

أَنَا ابْـنُ آباءِ أَرْواحٍ مُـطَـهَّـرَةٍ		وَأُمَّهَاتِ نُفُوسٍ عُنْصُرِيّاتِ
مَا بَيْنَ رُوْحٍ وَجِسْـمٍ كانَ مَظْهَرُنا		عَنِ اجْتِمَـاعٍ بِتَعْنِيْقٍ وَلَذَّاتِ
ما كُنْتُ عَنْ وَاحِدٍ حَتَّى أُوَحِّدَهُ		بَـلْ عَـنْ جَمَـاعَـةِ آباءٍ وَأُمَّـاتِ
هُمْ لِلْإِلَهِ إِذا حَقَّقْتَ شَـأْنَهُمُ		كَصَـانِعٍ صَـنَعَ الأَشْـيَا بِآلاتِ
فَنِسْـبَةُ الصُّـنْعِ لِلنَّجَّارِ لَيْسَ لَهَا		كَـذَاكَ أَوْجَـدَنَا رَبُّ الـبَرِيَّاتِ
فَيَصْدُقُ الشَّخْصُ فِي تَوْحِيْدِ مُوْجِدِهِ		وَيَصْدُقُ الشَّخْصُ فِي إِثْبَاتِ عِلّاتِ
فـإِنْ نَظَرْتَ إِلَى الآلاتِ طَـالَ بِنَـا		إِسْـنَـادُ عَنْعَنَـةٍ حَتَّى إِلَى الذّاتِ
وإِنْ نَظَرْتَ إِلَيْـهِ وَهْوَ يُوْجِـدُنا		قُلْنَـا بِـوَحْـدَتِـهِ لا بِالجَمَـاعَـاتِ
إِنِّي وُلِدْتُ وَحِيْـدَ العَيْنِ مُنْفَرِدًا[2]		والنَّـاسُ كُلُّـهُمُ أَوْلادُ عَلّاتِ[3]

أعلم -أيّدك الله- أنّه لَمّا كان المقصود من هذا العالَم الإنسان، وهو الإمام، لذلك أضفنا الآباء والأمّهات إليه فقلنا: "آباؤنا العُلويّات وأمّهاتنا[4] السفليّات". فكلّ مؤثّر أبٌ وكلُّ مؤثَّرٍ فيه أُمّ، هذا هو الضابط لهذا الباب. والمتولّد بينهما من ذلك الأثر يسمّى ابنا ومولّدا. وكذلك المعاني في إنتاج العلوم؛ إنما هو بمقدّمتين، تنكح إحداهما الأخرى بالمفرد الواحد الذي يتكرّر فيهما، وهو الرابط، وهو النكاح، والنتيجة التي تصدر بينهما هي المطلوبة. فالأرواح كلّها آباء، والطبيعة أُمّ لَمّا كانت محلّ الاستحالات. وتتوجّه هذه الأرواح على هذه الأركان التي هي العناصر القابلة للتغيير والاستحالة، تُظهر فيها المولّدات، وهي المعادن والنبات والحيوان والجانّ، والإنسان أكملها.

---
(١) ق: الباب الحادي أحد عشر.
(٢) ق: منفرد
(٣) هذا البيت مكتوب بالهامش.
(٤) ص ١١٠ب

وكذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع، حيث جرى مجرى الحقائق الكلّيّة، فأوتي جوامع الكلم، واقتصر على أربع نسوة، وحرَّم ما زاد على ذلك، بطريق النكاح الموقوف على العقد، فلم يدخل في ذلك مِلك اليمين، وأباح مِلك اليمين في مقابلة الأمر الخامس، الذي ذهب إليه بعض العلماء. كذلك الأركان من عالَم الطبيعة أربعة، وبنكاح العالَم العُلويّ لهذه الأربعة، يوجِد الله ما يتولّد فيها. واختلفوا في ذلك على ستة مذاهب: فطائفة زعمتْ أنّ كلّ واحد من هذه الأربعة أصلٌ في نفسه. وقالت طائفة: ركن النار هو الأصل؛ فما كثف منه[(١)] كان هواء، وما كثف من الهواء كان ماء، وما كثف من الماء كان ترابا. وقالت طائفة: ركن الهواء هو الأصل؛ فما سخف منه كان نارا، وما كثف منه كان ماء. وقالت طائفة: ركن الماء هو الأصل. وقالت طائفة: ركن التراب هو الأصل. وقالت طائفة: الأصل أمر خامس، ليس واحدا من هذه الأربعة. وهذا هو الذي جعلناه بمنزلة مِلك اليمين. فعمّتْ شريعتُنا في النكاح أتمّ المذاهب، ليندرج فيها جميع المذاهب[(٢)].

وهذا المذهب؛ بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا، وهو المسمّى بالطبيعة. فإنّ الطبيعة معقول واحد، عنها ظهر ركن النار وجميع الأركان. فيقال: ركن النار من الطبيعة ما هو عينها، ولا يصحّ أن تكون[(٣)] المجموع الذي هو عين الأربعة، فإنّ بعض الأركان منافر للآخر بالكلّيّة، وبعضها منافر لغيره بأمر واحد، كالنار والماء متنافران من جميع الوجوه، والهواء والتراب كذلك؛ ولهذا رتّبها الله في الوجود ترتيبا حِكميّا، لأجل الاستحالات. فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال إليه، وتعطّلت الحكمة. فجعل الهواء يلي ركن النار، والجامع بينهما الحرارة. وجعل الماء يلي الهواء، والجامع بينهما الرطوبة. وجعل التراب يلي الماء، والجامع بينهما البرودة. فالمحيل أب والمستحيل أمّ، والاستحالة[(٤)] نكاح، والذي استحال إليها ابن. فالمتكلِّم أب، والسامع أُمّ، والتكلُّم نكاح، والموجود من ذلك في فهم السامع، ابن.[(٥)]

فكلّ أب عُلويٌّ فإنّه مؤثِّر، وكلّ أُمّ سفليّة فإنّها مؤثَّر فيها، وكلّ نسبة بينهما معيّنة، نكاحٌ وتوجُّه، وكلُّ نتيجة ابنٌ. ومن هنا يُفهم قول المتكلّم لمن يريد قيامه: "قم" فيقوم المراد بالقيام، عن أثر لفظة "قم"، فإن لم يقم السامع، وهو أُمّ بلا شكّ، فهو عقيم، وإذا كان عقيما فليس بأمّ في

(١) ص ١١١

(٢) في الهامش: "بلغ قراءة".

(٣) س، هـ: يكون. والحرف الأول مهمل في ق.

(٤) ص ١١١ب

(٥) في الهامش: "الحموي".

تلك الحالة[١].

وهذا الباب إنما يختصّ بالأمّهات. فأوّل الآباء العُلويّة معلوم، وأوّل الأمّهات السفليّة شيئيّة المعدوم الممكن، وأوّلُ نكاحِ القصدُ بالأمر، وأوّلُ ابن وجودُ عين تلك الشيئيّة التي ذكرنا. فهذا أبٌ ساري[٢] الأبوّة، وتلك أُمّ سارية الأمومة، وذلك النكاح سارٍ في كلّ شيء، والنتيجة دائمة لا تنقطع في حقّ كلّ ظاهر العين. فهذا يسمّى عندنا "النكاح الساري في جميع الذراري"، يقول الله -تعالى- في الدليل على ما قلناه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣] ولنا فيه كتاب شريفٌ منيع الحمى، البصير فيه أعمى؛ فكيف مَن حلّ به العمى؟ فلو رأيتَ تفصيل هذا المقام، وتوجّهات هذه الأسماء[٤] الإلهيّة الأعلام، لرأيتَ أمرا عظيما، وشاهدت مقاما هائلا جسيما، فلقد تنزّه العارفون بالله وبصنعه الجميل.[٥]

يا وليّ؛ وبعد أن أشرتُ إلى فهمك الثاقب، ونظرك الصائب، بالأب الأوّل الساري، وهو الاسم الجامع الأعظم، الذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه ونصبه وخفضه، الساري حكمه. والأُمّ الأوّليّة الآخريّة السارية في نسبة الأنوثة في جميع الأبناء، فلنشرع في الآباء الذين هم أسبابٌ موضوعة بالوضع الإلهيّ، والأمّهات، واتّصالها بالنكاح المعنوي والحسّي المشروع، حتى يكون الأبناء أبناء حلال، إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني، وهو آخر نوع تكوّن، وأوّل مبدَع بالقصد تعيّن، فنقول:

إنّ العقل الأوّل، الذي هو أوّل مُبدَع خُلق، وهو القلم الأعلى، ولم يكن ثمّ محدَثٌ سِوَاهُ، وكان مؤثّرا فيه، بما أحدث الله فيه، من انبعاث اللوح المحفوظ عنه، كانبعاث حوّاء من آدم في عالَم الأجرام، ليكون ذلك اللوح موضعا ومحلّا لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهيّ، وتخطيط الحروف الموضوعة، للدلالة على ما جعلها الحقّ -تعالى- أدلّة عليه، فكان اللوح المحفوظ أوّل موجود انبعاثي، وقد ورد في الشرع: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم[٦]، ثمّ خلق اللوح وقال للقلم: اكتب. قال القلم: وما أكتب؟ قال الله له: اكتب وأنا أملي عليك. فخطّ القلم في اللوح ما يملي عليه الحقّ،

(١) في الهامش: "بلغ".
(٢) ق: سار
(٣) [النحل: ٤٠]
(٤) ص ١١٢
(٥) في الهامش: "بلغ".
(٦) ص ١١٢ب

وهو عِلمه في خلقه الذي يخلق إلى يوم القيامة».

فكان بين القلم واللوح نكاح معنويٌّ معقول، وأثر حِسّيٌّ مشهود. ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا، وكان ما أودع في اللوح من الأثر، مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودَعة في تلك الحروف الجِرميّة، بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم، فافهم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١).

وجعل الحقُّ في هذا اللوح العاقل عن الله، ما أوحى به إليه المسبّح بحمده، الذي لا يفقه تسبيحه إلّا مَن أعلمه الله به، وفتح سمعه لما يورده، كما فتح سمع رسول الله ﷺ، ومَن حضر من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كفّه الطاهرة الطيّبة ﷺ. وإنما قلنا فتح سمعَه: إذ كان الحصى ما زال مذ خلقه الله، مسبِّحا بحمد موجِده، فكان خرق العادة في الإدراك السمعيّ، لا فيه.

ثمّ أوجد فيه صفتين: صفة علم وصفة عمل. فبصفة العمل تظهر صور العالَم عنه، كما تظهر صورة التابوت(٢) للعين، عند عمل النجّار، فبها يعطي الصوَر، والصور على قسمين:(٣) صور ظاهرة حِسّيّة، وهي الأجرام وما يتّصل بها حِسًّا، كالأشكال والألوان والأكوان، وصور باطنة معنويّة غير محسوسة، وهي ما فيها من العلوم والمعارف والإرادات. وبتينِك الصفتين ظهر ما ظهر من الصور، فالصفةُ العلّامة أبٌ؛ فإنّها المؤثّرة، والصفة العاملة أُمٌّ؛ فإنّها المؤثَّر فيها، وعنها ظهرت الصور التي ذكرناها.

فإنّ النجّار المهندسَ؛ إذا كان عالِمًا ولا يحسن العمل، فيلقي ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة، وهذا الإلقاء نكاح، فكلام المهندس أبٌ، وقبول السامع أُمٌّ، ثمّ يصير علم السامع أَبًا، وجوارحه أُمًّا، وإن شئت قلت: فالمهندس أبٌ، والصانع الذي هو النجّار أُمٌّ، من حيث ما هو مُصْغٍ لما يلقي إليه المهندس، فإذا أثّر فيه، فقد أنزل ما في قوّته في نفس النجّار، والصورة التي ظهرت للنجّار في باطنه مما ألقى إليه المهندس، وحصلت في وجود خياله، قائمة ظاهرة له، بمنزلة الولد الذي ولَدَ له فهمُه عن المهندس. ثمّ عَمِل النجّار؛ فهو أبٌ في الخشب، الذي هو أُمٌّ النجارةَ، بالآلات الذي يقع بها النكاح، وإنزال الماء الذي هو أثر كلّ ضربة بالقدّوم أو قطعٍ

(١) [الأحزاب: ٤]
(٢) ص ١١٣
(٣) في الهامش: "محمد بن زرافة".

بالمنشار، وكلّ قطعٍ وفصلٍ وجمع[1] في القِطَع المنجورة لإنشاء الصورة، فظهر[2] التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحسّ.

فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتيب الآباء والأمّهات والأبناء، وكيفيّة الإنتاج. فكلّ أب ليس عنده صفة العمل، فليس هو أبٌ من ذلك الوجه. حتى أنّه لو كان عالِمًا، ومُنِعَ آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة، ليقع الإفهام، وهو غير عامل، لم يكن أبا من جميع الوجوه، وكان أُمّا لما حصل في نفسه من العلوم. غير أنّ الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أُمّه، أو مات في بطن أُمّه، فأحالته طبيعةُ الأمّ إلى أن تصرّف، ولم يظهر له عين، فافهم.

وبعد أن عرفتَ الأب الثاني من الممكنات، وأنّه أُمٌّ ثانية للقلم الأعلى، كان مما ألقي إليها من الإلقاء الأقدس الروحانيّ، الطبيعة والهباء؛ فكان أوّل أُمٍّ ولدت توأمين: فأوّل ما ألقت الطبيعة، ثمّ تبعتها بالهباء. فالطبيعة والهباء أخ وأخت لأب واحد، وأُمّ واحدة. فأَنكَحَ (الحقُّ) الطبيعةَ الهباءَ، فوُلِد بينهما صورة الجسم الكلّ، وهو أوّل جسم ظهر. فكان الطبيعةُ الأبَ، فإنّ لها الأثر، وكان الهباءُ الأمَّ فإنّ فيها ظهر الأثر، وكانت النتيجةُ الجسمَ. ثمّ نزل التوالد في العالَم إلى التراب، على ترتيب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسمّى بـ"عقلة المستوفز" وفيه طول لا يسعه هذا الباب؛ فإنّ الغرض الاختصار.

ونحن لا[3] نقول بالمركز، وإنما نقول بنهاية الأركان، وإنّ الأعظم يجذب الأصغر، ولهذا نرى البخار والنار يطلبان العُلوّ، والحجر وما أشبهه يطلب السفل، فاختلفت الجهات وذلك على الاستقامة من الاثنين، أعني طالب العُلوّ والسفل. فإنّ القائل بالمركز يقول: "إنّه أمرٌ معقول دقيق تطلبه الأركان، ولولا التراب لدار به الماء، ولولا الماء لدار به الهواء، ولولا الهواء لدار به النار". ولو كان كما قال لَكُنَّا نرى البخار يطلب السفل، والحسّ يشهد بخلاف ذلك. وقد بيّنّا هذا الفصل في كتاب "المركز" لنا، وهو جزء لطيف.

فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنما نسوقه على جهة مثال النقطة من الأُكْرة التي عنها يحدث المحيط، لما لنا في ذلك من الغرض المتعلّق بالمعارف الإلهيّة والنِّسب، لكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السَّواء، لتساوي النِّسب، حتى لا يقع هنالك تفاضل. فإنّه لو وقع

(١) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٢) ص ١١٣ب
(٣) ص ١١٤

تفاضل أدّى إلى نقص المفضول، والأمر ليس كذلك. وجعلناه (أي المركز) محلّ العنصر الأعظم، تنبيها على أنّ الأعظم يحكم على الأقلّ، وذكرناه مشارا إليه في "عقلة المستوفز".

ولَمّا أدار اللهُ هذه الأفلاك العُلويّة، وأوجد الأيّام بالفلَك الأوّل، وعيّنه بالفلَك الثاني الذي فيه الكواكب(١) الثابتة للأبصار، ثمّ أوجد الأركان: ترابا وماء وهواء ونارا، ثمّ سوّى السماوات سبعا طباقا، وفتقها، أي فصل كلّ سماء على حِدَة، بعد ما كانت رتقا، إذ كانت دخانا، وفتق الأرض إلى سبع أرضين: سماء أُولَى لأرضٍ أُولَى، وثانية لثانية إلى سبع، وخلق الجواري الخنّس، خمسة، في كلّ سماء كوكب، وخلق القمر وخلق أيضا الشمس.

فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم، وقد كان اليوم موجودا، فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا؛ وهو من طلوع الشمس إلى غروبها، وجعل النصف الآخر منه ليلا؛ وهو من غروب الشمس إلى طلوعها، واليوم عبارة عن المجموع، ولهذا خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيّام، فإنّ الأيّام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج وهي الأيّام المعروفة عندنا لا غير. فما قال الله: خلق العرش والكرسيَّ، وإنما قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٢) فإذا دار فلك البروج دورة واحدة، فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، ثمّ أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الأيّام.

وأمّا ما يطرأ فيها من الزيادة والنقصان، أعني في الليل والنهار لا في الساعات، فإنّها أربع وعشرون ساعة، وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج، وهي(٣) حمائليّة بالنسبة إلينا، فيها ميل: فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية، حيث كانت، وإذا حلّت الشمس في المنازل النازلة، قصر النهار حيث كانت، وإنما قلنا: "حيث كانت"، فإنّه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا، فتكون الشمس في المنازل العالية، بالنسبة إليهم، وفي المنازل النازلة بالنسبة إلينا. فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم، لما ذكرناه. واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة، لا يزيد ولا ينقص، ولا يطول ولا يقصر في موضع الاعتدال. فهذا هو حقيقة اليوم، ثمّ قد نسمّي النهار وحده يوما بحكم الاصطلاح، فافهم.

وقد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل والنهار، والزمان هو اليوم؛ فالليل والنهار موجودان

---

(١) ص ١١٤ب
(٢) [الأعراف: ٥٤]
(٣) ص ١١٥

في الزمان، جعلهما أَبًا وأمّا، لما يحدث الله فيهما كما قال: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[١] كمثل قوله في آدم: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ﴾[٢] فإذا غشي الليلُ النهارَ؛ كان الليلُ أَبًا وكان النهار أُمّا، وصار كلّ ما يُحدث الله في النهار بمنزلة الأولاد التي تلدُ المرأةُ. وإذا غشي النهارُ الليلَ؛ كان النهار أَبًا وكان الليل أُمّا، وكان كلّ ما يحدث الله من الشئون في الليل بمنزلة الأولادُ التي تلد الأُمُّ. وقد بيّنّا هذا الفصل في كتاب "الشأن" لنا، تكلّمنا[٣] فيه على قوله -تعالى-: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٤] وسيأتي -إن شاء الله- في هذا الكتاب، إن ذكّرنا الله به، من معرفة الأيّام طرفٌ شافٍ[٥].

وكذلك قال -تعالى- أيضـــا: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾[٦] فزاد بيانا في التناكح، وأبان -ســبحانه- بقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْــلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[٧] أنّ الليل أُمٌّ له، وأنّ النهار متولّد عنه، كما ينسـلخ المولود من أُمّه إذا خرج منها، والحيّة من جلدها، فيظهر مولّدا في عالَم آخر غير العالَم الذي يحويه الليل، والأب هو اليوم الذي ذكرناه. وقد بيّنّا ذلك في كتاب "الزمان" لنا ومعرفة الدهر. فهذا الليل والنهار أبوان بوجهٍ، وأُمّان بوجهٍ، وما يحدث الله فيهما في عالَم الأركان من المولّدات عند تصريفهما، يسمّون أولاد الليل والنهار كما قرّرناه.

ولَمّا أنشأ الله أجرامَ العالَم كلّه، القابل للتكوين فيه، جعل من حدِّ ما يلي مقعّر السماء الدنيا إلى باطن الأرض: عالَم الطبيعة والاستحالات، وظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات، وجعلها بمنزلة الأُمّ. وجعل من مقعّر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب. وقدَّر فيها منازل وزيّنها بالأنوار الثابتة والسابحة. فالسابحة تقطع في الثابتة، والثابتة والسابحة تقطع في[٨] الفلك المحيط، بتقدير العزيز، بدليل أنّه رُئي في بعض الأهرام التي بديار مصر، مكتوبا بقلم يذكر في ذلك تاريخ الأهرام، أنّها بُنيت والنسر في الأسد، ولا شكّ أنّه الآن في الجدي، كذا ندركه، فدلّ على أنّ الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس، والله يقول في القمر: ﴿وَٱلْقَمَرَ

(١) [الأعراف: ٥٤]
(٢) [الأعراف: ١٨٩]
(٣) ص ١١٥ب
(٤) [الرحمن: ٢٩]
(٥) ق: "طرفا شافيا".
(٦) [الحج: ٦١]
(٧) [يس: ٣٧]
(٨) ص ١١٦

﴿قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[١] وقال في الكواكب: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ وقال -تعالى-: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾[٢] وقد قرئ: ﴿لَا مُسۡتَقَرَّ لَهَا﴾، وليس بين القراءتين تنافر، ثمّ قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ ينظر إلى قوله في القمر إنّه قدّره منازل، وقال: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٣] أي في شيء مستدير.

وجعل لهذه الأنوار المسمّاة بالكواكب أشعّة متّصلة بالأركان، تقوم اتّصالاتها بها مقام نكاح الآباء للأمّهات فيحدث الله -تعالى- عند اتّصال تلك الشعاعات النوريّة في الأركان الأربعة، من عالَم الطبيعة، ما يتكوّن فيها مما نشاهده حِسًّا. فهذه الأركان لها بمنزلة الأربعة النسوة في شرعنا. وكما لا يكون نكاح شرعيّ عندنا حلالا إلّا بعقد شرعيّ، كذلك أوحى في كلّ سماء أمرها: فكان من ذلك الوحي تنزّل الأمر بينهنّ، كما قال -تعالى-: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ يعني الأمر الإلهيّ.

وفي تفسير هذا التنزّل أسرار[٤] عظيمة، تقرب مما نشير إليه في هذا الباب، وقد روي عن ابن عبّاس، أنّه قال في هذه الآية: "لو فسّرتها لقلتم إنّي كافر" وفي رواية "لرجمتموني" وإنّها من أسرار آي القرآن، قال -تعالى-: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾[٥] ثمّ قال: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ ثمّ تمّم وأبان فقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٦] وهو الذي أشرنا إليه بصفة العمل الذي ذكرناه آنفا، من إيجاد الله صفةَ العلم والعمل في الأب الثاني، فإنّ القدرة للإيجاد وهو العمل، ثمّ تمّم في الأخبار، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[٧] وقد أشرنا إليه بصفة العلم التي أعطى اللهُ للأب الثاني، الذي هو النفس الكلّيّة المنبعثة، فهو العليم -سبحانه- بما يوجِد، القدير على إيجاد ما يريد إيجاده لا مانع له، فجعل الأمرَ يتنزّل بين السماء والأرض، كالولد يظهر بين الأبوين.

وأمّا اتّصال الأشعّة النوريّة الكوكبيّة عن الحركة الفلكيّة السماويّة، بالأركان الأربعة التي هي أُمّ المولّدات، في الحين الواحد للكلّ معا، جعله الحقّ مثالا للعارفين في نكاح أهل الجنّة في الجنّة،

(١) [يس: ٣٩]
(٢) [يس: ٣٨]
(٣) [يس: ٤٠]
(٤) ص ١١٦ب
(٥) [الطلاق: ١٢]
(٦) [الطلاق: ١٢]
(٧) [الطلاق: ١٢]

جميع نسائهم وجواريهم في الآن الواحد، نكاحا حِسّيّا، كما أنّ هذه الاتّصالات حِسّيّة، فينكح الرجل في الجنّة جميعَ مَن عنده من المنكوحات، إذا اشتهى ذلك، في الآن الواحد نكاحا جسميّا محسوسا بإيلاج ووجود[1] لذّة خاصّة بكلّ امرأة، من غير تقدُّم ولا تأخُّر، وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الإلهيّ، والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره، وإنما يدرك هذا بقوّة أخرى إلهيّة، في قلب من يشاء من عباده، كما أنّ الإنسان في الجنّة -في سوق الصُّوَر- إذا اشتهى صورةً دخل فيها، كما تشكَّل الروح هنا عندنا، وإن كان جسما، ولكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك، والله على كلّ شيء قدير. وحديث سوق الجنّة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنَّفه، فانظره هناك.

فإذا اتّصلت الأشعّة النوريّة في الأركان الأربعة، ظهرت المولّدات عن هذا النكاح، الذي قدّره العزيز العليم، فصارت المولّدات بين آباء، وهي الأفلاك والأنوار العلويّة، وبين أمّهات، وهي الأركان الطبيعيّة السفليّة، وصارت الأشعّة المتّصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح، وحركات الأفلاك وسباحات الأنوار بمنزلة حركات المُجامِع، وكان حركات الأركان بمنزلة المخاض للمرأة، لاستخراج الزُّبْد الذي يخرج بالمخض، وهو ما يظهر من المولّدات في هذه الأركان للعين، من صورة المعادن والنبات والحيوان ونوع الجنّ والإنس، فسبحان القادر على ما يشاء، لا إله إلّا هو ربّ كلّ شيء ومليكه.

قال[2] -تعالى-: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[3] فقد تبيّن لك -أيّها الوليّ- آباؤك وأمّهاتك مَن هم إلى أقرب أبٍ لك، وهو الذي ظهر عينك به، وأمّك كذلك القريبة إليك، إلى الأب الأوّل وهو الجدُّ الأعلى، إلى ما بينهما من الآباء والأمّهات، فشُكرهم الذي يُسرُّون به ويفرحون بالثناء عليهم، هو أن تَنسبهم إلى مالكهم وموجدهم، وتسلب الفعل عنهم، وتلحقه بمستحقّه الذي هو خالق كلِّ شيء. فإذا فعلتَ ذلك فقد أدخلت سرورا على آبائك بفعلك ذلك، وإدخال هذا السرور عليهم، هو عين بِرِّك بهم وشُكرك إيّاهم، وإذا لم تفعل هذا ونسيتَ الله بهم فما شكرتهم ولا امتثلتَ أمر الله في شكرهم.

---

(١) ص ١١٧

(٢) ص ١١٧ب

(٣) [لقمان: ١٤]

فإنّه قال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾[1] فقدّم نفسَه ليعرّفك أنّه السبب الأوّل والأَوْلَى، ثمّ عطف وقال: ﴿وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ وهي الأسباب التي أوجدك الله عندها، لتنسبها إليه سبحانه، ويكون لها عليك فضل التقدُّم بالوجود خاصة، لا فضل التأثير لأنّه في الحقيقة لا أثر لها، وإن كانت أسبابا لوجود الآثار. فبهذا القدر صحّ لها الفضل، وطلب منك (الشكر لها)[2]، وأنزلها الحقُّ لك وعندك منزلته في التقدّم عليك، لا في الأثر، ليكون الثناء بالتقدّم والتأثير، لله -تعالى-، وبالتقدّم والتوقّف للوالدين، ولكن على[3] ما شرطناه، فلا تشرك بعبادة ربّك أحدا.

فإذا أثنيتُ على الله -تعالى-، وقلتُ ربّنا وربّ آبائنا العلويّات وأمّهاتنا السفليّات، فلا فرق بين أن أقولها أنا، أو يقولها جميع بني آدم من البشر، فلم يخاطب شخصا بعينه، حتى نسوق آباءَه وأمّهاتِهِ من آدم وحوّاء إلى زمانه، وإنما القصد هذا النشء الإنساني، فكنتُ مترجِما عن كلّ مولود بهذا التحميد، من عالَم الأركان وعالَم الطبيعة والإنسان، ثمّ نرتقي[4] في النيابة عن كلّ مولّد بين مؤثِّر ومؤثَّر فيه، فنحمده بكلّ لسان، ونتوجّه إليه بكلّ وجه، فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكلّ.

كما قال لي بعض مشيختي، إذا قلتَ: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" أو قلت: "السلام عليكم" إذا سلّمتَ في طريقك على أحد، فأحضِر في قلبك كلَّ صالح لله من عباده في الأرض والسماء وميّت وحيّ، فإنّه من ذلك المقام يُرَدُّ عليك، فلا يبقى ملَك مقرَّب ولا روح مطهّر يَبلغه سلامُك إلّا ويُرَدُّ عليك، وهو دعاء، فيستجاب فيك، فتفلح. ومن لم يبلغه سلامك من عباد الله المهيّمين في جلاله المشتغلين به، المستفرغين فيه، وأنت قد سلّمت عليهم بهذا الشمول، فإنّ الله ينوب عنهم في الردّ عليك، وكفى[5] بهذا شرفا في حقّك، حيث يسلّم عليك الحقُّ، فليته لم يُسمع أحدا ممن سلّمت عليه حتى ينوب عن الجميع في الردّ عليك؛ فإنّه بك أشرف.

قال -تعالى- تشريفا في حقّ يحيى (عليه السلام): ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ

(١) [لقمان: ١٤]
(٢) ما بين القوسين لم يرد في ق، وأثبتناه من س، وفي هـ: الشكر
(٣) ص ١١٨
(٤) ق: ترتقي
(٥) ص ١١٨ب

حَيًّا﴾[1] وهذا سلام فضيلة وإخبار؛ فكيف بسلام واجب، ناب الحقّ مناب من أجاب عنه، وجزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل، في حقّ من قيل فيه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾[2] فيُجمع له بين الفضيلتين.

وقد وردت صلاة الله علينا ابتداء، وما وصل إليّ: هل ورد السلام ابتداء، كما وردت الصلاة أم لا؟ فمن روى في ذلك شيئا وتحقّقه، فقد جعلتُ أمانةً في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع، إلى جانب صلاة الله علينا في هذا الباب؛ ليكون بشرى للمؤمنين، وشرفا لكتابي هذا، والله المعين والموفِّق لا ربّ غيره.

وأمّا الآباء الطبيعيّون والأمّهات، فلم نذكرهم. فلنذكر الأمر الكلّ من ذلك: وهم أبوان وأُمّان. فالأبوان: هما الفاعلان والأُمّان هما المنفعلان، وما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما. فالحرارة والبرودة فاعلان، والرطوبة واليبوسة منفعلان، فنكحت الحرارة اليبوسة فأنتجا ركن النار، ونكحت الحرارة الرطوبة فأنتجا ركن الهواء، ثمّ نكح البرودة الرطوبة فأنتجا ركن الماء، ونكح البرودة اليبوسة فأنتجا[3] ركن التراب.

فحصلت في الأبناء حقائق الآباء والأمّهات، فكانت النار حارة يابسة: فحرارتها من جهة الأب ويبوستها من جهة الأُمّ، وكان الهواء حارًّا رطبا فحرارته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأمّ وكان الماء باردا رطبا فبرودته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأمّ، وكانت الأرض باردةً يابسة، فبرودتها من جهة الأب ويبوستها من جهة الأُمّ. فالحرارة والبرودة من العلم، والرطوبة واليبوسة من الإرادة، هذا حَدُّ تعلّقها في وجودها من العلم الإلهيّ، وما يتولّد عنهما من القدرة، ثمّ يقع التوالد في هذه الأركان من كونها أمّهات لآباء الأنوار العلويّة لا من كونها آباء، وإن كانت الأُبوّة فيها موجودة.

فقد عرّفناك؛ أنّ الأُبوّة والبنوّة من الإضافات والنِّسب، فالأبُ ابنٌ لأبٍ، هو ابن له، والابنُ أبٌ لابنٍ هو أبٌ له، وكذلك باب النِّسب، فانظر فيه، والله الموفّق لا ربّ غيره.

ولَمّا كانت اليبوسة منفعلة عن الحرارة، وكانت الرطوبة منفعلة عن البرودة، قلنا في الرطوبة واليبوسة: إنّهما منفعلتان، وجعلناهما بمنزلة الأُمّ للأركان. ولَمّا كانت الحرارة والبرودة فاعلين؛

---

(١) [مريم: ١٥]
(٢) [مريم: ١٥]
(٣) ص ١١٩

جعلناهما بمنزلة الأب للأركان. ولَمّا كانت الصــنعة تســتدعي صــانعا ولا بدّ، والمنفعل يطلب الفاعل بذاته، فإنّه منفعل لذاته، ولو[١] لم يكن منفعلا لذاته لما قبل الانفعال والأثر، و(لما) كان مؤثّرا فيه، بخلاف الفاعل، فإنّه يفعل بالاختيار، إن شــاء فعل فيســمّى فاعلا، وإن شــاء ترك وليس ذلك للمنفعل.

ولهذه الحقيقة ذكر -تعالى-، وهو من فصاحة القرآن وإيجازه: ﴿وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢] فذكر المنفعل، ولم يذكر "ولا حار ولا بارد" (وذلك أنّه) لَمّا كانت الرطوبة واليبوسة عند العلماء بالطبيعة تطلب الحرارة والبرودة اللتين هما منفعلتان عنهما، كما تطلب الصّنعة الصانع، لذلك ذكرهما دون ذِكْر الأصل، وإن كان الكلّ في الكتاب المبين، فلقد حبا[٣] اللهُ سيّدنا محمدا ﷺ بعلوم ما نالها أحد سِوَاهُ، كما قال: «فعلمتُ علم الأوّلين والآخرين» في حديث الضرب باليد. فالعلم الإلهيّ هو أصل العلوم كلّها، وإليه[٤] ترجع. وقد استوفينا ما يستحقّه هذا الباب على غاية الإيجاز والاختصار، فإنّ الطُّول فيه إنما هو بذِكْر الكيفيّات، وأمّا الأصول فقد ذكرناها ومهّدناها، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٥].

انتهى الجزء الثاني عشر من الفتوحات المكيّة.

---

(١) ص ١١٩ب

(٢) [الأنعام: ٥٩]

(٣) ق، س: "حابى" ثم عدلت في ق

(٤) ق: وإليها.

(٥) [الأحزاب: ٤]

الجزء الثالث عشر من الفتح المكي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

الباب الثاني عشر[٣]

في معرفة دورة فلك سيّدنا محمد ﷺ

وهي دورة السيادة، و«إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله -تعالى-»

أَلَا بِأَبِي مَنْ كانَ مَلْكًا وَسَـيِّدًا وآدَمُ بَـيْنَ المَـاءِ والـطِّـيْنِ وَاقِـفُ
فَذَاكَ الرَّسُـولُ الأَبْطَحِيُّ مُحَمَّدٌ لَهُ فِي العُلَى مَجْـدٌ تَلِيْـدٌ وَطَـارِفُ
أَتَى بِزَمانِ السَّعْدِ فِي آخِرِ المَدَى وكانَتْ[٤] لَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مَوَاقِفُ
أَتَى لانْكِسَارِ الدَّهْرِ يَجْبُرُ صَدْعَهُ فَـأَثْنَـتْ عَلَيْـهِ أَلْسُـنٌ وَعَوَارِفُ
إِذا رَامَ أَمْرًا لا يَكُونُ خِلافُـهُ وَلَيْسَ لِذَاكَ الأَمْرِ فِي الكَوْنِ صَارِفُ

اعلم -أيّدك الله-؛ أنّه لَمّا خلق اللهُ الأرواح، المحصورة المدبّرة للأجسام، بالزمان عند وجود حركة الفلَك، لتعيين المدّة المعلومة عند الله. وكان عند أوّل خلق الزمان بحركته، خلق الروح المدبِّرة، روح محمد ﷺ، ثمّ صدرت الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالَم الغيب دون عالَم الشهادة، وأعلمه الله بنبوّته، وبشّره بها وآدم لم يكن إلّا كما قال: «بين الماء والطين» وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حقّ محمد[٥] ﷺ، إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به.

انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بذاته جسما وروحا، فكان الحكم له باطنا أوّلا، في جميع ما ظهر من الشرائع، على أيدي الأنبياء والرسل -سلام الله عليهم أجمعين-. ثمّ صار الحكم له ظاهرا، فنسخ كلّ شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر، لبيان اختلاف حكم الاسمين، وإن كان المشرّع واحدا، وهو صاحب الشرع.

---

(١) العنوان ص ١٢٠ب، أما ص ١٢٠ فبيضاء
(٢) البسملة ص ١٢١
(٣) في الهامش: بلغ قراءة لمحمود الزنجاني على مؤلفه".
(٤) ق: "وكان" مع إشارة مسح لحرف النون، وصححت في الهامش بقلم الأصل.
(٥) ص ١٢١ب

فإنّه قال: «كنتُ نبيّا» وما قال: "كنت إنسانا"، ولا "كنت موجودا". وليست النبوّة إلّا بالشرع المقرّر عليه من عند الله، فأخبر أنّه صاحب النبوّة، قبل وجود الأنبياء الذين هم نوّابه في هذه الدنيا، كما قرّرناه فيما تقدّم من أبواب هذا الكتاب.

فكانت استدارته؛ انتهاء دورته بالاسم الباطن، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر، فقال: «استدار كهيئته يوم خلقه الله»[١] في نسبة الحكم لنا ظاهرا، كما كان في الدورة الأُولَى منسوبا إلينا باطنا، أي إلى محمد، وفي الظاهر منسوبا إلى مَن نُسب إليه من شرع إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل.

وفي الأنبياء من الزمان أربعة حرم: هود وصالح وشعيب -سلام الله عليهم- ومحمد ﷺ. وعينُها[٢] من الزمان ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم ورجب مُضَر. ولَمّا كانت العرب تنسأ في الشهور، فتردّ المحرّم منها حلالا والحلال منها حراما، وجاء محمد ﷺ فردّ الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه، فعيّن الحُرُمَ من الشهور على حدِّ ما خلقها الله عليه، فلهذا قال في اللسان الظاهر: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله» كذلك استدار الزمان؛ فأظهر (الله) محمدا ﷺ كما ذكرناه جسما وروحا بالاسم الظاهر حسًّا، فنسخ من شرعه المتقدِّم ما أراد الله أن ينسخ منه، وأبقى ما أراد الله أن يبقى منه، وذلك من الأحكام خاصّة لا من الأصول.

ولَمّا كان ظهوره بـ"الميزان"[٣] وهو العدل في الكون، وهو معتدل؛ لأنّ طبعَه الحرارة والرطوبة، كان (ظهوره ﷺ) من حكم الآخرة، فإنّ حركة الميزان متّصلة بالآخرة إلى دخول الجنّة والنار. ولهذا كان العلم في هذه الأمّة أكثر مما كان في الأوائل، وأعطي محمد ﷺ علم الأوّلين والآخرين، لأنّ حقيقة الميزان تعطي ذلك[٤]، وكان الكشف أسرع في هذه الأمّة مما كان في غيرها، لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا، وإن كانوا أذكياء وعلماء، فآحادٌ منهم معيَّنون بخلاف ما هم الناس[٥] اليوم عليه.

ألا ترى هذه الأمّة قد ترجمتْ جميعَ علوم الأمم، ولو لم يكن المترجِم عالما بالمعنى الذي دلّ عليه لفظ المتكلِّم به، لما صحّ أن يكون هذا مترجما، ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة. فقد

(١) صحيح البخاري ٢٩٥٨، وصحيح مسلم ٣١٧٩
(٢) ص ١٢٢
(٣) يقصد برج الميزان.
(٤) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٥) ص ١٢٢ب

علمت هذه الأمّة علم مَن تقدّم، واختصّت بعلوم لم تكن[1] للمتقدّمين. ولهذا أشار ﷺ بقوله: «فعلمتُ علم الأوّلين» وهم الذين تقدّموه ثمّ قال: «والآخرين» وهو علم ما لم يكن عند المتقدِّمين، وهو ما تعلمه أُمّته من بعده إلى يوم القيامة. فقد أخبر أنّ عندنا علوما لم تكن قبل، فهذه شهادة من النبيّ ﷺ لنا، وهو الصادق بذلك.

فقد ثبتت له ﷺ السيادة في العلم في الدنيا، وثبتت له أيضا السيادة في الحكم حيث قال: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني» ويبيّن ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن، فصحّت له السيادة في الدنيا بكلّ وجه ومعنى. ثمّ أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة، بفتحه باب الشفاعة، ولا يكون ذلك لنبيّ يوم القيامة إلّا له ﷺ، فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء أن تشفع. نعم، و(شفع أيضا) في[2] الملائكة، فأذن الله -تعالى- عند شفاعته له في ذلك لجميع مَن له شفاعة من ملَك ورسول ونبيّ ومؤمن أن يشفع.

فهو ﷺ أوّلُ شافع، بإذن الله، وأرحمُ الراحمين آخر شافع يوم القيامة. فيشفع الرحيم عند المنتقم، أن يخرج من النار من لم يعمل خيرا قطّ، فيخرجهم المنعِم المفضِل. وأيّ شرف أعظم من دائرة تُدار يكون آخرها أرحم الراحمين؟ وآخر الدائرة متّصل بأوّلها، فأيّ شرف أعظم من شرف محمد ﷺ؟ حيث كان ابتداء هذه الدائرة، حيث اتّصل بها آخرها لكمالها. فبه -سبحانه- ابتدأت الأشياء وبه كملتْ. وما أعظم شرف المؤمن حيث تَلَتْ شفاعته، بشفاعة أرحم الراحمين، فالمؤمن بين الله وبين الأنبياء.

فإنّ العلم في حقّ المخلوق، وإن كان له الشرفُ التامّ الذي لا تُجهل مكانته، ولكن لا يعطى السعادة في القرب الإلهيّ إلّا بالإيمان، فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه، فإذا كان الإيمان يحصل عنه العلم، فنور ذلك العلم المولَّد من نور الإيمان أعلى، وبه يمتاز (المؤمن العالِم) على المؤمن الذي ليس بعالِم، فيرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين درجات[3]، على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم، ويريد العلم بالله، فإنّ رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «أنتم أعلم بمصالح دنياكم».

فلا فلَك أوسع من فلك محمد ﷺ فإنّ له الإحاطة، وهي لمن خَصّ الله بها من أمّته بحكم

(١) "لم تكن" كتبتا في الهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.
(٢) ص ١٢٣
(٣) ص ١٢٣ب

التبعيّة. فلنا الإحاطة بسائر الأمم، ولذلك كنّا شهداء على الناس. فأعطاه الله من وحي أمر السماوات ما لم يعطِ غيرَه في طالع مولده.

فمن الأمر المخصوص بالسماء الأُولَى: من هناك؛ لم يبدّل حرف من القرآن ولا كلمة، ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة، لَنَسخ الله ذلك، وهذا عصمة. ومن ذلك الثبات؛ ما نُسخت شريعته بغيرها، بل ثبتت محفوظة، واستقرّت بكلّ عين ملحوظة، ولذلك تَستشهد بها كلُّ طائفة.

ومن الأمر المخصوص بالسماء الثانية: من هناك أيضا؛ خُصَّ بعلم الأوّلين والآخرين، والتؤدة والرحمة والرفق ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[١]. وما أظهر في وقتٍ غلظة على أحد إلّا عن أمر إلهيّ، حين قيل له: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[٢] فأُمِر به لَمّا لم يقتضِ طبعُه ذلك، وإن كان بشرا؛ يغضب لنفسه ويرضى لنفسه. فقد قدَّم لذلك دواء نافعا، يكون[٣] في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يُشْعَر بها في حال الغضب، فكان يُدِلُّ بغضبه مثل دالّته برضاه، وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منّا، فصحّت له السيادة على العالَم من هذا الباب.

فإنّ غير أمّته؛ قيل فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٤] فأضلّهم الله على علم. وتولّى الله فينا حفظ ذِكْرِه، فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٥] لأنّه سمع العبد وبصره ولسانه ويده، واستحفظ كتابه غير هذه الأمّة، فحرّفوه.

ومن الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة: من هناك أيضا؛ السيف الذي بعثه به، والخلافة، واختُصّ بقتال الملائكة معه منها، أيضا. فإنّ ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر، ومن هذه السماء أيضا؛ بعث من قوم ليس لهم همّة، إلّا في قِرَى الأضياف ونحر الجُزُر، والحروب الدائمة وسفك الدماء، وبهذا يتمدّحون ويمدحون. قيل في بعضهم[٦]:

(١) [الأحزاب: ٤٣]
(٢) [التوبة: ٧٣]
(٣) ص ١٢٤
(٤) [البقرة: ٧٥]
(٥) [الحجر: ٩]
(٦) القائل هو أبو طالِب (٨٥ - ٣ ق. هـ / ٥٤٠ - ٦١٩ م) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب. والد الإمام علي كرم الله وجهه، وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي ﷺ في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ أقرباؤه (بنو قريش) بقتله فحماه أبو طالب وصدهم عنه. وفي الحديث: ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب. مولده ووفاته بمكة. (الموسوعة الشعرية)

ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِها   إِذا عَدِمُوا زَادًا فإِنَّكَ عاقِرُ

وقال الآخر منهم يمدح قومه[1]:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذِينَ هُمُ   سُمُّ العُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ

النَّـازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ   والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ

فمدحَهم[2] بالكرم والشجاعة والعفّة.

يقول عنترة بن شداد[3] في حفظ الجار في أهله:

وأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي   حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

ولا خفاء عند كلّ أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والحماسة والوفاء، وإن كان في العجم كرماء وشجعان، ولكن آحاد، كما أنّ في العرب جبناء وبخلاء ولكن آحاد، وإنما الكلام في الغالب لا في النادر، وهذا ما لا ينكره أحد.

فهذا مما أوحى الله في هذه السماء، فهذا كلّه من الأمر الذي يتنزّل بين السماء والأرض لمن فَهِم. ولو ذكرنا على التفصيل ما في كلّ سماء من الأمر الذي أوحى الله -سبحانه- فيها، لأبرزنا من ذلك عجائب، ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم، من طريق الرصد والتسيير من أهل التعاليم، ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه.

ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة: نَسْخُه بشريعته جميعَ الشرائع، وظهور دينه على جميع

(١) القول للشاعرة الخِرنِق بِنتِ بَدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية (? - ٥٠ ق. ه / ? - ٥٧٤ م) شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد وقتلهُ بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة. (الموسوعة الشعرية)

(٢) ص ١٢٤ب

(٣) عَنتَرَة بن شَدّاد العبسي (? - ٢٢ ق. ه / ? - ٦٠١ م) أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأُولَى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. كان مغرمًا بابنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلًا، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي. (الموسوعة الشعرية)

الأديان، عند كلّ رسول ممن تقدّمه، وفي كلّ كتاب منزل، فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلّا ما قرّر منه، فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته، وإن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلّا في أهل الجزية خاصة، وإنما[1] قلنا: ليس هو حكم الله لأنّه سمّاه باطلا، فهو على مَن اتّبعه، لا له. فهذا (ما) أعني بظهور دينه على جميع الأديان، كما قال النابغة[2] في ممدّحِه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُـوْرَةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُوْنَهَا يَتَذَبْذَبُ

بأنّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ   إِذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وهذه منزلة محمد ﷺ، ومنزلة ما جاء به من الشرع، من الأنبياء وشرائعهم -سلام الله عليهم أجمعين-. فإنّ أنوار الكواكب اندرجتْ في نور الشمس؛ فالنهار لنا والليل وحده لأهل الكتاب، إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وقد بسطنا في "التنزّلات الموصليّة" من أمر كلّ سماء ما إذا وقفتَ عليه عرفت بعض ما في ذلك.

ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة: من هناك؛ المختصّ بمحمد ﷺ أنّه ما ورد قطّ عن نبيّ من الأنبياء أنّه حُبّب إليه النساء إلّا محمد ﷺ، وإن كانوا قد رزقوا منهنّ كثيرا، كسليمان عليه السلام وغيره، ولكن كلامنا في كونه[3] حبّب إليه، وذلك[4] أنّه ﷺ كان «نبيّا وآدم بين الماء والطين» كما قرّرناه، وعلى الوجه الذي شرحناه. فكان مقتطعا إلى ربّه، لا ينظر معه إلى كون من الأكوان، لشغله بالله عنه، فإنّ النبيّ مشغول بالتلقّي من الله ومراعاة الأدب، فلا يتفرّغ إلى شيء دونه، فحبّب الله إليه النساء، فأحبّهنّ عناية من الله بهنّ، فكان ﷺ يحبّهنّ، بكون الله حبّبهنّ إليه. خرّج مسلم في صحيحه في أبواب الإيمان «أنّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: "إنّي أحبّ أن يكون نعلي حسنا، وثوبي حسنا" فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله جميل يحبّ الجمال».

ومن هذه السماء؛ حبّ الطِّيب. وكان من سنّته النكاح لا التبتّل، وجعل النكاح عبادة للسرّ الإلهيّ الذي أودع فيه، وليس إلّا في النساء، وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدّم

---

(١) ص ١٢٥

(٢) النابِغَة الذُبياني: سبقت ترجمته في السفر الأول. والبيتان من قصيدة له مطلعها:
أَتاني أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّكَ لِمتَني   وَتِلكَ الَّتي أُهتَمُّ مِنها وَأَنصَبُ [الموسوعة الشعرية]

(٣) "في كونه" كتبتا بالهامش بقلم الأصل.

(٤) ص ١٢٥ب

ذِكْرها، في الإنتاج عن المقدّمتين، والرابط الذي جعله علّة الإنتاج. فهذا الفضل وما شاكله، مما اختصّ به محمد ﷺ، وزاد فيه بنكاح الهبة. كما جعل في أمّته فيما يبيّن لها من النكاح، لمن لا شيء له من الأعواض، بما يحفظه من القرآن خاصة، لا أنّه يعلّمها، وهذا وإن لم يَقْوَ قوّة الهبة ففيه اتّساع[1] للأمّة، وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كلّ سماء.

ومن الأمر الموحى في السماء السادسة: إعجاز القرآن، والذي أُعطيَه ﷺ من جوامع الكلم، من هذه السماء، تنزل إليه، ولم يُعْطَ ذلك نبيّ قبله. وقد قال: «أُعطيت سِتًّا لم يُعْطَهُنَّ نبيٌّ قبلي» وكلّ ذلك أوحي في السماوات من قوله (تعالى): ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾[2] فجعل في كلّ سماء، ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق. فكان من ذلك أن بُعِثَ وحده إلى الناس كافّة، فعمّت رسالته. وهذا مما أُوحى الله به في السماء الرابعة. ونُصِر بالرعب، وهو مما أَوحى الله به في السماء الثالثة من هناك، ومنها ما حَلّل الله له من الغنائم، وجُعِلت له الأرض مسجدا وطهورا، من السماء الثانية من هناك، «وأُوْتِيت جوامع الكلم» من أمر وحي السماء السادسة، ومن أمر هذه السماء ما خصّه الله به من إعطائه إيّاه مفاتيح خزائن الأرض.

ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة: من هناك؛ وهي السماء الدنيا التي تَلِينا؛ كون الله خصَّه بصورة الكمال، فكملت به الشرائع، وكان خاتم النبيّين ولم يكن ذلك لغيره ﷺ. فبهذا وأمثاله انفرد بالسِّيادة[3] الجامعة للسِّيادات كلّها، والشرف المحيط الأعمُّ ﷺ. فهذا قد نبّهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كلّ سماء من أمره.

وقوله: "الزمان"، ولم يقل: الدهر ولا غيره، ينبّه على وجود "الميزان"، فإنّه ما خرج عن الحروف التي في الميزان، بذِكْر الزمان. وجعل ياء الميزان مما يلي الزاي، وخفَّف الزاي وعدَّدها في الزمان؛ إشعارا[4] بأنّ في هذه الزاي حرفا مدغَمًا، فكان أوّل وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني، وفي الاسم الباطن لمحمد ﷺ، بقوله: «كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين» ثمّ استدار بعد انقضاء دورة الزمان، التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة. ثمّ ابتدأتْ دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر، فظهر فيها جسم محمد ﷺ وظهرت شريعته على التعيين والتصريح لا بالكناية،

---

(١) ص ١٢٦

(٢) [فصلت: ١٢]

(٣) ص ١٢٦ب

(٤) ق: إشعار

واتّصل الحكم بالآخرة، فقال -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[١] وقيل لنا: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾[٢] وقال -تعالى-: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾[٣].

فبالميزان أوحى في كلِّ سماء أمرها، وبه قدَّر في الأرض أقواتها، ونصبه الحقُّ في العالَم في كلّ شيء. فميزانٌ معنويّ وميزانٌ حِسّيٌّ[٤] لا يخطئ أبدا، فدخل الميزان في الكلام، وفي جميع الصنائع المحسوسة، وكذلك في المعاني؛ إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام، وما تحمله من المعاني عند حكم الميزان، وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن الإلهيّ، الذي يطلبه الاسم الحكيم، ويظهره الحكَم العدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٥] وعن الميزان ظهر العقرب، وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهيّ، والقوس والجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة.

وانتهت الدورة الزمانيّة إلى الميزان، لتكرار الدَّوْر، فظهر محمد ﷺ، وكان له في كلّ جزء من أجزاء الزمان حكم، اجتمع فيه بظهوره ﷺ، وهذه الأسماء؛ أسماء ملائكة خلقهم الله وهم الاثنا عشر ملَكا.

وجعل لهم الله مراتب في الفلَك المحيط، وجعل بيد كلِّ ملَك ما شاء أن يجعله مما يبرزه، فيمن هو دونهم إلى الأرض حكمة. فكانت روحانيّة محمد ﷺ، تكتسب عند كلّ حركة من الزمان أخلاقا، بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهيّة، فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانيّة قبل وجود تركيبها، إلى أن ظهرتْ صورة جسمه في عالَم الدنيا، بما جَبَله الله[٦] عليه من الأخلاق المحمودة، فقيل فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٧] فكان ذا خُلُق، لم يكن ذا تخلُّق.

ولَمّا كانت الأخلاق، تختلف أحكامها باختلاف المَحلّ التي ينبغي أن تقابل بها، احتاج صاحب الخُلق إلى علم يكون عليه، حتى يصرِّف في[٨] ذلك المحلّ الخُلُق الذي يليق به عن أمر الله،

---

(١) [الأنبياء: ٤٧]
(٢) [الرحمن: ٩]
(٣) [الرحمن: ٧]
(٤) ص ١٢٧
(٥) [البقرة: ١٦٣]
(٦) ص ١٢٧ب
(٧) [القلم: ٤]
(٨) ثابت في الهامش بقلم الأصل.

فيكون قربة إلى الله. فلذلك تنزّلت الشرائع لتبيّن للناس محالّ أحكام الأخلاق التي جُبِل الإنسان عليها، فقال الله في مثل ذلك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1] لوجود التأفيف في خَلقه، فأبان عن المحلّ الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخُلُق، ثمّ بيّن المحلّ الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخُلُق، فقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[2]، وقال -تعالى-: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾[3] فأبان عن المحلّ الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خُلُق الخوف، ثمّ قال لهم: ﴿وَخَافُونِ﴾ فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة. وكذلك الحسد والحرص، وجميع ما في هذه النشأة الطبيعيّة الظاهر حكم روحانيّتها فيها، قد أبان الله لنا حيث نُظهرها وحيث نمنعها، فإنّه من المُحال إزالتها عن هذه النشأة إلّا بزوالها، لأنّها عينُها، والشيء لا يفارق نفسَه، قال ﷺ: «لا حسد إلّا في اثنتين» وقال: «زادك الله حرصا ولا تَعُد».

وإنما[4] قلنا: "الظاهر حكم روحانيّتها فيها" تحرّزنا بذلك من أجل أهل الكشف، والعلماء الراسخين في العلم من المحقّقين العالِمين. فإنّ المسمّى بالجماد والنبات عندنا؛ لهم أرواح بطنتْ عن إدراك غير أهل الكشف إيّاها في العادة، لا يُحَسُّ بها مثل ما يُحِسّها من الحيوان. فالكلّ عند أهل الكشف حيوان ناطقٌ، بل حيٌّ ناطق. غير أنّ هذا المزاج الخاص يسمّى إنسانا لا غير بالصورة، ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج، فإنّه لا بدّ في كلّ ممتزج من مزاج خاصّ لا يكون إلّا له، به يتميّز عن غيره، كما يجتمع مع غيره في أمر، فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميّز، عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميُّز، فاعلم ذلك وتحقّقه.

قال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[5] و"شيء" نكرة، ولا يسبّح إلّا حيٌّ عاقل عالِم بمسبَّحِه. وقد ورد «أنّ المؤذّن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس»، والشرائع والنبوّات من هذا القبيل مشحونة. ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار؛ الكشف: فقد سمعنا الأحجارَ تذكر الله رؤية عين، بلسان نُطق تسمعه آذاننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله، مما ليس يدركه كلّ إنسان.

(١) [الإسراء: ٢٣]
(٢) [الأنبياء: ٦٧]
(٣) [آل عمران: ١٧٥]
(٤) ص ١٢٨
(٥) [الإسراء: ٤٤]

فكلّ جنس من خلق الله، أمّة من الأمم، فَطَرَهم الله على[(١)] عبادةٍ تخصُّهم، أوحى بها إليهم في نفوسهم. فرسولهم من ذواتهم: إعلامٌ من الله بإلهام خاصٍ جَبَلَهُم عليه، كعلم بعض الحيوانات بأشياء، يقصر عن إدراكها المهندس النحرير، وعِلمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمآكل، وتجنُّب ما يضرّهم من ذلك. كلّ ذلك في فطرتهم. كذلك المسمّى جمادا ونباتا، أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عمّا هم عليه من النطق.

و(قال عليه السلام): «لا تقوم الساعة حتى تُكَلِّم الرَّجَلَ فَخِذُهُ بما فعله أهلُهُ»؛ جعل الجهلاء من الحكماء هذا، إذا صحّ إيمانهم به، من باب العلم بالاختلاج، يريدون به علم الزجر، وإن كان علم الزجر علما صحيحا في نفس الأمر، وأنّه من أسرار الله، ولكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام. فكان له ﷺ الكشف الأتمّ، فيرى ما لا نرى.

ولقد نبّه عليه السلام على أمرٍ عمل عليه أهلُ الله فوجدوه صحيحا، قوله: «لولا تزييدٌ في حديثكم، وتمريجٌ في قلوبكم، لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع» فَخُصّ برتبة الكمال في جميع أموره، ومنها الكمال في العبوديّة؛ فكان عبدا صرفا، لم يُقِم بذاته ربّانيّةً على أحد، وهي التي أوجبتْ له السيادة، وهي الدليل على[(٢)] شرفه على الدوام. وقد قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كلّ أحيانه» ولنا منه ميراث وافر، وهو أمر يختصّ بباطن الإنسان وقوله، وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله، مع تحقُّقه بالمقام، فيلتبس (الأمر) على مَن لا معرفة له بالأحوال، فقد بيّنّا في هذا الباب ما مسّت الحاجة إليه. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[(٣)].

---

(١) ص ١٢٨ب

(٢) ص ١٢٩

(٣) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الثالث عشر
في معرفة حَمَلَة العرش

العَرْشُ -واللهِ- بِالرَّحمنِ مَحْمُولُ ... وَحَـامِلُوهُ وَهَـذَا القَوْلُ مَعْقُولُ
وَأَيُّ حَـوْلٍ لِـمَخْـلُوقٍ وَمَـقْـدِرَةٍ ... لَوْلاهُ، جَاءَ بِـهِ عَقْـلٌ وَتَنْزِيـلُ
جِسْـــمٌ وَرُوحٌ وأَقْواتٌ وَمَرْتَبَـةٌ ... ما ثَمَّ غَيْرُ الَّذِي رَتَّبْتُ تَفْصِـيلُ
فَذَا هُوَ العَرْشُ إِنْ حَقَّقْتَ سُوْرَتَهُ ... والمُسْـتَوِي بِاسْمِهِ الرَّحمن مَأْمُولُ
وَهُمْ ثَـمَـانِيَـةٌ واللهُ يَـعْـلَـمُـهُـمْ ... وَاليَوْمَ أَرْبَعَـةٌ مـا فِيْـهِ تَعْلِيـلُ
مُحَمَّـدٌ ثُمَّ رِضْـــوانٌ وَمَـالِكُهُمْ ... وَآدَمٌ وَخَـلِـيْـلٌ ثُمَّ جِـبْرِيـلُ
والْحِقْ بِمِيْكَالَ إِسْرَافِيْلَ لَيْسَ هُنَا ... سِـــوَى ثَمَـانِيَـة غُرٌّ بَهَـالِيـلُ

اعلم -أيّد الله الوليّ الحميم- أنّ العرش في لسان العرب يُطْلَق، ويراد به: المُلْك. يقال: ثُلَّ عرشُ المَلِك، إذا دخل في مُلْكه خلل، ويطلَق[1] ويراد به: السرير. فإذا كان العرش عبارة عن المُلْك، فتكون حَمَلته هم القائمون به. وإذا كان العرشُ السريرَ؛ فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم، أو مَن يحملونه[2] على كواهلهم[3]. والعدد يدخل في حَمَلة العرشين. وقد جعل الرسول حكمهم في الدنيا أربعة، وفي القيامة ثمانية. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾[4] ثمّ قال: «وهم اليوم أربعة» يعني في يوم الدنيا، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ يعني يوم الآخرة.

روينا عن ابن مسرّة الجبلي[5] من أكبر أهل الطريق عِلما وحالا وكشفا: "العرش المحمول هو المُلْك، وهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة" فآدم وإسرافيل للصُّوَر، وجبريل ومحمد

(١) ص ١٢٩ب
(٢) ق: يحمله.
(٣) ق: "هياكلهم" وصححت في الهامش بقلم آخر.
(٤) [الحاقة: ١٧]
(٥) محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي (٢٦٩-٣١٩هـ) حكى عنه صاحبه محمد بن حزم التنوخي "أنّه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبيّ ﷺ، قال: ودلّه بعض أهل المدينة على دار ماريّة أم إبراهيم سرّيّة النبيّ ﷺ، فقصد إليها فإذا دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط، وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقي إلى ذلك الفرش على خارج لطيف، وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبيّ ﷺ في الصيف، قال: فرأيت أبا عبد الله بعدما صلّى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره، فكشفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك، فقال: هذا البيت الذي تراني فيه بنيته على تلك الحالة في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان". [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢ / ١٥٠-١٥١)]

للأرواح، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد والوعيد. وليس في المُلْك إلّا ما ذُكِر. والأغذية التي هي الأرزاق حِسّيّة ومعنويّة، فالذي نذكر في هذا الباب الطريقة الواحدة التي هي بمعنى المُلْك، لما يتعلّق به من الفائدة في الطريق، وتكون حَملته؛ عبارة عن القائمين بتدبيره. فمدبِّرٌ صورة عنصريّة أو صورة نوريّة، و(مدبِّر) روحًا مدبّرا لصورة عنصريّة، و(مدبِّر) روحًا مدبِّرا مسخّرا[1] لصورة نوريّة، وغذاء لصورة عنصريّة وغذاء علوم ومعارف لأرواح، ومرتبة حسّيّة من سعادة بدخول جنّة، ومرتبة حسّيّة من شقاوة بدخول جهنّم، ومرتبة[2] روحيّة علميّة.

فمبنى هذا الباب على أربع مسائل: المسألة الأُولَى الصورة، والمسألة الثانية الروح، والمسألة الثالثة الغذاء، والمسألة الرابعة المرتبة، وهي الغاية. وكلّ مسألة منها تنقسم قسمين: فتكون ثمانية: وهم حملة عرش المُلْك، أي إذا ظهرت الثمانية قام المُلْك وظهر واستوى عليه مليكه.

المسألة الأُولَى؛ الصورة: وهي تنقسم قسمين: صورة جسميّة عنصريّة، تتضمّن صورة جسديّة خياليّة. والقسم الآخر صورة جسميّة نوريّة. فلنبتدئ بالجسم النوريّ فنقول: إنّ أوّل جسم خلقه الله، أجسام الأرواح الْمَلَكيّة المهيَّمة في جلال الله، ومنهم العقل الأوّل، والنفس الكلّ، وإليها انتهت الأجسام النوريّة المخلوقة من نور الجلال، وما ثمّ ملَك من هؤلاء الملائكة مَن وُجد بواسطة غيره إلّا النفس، التي دون العقل، وكلّ ملَك خُلق بعد هؤلاء فداخلون تحت حكم الطبيعة؛ فهم من جنس أفلاكها التي خُلقوا منها، وهم عمّارها، وكذلك ملائكة العناصر. وآخر صنف من الأملاك؛ الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم. فلنذكر ذلك صنفا صنفا في هذا الباب -إن شاء الله تعالى-.

اعلم أنّ الله -تعالى- كان قبل أن[3] يخلق الخلق -ولا قبليّة زمان، وإنما ذلك عبارة للتوصيل تدلّ على نسبة يحصل بها المقصود في نفس السامع- كان جلّ وتعالى: «في عماء؛ ما تحته هواء وما فوقه هواء» وهو أوّل مَظهر إلهيّ ظهر فيه، سرى فيه النور الذاتيّ كما ظهر في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[4] فلمّا انصبغ ذلك العماء بالنور، فتح فيه صور الملائكة المهيَّمين، الذين

---

(١) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٢) ص ١٣٠
(٣) ص ١٣٠ب
(٤) [النور: ٣٥]

هم فوق عالَم الأجسام الطبيعيّة، ولا عرش ولا مخلوق تقدَّمهم، فلمّا أوجدهم تجلّى لهم، فصار لهم من ذلك التجلّي غيبا، كان ذلك الغيبُ روحا لهم، أي لتلك الصور، وتجلّى لهم في اسمه الجميل، فهاموا في جلال جماله فهم لا يفيقون.

فلمّا شاء أن يخلق عالَم التدوين والتسطير، عيّن واحدا من هؤلاء الملائكة الكروبيّين، وهو أوّل ملَك ظهر من ملائكة ذلك النور؛ سمّاه العقلَ والقلم. وتجلّى له في مجلى التعليم الوهبيّ، بما يريد إيجاده من خَلْقِه، لا إلى غايةٍ وَحَدٍّ، فقَبِل بذاته علم ما يكون، وما للحقّ من الأسماء الإلهيّة الطالبة صدور هذا العالَم الخَلقيّ، فاشتقّ من هذا العقل موجودا آخر[1] سمّاه اللوح، وأمر القلم أن يتدلّى إليه، ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير. وجعل لهذا القلم ثلاثمائة وستين سِنًّا في[2] قلميّته، أي من كونه قلما، و(جعل) من كونه عقلا ثلاثمائة وستين تجلّيا أو رقيقة، كلّ سنّ أو رقيقة تغترف من ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الإجماليّة، فيفصّلها في اللوح. فهذا حَصْرُ ما في العالَم من العلوم إلى يوم القيامة. فعَلِمها اللوحُ حين أودعه إيّاها القلمُ، فكان من ذلك علم الطبيعة؛ وهو أوّل علم حصل في هذا اللوح، من علوم ما يريد الله خَلْقه، فكانت الطبيعة دون النفس، وذلك كلّه في عالَم النور الخالص.

ثمّ أوجد -سبحانه- الظُّلمة المحضة، التي هي في مقابلة هذا النور، بمنزلة العدم المطلق، المقابل للوجود المطلق. فعندما أوجدها أفاض عليها النور إفاضةً ذاتيّة بمساعدة الطبيعة، فلأَمَ شعثَها ذلك النور، فظهر الجسم المعبَّر عنه بالعرش، فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر، فذلك أوّل ما ظهر من عالَم الخلق. وخلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السَّحَر؛ الملائكةَ الحافّين بالسرير، وهو قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[3] فليس لهم شغل إلّا كونهم حافّين من حول العرش، يسبّحون بحمده، وقد بيّنّا خلق العالَم في كتاب سمّيناه "عقلة المستوفز" وإنما نأخذ منه في هذا الباب رءوس[4] الأشياء.

ثمّ أوجد الكرسيّ في جوف هذا العرش، وجعل فيه ملائكةً من جنس طبيعته. فكلّ فلَك

---

(١) ثابت في الهامش بقلم الأصل.
(٢) ص ١٣١
(٣) [الزمر: ٧٥]
(٤) ص ١٣١ب

أصلٌ لما خُلِق فيه من عُمّاره، كالعناصر فيما خُلِق منها من عُمّارها، كما خلق آدم من تراب، وعَمَر به وببنيه الأرض. وقسم في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر وحكم، وهما القدمان اللتان تدلّتا له من العرش، كما ورد في الخبر النبويّ. ثمّ خلق في جوف الكرسيّ الأفلاك: فلَكا في جوف فلَك، وخلق في كلّ فلَك عالَما منه يعمرونه، سمّاهم ملائكة؛ يعني رُسُلا، وزيّنها بالكواكب، ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾[1]، إلى أن خلق صور المولّدات.

ولَمّا أكمل الله هذه الصور النوريّة والعنصريّة بلا أرواح، تكون غيبا لهذه الصور، تجلّى لكلّ صنف من الصور بحسب ما هي عليه، فتكوّن عن الصور وعن هذا التجلّي أرواحُ الصوَر، وهي المسألة الثانية، فخلَق الأرواح وأمرها بتدبير الصوَر، وجعلها غير منقسمة بل ذات واحدة، وميَّز بعضها عن بعض فتميّزت، وكان ميْزُها بحسب قبول الصور من ذلك التجلّي، وليست الصوَر بأينيّات لهذه الأرواح على الحقيقة، إلّا أنّ هذه الصوَر لها كالمُلْك في حقّ الصوَر العنصريّة، وكالمظاهر في حقّ الصوَر كلّها.

ثمّ أحدث الله الصور الجسديّة الخياليّة، بتجلٍّ آخر بين اللطائف والصور، تتجلّى في تلك الصور الجسديّة، الصور النوريّة[2] والناريّة، ظاهرة للعين. وتتجلّى الصور الحسّيّة حاملة للصور المعنويّة، في هذه الصور الجسديّة، في النوم وبعد الموت وقبل البعث، وهو البرزخ الصوْري، وهو قَرْنٌ من نور، أعلاه واسعٌ وأسفله ضيّق. فإنّ أعلاه العماء، وأسفله الأرض. وهذه الأجساد الصوريّة، التي يظهر فيها الجنّ والملائكة وباطن الإنسان، وهي الظاهرة في النوم[3]، وصوَر سوق الجنّة. وهي هذه الصور التي تعمر الأرض، التي تقدَّم الكلام عليها في بابها.

ثمّ إنّ الله -تعالى-، جعل لهذه الصوَر ولهذه الأرواح غذاء، -وهو المسألة الثالثة- يكون بذلك الغذاء بقاؤهم، وهو رزق حِسّيّ ومعنويّ. فالمعنويّ منه غذاء العلوم والتجلّيات والأحوال. والغذاء المحسوس معلوم. وهو ما تحمله صوَر المطعومات والمشروبات من المعاني الروحانيّة، أعني القوى. فذلك هو الغذاء. فالغذاء كلّه معنويٌّ على ما قلناه، وإن كان في صور محسوسة. فتتغذّى كلُّ صورة، نوريّة كانت أو حيوانيّة أو جسديّة، بما يناسبها. وتفصيل ذلك يطول.

ثمّ إنّ الله جعل لكلّ عالَم مرتبة في السعادة والشقاء، ومنزلة، وتفاصيلها لا تنحصر. فسعادتها

---

(١) [فصلت: ١٢]

(٢) ص ١٣٢

(٣) "وهي الظاهرة في النوم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

بحسَبها؛ فمنها سعادة غرضيّة، ومنها سعادة كماليّة، ومنها سعادة ملائمة، ومنها سعادة وضعيّة، أعني شرعيّة. والشقاوة مثل ذلك في التقسيم، بما[1] لا يوافق الغرض، ولا الكمال ولا المزاج، وهو غير الملائم، ولا الشرع. وذلك كلّه محسوس ومعقول. فالمحسوس منه ما يتعلّق بدار الشقاء، من الآلام في الدنيا والآخرة، وما يتعلّق بدار السعادة من اللذّات في الدنيا والآخرة. ومنه خالص وممتزج. فالخالص يتعلّق بالدار الآخرة، والممتزج يتعلّق بالدار الدنيا: فيظهر السعيد بصورة الشقيّ، والشقيّ بصورة السعيد، وفي الآخرة يمتازون. وقد يظهر الشقيُّ في الدنيا بشقاوته، ويتّصل بشقاء الآخرة، وكذلك السعيد، ولكنّهم مجهولون، وفي الآخرة يمتازون ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[2] فهنالك تلحق المراتب بأهلها لحوقا لا ينخرم ولا يتبدّل.

فقد بان لك معنى الثمانية، التي هي مجموع المُلْك، المعبَّر عنه بالعرش، وهذه هي المسألة الرابعة. فقد بان لك معنى الثمانية. وهذه الثمانية للنِّسب الثمانية التي يوصف بها الحقُّ. وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وإدراك المطعوم والمشموم والملموس بالصفة اللائقة به، فإنّ لهذا الإدراك بها تعلُّقا[3]، كإدراك السمع بالمسموعات والبصر بالمبصَرات، ولهذا انحصر المُلْك في ثمانية؛ فالظاهر منها في الدنيا أربعة: الصورة والغذاء والمرتبتان، ويوم القيامة تظهر الثمانية بجميعها للعيان، وهو[4] قوله -تعالى-: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[5]، فقال ﷺ: «وهم اليوم أربعة»، هذا في تفسير العرش بالمُلْك.

وأمّا العرش الذي هو السرير؛ فإنّ لله ملائكة يحملونه، على كواهلهم، هم اليوم أربعة، وغدا يكونون ثمانية، لأجل الحمل إلى أرض الحشر، وورد في صور هؤلاء الأربعة الحملة، ما يقاربه قول ابن مسرّة، فقيل: الواحد على صورة الإنسان، والثاني على صورة الأسد، والثالث على صورة النسر، والرابع على صورة الثور، وهو الذي رآه السامريّ، فتخيّل أنّه إله موسى، فصنع لقومه العجل، وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[6] القصّة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[7].

(١) ص ١٣٢ب
(٢) [يس: ٥٩]
(٣) ق، س: تعلقٌ.
(٤) ص ١٣٣
(٥) [الحاقة: ١٧]
(٦) [طه: ٨٨]
(٧) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الرابع عشر
في معرفة أسرار الأنبياء؛ أعني أنبياء الأولياء وأقطاب الأمم المكمّلين من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وإنّ القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت، وأين مسكنه؟

أَنْبِيـاءُ الأَوْلِيـاءِ الـوَرَثَـةْ ... عَـرَّفَ اللهُ بِهِـمْ مَـنْ بَـعَـثَـهْ
ثُمَّ فِي رُوْعِ إِمـامٍ واحِـدٍ ... سِرَّ هَـذَا الأَمْـرِ رُوحٌ نَـفَـثَـهْ
ثُمَّ[1] لَـمّـا عَـقَـدَ اللهُ لَهُ ... وَسَرَى فِي خَلْقِـهِ مـا نَكَثَـهْ
وتَـلَـقَّـتْـهُ عَـلَى عِـزَّتِـهِ ... مِـنَّـةً مِـنْـهُ قُـلُـوبُ الـوَرَثَـةْ
مَوْضِعُ القُطْبِ الذِي يَسْكُنُهُ ... لَيْسَ يَدْرِيْهِ سِـــوَى[2] مَنْ وَرِثَهْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ النبيّ هو الذي يأتيه الملَك بالوحي من عند الله، يتضمّن ذلك الوحيُ شريعةً يتعبّده بها في نفسه، فإن بُعث بها إلى غيره كان رسولا. ويأتيه الملَك على حالتين: إمّا ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوالٍ في ذلك التنزّل، وإمّا على صورة جسديّة من خارجٍ، يلقي ما جاء به إليه على أذنه فيسمع، أو يلقيها على بصره فيبصره، فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع، سَوَاء. وكذلك سائر القوى الحسّاسة. وهذا بابٌ قد أُغلق برسول الله ﷺ. فلا سبيل أن يتعبّد الله أحدا بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمديّة. وإنّ عيسى عليه السلام إذا نزل ما يحكم إلّا بشريعة محمد ﷺ. وهو (أي عيسى) خاتمُ الأولياء. فإنّه من شرف محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمّته والولاية مطلقة بنبيٍّ رسولٍ مكرّم، ختم به مقام الولاية. فله يوم القيامة حشران؛ يُحشر مع الرسل رسولا، ويحشر[3] معنا وليّا تابعا محمدا ﷺ، كرّمه الله -تعالى- وإلياس بهذا المقام على سائر الأنبياء.

(١) ص ١٣٣ب
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٣) ص ١٣٤

وأمّا حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمّة، فهو كلّ شخص أقامه الحقّ في تجلٍّ من تجلّياته، وأقام له مظهر محمد ﷺ، ومظهر جبريل عليه السلام، فأسمعه ذلك المظهر الروحانيّ خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد ﷺ. حتى إذا فرغ من خطابه، وفُزِّعَ عن قلب هذا الوليّ، عَقل صاحبُ هذا المشهد جميع ما تضمّنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة، الظاهرة في هذه الأمّة المحمّديّة. فيأخذها هذا الوليّ، كما أخذها المظهر المحمّديّ، للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة، مما أُمِر به ذلك المظهر المحمّديّ من التبليغ لهذه الأمّة[1]. فيُرَدُّ إلى نفسه وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد ﷺ، وعلم صحّته علم يقين بل عين يقين. فأخذ حكم هذا النبيّ، وعمل به على بيّنة من ربّه.

فرُبَّ حديث ضعيف قد تُرِك العمل به لضعف طريقه، من أجل وَضّاع كان في رواته، يكون صحيحا في نفس الأمر، ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث، ولم يضعه. وإنما ردّه المحدِّث لعدم الثقة بقوله في نقله، وذلك إذا انفرد به ذلك الواضع، أو كان مدار[2] الحديث عليه. وأمّا إذا شاركه فيه ثقةٌ سمعه معه، قُبِل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة. وهذا وَلِيٌّ قد سمعه من الروح يلقيه على حقيقة محمد ﷺ، كما سمع الصحابةُ في حديث جبريل عليه السلام مع محمد ﷺ، في الإسلام والإيمان والإحسان، في تصديقه إيّاه. وإذا سمعه من الروح الملقي؛ فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله ﷺ، علما لا يشكّ فيه، بخلاف التابع، فإنّه يقبله على طريق غلبة الظنّ، لارتفاع التهمة المؤثِّرة في الصدق.

ورُبَّ حديث يكون صحيحا من طريق رواته، يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر، فسأل النبيّ ﷺ عن هذا الحديث الصحيح، فأنكره وقال له: "لم أقله ولا حكمتُ به" فيَعلم ضعفه، فيترك العمل به عن بيّنة من ربّه، وإن كان قد عمل به أهلُ النقل لصحّة طريقه، وهو في نفس الأمر ليس كذلك. وقد ذكر مثل هذا "مسلم" في صدر كتابه الصحيح. وقد يُعَرَّف هذا المكاشف، مَن وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه، في زعمهم، إمّا أن يسمَّى له أو تقام له صورة الشخص.

فهؤلاء هم أنبياء الأولياء، ولا يتفرّدون قطّ بشريعة، ولا يكون لهم خطاب بها إلّا بتعريف: إنّ

(١) ثابتة في الهامش مع إشارة التصحيح.
(٢) ص ١٣٤ب

هذا هو شرع[1] محمد ﷺ. أو يشاهد المنزّل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثّل، الخارج عن ذاته والداخل، المعبّر عنه بالمبشّرات في حقّ النائم. غير أنّ الوليّ يشترك مع النبيّ، في إدراك ما تدركه العامّة في النوم، في حال اليقظة، سَوَاء. وقد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا، وإتيان غير[2] هذا وهو الفعل بالهمّة، والعلم من غير معلّم من المخلوقين، غير الله، وهو علم الخضر. فإن آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبّده بها، على لسان رسول الله ﷺ، بارتفاع الوسائط، أعني الفقهاء وعلماء الرسوم، كان من العلم اللدنّي، ولم يكن من أنبياء هذه الأمّة. فلا يكون مَن يكون من الأولياء وارث نبيّ إلّا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة المَلَك عند الإلقاء على حقيقة الرسول؛ فافهم.

فهؤلاء هم أنبياء الأولياء. وتستوي الجماعة كلّها في الدعاء إلى الله على بصيرة، كما أمر الله -تعالى- نبيّه ﷺ أن يقول: ﴿ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[3] وهم أهل هذا المقام، فهم في هذه الأمّة، مثل الأنبياء في بني إسرائيل، على مرتبة تعبُّد هارون بشريعة موسى -عليهما السلام-، مع كونه نبيّا، فإنّ الله قد شهد بنبوّته، وصرّح بها في القرآن. فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة[4] الصحيحة التي لا شكّ فيها، على أنفسهم وعلى هذه الأمّة ممن اتّبعهم، فهم أعلم الناس بالشرع، غير أنّ الفقهاء لا يسلِّمون لهم ذلك. وهؤلاء لا يلزمهم إقامة[5] الدليل على صدقهم، بل يجب عليهم الكتم لمقامهم، ولا يردّون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم، مع علمهم بأنّ ذلك خطأ في نفس الأمر. فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسألة بغير ما أدّاه إليه اجتهاده وأعطاه دليله، وليس له أن يخطّئ المخالِف له في حكمه، فإنّ الشارع قد قرّر ذلك الحكم في حقّه. فالأدب يقتضي له أن لا يخطّئ ما قرّره الشارع حكما، ودليله وكشفه يحكم عليه باتّباع حكم ما ظهر له وشاهده.

وقد ورد الخبر عن النبيّ ﷺ: «إنّ علماء هذه الأمّة أنبياء بني إسرائيل» يعني المنزلة التي أشرنا إليها، فإنّ أنبياء بني إسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسلهم، وتقوم بها فيهم. وكذلك علماء هذه الأمّة وأئمّتها، يحفظون عليها أحكام رسولها ﷺ، كعلماء الصحابة، ومَن نزل عنهم من

(١) ص ١٣٥
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٣) [يوسف: ١٠٨]
(٤) ص ١٣٥ب
(٥) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

التابعين وأتباع التابعين كالثوريّ، وابن عيينة، وابن سـيرين(١)، والحسـن، ومالك(٢)، وابن أبي رباح، وأبي حنيفة(٣)، ومن نزل عنهم كالشافعي(٤)، وابن حنبل(٥)، ومن جرى مجرى هؤلاء إلى هلمّ جرا في حفظ الأحكام.

وطائفة أخرى(٦) من علماء هذه الأمّة، يحفظون عليها أحوال الرسول ﷺ وأسرار علومه كعليٍّ، وابن عبّاس(٧)، وسلمان، وأبي هريرة، وحذيفة، ومن التابعين كالحسن البصريّ(٨)، ومالك بن

---

(١) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وكان سيرين أبوه مكاتبا لأنس بن مالك وهم إخوة أربعة محمد وأنس ومعبد ويحيى وحفصة وكريمة أولاد سيرين حمل عن ستتهم العلم وكان محمد بن سيرين من أورع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم وكان يعبر الرؤيا رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ ومات بالبصرة في شوال بعد الحسن بمائة يوم وقبره بإزاء قبر الحسن بالبصرة مشهور يزار. [مشاهير علماء الأمصار - (١ / ١٤٣)]

(٢) الإمام مالك بن أنس (٩٩-١٨٩هـ): صاحب كتاب الموطأ في الحديث الشريف عالم المدينة وإمامها أحد المجتهدين الأربعة مات وله تسعون سنة وقبره بالمدينة على شط بقيع الغرقد وكان وفاته في أيام الرشيد ولد وأسنانه ثابتة فسمي: ضحاكا -أضحكه الله في جناته-. أخذ عنه العلم جماعة كثيرة منهم: الشافعي قال: إذا ذكر العلماء فمالكٌ النجم، وإذا جاء الحديث عنه فاشدد يديك به. وقال مالك: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله تعالى في القلب... وكتابه الموطأ في الطبقة الأُولَى من كتب الحديث عند المحققين وكان شارحه - صاحب المصفى والمسوى- شديد الاعتناء به حتى قال: إن المقصود في هذه الدورة العمل بالموطأ وترك العمل بغيره من التفريعات والكتب، وهذا يدل على عظمة رتبة هذا التأليف. [أبجد العلوم - (٣ / ١٢٢)]

(٣) الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت إمام الحنفية ومقتدى أصحاب الرأي (٨٠-١٥٠هـ): ولد سنة ٨٠ من الهجرة. لم ير أحدا من الصحابة - باتفاق أهل الحديث - وإن كان عاصر بعضهم - على رأي الحنفية -... وقد ضعف المحدثون أبا حنيفة - رحمه الله - في الحديث وهو كذلك كما يظهر من الرجوع إلى فقه هذا الإمام وتصرفاته في الكلام.. والكتب المؤلفة في ترجمته كثيرة يوجد بعضها فهي تغني عن الإطالة في هذا المقام. [أبجد العلوم - (٣ / ١٢١)].

(٤) الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي (١٥٠-٢٠٤هـ): ثالث المجتهدين وأعلم العلماء الربانيين لَمّا حملت به أمه رأت كأن المشتري خرج من بطنها وانقض ووقع في كل بلدة منه شظية فعبر المعبر: أنه يخرج من بطنك عالم عظيم فكان كما عبر. وهو أول من دون علم أصول الفقه ورزق السعادة التامة في علمه. قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي كالشمس للنهار وكالعافية للناس وإنّي لأدعو له في أثر صلاتي: "اللهمّ اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي". قال في مدينة العلوم: وبالجملة هو عالم الدنيا وعالم الأرض شرقا وغربا جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام بعده، وفضائله أكثر من أن تحصى لا يسعها إلّا المجلدات. حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره. [أبجد العلوم - (٣ / ١٢٣)]

(٥) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي (١٦٤-٢٤١هـ) إمام أهل السنة بلا مدافع وقدوة أهل الحديث بغير منازع. ولد ببغداد، به عرف صحيح الحديث من ضعيفه والمجروح من المعدل. رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علمائها، وسمع الحديث من شيوخ بغداد وسمع منه الشيخان الكبيران: البخاري ومسلم وأبو زرعة وأبو داود السجستاني وخلق كثير سواهم وفضائله كثيرة ومناقبه جمة في الإسلام وآثاره مشهورة ومقاماته في الدين مذكورة وهو رابع المجتهدين المعول على قوله ورأيه وروايته. قال ابن راهويه: هو حجة بين الله وبين عباده في أرضه وكان يحفظ ألف ألف حديث، وكانت مجالسته مجالسة الآخرة لا يذكر من أمر الدنيا شيئا ضرب تسعة وعشرين سوطا على إنكار خلق القرآن. قال أحمد بن محمد الكندي: رأيته في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي ربي وقال: يا أحمد ضربت في؟ قلت: نعم يا رب! قال: هذا وجهي انظر إليه قد أبحتك النظر إليه. [أبجد العلوم - (٣ / ١٢٤)]

(٦) ص ١٣٦

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أبو العباس الحبر البحر، ابن عم رسول الله ﷺ، وأبو الخلفاء. ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وصحب النبي ﷺ ودعا له بالحكمة مرتين. وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس! وروى عن النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان، وعلي، وأُبي، وأبيه العباس، وأبي ذر، وأبي سفيان، وطائفة من الصحابة، وقال مجاهد: ما رأيت أحدًا قط مثل ابن عباس لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة، وكان يسمى البحر لكثرة علومه. وعن عبيد الله بن عبد الله قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصالٍ: بعلم ما سبق، وفقه ما احتيج إليه، وحلمٍ ونسبٍ ونائلٍ، ولا رأيت أحدًا أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ ولا بقضاء أبي بكر وعمرو وعثمان ولا أعلم بشعرٍ منه. وتوفي سنة ثمانٍ وستين للهجرة. [الوافي بالوفيات - (٥ / ٤٠٤)]

(٨) الحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع،

دينار، وبُنان الحمّال، وأيّوب السختياني، ومَن نزل عنهم بالزمان كشيبان الراعي[1]، وفرح الأسود المعمّر، والفضيل بن عياض[2]، وذي النون المصري، ومن نزل عنهم كالجنيد، والتستري، ومَن جرى مجرى هؤلاء من السادة في حفظ الحال النبويّ والعلم اللدنّيّ والسرّ الإلهيّ.

فأسرار حفظة الحكم، موقوفة في الكرسيّ عند القدمين، إذ لم يكن لهم حال نبويّ يعطي سرًّا إلهيّا ولا علما لدنّيّا. وأسرار حفّاظ الحال النبويّ والعلم اللدنّيّ، من علماء حفّاظ الحكم وغيرهم، موقوفة عند العرش والعماء، ولا موقوفة، ومنها ما لها مقام ومنها ما لا مقام لها، وذلك مقامٌ لها تتميّز به، فإنّ ترك العلامة بين أصحاب العلامات علامة محقَّقة، غير محكوم عليها بتقييد، وهي أسنى العلامات، ولا يكون ذلك إلّا للمتمكن الكامل في الورث المحمّديّ.

وأمّا أقطاب الأمم المكمّلين، في غير هذه الأمّة ممن تقدَّمَنا بالزمان، فجماعة ذُكِرتْ لي أسماؤهم باللسان العربيّ، لَمّا أُشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخيّة، وأنا بمدينة قرطبة، في مشهد أقدس، فكان منهم: "المفرِّق" و"مداوي الكلوم" و"البَكّاء"[3] و"المرتفع" و"الشفاء" و"الماحق" و"العاقب" و"المنحور" و"شجر الماء" و"عنصر الحياة" و"الشريد" و"الراجع" و"الصانع" و"الطيّار" و"السالم" و"الخليفة" و"المقسوم" و"الحيّ" و"الرامي" و"الواسع" و"البحر" و"الملصَق" و"الهادي" و"المصلِح" و"الباقي"، فهؤلاء المكمّلون الذين سُمُّوا لنا من آدم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ.

وأمّا القطب الواحد، فهو روح محمد ﷺ، وهو المِدّ لجميع الأنبياء، والرسل -سلام الله عليهم

وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إنِّي قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة. توفي بالبصرة. [الأعلام للزركلي (٢ / ٢٢٦)]

(١) شيبان الراعي: (ت ١٥٨هـ) كان من كبار الفقهاء من الزهاد والعباد؛ وكان من أكابر أهل دمشق ثم ترك الدنيا وخرج إلى جبل لبنان، فانقطع به وأكل المباحات وصحب سفيان الثوري وغيره. قيل: إنه كان إذا حصل له جنابة أتته سحابة مطر فيغتسل منها؛ وكان إذا ذهب إلى الجمعة يخط على غنمه خطاً فيجيء فلم يجدها تتحرك. قال الهيثم: حج شيبان وسفيان الثوري فعرض لهما سبع، فقال سفيان: أما ترى السبع؛ فقال شيبان لا تخف غير الله عز وجل، فلما سمع السبع صوت شيبان جاء إليه وبصبص فعرك شيبان أذنه بعد أن بصبص السبع، فقال له: اذهب. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة [١ /١٤٨]

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد أحد العباد. روى عن الأعمش ومنصور وجعفر الصادق وسليمان التيمي وحميد الطويل ويحيى الأنصاري وخلق. وعنه الشافعي والسفيانان وابن المبارك ويحيى القطان وبشر الحافي والسري السقطي وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة نبيلًا فاضلًا عابدًا ورعًا كثير الحديث. مات بمكة في أول سنة سبع وثمانين ومائة. [طبقات الحفاظ (١ / ١٩)]

(٣) ص ١٣٦ب

أجمعين- والأقطاب، من حين النشء الإنســـانيّ إلى يوم القيامة. قيل له ﷺ: «متى كنت نبيّا؟» فقال ﷺ: «وآدم بين الماء والطين» وكان اسمه "مداوي الكلوم" فإنّه بجراحات الهوى خبير. و(بجراحات) الرأي والدنيا والشيطان والنفس، بكلّ لسان نبويّ، أو رِساليّ، أو لسان الولاية (أيضا هو جدّ خبير). وكان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة، وإلى الشام، ثمّ صُرف الآن نظره إلى أرض كثيرة الحرِّ واليبس، لا يصل إليها أحد من بني آدم بجسده، إلّا أنّه قد رآها بعض الناس من مكة، في مكانه من غير نُقلة، زُوِيتْ له الأرض فرآها، وقد أخذنا نحن عنه علوما جمّة بمآخذ مختلفة.

ولهذا[1] الروح المحمّديّ مظاهر في العالَم، أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد، وفي ختم الولاية المحمّديّ، وختم الولاية العامّة الذي هو عيسى عليه السلام، وهو المعبّر عنه (في عنوان هذا الباب) بمسكنه. وسأذكر فيما بعد هذا الباب -إن شاء الله-، ما له، من كونه "مداوي الكلوم" من الأسرار، وما انتشر عنه من العلوم. ثمّ ظهر هذا السرّ بعد ظهور حال "مداوي الكلوم" في شخص آخر اسمه "المستسلم للقضاء والقدر"، ثمّ انتقل الحكم منه إلى "مظهر الحقّ"، ثمّ انتقل من "مظهر الحقّ" إلى "الهائج"، ثمّ انتقل من "الهائج" إلى شخص يسمّى "واضع الحِكَم"، وأظنّه "لقمان" والله أعلم، فإنّه كان في زمان داود، وما أنا منه على يقين أنّه لقمان، ثمّ انتقل من "واضع الحِكَم" إلى "الكاسب"، ثمّ انتقل من "الكاسب" إلى "جامع الحِكَم"، وما عرفتُ لمن انتقل الأمر من بعده، وسأذكر -في هذا الكتاب- إذا جاءت أسماء هؤلاء، ما اختصّوا به من العلوم، ونذكر لكلّ واحد منهم، مسألة -إن شاء الله-، ويُجْرى ذلك على لساني، فما أدري ما يفعل الله بي، ويكفي هذا القدر من هذا الباب ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

انتهى الجزء الثالث عشر.[3]

(١) ص ١٣٧
(٢) [الأحزاب: ٤]
(٣) في الهامش: "بلغ".

الجزء الرابع عشر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

الباب الخامس عشر

في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها

المحقّقين بها وأسرارَهم

عالَمُ الأَنْفاسِ مِنْ نَفَسِي وَهُمُ الأَعْلَونَ فِي القُدُسِ
مُصْطَفاهُمْ سَيِّدٌ لَسِنٌ وَحْيُهُ يَأْتِيهِ فِي الجَرَسِ
قُلْتُ لِلْبَوَّابِ حِيْنَ رَأَى ما أُقاسِيهِ مِنَ الحَرَسِ
قالَ ما تَبْغِيْهِ يا وَلَدِي؟ قُلْتُ قُرْبَ السَّيِّدِ النَّدُسِ(٣)
مَنْ شَفِيْعِي لِلإِمامِ عَسَى خَطْرَةٌ مِنْهُ لِمُخْتَلِسِ
قالَ ما يُعْطِي عَوَارِفَهُ لِغَنِيٍّ غَيْرِ مُبْتَئِسِ

قال رسول الله ﷺ: «إنّ نفَس الرحمن يأتيني من قِبَل اليمن»(٤) قيل: كأنّ الأنصار نَفَّسَ الله بهم عن نبيّه ﷺ، ما كان فيه من مقاساة الكفّار المشركين. والأنفاسُ روائحُ القُرب الإلهيّ. فلمّا تنسّمتْ مشامُّ العارفين عَرْفَ هذه الأنفاس؛ توفَّرتْ الدواعي منهم إلى طلبِ محقِّق ثابتِ القَدم في ذلك المقام، يُنبئهم بما في طيِّ ذلك المقام الأقدس(٥)، وما جاءت به هذه الأنفاس من العَرْف الأَنفس، من الأسرار والعُلوم، بعد البحث بالهمم والتعرُّض لنفحات الكرم، عُرِّفوا بشخص إلهيّ، عنده السرّ الذي يطلبونه، والعلم الذي يريدون تحصيله، وأقامه الحقُّ فيهم قطبا يدور عليه فُلْكُهُم، وإماما يقوم به مُلْكُهُم، يقال له: "مداوي الكُلوم". فانتشر عنه فيهم من العلم والحِكم والأسرار ما لا يحصرها كتاب.

وأوّل سِرٍّ اطَّلع عليه؛ الدهر الأوّل، الذي عنه تكوّنت الدهور، وأوّلُ فعل أعطي، فِعلُ ما

---

(١) العنوان ص ١٣٧ب
(٢) البسملة ص ١٣٨
(٣) رجل نَدُسٌ ونَدْسٌ ونَدِسٌ أي فَهِمٌ سريع السمع فَطِن. وقيل: هو العالم بالأُمور والأَخبار. [لسان العرب].
(٤) مسند الشاميين للطبراني ١٠٥٣، كنز العمال ٣٣٩٥١
(٥) ص ١٣٨ب

تقتضيه روحانيّة السماء السابعة، سماء "كيوان". فكان يُصَيِّر الحديدَ فضَّةً بالتدبير والصنعة، ويصيّر الحديد ذهبا بالخاصّيّة، وهو سرّ عجيب، ولم يطلب على هذا رغبةً في المال، ولكن رغبة في حسن المآل، ليقف من ذلك على رتبة الكمال، وأنَّه مكتسب في التكوين، فإنّ المرتبة الأُولَى؛ من عقد الأبخرة المعدنيّة بالحركات الفلكيّة والحرارة الطبيعيّة، زئبقا وكبريتا. وكلٌّ متكوّن في المعدن فإنّه يطلب الغاية الذي هو الكمال، وهو الذهب. لكن تطرأ عليه في المعدن عللٌ وأمراضٌ مِن يُبْسٍ مفرِط أو رطوبة مفرطة، أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال. فيؤثّر فيه ذلك المرض صورةً، تُسَمَّى الحديدَ أو[1] النحاس أو الأُسْرُب[2] أو غير ذلك من المعادن.

فأعطي هذا الحكيم معرفة العقاقير والأدوية، المزيلِ استعمالُها تلك العلَّةَ الطارئة، على شخصيّة هذا الطالب درجة الكمال من المعدنيّات، وهي[3] الذهب، فأزالها. فصحّ ومشى حتى لحق بدرجة الكمال. ولكن لا يقوى في الكماليّة قوّة الصحيح الذي ما دخل جسمه مرض. فإنّ الجسد الذي يدخله المرض بعيد أن يتخلّص وينقَّى الخلوص الذي لا يشوبه كدر، وهو الخلاص الأصلي، كيحيى في الأنبياء وآدم -عليهما السلام-. ولم يكن الغرض إلّا درجة الكمال الإنساني في العبوديّة. فإنّ الله خلقه في أحسن تقويم، ثمّ ردّه إلى ﴿أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ. إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[4] فأُبقوا على الصحّة الأصليّة. وذلك أنّه في طبيعته اكتسب علل الأعراض، وأمراض الأغراض، فأراد هذا الحكيم أن يردّه إلى أحسن تقويم، الذي خلقه الله عليه. فهذا كان قصدُ الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة، المسمّاة بالكيمياء، وليست سِوَى معرفة المقادير والأوزان.

فإنّ الإنسان لَمّا خلقه الله -وهو آدم أصل هذه النشأة الإنسانيّة والصورة الجسميّة الطبيعيّة العنصريّة- رَكّب جسده من حارّ وبارد[5] ورطب ويابس، بل من بارد يابس، وبارد رطب، وحارّ رطب، وحارّ يابس، وهي الأخلاط الأربعة: السوداء، والبلغم، والدم، والصفراء. كما هي في جسم العالَم الكبير: النار، والهواء، والماء، والتراب. فخلق الله جسم[6] آدم من طين، وهو

---

(١) ص ١٣٩
(٢) الأسرب: الرصاص.
(٣) ق: "وهو" وعدلت فوقها بقلم الأصل.
(٤) [التين: ٥، ٦]
(٥) ص ١٣٩ب
(٦) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

مزج الماء بالتراب، ثمّ نفخ فيه نفسا وروحا. ولقد ورد في النبوّة الأُولَى، في بعض الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل، ما أذكر نصّه الآن، فإنّ الحاجة مسّت إلى ذِكْره، فإنّ أصدق الأخبار ما روي عن الله -تعالى-.

فروينا عن مسلمة بن وضّاح، مسندا إليه، وكان من أهل قرطبة، فقال: قال الله في بعض ما أنزله على نبيّ في بني إسرائيل: "إنّي خلقت -يعني آدم- من تراب وماء، ونفختُ فيه نفسا وروحا، فسوّيتُ جسدَه من قِبَل التراب، ورطوبتَه من الماء، وحرارتَه من النفس، وبرودتَه من الروح. قال: ثمّ جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع أُخر، لا تقوم واحدة منهنّ إلّا بالأخرى، وهي: المِرَّتان والدم والبلغم، ثمّ أسكنتُ بعضهنّ في بعض، فجعلت مسكن اليبوسة في المِرّة السوداء، ومسكن الحرارة في المِرّة الصفراء، ومسكن الرطوبة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، ثمّ[1] قال جلّ ثناؤه: فأيّ جسد اعتدلتْ فيه هذه الأخلاط كملتْ صحّته واعتدلتْ بِنيته، فإن زادت واحدة منهنّ على الأخرى وقهرتهنّ، دخل السُّقْم على الجسد بقدر ما زادت، وإذا كانت ناقصة، ضعفتْ عن مقاومتهنّ، فدخل السُّقْم بغلبهنّ إيّاها، وضعفها عن مقاومتهنّ، فعِلْمُ الطبّ أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد طلبَ الاعتدال" في كلام طويل عن الله -تعالى- ذكرناه في "الموعظة الحسنة".

فكان هذا الإمام، من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعي، وما للعالَم العُلويّ فيه من الآثار المودَعة في أنوار الكواكب، وسباحتها، وهو الأمر الذي أوحى الله في السماوات، وفي اقتراناتها وهبوطها وصعودها وأَوجها وحضيضها، قال -تعالى-: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾[2] وقال في الأرض[3]: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾[4]. وكان لهذا الشخص -فيما ذكرناه- مجال رحبٌ وباع متّسِعٌ وقدمٌ راسخة. لكن ما تعدَّت قوّته في النظر الفلَكَ السابع من باب الذوق والحال. لكن حصل له ما في الفلَك المكوكب والأطلس بالكشف والاطّلاع، وكان الغالبُ عليه قلبَ الأعيان في زعمه. والأعيان لا تنقلب عندنا جملة واحدة. فكان هذا الشخص لا يبرح يسبح[5] بروحانيّته، من حيث رَصَدِهِ وفكره، مع المقابل في درجه ودقائقه. وكان عنده من أسرار إحياء الموات عجائب،

(١) ص ١٤٠

(٢) [فصلت: ١٢]

(٣) "في الأرض" ثابت في الهامش بخط الأصل.

(٤) [فصلت: ١٠]

(٥) ص ١٤٠ب

وكان مما خصّه الله؛ أنّه ما حلّ بموضع قد أجدب إلّا أوجد الله فيه الخصب والبركة، كما روينا عن رسول الله ﷺ في خضر ﷺ وقد سئل عن اسمه بخضر فقال ﷺ: «ما قعد على فروة إلّا اهتزّت تحته خضراء»[1].

وكان هذا الإمام له تلميذ كبير في المعرفة الذاتيّة وعلم القوّة، وكان يتلطّف بأصحابه في التنبيه عليه، ويستــتر عن عامّة أصحابه ذلك، خوفا عليه منهم. ولذلك سمّي "مداوي الكلوم"، كما استكتم يعقوب يوسف -عليهما السلام-، حذرا عليه من إخوته. وكان يشغل عامّة أصحابه بعلم التدبير، ومثل ذلك، مما يشاكل هذا الفنّ من تركيب الأرواح في الأجساد، وتحليل الأجساد وتأليفها، بخلع صورة عنها أو خلع صورة عليها، ليقفوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم. وعن هذا القطب خرج عِلم العالَم، وكونه إنسانا كبيرا، وأنّ الإنسان مختصره في الجِرميّة، مضاهيه في المعنى.

فأخبرني الروح الذي أخذتُ منه ما أودعته في هذا الكتاب، أنّه جمع أصحابَه يوما في دسكرة[2]، وقام فيهم خطيبا[3]، وكانت عليه مهابة. فقال: "افهموا عنّي ما أرمزه لكم في مقامي هذا، وفكروا فيه واستخرجوا كنزه، واتّساع زمانه في أيّ عالَم هو. وإنّي لكم ناصح، وما كلّ ما يُدْرَى يُذاع، فإنّه لكلّ علمٍ أهلٌ يختصّ بهم. وما يتمكن الانفراد ولا يسع الوقت، فلا بدّ أن يكون في الجمع فِطَرٌ مختلفة، وأذهانٌ غير مؤتلفة. فالمقصود من الجماعة واحد. إيّاه أقصد بكلامي، وبيده مفتاح رمزي. ولكلّ مقام مقال. ولكلِّ علم رجال. ولكلِّ وارد حال. فافهموا عنّي ما أقول. وعُوا ما تسمعون، فبنور النور أقسمتُ، وبروح الحياة، وحياة الروح آليتُ، إنّي عنكم لمنقلب من حيث جئتُ، وراجع إلى الأصل الذي عنه وجدتُ، فقد طال مكثي في هذه الظلمة، وضاق نَفَسي بترادف هذه الغمّة، وإنّي سألتُ الرحلةَ عنكم، وقد أُذِن لي في الرحيل، فاثبتوا على كلامي، فتعقلون ما أقول بعد انقضاء سنين -عيَّنها وذكر عددها- فلا تبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدّة،

---

(١) الخَضِرُ: نَبيٌّ مُعَمَّرٌ محجوب عن الأَبصار. ابن عباس: الخَضِرُ نبيّ من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى، صلوات الله على نبينا وعليه، الذي التقى معه بِمَجْمَع البَحْرَيْنِ. ابن الأَنباري: الخَضِرُ عبد صالح من عباد الله تعالى. أَهَلُ العربية: الخَضِرُ، بفتح الخاء وكسر الضاد؛ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: جلس على فَرْوَةٍ بيضاء فإذا هي تهتز خضراء، وقيل: سمي بذلك لأنه كان إذا جلس في موضع قام وتحته روضة تهتز؛ وعن مجاهد: كان إذا صلى في موضع اخضرّ ما حوله، وقيل: ما تحته، وقيل: سمي خضرًا لحسنه وإشراق وجهه تشبيهًا بالنبات الأَخضر الغض؛ قال: ويجوز في العربية الخِضْر، كما يقال كَبِدٌ وكِبْدٌ، قال الجوهري: وهو أَفصح. والفروةُ: الجبة التي تلبس. [لسان العرب]

(٢) الدَّسْكَرَةُ: بناء كالقَصْرِ حوله بيوت للأَعاجم يكون فيها الشراب والملاهي؛ والجمع الدَّساكِرُ؛ قال الليث: يكون للملوك، وهو معرّب. والدسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل بيوت للخدم والحشم، وليست بعربية محضة. والدَّسْكَرَةُ: الصَّوْمَعَةُ. [لسان العرب]

(٣) ص ١٤١

وإن برحتم فلتسرعوا إلى هذا المجلس الكَرَّة (تلو الكرّة)، وإن لطف مغناه، وغلب على الحرف معناه، فالحقيقة الحقيقة، والطريقة الطريقة، فقد اشتركت الجنّة والدنيا في اللَّبِن والبناء، وإن كانت الواحدة من طين وتبن، والأخرى من عسجد ولجّين[1]". هذا ما كان من وصيّته لِبنيه[2]، وهذه مسألة عظيمة رَمَزها وراح، فمن عرفها استراح.

ولقد دخلتُ يوما بقرطبة على قاضيها أبي الوليد ابن رشد[3]، وكان يرغب في لقائي، لَمّا سمع وبلغه ما فتح الله به عليّ في خلوتي، فكان يظهر التعجّب مما سمع. فبعثني والدي إليه في حاجة، قصدًا منه حتى يجتمع بي؛ فإنّه كان من أصدقائه. وأنا صبيّ ما بقل وجهي ولا طُرَّ شاربي[4]. فعندما دخلتُ عليه؛ قام من مكانه إليّ محبّةً وإعظاما، فعانقني وقال لي: نعم. قلت له: نعم. فزاد فرحه بي لِفهمي عنه. ثمّ إنّي استشعرت بما أفرحه من ذلك، فقلت له: لا. فانقبَض، وتغيَّر لونُه وشكّ فيما عنده، وقال: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهيّ: هل هو ما أعطاه لنا النظر؟ قلت له: "نعم، لا. وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادِّها، والأعناق من أجسادها". فاصفرّ لونه، وأخذه الإفكل[5]، وقعد يحوقل، وعرف ما أشرتُ به إليه. وهو عين هذه المسألة، التي ذكرها هذا القطب الإمام، أعني "مداوي الكلوم".

وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا؛ هل يوافق أو يخالف، فإنّه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي. فشكر اللهَ -تعالى- الذي كان في زمانٍ رأى فيه مَن دخل

---

(١) العسجد واللجين: الذهب والفضة.

(٢) ص ١٤١ب

(٣) ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨ م) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ض الاندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة. يسميه الافرنج (Averroes) عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنف نحو خمسين كتابا، منها " فلسفة ابن رشد - ط " وتسميته حديثة وهو مشتمل بعض مصنفاته، و " التحصيل " في اختلاف مذاهب العلماء، و " الحيوان " و " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - ط " و " الضروري " في المنطق، و " منهاج الادلة " في الاصول، و " المسائل - خ " في الحكمة، " وتهافت التهافت - ط " في الرد على الغزالي، و " بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ط " في الفقه، و " جوامع كتب أرسطاطاليس - خ " في الطبيعيات والالهيات، و " تلخيص كتب أرسطو - خ " و " علم ما بعد الطبيعة - ط " و " الكليات - ط " بالتصوير الشمسي، في الطب، ترجم إلى اللاتينية والاسبانية والعبرية، و " شرح أرجوزة ابن سينا - خ " في الطب، في خزانة القرويين (الرقم ٢٧٨٦) بفاس، و " تلخيص كتاب النفس - ط " ورسالة في " حركة الفلك ".
وكان دمث الاخلاق، حسن الرأي. ولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث (ت ٥٧٦هـ)، عرف المنصور أبو يوسف (ت ٥٩٥) قدره فأجلّه وقدّمه عام ٥٩١هـ. واتهمه بعد ذلك خصومه بالزندقة والالحاد، فأوغروا عليه صدر المنصور، فنفاه إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلى وطنه أواخر ٥٩٤هـ، فعاجلته الوفاة بمراكش، ونقلت جثته إلى قرطبة، قال ابن الابار: كان يفزع إلى فتواه في الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه. [أنظر: الأعلام للزركلي ٣١٨/٥، الوافي بالوفيّات ١٩٨/١، تاريخ الإسلام ٦٣/٩، عيون الأنباء ٣٥١/١)

(٤) طرّ الشارب: القص والحلق.

(٥) الإفكل: الرعدة.

خُلْوَتَه جاهلا، وخرج مثل هذا الخروج، من غير درس ولا بحث ولا[١] مطالعة ولا قراءة، وقال: "هذه حالة أثبتناها، وما رأينا لها أربابا. فالحمد لله الذي أنا في زمانٍ فيه واحد من أربابها، الفاتحين مغالق أبوابها، والحمد لله الذي خصّني برؤيته".

ثمّ أردتُ الاجتماع به مرّة ثانية، فأُقيم لي -رحمه الله- في الواقعة، في صورةٍ ضُرب بيني وبينه فيها حجابٌ رقيقٌ، أنظرُ إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد شُغل بنفسه عنّي. فقلت: "إنّه غير مراد لما نحن عليه". فما اجتمعت به حتى درج[٢]. وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مَرّاكش، ونُقل إلى قرطبة، وبها قبره. ولَمّا جُعل التابوت الذي فيه جسده على الدابّة، جُعِلت تواليفه تعادله من الجانب الآخر، وأنا واقفٌ ومعي الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير[٣] -كاتب السيّد أبي سعيد[٤]- وصاحبي أبو الحكم عمرو بن السرّاج الناسخ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال: "ألا تنظرون إلى من يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه؛ هذا الإمام وهذه أعماله"، يعني تواليفه. فقال له ابن جبير: "يا ولدي؛ نِعم ما نظرت، لا فُضّ فوك". فقيّدتها عندي موعظة وتذكرة. رحم الله جميعهم، وما بقي من تلك الجماعة غيري، وقلنا في ذلك:

هَذَا الإِمامُ وَهِذِهِ أَعْمَالُهُ   يا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَتْ آمالُهُ

وكان[٥] هذا القطب؛ "مداوي الكلوم"، قد أظهر سِرَّ حركة الفلَك، وأنّه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه، لم يصحّ أن يتكوّن شيء في الوجود الذي تحت حيطته، وبَيَّنَ الحكمة الإلهيّة في ذلك، لِيُري الألبابَ عِلْمَ الله في الأشياء، وأنّه بكلّ شيء عليم، لا إله إلّا هو العليم الحكيم. وفي معرفة الذات والصفات، علم ما أشار إليه هذا القطب، فلو تحرّك غير المستدير لما عَمَر الخلاء بحركته، وكانت أحيازٌ كثيرة تبقى في الخلاء، فكان لا يتكوّن عن تلك الحركة تمامُ أمرٍ، وكان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الأحياز بالحركة، وذلك بمشيئة الله -تعالى- وحكمته الجارية في وضع الأسباب.

---

(١) ص ١٤٢

(٢) درج: مات.

(٣) ابن جبير: الرحالة الشهير والأديب والصوفي أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير (٥٤٠-٦١٤هـ) وردت ترجمته في كثير من الكتب، منها الإحاطة في أخبار غرناطة و شذرات الذهب والنجوم الزاهرة.. بلنسي الأصل، ثم غرناطي الاستيطان، هاجر إلى مكة، واستقر أخيرا في الإسكندرية وفيها لقي ربه.

(٤) أبو سعيد: عثمان بن عبد المؤمن والي غرناطة بعد دخولها تحت حكم الموحدين في عهد والده عبد المؤمن بن علي الكناني مؤسس الدولة.. وهو الذي ضم فيما بعد مرسية وبلنسية إلى هذه الدولة الجديدة.

(٥) ص ١٤٢ب

وأَخبر هذا القطبُ، أنّ العالَم موجودٌ ما بين المحيط والنقطة، على مراتبهم وصِغَر أفلاكهم وعِظَمِها، وأنّ الأقرب إلى المحيط أوسع من الذي في جوفه؛ فيومه أكبر ومكانه أفسح ولسانه أفصح، وهو إلى التحقّق بالقوّة والصفاء أقرب. وما انحطّ إلى العناصر، نزل عن هذه الدرجة حتى إلى كرة الأرض. وكلُّ جزءٍ في كلّ محيط يقابل ما فوقه وما تحته بذاته، لا يزيد واحد على الآخر بشيء، وإن اتّسع الواحد وضاق الآخر. وهذا من إيراد الكبير على الصغير، والواسع على[1] الضيّق، من غير أن يوسّع الضيّق أو يضيّق الواسع، والكلّ ينظر إلى النقطة بذواتهم. والنقطة مع صِغرها تنظر إلى كلّ جزء من المحيط بها بذاتها، فالمختصرُ (هو) المحيطُ، والمختصر منه النقطة، وبالعكس فانظر.

ولَمّا انحطّ الأمر إلى العناصر حتى انتهى إلى الأرض، كثر عَكَرُه، مثل الماء في الجبّ، والزيتِ وكلِّ مائع في الدَّنّ، ينزل إلى أسفله عَكَرُه، ويصفو أعلاه. والمعنى في ذلك ما يجده عالَم الطبيعة من الحجب المانعة، عن إدراك الأنوار؛ من العلوم والتجلّيات بكدورات الشهوات والشبهات الشرعيّة، وعدم الورع: في اللسان والنظر والسماع والمطعم والمشرب والملبس والمركب والمنكح، وكدورات الشهوات: بالانكباب عليها والاستفراغ فيها وإن كانت حلالا. وإنما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة -وهي أعظم من شهوات الدنيا- من التجلّي، لأنّ التجلّي هنالك على الأبصار، وليست الأبصار بمحلٍّ للشهوات، والتجلّي هنا في الدنيا، إنما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر، والبواطن محلُّ الشهوات. ولا يجتمع التجلّي والشهوة في محلٍّ واحد، فلهذا جنح العارفون والزهّاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها والشغل بكسب حُطامها.

وهذا[2] الإمام هو الذي أعلم أصحابَه، أنّ ثمّ رجالا سبعة، يقال لهم: "الأبدال"، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكلّ بدل إقليم، وإليهم تنظر روحانيّات السماوات السبع، ولكلّ شخص منهم قوّة، من روحانيّات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم -سلام الله عليهم أجمعين-.

وأمّا يحيى فله تردّد بين عيسى وبين هارون. فينزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة، من

---

(١) ص ١٤٣

(٢) ص ١٤٣ب

حقائق هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-. وتنظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله -تعالى- في سباحتها في أفلاكها، وبما أودع الله في حركات هذه السماوات السبع، من الأسرار والعلوم والآثار العلويّة والسفليّة، قال -تعالى-: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾(١) فلهم في قلوبهم في كلّ ساعة وفي كلّ يوم، بحسب ما يعطيه صاحب تلك الساعة، وسلطان ذلك اليوم.

- فكلّ أمر علميّ يكون في يوم الأحد فمن مادّة إدريس عليه السلام وكلّ أثر علويّ يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء والنار فمن سباحة الشمس، ونظرها المودع من الله -تعالى- فيها. وما يكون من أثر في عنصر الماء والتراب في ذلك اليوم، فمن حركة الفلَك الرابع، وموضعُ هذا الشخص الذي يحفظه من(٢) الأقاليم، الإقليمُ الرابع.

فممّا يحصل لهذا الشخص المخصوص من الأبدال بهذا الإقليم من العلوم، علم أسرار الروحانيّات، وعلم النور والضياء، وعلم البرق والشعاع، وعلم كلّ جسم مستنير، ولماذا استنار؟ وما المزاج الذي أعطاه هذا القبول؟ مثل الحباحب من الحيوان، وكأصول شجر التين من النبات، وكحجر المَهى والياقوت، وبعض لحوم الحيوان، وعلم الكمال في المعدن والنبات والحيوان والإنسان والملَك، وعلم الحركة المستقيمة حيثما ظهرت في حيوان أو نبات، وعلم معالم التأسيس وأنفاس الأنوار، وعلم خلع الأرواح المدبّرات وإيضاح الأمور المبهمات، وحلّ المشكل من المسائل الغامضة، وعلم النغمات الفلكيّة والدولابيّة، وأصوات آلات الطرب من الأوتار وغيرها، وعلم المناسبة بينها وبين طبائع الحيوان، وما للنبات منها؟ وعلم ما إليه تنتهي المعاني الروحانيّة والروائح العطريّة، وما المزاج الذي عطّرها؟ ولماذا (=وإلى ماذا) ترجع؟ وكيف ينقلها الهواء إلى الإدراك الشمّي؟، وهل هو جوهرٌ أو عرض؟ كلّ ذلك يناله ويعلمه، صاحبُ ذلك الإقليم في ذلك اليوم، وفي سائر الأيّام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك، وحكم ما فيه من الكواكب، وما فيه من روحانيّة النبيّ، هكذا إلى تمام دور الجمعة.

- وكلُّ أَمر عِلميّ يكون(٣) في يوم الاثنين، فمن روحانيّة آدم عليه السلام، وكلّ أثر عُلويّ في عنصر الهواء والنار فمن سباحة القمر، وكلّ أثر سفليّ في عنصر الماء والتراب، فمن حركة فلك السماء الدنيا. ولهذا الشخص الإقليم السابع. فممّا يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الاثنين،

---

(١) [فصلت: ١٢]
(٢) ص ١٤٤
(٣) ص ١٤٤ب

وفي كلّ ساعة من ساعات أيّام الجمعة، ممّا يكون لهذا الفلك حكمٌ فيها: علم السعادة والشقاء، وعلم الأسماء وما لها من الخواصّ، وعلم المدّ والجزر، والربو والنقص.

- وكلُّ أَمر علميّ يكون في يوم الثلاثاء؛ فمن روحانيّة هارون ﷺ، وكلّ أثر عُلويّ في عنصر النار والهواء فمن روحانيّة الأحمر، وكلّ أثر سفليّ في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس. ولهذا البدل من الأقاليم الإقليمُ الثالث، فممّا يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيّام: علم تدبير المُلْك وسياسته، وعلم الحِمية والحماية، وترتيب الجيوش والقتال ومكائد الحروب، وعلم القرابين وذبح الحيوان، وعلم أسرار أيّام النحر وسريانه في سائر البقاع، وعلم الهدى والضلال وتميُّز الشبهة من الدليل.

- وكلُّ أَمر علميّ يكون في يوم الأربعاء؛ فمن روحانيّة عيسى ﷺ وهو يوم النور، وكان له نظر إلينا في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها. وكلّ أثر في عنصر النار[1] والهواء فمن روحانيّة سباحة الكاتب في فلكه، وكلّ أثر سفليّ في ركن الماء والتراب فمن حركة فلَك السماء الثانية. وللبدل صاحب هذا اليوم الإقليم السادس. ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيّام: علم الأوهام والإلهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبارة والاختراع الصناعي والعَطْرَدَة وعلم الغلط الذي يعلق بعين الفهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطّلسْمات والعزائم.

- وكلُّ أَمر علميّ يكون في يوم الخميس؛ فمن روحانيّة موسى ﷺ، وكلّ أثر علويّ في ركن النار والهواء، فمن سباحة المشتري، وكلّ أثر سفليّ في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه، ولهذا البدل من الأقاليم الإقليم الثاني. ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيّام؛ علم النبات والنواميس، وعلم أسباب الخير ومكارم الأخلاق، وعلم القربات، وعلم قبول الأعمال، وأين يُنْتَهى بصاحبها؟

- وكلُّ أَمر علميّ يكون في يوم الجمعة؛ يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الإقليم الخامس، فمن روحانيّة يوسف ﷺ، وكلّ أثر عُلويّ يكون في ركن النار والهواء فمن نظر كوكب الزهرة، وكلّ أثر سُفليّ في ركن الماء والأرض فمن حركة فلَك الزهرة، وهو من الأمر الذي أوحى

(١) ص ١٤٥

الله في كلّ سماء. وهذه الآثار هي[1]: الأمر الإلهيّ الذي يتنزّل بين السماء والأرض؛ وهو في كلِّ ما يتولّد بينهما بين السماء بما ينزل منها، وبين الأرض بما تقبل من هذا النزول، كما يَقبل رحِمُ الأنثى الماءَ من الرجل للتكوين، والهواء الرطب من الطير، قال -تعالى-: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2] والقدرة ما لها تعلُّق إلّا بالإيجاد، فعلِمنا أنّ المقصود بهذا التنزل، إنما هو التكوين. ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيّام: علم التصوير من حضرة الجمال والأُنس، وعلم الأحوال.

- وكلُّ أَمر علميّ يكون في يوم السبت لهذا البدل الذي له حفظ الإقليم الأوّل؛ فمن روحانيّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وما يكون فيه من أثر عُلويّ في ركن النار والهواء، فمن حركة كوكب كيوان[3] في فلكه. وما كان من أثر في العالَم السفليّ -ركن الأرض والماء- فمن حركة فلكه. يقول تعالي في الكواكب السيارة: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[4] وقال -تعالى-: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[5] فخلقها للاهتداء بها. ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من باقي الأيّام ليلا ونهارا: علم الثَّبات والتمكين، وعلم الدوام والبقاء.

وأعلمَ هذا الإمامُ بمقامات هؤلاء الأبدال وهِجّيراهم، وقال:

إنّ مقام الأوّل وهِجّيره: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[6] وسبب ذلك كون الأوّليّة له، إذ[7] لو تقدّم له مِثل لَما صحّت له الأوّليّة، فذِكره مناسب لمقامه.

ومقام الشخص الثاني في هِجّيره: ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾[8] وهو مقام العلم الإلهيّ، وتعلّقه لا ينتهي. وهو الثاني من الأوصاف، فإنّ أوّل الأوصاف الحياة ويليه العلم.

وهِجّير الشخص الثالث ومقامه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[9] وهي المرتبة الثالثة، فإنّ الآيات الأُوَل هي الأسماء الإلهيّة، والآيات الثواني في الآفاق، والآيات التي تلي الثواني في أنفسنا،

---

(١) ص ١٤٥ب
(٢) [الطلاق: ١٢]
(٣) كيوان: زحل.
(٤) [الأنبياء: ٣٣]
(٥) [النحل: ١٦]
(٦) [الشورى: ١١]
(٧) ص ١٤٦
(٨) [الكهف: ١٠٩]
(٩) [الذاريات: ٢١]

قال -تعالى-: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[1] فلهذا اختصّ بهذا الهِجّيرِ؛ الثالثُ من الأبدال.

ومقام الرابع في هِجِّيره: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[2] وهو الركن الرابع من الأركان الذي يطلب المركز، عند من يقول به، فليس لنقطة الأكرة (شيء) أقرب من الأرض، وتلك النقطة كانت سبب وجود المحيط، فهو يطلب القرب من الله موجِد الأشياء، ولا يحصل إلّا بالتواضع، ولا أنزل في التواضع من الأرض، وهي منابع العلوم وتفجُّر الأنهار، وكلّ ما ينزل من المعصرات فإنما هو من بخارات الرطوبات التي تصعد من الأرض، فمنها تنفجر العيون والأنهار؛ ومنها تخرج البخارات إلى الجوّ فتستحيل ماء فتنزل غيثا، فلهذا اختصّ الرابع، بالرابع من الأركان.

ومقام الخامس: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ[3] إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4] ولا يسأل إلّا المولود، فإنّه في مقام الطفولة من الطِّفَل، وهو النَّدَى، قال -تعالى-: ﴿أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[5] فلا يعلم حتى يَسأل، فالولد في المرتبة الخامسة لأنّ أمّهاته أربع، وهنّ الأركان، فكان هو العين الخامسة، فلهذا كان السؤال هِجّير البدل الخامس من بين الأبدال.

وأمّا مقام السادس، فهِجّيره: ﴿أُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[6] وهي المرتبة السادسة فكانت للسادس. وإنما كانت السادسة لأنّه في المرتبة الخامسة -كما ذكرنا- يَسأل، وقد كان لا يَعلم؛ فعندما سأل عَلِم، ولَمّا علم تحقّق بعلمه بربّه، ففوّض أمره إليه، لأنّه علم أنّ أمره ليس بيده منه شيء، وأنّ الله يفعل ما يريد، فقال: قد علمت أنّ الله لَمّا ملّكني أمري وهو يفعل ما يريد، علمت أنّ التفويض في ذلك أرجح لي، فلذلك اتّخذه هِجّيرا.

ومقام السابع: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾[7] وذلك أنّ لها المرتبة السابعة، وكان أيضا تكوين آدم، المعبّر عنه بالإنسان في الرتبة السابعة، فإنّه (صادر) عن عقل ثمّ نفس ثمّ هباء ثمّ فلك ثمّ فاعلَين[8]

---

(١) [فصلت: ٥٣]
(٢) [النبأ: ٤٠]
(٣) ص ١٤٦ب
(٤) [النحل: ٤٣]
(٥) [النحل: ٧٨]
(٦) [غافر: ٤٤]
(٧) [الأحزاب: ٧٢]
(٨) ق: فاعلان.

(النار والهواء) ثمّ منفعلين[1] (الأرض والماء)، فهذه ستّة، ثمّ تكوّن الإنسان، الذي هو آدم، في الرتبة السابعة. ولَمّا كان وجود الإنسان في "السنبلة"[2]، ولها من الزمان في الولاية سبعة آلاف سنة، فوجد الإنسان في الرتبة السابعة من المدّة. فما[3] حمل الأمانة إلّا من تحقّق بالسبعيّة، وكان هذا هو السابع من الأبدال، فلذلك اتّخذ هِجّيرا هذه الآية. فهذا قد بيّنّا لك مراتب الأبدال.

وأُخبرتُ أنّ هذا القطب، الذي هو "مداوي الكلوم"، كان في زمان حبسه في هيكله وولايته في العالَم إذا وقف، وقف لوقفته سبعون قبيلة، كلّهم قد ظهرت فيهم المعارف الإلهيّة وأسرار الوجود، وكان أبدًا لا يتعدّى كلامه السبعة، ومكث زمانا طويلا في أصحابه، وكان يعيّن في زمانه من أصحابه، شخصا فاضلا كان أقرب الناس إليه مجلسا كان اسمه "المستسلم". فلمّا درج هذا الإمام، وَلِيَ مقامه في القطبيّة "المستسلم"، وكان غالبُ علمه علمَ الزمان، وهو علمٌ شريف منه يعرف الأزل، ومنه ظهر قوله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه» وهذا علمٌ لا يعلمه إلّا الأفراد من الرجال، وهو المعبّر عنه بالدهر الأوّل ودهر الدهور. وعن هذا الأزل وُجِد الزمان، وبه تسمّى الله بالدهر، وهو قوله ﷺ: «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر» والحديث صحيح ثابت، ومَن حصل له علمُ الدهر؛ لم يقف في شيء ينسبه إلى الحقّ، فإنّ له الاتّساع الأعظم.

من هذا العلم تعدّدت المقالات في الإله، ومنه[4] اختلفت العقائد، وهذا العلم يقبلها كلّها ولا يردّ منها شيئا، وهو العلم العام، وهو الظرف الإلهيّ. وأسراره عجيبة، ما له عين موجودة. وهو في كلّ شيء حاكم، يقبل الحقُّ نسبَتَه، ويقبل الكونُ نسبَتَه. هو سلطان الأسماء كلّها المعيّنة والمغيبة عنّا. فكان لهذا الإمام فيه اليد البيضاء، وكان له من علمه بدهر الدهور، علم حكمة الدنيا في لعبها بأهلها، ولم سمّي لعبا، والله أوجده؟ وكثيرا ما ينسب اللعب إلى الزمان؛ فيقال: لعب الزمان بأهله. وهو متعلّق السابقة، وهو الحاكم في العاقبة. وكان هذا الإمام يذمّ الكسب ولا يقول به، مع معرفته بحكمته، ولكن كان يرقّي بذلك همم أصحابه عن التعلّق بالوسائط. أُخبرت أنّه ما مات حتى علم من أسرار الحقّ في خلقه ستة وثلاثين ألف علم وخمسمائة علم من العلوم العُلويّة خاصة.

---

(١) ق: منفعلان.
(٢) يقصد برج السنبلة أو العذراء.
(٣) ص ١٤٧
(٤) ص ١٤٧ب

ومات -رحمه الله- وولي بعده شخص فاضل اسمه "مَظهر الحقّ"، عاش مائة وخمسين سنة ومات. وولي بعده "الهائج" وكان كبير الشأن، ظهر بالسيف، عاش مائة وأربعين سنة، مات مقتولا في غزاة، كان الغالب على حاله من الأسماء الإلهيّة "القهّار". ولَمّا قُتِل ولي بعده شخص يقال أنّه: "لقمان" -والله[1] أعلم- وكان يلقَّب "واضع الحكم"، عاش مائة وعشرين سنة، كان عارفا بالترتيب والعلوم الرياضيّة والطبيعيّة والإلهيّة. وكان كثير الوصيّة لأصحابه. فإن كان (هذا الإمام) هو لقمان، فقد ذكر الله لنا ما كان يوصي به ابنَه، مما يدلّ على رتبته في العلم بالله، وتحريضه على القصد والاعتدال في الأشياء في عموم الأحوال.

ولَمّا مات -رحمه الله-، وكان في زمان داود عليه السلام، ولي بعده شخص اسمه "الكاسب" وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالَمين، والمناسبة الإلهيّة التي وُجِد لها العالَم على هذه الصورة التي هو عليها. كان هذا الإمام إذا أراد إظهارَ أثرٍ مّا في الوجود، نظر في نفسه إلى المؤثِّر فيه من العالَم العُلويّ، نظرة مخصوصة على وزن معلوم، فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا حِيلةٍ طبيعيّة. وكان يقول: إنّ الله أودع العلم كلّه في الأفلاك، وجعل الإنسانَ مجموعَ رقائق العالَم كلّه. فمن الإنسان إلى كلّ شيء في العالَم رقيقة ممتدّة، من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان، ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أَمَّنَهُ الله عليها ليؤدّيها إلى هذا الإنسان، وبتلك[2] الرقيقة يحرّك الإنسانُ العارفُ ذلك الشيء لما يريده، فما من شيء في العالَم إلّا وله أثر في الإنسان، وللإنسان أثر فيه. فكان لهذا؛ كشفُ هذه الرقائق ومعرفتها، وهي مِثلُ أشعّة النور.

عاش هذا الإمام ثمانين سنة، ولَمّا مات ورثه شخص يسمّى: "جامع الحِكَم" عاش مائة وعشرين سنة، له كلام عظيم في أسرار الأبدال والشيخ والتلميذ، وكان يقول بالأسباب، وكان قد أعطي أسرار النبات. وكان له في كلّ علم يختصّ بأهل هذا الطريق قَدم. وفيما ذكرناه في هذا الباب غنية، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[3].

---

(١) ص ١٤٨
(٢) ص ١٤٨ب
(٣) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ"، "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي".

الباب السادس عشر
في معرفة المنازل السفليّة والعلوم الكونيّة
ومبدأ معرفة الله منها، ومعرفة الأوتاد والأبدال،
ومَن تولّاهم من الأرواح العُلويّة وترتيب أفلاكها

عِلْمُ الكَشَائِفِ أَعْلامٌ مُرَتَّبَةٌ — هِي الدَّلِيلُ عَلَى المَطْلُوبِ لِلرُّسُلِ
وَهِيَ التِي حَجَبَتْ أَسْرَارَ ذِي عَمَهٍ — وَهِيَ التِي كَشَفَتْ مَعَالِمَ السُّبُلِ
لَهَا مِنَ العَالَمِ العُلْوِيِّ سَبْعَتُهُ — مِنَ الهِلالِ وَخُذْ عُلْوًا إِلَى زُحَلِ
لَوْلا[1] الذِي أَوْجَدَ الأَوْتادَ أَرْبَعَةً — رَسَّى بِها الأَرْضَ فانْبَرَّتْ مِنَ المَيَلِ
لَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْها مَنْ يَكُونُ بِها — فَاعْجَبْ لَهُ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ

اعلم -أيّدك الله- أنّا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الأبدال ومقاماتهم، ومن تولّاهم من الأرواح العُلويّة وترتيب أفلاكها، وما للنيّرات فيهم من الآثار، وما لهم من الأقاليم، فلنذكر في هذا الباب ما بقي مما ترجمت عليه.

المنازل السفليّة هنا عبارة عن الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان، وسمّيناها سفليّةً لأنّ الشيطان من عالَم السفل، فلا يأتي إلى الإنسان إلّا من المنازل التي تناسبه، وهي اليمين والشمال والخلف والأمام، قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[2] ويستعين على الإنسان بالطبع، فإنّه المساعد له فيما يدعوه إليه من اتّباع الشهوات، فأُمِر الإنسانُ أن يقاتله من هذه الجهات، وأن يحصِّن هذه الجهات بما أمره الشرعُ أن يحصِّنها به حتى لا يجد الشيطان إلى الدخول إليه منها سبيلا.

فإن جاءك من بين يديك وطردتَهُ، لاحتْ لك من العلوم علوم النور، منّةً من الله عليك

---
(١) ص ١٤٩
(٢) [الأعراف: ١٧]

وجزاء، حيث آثرتَ جناب[1] الله على هواك. وعلوم النور على قسمين: علوم كشف، وعلوم برهان بصحيح فكر، فيحصل له من طريق البرهان ما يردّ به الشُّبَه المضلّة القادحة في وجود الحقّ وتوحيده وأسمائه وأفعاله. فبالبرهان يَرُدُّ على المعطِّلة، ويدلّ على إثبات وجود الإله، وبه يَرُدُّ على أهل الشرك ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾[2] ويدلّ على توحيد الإله من كونه إلها، وبه يردّ على من ينفي أحكام الأسماء الإلهيّة وصحّة آثارها في الكون، ويدلّ على إثباتها بالبرهان السمعيّ من طريق الإطلاق، وبالبرهان العقليّ من طريق المعاني، وبه يردّ على نفاة الأفعال من الفلاسفة، ويدلّ على أنّه -سبحانه- فاعل، وأنّ المفعولات مرادة له سمعا وعقلا. وأمّا علوم الكشف فهو ما يحصل له من المعارف الإلهيّة في التجلّيات في المظاهر.

وإن جاءك مِن خلفك؛ وهو ما يدعوك إليه أن تقول على الله ما لا تعلم، وتدّعي النبوّة والرسالة، وأنّ الله قد أوحى إليك. وذلك أنّ الشيطان إنما ينظر في كلِّ ملّة كلَّ صفة علَّق الشارع المذمَّة عليها في تلك الأمّة؛ فيأمرك بها، وكلّ صفة علّق المحمدة عليها؛ نهاك عنها. هذا على الإطلاق. والملَك على النقيض[3] منه؛ يأمرك بالمحمود منها وينهاك عن المذموم. فإذا طردته من[4] خلفك لاحت لك علوم الصدق ومنازله، وأين ينتهي بصاحبه، كما قال -تعالى-: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾[5] ألا إنّ ذلك صدقهم هو الذي أقعدهم ذلك المقعد ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ فإنّ الاقتدار يناسب الصدق، فإنّ معناه: القويّ، يقال: "رمح صَدق" أي صلب قويّ.

ولَمّا كانت القوّة صفة هذا الصادق، حيث قوي على نفسه فلم يتزيّن بما ليس له، والتزم الحقّ في أقواله وأحواله وأفعاله، وصدق فيها أقعده الحقُّ ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾، أي أطلعه على القوّة الإلهيّة التي أعطته القوّة في صدقه الذي كان عليه، فإنّ المليك هو الشديد أيضا، فهو مناسب لـ"مقتدر"، قال قيس بن الخطيم[6] يصف طعنة:

---

(١) ص ١٤٩ب
(٢) [الحجر: ٩٦]
(٣) "على النقيض" مكتوبة بالهامش.
(٤) ص ١٥٠
(٥) [القمر: ٥٥]
(٦) قيس بن الخَطيم الأوسي (؟ - ٢ ق. هـ / ؟ - ٦٢٠ م) أبو يزيد. شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية. أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، وقال في ذلك شعرًا. وله في وقعة بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. والبيت من قصيدة مطلعها:
تَذَكَّرَ لَيلى حُسنَها وَصَفاءَها وَبانَت فَأَمسى ما يَنالُ لِقاءَها (الموسوعة الشعرية)

مَلَكْتُ بِها كَفّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَها		يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِها ما وَرَاءَها

أي شددتُ كفّي بها، يقال: "ملكتُ العجين" إذا شددتُ عجنه. فيحصل لك إذا خالفته في هذا الأمر الذي جاءك به علم تعلّق الاقتدار الإلهيّ بالإيجاد، وهي مسألة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا، ويحصل لك علم العصمة والحفظ الإلهيّ حتى لا يؤثّر فيك وَهْمُكَ، ولا غيرك فتكون خالصا لربّك.

وإن جاءك من جهة اليمين، فقويتَ عليه ودفعتَه، فإنّه[1] إذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوّة، فإنّه يأتي إليك لِيُضْعِفَ إيمانَك ويقينك، ويلقي عليك شُبَهًا في أدلّتك ومكاشفاتك، فإنّه له في كلّ كشفِ أمرٍ يطلعك الحقّ عليه، أمرٌ من عالَم الخيال ينصبه لك، مشابها لحالك الذي أنت به في وقتك. فإن لم يكن لك علم قويّ بما تُمَيِّز به بين الحقّ وما يخيّله لك، فتكون موسويّ المقام، وإلّا التبس عليك الأمرُ، كما خيّلت السحرة للعامّة أنّ الحبال والعصيّ- حيّات، ولم تكن كذلك.

وقد كان موسى عليه السلام لَمّا ألقى عصاه فكانت "حَيَّة تَسْعَى"، خاف منها على نفسه على مجرى العادة، وإنما قدَّم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة، ليكون على يقين من الله أنّها آية، وأنّها لا تضرّه، وكان خوفه الثاني عندما ألقت السحرة الحبال والعصيّ، فصارتْ حيّات في أبصار الحاضرين، كان خوفه على الأمّة، لئلّا يلتبس عليهم الأمر فلا يفرّقون بين الخيال والحقيقة، أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله. فاختلف تعلّق الخوفَيْن، فإنّه عليه السلام على بيّنة من ربّه، قويّ الجأش بما تقدّم له، إذ قيل له في الإلقاء الأوّل: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ[2]﴾[3] أي ترجع عصا كما كانت في عينك، فأخفى -تعالى- العصا[4] في روحانيّة الحيّة البرزخيّة، فتلقّفتْ جميع حيّات السحرة المتخيّلة في عيون الحاضرين، فلم يبق لتلك الحبال والعصيّ عينٌ ظاهرة في أعينهم، وهي ظهور حجّته على حجّتهم في صُوَرِ حبال وعصيّ.

(١) ص ١٥٠ب
(٢) ص ١٥١
(٣) [طه: ٢١]
(٤) ق: فأخفى العصا تعالى.

فأبصرت السحرةُ والناس، حبالَ السحرة وعِصيّهم، التي ألقوها حبالا وعصيّا، فهذا كان تلقّفها، لا أنّها انعدمت الحبال والعصيّ، إذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى، وكانت الشبهة تدخل عليهم، فلمّا رأى الناسُ الحبال حبالا، علموا أنّها مكيدة طبيعيّة، يعضدها قوّة كيديّةٌ روحانيّةٌ، فتلقّفتْ عصا موسى صور الحيّات من الحبال والعصيّ كما يبطل كلام الخصم إذا كان على غير حقّ أن يكون حجّة، لا أنّ ما أتى به ينعدم؛ بل يبقى محفوظا معقولا عند السامعين، ويزول عندهم كونه حجّة. فلمّا علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوّة الحجّة، وأنّه خارج عمّا جاءوا به وتحقّقتْ شفوف ما جاء به على ما جاءوا به، ورأوا خوفَه، عِلموا أنّ ذلك من عند الله، ولو كان من عنده، لم يَخَفْ لأنّه يعلم ما يجري.

فآيتُه عند السحرة خوفُه، وآيتُه[1] عند الناس تلقُّفُ عصاه، فآمنت السحرة. قيل: كانوا ثمانين ألف ساحر، وعلموا أنّ أعظم الآيات في هذا الموطن تلقّف هذه الصور من أعين الناظرين وإبقاء صورة حيّة عصا موسى في أعينهم والحال عندهم واحدة، فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه، وأنّ هذا الذي أتى به خارجٌ عن الصور والحيل المعلومة في السِّحر، فهو أمرٌ إلهيّ ليس لموسى عليه السلام فيه تعمُّل، فصدَّقوا برسالته على بصيرة، واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، وعلموا مِن عِلمهم بذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[2] وأنّ الحقائق لا تتبدّل، وأنّ عصا موسى مبطونة في صورة الحيّة عن أعين الجميع، وعن الذي ألقاها، بخوفه الذي شهدوا منه؛ فهذه فائدة العلم.

وإن جاءك الشيطان من جهة الشمال، بشبهات التعطيل أو وجود الشريك لله -تعالى- في ألوهيّته فطردْتَه، فإنّ الله يقوّيك على ذلك بدلائل التوحيد وعِلم النظر. فإنّ الخَلْف للمعطّلة، ودفعهم بضرورة العلم الذي يُعلم به وجود الباري. فالخلف للتعطيل، والشمال للشرك، واليمين للضعف، ومن بين أيديهم التشكيك في الحواسّ.

ومن[3] هنا دخل التلبيس على السوفسطائيّة، حيث أدخل (الشيطان) لهم الغلط في الحواسّ، وهي التي يستند إليها أهل النظر في صحّة أدلّتهم، وإلى البديهيّات في العلم الإلهيّ وغيره،

(١) ص ١٥١ب
(٢) [الطلاق: ١٢]
(٣) ص ١٥٢

فلمّا أظهر لهم الغلط في ذلك قالوا: ما ثَمّ علمٌ أصلا يوثَق به. فإن قيل لهم: فهذا عِلْم، بأنّه ما ثَمّ عِلْم! فما مستندكم وأنتم غير قائلين به؟ قالوا: وكذلك نقول، إنّ قولنا هذا ليس بعلم، وهو من جملة الأغاليط. يقال لهم: فقد علمتم أنّ قولكم: هذا ليس بعلم، وقولكم: إنّ هذا، أيضا، من جملة الأغاليط، إثبات ما نفيتموه. فأدخل عليهم الشبه فيما يستندون إليه في تركيب مقدِّماتهم في الأدلّة، ويرجعون إليه فيها.

ولهذا عصمنا الله من ذلك؛ فلم يجعل للحسّ غلطا جملة واحدة، وأنّ الذي يدركه الحسّ حقّ، فإنّه موصِّل ما هو حاكم، بل شاهد، وإنما العقل هو الحاكم، والغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم. ومعلوم عند القائلين بغلط الحسّ، وغير القائلين به أنّ العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا، أعنى نظر الفكر، فإنّ النظر ينقسم إلى صحيح وفاسد، فهذا هو ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾[1].

ثمّ لتعلم أنّ الإنسان قد جعله الحقّ قسمين في ترتيب مدينة[2] بَدَنِهِ؛ وجعل القلب بين القسمين منه كالفاصل بين الشيئين؛ فجعل في القسم الأعلى الذي هو الرأس، جميع القوى الحسّيّة والروحانيّة، وما جعل في النصف الآخر من القوى الحسّاسة إلّا حاسة اللمس، فيدرك الخشن والليّن، والحار والبارد، والرطب واليابس، بروحه الحسّاس، من حيث هذه القوّة الخاصّة السارية في جميع بدنه لا غير ذلك. وأمّا من القوى الطبيعيّة المتعلّقة بتدبير البدن فالقوّة الجاذبة، وبها تجذب النفس الحيوانيّة ما به صلاح العضو؛ من الكبد والقلب والقوّة الماسكة، وبها تمسك ما جذبته الجاذبة على العضو، حتى يأخذ منه ما فيه منافعه.

فإن قلت: فإذا كان المقصود المنفعة، فمن أين دخل المرض على الجسد؟ فاعلم أنّ المرض من الزيادة على ما يستحقّه (ذلك العضو) من الغذاء، أو النقص مما يستحقّه، فهذه القوّة ما عندها ميزان الاستحقاق، فإذا جذبتْ زائدا على ما يحتاج إليه البدن، أو نقصتْ عنه؛ كان المرض، فإنّ حقيقتها الجذب، ما حقيقتها الميزان. فإذا أَخذَتْهُ على الوزن الصحيح؛ فذلك لها بحكم الاتّفاق، ومن قوّة أخرى لا بحكم القصد. وذلك ليعلم المحدَث نقصه "وأنّ الله يفعل ما يريد".

وكذلك فيه، أيضا، القوّة الدافعة، وبها يعرق البدن. فإنّ الطبيعة ما[3] هي دافعة بمقدار

(١) [الأعراف: ١٧]
(٢) ص ١٥٢ب
(٣) ص ١٥٣

مخصوص لأنّها تجهل الميزان، وهي محكومة لأمر آخر من فضولٍ يطرأ في المزاج، تعطيه القوّة الشهوانيّة، وكذلك أيضا هذا كلّه سارٍ في جميع البدن علوا وسفلا. وأمّا سائر القوى فمحلّها النصف الأعلى، وهو النصف الأشرف محلّ وجود الحياتين: حياة الدم وحياة النفَس. فأيّ عضو مات من هذه الأعضاء؛ زالت عنه القوى التي كانت فيه من المشروط وجودها بوجود الحياة. وما لم يمت العضو، وطرأ على محلِّ قوّةٍ مّا خللٌ، فإنّ حكمها يفسد ويتخبّط ولا يعطي علما صحيحا، كمحلّ الخيال إذا طرأت فيه علّة، فالخيال لا يبطل، وإنما يبطل قبول الصحّة فيما يراه علما، وكذلك العقل، وكلّ قوّة روحانيّة.

وأمّا القوى الحسّيّة فهي، أيضا، موجودة، لكن تطرأ حجب بينها وبين مدركاتها في العضو القائمة به؛ من ماء ينزل في العين وغير ذلك. وأمّا القوى ففي محالّها ما زالت ولا برحت، ولكنّ الحجب طرأتْ، فمنعتْ. فالأعمى يشاهد الحجاب ويراه، وهو الظلمة التي يجدها، فهي ظلمة الحجاب، فمشهده الحجاب. وكذلك ذائق العسل والسكَّر إذا وجده مُرًّا، فالمباشر للعضو القائم به قوّة الذوق، إنما هو المِرّة الصفراء، فلذلك أدرك المرارة. فالحِسّ[(١)] يقول: أدركتُ مرارة، والحاكم إن أخطأ يقول: هذا السكّر مُرٌّ، وإن أصاب عرف العلّة، فلم يحكم على السكّر بالمرارة، وعرف ما أدركت القوّة وعرف أنّ الحسّ الذي هو الشاهد مصيب على كلّ حال، وأنّ القاضي يخطئ ويصيب.

* * *

فَصْلٌ

(معرفة الحقّ)

وأمّا معرفة الحقّ من هذا المنزل؛ فاعلم أنّ الكون لا تعلّق له بعلم الذات أصلا، وإنما متعلّقه العلم بالمرتبة، وهو مسمّى الله. فهو (أي العلم بالمرتبة) الدليل المحفوظ الأركان، السادّ على معرفة الإله، وما يجب أن يكون عليه -سبحانه- من أسماء الأفعال ونعوت الجلال، وبأيّة حقيقة يصدر الكون من هذه الذات، المنعوتة بهذه المرتبة، المجهولة العين والكيف. وعندنا لا خلاف في أنّها (أي الذات) لا تُعلم بل يُطلق عليها نعوت تنزيه صفات الحدث، وأنّ القِدم لها، والأزلُ الذي

(١) ص ١٥٣ب

يُطلق لوجودها إنما هي أسماءٌ تدلّ على سلوب؛ من نفي الأوّليّة وما يليق بالحدوث، وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلّمين الأشاعرة، ويتخيّلون أنّهم قد علموا من الحقّ صفة نفسيّة ثبوتيّة، وهيهات أنّى لهم بذلك. وأخذتْ طائفةٌ ممن شاهدناهم من المتكلّمين كأبي عبد الله الكتاني وأبي العباس الأشقر والضرير السلاوي، صاحب الأرجوزة في علم الكلام، (أَخذَتْ) على أبي سعيد الخرّاز وأبي حامد وأمثالهما[1] في قولهم: "لا يعرف الله إلّا الله".

وإنما اختلف أصحابنا في رؤية الله -تعالى-، إذا رأيناه في الدار الآخرة بالأبصار، ما الذي نرى؟ وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا، وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب، مفرَّقا في أبواب منازله وغيرها، بطريق الإيماء لا بالتصريح، فإنّه مجال ضيّق، تقف العقول فيه لمناقضته أدلّتها، فهو المرئيّ -سبحانه- على الوجه الذي قاله وقاله رسول الله ﷺ وعلى ما أراده من ذلك. فإنّ الناظرين فيما قالَه وأوحى به إلينا اختلفوا في تأويله، وليس بعض الوجوه بأَوْلَى من بعض. فتركنا الخوضَ في ذلك، إذ الخلاف فيه لا يرتفع من العالَم بكلامنا، ولا بما نورده فيه.

* * *

فَصْلٌ
(حديث الأوتاد)

وأمّا حديث الأوتاد؛ الذي يتعلّق من معرفتهم بهذا الباب. فاعلم أنّ الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالَم؛ أربعة لا خامس لهم، وهم أخصُّ من الأبدال، والإمامان أخصُّ منهم، والقطب هو أخصُّ الجماعة.

والأبدالُ في هذا الطريق لفظٌ مشترك، يطلقون الأبدال على مَن تبدّلت أوصافه المذمومة بالمحمودة، ويطلقونه على عدد خاصّ، وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها، ومنهم[2] من قال: عددهم سبعة، والذين قالوا: سبعة؛ منّا من جعل السبعة الأبدال خارجين عن الأوتاد، متميّزين، ومنّا من قال: إنّ الأوتاد الأربعة من الأبدال، فالأبدال سبعة، ومن هذه السبعة أربعة هم الأوتاد، واثنان هما الإمامان، وواحد هو القطب؛ وهذه الجملة هم الأبدال. وقالوا: سُمّوا أبدالا لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله، ويؤخذ من الأربعين واحد، وتكمل الأربعون بواحد

(١) ص ١٥٤
(٢) ص ١٥٤ب

من الثلاثمائة، وتكمل الثلاثمائة بواحد من صالحي المؤمنين. وقيل: سُمّوا أبدالا لأنّهم أُعطوا من القوّة أن يَتركوا بدلهم حيث يريدون، لأمرٍ يقوم في نفوسهم على علم منهم، فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام؛ فقد يكون من صلحاء الأمّة وقد يكون من الأفراد.

وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للأبدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا: روحانيّة إلهيّة وروحانيّة إلّيّة. فمنهم من هو على قلب آدم، والآخر على قلب إبراهيم، والآخر على قلب عيسى، والآخر على قلب محمد -عليهم السلام-. فمنهم من تُمِدُّه روحانيّة إسرافيل، وآخر (تمدّه) روحانيّة ميكائيل، وآخر (تمدّه) روحانيّة جبريل، وآخر (تمدّه) روحانيّة عزرائيل. ولكلِّ وَتَدٍ ركنٌ من أركان البيت. فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي، والذي على[1] قلب إبراهيم (عليه السلام) له الركن العراقي، والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليمانيّ، والذي على قلب محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود، وهو لنا بحمد الله.

وكان بعض الأركان في زماننا، لربيع بن محمود المارديني الحطّاب[2]، فلمّا مات خلفه شخص آخر. وكان الشيخ أبو علي الهواريّ قد أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم، وتحقّق صورهم، فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحسّ؛ أبصر ربيعا المارديني وأبصر الآخر وهو رجل فارسيّ وأبصرَنا ولازمَنا إلى أن مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة، أخبرني بذلك وقال لي: ما أبصرت الرابع وهو رجل حبشيّ.

واعلم أنّ هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمّة كثيرة؛ فالذي لا بدّ لهم من العلم به، وبه يكونون أوتادا فما زاد من العلوم، فمنهم من له خمسة عشر علما، ومنهم من له ولا بدّ ثمانية عشر علما، ومنهم من له أحد وعشرون علما، ومنهم من له أربعة وعشرون علما. فإنّ أصناف العدد كثيرة. هذا العدد؛ من أصناف العلوم، لكلّ واحد منهم لا بدّ له منه. وقد يكون الواحد أو كلّهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة وزيادة، ولكنّ الخاص لكلّ[3] واحد منهم ما ذكرنا من العدد، فهو شرطٌ فيه وقد لا يكون له ولا لواحد منهم علم زائد؛ لا من الذي عند أصحابه ولا مما ليس عندهم. فمنهم من له الوجه وهو قوله -تعالى- عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَـٰنِهِمۡ وَعَن

(١) ص ١٥٥

(٢) ربيع بن محمود بن هبة الله: أبو الفضل المارديني أحد الأولياء، المعروفين بالكرامات، من أهل ماردين، تردد كثيرا على حلب، توفي في أوائل سنة ٦٠٢هـ ببيت المقدس. [انظر بغية الطلب فى تاريخ حلب (٨/ ٣٥٩١)]

(٣) ص ١٥٥ب

شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[١] ولكلِّ جهةٍ وَتَدٌ يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته.

فالذي له الوجه له من العلوم: علم الاصطلام والوجد والشوق والعشق وغامضات المسائل، وعلم النظر، وعلم الرياضة، وعلم الطبيعة، والعلم الإلهيّ، وعلم الميزان، وعلم الأنوار، وعلم السبحات الوجهيّة، وعلم المشاهدة، وعلم الفناء، وعلم تسخير الأرواح، وعلم استنزال الروحانيّات العُلى، وعلم الحركة، وعلم إبليس، وعلم المجاهدة، وعلم الحشر، وعلم النشر، وعلم موازين الأعمال، وعلم جهنّم، وعلم الصراط.

والذي له الشمال له: علم الأسرار، وعلم الغيوب، وعلم الكنوز، وعلم النبات[٢]، وعلم المعدن، وعلم الحيوان، وعلم خفيّات الأمور، وعلم المياه، وعلم التكوين، وعلم التلوين، وعلم الرسوخ، وعلم الثبات، وعلم المقام، وعلم القَدَم، وعلم الفصول المقوِّمة، وعلم الأعيان، وعلم السكون، وعلم الدنيا، وعلم الجنّة، وعلم الخلود، وعلم التقلّبات.

والذي له اليمين له: علم البرازخ، وعلم الأرواح البرزخيّة، وعلم منطق الطير، وعلم لسان الرياح، وعلم التنزّل، وعلم الاستحالات، وعلم الزجر، وعلم مشاهدة الذات، وعلم تحريك النفوس، وعلم الميل، وعلم المعراج، وعلم الرسالة، وعلم الكلام، وعلم الأنفاس، وعلم الأحوال، وعلم السَّماع، وعلم الحيرة، وعلم الهوى.

والذي له الخلف له: علم الحياة، وعلم الأحوال المتعلّقة بالعقائد، وعلم النفس، وعلم التجلّي، وعلم المِنصّات، وعلم النكاح، وعلم الرحمة، وعلم التعاطف، وعلم التودُّد، وعلم[٣] الذوق، وعلم الشرب، وعلم الرِّيِّ، وعلم جواهر القرآن، وعلم درر الفُرقان، وعلم النفس الأمّارة.

فكلّ شخص كما ذكرنا لا بدّ له من هذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهيّ.

فهذا قد بيّنّا مراتبَ الأوتاد، وكنّا في الباب الذي قبله، بيّنّا ما يختصّ به الأبدال وبيّنّا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختصّ به القطب والإمامان مستوفى الأصول في باب يخصّه، وهو السبعون ومائتان من أبواب هذا الكتاب ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٤].

---

(١) [الأعراف: ١٧]

(٢) ص ١٥٦

(٣) ص ١٥٦ب

(٤) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "انتهت القراءة والسماع على سيدنا رضي الله عنه". "وتلا ذلك بخط آخر الإشارة إلى السماع التالي: السماع الأول:" قرأت وأنا محمود بن عبد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلّفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي -أيّد الله بركته وأعلى درجته- في مجالس آخرها يوم السبت عاشر رمضان المبارك

انتهت المجلدة الثانية من الفتوحات المكيّة بانتهاء الباب السادس عشر، يتلوه الباب السابع عشر: في معرفة انتقال العلوم الكونيّة ونبذ من العلوم الإلهيّة الممدّة الأصليّة:

عُلُومُ الكَوْنِ تَنْتَقِلُ انْتِقَالا   وَعِلْمُ الوَجْهِ لَا يَرْجُو زَوَالا

والحمد لله وحده.

سنة ست وثلاثين وستمائة في منزلة بدمشق.... وصلى الله على سيدنا محمد وآله". ثم يلي هذا السماع تصديق على صحة ما ذكر بقلم الشيخ الأكبر نفسه: "صح ما ذكره أيّده الله من هذه القراءة عليّ. وكتب منشيه محمد بن علي بن محمد بن العربي في التاريخ".
ثم يلي في الورقة ص ١٥٧ السماعان التاليان:
السماع الأول: "سمع جميع هذه المجلدة وتشمل على ستة أجزاء على مصنفها الشيخ الإمام العالم العارف المحقق محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز الصفار، وأبو بكر بن سليمان بن علي الحموي الواعظ، وأبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد- ابنا المصنف- وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء- الحنفيان- وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ويعقوب بن معاذ بن عبد الرحمن الوربي، ومحمد بن يرنقش المعظمي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي (الأخلاطي)، وأحمد بن أبي الهيجاء، ومحمد بن علي بن محمد- الدمشقيان-، وعيسى بن إسحق الهذياني، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم الدمشقي، وعبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ- أبوه-، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم الدمشقي، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي- وذلك في مجالس آخرها تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمنزل المصنف بدمشق، والحمد لله وحده، وصلاته على محمد وآله وصحبه وسلامه".
السماع الثاني: وهو بخط المصنف: "أقول وأنا محمد بن علي بن محمد بن العربي: قرأتْ عليّ البنت الموفقة أم دلال بنت شيخنا الزكي أحمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي، وأذنت لها أن تحدّث بها عنّي، وبجميع الكتاب كله، وهو الثاني من الفتوح المكي، تجزئة سبع وثلاثين مجلدا. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله وصلى الله على محمد وآله أجمعين".
يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٦٧

المحتويات

الجزء الخامس عشر[١]

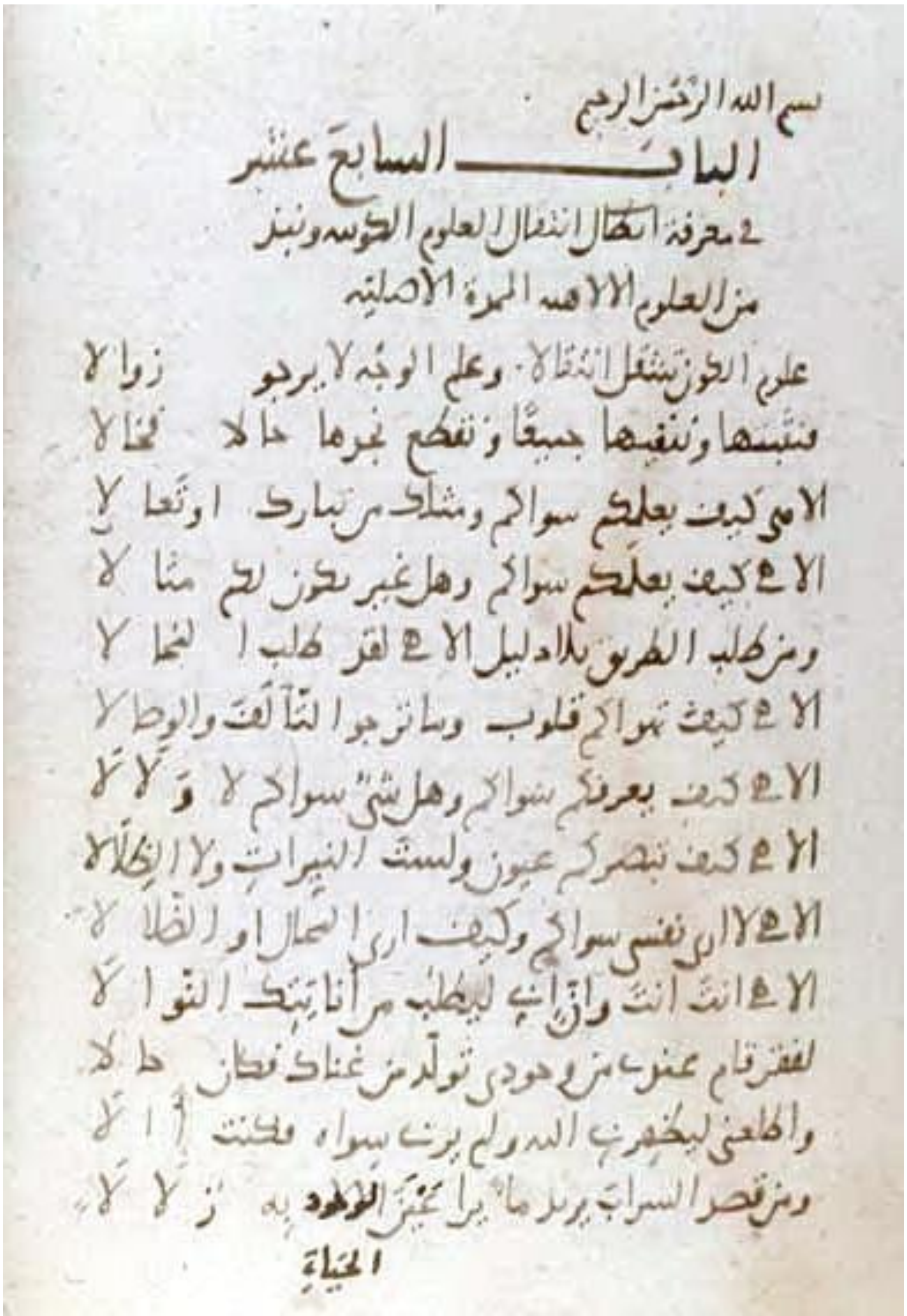
السفر الثالث من الفتوحات المكّيّة[٢]

(١) العنوان في صفحة غير مرقمة في البداية. وفيها طابع دمغة برقم ١٨٤٧، ثم طابع آخر يحمل رقم الأوقاف الإسلامية ١٧٥٧. وإشارة إلى عدد الصفحات: ٣٠٨ صحيفة

(٢) العنوان ص ١ب. ومكتوب بعد العنوان وبخط آخر ما يلي: "إنشاء مولانا وسيدنا شيخ الإسلام صفوة الأنام سلطان المحققين إمام الأمة قدوة الأئمة محيي الملّة والدين؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي- رضي الله عنه".

وفي الجزء الأيسر من الصفحة كتب صدر الدين القونوي ما يلي: "انتقلت هذه المجلدة وسائر الكتاب بحكم الإنعام من مصنفها رضي الله عنه وأرضاه إلى العبد الضعيف محمد بن إسحق بن محمد- غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكلّ علم مقرب إليه نافع لديه- آمين- في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة. والحمد لله حق حمده وصلواته التامات على محمد وآله".

وأسفل منها قليلا من جهة اليمين مكتوب بخط آخر: "وقف هذا الكتاب مع سائره تماما الشيخ الإمام المذكور بجنب هذه السطور بخط يده- رضي الله عنه وعن سلفه- على الدار الكتب المنشأة عند قبره لينتفع به عامة المسلمين وشرط ألا يخرج منها البتة لا بِرهن ولا بغيره. تقبل الله منه وأثابه رضاه. إنه أرحم الراحمين". يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٧


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع عشر

في معرفة انتقال العلوم الكونية ونبذ

من العلوم الالهية المسماة الاصلية

علوم الكون تشتغل انتقالا وعلم الوجه لا يرجو زوالا

نثبتها وننفيها جميعًا ونقطع نحوها حالا فحالا

الا من كيف يعلمكم سواكم وشانك من تبارك او تعالى

الا يا كيف يعلمكم سواكم وهل غير يكون لكم مثالا

ومن طلب الطريق بلا دليل الا يا قد طلب امرًا محالا

الا يا كيف تهواكم قلوب وما ترجوا لنا الفًا والوطا لا

الا يا كيف يعرفكم سواكم وهل شيء سواكم لا ولا لا

الا يا كيف تبصركم عيون ولستم النيرات ولا الظلالا

الا يا لا ارى نفسي سواكم وكيف ارى الكمال او الظلالا

الا يا انت انت وان اني ليطلب من انا بيتك النوالا

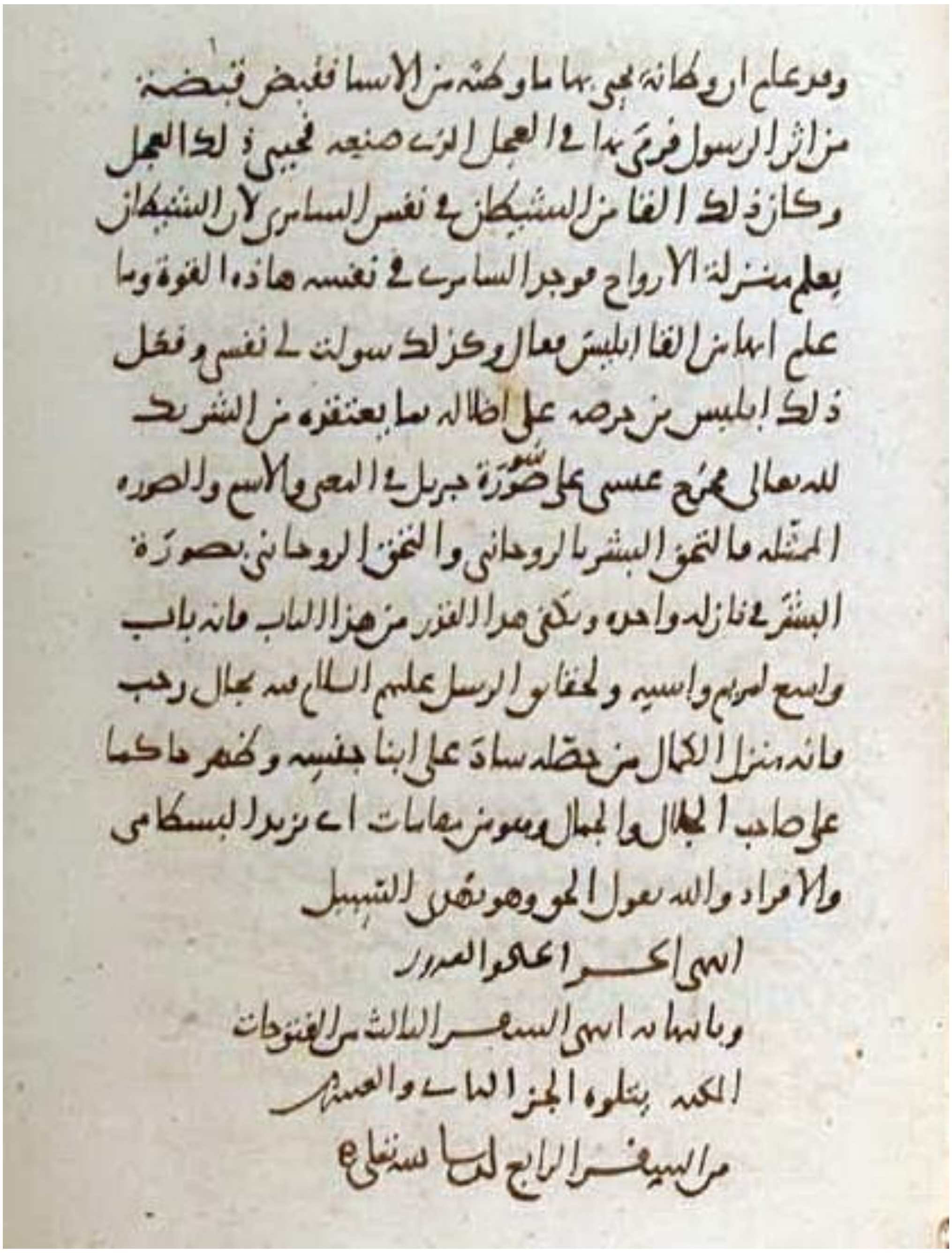
لفقر قام عندي من وجودي تولد من غناك فطاف حالا

والطعني ليخرجني الله ولم يرني سواه فكنت الا لا

ومن قصر السراب يرى ماء يرى تحقيق الوجود به زلالا

الحياة

الصفحة الثانية مِن مخطوط قونية



ومن علم ان روحانيته يحيي بها ما وطئته من الاشيا فقبض قبضة
من اثر الرسول فرمى بها في العجل الذي صنعه فحيي ذلك العجل
وكان ذلك الالقا من الشيطان في نفس السامري لان الشيطان
يعلم منزلة الارواح فوجد السامري في نفسه هاذه القوة وما
علم انها من القا ابليس فقال وكذلك سولت لي نفسي وفعل
ذلك ابليس من حرصه على اضلاله بما يعتقده من الشريك
لله تعالى فمزج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم والصوره
المثلية فالتحق البشر بالروحاني والتحق الروحاني بصورة
البشر في نازلة واحدة ويكفي هذا القدر من هذا الباب فانه باب
واسع لمن هو واسيه ولحقائق الرسل عليهم السلام فيه مجال رحب
فانه منزل الكمال من حظه ساد على ابنا جنسه وظهر حاكما
على صاحب الجلال والجمال وهو من مقامات ابي يزيد البسطامي
والافراد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
انتهى آخر الحادي والعشرين
وبانتهائه انتهى السفر الثالث من الفتوحات
المكية يتلوه الجز الثاني والعشرين
من السفر الرابع ان شا الله تعالى

الصفحة الأخيرة من مخطوط قونية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب السابع عشر
في معرفة انتقال العلوم الكونيّة
ونُبَذ من العلوم الإلهيّة الممدّة الأصليّة

عُلُومُ الكَوْنِ تَنْتَقِـلُ انْتِقَـالا   وعِلْمُ الـوَجْـهِ لا يَرْجُـو زَوَالا
فَنُثْبِتُهـا ونَنْفِيْهَـا جَمِيْعًـا   وَنَقْطَعُ نَجْـدَهـا حَـالًا فَحَـالا
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْلَمُكُمْ سِـــوَاكُمْ؟   ومِثْلُكَ مَنْ تَبَـارَكَ أَوْ تَعَـالَى
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْلَمُكُمْ سِـــوَاكُمْ؟   وَهَـلْ غَيْرٌ يَكُونُ لَكُمْ مِثَـالا؟
ومَنْ طَلَبَ الطَّرِيْقَ بِلا دَلِيْـلٍ   إِلَـهِيّ لَقَـدْ طَلَـبَ المُحَـالا
إِلَـهِي؛ كَـيْـفَ تَهْـوَاكُمْ قُـلُـوبٌ   وَما تَرْجُو التَّأَلُّفَ والوِصَـــالا؟
إِلَهِي؛ كَيْفَ يَعْرِفُكُمْ سِـــوَاكُمْ؟   وَهَلْ شَيْءٌ سِـــوَاكُمْ؟ لَا وَلَا لَا
إِلَهِي؛ كَيْفَ تُبْصِرُكُمْ عُيُونٌ   وَلَسْـــتَ النَّيِّرَاتِ وَلا الظِّلالا؟
إِلَهِي؛ لا أَرَى نَفْسِـــــي سِوَاكُمْ   وَكَيْفَ أَرَى المُحالَ أَوِ الضَّلَالا؟
إِلَـهِـي؛ أَنْـتَ أَنْـتَ وإِنَّ إِنِّي   لَيَطْلُـبُ مِنْ أَنَايَتِـكَ النَّوَالا
لِفَقْرٍ قَـامَ عِنْـدِي مِنْ وُجُودِي   تَـوَلَّدَ مِنْ غِنَـاكَ فَكَانَ حَـالا
وأَطْلَـعَـنِي لِيُـظْـهِـرَنِي إِلَيْـهِ   وَلَمْ يَرَنِي سِـــوَاهُ فَكُنْـتُ آلا
وَمَنْ قَصَدَ السَّرَابَ يُرِيدُ مَاءً   يَرَى عَيْنَ الحَيَـاةِ[2] بِـهِ زُلَالَا
أَنا[3] الكَوْنُ الَّذِي لَا شَيْءَ مِثْلِي   وَمَـنْ أَنَا مِـثْـلُهُ قَـبـلَ المِثَـالا
وَذا مِنْ أَعْجَبِ الأَشْـيَاءِ فَانْظُرْ   عَسَـــاكَ تَرَى مُمَاثِلَهُ اسْـتَحَالا
فَمَـا فِي الكَوْنِ غَيْرُ وُجُودِ فَرْدٍ   تَـنَزَّهَ أن يُـقَـاوَمَ أَوْ يُـنَـالا

---

(١) البسملة ص ٢
(٢) كانت في ق: الوجود، وأسفلها صححت: الحياة.
(٣) ص ٢ب

اعلم -أيّدك الله- أنّ كلّ ما في العالَم منتقل من حال إلى حال. فعالَم الزمان في كلّ زمان منتقل وعالَم الأنفاس في كلّ نفَس. وعالم التجلّي في كلّ تجلٍ. والعلّة في ذلك قوله -تعالى-: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[1] وأيّده بقوله -تعالى-: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[2] وكلّ إنسان يجد من نفسه تنوّع الخواطر في قلبه في حركاته وسكناته فما من تَقَلُّبٍ يكون في العالَم الأعلى والأسفل إلّا وهو عن توجُّه إلهيّ بتجلٍ خاصٍّ لتلك العين، فيكون[3] استناده من ذلك التجلّي بحسب ما تعطيه حقيقته.

واعلم أنّ المعارف الكونيّة منها علوم مأخوذة من الأكوان، ومعلوماتها أكوان، وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلوماتها نِسب، والنِّسب ليست بأكوان. وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلومها ذات الحقّ، وعلوم تؤخذ من الحقّ ومعلومها الأكوان، وعلوم تؤخذ من النِّسب ومعلومها الأكوان، وهذه كلّها تسمّى العلوم الكونيّة، وهي تنتقل بانتقال معلوماتها[4] في أحوالها.

وصورة انتقالها أيضا أنّ الإنسان يطلب ابتداء معرفة كونٍ من الأكوان، أو يتّخذ دليلا على مطلوبه كونا من الأكوان، فإذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحقّ فيه ولم يكن ذلك الوجه مطلوبا له. فتعلّق به هذا الطالب وترك قصده الأوّل، وانتقل العلم يطلب ما يعطيه ذلك الوجه. فمنهم من يعرف ذلك، ومنهم من هو حاله هذا، ولا يعرف ما انتقل عنه، ولا ما انتقل إليه، حتى أنّ بعض أهل الطريق زلّ فقال: "إذا رأيتم الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوما فاعلموا أنّه مُراءٍ".

يا عجبا! وهل تعطي الحقائق أن يبقى أحدٌ نفَسَيْن أو زمانين على حال واحدة، فتكون الألوهيّة معطّلة الفعل في حقّه؟! هذا ما لا يُتصوّر. إلّا أنّ هذا العارف لم يعرف ما يراد بالانتقال، بِكَوْنِ الانتقال كان في الأمثال. فكان ينتقل مع الأنفاس، من الشيء إلى مِثله، فالتبست عليه الصورة بكونه ما تغيّر عليه من الشخص حاله الأوّل في تخيّله، كما يقال: فلانٌ ما زال اليوم ماشيا، وما

---

(١) [الرحمن: ٢٩]
(٢) [الرحمن: ٣١]
(٣) ق: فتكون.
(٤) ص ٣

قعد. ولا شكّ أنّ المشي حركات كثيرة متعدّدة، وكلّ حركة ما هي عين الأخرى، بل هي مثلها، وعلمك ينتقل بانتقالها؛ فيقول: "ما تغيّر عليه الحال"، وكم تغيّرتْ عليه من الأحوال!

فَصْلٌ[(١)]: (انتقالات العلوم الإلهيّة)

وأمّا انتقالات العلوم الإلهيّة، فهو الاسترسال الذي ذهب إليه أبو المعالي إمام الحرمين، والتعلّقات التي ذهب إليها محمد بن[(٢)] عمر بن الخطيب الرازي. وأمّا أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات، فإنّ الأشياء عند الحقّ مشهودة معلومة الأعيان والأحوال على صورها التي تكون عليها ومنها إذا وجدت أعيانها إلى ما لا يتناهى، فلا يحدث تعلّق على مذهب ابن الخطيب، ولا يكون استرسال على مذهب إمام الحرمين -رضي الله عن جميعهم-. والدليل العقليّ الصحيح يعطي ما ذهبنا إليه، وهذا الذي ذكره أهل الله ووافقناهم عليه، يعطيه الكشف من المقام الذي وراء طور العقل، فصدق الجميع، وكلّ قوّة أعطت بحسبها.

فإذا أوجد اللهُ الأعيان فإنما أوجدها لها لا له، وهي على حالاتها -بأماكنها وأزمنتها- على اختلاف أمكنتها وأزمنتها. فيكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيئا بعد شيء إلى ما لا يتناهى على التتالي والتتابع. فالأمر بالنسبة إلى الله واحد كما قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[(٣)] والكثرة في نفس المعدودات، وهذا[(٤)] الأمر قد حصل لنا في وقت، فلم يختل علينا فيه، وكان الأمر في الكثرة واحدا عندنا، ما غاب ولا زال، وهكذا شهده كلٌّ من ذاق هذا.

فهم في المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة، وقد صُوِّرت له صورة في كلّ حال يكون عليها، هكذا كلّ شخص، وجُعِل بينك وبين هذه الصور حجاب، فكشف لك عنها وأنت من جملة مَن له فيها صورة، فأدركتَ جميع ما فيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة، فالحقُّ -سبحانه- ما عدل بها عن صورها في ذلك الطبق، بل كشف لها عنها وألبسها حالة الوجود لها، فعاينتْ نفسَها على ما تكون عليه أبدا.

وليس في حقّ نظرة الحقّ زمانٌ ماض ولا مستقبل، بل الأمور كلّها معلومة له في مراتبها،

---

(١) ص ٣ب

(٢) "محمد بن" ثابتة في الهامش مع إشارة التصويب.

(٣) [القمر: ٥٠]

(٤) ص ٤

بتعداد صورها فيها. ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا تنحصر، ولا حدّ لها تقف عنده. فهكذا هو إدراك الحقّ -تعالى- للعالَم ولجميع الممكنات، في حال عدمها ووجودها. فعليها تنوّعت الأحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت مِن كَشْفِها لذلك علمًا لم يكن عندها، لَا حالةً لم تكن عليها. فتحقّقْ هذا؛ فإنّها مسألةٌ خفيّةٌ غامضةٌ تتعلّق بسرّ القَدَر، القليلُ من أصحابنا مَن يعثر عليها.

وأمّا تعلّق علمنا بالله، فعلى قسمين[١]: معرفةٌ بالذات الإلهيّة؛ وهي موقوفة على الشهود والرؤية، لكنّها رؤيةٌ من غير إحاطة. ومعرفةٌ بكونه إلها؛ وهي موقوفة على أمرين أو أحدهما: وهو الوهب، والأمر الآخر: النظر والاستدلال. وهذه هي المعرفة المكتسبة. وأمّا العلم بكونه مختارا؛ فإنّ الاختيار تعارضه أحديّة المشيئة، فنسبته إلى الحقّ إذا وُصف به، إنما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه، لا من حيث ما هو الحقّ عليه، قال -تعالى-: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾[٢] وقال -تعالى-: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾[٣] وقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ وما أحسن ما تمّم به هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[٤] وهنا نبّه على سِرِّ القَدَر، وبه كانت الحجّة البالغة لله على خلقه، وهذا هو الذي يليق بجناب الحقّ. والذي يرجع إلى الكون: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾[٥] فما شئنا، ولكن استدراك للتوصيل؛ فإنّ الممكن قابِلٌ للهداية والضلالة، من حيث حقيقته؛ فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم. وفي نفس الأمر ليس لله فيه إلّا أمر واحد، هو معلوم عند الله من جهة حال الممكن.[٦]

مَسْأَلَةٌ

(ظاهرُ معقول الاختراع، عدم المثال في الشاهد)

ظاهرُ معقول الاختراع، عدمُ المثال في الشاهد؛ كيف يصحّ الاختراع في[٧] أمر لم يزل مشهودا له -تعالى- معلوما، كما قرّرناه في علم الله بالأشياء في كتاب "المعرفة بالله".

---

(١) ص ٤ب
(٢) [السجدة: ١٣]
(٣) [الزمر: ١٩]
(٤) [ق: ٢٩]
(٥) [السجدة: ١٣]
(٦) في الهامش: "بلغ".
(٧) ص ٥

مسألة

(الأسماءُ الإلهيّة نِسَبٌ وإضافات ترجع إلى عين واحدة)

الأسماءُ الإلهيّة نِسَبٌ وإضافات ترجع إلى عين واحدة، إذ لا يصحّ هناك كثرة، بوجود أعيان فيه، كما زعم مَن لا علم له بالله من بعض النظّار، ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو إله إلّا بها، لكانت الألوهيّة معلولة بها؛ فلا يخلو أن تكون هي عين الإله، فالشيء لا يكون علّة لنفسه أو لا تكون، فالله لا يكون معلولا لعلّة ليست عينه؛ فإنّ العلّة متقدّمة على المعلول بالرتبة، فيلزم من ذلك افتقار الإله من كونه معلولا لهذه الأعيان الزائدة، التي هي علّة له وهو محال. ثمّ إنّ الشيء المعلول لا يكون له علّتان وهذه كثيرة، ولا يكون إلها إلّا بها، فبطل أن تكون الأسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته، "تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا".

مسألة

(الصورة في المرآة جسدٌ برزخيّ)

الصورة في المرآة جسدٌ برزخيّ، كالصورة التي يراها النائم، إذا وافقت الصورة الخارجة، وكذلك الميّت والمكاشَف، وصورة[1] المِرآة أصدق ما يعطيه البرزخ؛ إذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جِرم خاص، فإن لم تكن كذلك لم تَصدق في كلّ ما تعطيه، بل تصدق في البعض.

واعلم أنّ أشكال المَرائي تختلف، فتختلف الصور. فلو كان النظر بالانعكاس إلى المرئيّات، كما يراه بعضهم، لأدركها الرائي على ما هي عليه: من كبر جِرمها وصِغره. ونحن نبصر في الجسم الصقيل الصغير الصورة المرئيّة الكبيرة في نفسها صغيرة، وكذلك الجسم الكبير الصقيل يكبّر الصورة في عين الرائي، ويخرجها عن حدّها، وكذلك العريض والطويل والمتموّج. فإذَنْ ليست الانعكاسات تعطي ذلك، فلم يتمكن أن نقول إلّا أنّ الجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي صور البرزخ. ولهذا لا تتعلّق الرؤية فيها إلّا بالمحسوسات؛ فإنّ الخيال لا يمسك إلّا ما له صورة محسوسة، أو مركّب من أجزاء محسوسة، تركّبها القوّة المصوّرة؛ فتعطي صورة لم يكن لها في الحسّ وجود أصلا، لكن أجزاء ما تركّبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شكّ.

---

(١) ص ٥ب

مسألة

(أكملُ نشأة ظهرت في الموجودات الإنسان)

أكملُ نشأة ظهرت في الموجودات: "الإنسان" عند الجميع، لأنّ[١] الإنسان الكامل وُجد على الصورة لا الإنسان الحيوان. والصورة لها الكمال. ولكن لا يلزم من هذا أن يكون هو الأفضل عند الله؛ فهو أكمل بالمجموع. فإن قالوا: يقول الله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٢] ومعلوم أنّه لا يريد أكبر في الجِرم، ولكن يريد في المعنى. قلنا له: صدقت، ولكن مَن قال: إنّها أكبر منه في الروحانيّة؟ بل معنى السماوات والأرض من حيث ما يدلّ عليه كلّ واحدة منهما من طريق المعنى المنفرد من النظم الخاص لأجرامهما، أكبر في المعنى من جسم الإنسان، لا من كلّ الإنسان. ولهذا يصدر عن حركات السماوات والأرض أعيان المولّدات والتكوينات والإنسان من حيث جِرمه من المولّدات، ولا يصدر من الإنسان هذا، وطبيعة العناصر من ذلك، فلهذا كانا أكبر من خلق الإنسان إذ هما له كالأبوين، وهو من[٣] الأمر الذي يتنزّل بين السماء والأرض، ونحن إنما ننظر في الإنسان الكامل، فنقول: إنّه أكمل، وأمّا أفضل عند الله[٤] فذلك لله -تعالى- وحده، فإنّ المخلوق لا يعلم ما في نفس الخالق إلّا بإعلامه إيّاه.

مسألة

(ليس للحقّ صفة نفسيّة ثبوتيّة إلّا واحدة)

ليس للحقّ صفة نفسيّة ثبوتيّة إلّا واحدة، لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعدا[٥]، إذ لو كان لكانت ذاته مركّبة منهما أو منهنّ، والتركيب في حقّه محال، فإثبات صفة زائدة ثبوتيّة على واحدة محال.

مسألة

(جواز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر)

لمّا كانت الصفات نِسَبًا وإضافات، والنِّسب أمور عدميّة، وما ثمّ إلّا ذاتٌ واحدة من جميع

---

(١) ص ٦

(٢) [غافر: ٥٧]

(٣) ثابتة في بالهامش بقلم الأصل.

(٤) لفظ الجلالة ثابت في الهامش بقلم الأصل.

(٥) ص ٦ب

الوجوه، لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر، ولا يُسرمد عليهم عدم الرحمة إلى ما لا نهاية له، إذ لا مُكْرِه له على ذلك، والأسماء والصفات ليست أعيانا؛ توجِب حكما عليه في الأشياء، فلا مانع من شمول الرحمة للجميع، ولا سيّما وقد ورد سبقها للغضب، فإذا انتهى الغضب إليها، كان الحكم لها، فكان الأمر على ما قلناه، لذلك قال -تعالى-: ﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾[1] فكان حكم هذه المشيئة في الدنيا بالتكليف.

وأمّا في الآخرة؛ فالحكم لقوله: ﴿يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[2]. فمن يقدر أن يدلّ على أنّه لم يرد إلّا[3] تسرمد العذاب على أهل النار، ولا بدّ؟ أو على واحد في العالَم كلّه، حتى يكون حكم الاسم المعذِّب والمبلي والمنتقم وأمثاله صحيحا؟ والاسم المبلي وأمثاله: نسبة وإضافة لا عين موجودة. وكيف تكون الذات الموجودة تحت حكمِ ما ليس بموجود؟ فكلّ ما ذكر من قوله: ﴿لَوۡ شَآءَ﴾[4] ﴿وَلَئِن شِئۡنَا﴾[5] لأجل هذا الأصل، فله الإطلاق.

وما ثمّ نصّ[6] يُرجع إليه، لا يتطرّق إليه احتمال في تسرمد العذاب، كما لنا في تسرمد النعيم، فلم يبق إلّا الجواز، وأنّه رحمان الدنيا والآخرة. فإذا فهمتَ ما أشرنا إليه، قلّ تشغيبك، بل زال بالكلّيّة.

مسألة

(إطلاق الجواز على الله -تعالى-، سوء أدب مع الله)

إطلاق الجواز على الله -تعالى-، سوء أدب مع الله، ويحصل المقصود بإطلاق الجواز على الممكن، وهو الأَلْيَقُ. إذ لم يرد به شرع، ولا دلّ عليه عقل فافهم. وهذا القدر كاف؛ فإنّ العلم الإلهيّ أوسع من أن يستقصى، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[7].

---

(١) [الرعد: ٣١]
(٢) [البقرة: ٢٥٣]
(٣) ثابت في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٤) [البقرة: ٢٠]
(٥) [الإسراء: ٨٦]
(٦) ص ٧
(٧) [الأحزاب: ٤]

الباب الثامن عشر
في معرفة علم المتهجّدين، وما يتعلّق به من المسائل، ومقداره في مراتب العلوم، وما يظهر منه من العلوم في الوجود

عِلْمُ التَّهَجُّدِ عِلْمُ الغَيْبِ لَيْسَ لَهُ ... فِي مَنْزِلِ العَيْنِ إِحْساسٌ وَلا نَظَرُ
إنّ التَّنَزُّلَ يُعْطِيْهِ وإِنّ لَهُ ... فِي عَيْنِهِ سُوَرًا تَعْلُو بِهِ صُوَرُ
فإِنْ دَعَاهُ إِلَى المِعْرَاجِ خالِقُهُ ... بَدَتْ لَهُ بَيْنَ أَعْلامِ العُلَا سُوَرُ
فَكُلُّ[1] مَنْزِلَةٍ تُعْطِيْهِ مَنْزِلَةً ... إِذا تَحَكَّمَ فِي أَجْفَانِهِ السَّهَرُ
ما لَمْ يَنَمْ، هَذِهِ فِي اللَّيْلِ حالَتُهُ ... أَوْ يُدْرِكَ الفَجْرَ فِي آفاقِهِ البَصَرُ
نَوَافِجُ[2] الزَّهْرِ لا تُعْطِيكَ رَائِحَةً ... ما لَمْ يَجُدْ بِالنَّسِيمِ اللَّيِّنِ السَّحَرُ
إنّ المُلُوكَ وإِنْ جَلَّتْ مَناصِبُها ... لَهَا مَعَ السُّوْقَةِ الأَسْرَارُ والسَّمَرُ

اعلم -أيّدك الله- أنّ المتهجّدين ليس لهم اسمٌ خاصٌّ إلهيّ يعطيهم التهجّد ويقيمهم فيه، كما لمن يقوم الليل كلَّه. فإنّ قائم الليل كلِّه له اسم إلهيّ يدعوه إليه ويحرّكه. فإنّ التهجّد عبارة عمّن يقوم وينام ويقوم وينام ويقوم، فَمَن لم يقطع الليل في مناجاة ربّه هكذا فليس بمتهجّد. قال -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾[4].

وله عِلم خاصّ من جانب الحقّ، غير أنّ هذه الحالة لَمّا لم تجد في الأسماء الإلهيّة مَن تستند إليه، ولم تر أقرب نسبة إليها من الاسم الحقّ، فاستندت إلى الاسم الحقّ، وقَبِلها هذا الاسم. فكلُّ علم يأتي به المتهجّد، إنما هو من الاسم الحقّ. فإنّ النبيّ ﷺ قال لمن يصوم الدهر ويقوم

---

(١) ص ٧ب
(٢) النافجة: وعاء المسك.
(٣) [الإسراء: ٧٩]
(٤) [المزمل: ٢٠]

الليل: «إنّ لنفسك عليك حقًا، ولعينك عليك[١] حقًّا؛ فصم وأفطر وقم ونَم» فجمع له بين القيام والنوم لأداء حقّ النفس من أجل العين، ولأداء حقّ النفس من جانب الله. ولا تؤدّى الحقوق إلّا بالاسم الحقّ، ومنه لا من غيره، فلهذا استند المتهجّدون لهذا الاسم.

ثمّ إنّه للمتهجّد أمرٌ آخر لا يعلمه كلّ أحد، وذلك أنّه لا يجني ثمرة مناجاة التهجّد، ويحصّل علومه، إلّا مَن كانت صلاة الليل له نافلة. وأمّا من كانت فريضته من الصلاة ناقصة، فإنّها تكمّل من فرائض نوافله. فإن استغرقت الفرائضُ نوافلَ العبد المتهجّد، لم تبق له نافلة وليس بمتهجّد، ولا صاحب نافلة. فلهذا لا يحصل له حال النوافل ولا علومها ولا تجلّياتها فاعلم ذلك.

فنومُ المتهجّدِ لِحَقِّ عينِه، وقيامُهُ لِحَقِّ ربّه، فيكون ما يعطيه الحقُّ من العلم والتجلّي في نومه ثمرة قيامه، وما يعطيه من النشاط والقوّة وتجلّيها وعلومها في قيامه ثمرة نومه، وهكذا جميع أعمال العبد مما افترض عليه. فتتداخل علوم المتهجّدين كتداخل ضفيرة الشعر. وهي من العلوم المعشوقة للنفوس حيث تلتفّ هذا الالتفاف، فتظهر لهذا الالتفاف أسرار العالَم الأعلى والأسفل، والأسماء الدالّة على الأفعال والتنزيه[٢]، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾[٣] أي اجتمع أمر الدنيا بأمر الآخرة، وما ثَمّ إلّا دنيا وآخرة؛ وهو المقام المحمود الذي ينتجه التهجّد. قال -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤] و"عسى" من الله واجبة، و"المقام المحمود" هو الذي له عواقب الثناء، أي إليه يرجع كلّ ثناء.

وأمّا قدر علم التهجّد؛ فهو عزيز المقدار. وذلك أنّه لمّا لم يكن له اسم إلهيّ يستند إليه كسائر الآثار، عرف من حيث الجملة؛ أنّ ثَمّ أمرا غاب عنه أصحابُ الآثار، و(غابت عنه) الآثار. فطلب ما هو؟ فأدّاه النظر إلى أن يستكشف عن الأسماء الإلهيّة؛ هل لها أعيان؟ أو هل هي نِسَبٌ، حتى يرى رجوع الآثار؛ هل ترجع إلى أمر وجوديّ أو عدميّ؟ فلمّا نظر رأى أنّه ليس الأسماء أعيانا موجودة، وإنما هي نِسبٌ، فرأى مستند الآثار إلى أمر عدميّ.

---

(١) ص ٨
(٢) ص ٨ب
(٣) [القيامة: ٢٩]
(٤) [الإسراء: ٧٩]

فقال التهجُّدُ[١]: قصارى الأمر؛ أن يكون رجوعي إلى أمر عدميّ. فأمعنَ النظر في ذلك، ورأى نفسه مولّدا من قيام ونوم، ورأى النوم رجوع النفس إلى ذاتها وما تطلبه، ورأى القيامَ حقَّ الله عليه. فلمّا كانت ذاتُه مركّبة من هذين الأمرين؛ نظر إلى الحقّ من حيث ذات الحقّ؛ فلاح له أنّ الحقّ إذا انفرد بذاته لذاته لم[٢] يكن العالَم. وإذا توجّه إلى العالَم ظهر عينُ العالَم لذلك التوجُّه. فرأى أنّ العالَمَ كلَّه موجود عن ذلك التوجّه، المختلف النِّسب. ورأى التهجُّدُ[٣] ذاته مُرَكَّبة من نظر الحقّ لنفسه دون العالَم؛ وهو حالة النوم للنائم. ومِن نظره إلى العالَم؛ وهو حالة القيام لأداء حقّ الحقّ عليه. فعلم أنّ سبب وجود عينه؛ أشرف الأسباب؛ حيث استند مِن وجهٍ إلى الذات، معرّاة عن نِسب الأسماء، التي تطلب العالَم إليه. فتحقّقَ أنّ وجودَه أعظم الوجود، وأنّ علمَه أسنى العلوم، وحصل له مطلوبه، وهو كان غرضه، وكان سبب ذلك انكساره وفقره، فقال في قضاء وطره من ذلك متمثّلا:

رُبَّ لَيْـلٍ بِتُّـهُ مـا أَتَى ... فَجْرُهُ حَتَّى انْقَضَى وَطَرِي
مِنْ مَقَامٍ كُنْتُ أَعْشَقُهُ ... بِحَـدِيْـثٍ طَيِّـبِ الخَبَرِ

وقال في الأسماء:

لَمْ أَجِدْ لِلْإِسْمِ مَدْلُولا ... غَيْرَ مَنْ قَدْ كانَ مَفْعُولا
ثُمَّ أَعْطَتْنَا حَقِيْقَتُهُ ... كَوْنَـهُ لِلْعَقْـلِ مَعْقُولا
فَتَلَفَّظْنَـا بِـهِ أَدَبًا ... واعْتَقَدْنا الأَمْرَ مَجْهُولا

وكان قدر علمه في العلوم قدر معلومه، وهو الذات في المعلومات. فيتعلّق[٤] بعلم التهجّد علم جميع الأسماء كلّها، وأحقّها[٥] به الاسم القيّوم الذي ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[٦] وهو العبد في حال مناجاته. فيعلم الأسماء على التفصيل، أي كلّ اسم جاء؛ عَلِم ما يحوي عليه من الأسرار، الوجوديّة وغير الوجوديّة، على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم. ومما يتعلّقُ بهذه الحالة من

---

(١) س، هـ: المتهجد.
(٢) ص ٩
(٣) س، هـ: المتهجد.
(٤) ص ٩ب
(٥) من هنا تبدأ الكتابة بخط جديد مع تشكيل حروف الكلمات حتى نهاية الصفحة.
(٦) [البقرة: ٢٥٥]

العلوم: علم البرزخ، وعلم التجلّي الإلهيّ في الصور، وعلم سوق الجنّة، وعلم تعبير الرؤيا لا نفس الرؤيا من جهة مَن يراها، وإنما هي من جانب مَن تُرى له. فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه، وقد يراها له غيره، والعابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوّة، حيث علِم ما أُريد بتلك الصورة، ومَن هو صاحب ذلك المقام.

واعلم أنّ المقام المحمود الذي للمتهجِّد، يكون لصاحبه دعاءٌ معيَّن، وهو قول الله -تعالى- لنبيّه ﷺ يأمره به: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[1] يعني لهذا المقام؛ فإنّه موقف خاصّ بمحمد، يحمد الله فيه بمحامد لا يعرفها إلّا إذا دخل ذلك المقام ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[2] أي إذا انتقل عنه إلى غيره من المقامات والمواقف؛ أن تكون العناية به معه في خروجه منه، كما كانت معه في دخوله إليه ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[3] من أجل المنازعين فيه. فإنّ المقام الشريف لا يزال صاحبه محسودا، ولَمّا كانت النفوس لا تصل إليه، رجعت تطلب وجها من وجوه القدح فيه، تعظيما لحالهم التي هم عليها، حتى لا يُنسب النقص إليهم عن هذا المقام الشريف. فطلب صاحب هذا المقام النصرة[4] بالحجّة التي هي السلطان على الجاحدينَ شرفَ هذه المرتبة ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[5] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[6].

(١) [الإسراء: ٨٠]
(٢) [الإسراء: ٨٠]
(٣) [الإسراء: ٨٠]
(٤) ص ١٠
(٥) [الإسراء: ٨١]
(٦) [الأحزاب: ٤]

الباب التاسع عشر
في سبب نقص العلوم وزيادتها
وقوله -تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[1] وقوله ﷺ: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء»

تَجَلِّي وُجُودِ الحَقِّ فِي فَلَكِ النَّفْسِ ... دَلِيـلٌ عَلَى مـا فِي العُلُومِ مِنَ النَّقْصِ
وإِنْ غابَ عَنْ ذَاكَ التَّجَلِّي بِنَفْسِـهِ ... فَهَـلْ مُـدْرِكٌ إِيّاهُ بِالبَحْـثِ والفَحْصِ؟
وإِنْ ظَهَرَتْ لِلْعِلْمِ فِي النَّفْسِ كَثْرَةٌ ... فَقَـدْ ثَبَـتَ السِّــتْرُ المحقَّقُ بِالنَّصِّ
ولَمْ يَبْدُ مِنْ شَمْسِ الوُجُودِ ونُورِها ... عَلَى عَالَمِ الأَرْواحِ شَيْءٌ سِوَى القُرْصِ
ولَيْسَ يُنـالُ العَيْنُ فِي غَيْرِ مَظْهَرٍ ... وَلَوْ هَلَكَ الإِنْسـانُ مِنْ شِـدَّةِ الحِرْصِ
وَلا رَيْبَ فِي قَوْلِي الذِي قَدْ بَثَثْتُهُ ... وَمـا هُـوَ بِالـزُّورِ الْمُمَـوَّهِ والخَـرْصِ

اعلم -أيّدك الله- أنّ كلّ حيوان وكلّ موصوف بإدراك فإنّه في كلّ نَفَس في علم جديد من حيث ذلك الإدراك، لكن الشخص المدرِك قد لا يكون ممن[2] يجعل باله أنّ ذلك علم. فهذا هو في نفس الأمر علم. فاتّصاف العلوم بالنقص في حقّ العالِم هو أنّ الإدراك قد حيل بينه وبين أشياءَ كثيرة مما كان يدركها، لو لم يقم به هذا المانع كمن طرأ عليه العمى أو الصمم وغير ذلك.

ولَمّا كانت العلوم تعلو وتتّضع بحسب المعلوم؛ لذلك تعلّقت الهمم بالعلوم الشريفة العالية التي إذا اتّصف بها الإنسانُ زكتْ نفسُهُ وعظمت مرتبتُه. فأعلاها مرتبة العلم بالله. وأعلى الطرق إلى العلم بالله علمُ التجلّيات. ودونها علم النظر. وليس دون النظر علمٌ إلهيّ وإنما هي عقائد في عموم الخلق، لا علوم.

وهذه العلوم هي التي أمر الله نبيّه ﷺ بطلب الزيادة منها. قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[3] أي زدني من كلامك ما نزيد به علما

---

(١) [طه: ١١٤]
(٢) ص ١٠ ب، من هنا عادت الكتابة بالخط الجديد المشار إليه في الصفحة السابقة واستمر حتى نهاية ص ١٢.
(٣) [طه: ١١٤]

بك. فإنّه قد زاد هنا من العلم؛ العلم بشرف التأنّي عند الوحي، أدبا مع المعلّم الذي أتاه به، من قِبَل ربّه. ولهذا أردف هذه الآية بقوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾(١) أي ذلّت، فأراد علوم التجلّي، والتجلّي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم، وهي علوم الأذواق.

واعلم أنّ للزيادة والنقص بابا آخر نذكره أيضا -إن شاء الله-؛ وذلك أنّ الله جعل لكلّ شيء -ونفْسُ الإنسان من جملة الأشياء- ظاهرا وباطنا. فهي تدرِك بالظاهر أمورا تسمّى عينا، وتدرك بالباطن أمورا تسمّى علما، والحقّ(٢) -سبحانه- هو الظاهر والباطن، فبه وقع الإدراك، فإنّه ليس في قدرة كلّ ما سِوَى الله أن يدرِك شيئا بنفسه، وإنما أدركه بما جعل الله فيه. وتجلّي الحقّ لكلّ من تجلّى له من أيّ عالَم كان، من عالَم الغيب أو الشهادة، إنما هو من الاسم الظاهر. وأمّا الاسم الباطن؛ فمن حقيقة هذه النِّسبة أنّه لا يقع فيها تجلٍّ أبدا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إذ كان التجلّي عبارة عن ظهوره لمن تجلّى له في ذلك المجلى، وهو للاسم الظاهر، فإنّ معقوليّة النِّسب لا تتبدّل، وإن لم يكن لها وجود عينيّ، لكن لها الوجود العقليّ فهي معقولة.

فإذا تجلّى الحقّ؛ إمّا مِنّة، أو إجابة لسؤال فيه -فتجلّى لظاهر النفس- وقع الإدراك بالحسّ في الصورة في برزخ التمثّل، فوقعت الزيادة عند المتجلّى له في علوم الأحكام؛ إن كان من علماء الشريعة، وفي علوم موازين المعاني إن كان منطقيّا، وفي علوم ميزان الكلام إن كان نحويّا، وكذلك صاحب كلّ علم من علوم الأكوان وغير الأكوان، تقع له الزيادة في نفسه من علمه الذي هو بصدده.

فأهل هذه الطريقة، يعلمون أنّ هذه الزيادة إنما كانت من ذلك التجلّي الإلهيّ لهؤلاء الأصناف، فإنّهم لا يقدرون على إنكار ما كشف لهم. وغير العارفين يحسّون بالزيادة، وينسبون ذلك إلى أفكارهم. وغير هذين يجدون من الزيادة ولا يعلمون أنّهم استزادوا شيئا. فهم في المثل ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ(٣) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾(٤) وهي هذه الزيادة

(١) [طه: ١١١]
(٢) ص ١١
(٣) ص ١١ب
(٤) [الجمعة: ٥]

وأصلها. والعجب من الذين نسبوا ذلك إلى أفكارهم، وما علم أنّ فكره ونظره وبحثه في مسألةٍ من المسائل، هو من زيادة العلوم في نفسه، من ذلك التجلّي الذي ذكرنا. فالناظر مشغول بمتعلّق نظره وبغاية مطلبه، فيحجب عن علم الحال، فهو في مزيد علم وهو لا يشعر.

وإذا وقع التجلّي أيضا بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الإدراك بالبصيرة، في عالَم الحقائق والمعاني المجرَّدة عن الموادّ، وهي المعبَّر عنها بالنصوص، إذ النصّ ما لا إشكال فيه، ولا احتمال بوجهٍ من الوجوه، وليس ذلك إلّا في المعاني، فيكون صاحب المعاني مستريحا من تعب الفكر، فتقع الزيادة له عند التجلّي في العلوم الإلهيّة، وعلوم الأسرار وعلوم الباطن وما يتعلّق بالآخرة، وهذا مخصوص بأهل طريقنا. فهذا سبب الزيادة.

وأمّا سبب نقصها، فأمران: إمّا سوء في المزاج في أصل النشء، أو فساد عارض في القوّة الموصلة إلى ذلك. وهذا لا ينجبر، كما قال الخضر في الغلام: "إنّه طبع كافرا" فهذا في أصل النشء. وأمّا الأمر العارض فقد يزول، إن كان في القوّة، بالطبّ، وإن كان في النفس فيشغله حبّ الرئاسة واتّباع الشهوات، عن اقتناء العلوم التي فيها شرفه وسعادته، فهذا أيضا قد يزول بداعي الحقّ من قلبه، فيرجع إلى الفكر الصحيح، فيعلم أنّ الدنيا منزل من[1] منازل المسافر، وأنّها جسر تُعبر، وأنّ الإنسان إذا لم تتحلّ نفسه هنا بالعلوم ومكارم الأخلاق وصفات الملأ الأعلى، من الطهارة والتنزّه عن الشهوات الطبيعيّة الصارفة عن النظر الصحيح، واقتناء العلوم الإلهيّة؛ فيأخذ في الشروع في ذلك، فهذا أيضا سبب نقص العلوم.

ولا أعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيبا في الإنسان، إلّا العلوم الإلهيّة. وإلّا فالحقيقة تعطي أنّه ما ثَمّ نقصٌ قطّ، وأنّ الإنسان في زيادة علم أبدا دائما، من جهة ما تعطيه حواسّه، وتقلّبات أحواله في نفسه وخواطره، فهو في مزيد علوم، لكن لا منفعة فيها، والظنّ والشكّ والنظر والجهل والغفلة والنسيان؛ كلّ هذا وأمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظنّ أو الشكّ أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان.

وأمّا نقص علوم التجلّي وزيادتها؛ فالإنسان على إحدى حالتين: خروج الأنبياء بالتبليغ، أو

(١) ص ١٢

الأولياء بحكم الوراثة النبويّة. كما قيل لأبي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة، وقال له: "أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني" فلم يسعه إلّا امتثال أمر ربّه. فخطا خطوة إلى نفسه من ربّه، فغشي عليه. فإذا النداء: "ردّوا عليّ حبيبي فلا صبر له عنّي" فإنّه كان مستهلكا في الحقّ كأبي عقال المغربي(١)، فرَدَّهُ إلى مقام الاستهلاك فيه الأرواحُ الموكلة به المؤيّدةُ له، لَمّا أُمر بالخروج. فرُدَّ إلى الحقّ وخُلِعت(٢) عليه خِلَع الذلّة والافتقار والانكسار. فطاب عيشه، ورأى ربّه؛ فزاد أنسه، واستراح من حمل الأمانة المعارة التي لابدّ له أن تؤخذ منه.

والإنسان من وقت رُقِيِّهِ في سلّم المعراج، يكون له تجلّ إلهيّ بحسب سلّم معراجه، فإنّه لكلّ شخص من أهل الله سُلَّم يخصّه لا يرقى فيه غيره، ولو رقي أحد في سلّم أحد، لكانت النبوّة مكتسَبة، فإنّ كلّ سلّم يعطي لذاته مرتبة خاصّة لكلّ من رقي فيه، وكانت العلماء ترقى في سلّم الأنبياء، فتنال النبوّة برقيّها فيه. والأمر ليس كذلك، وكان يزول الاتّساع الإلهيّ بتكرار الأمر. وقد ثبت عندنا أنّه لا تكرار في ذلك الجناب.

غير أنّ عدد درج المعاني كلّها -الأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسل- على السَّواء؛ لا يزيد سلّم على سلّم درجة واحدة: فالدرجة الأُولَى: الإسلام، وهو الانقياد، وآخر الدرج: الفناء في العروج، والبقاء في الخروج. وبينهما ما بقي، وهو: الإيمان، والإحسان، والعلم، والتقديس، والتنزيه، والغنى،

---

(١) أبو عقال علوان بن الحسن: (ت ٢٩١هـ) من بني الأغلب وهم ملوك المغرب، كان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة، فتاب إلى ربه ورجع عن ذلك رجوعاً فاق نظراءه، فرفض المال والأهل وهجر النساء والوطن، وبلغ من العبادة مبلغاً أربى فيه على المجتهدين، وعرف بإجابة الدعوة، وكان عالماً أديباً قد صحب عدة من أصحاب سحنون وسمع منهم، ثم انقطع إلى بعض السواحل فصحب رجلاً يكنى أبا هارون الأندلسي منقطعاً متبتلاً إلى الله. فلم ير منه كبير اجتهاد في العمل.
فبينا أبو عقال يتهجد في بعض الليالي وأبو هارون نائم إذ غالبه النوم فقال لنفسه: يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وأنا أسهر الليل كله، فلو أرحت نفسي! فوضع جنبه فرأى في منامه شخصاً فتلا عليه: " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء " إلى آخر الآية الجاثية: ٢١. فاستيقظ فزعاً وعلم أنه المراد فأيقظ أبا هارون وقال له: سألتك بالله هل أتيت كبيرة قط ؟ قال: لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله. فقال أبو عقال: لهذا تنام ولا يصلح لمثلي إلا الكد والاجتهاد. ثم رحل إلى مكة ولزم بيت الله الحرام وحج مراراً وأربى على عباد المشرق.
وكان يعمل بالقربة على ظهره لقوته ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين. وقال له رجل كان يصحبه يوماً: لي إليك حاجة. فقال بعد الجهد به: حاجتك مقضية. قال: إن كانت لك شهوة أخبرني بها. قال: نعم أشتهي أن آكل رأساً. فاشتريت له رأسين ولففتهما في رقاق وجئته بهما، ثم سألته بعد ذلك بأيام: هل طاب لك الرأسان ؟ قال: لا، ما هو إلا أن فتحتهما فإذا هما محشوان دوداً ليس فيهما لحم البتة إلا الدود! فأتيت الرواس فأخبرته فأطرق متعجباً ثم قال: ما كنت أظن أن في زماننا أحداً يحتمي من الحرام هذه الحماية، تلك الرءوس كانت من غنم انتهبها بعض العمال. ثم أعطاني رأسين من غير تلك الغنم فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما، وأخبرته بما قاله الرواس فبكى ثم قال: يا رب ما كان يستحق عبدك أبو عقال مثل هذه الحماية، ولكنه يا رب فضلك وكرمك فلك علي يا رب أن لا آكل طعاماً بشهوة أشتهيها حتى ألقاك إن شاء الله! وكانت له أخت متعبدة، فلما مات لحقت قبره بمكة. (سراج الملوك [ص ١٦])، وذكر الزركلي أن اسمه غلبون بن الحسن بن غلبون.
(٢) ص ١٢ب، ومن هنا عادت الكتابة بقلم الشيخ الأكبر

والفقر، والذلّة، والعزّة، والتلوين، والتمكين في التلوين، والفناء إن كنت خارجا، والبقاء إن كنت داخلا إليه. وفي كلّ درج في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك، من علوم التجلّي إلى أن تنتهي إلى[1] آخر درج.

فإن كنت خارجا ووصلت إلى آخر درج، ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك، وكنت له مظهرا في خلقه، ولم يبق في باطنك منه شيء أصلا، وزالت عنك تجلّيات الباطن جملة واحدة. فإذا دعاك إلى الدخول إليه؛ فهي أوّل درج يتجلّى لك في باطنك، بقدر ما ينقص من ذلك التجلّي في ظاهرك، إلى أن تنتهي إلى آخر درج، فيظهر على باطنك بذاته ولا يبقى في ظاهرك[2] تجلّ أصلا. وسبب ذلك أن لا يزال العبد والربّ معا في كمال وجود كلّ واحد لنفسه؛ فلا يزال العبد عبدا، والربّ ربّا مع هذه الزيادة والنقص.

فهذا هو سبب زيادة علوم التجلّيات ونقصها في الظاهر والباطن، وسبب ذلك التركيب. ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مركّبا، له ظاهر وله باطن، والذي تسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة، لا وجود لها في أعيانها، فكلّ موجود سِوَى الله -تعالى-؛ مركّب. هذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه، وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له، فإنّه وصف ذاتيّ له.

فإن فهمتَ فقد أوضحنا لك المنهاج، ونصبنا لك المعراج، فاسلُك واعْرُج، تبصر وتشاهد ما بيّنّاه لك. ولَمّا عيّنّا لك درج المعارج[3]، ما أبقينا لك في النصيحة التي أَمَرَنا بها رسولُ الله ﷺ، فإنّه لو وصفنا لك الثمرات والنتائج ولم نعيّن لك الطريق إليها، لشوّقناك إلى أمر عظيم لا تعرف الطريق الموصِل إليه، فوالذي نفسي بيده، إنّه لهو المعراج، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[4].

---

(١) ص ١٣

(٢) ق: "باطنك" وعدلت بقلم الأصل في الهامش بعد إشارة الحذف.

(٣) ص ١٣ب

(٤) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش بقلم الشيخ: "بلغ قراءة الظهير محمود، عليّ. وكتبه ابن العربي".

الباب العشرون
في العلم العيسويّ، ومن أين جاء؟ وإلى أين ينتهي؟ وكيفيّته؟ وهل تعلّق بطول العالَم، أو بعرضه، أو بهما؟

عِلْمُ عِيْسَى هُوَ الذِي جَهِلَ الخَلْقُ قَدْرَهُ
كانَ يُحْيِي بِهِ الذِي كانَتِ الأَرْضُ قَبْرَهُ
قاوَمَ النَّفخُ إذْنَ مَنْ غابَ فِيْهِ وَأَمْرَهُ
إنَّ لاهُوتَهُ الَّذِي كانَ فِي الغَيْبِ صِهْرَهُ
هُوَ رُوحٌ مُمَثَّلٌ أَظْهَرَ اللهُ سِرَّهُ
جاءَ مِنْ غَيْبِ حَضْرَةٍ قَدْ مَحَا اللهُ بَدْرَهُ
صارَ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ ما كانَ رُوحًا فَغَرَّهُ
وانْتَهَى فِيْهِ أَمْرُهُ فَحَبَاهُ وَسَرَّهُ
مَنْ[1] يَكُنْ مِثْلَهُ فَقَدْ عَظَّمَ اللهُ أجْرَهُ[2]

اعلم -أيّدك الله- أنّ العلم العيسوي هو علم الحروف، ولهذا أعطي النفخ، وهو الهواء الخارج من تجويف القلب، الذي هو روح الحياة. فإذا تقطّع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد، سمّي مواضعُ انقطاعه حروفا، فظهرت أعيان الحروف.

فلمّا تألّفتْ ظهرت الحياة الحسّيّة في المعاني؛ وهو أوّل ما ظهر من الحضرة الإلهيّة للعالَم، ولم يكن للأعيان في حال عدمها شيء من النِّسب إلّا السمع، فكانت الأعيان مستعدّة في ذواتها، في حال عدمها، لقبول الأمر الإلهيّ إذا ورد عليها بالوجود. فلمّا أراد بها الوجود قال لها: ﴿كُن﴾ فتكوّنت، وظهرت في أعيانها. فكان الكلام الإلهيّ أوّل شيء أدركته من الله -تعالى- بالكلام الذي

(١) ص ١٤
(٢) كتب فوق: "عظم" كلمة: "ضَعّف"، وفوق كلمة: "أجره" كلمة: "بِرّه" فيكون: "ضَعَّفَ اللهُ بِرَّه" ليشير إلى إمكانية الأخذ بالروايتين.

يليق به سبحانه.

فأوّل كلمة تركّبت، كلمةُ "كن" وهي مركّبة من ثلاثة أحرف: كاف، وواو، ونون. وكلّ حرف من ثلاثة؛ فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة. وهي أوّل الأفراد. وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من "كن" فظهر بـ"كن" عينُ المعدود والعدد. ومن هنا كان أصلُ تركيب المقدّمات من ثلاثة، وإن كانت في الظاهر أربعة، فإنّ الواحد[1] يتكرّر في المقدّمتين، فهي ثلاثة. وعن الفرد وُجِد الكون، لا عن الواحد.

وقد عرّفنا الحقّ أنّ سبب الحياة في صور المولّدات، إنما هو النفخ الإلهيّ في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2] وهو النفَس الذي أحيا الله به الإيمان، فأظهره. قال ﷺ: «إنّ نفَس الرحمن يأتيني من قِبَل اليمن» فحييتْ بذلك النفَس الرحمانيّ صورةُ الإيمان في قلوب المؤمنين وصورةُ الأحكام المشروعة.

فأعطي عيسى علم هذا النفخ الإلهيّ ونِسبته، فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر، أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين؛ فيقوم حيّا بالإذن الإلهيّ الساري في تلك النفخة، وفي ذلك الهواء. ولولا سريان الإذن الإلهيّ فيه لما حصلت حياةٌ في صورة أصلا. فمن نفَس الرحمن جاء العلم العيسويّ إلى عيسى، فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه إلى الصُّوَر المنفوخ فيها، وذلك هو الحظّ الذي لكلّ موجود من الله، وبه يصل إليه، إذا صارت إليه الأمور كلّها.

وإذا تحلّل الإنسان في معراجه إلى ربّه، وأخذ كلُّ كون منه في طريقه ما يناسبه، لم يبق منه إلّا هذا السرّ، الذي عنده من الله، فلا[3] يراه إلّا به ولا يسمع كلامه إلّا به، فإنّه يتعالى ويتقدّس أن يُدْرَك إلّا به. وإذا رجع الشخص من هذا المشهد، وتركّبتْ صورته التي كانت تحلّلت في عروجه، وردَّ العالَمُ إليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه، فإنّ كلّ عالَم لا يتعدّى جنسه، فاجتمع الكلّ على هذا السرّ الإلهيّ واشتمل عليه، وبه سبّحت الصورة بحمده، وحمدت ربَّها، إذ لا يحمده سِوَاهُ. ولو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السرّ؛ لم يظهر الفضل الإلهيّ ولا الامتنان على هذه الصورة، وقد ثبت الامتنان له على جميع الخلائق، فثبت أنّ الذي كان من

(١) ص ١٤ب
(٢) [الحجر: ٢٩]
(٣) ص ١٥

المخلوق لله من التعظيم والثناء، إنما كان من ذلك السرّ الإلهيّ، ففي كلّ شيء من روحه، وليس شيء فيه. فالحقّ هو الذي حمد نفسه، وسبّح نفسه، وما كان من خير إلهيّ لهذه الصورة عند ذلك التحميد والتسبيح؛ فمن باب المنّة لا من باب الاستحقاق الكونيّ، فإن جعل الحقّ له استحقاقا فمن حيث أنّه أوجب ذلك على نفسه.

فالكلماتُ عن الحروف، والحروفُ عن الهواء، والهواءُ عن النفَس الرحمانيّ. وبالأسماء تظهر الآثار في الأكوان، وإليها ينتهي العلم العيسويّ. ثمّ[1] إنّ الإنسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانيّة تعطيه من نفَسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات، فيصير الأمر دوريّا دائما.

واعلم أنّ حياةَ الأرواح حياةٌ ذاتيّة، ولهذا يكون كلّ ذي روح حيٌّ بروحه، ولَمّا علم بذلك السامريّ حين أبصر جبريل وعلم أنّ روحَه عينُ ذاته، وأنّ حياتَه ذاتيّة، فلا يطأ موضعا إلّا حيي ذلك الموضع، بمباشرة تلك الصورة الممثّلة إيّاه؛ فأخذ من أثره قبضة وذلك قوله -تعالى- فيما أخبر به عنه أنّه قال ذلك: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾[2] فلمّا صاغ العجلَ وصوّره؛ نبذ فيه تلك القبضة، فخار العجل.

ولَمّا كان عيسى عليه السلام روحا، كما سمّاه الله، وكما أنشأه، روحا في صورة إنسان ثابتة، أنشأ جبريلَ في صورة أعرابيّ غير ثابتة[3]، كان (عيسى) يحيي الموتى بمجرّد النفخ، ثمّ إنّه أيّده بروح القدس، فهو روح مؤيّد بروح طاهرة من دنس الأكوان. والأصل في هذا كلّه الحيّ الأزليّ؛ عين الحياة الأبديّة. وإنما ميّز الطرفين؛ أعني الأزل والأبد وجودُ العالَم وحدوثُه الحيّ. وهذا العلم هو المتعلّق بطول العالَم، أعني العالَم الروحانيّ؛ وهو[4] عالَم المعاني والأمر. ويتعلّق بعرض العالَم؛ وهو عالَم الخلق والطبيعة والأجسام، والكلّ لله ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[5] ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[6] ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[7] وهذا كان علم الحسين بن منصور -رحمه الله-.

---

(١) ص ١٥ب
(٢) [طه: ٩٦]
(٣) تمثل جبريل بأعرابي ورد في أخبار أشهرها حديث الإسلام والإيمان والإحسان.
(٤) ص ١٦
(٥) [الأعراف: ٥٤]
(٦) [الإسراء: ٨٥]
(٧) [الأعراف: ٥٤]

فإذا سمعتَ أحدا من أهل طريقنا يتكلّم في الحروف فيقول: إنّ الحرف الفلاني طوله كذا ذراعا أو شبرا، وعرضه كذا، كالحلّاج وغيره، فإنّه يريد بالطول: فعله في عالَم الأرواح. وبالعرض: فعله في عالَم الأجسام. ذلك المقدار المذكور الذي يميّزه به، وهذا الاصطلاحُ مِن وَضْع الحلّاج.

فَمَن علم من المحقّقين حقيقة ﴿كُن﴾ فقد علم العلم العُلويّ. ومن أوجد بهمّته شيئا من الكائنات فما هو من هذا العلم.

ولَمّا كانت التسعة ظهرت في حقيقة هذه الثلاثة الأحرف (كُون)، ظهر عنها من المعدودات التسعة الأفلاك. وبحركات مجموع التسعة الأفلاك، وتسيير كواكبها؛ وُجدت الدنيا وما فيها، كما أنّها أيضا تخرب بحركاتها. وبحركة الأعلى من هذه التسعة؛ وُجدت الجنّة بما فيها. وعند حركة ذلك الأعلى؛ يتكوّن جميع ما في الجنّة، وبحركة الثاني الذي يلي الأعلى؛ وُجدت النار بما[1] فيها، والقيامة والبعث والحشر والنشر.

وبما ذكرناه كانت الدنيا ممتزجة: نعيمٌ ممزوج بعذاب. وبما ذكرناه أيضا، كانت الجنّة نعيما كلّها، والنارُ عذابا كلّها، وزال ذلك المزج في أهلها. فنشأة الآخرة لا تقبل مزاج نشأة الدنيا، وهذا هو الفُرقان بين نشأة الدنيا والآخرة. إلّا أنّ نشأة النار -أعني أهلها- إذا انتهى فيهم الغضب الإلهيّ؛ أَمَدُهُ، ولَحِقَ بالرحمة التي سبقته في المدى، يرجع الحكم لها فيهم، وصورتها صورتها لا تتبدّل، ولو تبدّلت تعذَّبوا. فيحكم عليهم أوّلا، بإذن الله وتوليته، حركة الفلك الثاني من الأعلى، بما يظهر فيهم من العذاب، في كلّ محلٍّ قابل للعذاب. وإنما قلنا في كلّ محلّ قابل للعذاب؛ لأجل مَن فيها ممن لا يقبل العذاب.

فإذا انقضت مدّتها، وهي خمس وأربعون ألف سنة، تكون في هذه المدّة عذابا على أهلها، يتعذّبون فيها عذابا متّصلا لا يفتر ثلاثة وعشرين ألف سنة، ثمّ يرسل الرحمن عليهم نومة يغيبون فيها عن الإحساس، وهو قوله -تعالى-: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[2] وقوله عليه السلام في أهل النار

(١) ص ١٦ب
(٢) [طه: ٧٤]

الذين هم أهلها أنّهم: «لا يموتون فيها ولا يحيون" يريد حالهم في هذه الأوقات التي[١] يغيبون فيها عن إحساسهم، مثل الذي يغشى عليه من أهل العذاب في الدنيا، من شدّة الجزع وقوّة الآلام المفرطة، فيمكثون كذلك تسع عشرة ألف سنة.

ثمّ يُفيقون من غَشْيَتِهِم، وقد بدّل الله جلودَهم جلودا غيرها، فيعذَّبون فيها خمس عشرة ألف سنة، ثمّ يُغشى عليهم، فيمكثون في غشيتهم إحدى عشرة ألف سنة، ثمّ يُفيقون، وقد بدّل الله جلودَهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، فيجدون العذاب الأليم سبعة آلاف سنة، ثمّ يُغشى عليهم ثلاثة آلاف سنة، ثمّ يُفيقون فيرزقهم الله لذّة وراحة، مثل الذي ينام على تعبٍ ويستيقظ. وهذا من رحمته التي سبقت غضبه، ووسعتْ كلّ شيء، فيكون لها عند[٢] ذلك حكم التأبيد من الاسم الواسع الذي به وسع كلّ شيء رحمة وعلما، فلا يجدون ألما، ويدوم لهم ذلك، ويستغنمونه ويقولون: نُسينا فلا نَسأل، حذارا أن نُذَكِّر بنفوسنا. وقد قال الله لنا: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٣] فيسكتون وهم فيها مبلِسون، ولا يبقى عليهم من العذاب إلّا الخوف من رجوع العذاب عليهم.

فهذا القدر من العذاب، هو الذي يسرمد عليهم، وهو[٤] الخوف، وهو عذاب نفْسيٌّ لا حِسِّيٌّ. وقد يذهلون عنه في أوقات. فنعيمهم الراحة من العذاب الحسّي، بما يجعل الله في قلوبهم من أنّه ذو رحمة واسعة، يقول الله -تعالى-: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ﴾[٥] ومن هذه الحقيقة يقولون: "نُسِينا" إذا لم يحسّوا بالآلام، وكذلك قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[٧] أي تُترك في جهنّم إذ كان النسيانُ التركَ، وبالهمز[٨]: التأخّر.

فأهل النار حظُّهم من النعيم عدمُ وقوعِ العذاب، وحظُّهم من العذاب توقُّعه، فإنّه لا أمان لهم بطريق الأخبار عن الله، ويُحجبون عن خوف التوقّع في أوقات: فوقتًا يُحجبون عنه عشرة آلاف

(١) ص ١٧
(٢) ق: "حكم عند".
(٣) [المؤمنون: ١٠٨]
(٤) ص ١٧ب
(٥) [الجاثية: ٣٤]
(٦) [التوبة: ٦٧]
(٧) [طه: ١٢٦]
(٨) بالهمز: "تُنْسأ" من النسيئة، وهو التأخر.

سنة، ووقتا ألفي سنة، ووقتا ستّة آلاف سنة ولا يخرجون عن هذا المقدار المذكور، متى ما كان لا بدّ أن يكون هذا القدر لهم من الزمان. وإذا أراد الله أن ينعِّمهم من اسمه الرحمن؛ ينظرون في حالهم التي هم عليها في الوقت، وخروجهم مما كانوا فيه من العذاب، فينعّمون بذلك القدر من النظر، فوقتًا يدوم لهم هذا النظر ألف سنة، ووقتا تسعة آلاف سنة، ووقتا خمسة آلاف سنة، فيزيد وينقص. فلا تزال حالهم هذه دائمًا في جهنّم إذ هم أهلها. وهذا[1] الذي ذكرناه، كلّه من العلم العيسويّ، الموروث من المقام المحمّديّ. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

---

(١) ص ١٨
(٢) [الأحزاب: ٤]

الباب الحادي والعشرون
في معرفة ثلاثة علوم كونيّة،
وتوالج بعضها في بعض

عِلْمُ التَّوَالُجِ عِلْمُ الفِكْرِ يَصْحَبُهُ ... عِلْمُ النَّتَائِجِ فَانْسُبْهُ إِلَى النَّظَرِ
هِيَ الأَدِلَّةُ إِنْ حَقَّقْتَ صُورَتَهَا ... مِثْلُ الدَّلالَةِ فِي الأُنْثَى مَعَ الذَّكَرِ
عَلَى الذِي أَوْقَفَ الإِيجَادَ أَجْمَعَهُ ... عَلَى حَقِيْقَةِ "كُنْ" فِي عالَمِ الصُّوَرِ
والواوُ لَوْلا سُكُونُ النُّونِ أَظْهَرَها ... فِي العَيْنِ قائِمَةً تَمْشِي عَلَى قَدَرِ
فاعْلَمْ بِأَنَّ وُجُودَ الكَوْنِ فِي ملِكٍ[1] ... وَفِي تَوَجُّهِهِ فِي جَوْهَرِ البَشَرِ

اعلم -أيّدك الله- أنّ هذا هو علم التوالد والتناسل، وهو من علوم الأكوان، وأصله من العلم الإلهيّ. فلنبيّن لك أوّلا صورته في الأكوان وبعد ذلك نظهره لك في العلم الإلهيّ، فإنّ كلّ علم أصلُه من العلم الإلهيّ، إذ كان كلّ ما سِوَى الله من الله. قال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾[2] فهذا عِلمُ التوالج، سارٍ في كلّ شيء، وهو علم الالتحام والنكاح، ومنه[3] حِسِّيٌّ ومعنويٌّ وإلهيٌّ. فاعلم أنّك إذا أردت أن تعلم حقيقة هذا، فلتنظره أوّلا في عالَم الحسّ، ثمّ في عالم الطبيعة، ثمّ في المعاني الروحانيّة، ثمّ في العلم الإلهيّ. فأمّا في الحسّ فاعلم أنّه إذا شاء الله أن يظهر شخصا بين اثنين؛ ذانك الاثنان هما ينتجانه. ولا يصحّ أن يظهر عنهما ثالث، ما لم يقم بهما حكم ثالث؛ وهو أن يفضي أحدهما إلى الآخر بالجماع. فإذا اجتمعا على وجه مخصوص وشرط مخصوص؛ وهو أن يكون المحلّ قابلا للولادة، لا يُفسد البذر إذا قَبِله، ويكون البذر يقبل فتح الصورة فيه، هذا هو الشرط الخاص. وأمّا الوجه المخصوص: فهو أن يكون التقاء الفرجين، وإنزال الماء أو الريح عن شهوة، فلا بدّ من ظهور ثالث، وهو المسمّى ولدا، والاثنان يسمّيان

(١) كتب فوقها: "معا" وفي الهامش: "فَلَك" وعليه لفظ: "معا" يشير إلى صحة أي من اللفظين.
(٢) [الجاثية: ١٣]
(٣) ص ١٨ب

والِدَيْن، وظهور الثالث يسمّى ولادة، واجتماعهما يسمّى نكاحا وسِفادا[1]، وهذا أمر محسوس واقع في الحيوان.

وإنما قلنا: بوجه مخصوص وشرط مخصوص، فإنّه ما يكون عن كلّ ذكر وأنثى يجتمعان بنكاح ولدٌ ولا بدّ، إلّا بحصول ما ذكرناه، وسنبيّنه في المعاني بأوضح من هذا، إذ المطلوب ذلك.

وأمّا في الطبيعة؛ فإنّ السماء إذا أمطرت الماء، وقَبِلَت الأرضُ الماءَ، ﴿وَرَبَتْ﴾ -وهو حَمْلُها- فـ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن[2] كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[3] وكذلك لقاح النخل والشجر ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[4] لأجل التوالد.

وأمّا في المعاني؛ فهو أن تعلم أنّ الأشياء على قسمين: مفردات ومركّبات. وأنّ العلم بالمفرد يتقدّم على العلم بالمركّب، والعلم بالمفرد يُقتنص بالحدِّ، والعلم بالمركَّب يُقتنص بالبرهان. فإذا أردت أن تعلم وجود العالَم؛ هل هو عن سبب أم لا؟ فلتعمد إلى مفردين، أو ما هو في حكم المفردين، مثل المقدّمة الشرطيّة، ثمّ تجعل أحد المفردين موضوعا مبتدأ، وتحمل المفرد الآخر عليه، على طريق الإخبار به عنه فتقول: "كلّ حادثٍ". فهذا المسمّى مبتدأ؛ فإنّه الذي بدأتَ به. وموضوعا أوّل؛ فإنّه الموضوع الأوّل الذي وضعته، لتحمل عليه بما تخبر به عنه. وهو مفرد؛ فإنّ الاسم المضاف في حكم المفرد.

ولا بدّ أن تعلم بالحدّ معنى "الحدوث"، ومعنى "كلّ" الذي أضفته إليه وجعلته له كالسور لما يحيط به، فإنّ "كلّ" تقتضي الحصر بالوضع في اللسان، فإذا علمتَ الحادث، حينئذ حملتَ عليه مفردا آخر، وهو قولك "فله سبب". فأخبرتَ به عنه، فلا بدّ أن تعلم أيضا معنى "السبب"، ومعقوليّته في الوضع، وهذا هو العلم بالمفردات المقتَنَصة بالحدّ، فقام من هذين المفردين[5] صورة مركّبة، كما قامت صورة الإنسان من حيوانيّة ونطق، فقلتَ فيه: حيوان ناطق.

فتركيب المفردين؛ بحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيئا، وإنما هي دعوى يفتقر مدّعيها إلى

---

(١) السفاد: نزول الذكر على الأنثى، ويقال للحيوانات عادة. وربما قصد به الزنى بين البشر تشبيها بفعل الحيوان.
(٢) ص ١٩
(٣) [الحج: ٥]
(٤) [الذاريات: ٤٩]
(٥) ص ١٩ب

دليل على صحّتها، حتى يصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه، فيأخذ منّا ذلك مسلَّما، إذا كان في دعوى خاصة، على طريق ضرب المثال مخافة التطويل. وليس كتابي هذا بمحلّ لـ"ميزان المعاني" وإنما ذلك موقوف على علم المنطق، فإنّه لا بدّ أن يكون كلّ مفرد معلوما، وأن يكون ما يخبَر به عن المفرد الموضوع معلوما أيضا؛ إمّا ببرهان حِسّي أو بديهيّ أو نظريّ يرجع إليهما.

ثمّ تطلب مقدّمة أخرى تعمل فيها ما عملتَ في الأُولَى، ولا بدّ أن يكون أحد المفردين مذكورا في المقدّمتين، فهي أربعة في صورة التركيب، وهي ثلاثة في المعنى لما نذكره -إن شاء الله-، وإن لم يكن كذلك فإنّه لا ينتج أصلا.

فنقول في هذه المسألة التي مثّلنا بها في المقدّمة الأخرى: "والعالَم حادث" وتطلب فيه من العلم بحدّ المفرد فيها ما طلبتَه في المقدّمة الأُولَى من معرفة العالَم ما هو؟ وحمل الحدوث عليه بقولك: "حادث" وقد كان هذا الحادث -الذي هو محمول في هذه المقدّمة- موضوعا في الأُولَى، حين حملتَ عليه السبب، فتكرّر الحادث في المقدّمتين، وهو الرابط بينهما، فإذا ارتبطا سمّي ذلك الارتباطُ وجهَ الدليل. وسمّي اجتماعُهما دليلا[١] وبرهانا. فينتج بالضرورة أنّ حدوث العالَم له سبب. فالعلّة الحدوث، والحكم السبب. فالحكم أعمّ من العلّة؛ فإنّه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعمّ من العلّة أو مساويا لها، وإن لم يكن كذلك فإنّه لا يصدق. هذا في الأمور العقليّة.

وأمّا مأخذها في الشرعيّات؛ فإذا أردت أن تعلم مثلا، أنّ النبيذ حرام بهذه الطريقة، فتقول: "كلّ مسكر حرام، والنبيذ مسكر، فهو حرام"[٢]. وتعتبر في ذلك ما اعتبرتَ في الأمور العقليّة كما مثّلتُ لك. فالحكمُ التحريمُ، والعلّةُ الإسكارُ. فالحكم أعمّ من العلّة الموجبة للتحريم. فإنّ التحريم قد يكون له سبب آخر غير السُّكر، في أمر آخر، كالتحريم في الغصب والسرقة والجناية وكلّ ذلك علل في وجود التحريم في المحرّم. فلهذا الوجه المخصوص صَدَق.

فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني، وأنّ النتائجَ إنما ظهرت بالتوالج الذي في المقدّمتين،

(١) ص ٢٠
(٢) هناك رواية بين السطرين وفي الهامش بخط آخر مفادها: "كل نبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فالنبيذ حرام".

اللتين[١] هما كالأبوين في الحسّ، وأنّ المقدّمتين مركّبة من ثلاثة، أو ما هو في حكم الثلاثة. فإنّه قد يكون للجملة معنى الواحد في الإضافة والشرط، فلم تظهر نتيجة إلّا من الفرديّة. إذ لو كان الشفع، ولا يصحبه الواحد؛ صحبة خاصة، ما صحّ أن يوجد عن الشفع شيء أبدا. فبطل الشريك في وجود العالَم، وثبت الفعل للواحد، وأنّه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات. فتبيّن[٢] لك أنّ أفعال العباد، وإن ظهرت منهم، أنّه لولا الله ما ظهر لهم فعل أصلا.

فجمع هذا الميزان بين إضافة الأعمال إلى العباد بالصورة[٣]، وإيجاد تلك الأفعال لله -تعالى-، وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٤] أي وخلق ما تعملون. فنسب العمل إليهم، وإيجاده لله -تعالى-. والخلق قد يكون بمعنى الإيجاد؛ ويكون بمعنى التقدير، كما أنّه قد يكون بمعنى الفعل مثل قوله -تعالى-: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥] ويكون بمعنى المخلوق مثل قوله: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾[٦].

وأمّا هذا التوالج في العلم الإلهيّ والتوالد؛ فاعلم أنّ ذات الحقّ -تعالى- لم يظهر عنها شيء أصلا من كونها ذاتا، غير منسوب إليها أمرٌ آخر، وهو أن ينسب إلى هذه الذات أنّها قادرة على الإيجاد، عند أهل السنّة أهل الحقّ. أو ينسب إليها كونها علّة، وليس هذا مذهب أهل الحقّ، ولا يصحّ. وهذا مما لا نحتاج إليه، ولكن كان الغرض في سياقه، من أجل مخالفي أهل الحقّ، لنقرّر عنده أنّه ما نُسب وجود العالَم لهذه الذات، من كونها ذاتا، وإنما نسبوا العالَم لها بالوجود من كونها علّة، فلهذا أوردنا مقالتهم.

ومع هذه النسبة؛ وهي كونه قادرا، لابدّ من أمر ثالث، وهو إرادته الإيجاد لهذه العين المقصودة بأن توجد، ولا بدّ من التوجّه بالقصد إلى إيجادها بالقدرة عقلا وبالقول شرعا بأن تتكوّن. فما وجد الخلق إلّا عن الفرديّة[٧] لا عن الأحديّة، لأنّ أحديّته لا تقبل الثاني، لأنّها ليست أحديّة عدد.

---

(١) ق: اللذين
(٢) ص ٢٠ب
(٣) ربما قرئت: بالصور
(٤) [الصافات: ٩٦]
(٥) [الكهف: ٥١]
(٦) [لقمان: ١١]
(٧) ص ٢١

فكان ظهور العالَم في العلم الإلهيّ عن ثلاث حقائق معقولة، فسرى ذلك في توالد الكون بعضه عن بعض، لكون الأصل على هذه الصورة.

ويكفي هذا القدر من هذا الباب، فقد حصل المقصود بهذا التنبيه، فإنّ هذا الفنّ في مثل طريق أهل الله، لا يحتمل أكثر من هذا فإنّه ليس من علوم الفكر هذا الكتاب، وإنما هو من علوم التلقّي والتدلّي، فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر[1] غير هذا وإن كان له به ارتباط فإنّه لا يخلو عنه جملة واحدة، ولكن بعد تصحيح المقدّمات، من العلم بمفرداتها بالحدّ الذي لا يُمنَع، والمقدّمات بالبرهان الذي لا يُدفَع. يقول الله في هذا الباب ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[2] فهذا مما كنّا بصدده في هذا الباب، وهذه الآية وأمثالها أحوجتنا إلى ذِكْر هذا الفنّ، ومن باب الكشف لم يشتغل أهل الله بهذا الفنّ من العلوم لتضييع الوقت، وعمر الإنسان عزيز ينبغي أن لا يقطعه الإنسان إلّا في مجالسة ربّه والحديث معه على ما شرعه له، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[3].

انتهى الجزء الخامس عشر والحمد لله.

---

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٢) [الأنبياء: ٢٢]
(٣) [الأحزاب: ٤]

الجزء السادس عشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

الباب الثاني والعشرون
في معرفة علم منزل المنازل،
وترتيب جميع العلوم الكونيّة

عَجَبًا لأَقْوَالِ النُّفُوسِ السامِيَـهْ ... إِنَّ المَنَازِلَ فِي المَنَازِلِ سارِيَهْ
كَيْفَ العُرُوجُ مِنَ الحَضِيضِ إِلَى العُلَا ... إِلّا بِقَهْرِ الحَضْرَةِ المُتَعالِيَهْ
فَصِناعَةُ التَّحْلِيْلِ فِي مِعْرَاجِها ... نَحْوَ اللَّطائِفِ والأُمُورِ السَّامِيَهْ
وَصِناعَةُ التَّرْكِيْبِ عِنْدَ رُجُوعِها ... بِسَنَا الوُجُودِ إِلَى ظَلامِ الهَاوِيَهْ

اعلم -أيّدك الله- أنّه لمّا كان العلم المنسوب إلى الله، لا يقبل الكثرة ولا الترتيب، فإنّه غير مكتسَب، ولا مستفاد، بل علمه عينُ ذاته، كسائر ما يُنسب إليه من الصفات، وما سُمّي به من الأسماء. وعلوم ما سِوَى الله لا بدّ أن تكون مرتّبة محصورة: سَوَاء كانت علوم وهب أو علوم كسب، فإنّها لا تخلو من هذا الترتيب الذي نذكره. وهو علم المفرد أوّلا، ثمّ علم التركيب، ثمّ علم المركّب، ولا رابع لها. فإن كان من المفردات الذي لا يقبل التركيب عَلِمه مفردا، وكذلك ما بقي، فإنّ كلّ معلوم لا بدّ أن يكون مفردا أو مركّبا، والمركّب يستدعي بالضرورة تقدّم علم[3] التركيب وحينئذ يكون علم المركّب.

فهذا قد علمتَ ترتيب جميع العلوم الكونيّة. فلنبيّن لك حصْر المنازل في هذا المنزل؛ وهي كثيرة لا تُحصى، ولنقتصر منها على ما يتعلّق بما يختصّ به شرعنا ويمتاز به، لا بالمنازل التي يقع

(١) العنوان ص ٢١ب
(٢) البسملة ص ٢٢
(٣) ص ٢٢ب

فيها الاشتراك، بيننا وبين غيرنا من سائر علوم المِلل والنِّحَل، وجملتها تسعة عشر مرتبةً أُمّهات. ومنها ما يتفرّع إلى منازل، ومنها ما لا يتفرّع. فلنذكر أسماء هذه المراتب، ولنجعل لها اسم "المنازل"، فإنّه كذا عُرِّفنا بها في الحضرة الإلهيّة، والأدب أَوْلَى.

فلنذكر ألقاب هذه المنازل، وصفات أربابها، وأقطابها المتحقِّقين بها وأحوالهم، وما لكلّ حال من هذه الأحوال من الوصف، ثمّ بعد ذلك نذكر -إن شاء الله- كلّ صنف من هذه التسعة عشر، ونذكر بعض ما يشتمل عليه من أمّهات المنازل، لا من المنازل، فإنّه ثَمّ منزل يشتمل على ما يزيد على المائة، من منازل العلامات والدلالات، على أنوار جليّةٍ، ويشتمل على آلافٍ وأقلّ من منازل الغايات الحاوية على الأسرار الخفيّة والخواصّ الجليّة، ثمّ نتلو ما ذكرنا بما يضاهي هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات، قديمها وحديثها، ثمّ نذكر ما يتعلّق ببعض معاني[1] هذا المنزل على التقريب والاختصار -إن شاء الله تعالى-.

ذِكْرُ ألقابها وصفات أقطابها

فمن ذلك: منازل[2] الثناء والمدح هو لأرباب الكشوفات والفتح، ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز، ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبُعد، ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتّصال، ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء، ومنازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط، ومنازل التقريب للغرباء المتألّهين، ومنازل التوقّع لأصحاب البراقع من أجل السُّبُحات، ومنازل البركات لأهل الحركات، ومنازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيّين، ومنازل الدهر لأهل الذوق، ومنازل الإنيّة لأهل المشاهدة بالأبصار، ومنازل اللام والألف للالتفاف الحاصل بالتخلّق بالأخلاق الإلهيّة ولأهل السرّ الذي لا ينكشف، ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعيّة والروحانيّة، ومنازل فناء الأكوان للضنائن المخدَّرات، ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغُرَف، ومنازل الوعيد للمتمسِّكين[3] بقائمة العرش الأمجد، ومنازل الاستخبار لأهل غامِضات الأسرار، ومنازل الأمر للمتحقّقين بحقائق سِرّه فيهم.

---

(١) ص ٢٣
(٢) بالهامش "منزل".
(٣) ص ٢٣ب

وأمّا صِفاتُهُمْ:

فأهل المدح لهم الزهو، وأهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض، وأمّا المتألّهون فلهم التِّيه بالتخلُّق، وأمّا أهل الأحوال والاتّصال فلهم الحصول على العين، وأمّا أهل الإشارة فلهم الحيرة عند التبليغ، وأمّا أهل الاستنباط فلهم الغلط والإصابة وليسوا بمعصومين، وأمّا الغرباء فلهم الانكسار، وأمّا أهل البراقع فلهم الخوف، وأمّا أهل الحركة فلهم مشاهدة الأسباب، والمدبِّرون لهم الفكر، والممكَّنون لهم الحدود، وأهل المشاهد لهم الجحد، وأهل الكتم لهم السلامة، وأهل العلم لهم الحكم على المعلوم، وأهل الستر منتظرون رفعه، وأهل الأمن في موطن الخوف من المكر، وأهل القيام لهم القعود، وأهل الإلهام لهم التحكم، وأهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب: ثوب إيمان وكفر ونفاق.

وأمّا[١] ذِكْر أحوالهم:

فاعلم أنّ الله -تعالى- قد هيّأ المنازل للنازل، ووطّأ المعاقِل للعاقل، وزوى المراحل للراحل، وأعلى المعالِم للعالِم، وفَصـــل المقاسم للقاسم، وأعدّ القواصم للقاصم، وبيَّن العواصم للعاصم، ورفع القواعد للقاعد، ورتَّب المراصـــد للراصـــد، وسخَّر المراكب للراكب، وقرَّب المذاهب للذاهب، وسطَّر المحامد للحامد، وسهَّل المقاصد للقاصد، وأنشأ المعارف للعارف، وثبَّت المواقف للواقف، ووعَّر المسالك للسالك، وعيَّن المناسك للناسك، وأخرس المَشاهد للشاهد، وأحرس الفَراقِد للراقد.

ذِكْر صفات أحوالهم:

فإنّه -سبحانه- جعل النازل مقدِّرا، والعاقل مفكِّرا، والراحلَ مشمِّرا، والعالِمَ مشاهِدا، والقاسِمَ مكابِدا، والقاصِمَ مجاهِدا، والعاصِمَ مساعِدا، والقاعِدَ عارفا، والراصِدَ واقفا، والراكب محمولا، والذاهِبَ معلولا، والحامِدَ مسئولا، والقاصِدَ مقبُولا، والعارِفَ مبخوتا، والواقِفَ مبهوتا، والسالك مردودا[٢]، والناسِكَ معبودا، والشاهِدَ محكَّمًا، والراقِدَ مسلِّما.

فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفا في أحوالهم، فلنذكر ما يتضمّن كلُّ صنف

---

(١) ص ٢٤

(٢) ص ٢٤ب

من أمّهات المنازل. وكلُّ منزل من هذه الأمّهات يتضمَّن أربعة أصناف من المنازل. الصنف الأوّل يسمّى منازل الدلالات، والصنف الآخر يسمّى منازل الحدود، والصنف الثالث يسمّى منازل الخواصّ، والصنف الرابع يسمّى منازل الأسرار، ولا تُحصى كثرة. فلنقتصر على التسعة عشر، ولنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الأمّهات وهذا أوّلها.

- منزل المدح:

له منزل الفتح؛ فتح السِّرَّين ومنزل المفاتيح الأُوَل ولنا فيه جزء سمّيناه "مفاتيح الغيوب" ومنزل العجائب، ومنزل تسخير الأرواح البرزخيّة، ومنزل الأرواح العُلويّة، ولنا في بعض معانيه من النظم قولنا:

مَنَـازِلُ المَـدْحِ والتَّبَـاهِي مَنَـازِلٌ مـا لَهَـا تَنَـاهِي[1]
لا تَطْلُبَنْ فِي السُّمُوِّ مَدْحًا مَدَائِحُ القَوْمِ فِي الثَّرَى هِي
مَنْ ظَمِئَتْ نَفْسُـهُ جِهَادًا يَشْرَبُ مِنْ أَعْذَبِ المِيَاهِ

يقول[2] ليس مدح العبد أن يتّصف بأوصاف سيّده؛ فإنّه سوء أدب، وللسيّد أن يتّصف بأوصاف عبده تواضعا. فللسيّد النزول، لأنّه لا يُحكَم عليه، فنزوله إلى أوصاف عبده تفضّلٌ منه على عبده حتى يبسطه. فإنّ جلال السيّد أعظم في قلب العبد، من أن يُدِلَّ عليه، لولا تنزّله إليه. وليس للعبد أن يتّصف بأوصاف سيّده؛ لا في حضرته ولا عند إخوانه من العبيد، وإن ولّاه عليهم، كما قال عليه السلام: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر» وقال -تعالى-: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾ أي نُملّكها مِلكا ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3] فإنّ الأرض قد جعلها الله ذلولا، والعبد هو الذليل، والذلّة لا تقتضي العلوّ، فمن جاوز قدره هلك، يقال: "ما هلك امرؤ عرف قدره".

وقوله: "ما لها تناهٍ" يقول إنّه ليس للعبد في عبوديّته نهاية يصـــل إليها، ثمّ يرجع ربّا، كما أنّه ليس للربّ حدّ ينتهي إليه ثمّ يعود عبدا. فالربُّ ربٌّ إلى غير نهاية، والعبدُ عبدٌ إلى غير نهاية.

(١) ق: تناهٍ
(٢) ص ٢٥
(٣) [القصص: ٨٣]

فلذا قال: "مدائح القوم في الثرى هي" وهو أذلّ من وجه الأرض. وقال: "لا يعرف لذّة الماء إلّا الظمآن"، يقول: لا يعرف لذّة الاتّصـــاف بالعبوديّة، إلّا من ذاق الآلام عند اتّصـــافه بالربوبيّة، واحتياج الخلق إليه، مثل سـليمان، حين طلب أن يجعل الله أرزاق العباد على يديه حسًّـا[(١)]، فجمع ما حضره من الأقوات في ذلك الوقت؛ فخرجتْ دابّة من دواب البحر فطلبت قوتَها. فقال لها: خذي من هذا قدر قوتك في كلّ يوم. فأكلته حتى أتت على آخره، فقالت: زدني فما وفيت برزقي، فإنّ الله يعطيني كلّ يوم مثل هذا عشرـــ مرّات، وغيري من الدواب أعظم منّي وأكثر رزقا؟ فتاب سليمان عليه السلام إلى ربّه، وعلم أنّه ليس في وسع المخلوق ما ينبغي للخالق -تعالى-، فإنّه طلب من الله مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده. فاســـتقال من ســـؤاله حين رأى ذلك، واجتمعت الدواب عليه تطلب أرزاقها من جميع الجهات، فضـاق لذلك ذرعا، فلمّا قبِل الله سـؤاله وأقاله، وجد من اللذّة لذلك ما لا يُقَدَّر قدرُها.

- منزل الرموز:

فاعلم -وفّقك الله- أنّه وإن كان منزلا، فإنّه يحوي على منازل: منها منزل الوحدانيّة، ومنزل العقل الأوّل والعرش الأعظم والصـــدى، والإتيان من العماء إلى العرش، وعلم التمثّل، ومنزل القلوب والحجاب، ومنزل الاســتواء الفهواني، والألوهيّة السـارية، واسـتمداد الكهّان، والدهر، والمنازل التي[(٢)] لا ثبات لها ولا ثبات لأحد فيها، ومنزل البرازخ، والإلهيّة والزيادة والغيرة، ومنزل الفقد والوجدان، ومنزل رفع الشــكوك والجود المخزون، ومنزل القهر والخســف، ومنزل الأرض الواسعة.

ولَمّا دخلتُ هذا المنزل، وأنا بتونس، وقعتْ منّي صـيحةٌ ما لي بها علم أنّها وقعت منّي، غير أنّه ما بقي أحد ممن سمعها إلّا سقط مغشيّا عليه، ومَن كان على سطح الدار من نساء الجيران، مستشرـفا علينا غُشيـ عليه، ومنهنّ من سـقط من السـطوح إلى صحن الدار، على علوّها، وما أصابه بأس، وكنت أوّلَ مَن أفاق، وكنّا في صلاة خلف إمام، فما رأيتُ أحدا إلّا صاعقا، فبعد حينٍ أفاقوا. فقلت: ما شـــأنكم؟ فقالوا: أنت ما شـــأنك؟ لقد صِحْتَ صـيحةً أثّرتْ ما ترى في

(١) ص ٢٥ب
(٢) ص ٢٦

الجماعة. فقلت: والله ما عندي خبر أنّي صحتُ.

و(مما يحوي عليه) منزل الآيات الغريبة، والحِكم الإلهيّة، ومنزل الاستعداد والزينة، والأمر الذي مسك الله به الأفلاك السماويّة، ومنزل الذِّكْر والسلب. وفي هذه المنازل قلت:

مَنازِلُ الكَوْنِ فِي الوُجُودِ مَنَازِلٌ كُلُّها رُمُوزُ
مَنَازِلٌ[1] لِلْعُقُولِ فِيْها دَلائِلٌ كُلُّها تَجُوزُ
لَمّا أَتَى الطَّالِبُونَ قَصْدًا لِنَيْلِ شَيْءٍ بِذَاكَ جُوزُوا
فَيَا عَبِيدَ الكِيانَ حُوزُوا هَذَا الذِي سَاقَكُمْ وَجُوزُوا

"الرمز" و"اللُّغز" هو الكلام الذي يعطي ظاهرُه ما لم يقصده قائله. وكذلك منزل العالَم في الوجود، ما أوجده الله لعينه وإنما أوجده الله لنفسه، فاشتغل العالَم بغير ما وُجد له، فخالف قصد موجده. ولهذا يقول جماعة من العلماء العارفين، وهم أحسن حالا ممن دونهم: إنّ الله أوجدنا لنا. والمحقِّق والعبد لا يقول ذلك، بل يقول: إنما أوجدنا له، لا لحاجة منه إليّ، فأنا لُغز ربّي ورمزه. ومَن عرف أشعار الألغاز عرف ما أردناه.

وأمّا قوله:

لَمّا أَتَى الطَّالِبُونَ قَصْدًا لِنَيْلِ شَيْءٍ بِذَاكَ جُوزُوا

من المُجازاة، يقول: مَن طلب الله لأمرٍ فهو لما طلب، ولا ينال منه غير ذلك. وقوله: "فيا عبيد الكيان" يقول: مَن عبد الله لشيء فذلك الشيء معبودُه وربُّه، والله بريء منه، وهو لِمَا عبده. وقوله: "حوزوا" أي خذوا ما جئتم له[2] أي بسببه. و"جوزوا" أي روحوا عنّا فإنّكم ما جئتم إلينا ولا بسببنا.

- منزل الدعاء:

هذا[3] المنزل يحوي على منازل؛ منها منزل الأُنس بالشبيه، ومنزل التغذّي ومنزل مكة

---

(١) ص ٢٦ب
(٢) ق: به.
(٣) ص ٢٧

والطائف والحجب، ومنزل المقاصـــير والابتلاء، ومنزل الجمع والتفرقة والمنع، ومنزل النواشي والتقديس. وفي هذا المنزل قلت:

لِتَـأَيُّـهِ الرَّحمنِ فِيْـكَ مَنـازِلُ فَأَجِبْ نِدَاءَ الحَقِّ طَوْعًا يا فُلُ[1]
رَفَعَتْ إِلَيْكَ المُرْسَــلاتُ أكُفَّها تَرْجُو النَّوَالَ فَلا يَخِيْبُ السَّـــائِلُ
أَنْتَ الذِي قالَ الدَّلِيْلُ بِفَضْـلِهِ وَلَنَا عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ وَدَلائِلُ
لَوْلَا اخْتِصَاصُكَ بِالحَقِيْقَةِ ما زَهَتْ بِـنُزُولِكَ الأَعْـلَى لَدَيْـهِ مَـنـازِلُ

يقول: إنّ نداء الحقّ عبادَه، إنما هو لسان أسماء تطلبه من أسمائه؛ وذلك العبد في ذلك الوقت تحت سلطانها. و"المرسلات": لطائف الخلق ترفع أكفّها إلى من هي في يديه من الأسماء، لتجود به على من يطلبها من الأسماء، والمسئول أبدا إنما هو مَن له المهيمنيّة على الأسماء؛ كالعليم الذي له التقدّم على الخبير والحسيب والمحصي والمفصّل. ولهذا قال:

أَنْتَ الذِي قالَ الدَّلِيْلُ بِفَضْلِهِ

والحقيقة التي اختصّ بها إحاطته بما تحته في الرتبة، من الأسماء الإلهيّة؛ إذ القادر في الرتبة دون المريد، والعالِمُ في الرتبة فوق المريد[2]، والحيُّ فوق الكلّ. فالمنازل التي تحت إحاطة الاسم الجامع تفتخر بنزوله إليها إجابةً لسؤالها.

- منزل الأفعال:

وهو يشتمل على منازل منها منزل الفضل والإلهام، ومنزل الإسراء الروحاني، ومنزل التلطّف، ومنزل الهلاك. وفي هذه المنازل أقول:

لِمَنَـازِلِ الأَفْعَـالِ بَرْقٌ لامِعُ ورِيَاحُها تُزْجِي السّـــحابَ زَعازِعُ
وَسِـــهامُها فِي العَالَمِينَ نَوَافِذٌ وَســُيُوفُها فِي الكائِناتِ قَوَاطِعُ
أَلْقَتْ إِلَى العِزِّ المحَقَّقِ أَمْرَها فالعَيْنُ تُبْصِرُ والتَّنَاوُلُ شاسِعُ

الناس في أفعال العباد على قسمين: طائفة ترى الأفعال من العباد، وطائفة ترى الأفعال من

(١) يا فل: يا فلان.
(٢) ص ٢٧ب

الله. وكلُّ طائفة يبدو لها مع اعتقادها ذلك شــبه البرق اللامع في ذلك، يعطيها أنّ للذي نفى عنه ذلك الفعل نِســبةً مّا، وكلُّ طائفة لها سحاب، تحول بينها وبين نســبة الفعل لمن نَفَتْهُ عنه. وقوله في رياحها: "إنّها شــديدة" أي الأســباب والأدلّة التي قامت لكلّ[1] طائفة على نســبة الأفعال لمن نَسَبَتْها إليه قويّة بالنظر إليه، ووصَفَ سهامها بالنفوذ في نفوس الذين يعتقدون ذلك، وكذلك سيوفها فيهم قواطع.

وقوله: إنّها "ألقت إلى العزِّ" أي احتمتْ بحِمًى مانعٍ يمنع المخالِف أن يؤثّر فيه، فيبقى على هذا كلُّ أحد على ما هي إرادة الله فيه، قال -تعالى-: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[2].

وقوله: "فالعين تبصر" يقول: الحِسّ يشهد أنّ الفعل للعبد، والإنسان يجد ذلك من نفسه، بما له فيه من الاختيار. وقوله: "التناول شاسع" أي ونسبته إلى غير ما يعطيه الحسّ والنفس بعيد المتناوَل، إلّا أنّه لا بدّ فيه من برق لامع، يعطي نســبة في ذلك الفعل، لمن نُفي عنه، لا يُقْدَر على جحدها.

- منزل الابتداء:

ويشتمل على منازل منها منزل الغلطة والسُّبُحات، ومنزل التنزّلات والعلم بالتوحيد الإلهيّ، ومنزل الرحموت، ومنزل الحقّ والفزع. وفي هذا المنزل أقول:

لِلابْتِدَاءِ شَــوَاهِدٌ وَدَلائِلُ ... وَلَهُ إذا حُطَّ الرِّكَابُ مَنَازِلُ
يَحْوِي[3] عَلَى عَيْنِ الحَوَادِثِ حُكْمُهُ ... وَيَمُدُّهُ اللهُ الكَرِيمُ الفاعِلُ
ما بَيْنَهُ نَسَــبٌ وَبَيْنَ إِلَهِهِ ... إلَّا التَّعَلُّقُ والوُجُودُ الحاصِلُ
لا تَسْمَعَنَّ مَقَالَةً مِنْ جَاهِلٍ: ... مَبْنَى الوُجُودِ حَقَائِقٌ وَأَباطِلُ
مَبْنَى الوُجُودِ حَقَائِقٌ مَشْهُودَةٌ ... وسِوَى الوُجُودِ هُوَ المُحالُ الباطِلُ

يقول: لابتداء الأكوان شواهد فيها؛ أنّها لم تكن لأنفسها، ثمّ كانت. و"له" الضمير يعود على الابتداء "إذا حطّ الركاب" أي إذا تَتَبَّعْتَهُ من أين جاء، وجدتَه مِن عند مَن أَوجده، ولذلك كان

(١) ص ٢٨
(٢) [الأنعام: ١٠٨]
(٣) ص ٢٨ب

له البقاء، قال -تعالى-: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾[1] فإذا حططتَ عنده، عرفتَ منزلته منه الذي كان فيها، إذ لم يكن لنفسه. وتلك منزل الأوّليّة الإلهيّة في قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾[2] ومن هذه الأوّليّة صدر ابتداء الكون، ومنه تستمدّ الحوادث كلّها، وهو الحاكم فيها، وهي الجارية على حكمه، ونفى النَّسب عنه فإنّ أوّليّة الحقّ تمدُّ أوّليّة العبد، وليس لأوّليّة الكون[3] إمداد[4] لشيء، فما ثَمّ نَسب إلّا العناية، ولا سبب إلّا الحكم، ولا وقت غير الأزل. هذا مذهب القوم، وما بقي مما لم يدخل تحت حصر هذه الثلاثة، فعمى وتلبيس، هكذا صرّح به صاحب "محاسن المجالس"[5].

وقول من قال:

مَبْنَى الوُجُودِ حَقَائِقٌ وأَبَاطِلُ

ليس بصحيح. فإنّ الباطلَ هو العدم وهو صحيح، فإنّ الوجود المستفاد في حكم العدم، والوجود الحقّ مَن كان وجوده لنفسه، وكلّ عدم وُجِدَ؛ فما وُجد إلّا من وجودٍ كان موصوفا به لغيره لا لنفسه، والذي استفاد هو الوجود لعينه، وأمّا المحال الباطل فهو الذي لا وجود له؛ لا لنفسه ولا من غيره.

- منزل التنزيه:

هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر، ومنزل البأس، ومنزل النشر، ومنزل النصر والجمع، ومنزل الربح والخسران والاستحالات. ولنا في هذا:

لِمَنَازِلِ التَّنْزِيْهِ والتَّقْدِيْسِ ... سِرٌّ مَقُولٌ حُكْمُهُ مَعْقُولُ
عِلْمٌ يَعُودُ عَلَى المُنَزَّهِ حُكْمُهُ ... فِرْدَوْسُ قُدْسٍ رَوْضُهُ مَطْلُولُ
فَمُنَزِّهُ[6] الحَقِّ المُبِيْنِ مُجَوِّزٌ ... ما قالَهُ فَمَرَامُهُ تَضْلِيلُ

يقول: المنزَّه على الحقيقة مَن هو نزيه لنفسه، وإنما ينزَّه من يجوز عليه ما ينزَّه عنه، وهو

(١) [النحل: ٩٦]
(٢) [الحديد: ٣]
(٣) ق: "العبد" وعليها إشارة الحذف والتعديل في الهامش بقلم الأصل.
(٤) ص ٢٩
(٥) هو أبو العباس بن العريف الصنهاجي.
(٦) ص ٢٩ب

المخلوق. فلهذا يعود التنزيه على المنزِّه. قال ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» فَمَن كان عمله التنزيه، عاد عليه تنزيهه؛ فكان محلُّه منزَّها، عن أن يقوم به اعتقاد ما لا ينبغي أن يكون الحقّ عليه، ومن هنا قال من قال: "سبحاني" تعظيما لجلال الله -تعالى-. ولهذا قال: "روضه مطلول" وهو نزول التنزيه إلى محلّ العبد المنزّهِ خالقَه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

- منزل التقريب:

هذا المنزل يشتمل على منزلين: منزل خرق العوائد ومنزل أحديّة "كن" وفيه أنشدتُ:

لِمَنَـازِلِ التَّـقْرِيْـبِ شَرْطٌ يُعْلَمُ ... وَلَهَـا عَلَى ذَاتِ الكِيـانِ تَحَكُّمُ
فإذَا أَتَى شَرْطُ القِيامَةِ واسْـتَوَى ... جَبَّـارُها خَضَـعَ الوُجُودُ وَيَخْـدُمُ
هَيْهَات[2] لا تَجْنِي النُّفُوسُ ثِمَارَها ... إلّا التي فَعَلَـتْ وأَنْـتَ مُجَسَّـمُ

يقول: إنّ التقريب من صفات المحدَثات، لأنّها تقبل التقريبَ وضدَّه، والحقُّ هو القريب. وإن كان قد وصف نفسه بأنّه يتقرّب، والمصدر منه التقريب والتقرُّب، ولَمّا قال: "شرط يُعلم" وهو قبول التأثّر، قال: ولا يُعرف وينكشف الأمر عموما إلّا في الآخرة، وقال: والنفوس ما لها جَنى إلّا ما غرسته في حياتها الدنيا من خير أو شرّ، فلها التقريب من أعمالها ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ. وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[3].

- منزل التوقّع:

وهذا المنزل أيضا يشتمل على منزلين: منزل الطريق الإلهيّ، ومنزل السمع. وفيه نظمت:

ظَهَرَتْ مَنَـازِلُ لِلتَّوَقُّعِ بَادِيَـهْ ... وَقُطُوفُهَـا لِيَـدِ المُقَرَّبِ دَانِيَـهْ
فاقْطِفْ مِنَ اغْصَانِ الدُّنُوِّ ثِمَارَها ... لا تَقْطِفَنَّ مِنَ الغُصُـونِ العَادِيَهْ
لا تَخْرُجَنَّ عَنِ اعْتِدَالِكَ والْزَمَنْ ... وَسْطَ الطَّرِيقِ تَرَ الحَقَائِقَ بَادِيَهْ

يقول[4]: ما يتوقّعه الإنسان قد ظهر، لأنّه ما يتوقّع شيئا إلّا وله ظهور عنده في باطنه، فقد

(١) [الأحزاب: ٤]
(٢) ص ٣٠
(٣) [الزلزلة: ٧، ٨]
(٤) ص ٣٠ب

برز من غيبه الذي يستحقّه إلى باطن مَن يتوقّعه، ثمّ إنّه يتوقّع ظهورَه في عالَم الشهادة، فيكون أقرب في التناول، وهو قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[1] أي قريبة ليد القاطف، يقول: احفظ طريق الاعتدال، لا تنحرف عنه. والاعتدال هنا: ملازَمَتُك حقيقتك، لا تخرج عنها كما خرج المتكبّرون. ومَن كان برزخا بين الطريقين كان له الاستشراف عليهما، فإذا مال إلى أحدهما غاب عن الآخر.

- **منزل البركات:**

وهو أيضا يشتمل على منزلين: على منزل الجمع والتفرقة، ومنزل الخصام البرزخيّ؛ وهو منزل المُلك والقهر. وفيه قلت:

لِمَنازِلِ البَرَكاتِ نُورٌ يَسْطَعُ   وَلَهُ بِحَبَّاتِ القُلُوبِ تَوَقُّعُ
فِيْهَا المَزِيدُ لِكُلِّ طالِبِ مَشْهَدٍ   وَلَهَا إِلَى نَفْسِ الوُجُودِ تَطَلُّعُ
فإِذَا تَحَقَّقَ سِرُّ طالِبِ حِكْمَةٍ   بِحَقَائِقِ البَرَكاتِ شَذَّ المَطْلِعُ
فالحمدُ[2] للهِ الذِي فِي كَوْنِهِ   أَعْيانُهُ مَشْهُودَةٌ تَتَسَمَّعُ

البركات: الزيادة، وهي من نتائج الشكر. وما سمّى الحقُّ نفسَه -تعالى- بالاسم الشاكر والشكور إلّا لنزيد في العمل الذي شرع لنا أن نعمل[3] به، كما يزيد الحقّ النِّعم بالشكر منّا، فكلّ نفس متطلّعة للزيادة.

يقول: وإذا تحقّق طالب الحكم الزيادة، انفرد بأمور يجهد أن لا يشاركه فيها أحد، لتكون الزيادة من ذلك النوع، وصاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة للحال الذي يطلبه.[4]

- **منزل الأقسام والإيلاء:**

وهذا المنزل يشتمل على منازل منها: منزل الفهوانيّات الرحمانيّة، ومنزل المقاسم الروحانيّة، ومنزل الرقوم، ومنزل مساقط النور، ومنزل الشعراء، ومنزل المراتب الروحانيّة، ومنزل النفس

(١) [الحاقة: ٢٣]
(٢) ص ٣١
(٣) ق: "أعمل"
(٤) ثابت في الهامش بقلم الشيخ الأكبر: "بلغ قراءة الظهير عليّ، وكتبه ابن العربي".

الكلّيّة، ومنزل القطب، ومنزل انفهاق الأنوار على عالَم الغيب، ومنزل مراتب النفس الناطقة، ومنزل اختلاف الطرق، ومنزل المودّة، ومنزل علوم الإلهام، ومنزل النفوس الحيوانيّة، ومنزل الصلاة الوسطى. وفي[1] هذا قلت:

مَنَازِلُ الأَقْسامِ فِي العَرْضِ أَحْكَامُهَا فِي عَالَمِ الأَرْضِ

تَجْرِي بِأَفْلاكِ السُّعُودِ عَلَى مَنْ قَامَ بِالسُّنَّةِ والفَرْضِ

وعِلْمُها وَقْفٌ عَلَى عَيْنِهَا وحُكْمُها فِي الطُّولِ والعَرْضِ

يقول: القَسَم (هو) نتيجة التهمة، والحقّ يعامل الخلق من حيث ما هم عليه، لا من حيث ما هو عليه، ولهذا لم يؤْلِ[2] الحقّ -تعالى- للملائكة، لأنّهم ليسوا من عالَم التهمة، وليس لمخلوق أن يقسم بمخلوق، وهو مذهبنا، وإن أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص، ولا كفّارة عليه إذا حَنِث، وعليه التوبة مما وقع فيه لا غير.

وإنما أقسم الحقّ بنفسه حين أقسم، بذكر المخلوقات وحذف الاسم، يدلّ على ذلك إظهار الاسم في مواضع من الكتاب العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3] ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾[4] فكان ذلك إعلاما في المواضع التي[5] لم يجر للاسم ذِكْرٌ ظاهر، أنّه غيب هنالك، لأمر أراده -سبحانه- في ذلك، يعرفه مَن عرّفه الحقّ ذلك، من نبيّ ووليّ مُلهَم. فإنّ القسَم دليل على تعظيم[6] المقسَم به، ولا شكّ أنّه قد ذكر في القسَم، من[7] يُبصَر ومن لا يُبصَر، فدخل في ذلك الرفيع والوضيع، والمرضيّ عنه والمغضوب عليه، والمحبوب والممقوت، والمؤمن والكافر، والموجود والمعدوم، ولا يعرف منازل الأقسام إلّا من عرف عالَم الغيب، فيغلب على الظنّ أنّ الاسم الإلهيّ هنا مضمَرٌ، وقد عرّفناك أنّ عالَم الغيب هو الطول، وعالَم الشهادة هو العَرْض.

---

(١) ص ٣١ب
(٢) رسمها في ق: يولِي
(٣) [الذاريات: ٢٣]
(٤) [المعارج: ٤٠]
(٥) ق، س: "الذي" وفوق الكلمة في ق: "التي"
(٦) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٧) ص ٣٢

- **منزل الإنِّيَّة:**

ويشتمل على منازل، منها: منزل سليمان عليه السلام دون غيره من الأنبياء، ومنزل الستر الكامل، ومنزل اختلاف المخلوقات، ومنزل الروح، ومنزل العلوم. وفيه أقول:

إنِّيَّةٌ قُدْسِيَّةٌ مَشْهُودَةٌ لِوُجُودِها عِنْدَ الرِّجالِ مَنَازِلُ

تُفْنِي الكِيَانَ إذا تَجَلَّتْ صُورَةً فِي سُورَةٍ أَعْلامُها تَتَفاضَلُ

وَتُرِيْكَ فِيكَ وُجُودَها بِنُعُوتِها خَلْفَ الظِّلالِ وَجُوْدُها لَكَ شامِلُ

يقول: إنّ الحقيقة الإلهيّة المنعوتة بنعوت التنزيه، إذا شوهدت[1] تُفني كلّ عين سِوَاهَا، وإن تفاضلتْ مَشاهدها في الشخص الواحد، بحسب أحواله وفي الأشخاص لاختلاف أحوالهم، لما أعطت الحقيقة أنّه لا يشهد الشاهد منّا إلّا نفسه، كما لا تشهد هي منّا إلّا نفسها، فكلّ حقيقة للأخرى مرآة، «المؤمن مرآة أخيه» ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2].

- **منزل الدهور:**

يحتوي هذا المنزل على منازل منها: منزل السابقة، ومنزل العزّة، ومنزل روحانيّات الأفلاك، ومنزل الأمر الإلهيّ، ومنزل الولادة، ومنزل الموازنة، ومنزل البشارة باللقاء. وفيه أقول:

وَمِنَ المَنازِلِ ما تَكُونُ مُقَدَّرَةْ مِثْـلُ الزَّمـانِ فـإِنَّـهُ مُتَوَهَّمُ

دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّائِراتُ بِدَوْرِها وَلَهُ التَّصَرُّفُ والمَقَامُ الأَعْظَمُ

يقول: لَمّا كان الأزل أمرا متوهَّما في حقّ الحقّ، كان الزمان أيضا في حقّ الحقّ أمرا متوهّما، أي مدّة متوهَّمة، تقطعها حركات الأفلاك، فإنّ الأزل كالزمان للخلق، فافهم.

- **منزل[3] لام ألف:**

هذا منزل الالتفاف، والغالب عليه الائتلاف لا الاختلاف. قال -تعالى-: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾[4]. ويحوي على منازل منها: منزل مجمع البحرين وجمع الأمرين، ومنزل التشريف المحمديّ الذي (هو) إلى جانب المنزل الصمديّ. وفيه أقول:

(١) ص ٣٢ب

(٢) [الشورى: ١١]

(٣) ص ٣٣

(٤) [القيامة: ٢٩، ٣٠]

مَنَازِلُ اللَّامِ فِي التَّحْقِيقِ والأَلِفِ عِنْدَ اللِّقاءِ انْفِصَالٌ حَالَ وَصْلِهِما
هُمَا الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ قالَ إِنَّ أَنا سِرُّ الوُجُودِ وَإِنِّي عَيْنُـهُ، فَهُما
نِعْمَ الدَّلِيلانِ إِذْ دَلّا بِحَـالِهِما لا كالذِي دَلَّ بِالأَقْوَالِ فَانْصَرَما

يقول: وإن ارتبط اللام بالألف، وانعقد وصارا عينا واحدة، وهو ظاهر في المزدوج من الحروف، في المقام الثامن والعشرين بين الواو والياء، اللذين لهما الصحّة والاعتلال، فلما في الألف[1] من العلّة، ولما في اللام من الصحّة، وقعت المناسبة بينه وبين هذين الحرفين (أي الواو والياء)، فيلي الصحيح منه حرف الصحّة، ويلي المعتلّ منه حرف العلّة، فيداه (إحداهما) مبسوطة بالرحمة، (والأخرى) مقبوضة بنقيضها.

وليس[2] للام الألف صورة في نظم المفرد، بل هو غيب فيها، ورتبة على حالها، بين الواو والياء. وقد استناب في مكانه الزاي والحاء والطاء اليابسة. فله في غيبه الرتبة السابعة والثامنة والتاسعة، فله منزلة القمر بين البدر والهلال، فلم تزل تصحبه رتبة البرزخيّة، في غيبته وظهوره، فهو الرابع والعشرون، إذ كانت له السبعة بالزاي، والثمانية بالحاء، والتسعة بالطاء، واليوم أربع وعشرون ساعة، ففي أيّ ساعة عملتَ به فيها أنجح عملك، على ميزان العمل بالوضع، لأنّه في حروف الرقم، لا في حروف الطبع، لأنّه ليس له في حروف الطبع إلّا اللام.

وهو من حروف اللسـان؛ برزخ بين الحلق والشـفتين، والألف ليسـت من حروف الطبع؛ فما ناب إلّا مناب حرف واحد وهو اللام الذي عنه تولّد الألف إذا أُشـبعت حركته، فإن لم تُشـبَع ظهرت الهمزة، ولهذا جعلَ الألف بعضُ العلماء نصـفَ حرف، والهمزة نصـف حرف، في الرقم الوضعي لا في اللفظ الطبيعيّ.

ثمّ نرجع فنقول: إن انعقد اللام بالألف كما قلنا وصـارا عينا واحدة، فإنّ فخذيه يدلّان على أنّهما اثنان، ثمّ العبارة باسمه تدلّ على أنّه اثنان: فهو اسم مركّب من اسمين لِعَينين: العين الواحدة اللام، والأخرى الألف، ولكن لَمّا ظهرا في الشكل على صورة واحدة[3]، لم يفرّق الناظر بينهما،

(١) ق: "لام الألف" والترجيح من هـ، س
(٢) ص ٣٣ب
(٣) ص ٣٤

ولم يتميّز له أيّ الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر الألف، فاختلف الكتّاب فيه: فمنهم من راعى التلفّظ، ومنهم من راعى ما يَبتدئ به مُخَطِّطُه، فيجعله أوّلا، فاجتمعا في تقديم اللام على الألف، لأنّ الألف هنا تولَّدَ عن اللام، بلا شكّ. وكذلك الهمزة تتلو اللام في مثل قوله: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً﴾(1) وأمثاله.

وهذا الحرف؛ أعنى لام ألف، هو حرف الالتباس في الأفعال. فلم يتخلّص الفعل الظاهر على يد المخلوق، لمن هو؟ إن قلتَ: هو لله؛ صدقتَ، وإن قلت: هو للمخلوق؛ صدقتَ. ولولا ذلك ما صحّ التكليف. وإضـافة العمل من الله للعبد. يقول ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرَدُّ عليكم» ويقول الله: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَلَن تُكۡفَرُوهُۗ﴾(2) و﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(3) والله يقول الحقّ.

فكذلك؛ أيّ الفخذين جعلتَ، اللام أو الألف، صـدقتَ. وإن اختلف العمل في وضـع الشكل عند العلماء به للتحقّق بالصورة، وكلّ مَن دلّ على أنّ الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر، فذلك غير صحيح وصاحبه ينقطع ولا يثبت، وإنّ غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك، ويَدُلُّ في زعمه. والقول معه، كالقول مع مخالفه، ويتعارض الأمر ويُشْـكِل إلّا على مَن نوّر الله بصيرتَه وهداه إلى سَوَاء السبيل.

- منزل(4) التقرير:

وهو يشتمل على منازل منها: منزل تعداد النِّعم، ومنزل رفع الضرر، ومنزل الشرك المطلق. وفي ذلك أقول:

تَقَرَّرَتِ المَنَازِلُ بِالسُّـكُونِ ... وَرَجَّحَتِ الظُّهُورَ عَلَى الكُمُونِ
وَدَلَّتْ بِالعِيانِ عَلَى عُيُونٍ ... مُفَجَّرَةٍ مِنَ المَاءِ المَعِينِ
وَدَلَّتْ بِالبُرُوقِ سَحَابَ مُزْنٍ ... إذا لَمَعَتْ عَلَى النُّورِ المُبِينِ

اعلم -أيّدك الله- أنّه يقول: الثبوت يقرّر المنازل. فمَن ثبت نبت، وظهر لكلّ عين على

(1) [الحشر: 13]
(2) [آل عمران: 115] ولفظ الآية وفقا لقراءة ورش، وفي قراءة حفص: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾.
(3) [فصلت: 40]
(4) ص 34ب

حقيقتها، ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشُّبَه، فيحكم الناظر على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء، فيقول في النار الذي في الجمرة أو في رأس الفتيلة، إذا أسرع بحركته عرضا: إنّه خطٌّ مستطيل. أو يديره بسرعة؛ فيرى دائرة نار في الهواء، وسبب ذلك عدم الثبوت. وإذا ثبتت المنازل دلّت على ما تحوي عليه من العلوم الإلهيّة.

- منزل المشاهدة:

وهو منزل واحد؛ هو منزل فناء الكون، فيه يفنى مَن لم يكن ويبقى مَن لم يزل. وفيه أقول:

فِي[1] فناءِ الكَوْنِ مَنْزِلْ ... رُوحُهُ فِيْنَا تَنَزَّلْ
إنَّهُ لَيْلَةُ قَدْرِي ... مَا لَهُ نورٌ وَلا ظِلْ
هُوَ عَيْنُ النُّورِ صِرْفًا ... مَا لَهُ عَنْهُ تَنقُّلْ
فَأَنا الإمامُ حَقًّا ... مَلِكٌ فِي الصَّدْرِ الاوَّلْ
عِنْدَهُ مِفْتَاحُ أَمْرِي ... فَيُوَلِّيْكُمْ وَيَعْزِلْ
سَمْهَرِيَّاتِي طِوَالٌ ... لَسْتُ بِالسّمَاكِ الاعْزَلْ
فالمَقَامُ الحَقُّ فِيكُمْ ... دَائِمٌ لا يَتَبَدَّلْ
وَهُوَ القاهِرُ مِنْهُ ... وَهُوَ الإمامُ الأَعْدَلْ
لَيْسَ بِالنُّورِ المُمَثَّلْ ... بَلْ مِنَ المَهَاةِ اكْمَلْ
وأَنا مِنْهُ يَقِيْنًا ... بِمَكانِ السِّرِّ الافْضَلْ
فَبِعَيْنِ العَيْنِ أَسْمُو ... وبِأَمْرِ الأَمْرِ أَنْزِلْ

يقول: حالة الفناء لا نور ولا ظلمة، مثل ليلة القدر. ثمّ قال: وذلك هو الضوء[2] الحقيقي والظلّ الحقيقي، فإنّه الأصل الذي لا ضدّ له، والأنوار تقابلها الظُّلَم؛ وهذا لا يقابله شيء. وقوله: "أنا الإمام" يعني شهوده للحقّ من الوجه الخاص الذي منه إليّ، "وهو الصدر الأوّل" ومن هذا المقام يقع التفصيل والكثرة والعدد في الصور، وجعل "السمهريّات" كناية عن تأثير القيّوميّة[3] في العالَم ولها الثبوت، ولذا قال: "لا تتبدّل" وله القهر والعدل. لا يقبل التشبيه. فبشهود الذات

(١) ص ٣٥
(٢) ق: "النور" وحذفت وعدلت بالهامش بقلم الأصل: "الضوء".
(٣) ص ٣٥ب

أعلو، وبالأمر الإلهيّ أنزل إماما في العالَم.

- منزل الألفة:

هو منزل واحد، فيه أقول:

مَنَازِلُ الأُلْفَةِ مَأْلُوفَهْ   وَهِيَ بِهَذَا النَّعْتِ مَعْرُوفَهْ
فَقُلْ لِمَنْ عَرَّسَ فِيهَا أَقِمْ   فَإِنَّهَا بِالأَمْنِ مَحْفُوفَهْ
وَهِيَ عَلَى الاثْنَيْنِ مَوْقُوفَهْ   وَعَنْ عَذَابِ الوِتْرِ مَصْرُوفَهْ

هذا منزل الأعراس والسرور والأفراح، وهو مما امتنّ الله به على نبيّه محمد ﷺ، فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يريد عليك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾[1] يريد على مودّتك وإجابتك وتصديقك.

- منزل الاستخبار:

وهو يشتمل على منازل منها: منزل المنازعة الروحانيّة، ومنزل حلية السعداء؛ كيف تظهر على الأشقياء وبالعكس، ومنزل الكون قبل الإنسان. وفيه أقول:

إذا اسْتَفْهَمْتُ عَنْ أَحْبَابِ قَلْبِي   أَحَالُونِي عَلَى اسْتِفْهَامِ لَفْظِي
مَنَازِلُهُمْ[2] بِلَفْظِكَ لَيْسَ إلّا   فَيَا شُؤْمِي لِذَاكَ وَسُوءَ حَظِّي
وَعَظْتُ النَّفْسَ لا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ   فَمَا التَفَتَتْ بِخَاطِرِها لِوَعْظِي
لَفَظْتُهُمُ عَسَى أَحْظَى بِكَوْنٍ   فَكَانُوا عَيْنَ كَوْنِي عَيْنَ لَفْظِي

يقول: إنّهم في لساني إذا سألتُ عنهم، وفي سواد عيني إذا نظرتُ إليهم، وفي قلبي إذا فكّرتُ فيهم واشتقتُ إليهم. فهم معي في كلّ حال أكون عليها، فهم عيني ولست عينهم: إذ لم يكن عندهم منّي ما عندي منهم.

ومِنْ عَجَبٍ أَنّي أَحِنُّ إِلَيْهِمُ   وأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمُ مَعِي

(١) [الأنفال: ٦٣]
(٢) ص ٣٦

وتَرْصُدُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِها ... ويَشْـتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْـلُعِي(١)

- منزل الوعيد:

وهو منزل واحد يحوي على الجور والاستمساك بالكون، وفيه قلت:

إنَّ الوَعِيدَ لَمَنْزِلانِ هُمَا لِمَنْ ... تَرَكَ السُّلُوكَ عَلَى الطَّرِيْقِ الأَقْوَمِ

فإذا تَحَقَّق بِالكَمَالِ وُجُودُهُ ... وَمَشَى عَلَى حُكْمِ العُلُوِّ الأَقْدَمِ

عـادَا نَعِيْمًـا عِنْـدَهُ فَنَعِيمُـهُ ... فِي النَّـارِ وَهِيَ نَعِيْمُ كُلِّ مُكَرَّمِ

منزل(٢) روحانيٌّ وهو عذاب النفوس، ومنزل جسمانيٌّ وهو العذاب المحسوس. ولا يكون إلّا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره وباطنه. فإذا وُفِّق للاستقامة، وسبقت له العناية؛ عُصِم من ذلك، وتنعّم بنار المجاهدة لِجَنَّةِ المشاهدة.

- منزل الأمر:

وهو يشتمل على منازل: منزل الأرواح البرزخيّة، ومنزل التعليم، ومنزل السُّرَى، ومنزل النّسب(٣)، ومنزل التمائم، ومنزل القطب والإمامين. ولنا فيه:

مَنَـازِلُ الأَمْرِ فَهْوَانِيَّةُ الذَّاتِ ... بِهَا نُحَصِّــلُ أَفْرَاحِي وَلَذَّاتِي

فَلَيْتَنِي قَائِمٌ فِيْها مَدَى عُمُرِي ... وَلا أَزُولُ إِلَى وَقْتِ المُلاقَاةِ

فَقُرَّةُ العَيْنِ لِلمُخْتَـارِ كانَ لَهُ ... إذا تَبَرَّزَ فِي صَــدْرِ المُنَاجَاةِ

الأمرُ الإلهيّ من صفة الكلام، وهو مسدودٌ دون الأولياء من جهة التشريع، وما في الحضرة الإلهيّة أمر تكليفي إلّا أن يكون مشروعا، فما بقي للوليّ إلّا سماعُ أَمْرِها، إذا أَمرت الأنبياءُ،

(١) البيتان ثابتان في الهامش بقلم آخر من غير إشارة إلى أنهما ضمن نص الكتاب، وهما للقاضي الفاضل (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٠ م) عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي. أديب وشاعر وكاتب ولد في عسقلان وقدم القاهرة في الخامسة عشرة من عمره في أيام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله وعمل كاتبًا في دواوين الدولة ولما ولي صلاح الدين أمر مصر فوض إليه الوزارة وديوان الإنشاء وأصبح لسانه إلى الخلفاء والملوك والمسجل لحوادث الدولة وأحداث تلك الحقبة من الزمان ولما مات السلطان سنة ٥٨٩ هـ، آثر اعتزال السياسة إلى أن مات في السابع من ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ. له رسائل ديوانية في شئون الدولة، ورسائل إخوانية في الشوق والشكر، وديوان في الشعر، وله مجموعات شعرية في كتب متفرقة من كتب التراث. [الموسوعة الشعرية]. كما أوردت الموسوعة هاتان البيتان مع تغيير طفيف فيهما لأبي مدين الغوث.

(٢) ص ٣٦ب

(٣) الحروف المعجمة مهملة في ق، والترجيح من س، وفي هـ: "السبب".

فيكون[1] للوليّ عند سماعه ذلك لذّة سارية في وجوده، لكن يبقى للأولياء المناجاة الإلهيّة التي لا أمر فيها سَمَرا وحديثا.

فكلّ من قال من أهل الكشف: إنّه مأمور بأمر إلهيّ، في حركاته وسكناته، مخالِف لأمر شرعيّ محمديّ تكليفيّ، فقد التبس عليه الأمرُ، وإن كان صادقا فيما قال: إنّه سَمِع، وإنما يمكن أن ظهر له تجلٍّ إلهيّ، في صورة نبيّه ﷺ، فخاطَبه نبيُّه. أو أقيم في سَماعِ خطابِ نبيّه. وذلك أنّ الرسولَ موصِّلٌ أمْرَ الحقِّ -تعالى- الذي أمر الله به عبادَه. فقد يمكن أن يسمع من الحقّ، في حضرةٍ مّا، ذلك الأمر الذي قد جاءه به أوّلا رسولُه ﷺ، فيقول: أمرني الحقُّ. وإنما هو في حقّه تعريفٌ بأنّه قد أُمِر، وانقطع هذا النَّسب بمحمد ﷺ، وما عدا الأوامر من الله المشروعة، فللأولياء في ذلك القدم الراسخة.

فهذا قد أتينا على التسعة عشر صنفا من المنازل، فلنذكر أخصّ صفات كلّ منزل، فنقول:

* * *

وَصْلٌ

- أخصّ صفات منزل المدح: تعلّق العلم بما لا يتناهى.
- وأخصّ صفات منزل الرموز: تعلّق العلم بخواصّ الأعداد والأسماء، وهي الكلمات والحروف، وفيه عِلْمُ السيمياء.
- وأخصّ[2] صفات منزل الدعاء: علوم الإشارة والتحلية.
- وأخصّ صفات منزل الأفعال: علمُ الآن.
- وأخصّ صفات منزل الابتداء: علم المبدأ والمعاد، ومعرفة الأوليّات من كلّ شيء.
- وأخصّ صفات التنزيه: علمُ السلخ والخلع.
- وأخصّ صفات التقريب: علمُ الدلالات.
- وأخصّ صفات منزل التوقّع: علمُ النِّسب والإضافات.
- وأخصّ صفات منزل البركات: علمُ الأسباب، والشروط، والعلل، والأدلّة، والحقيقة.

---

(١) ص ٣٧

(٢) ص ٣٧ب

- وأخصّ صفات الأقسام: علوم العظمة.
- وأخصّ صفات منزل الدهر: علمُ الأزل، وديمومة الباري وجودا.
- وأخصّ صفات منزل الإنِّيَّة: علمُ الذات.
- وأخصّ صفات منزل[1] لام ألف: علمُ نسبة الكون إلى المكوِّن.
- وأخصّ صفات منزل التقرير: علمُ الحضور.
- وأخصّ صفات منزل فناء الكون: علمُ قلب الأعيان.
- وأخصّ صفات منزل الأُلفة: علمُ الالتحام.
- وأخصّ صفات منزل الوعيد: علمُ المواطن.
- وأخصّ صفات منزل الاستفهام: علمُ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2].
- وأخصّ صفات منزل الأمر: علمُ العبودة.

وَصْلٌ
(لكلّ منزل من هذه المنازل صنف من الممكنات)

اعلم[3] أنّه لكلّ منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنف[4] من الممكنات. فمنهم صنف الملائكة وهم صنف واحد وإن اختلفت أحوالهم. وعلم الأجسام ثمانية عشر: الأفلاك أحد عشر نوعا، والأركان أربعة، والمولّدات ثلاثة. ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهيّة: الجوهر: للذات وهو الأوّل. الثاني: الأعراض وهي للصفات. الثالث: الزمان وهو للأزل، الرابع: المكان وهو للاستواء أو النعوت. الخامس: الإضافات للإضافات. السادس: الأوضاع للفهوانيّة. السابع: الكميّات للأسماء. الثامن: الكيفيّات للتجلّيات. التاسع: التأثيرات للجود، العاشر: الانفعالات للظهور في صور الاعتقادات. الحادي[5] عشر: الخاصيّة وهي للأحديّة. الثاني عشر: الحيرة؛ وهي للوصف بالنزول والفرح والقرض وأشباه ذلك. الثالث عشر: حياة الكائنات للحيّ. الرابع عشر: المعرفة للعلم. الخامس عشر: الهواجس للإرادة. السادس عشر: الإبصار للبصير. السابع عشر: السمع للسميع. الثامن عشر: الإنسان للكمال. التاسع عشر: الأنوار والظلم للنور.

---
(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) ص ٣٨
(٤) ق: صنفا
(٥) ق: الحادي أحد.

وَصْلٌ[1] في نظائر المنازل التسعة عشر

نظائرها من القرآن حروفُ الهجاء التي في أوّل السور وهي أربعة عشر حرفا، في خمس مراتب: أحديّة وثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة. ونظائرها من النار: الخزنة تسعة عشر ملَكا. نظائرها في التأثير: اثنا عشر برجا والسبعة الدراري. نظائرها من القرآن: حروف البسملة. ونظائرها من الرجال: النقباء اثنا عشر والأبدال السبعة، وهؤلاء السبعة منهم الأوتاد أربعة والإمامان اثنان والقطب واحد. والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهيّة ومن الأكوان كثير.

وَصْلٌ

(في منزل المنازل، أو الإمام المبين)

اعلم أنّ منزل المنازل عبارة عن المنزل الذي يجمع جميع المنازل، التي تظهر في عالَم الدنيا، من العرش إلى الثرى، وهو المسمّى بالإمام المبين. قال الله -تعالى-: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2] فقوله: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ دليل على أنّه ما أُودع فيه إلّا علوما متناهية، فنظرنا؛ هل ينحصر لأحدٍ عددها؟ فخرجت عن الحصر، مع كونها متناهية، لأنّه ليس فيه إلّا ما كان من يوم خلق الله العالَمَ إلى أن ينقضي حال الدنيا وتنتقل العمارة إلى[3] الآخرة.

فسألْنا من أثق به من العلماء بالله: هل تنحصر أمّهات هذه العلوم التي يحويها هذا الإمام المبين؟ فقال: نعم. فأخبرني الثقة الأمين الصادق الصاحب، وعاهدني أنّي لا أذكر اسمه: أنّ أمّهات العلوم التي تتضمّن كلّ "أُمّ" منه ما لا يُحصى كثرة، تبلغ بالعدد إلى مائة ألف نوع من العلوم، وتسعة وعشرين ألف نوع وستمائة نوع، وكلّ نوع يحوي على علوم جمّة، ويعبّر عنها بالمنازل.

فسألت هذا الثقة: هل نالها أحدٌ من خلق الله وأحاط بها علما؟ قال: لا. ثمّ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[4] وإذا كانت الجنود لا يعلمها إلّا هو، وليس للحقّ منازع يحتاج هؤلاء الجنود إلى مقاتلته (إلّا شخص الإنس والجنّ، فتعجّبت في كثرة جند الحقّ مع قلّة عدد المنازع!)[5]، فقال

---

(١) ص ٣٨ب

(٢) [يس: ١٢]

(٣) ص ٣٩

(٤) [المدثر: ٣١]

(٥) ما بين القوسين لم يرد في ق وأثبتناه من س

لي: لا تعجب ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] لقد (جرى) ثمّ ما هو أعجب. فقلت: ما هو؟ فقال لي: الذي ذكر اللهُ في حقّ امرأتين من نساء رسول الله ﷺ، ثمّ تلا: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2] فهذا أعجب من ذِكْر الجنود، فأسرار الله عجيبة.

فلمّا قال لي ذلك، سألتُ الله أن يطلعني على فائدة هذه المسألة، وما هذه العظمة التي جعل الله نفسَه في مقابلتها وجبريل وصالحي المؤمنين والملائكة؟ فأُخبرت[3] بها، فما سررتُ بشيء سروري بمعرفة ذلك، وعلمت لمن استندتا (هاتان المرأتان)، ومَن يقوّيهما. ولولا ما ذكر الله نفسه في النصرة، ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما. وعلمتُ أنهما حصل لهما من العلم بالله، والتأثير في العالَم ما أعطاهما هذه القوّة. وهذا من العلم الذي كهيئة المكنون، فشكرتُ الله على ما أَوْلَى. فما أظنّ أنّ أحدا من خلق الله استند إلى ما استند هاتان المرأتان.

يقول لوط عليه السلام: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[4] وكان عنده الركن الشديد ولم يكن يعرفه، فإنّ النبيّ ﷺ، قد شهد له بذلك فقال: «يرحم الله أخي لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» وعرفتاه عائشة وحفصة. فلو علم الناس عِلم ما كانتا عليه، لعرفوا معنى هذه الآية، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[5].

(١) [الذاريات: ٢٣]
(٢) [التحريم: ٤]
(٣) ص ٣٩ب
(٤) [هود: ٨٠]
(٥) [الأحزاب: ٤]

الباب الثالث والعشرون
في معرفة الأقطاب المصونين وأسرار صونهم

إنّ للهِ حِـكْمَـةً أَخْـفَـاهـا ... فِي وُجُودِي فَلَيْس عَيْنٌ تَرَاها
خَلَقَ الجِسْـــمَ دَارَ لَهْوٍ وَأُنْسٍ ... فَبَنَـاهـا وَجُوْدُهُ سَـــوَّاهـا
ثُمَّ[1] لَمّا تَعَدَّلَتْ واسـْتَقامَتْ ... جَاءَ رُوحٌ مِنْ عِنْدِهِ أَحْياها
ثُمَّ لَمّـا تَحَقَّقَ الحَقُّ عِلْمًـا ... حُـبَّـهُ وانْـقِـيـادَهُ لِـهَـوَاهـا
قالَ لِلْمَوْتِ خُذْ إِلَيْكَ عُبَيْدِي ... فَـدَعَـاهُ لَهُ بِـمَـا أَخْـلَاهـا
وَتَجَـلَّى لَهُ فَـقَـالَ: إِلَـهِـي ... أَيْنَ أُنْسِي؟ فَقالَ ما تَنْسَاها؟
كَيْفَ أَنْسَى دارًا جَعَلْتَ قُوَاها ... مِنْ قُوَاكُمْ فَهِيَ التِي لا تُضَاهَى
يا إِلَهِي وَسَـيِّدِي واعْتِمَادِي ... ما عَشِـقْنَا مِنْهَا سِوَى مَعْنَاها
أَعْلَمَتْنَـا بِمَـا تُرِيْـدُونَ مِنَّـا ... بِلِسـانِ الرَّسُـولِ منْ أَعْلاها
فَقَطَعْنـا أَيَّامَنـا فِي سُرُورٍ ... بِكَ يا سَـيِّدِي فَمَا أَحْلَاها
قـالَ: رُدُّوا عَلَيْـهِ دَارَ هَوَاهُ ... صَـــدَقَ الرُّوحُ إِنّهُ يَهْوَاهـا
فَرُدِدْنا مُخَلَّدِينَ سُـــكَارَى ... طَرَبًا دَائِمًا إِلَى سُـكْنَاهـا
وبَنَـاهـا عَلَى اعْتِـدَالِ قُوَاهـا ... وَتَجَـلَّى لَـهَـا بِـمَـا قَـوَّاهـا

اعلم -أيّدك الله- أنّ هذا الباب يتضمّن ذِكْر عباد الله المسمّين بالملاميّة؛ وهم الرجال الذين حلّوا من الولاية في أقصى درجاتها، وما فوقهم إلّا درجة النبوّة، وهذا يسمّى مقام القربة في الولاية، وآيتهم من القرآن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾[2] ينبّه بنعوت نساء الجنّة وحورها؛ على نفوس رجال الله، الذين اقتطعهم إليه[3] وصانهم، وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهيّة؛ في زوايا الكون،

---

(١) ص ٤٠
(٢) [الرحمن: ٧٢]
(٣) ص ٤٠ب

أن تمتدّ إليهم عين فتشغلهم. لا والله؛ ما يشغلهم نظر الخلق إليهم، لكنّه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحقّ عليهم، لعلوّ منصبها، فتقف العباد في أمر لا يصلون إليه أبدا. فحبس ظواهرهم في خيمات العادات والعبادات، من الأعمال الظاهرة، والمثابرة على الفرائض منها والنوافل، فلا يُعرفون بخرق عادة؛ فلا يُعظَّمون، ولا يُشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامّة، مع كونهم لا يكون منهم فساد؛ فهم الأخفياء الأبرياء، الأمناء في العالَم، الغامضون في الناس فيهم.

قال رسول الله ﷺ عن ربّه ﷻ: «إنّ أغبط أوليائي عندي لَمؤمنٌ خفيف الحاذِ، ذو حظّ من صلاة، أحسنَ عبادة ربّه، وأطاعه في السرّ والعلانيّة، وكان غامضا في الناس»، يريد أنّهم لا يُعرفون بين الناس بكبير عبادة، ولا يَنتهكون المحارم سرًّا وعلنا.

قال بعضُ الرجال في صفتهم، لَمّا سئل عن العارف، قال: "مُسْوَدّ الوجه في الدنيا والآخرة"، فإن كان أراد ما ذكرناه من أحوال هذه الطائفة؛ فإنّه يريد باسوداد الوجه(1)؛ استفراغ أوقاته كلّها في الدنيا والآخرة في تجلّيات الحقّ له، ولا يرى الإنسانُ عندنا في مرآة الحقّ إذا تجلّى له غير نفسه ومقامه، وهو كونٌ من الأكوان، والكونُ في نور الحقّ ظلمة، فلا يَشهد إلّا سوادَه، فإنّ وجهَ الشيء حقيقته وذاته. ولا يدوم التجلّي إلّا لهذه الطائفة على الخصوص؛ فهم مع الحقّ في الدنيا والآخرة، على ما ذكرناه؛ من دوام التجلّي، وهم الأفراد.

وأمّا إن أراد بالتسويد؛ من السيادة، وأراد بالوجه حقيقةَ الإنسان، أي له السيادة في الدنيا والآخرة، فيمكن، ولا يكون ذلك إلّا للرسل خاصّة، فإنّه كمالُهم، وهو في الأولياء نقصٌ، لأنّ الرسلَ مضطرّون في الظهور لأجل التشريع، والأولياء ليس لهم ذلك.

ألا ترى اللهَ -سبحانه- لَمّا أكمل الدينَ، كيف أمره في السورة التي نعى الله إليه فيها نفسَه، فأنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ. وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا. فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾(2)، أي اشغل نفسك بتنزيه ربّك، والثناء عليه بما هو أهله. فاقتطعَه بهذا الأمر من العالَم، لَمّا كمل ما أريد منه، من تبليغ الرسالة، وطلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه، في حجاب صَوْنه، لينفرد به دون خلقه دائمًا، فإنّه كان في(3) زمان التبليغ والإرشاد، وشغله بأداء

---

(1) ص ٤١

(2) [النصر: ١ - ٣]

(3) ص ٤١ب

الرسالة، فإنّ له وقتا لا يسعه فيه غير ربّه، وسائر أوقاته فيما أُمِر به من النظر في أمور الخلق، فردَّه إلى ذلك الوقت الواحد، الذي كان يختلسه من أوقات شغله بالخلق، وإن كان عن أمر الحقّ.

ثمّ قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[1] أي يرجع الحقُّ إليك رجوعا مستصحَبا، لا يكون للخلق عندك فيه دخول، بوجهٍ من الوجوه. ولَمّا تلا رسول الله ﷺ هذه السورة، بكى أبو بكر الصدّيق ﵁ وحده، دون مَن كان في ذلك المجلس، وعلم أنّ الله -تعالى- قد نعى إلى رسول الله ﷺ نفسَه، وهو كان أعلم الناس به. وأخذ الحاضرون يتعجّبون من بكائه، ولا يعرفون سبب ذلك.

والأولياء الأكابر إذا تُركوا وأنفسهم، لم يختر أحد منهم الظهور أصلا، لأنّهم علموا أنّ الله ما خلقهم لهم، ولا لأحد من خلقه بالتعلُّق، من القصد الأوّل. وإنما خلقهم له سبحانه. فشغلوا أنفسهم بما خُلقوا له. فإن أظهرهم الحقُّ عن غير اختيار منهم، بما يجعل في قلوب الخلق منهم، فذلك إليه سبحانه، ما لهم فيه تعمُّل. وإن سترهم، فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدرا، يعظّمونهم من أجله، فذلك إليه -تعالى-. فهم[2] لا اختيار لهم مع اختيار الحقّ. فإن خيّرهم ولا بدّ، فيختارون الستر عن الخلق، والانقطاع إلى الله. ولَمّا كان حالهم سَتْرَ مرتبتهم عن نفوسهم -فكيف عن غيرهم- تعيّن علينا أن نبيّن منازل صَوْنهم.

فمن منازل صَوْنهم: أداءُ الفرائض في الجماعات، والدخول مع الناس في كلّ بلد، بِزِيّ ذلك البلد. ولا يُوطِن مكانا في المسجد، وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة، حتى يضيع عينُه في غمار الناس. وإذا كلّم الناس فيكلّمهم ويرى الحقّ رقيبا عليه في كلامه. وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك، ويقلّل من مجالسة الناس إلّا من جيرانه، حتى لا يُشعر به، ويقضي حاجة الصغير والأرملة، ويلاعب أولاده وأهله بما يرضي الله -تعالى-، ويمزح ولا يقول إلّا حقّا، وإن عُرِف في موضع، انتقل عنه إلى غيره، فإن لم يتمكن له الانتقال، استقضى مَن يعرفه، وألحّ عليهم في حوائج الناس، حتى يرغبوا عنه. وإن كان عنده مقام التحوّل في الصور، تحوّل، كما كان للروحاني التشكل في صور بني آدم، فلا يُعرف أنّه ملَك؛ وكذلك كان "قضيب البان"[3]، وهذا

---

(١) [النصر: ٣]

(٢) ص ٤٢

(٣) قَضِيب البان (٤٧١ - ٥٧٣هـ = ١٠٧٩ - ١١٧٧م): الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني، أبو عبد الله المعروف بقضيب البان: متصوف من أهل الموصل. تفقه حنبليا وصحب عبد القادر الكيلاني وغيره. له أخبار في الزهد كثيرة. [الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥١)]

كلّه ما لم يُرِد الحقُّ إظهارَه ولا شهرتَه من حيث لا يشعر.

ثمّ إنّ هذه الطائفة؛ إنما نالوا هذه[1] المرتبة عند الله؛ لأنّهم صانوا قلوبَهم أن يدخلها غيرُ الله، أو تتعلّق بكون من الأكوان سِوَى الله، فليس لهم جلوس إلّا مع الله، ولا حديث إلّا مع الله، فهم بالله قائمون، وفي الله ناظرون، وإلى الله راحلون ومنقلبون، وعن الله ناطقون، ومن الله آخذون، وعلى الله متوكّلون، وعند الله قاطنون، فما لهم معروف سِوَاهُ، ولا مشهود إلّا إيّاه. صانوا نفوسهم عن نفوسهم، فلا تعرفهم نفوسُهم، فهم في غيابات الغيب محجوبون. هم ضنائن الحقّ المستخلَصون: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق: مَشْيَ ستر وأَكلَ حجاب. فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب.

تتمّة شريفة لهذا الباب

(ومِن هذه الحضرةِ بُعثت الرسل)

قلنا: ومِن هذه الحضرةِ بُعثت الرسل -سلام الله عليهم أجمعين- مشرّعِين. ووجّه (الحقّ) معهم هؤلاء تابعين لهم، قائمين بأمرهم. من عين واحدة: أخذ عنها الأنبياء والرسل ما شرّعوا، وأخذ عنها الأولياء ما اتّبعوهم فيه. فهم التابعون على بصيرة، العالِمون بمن اتّبعوه، وفيما اتّبعوه. وهم العارفون بمنازل[2] الرسل، ومناهج السبل من الله، ومقاديرهم عند الله -تعالى-. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[3].

انتهى الجزء السادس عشر والحمد لله[4].

---

(١) ص ٤٢ب

(٢) ص ٤٣

(٣) [الأحزاب: ٤]

(٤) في أسفل الكتابة نجد هذا السماع: "سَمع جميع هذا الجزء والذي قبله على مصنّفهما الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحد محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي- أبقاه الله- بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي؛ الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي الجباب، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد، وأحمد، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، وأحمد بن محمد التكريتي، وعلي بن محمود –الحنفيان- وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وحسين بن محمد الموصلي، ومحمد بن يرنقش المعظمي، ويعقوب بن معاذ الوربي، وعيسى بن إسحق الهذباني، ويونس بن عثمان الدمشقي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم، ومحمد بن علي بن محمد المطرز –الدمشقيون- وأحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي، وأحمد بن موسى بن حسين التركماني، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن زرافة،.... ابن الخلال، وعلي بن أبي الغنائم الغسال، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي الواعظ أبوه، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف بدمشق".

الجزء السابع عشر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

الباب الرابع والعشرون

في معرفة جاءت عن العلوم الكونيّة وما تتضمّنه من العجائب، ومَن حصّلها من العالَم، ومراتب أقطابهم، وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتعشِّقة بعالَم الأنفاس، وبالأنفاس، وأصلها، وإلى كم تنتهي منازلها؟

تَعَجَّبْتُ مِنْ مَلْكٍ يَعُودُ بِنَا مُلْكَا ... وَمِنْ مَالِكٍ أَضْحَى لِمَمْلُوكِهِ مِلْكَا

فَذَلِكَ مُلْكُ المُلْكِ إِنْ كُنْتَ نَاظِمًا ... مِنَ اللُّؤْلُؤِ المَنْثُورِ مِنْ عِلْمِنَا سِلْكَا[٣]

فَخُذْ عَنْ وُجُودِ الحَقِّ عِلْمًا مُقَدَّسًا ... لِيَأْخُذَ ذَاكَ العِلْمَ مَنْ شَاءَهُ عَنْكَا

فإِنْ كُنْتَ مِثْلِي فِي العُلُومِ فَقَدْ تَرَى ... بِأَنَّ الَّذِي فِي كَوْنِهِ نُسْخَةٌ مِنْكَا

فَهَلْ فِي العُلَى شَيْءٌ يُقَاوِمُ أَمْرَكُمْ ... وَقَدْ فَتَكَتْ أَسْيَافُكُمْ فِي الوَرَى فَتْكَا!

فَلَوْ كُنْتَ تَدْرِي يَا حَبِيْبِي وُجُودَهُ ... وَمَنْ أَنْتَ، كُنْتَ السَّيِّدَ العَلَمَ المَلْكَا

وكانَ[٤] إلهُ الخَلْقِ يَأْتِيْكَ ضِعْفَ مَا ... أَتَيْتَ إِلَيْهِ إِنْ تَحَقَّقْتَهُ مُلْكَا

اعلم -أيدك الله- أنّ الله يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[٥] فإذا علمتَ هذا علمتَ أنّ الله ربُّ كلّ شيء ومليكه، فكلّ ما سِوَى الله -تعالى- مربوب لهذا الربّ، ومُلْك لهذا الملِك الحقّ سبحانه. ولا معنى لكون العالَم مُلكا لله -تعالى- إلّا تَصَرُّفُه فيه، على ما يشاء من غير تحجير، وأنّه محلّ تأثير الملِك، سيّده، جلّ علاه. فتنوّع الحالات التي هو العالَم عليها، هو تصرُّف الحقّ فيه على حكم ما يريد.

(١) العنوان ص ٤٣ب
(٢) البسملة ص ٤٤
(٣) هذا البيت ثابت في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب.
(٤) ص ٤٤ب
(٥) [غافر: ٦٠]

ثمّ إنّه لمّا رأينا الله -تعالى- يقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾(١) فأشرك نفسه مع عبده في الوجوب عليه، وإن كان هو الذي أوجب على نفسه ما أوجب، فكلامه صدق ووعده حقّ، كما يوجب الإنسان بالنذر على نفسه ابتداءً، ما لم يوجبه الحقّ عليه. فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذي أوجبه على نفسه، فأمَره بالوفاء بنذره. ثمّ رأيناه -تعالى- لا يستجيب إلّا بعد دعاء العبد إيّاه كما شرع، كما أنّ العبد لا يكون مجيبا للحقّ حتى يدعوه الحقّ إلى ما يدعوه إليه، قال -تعالى-: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾(٢) فصار للعبد والعالَم الذي هو مُلكٌ لله(٣) -سبحانه- تصرُّفٌ إلهيّ في الجانب الأحمى بما تقتضيه حقيقة العالَم بالطلب الذاتي، وتصريف آخر بما يقتضيه وضع الشريعة.

فلمّا كان الأمر على ما ذكرناه، من كون الحقّ يجيب أمر العبد إذا دعاه وسأله، كما أنّ العبد يجيب أمر الله إذا أمره، وهو قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾(٤) فشرّك في القضيّة. ولَمّا كان الحقّ يقتضي بذاته أن يُتَذلَّل له، سَوَاء شرع لعباده أعمالا أو لم يشرع، كذلك يقتضي (العبد) ببقاء وجود عينه، حفظَ الحقّ إيّاه، سَوَاء شرع الحقّ ما شرعه أو لم يشرع، ثمّ لما شرع للعبد أعمالا إذا عملها(٥)، شرع لنفسه أن يجازي هذا العبد على فعل ما كلّفه به، فصار الجناب العالي مُلكا لهذا المُلك الذي هو العالَم، بما ظهر من أثر العبد فيه من العطاء عند السؤال. فانطلق عليه صفة يعبَّر عنها مُلْك الْمُلك. فهو -سبحانه- مالِك ومَلِك بما يأمر به عبادَه، وهو -سبحانه- مُلْك بما يأمره به العبد فيقول: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾(٦) كما قال له الحقّ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(٧) فيسمّى ما كان من جانب الحقّ للعبد أمرا، ويسمّى ما كان من جانب العبد للحقّ دعاءً؛ أدبا إلهيّا؛ وإنما هو على الحقيقة أمرٌ، فإنّ الحدّ يشمل الأمرين معا(٨).

وأوّل من اصطلح على هذا الاسم (أي مُلكُ الْمُلك) في علمي؛ محمد بن علي الترمذي الحكيم، وما سمعنا هذا اللفظ عن أحد سِوَاهُ، وربما تقدّمه غيره بهذا الاصطلاح، وما وصل إلينا، إلّا أنّ الأمر صحيح. ومسألة الوجوب على الله عقلا مسألة خلاف بين أهل النظر من المتكلّمين، فمن

(١) [الأنعام: ٥٤]
(٢) [البقرة: ١٨٦]
(٣) ص ٤٥
(٤) [البقرة: ٤٠]
(٥) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٦) [الأعراف: ١٥١]
(٧) [طه: ١٤]
(٨) ص ٤٥ب

قائل بذلك، وغير قائل بها. وأمّا الوجوب الشرعيّ فلا ينكره إلّا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله.

واعلم أنّ المتضايفين، لا بدّ أن يحدث لكلّ أحد من المتضايفين اسم تعطيه الإضافة، فإذا قلت: "زيد" فهو إنسان بلا شكّ، لا يُعقل منه غير هذا. فإذا قلت: "عمروٌ" فهو إنسان؛ لا يُعقل منه غير هذا. فإذا قلت: زيدٌ ابن عمرو، أو زيد عبد عمرو؛ فلا شكّ أنّه قد حدث لزيد اسم[1] البنوّة؛ إذ كان ابن عمرو، وحدث لعمرو اسم الأبوّة؛ إذ كان أبًا لزيد. فبنوّة زيد أعطت الأبوّة لعمرو، والأبوّة لعمرو أعطت البنوّة لزيد. فكلّ واحد من المتضايفين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الإضافة. وكذلك زيد عبد عمرو؛ فأعطت العبودة أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا. فقد أحدثتْ مملوكيّة زيد اسم المالك لعمرو، وأحدث مِلك عمرو لزيد مملوكيّة زيد. فقيل فيه: مملوكٌ، وقيل في عمرو: مالِكٌ، ولم[2] يكن لكلّ واحد منهما معقوليّة هذين الاسمين قبل أن توجد الإضافة.

فالحقّ حقّ والإنسان إنسان. فإذا قلت: الإنسان، أو الناس عَبيد الله. قلت: إنّ الله مَلِك النَّاسِ، لا بدّ من ذلك. فلو قدّرت ارتفاع وجود العالَم من الذهن جملة واحدة من كونه مُلْكا لم يرتفع وجود الحقّ لارتفاع العالَم، وارتفع وجود معنى المَلِك عن الحقّ ضرورة، ولَمّا كان وجود العالَم مرتبطا بوجود العالِم الحقّ فعلا وصلاحيّة؛ لهذا كان اسم المِلك لله -تعالى- أزلا، وإن كان عين العالَم معدوما في العين، لكن معقوليّته موجودة، مرتبطة باسم المالِك، فهو مملوك لله -تعالى-، وجودا وتقديرا، قوّة وفعلا، فإن فهمتَ وإلّا فافهم.

وليس بين الحقّ والعالَم بَوْنٌ يُعقل أصلا إلّا التمييز بالحقائق. فالله ولا شيء معه -سبحانه- ولم يزل كذلك، ولا يزال كذلك لا شيء معه. فمعيّته معنا، كما يستحقّ جلاله، وكما ينبغي لجلاله، ولولا ما نَسب لنفسه أنّه معنا؛ لم يقتضِ العقل أن يطلق عليه معنى المعيّة، كما لا يفهم منها العقل السليم، حين أطلقها الحقّ على نفسه، ما يفهم من معيّة العالَم بعضه مع بعض، لأنّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ[4]﴾[5]. وقال -تعالى-: ﴿إِنَّنِي

(١) ق، هـ: - اسم
(٢) ص ٤٦
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) ص ٤٦ب
(٥) [الحديد: ٤]

مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾(١) لموسى وهارون.

فنقول: إنّ الحقّ معنا على حدّ ما قاله، وبالمعنى الذي أراده. ولا نقول: إنّا مع الحقّ. فإنّه ما وردَ، والعقل لا يعطيه. فما لنا وجهٌ عقليّ، ولا شرعٌ يطلَق به أنّنا مع الحقّ. وأمّا مَن نفى عنه إطلاق الأينيّة، من أهل الإسلام؛ فهو ناقص الإيمان؛ فإنّ العقل ينفي عنه معقوليّة الأينيّة. والشرع الثابت في السنّة، لا في الكتاب، قد أثبت إطلاق لفظ الأينيّة على الله. فلا تتعدّى، ولا يقاس عليها، وتُطلق في الموضع الذي أطلقها الشارع.

قال رسول الله ﷺ للسوداء التي ضربها سيّدها: «أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقبِل إشارتها. وقال: أعتقها فإنّها مؤمنة». فالسائل بالأينيّة أعلمُ الناس بالله -تعالى-، وهو رسول الله ﷺ. وتأوّل بعض علماء الرسوم إشارتها إلى السماء، وقبول النبيّ ﷺ ذلك منها، لَمّا كانت الآلهة التي تُعْبَدُ في الأرض. وهذا تأويلُ جاهلٍ بالأمر غير عالِمٍ، وقد علمنا أنّ العرب كانت تعبد كوكبا في السماء يسمّى الشِّعْرَى، سَنَّهُ لهم أبو كبشة، وتعتقد فيها أنّها ربّ الأرباب، هكذا وقفت على مناجاتهم إيّاها. ولذلك قال -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾(٢) فلو(٣) لم يُعبد كوكب في السماء، لساغ هذا التأويل لهذا المتأوِّل.

وهذا أبو كبشة الذي كان شرَعَ عبادة الشِّعرى، هو من أجداد رسول الله ﷺ لأُمّه. ولذلك كانت العرب تنسب رسول الله ﷺ إليه فتقول: ما فعل ابن أبي كبشة؟ حيث أحدث عبادة إله واحد، كما أحدث جدُّهُ عبادة الشِّعرى.

ومن أقطاب هذا المقام ممن كان قبلنا "محمد بن علي الترمذيّ الحكيم"، ومن شيوخنا أبو مدين(٤) -رحمه الله- وكان يُعرف في العالَم العلويّ بأبي النجا، وبه يسمّونه الروحانيّون، وكان يقول

---

(١) [طه: ٤٦]
(٢) [النجم: ٤٩]
(٣) ص ٤٧
(٤) أبو مدين التلمساني (٥٨٩هـ) شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين. من مشاهير الصوفية، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له: (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب - ط) ٩٢ ورقة في شستربتي (الرقم ٣٢٥٩). (الموسوعة الشعرية). وهناك اختلاف واضح في تاريخ وفاته عند المؤرخين، إلّا أنّ الشيخ ذكر في السفر ٣١ ص ١٣٢ أنّ وفاته كانت عام ٥٨٩هـ.

ﷺ: سورتي من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[1] ومن أجل هذا كنّا نقول فيه: إنّه أحد الإمامين؛ لأنّ هذا هو مقام الإمام.

ثمّ نقول: ولَمّا كان الحقّ -تعالى- مجيبا لعبده المضطرّ فيما يدعوه به ويسأله منه، صار كالمتصرِّف، فلهذا كان يشير أبو مدين بقوله، فكان يقول فيه: "مُلك المُلك"، وأمّا صحّة هذه الإضافة لتحقُّق العبد في كلّ نفَس أنّه مُلك لله -تعالى- من غير أن يتخلّل هذا الحال دعوى تناقضه، فإذا كان بهذه المثابة، حينئذ يصدق عليه أنّه مُلْك عنده، فإن شابَتْهُ رائحة من الدّعوى؛ وذلك بأن يدَّعي لنفسه مِلكا عَرِيّا عن[2] حضوره في تمليك الله إيّاه ذلك الأمر، الذي سمّاه مُلكا له ومِلكا، لم يكن في هذا المقام، ولا صحّ له أن يقول في الحقّ: إنّه مُلْك المُلك، وإن كان كذلك في نفس الأمر. فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله أنّه مُلك لله، وغفلته في أمرٍ مّا، فيحتاج إلى ميزانٍ عظيم، صاحِبُ هذا المقام، لا يبرح بيده، ونُصب عينيه.

* * *

وَصْلٌ
(أسرار الاشتراك بين الشريعتين)

وأمّا أسرار الاشتراك بين الشريعتين، فمثل قوله -تعالى-: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[3] وهذا مقام ختم الأولياء. ومن رجاله اليوم خضر وإلياس، وهو تقرير الثاني ما أثبته الأوّل من الوجه الذي أثبته مع مغايرة الزمان، ليصحّ المتقدّم والمتأخّر، وقد لا يتغيّر المكان ولا الحال، فيقع الخطاب بالتكليف للثاني من عين ما وقع للأوّل. ولَمّا كان الوجه الذي جمعهما لا يتقيّد بالزمان -والأخذ منه، أيضا، لا يتقيّد بالزمان- جاز الاشتراك في الشريعة من شخصين، إلّا أنّ العبارة يختلف زمانها ولسانها، إلّا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد، كموسى وهارون، لَمّا قيل لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[4] ومع هذا كلّه فقد قيل لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[5] فأتى بالنكرة في قوله:

---

(١) [الملك: ١]
(٢) ص ٤٧ب
(٣) [طه: ١٤]
(٤) [طه: ٤٣]
(٥) [طه: ٤٤]

﴿قَوۡلًا﴾ ولا[1] سيّما وموسى يقول: ﴿هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[2] يعني هارون، فقد يمكن أن يختلفا في العبارة، في مجلس واحد، فقد جمعهما مقام واحد، وهو البعث في زمان واحد، إلى شخص واحد، برسالة واحدة.

وإن كان قد مَنع وجود مثل هذا جماعةٌ من أصحابنا وشيوخنا كأبي طالب المكي، ومَن قال بقوله وإليه نذهب، وبه أقول وهو الصحيح عندنا؛ فإنّ الله -تعالى- لا يكرّر تجلّيا على شخص واحد، ولا يشرّك فيه بين شخصين للتوسّع الإلهيّ، وإنما الأمثال والأشباه تُوهِم الرائي والسامع للتشابه الذي يعسر فصله إلّا على أهل الكشف والقائلين من المتكلّمين أنّ العرض لا يبقى زمانين. ومن الاتّساع الإلهيّ أنّ الله ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾[3]، وميّز كلّ شيء في العالَم بأمرٍ، ذلك الأمر هو الذي ميّزه عن غيره، وهو أحديّة كلّ شيء، فما اجتمع اثنان في مزاج واحد. قال أبو العتاهية[4]:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وليست سِوَى أحديّة كلّ شيء.

فما اجتمع قطّ اثنان فيما يقع به الامتياز، ولو وقع الاشتراك فيه ما امتازت، وقد امتازتْ عقلا وكشفا. ومن هذا المنزل في هذا الباب، تعرف إيراد[5] الكبير على الصغير، والواسع على الضيّق من غير أن يضيّق الواسع أو يوسّع الضيّق، أي لا يغيّر شيئا عن حاله، لكن لا على الوجه الذي يذهب إليه أهل النظر من المتكلّمين والحكماء في ذلك؛ فإنّهم يذهبون إلى اجتماعهما في الحدّ والحقيقة، لا في الجِرميّة؛ فإنّ كبر الشيء وصغره لا يؤثّر في الحقيقة الجامعة لهما.

ومن هذا الباب أيضا قال أبو سعيد الخرّاز: "ما عُرِف الله إلّا بجمعه بين الضدّين، ثمّ تلا:

---

(١) ص ٤٨

(٢) [القصص: ٣٤]

(٣) [طه: ٥٠]

(٤) أبو العَتاهِيَة: (١٣٠ - ٢١١ هـ / ٧٤٧ - ٨٢٦ م) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق. شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد. كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد. (الموسوعة الشعرية)

(٥) ص ٤٨ب

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[1]" يريد من وجهٍ واحد لا من نِسب مختلفة، كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم.

واعلم أنّه لا بدّ من نزول عيسى ﵇، ولا بدّ من حكمه فينا بشريعة محمد ﷺ يوحي الله بها إليه من كونه نبيّا، فإنّ النبيّ لا يأخذ الشرع من غير مُرسِله، فيأتيه المَلَك مخبرا بشرع محمد الذي جاء به ﷺ وقد يلهمه إلهاما، فلا يحكم في الأشياء بتحليل وتحريم إلّا بما كان يحكم به رسول الله ﷺ لو كان حاضرا، ويرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله ﵇، ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته ودولته، فبما هو عالِم بها من حيث الوحي الإلهيّ إليه بها، هو رسول ونبيٌّ، وبما[2] هو الشرع الذي كان عليه محمد ﷺ هو تابع له فيه، وقد يكون له من الاطّلاع على روح محمد ﷺ كشفا، بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمّته ﷺ فيكون عيسى ﵇ صاحبا وتابعا من هذا الوجه، وهو ﵇ من هذا الوجه خاتم الأولياء.

فكان من شرف النبيّ ﷺ أنّ ختمَ الأولياء في أمّته نبيٌّ رسولٌ مكرَّمٌ هو عيسى ﵇، وهو أفضل هذه الأمّة المحمديّة. وقد نبّه عليه الترمذي الحكيم في كتاب "ختم الأولياء" له، وشهد له بالفضليّة على أبي بكر الصدّيق وغيره، فإنّه وإن كان وليّا في هذه الأمّة، والملّة المحمديّة، فهو نبيّ ورسول في نفس الأمر، فله يوم القيامة حشران: يحشر في جماعة الأنبياء والرسل بلواء النبوّة والرسالة، وأصحابه تابعون له، فيكون متبوعا كسائر الرسل. ويُحشر أيضا معنا وليّا في جماعة أولياء هذه الأمّة، تحت لواء محمد ﷺ تابعا له، مقدَّما على جميع الأولياء من عهد آدم إلى آخر وليّ يكون في العالَم، فجمع الله له بين الولاية والنبوّة ظاهرا.

وما في الرسل يوم القيامة مَن يتبعه رسول[3] إلّا محمد ﷺ فإنّه يُحشر يوم القيامة في أتباعه عيسى وإلياس -عليهما السلام-، وإن كان كلّ من في الموقف، من آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ فذلك لواؤه العام، وكلامنا في اللواء الخاص بأمّته ﷺ.

وللولاية المحمديّة المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد ﷺ ختمٌ خاصّ، هو في الرتبة دون عيسى ﵇ لكونه رسولا وقد ولد في زماننا ورأيته أيضا واجتمعت به، ورأيت العلامة الختميّة

(١) [الحديد: ٣]
(٢) ص ٤٩
(٣) ص ٤٩ب

التي فيه؛ فلا وليّ بعده إلّا وهو راجع إليه، كما أنّه لا نبيّ بعد محمد ﷺ إلّا وهو راجع إليه، كعيسى إذا نزل. فنسبة كلّ وليّ يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة نِسبة كلّ نبيّ يكون بعد محمد ﷺ في النبوّة كإلياس وعيسى والخضر في هذه الأمّة.

وبعد أن بيّنتُ لك مقام عيسى عليه السلام إذا نزل، فقل ما شئت؛ إن شئت قلت: شريعتين لعين واحدة، وإن شئت قلت: شريعة واحدة.

وصل
(القلوب المتعشّقة بالأنفاس)

وأمّا القلوب المتعشّقة بالأنفاس؛ فإنّه[1] لَمّا كانت خزائن[2] الأرواح الحيوانيّة تعشّقت بالأنفاس الرحمانيّة للمناسبة، قال رسول الله ﷺ: «إنّ نفَس الرحمن يأتيني من قِبَل اليمن» ألا وإنّ الروح الحيوانيّ نفَسٌ، وإنّ أصل هذه الأنفاس عند القلوب المتعشّق بها النفَس الرحمانيّ الذي من قِبَلِ اليمن، لمن أُخرج عن وطنه وحيل بينه وبين مسكنه وسكنه، ففيها تفريج الكُرَب ودفع النُّوَب، وقال ﷺ: «إنّ لله نفحات فتعرّضوا لنفحات ربّكم».

وتنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفَس وثلاثين نفَسا، في كلّ منزل من منازلها التي جملتها الخارج من ضرب ثلاثمائة وثلاثين في ثلاثمائة وثلاثين، فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحقّ من اسمه الرحمن في العالَم البشري. والذي أتحقّقه أنّ لها منازل تزيد على هذا المقدار مائتين منزلا في حضرة الفهوانيّة خاصّة. فإذا ضربتَ ثلاثمائة وثلاثين في خمسمائة وثلاثين، فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانيّة في العالَم الإنسانيّ، كلّ نفَس منها علم إلهيّ مستقلّ، عن تجلٍّ إلهيّ خاصٍّ لهذه المنازل، لا يكون لغيرها، فمَن شمّ من هذه الأنفاس رائحةً عرف[3] مقدارها.

وما رأيتُ مِن أهلها مَن هو معروف عند الناس، وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس، واجتمعتُ بواحد منهم بالبيت المقدس، وبمكة، فسألته يوما في مسألة. فقال لي: هل تشمّ شيئا؟

---

(١) تقرأ "بأنه".
(٢) ص ٥٠
(٣) ص ٥٠ب

فعلمتُ أنّه من أهل ذلك المقام، وخدمني مدّة. وكان لي عمٌّ أخو والدي -شقيقه- اسمه: عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام حِسًّا ومعنى، شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليّتي ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

(١) [الأحزاب: ٤]. ومكتوب بالهامش: "بلغ محيي".

الباب الخامس والعشرون
في معرفة وتد مخصوص معمَّر، وأسرار الأقطاب
المختصّين بأربعة أصناف من العلوم، وسِرّ المنزِل والمنازل، ومَن دخله من العالَم؟

إنَّ الأُمُورَ لَهَـا حَـدٌّ وَمُطَّلَعُ ... مِنْ بَعْدِ ظَهْرٍ وبَطْنٍ فِيْهِ تَجْتَمِعُ
فِي الوَاحِدِ العَيْنِ سِرٌّ لَيْسَ يَعْلَمهُ ... إلّا مَرَاتِـب أَعْـدَادٍ بِهـا يَقَعُ
هُوَ الذِي أَبْرَزَ الأَعْـدَادَ أَجْمَعَهـا ... وَهْوَ الذِي مَا لَهُ فِي العَدِّ مُتَّسَعُ
مَجَالُهُ ضَـيِّقٌ رَحْبٌ فَصُـوْرَتُهُ ... كَنَـاظِرٍ فِي مَرَاءٍ حِيْنَ يَنْطَبِعُ
فَمَا تَكَثَّرَ، إذْ أَعْطَتْ مَرَاتِبُهُ[1] ... تَكَثُّرًا، فَهْوَ بِالتَّنْزِيـهِ يَمْتَنِعُ
كَذَلِكَ الحَقُّ إنْ حَقَّقْتَ سُـوْرَتهُ ... بِنَفْسِـهِ وَبِكُمْ تَعْلُو وَتَتَّضِـعُ

اعلم[2] -أيّها الوليّ الحميم؛ أيّدك الله- أنّ هذا الوتد، هو "خضر" صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن، وقد رأينا مَن رآه، واتّفق لنا في شأنه أمر عجيب؛ وذلك أنّ شيخنا أبا العباس العُريبي -رحمه الله- جرت بيني وبينه مسألة في حقّ شخص، كان قد بَشّر بظهوره رسولُ الله ﷺ؛ فقال لي: هو فلان ابن فلان، وسمّى لي شخصا أعرفه باسمه، وما رأيته، ولكن رأيت ابن عمّته، فربما توقّفت فيه، ولم آخذ بالقبول؛ أعني قوله فيه، لكوني على بصيرة في أمره. ولا شكّ أنّ الشيخ رجع سهمه عليه فتأذّى في باطنه، ولم أشعر بذلك فإنّي كنت في بداية أمري.

فانصرفتُ عنه إلى منزلي. فكنت في الطريق، فلقيني شخص لا أعرفه، فسلّم عليّ ابتداء؛ سلام محبٍّ مشفِق، وقال لي: يا محمد؛ صَدِّق الشيخ أبا العباس، فيما ذكر لك عن فلان، وسمّى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العريبي. فقلت له: نعم. وعلمتُ ما أراد. ورجعتُ من حيني إلى الشيخ لأعرّفه بما جرى. فعندما دخلت عليه، قال لي: يا أبا عبد الله؛ أحتاج معك إذا ذكرتُ

---

(١) ق: "حقيقته" وصححت في الهامش بقلم الأصل.
(٢) ص ٥١

لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها، إلى الخضر يتعرّض إليك، يقول لك: صَدِّق فلانا فيما ذكره لك؟ ومن أين يتّفق لك هذا، في كلّ مسألة تسمعها منّي؛ فتتوقّف؟ فقلت: إنّ باب التوبة مفتوح. فقال[١]: وقبول التوبة واقع. فعلمت أنّ ذلك الرجل كان الخضر، ولا شكّ أنّي استفهمتُ الشيخ عنه: أهو هو؟ قال: نعم، هو الخضر.

ثمّ اتّفق لي مرّة أخرى، أنّي كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر، فأخذني وجع في بطني، وأهل المركب قد ناموا. فقمت إلى جانب السفينة، وتطلّعت إلى البحر، فرأيت شخصا على بُعد في ضوء القمر، وكانت ليلة البدر، وهو يأتي على وجه الماء، حتى وصل إليّ؛ فوقف معي، ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الأخرى. فرأيت باطنها وما أصابها بلل، ثمّ اعتمد عليها ورفع الأخرى؛ فكانت كذلك. ثمّ تكلّم معي بكلام كان عنده، ثمّ سلّم وانصرف، يطلب المنارة - مُحْرَسًا على شاطئ البحر- على تَلٍّ بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين. فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاث[٢]. فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبّح الله -تعالى-، وربما مشى إلى شيخنا جرّاح بن خميس الكناني، وكان من سادات القوم مرابطا بمرسى عيدون، وكنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك. فلمّا جئت المدينة لقيتُ رجلا صالحا، فقال لي: كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر؛ ما قال لك، وما قلت له؟

فلمّا كان بعد ذلك التاريخ، خرجتُ إلى السياحة بساحل البحر المحيط، ومعي رجل ينكر خرق العوائد[٣] للصالحين، فدخلت مسجدا خرابا منقطعا لأُصَلِّي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر. فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد، وفيهم ذلك الرجل الذي كلّمني على البحر، الذي قيل لي: إنّه الخضر، وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة، وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودّة. فقمت، فسلّمت عليه. فسلّم عليّ وفرح بي، وتقدّم بنا يصلّي. فلمّا فرغنا الصلاة، خرج الإمام وخرجتُ خلفه، وهو يريد باب المسجد، وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط، بموضع يسمّى: بَكَّة.

---

(١) ص ٥١ب
(٢) ق، س، ه: أو ثلاثة
(٣) ص ٥٢

فقمت أتحدّث معه على باب المسجد، وإذا بذلك الرجل الذي قلت: إنّه الخضر، قد أخذ حصيرا صغيرا كان في محراب المسجد، فبسطه في الهواء على قدر علوّ سبعة أذرع من الأرض، ووقف على الحصير في الهواء يتنفّل. فقلت لصاحبي: أما تنظر إلى هذا وما فعل؟ فقال لي: سِرْ إليه وَسَلْهُ؟ فتركت صاحبي واقفا، وجئت إليه. فلمّا فرغ من صلاته، سلّمت عليه، وأنشدته لنفسي:

شُغِلَ الْمُحِبُّ عَنِ الهَوَاءِ بِسِرِّهِ ... فِي حُبِّ مَنْ خَلَقَ الهَوَاءَ وَسَخَّرَهْ

العـارِفُونَ[1] عُقُولُهُمْ مَعْقُولَةٌ ... عَنْ كُلِّ كَوْنٍ تَرْتَضِــيْهِ مُطَهَّرَهْ

فَهُمُ لَدَيْهِ مُكَرَّمُونَ وَفِي الوَرَى ... أَحْوَالُهُمْ مَجْهُولَةٌ وَمُسَـــتَّرَهْ

فقال لي: يا فلان؛ ما فعلتُ ما رأيتَ إلّا في حقّ هذا المنكِر- وأشار إلى صاحبي الذي كان ينكِر خَرْقَ العوائد، وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه- ليعلم أنّ الله يفعل ما يشاء مع من يشاء. فرددتُ وجهي إلى المنكِر، وقلت له: ما تقول؟ فقال: ما بعد العين ما يقال. ثمّ رجعت إلى صاحبي، وهو ينتظرني بباب المسجد، فتحدّثت معه ساعة، وقلت له: مَن هذا الرجل الذي صلّى في الهواء؟ وما ذكرتُ له ما اتّفق لي معه قبل ذلك. فقال لي: هذا الخضر. فسكتَ وانصرفتِ الجماعة، وانصرفنا نريد رُوطة -موضع مقصود، يقصده الصلحاء من المنقطعين، وهو بمقربة من بُشكنصار، على ساحل البحر المحيط-. فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد، نفعنا الله برؤيته، وله من العلم اللدنّي ومن الرحمة بالعالَم، ما يليق بمن هو على رتبته، وقد أثنى الله عليه.

واجتمع به رجل من شيوخنا؛ وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب عليّ المتوكّل، وأبي عبد الله قضيب البان، كان[2] يسكن بالمِقلى -خارج الموصل- في بستان له، وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان، وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيّاها، وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا، من يد صاحبنا تقيّ الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزري، ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصريّة وهو محمد[3] بن حمويه،

---

(١) ص ٥٢ب

(٢) ص ٥٣

(٣) لم يرد في ق وترك فراغا بمحله، وأثبتناه من س.

وكان جدّه قد لبسها[1] من يد الخضر.

ومن ذلك الوقت، قلت بلباس الخرقة، وألبستُها الناسَ لَمّا رأيت الخضر قد اعتبرها، وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن، فإنّ الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلّق، ولهذا لا يوجد لباسها متّصلا برسول الله ﷺ ولكن توجد صحبة وأدبا، وهو المعبَّر عنه بلباس التّقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحدا من أصحابهم عنده نقص في أمرٍ مّا، وأرادوا أن يكمّلوا له حاله، يتّحد[2] به هذا الشيخ؛ فإذا اتّحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله، فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك، فذلك هو اللباس[3] المعروف عندنا، والمنقول عن المحقّقين من شيوخنا.

ثمّ اعلم أنّ رجال الله على أربع مراتب: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحدّ، ورجال لهم المُطَّلَع. فإنّ الله -سبحانه- لَمّا أغلق دون الخلق باب النبوّة والرسالة، أبقى لهم باب الفهم عن الله، فيما أوحى به إلى نبيّه ﷺ في كتابه العزيز. وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إنّ الوحي قد انقطع بعد رسول الله ﷺ وما بقي بأيدينا إلّا أن يَرزق الله عبدا فهمًا في هذا القرآن". وقد أجمع أصحابنا -أهل الكشف- على صحّة خبرٍ عن النبيّ ﷺ أنّه قال في آي القرآن: «إنّه ما من آية إلّا ولها ظاهر وباطن وحدٌّ ومُطَّلَع». ولكلّ مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكلٍّ طائفة من هؤلاء الطوائف قطب؛ على ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف.

دخلتُ على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز، من أهل باغة بأغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق[4]، لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد، فقال لي: "الرجال أربعة: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[5]، وهم رجال الظاهر. و﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[6] وهم رجال الباطن؛ جلساء الحقّ -تعالى-، ولهم المشورة. ورجال

(١) "قد لبسها" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٢) ق: "يتحقق" وصححت بالهامش بخط آخر مع إشارة التصويب.
(٣) ص ٥٣ب
(٤) ص ٥٤
(٥) [الأحزاب: ٢٣]
(٦) [النور: ٣٧]

الأعراف وهم رجال الحدّ، قال الله -تعالى-[1]: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾[2] أهل الشمّ والتمييز والسَّراح عن الأوصاف، فلا صفة لهم، كان منهم أبو يزيد البسطامي. ورجالٌ إذا دعاهم الحقّ إليه يأتونه رجالا لسرعة الإجابة لا يركبون ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾[3] وهم رجال الْمُطَّلَع.

فرجال الظاهر: هم الذين لهم التصرّف في عالَم المُلك والشهادة، وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني. وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي، أدبا مع الله. أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي -رحمه الله- قال: لَمّا اجتمع محمد بن قائد الأواني، وكان من الأفراد، بأبي السعود هذا، قال له: يا أبا السعود؛ إنّ الله قسم المملكة بيني وبينك، فَلِمَ لا تتصرّف فيها كما أتصرّف أنا ؟ فقال له أبو السعود: يا ابن قائد؛ وهبتك سهمي، نحن[4] تركنا الحقّ يتصرّف لنا، وهو قوله -تعالى-: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾[5] فامتثلَ أمر الله. فقال لي أبو البدر: قال لي أبو السعود: إنّي أُعطيت التصرّف في العالَم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله، فتركته، وما ظهر عليّ منه شيء.

وأمّا رجال الباطن: فهم الذين لهم التصرّف في عالَم الغيب والملكوت، فيستنزلون الأرواح العلويّة بهممهم فيما يريدونه، وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة، وإنما كان ذلك لمانع إلهيّ قويّ يقتضيه مقام الأملاك. أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾[6] ومَن كان تنزّله بأمر ربّه لا تؤثّر فيه الخاصيّة، ولا ينزل بها. نعم أرواح الكواكب تُستنزل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك، لأنّه تنزّل معنويّ، ولمن يشاهد فيه صورا (هو) خياليّ، فإنّ ذات الكوكب لا تبرح من السماء مكانها، ولكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالَم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك، كالريّ عند شرب الماء، والشبع عند الأكل، ونبات الحبّة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو، حكمة أودعها العليم[7] الحكيم، جلّ وعزّ، فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة والصحف المطهّرة وكلام العالَم كلّه ونظم الحروف والأسماء

(١) ق: - تعالى
(٢) [الأعراف: ٤٦]
(٣) [الحج: ٢٧]
(٤) ص ٥٤ب
(٥) [المزمل: ٩]
(٦) [مريم: ٦٤]
(٧) ص ٥٥

من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصا إلهيّا.

وأمّا رجال الحدِّ: فهم الذين لهم التصرُّف في عالَم الأرواح الناريّة، عالَم البرزخ والجبروت، فإنّه تحت الجبر. ألا تراه مقهورا تحت سلطان ذوات الأذناب -وهم طائفة؛ منهم- من الشهب الثواقب، فما قهرهم إلّا بجنسهم. فعند هؤلاء الرجال استنزال أرواحها وإحضارها، وهم رجال الأعراف، والأعراف: سُوْرٌ حاجزٌ بين الجنّة والنار، برزخٌ ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾(١) فهو حدٌّ بين دار السعداء ودار الأشقياء، دار أهل الرؤية ودار الحجاب.

وهؤلاء الرجال؛ أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم شهود الخطوط المتوهَّمة بين كلّ نقيضين، مثل قوله: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾(٢) فلا يتعدّون الحدود. وهم رجال الرحمة التي ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾(٣). فلهم في كلّ حضرة دخول واستشراف، وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكلّ موجود عن غيره من(٤) الموجودات العقليّة والحسّيّة.

وأمّا رجال المُطَّلَع: فهم الذين لهم التصرّف في الأسماء الإلهيّة، فيستنزلون بها منها ما شاء الله، وهذا ليس لغيرهم، ويستنزلون بها كلّ ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة: رجال الحدِّ والباطن والظاهر، وهم أعظم الرجال، وهم الملاميّة، هذا في قوّتهم، وما يظهر عليهم من ذلك شيء، منهم: أبو السعود وغيره؛ فهم والعامّة في ظهور العجز وظاهر العوائد سَوَاء.

وكان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميُّز، بل كان من أكبرهم، وسمعه أبو البدر على ما حدّثنا مشافهة يقول: إنّ من رجال الله من يتكلّم على الخاطر، وما هو مع الخاطر. أي لا علم له بصاحبه، ولا يقصد التعريف به. ولَمّا وصف لنا عمر البزّاز وأبو البدر وغيرهما حالَ هذا الشيخ، رأيناه يجري مع أحوال هذا الصنف العالي من رجال الله. قال لي أبو البدر: كان كثيرا ما ينشد بيتا لم نسمع منه غيره وهو(٥):

وَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ دُونِ إِخْمَصَكِ الحَشْرُ

---

(١) [الحديد: ١٣]
(٢) [الرحمن: ٢٠]
(٣) [الأعراف: ١٥٦]
(٤) ص ٥٥ب
(٥) البيت للشاعر أَبي تمّام؛ سبق تعريفه في السفر الثاني.

وكان يقول: "ما هو إلّا الصلوات الخمس، وانتظار الموت". وتحت هذا الكلام علم كبير. وكان يقول: "الرَّجل مع الله -تعالى- كساعي[١] الطير: فَمٌ مشغول، وقدم تسعى." وهذا كلّه أكبر حالات الرجال مع الله، إذ الكبير من الرجال من يعامل كلّ موطن بما يستحقّه، وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقّق إلّا بما ذكره هذا الشيخ، فإذا ظهر في هذه الدار مِن رجلٍ خلاف هذه المعاملة، عُلِم أنّ ثَمّ نفْسا ولا بدّ، إلّا أن يكون مأمورا بما ظهر منه، وهم الرسل والأنبياء -عليهم السلام-. وقد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقتٍ بذلك، وهو مكر خفيٌّ؛ فإنّه انفصال عن مقام العبوديّة التي خُلق الإنسان لها.

وأمّا سرّ المنزل والمنازل: فهو ظهور الحقّ بالتجلّي في صور كلّ ما سِوَاهُ، فلولا تجلّيه لكلّ شيء ما ظهرت شيئيّة ذلك الشيء. قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾[٢] فقوله: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ هو التوجّه الإلهيّ لإيجاد ذلك الشيء، ثمّ قال: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ فنفس سماع ذلك الشيء خطاب الحقّ (هو) تكوُّن ذلك الشيء، فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد، فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى، بوجود الواحد في هذه المنازل. ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد، ولا كان لها اسم. ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة[٣]، ما ظهر لذاك العدد عين، فلا تجتمع عينه واسمه معا أبدا، فيقال: اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، إلى ما لا يتناهى، وكلّ ما أسقطت واحدا من عدد معيّن زال اسم ذلك العدد، وزالت حقيقته. فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد، وباسمه يعدمها.

كذلك إذا قلت: "القديم" فنيَ المحدَث، وإذا قلت: "الله" فنيَ العالَم، وإذا أخليتَ العالَم مِن حفظ الله لم يكن للعالَم وجودٌ وَفَنِيَ، وإذا سرى حفظُ الله في العالَم بقي العالَم موجودا. فبظهوره وتجلّيه يكون العالَم باقيا. وعلى هذه الطريقة أصحابنا، وهي طريقة النبوّة، والمتكلّمون من الأشاعرة أيضا عليها، وهم القائلون بانعدام الأعراض لأنفسها، وبهذا يصحّ افتقار العالَم إلى الله في بقائه في كلّ نَفَس، ولا يزال الله خلّاقا على الدوام. وغيرهم من أهل النظر لا يصحّ لهم هذا المقام. وأخبرني جماعة من أهل النظر من علماء الرسوم أنّ طائفة من الحكماء عثروا على

(١) ص ٥٦
(٢) [النحل: ٤٠]
(٣) ص ٥٦ب

هذا، ورأيته مذهبا لابن السيّد البطليوسي في كتاب ألّفه في هذا الفنّ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

(١) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب السادس والعشرون
في[1] معرفة أقطاب الرموز، وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق

أَلا إِنَّ الرُّمُوزَ دَلِيْلُ صِــدْقٍ ... عَلَى المَعْنَى المُغَيَّبِ فِي الفُؤَادِ
وإِنَّ العَـالَـمِيْنَ لَهُ رُمُـوزٌ ... وأَلْغَـازٌ لِيُـدْعَى بالعِبَـادِ
وَلَوْلا اللُّغْزُ كانَ القَوْلُ كُفْرًا ... وأَدَّى العـالِمِيْنَ إِلَى العِنَـادِ
فَهُمْ بِالرَّمْزِ قَدْ حَسِبُوا فَقَالُوا ... بِإِهْرَاقِ الدِّمَاءِ وبِالفَسَـــادِ
فَكَيْفَ بِنا لَوَ انَّ الأمرَ يَبْدُو ... بِلَا سِتْرٍ يَكُونُ لَهُ اسْتِنَادِي
لَقَامَ بِنا الشَّـــقَاءُ هُنَا يَقِيْنًا ... وَعِنْدَ البَعْـثِ فِي يَوْمِ التَّنَادِ
ولَكِنَّ الغَفُورَ أَقَـامَ سِـــتْرًا ... لِيُسْـعِدَنَا عَلَى رَغْمِ الأَعَادِي

اعلم -أيّها الوليّ الحميم؛ أيّدك الله بروح القدس وفهّمك[2]- أنّ الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسِها، وإنما هي مرادة لما رُمِزَتْ له، ولِمَا أُلْغِزَ فيها، ومواضعها من القرآن: آياتُ الاعتبار كلُّها، والتنبيه على ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[3] فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها، وإنما جاءت لِيُعْلَمَ منها ما ضُرِبَتْ له، وما نُصِبَتْ من أجله مثلا، مثل قوله -تعالى-: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ﴾[4] فجعله كالباطل كما قال: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُۚ﴾[5] ثمّ قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾[6]

(١) ص ٥٧، ومكتوب بالهامش بقلم الشيخ ابن العربي: "بلغ قراءة الظهير محمود عليّ، وكتبه ابن العربي".
(٢) ص ٥٧ب
(٣) [العنكبوت: ٤٣]
(٤) [الرعد: ١٧]، ولفظ "توقدون" وفقا لقراءة ورش عن نافع، وعند حفص: "يوقدون".
(٥) [الإسراء: ٨١]
(٦) [الرعد: ١٧]

ضربه مثلا للحقّ ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[١].

وقال: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٢] أي تعجّبوا وجوزوا واعبروا إلى ما أردته بهذا التعريف و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٣] مِن عَبَرْتَ الوادي إذا جُزْتَهُ.

وكذلك الإشارة والايماء، قال -تعالى- لنبيّه زكريا: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾[٤] أي بالإشارة، وكذلك ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾[٥] في قصّة مريم، لَمّا نذرَتْ للرحمن أن تمسك عن الكلام.

ولهذا العلمِ رجالٌ، كبيرٌ قَدْرُهُمْ، من أسرارهم: سرّ[٦] الأزل والأبد والحال والخيال والرؤيا والبرازخ وأمثال هذه من النِّسب الإلهيّة، ومن علومهم خواصّ العلم بالحروف والأسماء، والخواصّ المركّبة والمفرَدة من كلّ شيء من العالَم الطبيعيّ، وهي الطبيعة المجهولة.

فأمّا علم سرّ الأزل: فاعلم أنّ الأزل عبارة عن نفي الأوّليّة لمن يوصف به، وهو وصفٌ لله -تعالى- من كونه إلها، وإذا انتفت الأوّليّة عنه -تعالى- من كونه إلها، فهو المسمّى بكلّ اسم سمّى به نفسَه أزلا، من كونه متكلّما، فهو: العالِم الحيّ المريد القادر السميع البصير المتكلّم الخالق البارئ المصوّر الملِك، لم يزل مسمّى بهذه الأسماء، وانتفت عنه أوّليّة التقييد، فسمع المسموع، وأبصر المبصَر إلى غير ذلك: وأعيان المسموعات منّا، والمبصَرات معدومة غير موجودة، وهو يراها أزلا، كما يعلمها أزلا ويميّزها ويفصّلها أزلا، ولا عين لها في الوجود النفسيّ العينيّ، بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان.

فالإمكانيّة لها أزلا كما هي لها حالا وأبدا، لم تكن قطّ واجبةً لنفسها، ثمّ عادت ممكنة. ولا مُحالا ثمّ عادت ممكنةً. بل كما[٧] كان الوجوب الوجوديّ الذاتي لله -تعالى- أزلا، كذلك وجوب الإمكان للعالَم أزلا. فالله في[٨] مرتبته بأسمائه الحسنى، يسمّى منعوتا موصوفا بها.

---

(١) [الرعد: ١٧]
(٢) [الحشر: ٢]
(٣) [آل عمران: ١٣]
(٤) [آل عمران: ٤١]
(٥) [مريم: ٢٩]
(٦) ص ٥٨
(٧) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٨) ص ٥٨ب

فعين نسبة الأوّل له (هي عين) نسبة الآخر والظاهر والباطن، لا يقال: هو أوّل بنسبة كذا، ولا آخر بنسبة كذا. فإنّ الممكن مرتبط بواجب الوجود في وجوده وعدمه، ارتباط افتقار إليه في وجوده، فإن أوجده لم يزَل (الممكن) في إمكانه، وإن عدم لم يزُل عن إمكانه. فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه، بعد أن كان معدوما، صفةٌ تزيله عن إمكانه، كذلك لم يدخل على الخالق، الواجب الوجود في إيجاده العالَم، وصفٌ يزيله عن وجوب وجوده لنفسه. فلا يُعقل الحقّ إلّا هكذا، ولا يُعقل الممكن إلّا هكذا.

فإن فهمتَ علمتَ معنى الحدوث ومعنى القِدم. فقل بعد ذلك ما شئت. فأوّليّة العالَم وآخريّته أمرٌ إضافي إن كان له آخر، أمّا في الوجود فله آخر في كلّ زمان فرد، و(له) انتهاء عند أرباب الكشف، ووافقتهم الحُسبانيّة على ذلك، كما وافقتهم الأشاعرة على أنّ العرَض لا يبقى زمانين: فالأوّل من العالَم (هو) بالنسبة إلى ما يُخْلَقُ بعده، والآخر من العالَم (هو) بالنسبة إلى ما خُلِقَ قَبْلُه. وليس كذلك معقوليّة الاسم الله بالأوّل والآخر والظاهر والباطن. فإنّ العالَم يتعدّد، والحقّ واحد لا يتعدّد، ولا يصحّ أن يكون أوّلا لنا؛ فإنّ رتبته لا تناسب رتبتنا، ولا تقبل رتبتنا أوّليّته، ولو[1] قَبِلتْ رتبتُنا أوّليّتَه لاستحال علينا اسم الأوّليّة، بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لأوّليّته، ولسنا بثانٍ له -تعالى عن ذلك-، فليس هو بأوّل لنا؛ فلهذا كان عينُ أوّليّته (هو) عين آخريّته.

وهذا المَدْرَكُ عزيزُ المنال، يتعذَّر تصوُّرُه على مَن لا أَنَسَةَ له بالعلوم الإلهيّة التي يعطيها التجلّي والنظر الصحيح، وإليه كان يشير أبو سعيد الخرّاز بقوله: "عرفت الله بجمعه بين الضدّين" ثمّ يتلو: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[2]، فقد أَبَنْتُ لك عن سِرِّ الأزل، وأنّه نعتٌ سلبيٌّ.

وأمّا سرُّ الأبد: فهو نفي الآخريّة. فكما أنّ الممكن انتفت عنه الآخريّة شرعا، من حيث الجملة، إذ الجنّة والإقامة فيها إلى غير نهاية، كذلك الأوّليّة بالنِّسبة إلى ترتيب الموجودات الزمانيّة (هي) معقولة موجودة، فالعالَم بذلك الاعتبار الإلهيّ لا يقال فيه أوّل ولا آخِر، وبالاعتبار

(١) ص ٥٩
(٢) [الحديد: ٣]

الثاني هو أوّلٌ وآخِرٌ بنِسبتين مختلفتين، بخلاف ذلك، في إطلاقها على الحقّ عند العلماء بالله.

وأمّا سِرُّ الحال: فهو الديمومة وما لها أوّل ولا آخر، وهو عين وجود كلّ موجود، فقد عرّفْتُك ببعض ما يعلمه رجال الرموز من الأسرار، وسَكَتُّ عن كثير، فإنّ بابه واسع، وعلم الرؤيا والبرزخ والنِّسب الإلهيّة من هذا القبيل(١)، والكلام فيها يطول.

وأمّا علومهم في الحروف والأسماء: فاعلم أنّ الحروف لها خواصّ، وهي على ثلاثة أَضْرُب: منها حروف رقميّة ولفظيّة ومستحضَرة، وأعني بالمستحضَرة: الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه وخياله ويصوِّرها، فإمّا أن يستحضر الحروف الرقميّة، أو الحروف اللفظيّة، وما ثَمّ للحروف رتبة أخرى، فيفعل بالاستحضار كما يفعل بالكتابة(٢) أو التلفّظ.

فأمّا حروف التلفّظ فلا تكون إلّا أسماء، فذلك خواصّ الأسماء، وأمّا المرقومة فقد لا تكون أسماء.

واختلف أصحاب هذا العلم في الحرف الواحد، هل يفعل أم لا؟ فرأيت منهم مَن منع، من ذلك جماعة، ولا شكّ أنّي لَمّا خضت معهم في مثل هذا، أوقفتهم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه وإصابتِهم، وما (الذي) نَقَصهم من العبارة عن ذلك.

ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد، وهؤلاء أيضا مثل الذين مَنعوا؛ مخطئون ومصيبون. ورأيت منهم جماعة، وأعلمتهم بموضع الغلط والإصابة، فاعترفوا كما اعترف الآخرون، وقلت للطائفتين: جرِّبوا ما عرفتم من ذلك على ما بيّنّاه لكم. فجرّبوه فوجدوا الأمر كما ذكرناه، ففرحوا بذلك. ولولا أنّي آليت عقدًا أن لا يظهر مِنّي أثرٌ عن حرف، لأريتهم من ذلك عجبا.

فاعلم أنّ الحرف(٣) الواحد، سَوَاء كان مرقوما أو متلفَّظا به، إذا عَرِي القاصدُ للعمل به عن استحضاره في الرقم أو في اللفظ خيالا لم يعمل، وإذا كان معه الاستحضار عَمِل، فإنّه مركّب من استحضارٍ ونطق أو رقم، وغاب عن الطائفتين صورة الاستحضار مع الحرف الواحد، فمن اتّفق له الاستحضار مع الحرف الواحد، ورأى العمل (به)، غفل عن الاستحضار ونَسب

(١) ص ٥٩ب
(٢) ق، هـ: بالكتاب
(٣) ص ٦٠

العمل للحرف الواحد. ومن اتّفق له التلفّظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضار، فلم يعمل الحرف شيئا، قال بمنع ذلك. وما واحد منهم تفطّن لمعنى الاستحضار، وهذه حروف الأمثال المركّبة كالواوين وغيرها. فلمّا نبّهناهم على مثل هذا جرّبوا ذلك؛ فوجدوه صحيحا. وهو علم ممقوت عقلا وشرعا.

فأمّا الحروف اللفظيّة: فإنّ لها مراتب في العمل، وبعض الحروف أعمّ عملا من بعض وأكثر، فالواو أعمّ الحروف عملا، لأنّ الواو[1] فيها قوّة الحروف كلّها، والهاء أقلّ الحروف عملا، وما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ما قرّرناه في كتاب "المبادي والغايات فيما تتضمّنه حروف المعجم من العجائب والآيات".

وهذا العلم يسمّى علم الأولياء، وبه تظهر أعيان الكائنات. ألا ترى تنبيه الحقّ على ذلك بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ[2]﴾[3] فظهر الكون عن الحروف، ومن هنا جعله الترمذي علم الأولياء، ومن هنا مَنع مَن مَنع أن يعمل الحرف الواحد، فإنّه رأى مع الاقتدار الإلهيّ لم يأت في الإيجاد حرف واحد، وإنما أتى بثلاثة أحرف: حرف غيبيّ وحرفين ظاهرين، إذا كان الكائن واحدا، فإن زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف. فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الباب.

وعمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا، وأخطؤوا فيه وما صحّ، فلا أدري أبالقصد عملوا ذلك، حتى يتركوا الناس في عماية من هذا العلم؟ أم جهلوا ذلك وجرى فيه المتأخّر على سنن المتقدّم؟ وبه قال تلميذ جعفر الصادق وغيره، وهذا هو الجدول في طبائع الحروف:

حار	بارد	يابس	رطب
ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل

(١) ثابتة في الهامش.
(٢) ص ٦٠ب
(٣) [البقرة: ١١٧]

م ن س ع

ف ص ق ر

ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

فكلّ[1] حرف وقع في جدول الحرارة فهو حارّ، وما وقع منها في جدول البرودة فهو بارد، وكذلك اليبوسة والرطوبة، ولم نر هذا الترتيب يصيب في كلّ عمل، بل يعمل بالاتّفاق كأعداد الوِفْقِ.

واعلم أنّ هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصيّة من كونها حروفا، وإنما كان لها من كونها أشكالا. فلمّا كانت ذوات أشكال، كانت الخاصيّة للشكل. ولهذا يختلف عملها باختلاف الأقلام، لأنّ الأشكال تختلف: فأمّا الرقميّة، فأشكالها محسوسة بالبصر، فإذا وُجِدَتْ أعيانُها، وصَحِبَتْها[2] أرواحُها وحياتُها الذاتيّة، كانت الخاصيّة لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه. وكذلك إن كان الشكل مركّبا من حرفين أو ثلاثة أو أكثر، كان للشكل روح آخر ليس الروح الذي كان للحرف على انفراده، فإنّ ذلك الروح يذهب وتبقى حياة الحرف معه، فإنّ الشكل لا يدبّره سِوَى روح واحد، وينتقل روح ذلك الحرف الواحد إلى البرزخ مع الأرواح، فإنّ موت الشكل زواله بالمحو. وهذا الشكل الآخر المركّب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان، ليس هو عين الحرف الأوّل الذي لم يكن مركّبا، (كما) إنّ عمرا ليس هو عين زيد، وإن كان مثله.

وأمّا[3] الحروف اللفظيّة: فإنّها تتشكل في الهواء ولهذا تتّصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلّم، فإذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحُها، وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلَها، وإن انقضى عملُها، فإنّ عملَها إنما يكون في أوّل ما تتشكل في الهواء، ثمّ بعد ذلك تلتحق بسائر الأمم، فيكون شغلها تسبيح ربّها وتصعد علوّا ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4] وهو عين

(١) ص ٦١
(٢) ق: صحبتها
(٣) ص ٦١ب
(٤) [فاطر: ١٠]

شكل الكلمة، من حيث ما هي شكلٌ مسبّح لله -تعالى-، ولو كانت كلمة كُفْر، فإنّ ذلك يعود وباله على المتكلّم بها لا عليها، ولهذا قال الشارع: «إنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة من سخط الله ما لا يظنّ أن تبلغ ما بلغتْ فيهوي بها في النار سبعين خريفا» فجعل العقوبة للمتلفّظ بها بسببها وما تعرّض إليها.

فهذا كلام الله -سبحانه-، يعظَّم ويمجَّد ويقدّس المكتوب في المصاحف، ويُقرأ على جهة القربة إلى الله، وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حقّ الله من الكفر والسبّ، وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها، وبقيت الكلمات على بابها، تتولّى يوم القيامة عذابَ أصحابها أو نعيمهم.

وهذه الحروف الهوائيّة اللفظيّة لا يدركها موتٌ بعد وجودها، بخلاف الحروف الرقميّة، وذلك[1] لأنّ شكل الحرف الرقمي والكلمة الرقميّة، تقبل التغيير والزوال، لأنّه في محلٍّ يقبل ذلك. والأشكال اللفظيّة في محلٍّ لا يقبل ذلك، ولهذا كان لها البقاء، فالجوّ كلّه مملوء من كلام العالَم، يراه صاحب الكشف صوَرا قائمة.

وأمّا الحروف المستحضَرة فإنّها باقية، إذ كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحسّ، وفِعلُها أقوى من فعل سائر الحروف، ولكن إذا استحكم سلطان استحضارها واتّحد المستحضر لها ولم يبق فيه متّسع لغيرها ويعلم ما هي خاصّيّتها حتى يستحضرها من أجل ذلك، فيرى أثرها. فهذا شبيه الفعل بالهمّة. وإن لم يعلم ما تعطيه، فإنّه يقع الفعل في الوجود ولا علم له به. وكذلك سائر أشكال الحروف في كلّ مرتبة. وهذا الفعل بالحرف المستحضر يعبِّر عنه بعضُ مَن لا علم له بالهمّة وبالصدق، وليس كذلك، وإن كانت الهمّة روحا للحرف المستحضَر لا عين الشكل المستحضَر. وهذه الحضرة تعمّ الحروف كلّها لفظيًّا ورقميًّا.

فإذا علمتَ خواصّ الأشكال وقع الفعل بها علما لكاتبها أو المتلفِّظ بها، وإن لم يعيّن ما هي مرتبطة به من الانفعالات، لا يعلم ذلك. وقد رأينا مَن قرأ آية من القرآن وما عنده خبرٌ، فرأى[2] أثرا غريبا حدث، وكان ذا فطنة، فرجع في تلاوته من قريب، لينظر ذلك الأثر بأيّة آية

---

(١) ص ٦٢

(٢) ص ٦٢ب

يختصّ، فجعل يقرأ وينظر، فمرّ بالآية التي لها ذلك الأثر، فرأى الفعل، فتعدّاها، فلم ير ذلك الأثر، فعاود ذلك مرارا حتى تحقّقه، فاتّخذها لذلك الانفعال، ورجع كلّما أراد أن يرى ذلك الانفعال، تلا تلك الآية فظهر له ذلك الأثر.

وهو علم شريف في نفسه، إلّا أنّ السلامة منه عزيزة، فالأَوْلَى ترك طلبه، فإنّه من العلم الذي اختصّه[1] الله به وأولياءه على الجملة، وإن كان عند بعض الناس منه قليل، ولكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون، ولهذا يشقى به مَن هو عنده ولا يسعد. فالله يجعلنا من العلماء بالله ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

---

(١) س، ه، (مع تعديل لاحق بخط باهت في ق): اختص
(٢) [الأحزاب: ٤]

الباب السابع والعشرون
في معرفة أقطاب: "صِلْ فقد نَوَيْتُ وِصَالَكَ"
وهو من منزل العالَم النورانيّ

فَلَوْلا[1] النُّورُ ما اتَّصَلَتْ عُيُونٌ ... بِعَيْنِ المُبْصَراتِ وَلا رَأَتْها
ولَوْلا الحَقُّ ما اتَّصَلَتْ عُقُولٌ ... بِأَعْيانِ الأُمُورِ فَأَدْرَكَتْها
إذا[2] سُئِلَتْ عُقُولٌ عَنْ ذَوَاتٍ ... تُعَدُّ مُغَايِراتٍ أَنْكَرَتْها
وَقالَتْ: ما عَلِمْنا غَيْرَ ذَاتٍ ... تُمِدُّ ذَواتِ خَلْقٍ أَظْهَرَتْها
هِيَ المَعْنَى وَنَحْنُ لَهَا حُرُوفٌ ... فَمَهْمَا عَيَّنَتْ أَمْرًا عَنَتْها

اعلم -أيّها الوليّ الحميم؛ تولّاك الله بعنايته- أنّ الله -تعالى- يقول في كتابه العزيز: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3] فقدَّم محبّته إيّاهم على محبّتهم إيّاه، وقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾[4] فقدّم إجابته لنا إذا دعوناه، على إجابتنا له إذا دعانا، وجعل الاستجابة من العبيد، لأنّها أبلغ من الإجابة، فإنّه لا مانع له من الإجابة سبحانه، فلا فائدة للتأكيد وللإنسان موانع من الإجابة لِما دعاه الله إليه، وهي: الهوى والنفس والشيطان والدنيا، فلذلك أُمِر بالاستجابة، فإنّ الاستفعال أشدّ في المبالغة من الإفعال، وأين الاستخراج من الإخراج؟، ولهذا يطلب الكونُ من الله العونَ في أفعاله، ويستحيل على الله أن يستعين بمخلوق، قال -تعالى- تعليما لنا أن نقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ[5]﴾[6] من هذا الباب. فلهذا قال في هذا الباب: "صِلْ فقد نويت وصالك" فقد قدّم الإرادة منه لذلك، فقال: صِلْ. فإذا تعمَّلت في الوصلة، فذلك عين وصلته بك، فلذلك جعلها نيّة لا عملا.

قال رسول الله ﷺ: يقول الله -تعالى-: «مَن تقرّب إليّ شبرا تقرّبت منه ذراعا» وهذا قُرْبٌ

---

(١) ربما كانت في ق: "ولولا".
(٢) ص ٦٣
(٣) [المائدة: ٥٤]
(٤) [البقرة: ١٨٦] وهي هنا وفقا لقراءة ورش
(٥) ص ٦٣ب
(٦) [الفاتحة: ٥]

مخصوص يرجع إلى ما تتقرّب إليه -سبحانه- به من الأعمال والأحوال، فإنّ القرب العام قوله -تعالى-: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾[1] ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾[2] فضاعَف القرب بالذراع، فإنّ الذراع ضعفٌ للشبر، أي قوله: "صِلْ" هو قرب، ثمّ "تقرّبت إليه شبرا" فبدا لك أنّك ما تقرّبت إليه إلّا به: لأنّه لولا ما دعاك، وبيّن لك طريق القربة، وأخذ بناصيتك فيها، ما تمكن لك أن تعرف الطريق، التي تُقَرِّبُ منه، ما هي؟ ولو عرفتها لم يكن لك حولٌ ولا قوّة إلّا به.

ولَمّا كان القرب بالسلوك والسفر إليه، لذلك كان من صفته النور، لنهتدي به في الطريق كما قال -تعالى-: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ﴾[3] وهو السلوك الظاهر بالأعمال البدنيّة ﴿وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ وهو السلوك الباطن المعنويّ بالأعمال النفسيّة. فأصحاب هذا الباب معارفهم مكتسَبة لا موهوبة، وأكلهم من تحت أقدامهم؛ أي من كسبهم لها[4] واجتهادهم في تحصيلها. ولولا ما أرادهم الحقّ لذلك، ما وفّقهم ولا استعملهم حين طرد غيرهم بالمعنى ودعاهم بالأمر، فحرمهم الوصول بحرمانه إيّاهم استعمال الأسباب التي جعلها طريقا إلى الوصول من حضرة القرب، ولذلك بشّرهم فقال: "صِلْ فقد نويت وِصالك" فسبقت لهم العناية فسلكوا.

وهم الذين أمرهم الله بلباس النعلين في الصلاة، إذ كان القاعد لا يلبس النعلين، وإنما وُضِعت للماشي فيها، فدلّ أنّ المصلّي يمشي في صلاته، ومناجاة ربّه في الآيات التي يناجيه فيها، منزلا منزلا: كلّ آية منزل وحال. فقال لهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[5] قال الصاحب[6]: لَمّا نزلت هذه الآية أُمرنا فيها بالصلاة في النعلين. فكان ذلك تنبيها من الله -تعالى- للمصلّي، أنّه يمشي على منازل ما يتلوه في صلاته من سور القرآن، إذ كانت السور هي المنازل لغة، قال النابغة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُوْرَةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُوْنَهَا يَتَذَبْذَبُ

(١) [ق: ١٦]
(٢) [الواقعة: ٨٥]
(٣) [الأنعام: ٩٧]
(٤) ص ٦٤
(٥) [الأعراف: ٣١]
(٦) الصاحب: الصحابي

أراد منزلة، وقيل لموسى عليه السلام: ﴿ٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[1] أي قد وصلتَ المنزل، فإنّه كلّمه الله بغير واسطة، بكلامه -سبحانه- بلا[2] ترجمان، ولذلك أكّده في التعريف لنا بالمصدر فقال -تعالى-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[3].

ومَن وصل إلى المنزل خلع نعليه، فبانتْ رتبة المصلّي بالنعلين، وما معنى المناجاة في الصلاة، وأنّها ليست بمعنى الكلام الذي حصل لموسى عليه السلام فإنّه قال في المصلّي: يناجي. والمناجاة فعل فاعلَين، فلا بدّ من لباس النعلين، إذ كان المصلِّي متردِّدا بين حقيقتين، والتردُّد بين أمرين يعطي المشي بينهما بالمعنى، دلّ عليه باللفظ "لباس النعلين" ودلّ عليه قول الله -تعالى- بترجمة النبيّ ﷺ عنه: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» ثمّ قال: يقول العبد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4] فوصفه أنّ العبد مع نفسه في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يُسْمِعُ خالقَه ومناجيَه.

ثمّ يرحل العبد من منزل "قوله" إلى منزل "سمعه" ليَسمع ما يجيبه الحقُّ -تعالى- على قوله، وهذا هو السفر، فلهذا لبس نعليه ليسلك بهما الطريق الذي بين هذين المنزلين، فإذا رحل إلى "منزل سمعه" سمع الحقَّ يقول له: «حمدني عبدي». فيرحل من "منزل سمعه" إلى "منزل قوله" فيقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[5]، فإذا فرغ رحل إلى "منزل سمعه" فإذا نزل سمِع الحقّ -تعالى- يقول له: «أثنى عليّ عبدي»، فلا يزال متردّدا في مناجاته قولا.

ثمّ له رحلة أخرى[6] من حال قيامه في الصلاة إلى حال ركوعه، فيرحل من صفة القيّوميّة إلى صفة العظمة، فيقول: "سبحان ربّي العظيم وبحمده"، ثمّ يرفع -وهو رحلته من مقام التعظيم إلى مقام النيابة- فيقول: «سمع الله لمن حمده» قال النبيّ ﷺ: «إنّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده. فقولوا: ربّنا لك الحمد» فلهذا جعلنا الرفع من الركوع نيابة عن الحقّ، ورجوعا إلى القيّوميّة. فإذا سجد اندرجت العظمة في الرفعة الإلهيّة، فيقول الساجد: "سبحان ربّي الأعلى

---

(١) [طه: ١٢]
(٢) ص ٦٤ب
(٣) [النساء: ١٦٤]
(٤) [الفاتحة: ٢]
(٥) [الفاتحة: ٣]
(٦) ص ٦٥

وبحمده" فإنّ السجود يناقض العلوّ. فإذَنْ خلّص العلوّ لله. ثمّ إنّه رفع رأسه من السجود واستوى جالسا، وهو قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(١)] فيقول: "ربّ اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني وعافني واعف عني".

فهذه كلّها منازل ومناهل في الصلاة فعلا، فهو مسافر من حال إلى حال. فمن كان حاله السفر دائما، كيف لا يقال له: "البس نعليك" أي استعن في سيرك بالكتاب والسنّة، وهي زينة كلّ مسجد، فإنّ أحوال الصلاة، وما يطرأ فيها من كلام الله، وما يتعرّض في ذلك من الشُّبه في غوامض الآيات المتلوّة، وكون الإنسان في الصلاة يجعل الله في قِبلته، فيجده، فهذه كلّها بمنزلة[(٢)] الشوك والوعْر الذي يكون بالطريق، ولا سيّمَا طريق التكليف. فأُمر بلباس النعلين ليتّقي بهما ما ذكرناه من الأذى لقدمي السالك، اللتين هما عبارة عن ظاهره وباطنه، فلهذا جعلناهما الكتاب والسنّة.

وأمّا نعلا موسى عليه السلام فليستا هذه، فإنّه قال له ربّه: ﴿ٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾[(٣)] فروينا أنهما كانتا من جلد حمار ميّت، فجمعت ثلاثة أشياء: الشيء الواحد: الجِلد، وهو ظاهر الأمر، أي لا تقف مع الظاهر في كلّ الأحوال. والثاني: البلادة فإنّها منسوبة إلى الحمار. والثالث: كونه ميّتا غير مذكّى، والموتُ (هو) الجهل. وإذا كنت ميّتا لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك، والمناجي لا بدّ أن يكون بصفة من يَعقل ما يقول ويقال له، فيكون حيَّ القلب، فطِنا بمواقع الكلام، غوّاصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها، فإذا فرغ من صلاته سلّم على من حضر سلام القادم من عند ربّه إلى قومه بما أتحفه به.

فقد نبّهتُك على سرّ لباس النعلين في الصلاة في ظاهر الأمر، وما المراد بهما عند أهل طريق الله -تعالى- من العارفين. قال ﷺ: «الصلاة نور» والنور يهتدى به، واسم الصلاة مأخوذة من[(٤)] المصلّي، وهو المتأخّر الذي يلي السابق في الحلبة، ولهذا تَرجم هذا الباب بالوُصلة، وجعله من عالَم النور.

---

(١) [طه: ٥]
(٢) ص ٦٥ب
(٣) [طه: ١٢]
(٤) ص ٦٦

ولأهل هذا المشهد نور خلع النعلين، ونور لباس النعلين، فهم المحمديون الموسويون، يخاطَبون من شجر الخلاف، بلسان النور المشبَّه بالمصباح، وهو نور ظاهر يمدّه نور باطن في زيت من "شجرة زيتونة مباركة" في خطّ الاعتدال، منزّهة عن تأثير الجهات، كما كان الكلام لموسى عليه السلام من شجرة. فهو نور[1] على نور، أي نور من نور. فأبدل حرف "من" بـ"على" لِما يفهم به من قرينة الحال. وقد تكون "على" على بابها، فإنّ نور السراج الظاهر يعلو حسًّا على نور الزيت الباطن، وهو الممدّ للمصباح، فلولا رطوبة الدهن ما تُمِدُّ المصباح، لم يكن للمصباح ذلك الدوام.

وكذلك (لولا)[2] إمداد التّقوى للعلم العرفانيّ الحاصل منها، في قوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[3] وقوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[4] لانْقَطَعَ ذلك العلم الإلهيّ. فنورُ الزيت باطنٌ في الزيت، محمول فيه، يسري منه معنى لطيف في رقيقة من رقائق الغيب لبقاء نور المصباح.

ولأقطاب هذا المقام أسرار، منها: سرّ الإمداد، وسرّ النكاح، وسرّ الجوارح، وسرّ[5] الغيرة، وسرّ العِنّين، وهو الذي لا يقوم بالنكاح، وسرّ دائرة الزمهرير، وسرّ وجود الحقّ في السراب، وسرّ الحجب الإلهيّة، وسرّ نطق الطير والحيوان، وسرّ البلوغ، وسرّ الصِّدِيْقِين. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[6].

---

(١) ثابتة في الهامش.
(٢) لم ترد في ق وكذا في هـ، وأثبتناها من س
(٣) [البقرة: ٢٨٢]
(٤) [الأنفال: ٢٩]
(٥) ص ٦٦ب
(٦) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الثامن والعشرون
في معرفة أقطاب "ألم تر كيف"

العِلْمُ بِالكَيْفِ مَجْهُولٌ وَمَعْلُومُ	لَكِنَّهُ بِوُجُودِ الحَقِّ مَوْسُومُ
فَظَاهِرُ الكَوْنِ تَكْيِيفٌ وَبَاطِنُهُ	عِلْمٌ يُشَارُ إِلَيْهِ فَهْوَ مَكْتُومُ
مِنْ أَعْجَبِ الأَمْرِ أَنَّ الجَهْلَ مِنْ صِفَتِي	بِمَا لَنَا فَهْوَ فِي التَّحْقِيقِ مَعْلُومُ
وَكَيْفَ أُدْرِكُ مَنْ بِالعَجْزِ أُدْرِكُهُ	وَكَيْفَ أَجْهَلُهُ والجَهْلُ مَعْدُومُ
قَدْ حِرْتُ فِيْهِ وفِي أَمْرِي وَلَسْتُ أَنَا	سِوَاهُ فَالخَلْقُ ظَلَّامٌ ومَظْلُومُ
إنْ قُلْتُ: إِنِّي، يَقُولُ الإِنُّ مِنْهُ: أَنَا	أَوْ قُلْتُ: إِنَّكَ قَالَ الإِنُّ: مَفْهُومُ
فَالحَمْدُ[1] للهِ لا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا	وإِنَّمَا الرِّزْقُ بِالتَّقْدِيرِ مَقْسُومُ

اعلم أنّ أمّهات المطالب أربعة، وهي: "هل" سؤالٌ عن الوجود. و"ما" وهو سؤالٌ عن الحقيقة التي يعبَّر عنها بالماهيّة، و"كيف" وهو سؤالٌ عن الحال. و"لِمَ" وهو سؤالٌ عن العلّة والسبب. واختلف الناس فيما يصحّ منها أن يسأل بها عن الحقّ، واتّفقوا على كلمة "هل" فإنّه يُتصوّر أن يُسأل بها عن الحقّ، واختلفوا فيما بقي: فمنهم من منع، ومنهم من أجاز. فالذي منع - وهم الفلاسفة وجماعة من الطائفة- منعوا ذلك عقلا، ومنهم من منع ذلك شرعا.

فأمّا صورةُ منعِهم عقلا: أنّهم قالوا في مطلب "ما" إنّه سؤال عن الماهيّة، فهو سؤال عن الحدِّ، والحقُّ -سبحانه- لا حدَّ له، إذ كان الحدُّ مركّبا من جنس وفصل، وهذا ممنوع في حقّ الحقّ، لأنّ ذاتَه غيرُ مركّبة من أمر يقع فيه الاشتراك، فتكون به في الجنس. وأمرٍ يقع به الامتياز، وما ثمّ إلّا الله والخلق، ولا مناسبة بين الله والعالَم، ولا الصانع والمصنوع، فلا مشاركة، فلا جنس، فلا فصل.

والذي أجاز ذلك عقلا ومنعه شرعا؛ قال: لا أقول إنّ[2] الحدّ مركّب من جنس وفصل، بل

---

(١) ص ٦٧

(٢) ص ٦٧ب

أقول إنّ السؤال بـــ"ما" يطلب به العِلم بحقيقة المسئول عنه، ولا بدّ لكلّ معلوم أو مذكور من حقيقة يكون في نفسه عليها، سَوَاء كان على حقيقة يقع له فيها الاشتراك، أو يكون على حقيقة لا يقع له فيها الاشتراك. فالسؤال بـ"ما" يُتصوّر؛ ولكن ما ورد به الشرع، فمنعْنا من السؤال به عن الحقّ، لقوله -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[١].

وأمّا منعهم الكيفيّة، وهو السؤال بـــ"كيف" فانقسموا أيضا قسمين: فمن قائل: إنّه -سبحانه- ما له كيفيّة لأنّ الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا، وإذا قام بذاته أمر وجوديّ زائد على ذاته، أدّى إلى وجودِ واجِبَي الوجود لذاتهما أزلا، وقد قام الدليل على إحالة ذلك، وأنّه لا واجب إلّا هو لذاته، فاستحالت الكيفيّة عقلا. ومِن قائل: إنّ له كيفيّة ولكن لا تُعلم؛ فهي ممنوعة شرعا لا عقلا، لأنّها خارجة عن الكيفيّات المعقولة عندنا، فلا تُعلم، وقد قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٢] يعني في كلّ ما يُنسب إليه مما نسبه لنفسه، يقول: هو على ما تنسبه إلى الحقّ، و[٣]إن وقع الاشتراك في اللفظ؛ فالمعنى مختلفٌ.

وأمّا السؤال بـــ"لِمَ" فممنوع أيضا؛ لأنّ أفعال الله -تعالى- لا تُعلَّل، لأنّ العلّة موجبة للفعل، فيكون الحقُّ داخلا تحت موجِب، أوجب عليه هذا الفعل، زائد على ذاته. وأبطل غيرُه إطلاق "لِمَ" على[٤] فِعله شرعا، بأن قال: لا يُنسب إليه ما لم يَنسب إلى نفسه، فهذا معنى قولي: "شرعا" لا أنّه ورد النهي من الله عن كلّ ما ذكرنا منعه شرعا، وهذا كلّه كلام مدخول، لا يقع التخليص منه بالصحّة والفساد إلّا بعد طول عظيم. هذا قد ذكرنا طريقة مَن منع.

وأمّا من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء، فهم أهل الشرع منهم؛ وسبب إجازتهم لذلك أن قالوا: "ما حجر الشرعُ علينا حجرناه، وما أوجبه علينا أن نخوض فيه خضنا فيه، طاعة أيضا، وما لم يَرِد فيه تحجير ولا وجوب فهو عافية: إن شئنا تكلّمنا فيه، وإن شئنا سكتنا عنه". وهو -سبحانه- ما نهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٥]

---

(١) [الشورى: ١١]
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) "إلى الحق و" بالهامش بقلم الأصل.
(٤) ص ٦٨
(٥) [الشعراء: ٢٣]

بل أجاب بما يليق به الجواب، عن ذاك الجناب العالي، وإن كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال، فذلك راجع لاصطلاح من اصطلح على أنّه لا يُسأل بذلك إلّا عن الماهيّة المركّبة. واصطلح على أنّ الجواب بالأثر، لا يكون جوابا لمن سأل بـ"ما" وهذا الاصطلاح لا يلزم الخصم، فلم يمنع إطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه، إذ كانت الألفاظ لا تُطلب لأنفسها، وإنما تُطلب لما تدلُّ عليه من المعاني التي وُضِعَتْ لها، فإنّها بحكم الوضع، وما كلُّ طائفة وضعتها بإزاء ما وضعتها الأخرى[1]، فيكون الخلاف في عبارةٍ لا في حقيقة، ولا يعتبر الخلاف إلّا في المعاني.

وأمّا إجازتهم الكيفيّة؛ فمثل إجازتهم السؤال بـ"ما" ويحتجّون في ذلك بقوله -تعالى-: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[2] وقوله: "إنّ لله عينا وأعينا ويدا، وإنّ بيده الميزان يخفض ويرفع" وهذه كلّها كيفيّات وإن كانت مجهولة لعدم الشبه في ذلك.

وأمّا إجازتهم السؤال بـ"لِمَ" وهو سؤال عن العلّة؛ فلقوله -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[3]، فهذه لام العلّة والسبب، فإنّ ذلك في جواب مَن سأل: لِم خلق اللهُ الجنَّ والإنس؟ فقال الله لهذا السائل: "ليعبدوني"، أي لعبادتي. فمن ادّعى التحجير في إطلاق هذه العبارات فعليه بالدليل، فيقال للجميع من المتشرّعين؛ المجوّزين والمانعين: كلّكم قال وما أصاب. وما من شيء قلتموه مِن مَنْعٍ وجواز إلّا وعليكم فيه دَخَل. والأَوْلَى التوقيف عن الحكم بالمنع أو بالجواز.

هذا مع المتشرّعين. وأمّا غير المتشرّعين من الحكماء؛ فالخوض معهم في ذلك لا يجوز، إلّا إن أباح الشرع ذلك أو أوجبه، وأمّا إن لم يرد في الخوض فيه معهم، نُطْقٌ من الشارع، فلا سبيل إلى الخوض فيه معهم فعلا، ويُتوقّف في الحكم في ذلك، فلا يحكم على من خاض فيه أنّه مصيب ولا مخطئ، وكذلك فيمن ترك الخوض، إذ لا حكم إلّا للشرع فيما[4] يجوز أن يُتَلفّظ به أو لا يُتلفّظ به، بكون ذلك طاعة أو غير طاعة. فهذا -يا وليّ- قد فصّلنا لك مآخذَ الناس في هذه المطالب.

---

(١) ص ٦٨ب
(٢) [الرحمن: ٣١]
(٣) [الذاريات: ٥٦]
(٤) ص ٦٩

وأمّا العلم النافع في ذلك أن نقول: كما أنّه -سبحانه- لا يشبه شيئا، كذلك لا تشبهه الأشياء، وقد قام الدليل العقليّ والشرعيّ على نفي التشبيه وإثبات التنزيه، من طريق المعنى، وما بقي الأمر إلّا في إطلاق اللفظ عليه -سبحانه- الذي أباح لنا إطلاقه عليه في القرآن أو على لسان رسوله. فأمّا إطلاقه عليه فلا يخلو إمّا أن يكون العبد مأمورا بذلك الإطلاق، فيكون إطلاقه طاعة فرضا، ويكون المتلفِّظ به مأجورا مطيعا، مثل قوله في تكبيرة الإحرام: "الله أكبر" وهي لفظة وزنها يقتضي المفاضلة، وهو -سبحانه- لا يُفاضَل. وإمّا أن يكون مخيَّرا، فيكون بحسب ما يقصده المتلفِّظ وبحسب حكم الله فيه.

وإذا أطلقناه، فلا يخلو الإنسان إمّا أن يطلقه ويُصحِب نفسه في ذلك الإطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان، أو لا يطلقه إلّا تعبّدا شرعيّا على مراد الله فيه، من غير أن يتصوّر المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العربيّ، وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه، وله أجر التلاوة. كذلك العربي فيما تشابه من القرآن والسنّة يتلوه[1] أو يذكر به ربَّه تعبّدا شرعيا على مراد الله فيه، من غير ميل إلى جانبٍ بعينه مخصَّص، فإنّ التنزيه ونفي التشبيه يطلبه إن وقف بوهمه عند التلاوة لهذه الآيات.

فالأسلم والأَوْلَى في حقّ العبد، أن يردّ علم ذلك إلى الله، في إرادته إطلاق تلك الألفاظ عليه، إلّا إن أطلعه الله على ذلك، وما المراد بتلك الألفاظ، من نبيّ أو وليّ محدَّث ملهَم على بيّنة من ربّه فيما يُلْهَمُ فيه أو يحدَّث، فذاك[2] مباحٌ له، بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أُخبر به في إلهامه أو في حديثه.

ولْيُعلم أنّ الآيات المتشابهات إنما نزلت ابتلاء من الله لعباده، ثمّ بالغ -سبحانه- في نصيحة عباده في ذلك، ونهاهم أن يتّبعوا المتشابه بالحكم، أي لا يحكموا عليه بشيء؛ فإنّ تأويله لا يعلمه إلّا الله. وأمّا الراسخون في العلم إن علموه فبإعلام الله لا بفكرهم واجتهادهم، فإنّ الأمرَ أعظمُ أن تستقلّ العقولُ بإدراكه من غير إخبار إلهيّ، فالتسليم أَوْلَى، والحمد لله ربّ العالمين.

وأمّا قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ﴾[3] وأطلق النظر على الكيفيّات، فإنّ المراد بذلك بالضرورة

(١) ص ٦٩ب
(٢) س، هـ: فذلك
(٣) [إبراهيم: ٢٤]

المكيَّفات لا التكييف، فإنّ التكييف راجع إلى حالة معقولة لها نِسبةٌ إلى المكيِّف، وهو[1] الله -تعالى-، وما أحدٌ شاهد تعلّق القدرة الإلهيّة بالأشياء عند إيجادها، قال -تعالى-: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

فالكيفيّات المذكورة التي أُمرنا بالنظر إليها لا فيها، إنما ذلك لنتّخذها عبرةً ودلالةً على أنّ لها مَن كَيَّفها أي صَـــيَّرها ذات كيفيّات، وهي الهيئات التي تكون عليها المخلوقات المكيَّفات، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[3] ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِــبَتۡ﴾[4] وغير ذلك، ولا يصحّ أن ننظر إلّا حتى تكون موجودة، فننظر إليها وكيف اختلفت هيئاتها.

ولو أراد بالكيف حالة الإيجاد، لم يقل: "انظر إليها"، فإنّها ليست بموجودة، فعلِمنا أنّ الكيف المطلوب منّا في رؤية الأشــياء ما هو ما يَتوهّم مَن لا علم له بذلك. ألا تراه -ســبحانه- لَمّا أراد النظر الذي هو الفكر، قرنه بحرف "في" ولم يصـحبه لفظ "كيف" فقال -تعالى-: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[5] المعنى أن يفكّروا في ذلك، فيعلمون أنّها لم تقم بأنفسها، وإنما أقامها غيرها.

وهذا النظر لا يلزم منه وجود الأعيان، مثل النظر الذي تقدّم، وإنما الإنسان كلّف أن ينظر بفكره في ذلك لا بعينه. ومن الملكوت ما هو غيبٌ وما هو شهادةٌ. فما[6] أُمِرنا قطّ بحرف "في" إلّا في المخلوقات لا في الله. لنستدلّ بذلك عليه أنّه لا يشبهها. إذ لو أشبهها، لجاز عليه ما يجوز عليها، من حيث ما أشـــبهها، وكان يؤدّي ذلك إلى أحد محظورين: إمّا أن يشـــبهها من جميع الوجوه، وهو محال لما ذكرناه، أو يشبهها من بعض الوجوه ولا يشبهها من بعض الوجوه، فتكون ذاتُه مركّبة من أمرين، والتركيبُ في ذات الحقّ محالٌ، فالتشبيه محالٌ.

والذي يليق بهذا الباب من الكلام، يتعذّر إيراده مجموعا في بابٍ واحدٍ، لما يســبق إلى

(١) ص ٧٠
(٢) [الكهف: ٥١]
(٣) [الغاشية: ١٧]
(٤) [الغاشية: ١٩]
(٥) [الأعراف: ١٨٥]
(٦) ص ٧٠ب

الأوهام الضـــعيفة من ذلك، لما فيه من الغموض، ولكن جعلناه مبدّدا في أبواب هذا الكتاب. فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب، تعثر على مجموع هذا الباب، ولا ســـيّما حيث ما وقع لك مسألة تجلٍّ إلهيّ، فهناك قف وانظر، تجد ما ذكرته لك مما يليق بهذا الباب.

والقرآن مشـــحون بالكيفيّة؛ فإنّ الكيفيّات أحوال، والأحوال منها[١] ذاتيّة للمكيَّف، ومنها غير ذاتيّة، والذاتيّة حكمُها حكم المكيَّف سَـوَاء: إن كان المكيَّف يسـتدعي مكيّفا في كيفيّته كان، وإن كان لا يســـتدعي مكيِّفا لتكييفه، بل كيفيّته عين ذاته، وذاتُه لا تســـتدعي غيرها[٢]، لأنّها لنفســـها هي؛ فكيفيّته كذلك؛ لأنّها عينه لا غيره، ولا زائد عليه فافهم، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٣].

(١) ق: "من هذا" ثم شطبت وصححت بالهامش: "منها".
(٢) ص ٧١
(٣) [الأحزاب: ٤]

الباب التاسع والعشرون
في معرفة سِرِّ سلمان[1] الذي ألحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم، ومعرفة أسرارهم

العَبْـدُ مُرْتَبِطٌ بِالرَّبِّ لَيْسَ لَهُ ... عَنْهُ انْفِصَـالٌ يرَى فِعْلًا وَتَقْدِيرَا
والإِبْنُ أَنْزَلُ مِنْهُ فِي العُلَا دَرَجًا ... قَدْ حَرَّرَ الشَّرْعُ فِيْهِ العِلْمَ تَحْرِيْرَا
فـالإِبْنُ يَنْظُرُ فِي أَمْوَالِ وَالِدِهِ ... إِذْ كانَ وَارِثَـهُ شَحًّـا وتَـقْتِيرَا
والإِبْنُ يَطْمَعُ فِي تَحْصِـيلِ رُتْبَتِهِ ... وَأَنْ يَرَاهُ مَعَ الأَمْوَاتِ مَقْبُورَا
والعَبْدُ قِيْمَتُهُ مِنْ مَالِ سَـيِّدِهِ ... إِلَيْـهِ يَرْجِعُ مُخْتـارًا ومَجْبُورَا
والعَبْدُ مِقْدَارُهُ فِي جَاهِ سَـيِّدِهِ ... فَلَا يَزَالُ بِسِـتْرِ العِزِّ مَسْـتُورَا
الذُّلُّ[2] يَصْـحَبُهُ فِي نَفْسِـهِ أَبَدًا ... فَلَا يَزَالُ مَعَ الأَنْفَـاسِ مَقْهُورَا
والإِبْنُ فِي نَفْسِـهِ مِنْ أَجْلِ وَالِدِهِ ... عِزٌّ فَيَطْلُـبُ تَوْقِيرًا وتَعْزِيرَا

اعلم -أيّدك الله- أنّا روينا من حديث جعفر بن محمد الصـــادق، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه عليّ بن الحسـين عن أبيه الحسـين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عن رسـول الله ﷺ أنّه قال: «مولى القوم منهم». وخرّج الترمذي عن رسـول الله ﷺ أنّه قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصّـــته» وقال -تعالى- في حقّ المختصّـــين من عباده: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُــلْطَانٌ﴾[3] فكلّ عبد إلهيّ، توجّه لأحد عليه حقٌّ من المخلوقين، فقد نقص من عبوديّته لله بقدر ذلك الحقّ، فإنّ ذلك المخلوقَ يطلبه بحقّه، وله عليه ســلطان به، فلا يكون عبدا محضــا خالصا لله.

وهذا هو الذي رجّح عند المنقطعين إلى الله، انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السياحات

---
(١) هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي
(٢) ص ٧١ب
(٣) [الحجر: ٤٢]

والبراري والسواحل، والفرار من الناس، والخروج[1] عن ملك الحيوان، فإنّهم يريدون الحرّيّة من جميع الأكوان. ولقيت منهم جماعة كبيرة في أيّام سياحتي، ومن الزمان الذي حصل لي هذا المقام ما ملكتُ حيوانا أصلا، بل ولا الثوب الذي ألبسه؛ فإنّي لا ألبسه إلّا عارية لشخصٍ معيّنٍ أَذِن لي في التصرّف فيه، والزمان الذي أتملّك الشيءَ فيه، أخرج عنه في ذلك الوقت؛ إمّا بالهبة، أو بالعتق إن كان مما يعتق. وهذا حصل لي لَمّا أردت التحقّق بعبوديّة الاختصاص لله؛ قيل لي: لا يصحّ لك ذلك، حتى لا تقوم لأحد عليك حجّة. قلت: ولا لله -إن شاء الله-. قيل لي: وكيف يصحّ لك أن لا تقوم لله عليك حجّة؟ قلت: إنما تقام الحجج على المنكرين، لا على المعترفين، وعلى أهل الدعاوي وأصحاب الحظوظ، لا على من قال: ما لي حقّ ولا حظّ.

ولَمّا كان رســـول الله ﷺ عبدا محضـــا، قد طهّره الله وأهل بيته تطهيرا، وأذهب عنهم الرجس؛ وهو كلّ ما يشـــينهم. فإنّ الرجس هو القذر عند العرب. هكذا حكى الفرّاء، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[2] فلا يضـــاف إليهم إلّا مطهَّرٌ ولا[3] بدّ، فإنّ المضاف إليهم هو الذي يشبههم[4]، فما يضيفون لأنفسهم إلّا مَن له حكم الطهارة والتقديس. فهذه شهادة من النبيّ ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهيّ والعصمة، حيث قال فيه رســـول الله ﷺ: «ســـلمان منّا أهل البيت» وشـــهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا ينضـــاف إليهم إلّا مطهَّر مقدَّس، وحصـــلت له العناية الإلهيّة بمجرّد الإضافة، فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم، فهم المطهَّرون؛ بل هم عين الطهارة.

فهذه الآية تدلّ على أنّ الله قد شرَّك أهل البيت مع رســـول الله ﷺ في قوله -تعالى-: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5] وأيّ وسخ وقذر، أقذر من الذنوب وأوسخ؟ فطهّر الله -سـبحانه- نبيَّه ﷺ بالمغفرة؛ فما هو ذنبٌ بالنسـبة إلينا، لو وقع منه ﷺ لكان ذنبا في الصـورة لا في المعنى. لأنّ الذمّ لا يلحق به على ذلك من الله ولا منّا شرعا. فلو كان حكمه حكم الذنب، لصـحبه ما يصـحب الذنب من المذمّة، ولم يصـدق قوله: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ

(١) ص ٧٢
(٢) [الأحزاب: ٣٣]
(٣) ص ٧٢ب
(٤) ق: "يَشينهم" وصححت فوق الكلمة.
(٥) [الفتح: ٢]

ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾.

فدخل[1] الشرفاء، أولاد فاطمة كلُّهم، ومَن هو من أهل البيت، مثل سلمان الفارسي، إلى يوم القيامة، في حكم هذه الآية من الغفران. فهم المطهَّرون اختصاصا من الله، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلّا في الدار الآخرة؛ فإنّهم يُحشرون مغفورا لهم. وأمّا في الدنيا فَمن أتى منهم حدًّا أُقيم عليه. كالتائب إذا بلغ الحاكمَ أمرُه، وقد زنى أو سرق أو شرب، أقيمَ عليه الحدّ مع تحقّق المغفرة كماعز[2] وأمثاله، ولا يجوز ذمّه.

وينبغي لكلّ مسـلم مؤمن بالله وبما أنزله، أن يصـدّق الله -تعالى- في قوله: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ فيعتقد في جميع ما يصـدر من أهل البيت أنّ الله قد عفا عنهم فيه. فلا ينبغي لمسلم أن يُلحق المذمّة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيره، وذهاب الرجس عنه، لا بعمل عملوه ولا بخير قدّموه، بل سـابق عناية من الله بهم، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[3].

فإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة، فإنّه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهرُ الشرع، وتلحق المذمّة بعامله، لكان مضافا إلى أهل البيت مَن[4] لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك، بقدر ما أضـيف إليهم، وهم المطهَّرون بالنصّ، فسـلمان منهم بلا شـكّ، فأرجو أن يكون عقب عليّ وسـلمان تلحقهم هذه العناية، كما لحقتْ أولاد الحسـن والحسين وعقبهم، وموالي أهل البيت فإنّ رحمة الله واسعة.

يا وليّ؛ وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة، أن يَشْرُفَ المضاف إليهم بشرفهم، وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله -تعالى- هو الذي اجتباهم وكساهم حلّة الشرف. كيف -يا وليّ- بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته، فهو المجيد ﷻ فالمضاف إليه مِن عباده

---

(١) ص ٧٣

(٢) ماعز الأسلمي الصحابي، رضى الله عنه: مذكور فى المهذب فى الحدود وفى الإقرار. هو ماعز بن مالك الأسلمي، المعترف بالزنا المرجوم. قال ابن عبد البر: هو معدود في المدنيين، كتب له رسول الله ﷺ كتابًا بإسلام قومه. روى عنه ابنه عبد الله حديثًا واحدًا، رحمه الله. (تهذيب الأسماء [٢ /٨٨])

(٣) [الحديد: ٢١]

(٤) ص ٧٣ب

الذين هم عباده، وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة، قال -تعالى- لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ فأضافهم إليه ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(١) وما تجد في القرآن عبادا مضافين إليه -سبحانه- إلّا السعداء خاصة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد. فما ظنّك بالمعصومين المحفوظين منهم، القائمين بحدود سيّدهم، الواقفين عند مراسمه، فشرفهم أعلى وأتمّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام.

ومن هؤلاء الأقطاب، ورِث سلمان شرف مقام أهل البيت، فكان ﷺ من(٢) أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق، وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول ﷺ: «لو كان الإيمان بالثريّا لناله رجال من فارس» وأشار إلى سلمان الفارسي، وفي تخصيص النبيّ ﷺ ذِكْر الثريّا دون غيرها من الكواكب، إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة، لأنّها سبعة كواكب، فافهم. فسرُّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت، ما أعطاه النبيّ ﷺ من أداء كتابته. وفي هذا فقه عجيب، فهو عتيقه ﷺ و«مولى القوم منهم»، والكلّ موالي الحقّ، ورحمته وسعتْ كلّ شيء: وكلُّ شيء عبْدُه ومولاه.

وبعد أن تبيّن لك منزلة أهل البيت عند الله، وأنّه لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم بما يقع منهم أصلا، فإنّ الله طهّرهم، فليعلم الذامّ لهم، أنّ ذلك راجع إليه، ولو ظلموه، فذلك الظلم هو في زعمه ظلمٌ، لا في نفس الأمر؛ وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه. بل حُكم ظلمهم إيّانا في نفس الأمر، يشبه جري المقادير علينا في ماله ونفسه؛ بغرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلِكة؛ فيحترق أو يموت له أحد أحبابه، أو يصاب في نفسه، وهذا(٣) كلّه مما لا يوافق غرضه.

ولا يجوز له أن يذمّ قدَرَ الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كلّه بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإنّ في طيّ ذلك نِعما من الله لهذا المصاب. وليس وراء ما ذكرناه خير، فإنّه ما وراءه إلّا الضجر والسخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله. فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعِرضه وأهله وذويه؛ فيقابل ذلك كلّه بالرضا والتسليم والصبر، ولا يُلحق المذمّة بهم

(١) [الحجر: ٤٢]
(٢) ص ٧٤
(٣) ص ٧٤ب

أصلا، وإن توجّهت عليهم الأحكام المقرّرة شرعا، فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير. وإنما مَنعنا تعليق الذمّ بهم، إذ ميّزهم الله عنّا بما ليس لنا معهم فيه قَدم.

وأمّا أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أدّاها على أحسن ما يمكن، وإن تطاول اليهوديّ عليه بالقول، يقول: «دعوه؛ إنّ لصاحب الحقّ مقالا» وقال ﷺ في قصّة: «لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت قطعتُ يدها» فَوَضْعُ الأحكام لله، يضعها كيف يشاء، وعلى أيّ حال يشاء، فهذه حقوق الله، ومع هذا لم يذمّهم الله[1].

وإنما كلامنا في حقوقنا، وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيّرون إن شئنا أخذنا، وإن شئنا تركنا. والترك أفضل عموما، فكيف في أهل البيت؟ وليس لنا ذمّ أحد، فكيف بأهل البيت؟ فإنّا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا، وعفونا عنهم في ذلك، أي فيما أصابوه منّا، كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى.

فإنّ النبيّ ﷺ ما طلب منّا عن أمر الله ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾[2]، وفيه سِرّ صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيّه فيما سأله فيه، مما هو قادر عليه؛ بأيّ وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته؟، وهو ما أسعف نبيّه ﷺ فيما طلب منه من المودّة في قرابته، فكيف بأهل بيته، فهم أخصّ القرابة؟

ثمّ إنّه جاء بلفظ "المودّة" وهو الثبوت على المحبّة. فإنّه من ثبت ودّه في أمر، استصحبه في كلّ حال، وإذا استصحبته المودّة في كلّ حال، لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقّه مما له أن يطالبهم به، فيتركَه تركَ محبّة، وإيثارا لنفسه لا عليها، قال المحبّ الصادق[3]:

وَكُلُّ ما يَفْعَلُ المَحْبُوبُ مَحْبُوبُ

(١) ص ٧٥
(٢) [الشورى: ٢٣]
(٣) القائل هو: مهيار الديلمي: (? - ٤٢٨ هـ / ? - ١٠٣٧ م) مهيار بن مرزويه، أبو الحسن الديلمي. شاعر كبير في أسلوبه قوة وفي معانيه ابتكار، قال الحر العاملي: جمع مهيار بين فصاحة العرب ومعاني العجم، وقال الزبيدي: (الديلمي) شاعر زمانه فارسي الأصل من أهل بغداد، كان منزله فيها بدرب رباح، من الكرخ، وبها وفاته. كان مجوسيًا وأسلم سنة ٣٩٤هـ على يد الشريف الرضي. والبيت هو:
أَرضَى وأَسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه   وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ
من قصيدة مطلعها: أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ   وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ (انظر الموسوعة الشعرية).

وجاء باسم الحبّ، فكيف حال المودّة. ومن البشرى ورود اسم الودود لله[١] -تعالى-.

ولا معنى لثبوتها، إلّا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة، وفي النار لكلّ طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم، وقال الآخر في المعنى:

أُحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى ... أُحِبُّ لِحُبِّهَا سُودَ الكِلَابِ

ولنا في هذا المعنى:

أَحِبُّ لِحُبِّكَ الحُبْشَانَ طُرًّا ... وَأَعْشَقُ لاسْمِكَ البَدْرَ المُنِيرَا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبّب إليها. فهذا فعل المحبّ في حبّ من لا تسعِده محبّته عند الله، ولا تورثه القربة من الله، فهل هذا إلّا من صدق الحبّ وثبوت الودّ في النفس؟

فلو صحّت محبّتك لله ولرسوله، أحببتَ أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيتَ كلّ ما يصدر منهم في حقّك، مما لا يوافق طبعك ولا غرضك، أنّه جَمالٌ تتنعّم بوقوعه منهم، فتعلم عند ذلك أنّ لك عناية عند الله، الذي أحببتهم من أجله، حيث ذكرك من يحبّه، وخطرتَ على باله، وهم أهل بيت رسوله ﷺ فتشكر الله -تعالى-[٢] على هذه النعمة، فإنّهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك.

وإذا رأيناك على ضدّ هذه الحالة، مع أهل[٣] البيت الذي أنت محتاج إليهم، ولرسول الله ﷺ حيث هداك الله به، فكيف أثق أنا بودّك الذي تزعم به أنّك شديد الحبّ فيّ، والرعاية لحقوقي أو لجانبي، وأنت في حقّ أهل نبيّك بهذه المثابة من الوقوع فيهم. واللهِ ما ذاك إلّا مِن نَقْصِ إيمانك، ومِن مكر الله بك، واستدراجه إيّاك من حيث لا تعلم.

وصورة المكر أن تقول وتعتقد أنّك في ذلك تذبُّ عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقّك: إنّك ما طلبتَ إلّا ما أباح الله لك طلبه، ويندرج الذمّ في ذلك الطلب المشروع، والبغض والمقت. وإيثارك نفسَك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك. والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقّا، وتتزل عن حقّك لئلّا يندرج في طلبه ما ذكرته لك.

---

(١) ص ٧٥ب
(٢) ق: - تعالى
(٣) ص ٧٦

وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعيّن عليك إقامة حدّ أو إنصاف مظلوم أو ردّ حقّ إلى أهله. فإن كنت حاكما ولا بدّ، فاسع في استنزال صاحب الحقّ عن حقّه، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى حينئذ يتعيّن عليك إمضاء حكم الشرع فيه. فلو كشف الله لك -يا وليّ- عن منازلهم عند الله في الآخرة، لوددتَ أن تكون مولى من مواليهم. فالله يلهمنا رشد أنفسنا. فانظر ما أشرف منزلة سلمان -رضي الله عن جميعهم-.

ولَمّا[1] بيّنت لك أقطاب هذا المقام، وأنّهم عبيد الله المصطفون الأخيار، فاعلم أنّ أسرارهم التي أطلعنا اللهُ عليها، تجهلها العامّة بل أكثر الخاصة، التي ليس لها هذا المقام، والخضر منهم ﵁، وهو من أكبرهم، وقد شهد الله له أنّه آتاه رحمة من عنده وعلّمه من لدنه علما، اتّبعه فيه كليم الله موسى ﵇ الذي قال فيه ﷺ: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني».

- فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت، وما قد نبّه الله على علوّ رتبتهم في ذلك.

- ومن أسرارهم علم المكر، الذي مكر الله بعباده في بغضهم، مع دعواهم في حبّ رسول الله ﷺ وسؤاله ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، وهو ﷺ من جملة "أهل البيت". فما فعل أكثر الناس، ما سألهم فيه رسول الله ﷺ عن أمر الله. فعصوا اللهَ ورسولَه، وما أحبّوا من قرابته إلّا مَن رأوا منه الإحسان، فأغراضهم أحبّوا، وبنفوسهم تعشّقوا.

- ومن أسرارهم؛ الاطّلاع على صحّة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمديّة، من حيث لا تعلم العلماء بها. فإنّ الفقهاء والمحدِّثين الذين أخذوا علمهم ميّتا عن ميّت، إنما المتأخّر منهم هو[3] فيه على غلبة ظنّ، إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز، ثمّ إنّهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر، لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصّا فيما حكموا به، فإنّ النصوص عزيزة، فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم فيه، ولهذا اختلفوا. وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نصّ آخر يعارضه ولم يصل إليهم، وما لم يصل إليهم ما تُعُبِّدوا به، ولا يعرفون بأيّ

---

(١) ص ٧٦ب
(٢) [الشورى: ٢٣]
(٣) ص ٧٧

وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوّة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله ﷺ المشرّع.

فأخذه أهل الله عن رسول الله ﷺ في الكشف على الأمر الجليّ، والنصّ الصريح في الحكم، أو عن الله بالبيّنة التي هم عليها من ربّهم، والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها، كما قال الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(١) وقال: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾(٢) فلم يفرد نفسه بالبصيرة، وشهد لهم بالاتّباع في الحكم، فلا يتّبعونه إلّا(٣) على بصيرة، وهم عباد الله أهل هذا المقام.

- ومن أسرارهم أيضا إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهيّ، وما تجلّى لهم حتى اعتقدوا ذلك، ومن أين تَصَوَّر الخلاف(٤) مع الاتّفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنّه ما اختلف فيه اثنان، وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب، وبماذا يسمّى ذلك السبب. فمن قائل: هو الطبيعة، ومن قائل: هو الدهر، ومن قائل غير ذلك، فاتّفق الكلّ في إثباته ووجوب وجوده، وهل هذا الخلاف يضرّهم مع هذا الاستناد أم لا؟، هذا كلّه من علوم أهل هذا المقام.

انتهى الجزء السابع عشر، يتلوه في الجزء الثامن عشر.(٥)

---

(١) [هود: ١٧]
(٢) [يوسف: ١٠٨]
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٤) ص ٧٧ب
(٥) في أسفل الكتابة نجد هذا السماع: "سمع جميع هذا الجزء والذي قبله إلى البلاغ بخط القارئ على مصنفها الإمام العالم محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي؛ الأئمة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابنه أحمد، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، ومحمد بن يرنقش المعظمي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، وابنه إبراهيم، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء -الحنفيان-، وأحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، ومحمد بن نصر الله بن هلال، ويونس بن عثمان، ويعقوب بن معاذ الوربي، وإبراهيم بن محمد بن محمد القرطبي، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، ويوسف بن الحسن بن بدر النابلسي، وعيسى بن إسحق الهذباني، وبيان بن عثمان الحنبلي، ومحمد بن علي بن محمد المطرز، وأحمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي، وأبو القاسم بن أبي الفتح بن إبراهيم -الدمشقيون-، ويوسف بن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأحمد بن عبد الله بن المسلم الأزدي، وأحمد بن موسى التركماني، وعمران بن محمد بن عمران النشبي، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي، وذلك في عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المصنف بدمشق. والحمد لله وصلاته على محمد وآله".
ويليه: "وسمع مع الجماعة أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ أبوه. كتبه إبراهيم حامدا ومصلّيا".

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الباب الثلاثون
في معرفة الطبقة الأُولَى والثانية من الأقطاب الركبان

إنَّ للهِ عِبـادًا رَكِبُـوا نُجُبَ الأَعْمَالِ فِي اللَّيْلِ البَهِيمْ
وَتَرَقَّـتْ هِمَمُ الذُّلِّ بِهِمْ لِعَزِيْزٍ جَـلَّ مِنْ فَرْدٍ عَلِيمْ
فـاجْتَبَـاهُمْ وَتَجَلَّى لَهُمُ وتَلَقَّاهُمْ بِكاسَـــاتِ النَّـدِيمْ
مَنْ يَكُنْ ذَا رِفْعَةٍ فِي ذِلَّةٍ إنَّـهُ يَعْرِفُ مِقْـدارَ العَظِيمْ
رُتْبَةُ الحادِثِ إنْ حَقَّقْتَها إنَّمَـا يَظْهَرُ فِيْـهَا بِالقَـدِيمْ
إنَّ للهِ عُـلُـومًـا جَمَّـةً فِي رَسُـــولٍ وَنَبِيٍّ وَقَســِـيمْ
لَطُفَـتْ ذَاتًا فَمَا يُدْرِكُهَا عالَمُ الأَنْفَاسِ أَنْفَاسِ النَّسِـيمْ

اعلم -أيّدك الله- أنّ أصحاب النجُب في العُرف هم الركبان، قال الشاعر(٢):

فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْمًا إذا رَكِبُوا شَدُّوا الإغارَةَ فُرْسانًا وَرُكْبَانا

الفرســان ركّاب الخيل، والركبان ركّاب الإبل. فالأفراس في المعروف، تركبها جميع الطوائف، من عجم وعرب. والهُجْنُ(٣) لا يسـتعملها إلّا العرب، والعرب أرباب الفصاحة والحماسـة والكرم. ولَمّا كانت هذه الصـــفات غالبة على هذه الطائفة سمّيناهم بالركبان. فمنهم من يركب نُجُب الهمم، ومنهم من يركب نُجُب الأعمال. فلذلك جعلناهم طبقتين: أُولَى وثانية. وهؤلاء أصحاب الركاب؛ هم الأفراد في هـذه الطريقة. فإنّهم ﷺ على طبقات؛ فمنهم الأقطاب، ومنهم الأئمّة، ومنهم الأوتاد، ومنهم الأبدال، ومنهم النقباء، ومنهم النجباء، ومنهم الرجبيون، ومنهم الأفراد. وما منهم طائفة إلّا

(١) البسملة ص ٧٨
(٢) البيت للشاعر قريط بن أنيف العنبري من بني تميم.
(٣) ص ٧٨ب

وقد رأيتُ منهم، وعاشرتهم ببلاد المغرب، وببلاد الحجاز، والشرق.

فهذا الباب مختصّ بالأفراد، وهي طائفة خارجة عن حكم القطب وحدها، ليس للقطب فيهم تصرُّف. ولهم من الأعداد: من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد، ليس لهم ولا لغيرهم فيما دون الفرد الأوّل -الذي هو الثلاثة- قدم، فإنّ الأحديّة وهو الواحد لذات الحقّ، والاثنان للمرتبة، وهو توحيد الألوهيّة، والثلاثة أوّل وجود الكون عن الله.

فالأفراد في الملائكة: الملائكة المهيّمون في جمال الله وجلاله، الخارجون عن الأملاك المسخّرة[1] والمدبّرة اللذين هما في عالم التدوين والتسطير، وهم من القلم والعقل إلى ما دون ذلك. والأفراد من الإنس مثل المهيّمة من الأملاكِ. فأوّل الأفراد الثلاثة، وقد قال ﷺ: «الثلاثة ركبٌ» فأوّل الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك.

ولهم من الحضرات الإلهيّة؛ الحضرة الفردانيّة وفيها يتميّزون، ومن الأسماء الإلهيّة الفردُ، والموادُّ الواردةُ على قلوبهم من المقام الذي ترد منه على الأملاك المهيّمة، ولهذا يُجهل مقامهم وما يأتون به، مثل ما أنكر موسى عليه السلام على خضر مع شهادة الله فيه لموسى عليه السلام وتعريفه بمنزلته، وتزكية الله إيّاه، وأخذه العهد عليه إذ أراد صحبته.

ولَمّا علم الخضر أنّ موسى عليه السلام ليس له ذوق في المقام الذي هو الخضر عليه، كما أنّ الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذي علّمه الله، إلّا أنّ مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله، لمشاهدةٍ خاصّة هو عليها. ومقام موسى والرسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير، في كلّ ما يرونه خارجا عمّا أُرسلوا به. ودليل ما ذهبنا إليه في هذا قول[2] الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[3] فلو كان الخضر نبيّا لما قال له: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ فالذي فعله لم يكن من مقام النبوّة. وقال له في انفراد كلّ واحد منهما بمقامه الذي هو عليه، قال الخضر لموسى عليه السلام: "يا موسى؛ أنا على علم علّمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علّمكه الله لا أعلمه أنا" وافترقا وتميّزا بالإنكار.

---

(١) ص ٧٩

(٢) ص ٧٩ب

(٣) [الكهف: ٦٨]

فالإنكار ليس من شأن الأفراد، فإنّ لهم الأوّليّة في الأمور، فهم يُنْكَر عليهم ولا ينكِرون. قال الجنيد: "لا يبلغ أحدٌ درجَ الحقيقة حتى يشهدَ فيه ألفُ صدّيق بأنّه زنديق" وذلك لأنّهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم.

وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه عليّ بن أبي طالب ﵁، حين يضرب بيده إلى صدره ويتنهّد: "إنّ هاهنا لعلومًا جَمّةً، لو وجدتُ لها حَمَلَةً" فإنّه كان من الأفراد. ولم يُسمع هذا من غيره في زمانه، إلّا أبي هريرة ذكر مثل هذا. خرّج البخاري في صحيحه عنه أنّه قال: «حملت عن النبيّ ﷺ جرابين؛ أمّا الواحد فبثثته فيكم، وأمّا الآخر فلو بثثته قُطع منّي هذا البلعوم» البلعومُ (هو) مجرى الطعام. فأبو هريرة ذكر أنّه حمله عن رسول الله ﷺ فكان[1] فيه ناقلا عن غير ذوق، ولكنّه عِلْمٌ، لكونه سمعه من رسول الله ﷺ، ونحن إنما نتكلّم فيمن أعطي عين الفهم في كلام الله -تعالى- في نفسه، وذلك علم الأفراد.

وكان من الأفراد عبد الله بن العباس، البحر، كان يلقّب به لاتّساع علمه، فكان يقول في قوله ﷻ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾[2]: "لو ذكرت تفسيرَه لرجمتموني" وفي رواية: "لقلتم إنّي كافر".

وإلى هذا العلم كان يشير عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، زين العابدين، -عليهم الصلاة والسلام- بقوله، فلا أدري هل هما مِن قِيله أو تمثّل بهما:

يا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِـهِ | لَقِيْلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا
ولاسْـتَحَلَّ رِجالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي | يَرَوْنَ أَقْبَحَ ما يَأْتُونَهُ حَسَـنَا

فنبّه بقوله: "يعبد الوثنا" على مقصوده، ينظر إليه تأويل قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» بإعادة الضمير على الله، وهو من بعض محتملاته.

بالله -يا أخي- أنصفني فيما أقوله لك، لا شكّ أنّك قد جَمَعْتَ معي على أنّه كلّ ما صحّ عن[3] رسول الله ﷺ من الأخبار، في كلّ ما وَصف به فيها ربَّه -تعالى-، من الفرح والضحك والتعجّب

(١) ص ٨٠
(٢) [الطلاق: ١٢]
(٣) ص ٨٠ب

والتبشبش والغضب والتردّد والكراهة والمحبّة والشوق، إنّ ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتصديق، فلو أنْ هبّتْ نفحاتٌ مِن هذه الحضرةِ الإلهيّة كشفا وتجلّيًا وتعريفا إلهيّا على قلوب الأولياء، بحيث أن يعلموا بإعلام الله ويشاهدوا[1] بإشهاد الله من هذه الأمور المعبَّر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول، وقد وقع الإيمان منّي ومنك بهذا كلّه، إذا أتى بمثله هذا الوليُّ في حقّ الله -تعالى-، ألست تزندقه كما قال الجنيد؟ ألست تقول: إنّ هذا مشبِّه، هذا عابدُ وَثَن!؟ كيف وصف الحقَّ بما وصف به المخلوق؟ ما فعلتْ عبدةُ الأوثان أكثر من هذا، كما قال عليّ بن الحسين؟ ألستَ كنت تقتُله أو تفتي بقتله كما قال ابن عباس؟!.

فبأيّ شيء آمنتَ وسلّمتَ لَمّا سمعتَ ذلك من رسول الله ﷺ في حقّ الله من الأمور التي تحيلها الأدلّة العقليّة ومُنِعَتْ من تأويلها؟ والأشعريّ تأوّلها على وجوه من التنزيه في زعمه، فأين الإنصاف؟ فهلّا قلتَ: القدرةُ واسعةٌ أن تعطي لهذا الوليّ ما[2] أعطت للنبيّ من علوم الأسرار؟ فإنّ ذلك ليس من خصائص النبوّة، ولا حَجَر الشارع على أمّته هذا الباب، ولا تكلّم فيه بشيء، بل قال: «إن يكن في أمّتي محدَّثون فعمرُ منهم» فقد أثبت النبيّ ﷺ أنّ ثَمَّ مَن يُحَدَّث، ممن ليس بنبيّ، وقد يحدَّث بمثل هذا، فإنّه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام، فإنّ ذلك -أعني التشريع- من خصائص النبوّة.

وليس الاطّلاع على غوامض العلوم الإلهيّة[3] من خصائص نبوّة التشريع، بل هي سارية في عباد الله؛ من رسول ووليّ وتابع ومتبوع -يا وليّ- فأين الإنصاف منك؟ أليس هذا موجودا في الفقهاء وأصحاب الأفكار، الذين هم فراعنة الأولياء، ودجاجلة عباد الله الصالحين؟ والله يقول لمن عمل منّا بما شرع الله له؛ إنّ الله يعلمه ويتولّى تعليمه، بعلوم أنتجتها أعماله. قال -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[4] وقال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[5].

ومن أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل. ولهذا قال ﷺ في عمر بن الخطاب

(١) ق، هـ: وشاهدوا
(٢) ص ٨١
(٣) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٤) [البقرة: ٢٨٢]
(٥) [الأنفال: ٢٩]

يذكر ما أعطاه الله من القوّة: «يا عمر؛ ما لقيك الشيطان في[1] فجّ إلّا سلك فجًّا غير فجّك» فدلّ على عصمته بشهادة المعصوم، وقد علِمنا أنّ الشيطان ما يسلك قطّ بنا إلّا إلى الباطل، وهو غير[2] فجّ عمر بن الخطاب. فما كان عمر يسلك إلّا فجاج الحقّ بالنصّ، فكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكه وللحقِّ صَوْلة.

ولَمّا كان الحقّ صعبَ المرام، قويّا حمله على النفوس، لا تحمِله ولا تقبله، بل تمجُّه وتردُّه، لهذا قال ﷺ: «ما تَرك الحقّ لعمر من صديق» وصدق ﷺ يعني: في الظاهر والباطن. أمّا في الظاهر فلعدم الإنصاف، وحبّ الرئاسة، وخروج الإنسان عن عبوديّته واشتغاله بما لا يعنيه، وعدم تفرّغه لما دعي إليه من شغله بنفسه وعيبه عن عيوب الناس. وأمّا في الباطن فما ترك الحقّ لعمر في قلبه من صديق، فما كان له تعلّق إلّا بالله.

ثمّ الطامّة الكبرى، أنّك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكِرة: "اشتغل بنفسك". يقول لك: إنما أقوم حماية لدين الله وغيرة له، والغيرة لله من الإيمان، وأمثال هذا، ولا يسكن ولا ينظر: هل ذلك من قبيل الإمكان أم لا؟ أعني أن يكون الله قد عَرَّف وليّا[3] من أوليائه، بما يجريه في خلقه كالخضر، ويعلّمه علوما من لدنه، تكون العبارة عنها بهذه الصيغ، التي ينطق بها الرسول ﷺ كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾[4] وآمن هذا المنكِر بها على زعمه، إذ جاء بها رسول الله ﷺ. فواللهِ لو كان مؤمنا بها؛ ما أنكرها على هذا الوليّ، لأنّ الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحقّ، مِن استواءٍ ونزولٍ ومعيّةٍ وضحك وفرح وتبشبش وتعجّب وأمثال ذلك، وما ورد عنه ﷺ قطّ أنّه حجرَها على أحد من عباد الله، بل أخبر عن الله أنّه يقول لنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5] ففتح لنا، وندبَنا إلى التأسّي به ﷺ وقال: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[6] وهذا من اتّباعه والتأسّي به.

فمن التأسّي به إذا ورد علينا من الحقّ -سبحانه- واردُ حقٍّ، فعلمنا من لدنه علما فيه رحمة

---

(١) ص ٨١ب
(٢) ثابتة في الهامش.
(٣) ص ٨٢
(٤) [الكهف: ٨٢]
(٥) [الأحزاب: ٢١]
(٦) [آل عمران: ٣١]

حبانا الله بها، وعناية حيث كنّا في ذلك على بيّنة من ربّنا، ويتلوها شاهد منّا، وهو اتّباعنا سنّته وما شَرَع لنا، لم نُخِلْ بشيء منها، ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرّم أو تحريم ما أحلّ، فنطلب لذلك المعلوم الذي عَلِمناه من جانب الحقّ، أمثالَ[1] هذه العبارات النبويّة، لنفصح بها عن ذلك، ولا سيّما إذا سُئلنا عن شيء من ذلك، لأنّ الله أخبر عمّن هذه صفته، أنّه يدعو إلى الله على بصيرة. فمن التأسّي المأمور به برسول الله ﷺ أن نطلق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبويّة؛ إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها ﷺ فإنّه المأمور بتبيين ما أُنزل به علينا، ولا نعدل إلى غيرها لما نريده من البيان، مع التحقّق بـ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[2] فإنّا إذا عدلنا إلى عبارة غيرها، ادّعينا بذلك، أنّا أعلم بحقّ الله وأنزه من رسول الله ﷺ وهذا أسوأ ما يكون من الأدب. ثمّ إنّ المعنى لا بدّ أن يختلّ عند السامع، إذ كان ذلك اللفظ، الذي خالفت به لفظ مَن كان أفصح الناس وهو رسول الله ﷺ والقرآن لا يدلّ على ذلك المعنى بحكم المطابقة، فشرع لنا التأسّي.

وغاب هذا المنكِر المكفِّر، من أتى بمثل هذا عن النظر في هذا كلّه، وذلك لأمرين أو لأحدهما: إن كان عالِما فلحسدٍ قام به، قال -تعالى-: ﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[3] وإن كان جاهلا فهو بالنبوّة أجهل.

يا وليّ؛ لقينا من أقطاب هذا[4] المقام، بجبل أبي قبيس بمكة، في يوم واحد ما يزيد على السبعين رجلا. وليس لهذه الطبقة تلميذ في طريقهم أصلا، ولا يُسَلِّكون أحدا بطريق التربية، لكن لهم الوصيّة والنصيحة ونشر العلم، فمن وُفّق أَخَذ به. ويقال إنّ أبا السعود بن الشبل كان منهم، وما لقيته ولا رأيته، ولكن شممتُ له رائحة طيّبة ونفَسا عِطريّا، وبلغني أنّ عبد القادر الجيلي، وكان عدلا قُطب وقته، شهد لمحمد بن قائد الأواني بهذا المقام، كذا نُقل إليّ، والعهدة على الناقل.

فإنّ ابن قائد زعم أنّه ما رأى هناك أمامه سِوَى قدم نبيّه، وهذا لا يكون إلّا لأفراد الوقت،

(١) ص ٨٢ب. ق، س: عبارة أمثال.
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [البقرة: ١٠٩]
(٤) ص ٨٣

فإن لم يكن من الأفراد، فلا بدّ أن يرى قدم قطب وقته أَمامه، زائدا على قدم نبيّه، إن كان إماما. وإن كان وتدا؛ فيرى أمامه ثلاثة أقدام. وإن كان بدلا يرى أربعة أقدام وهكذا، إلّا أنّه لا بدّ أن يكون في حضرة الاتّباع مُقاما. فإذا لم يُقَم في حضرات الاتّباع وعُدِلَ به عن يمين الطريق، بين المخدع وبين الطريق، فإنّه لا يبصر قدما أمامه، وذلك هو طريق الوجه الخاص، الذي من الحقِ إلى كلّ موجود. ومن ذلك الوجه الخاص؛ ينكشف للأولياء هذه العلوم التي تُنْكَر عليهم، ويُزندَقون بها ويُزندِقهم[1] بها، ويكفِّرهم مَن يؤمن بها إذا جاءته عن الرسل، وهي العلوم عينها وهي التي ذكرناها آنفا.

ولأصحاب هذا المقام التصريف والتصرُّف في العالَم. فالطبقة الأُولَى من هؤلاء تَركت التصرّف لله في خلقه، مع التمكن وتولية الحقّ لهم إيّاه: تمكُّنا لا أَمرا، لكن عرْضا، فلبسوا الستر ودخلوا في سرادقات الغيب، واستتروا بحجب العوائد، ولزموا العبودة والافتقار، وهم الفتيان الظرفاء الملاميّة، الأخفياء الأبرياء.

وكان أبو السعود منهم: كان -رحمه الله- ممن امتثل أمر الله في قوله -تعالى-: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾[2] فالوكيل له التصرّف، فلو أُمِر امتثلَ الأمر، هذا من شأنهم. وأمّا عبد القادر فالظاهر من حاله أنّه كان مأمورا بالتصرُّف، فلهذا ظهر عليه. هذا هو الظنّ بأمثاله. وأمّا محمد الأواني، فكان يَذكر أنّ اللهَ أعطاه التصرّف فقبِلَه، فكان يتصرّف ولم يكن مأمورا، فابتلي، فنقصه من المعرفة القدرُ الذي علا أبو السعود به عليه، فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الأُولَى من طائفة الركبان.

وسمّيناهم أقطابا؛ لثبوتهم. ولأنّ هذا المقام -أعني مقام العبودة- يدور عليهم، لم أُرِدْ بقطبيّتهم أنّ لهم جماعة تحت[3] أمرهم يكونون رؤساء عليهم وأقطابا لهم. هم أَجَلُّ من ذلك وأعلى، فلا رئاسة لهم أصلا في نفوسهم، لتحقُّقهم بعبوديّتهم، وأمرٌ إلهِّي بالتقدّم، فما ورد عليهم فيلزمهم طاعته، لِمَا هم عليه من التحقّق أيضا بالعبوديّة، فيكونون قائمين به في مقام العبوديّة، بامتثال أمر سيّدهم،

---

(١) ص ٨٣ب
(٢) [المزمل: ٩]
(٣) ص ٨٤

وأمّا مع التخيير والعرْض أو طلب تحصيل المقام، فإنّه لا يظهر به إلّا مَن لم يتحقّق بالعبودة التي خُلق لها.

فهذا -يا وليّ- قد عرّفتُك في هذا الباب بمقاماتهم، وبقي التعريف بأصولهم وتعيين أحوال الأقطاب، المدبِّرين من الطبقة الثانية منهم، نذكر ذلك فيما بعد -إن شاء الله-، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[١] لا ربّ غيره.[٢]

---

(١) [الأحزاب: ٤]
(٢) بالهامش: "بلغ".

الباب الحادي والثلاثون
في معرفة أُصول الركبان

حَدِبَ[1] الدَّهْرُ عَلَيْنَا وَحَنا　　وَمَضَى فِي حُكْمِهِ وَما وَنَى
وعَشِقْنَاهُ فَغَنَّيْنَا عَسَى　　يَطْرَبُ الدَّهْرُ بِإِيقَاعِ الغِنَا
نَحْنُ حَكَّمْنَاكَ فِي أَنْفُسِنَا　　فَاحْكُمِ انْ شِئْتَ عَلَيْنَا أَوْ لَنَا
ولَقَدْ[2] كانَ لَهُ الحُكْمُ وَمَا　　كانَ ذَاكَ الحُكْمُ لِلدَّهْرِ بِنَا
فَشَفِيْعِي هُوَ دَهْرِي وَالَّذِي　　صَرَّفَ الدَّهْرَ كَذَا صَرَّفَنَا
فَرَكِبْنَا نَطْلُبُ الأَصْلَ الَّذِي　　جَعَلَ السِّرَّ لَدَيْنَا عَلَنَا
فَلَنَا مِنْهُ الَّذِي حَرَّكَنَا　　وَلَهُ مِنَّا الَّذِي سَكَّنَنا
حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فِيْنَا شَهِدَتْ　　أَنَّهُ قالَ: "لَهُ مَا سَكَنَا"[3]
فَأَنَا العَبْدُ الذَّلِيلُ المُجْتَبَي　　وَأَنا حُقٌّ وَمَا الحَقُّ أَنَا

اعلم -أيّدك الله- أنّ الأصول التي اعتمد عليها الركبان كثيرة، منها التبرّي من الحركة إذا أقيموا فيها، فلهذا رَكِبوا، فهم الساكنون على مراكبهم، المتحرِّكون بتحريك مراكبهم، فهم يقطعون ما أُمروا بقطعه بغيرهم، لا بهم، فيصِلون مستريحين مما تعطيه مشقّة الحركة، متبرّئين من الدّعوى التي تعطيها الحركة، حتى لو افتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل، لكان ذلك الفخر راجعا للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم؛ فلهم التبرّي وما لهم الدّعوى، فهِجِّيرهم: "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" وآيتهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[4] يقال لهم: وما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها، ولكنّ[5] الرِّكاب قطعَتْها. فهم المحمولون؛ فليس للعبد صولة إلّا بسلطان سيّده،

(١) حَدَب عليه: تعطّف عليه.
(٢) ص ٨٤ب
(٣) إشارة إلى الآية القرآنية: "وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" [الأنعام: ١٣]
(٤) [الأنفال: ١٧]
(٥) ص ٨٥

وله الذلّة والعجز والمهانة والضعف من نفسه.

ولَمّا رأوا أنّ الله قد نبّه بقوله -تعالى-: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾[1] فأخلصه له. علموا أنّ الحركة فيها الدّعوى، وأنّ السكونَ لا تشوبه دعوى، فإنّه نفي الحركة، فقالوا: إنّ الله قد أَمرنا بقطع هذه المسافة المعنويّة، وجَوْبِ هذه المفاوز المهلِكة إليه، فإن نحن قطعناها بنفوسنا لم نأمن على نفوسنا من أن تتمدّح بذلك في حضرة الاتّصال؛ فإنها مجبولة على الرعونة وطلب التقدُّم وحبّ الفخر، فنكون من أهل النقص في ذلك المقام، بقدر ما ينبغي أن نحترم به ذلك الجلال الأعظم.

فلنتّخذ ركابا نقطع به، فإن أرادت الافتخار يكون الافتخار للرِّكاب لا للنفوس، فاتّخذتْ من "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" نُجُبًا، لَمّا كانت النُّجُب أصبرُ عن الماء والعلف من الأفراس وغيرها، والطريق معطشـــة جدبة، يهلِك فيها من المراكب مَن ليس له مرتبة النُّجُب، فلهذا اتّخذوها نُجُبًا دون غيرها مما يصحّ أن يُركب.

ولا يصـحّ أن يقطع ذلك (ركاب) "الحمد لله" فإنّ هذا الذِّكْر من خصـائص الوصـول، ولا "سـبحان الله" فإنّه من خصـائص التجلّي، ولا "لا إله إلّا الله" فإنّه[2] من خصـائص الدعاوي، ولا "الله أكبر" فإنّه من خصائص المفاضلة. فتعيّن "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" فإنّه من خصائص الأعمال فعلا وقولا، ظاهرا وباطنا. لأنّهم بالأعمال أُمروا، والســـفرُ عملٌ: قلبا وبدنا، ومعنى وحسّا، وذلك مخصوص بـ"لا حول ولا قوّة إلّا بالله" فإنّه بها يقولون: "لا إله إلّا الله" وبها نقول: "سبحان الله" وغير ذلك من جميع الأقوال والأعمال.

ولَمّا كان السكونُ عدمُ الحركة، والعدمُ أصلهم، لأنّه قوله: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[3] يريد موجودا، فاختاروا السكونَ على الحركة، وهو الإقامة على الأصل. فنبّه ﷻ في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾[4] أنّ الخلق سلَّموا له العدم، وادّعَوا له في الوجود، فمن باب الحقائق عرَّى الحقُّ خلقَه، في هذه الآية عن إضافة ما ادّعَوه لأنفسهم، بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي ما ثبت، والثبوت أمرٌ وجوديٌّ عقليٌّ لا عينيٌّ بل نِسْبِيٌّ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) [الأنعام: ١٣]
(٢) ص ٨٥ب
(٣) [مريم: ٩]
(٤) [الأنعام: ١٣]

﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ يسمع دعواكم في نِسبة ما هو له، قد نسبتموه إليكم، "عليم" بأنّ الأمر على خلاف ما ادّعيتموه.

ومن أصولهم: التوحيد بلسان: «بي يتكلّم، وبي يسمع، وبي يبصر» وهذا مقام لا يحصل إلّا عن فروع الأعمال، وهي النوافل. فإنّ[1] هذه الفروع تنتج المحبّة الإلهيّة، والمحبّة تورث العبد أن يكون بهذه الصفة، فتكون هذه الصفة أصلا لهذا الصنف من العباد، فيما يعلمونه ويحكمون به من أحكام الخضر وعِلمه. فهو أصل مكتسب، وهو للخضر أصلُ عنايةٍ إلهيّة بالرحمة التي آتاه الله، وعن تلك الرحمة كان له هذا العلم الذي طلب موسى عليه السلام أن يعلّمه منه.

فإن تفطّنتَ لهذا الأمر الذي أوردناه، عرفتَ قدر ولاية هذه الملّة المحمّديّة، والأمّة ومنزلتها، وأنّ ثمرة زهرة فروع أصلها المشروع لها في العامّة هي أصل الخضر الذي امتنّ الله -تعالى- على عبده موسى عليه السلام بلقائه وأدّبه به، فأنتج للمحمّدي فرعُ فرعِ فرعِ أصله، ما هو أصلٌ للخضر، ومثل موسى عليه السلام يطلب منه أن يعلّمه مما هو عليه من العلم. فانظر منزلة هذا العارف المحمّدي: أين تميّزتْ؟ فكيف لك بما ينتجه الأصل الذي ترجع إليه هذه الفروع؟

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه: «إنّ الله يقول: ما تقرّب إليّ المتقرّبون بأحبّ إليّ من أداء ما افترضته عليهم» فهذا هو الأصل: أداء الفرض، ثمّ قال: «ولا يزال العبد يتقرّب إليّ[2] بالنوافل» وهو ما زاد على الفرائض، ولكن من جنسها، حتى تكون الفرائض أصلا لها، مثل نوافل الخيرات؛ من صلاة وزكاة وصوم وحجّ وذِكْر. فهذا هو الفرع الأقرب إلى الأصل. ثمّ يُنْتِج له هذا العمل -الذي هو نافلة- محبّة الله إيّاه، وهي محبّة خاصّة جزاءً، ليست هي محبّة الامتنان، فإنّ محبّة الامتنان الأصليّة، اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله -تعالى-، وهي التي أعطت لهؤلاء التقرّب إلى الله بنوافل الخيرات.

ثمّ إنّ هذه المحبّة، وهي الفرع الثاني، الذي هو بمنزلة الزّهرة، أنتجتْ له أن يكون الحقُّ سمعَه وبصرَه ويدَه إلى غير ذلك، وهذا هو الفرع الثالث، وهو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزّهرة، فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحقّ وينطق به ويبصر به ويبطش به ويدرك به، وهذا وحيٌ خاصٌّ

(١) ص ٨٦
(٢) ص ٨٦ب

إلهيّ، أعطاه هذا المقام، ليس للمَلَك فيه وساطة من الله، ولهذا قال الخضر لموسى ﷺ: ﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾[1].

فإنّ وحي الرسل، إنما هو بالملَك بين الله وبين رسوله، فلا خُبْر له بهذا الذوق، في عين إمضاء الحكم في عالَم الشهادة، فما تعوّدت الأرسال تشريع الأحكام الإلهيّة في عالَم الشهادة إلّا بواسطة[2] الروح، الذي ينزل به على قلبه أو في تمثّله، لم يعرف الرسول الشريعة إلّا على هذا الوصف. لا غير الشريعة؛ فإنّ الرسول له قرب أداء الفرض، والمحبّة عليها من الله وما تنتج له تلك المحبّة، وله قرب النوافل ومحبّتها، وما يعطيه محبّتها، ولكن من العلم بالله لا من علم التشريع وإمضاء الحكم في عالَم الشهادة، فلم يُحِطْ به خُبرا من هذا القبيل. فهذا القدر هو الذي اختصّ به خضر دون موسى ﷺ.

ومن هذا الباب يحكم المحمّديّ الذي لم يتقدّم له علمٌ بالشريعة بوساطة النقل وقراءة الفقه والحديث ومعرفة الأحكام الشرعيّة، فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع، على ما هو عليه في الشرع المنزل، من هذه الحضرة. وليس من الرسل وإنما هو تعريف إلهيّ وعصمة، يعطيهما هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل. فهذا معنى قوله: ﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾[3] فإنّ الرسول لا يأخذ هذا الحكم إلّا بنزول الروح الأمين على قلبه، أو بمثال في شاهده يتمثّل له الملَك رَجُلا.

ولَمّا كانت النبوّة قد مُنِعَت، والرسالة كذلك، بعد رسول الله ﷺ كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمّديّ عليه[4] في عالَم الشهادة، فلو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى، لظهر الحكم من هذا الوليّ كما ظهر من الخضر، من غير وساطة ملَك بل من حضرة القرب، فالرسول والنبيّ لهما حضرة القرب مثل ما لهذا، وليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له إلّا بوساطة الملَك الروح، وما بقي.

إلّا إذا حصل للنبيّ المتأخّر من شرع المتقدِّم ما هو شرعٌ له؛ هل يحصل ذلك بوساطة الروح

(١) [الكهف: ٦٨]
(٢) ص ٨٧
(٣) [الكهف: ٦٨]
(٤) ص ٨٧ب

كسائر شرعه؟ أو يحصل له كما حصل للخضر ولهذا الوليّ منّا من حضرة الوحي؟ فمذهبي أنّه لا يحصل له إلّا كما يحصل ما يختصّ به من الشرائع ذلك الرسول، ولهذا يصدق الثقة العدل في قوله: ﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾(١).

وما يُعرف له منازع ولا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا، ولا وقفنا عليه، غير أنّه إن خالفنا فيه أحدٌ من أهل طريقنا ولا يُتصوّر فيه خلاف لنا إلّا من أحد رجلين: إمّا رجلٌ من أهل الله التبس عليه الأمر، وجعل التعريف الإلهيّ حكما، فأجاز أن يكون النبيّ أو الرسول كذلك، ولكن في هذه الأمّة، وأمّا في الزمان الأوّل، فهو حكم لصاحبه ولا بدّ، وهو تعريفٌ للرسول بوساطة الملَك أنّ هذا شرعٌ لغيره، قال -تعالى- لَمّا ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(٢) وما ذكر له هداهم إلّا بالوحي بوساطة الروح، والرجل الآخر رجلٌ(٣) قاسَ الحكمَ على الأخبار. وأمّا غير ذلك فلا يكون. ومع هذا فلم يصل إلينا عن أحد منهم خلاف، فيما ذكرناه ولا وفاق.(٤)

ومن أصول هذه الطبقة أيضا أنّه يتكلّم بما به يسمع، ولا يقول بذلك سِوَاهُم، من حيث الذوق، لكن قد يقول بذلك مَن يقول به من حيث الدليل العقلي. فهؤلاء يأخذونه عن تجلّ إلهيّ، وغيرهم يأخذه عن نظر صحيح موافق للأمر على ما هو عليه وهو الحقّ. ووقوع الاختلاف في الطريق؛ فهذا الطريق غير هذا الطريق، وإن اتّفقا في المنزل وهو الغاية.

فهو السميع لنفسه، البصير لنفسه، العالِم لنفسه، وهكذا كلّ ما تسمّيه به أو تصفه أو تنعته، إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله، حيث يطلق لفظ "صفةٍ" على ما نسب إليه أو لفظ "نعت"، فإنّه ما أطلق على ذلك إلّا لفظ "اسم"، فقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾(٥) و﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾(٦) ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾(٧) وقال في حقّ المشركين: ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾(٨) وما قال: صفوهم

(١) [الكهف: ٦٨]
(٢) [الأنعام: ٩٠]
(٣) ص ٨٨
(٤) بالهامش: "بلغ"، ثم: "بلغت قراءة عليه أحسن الله إليه. كتبه علي النشبي".
(٥) [الأعلى: ١]
(٦) [الرحمن: ٧٨]
(٧) [الأعراف: ١٨٠]
(٨) [الرعد: ٣٣]

ولا انعتوهم، بل قال: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] فنزّه نفسه عن الوصف لفظا ومعنى، إن كنت من أهل الأدب والتفطّن. فهذا معنى قولي: "إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله".

والمخالف لنا يقول: إنّه يعلم بعلم، ويقدر بقدرة، ويبصر ببصر، وهكذا جميع ما يتسمّى به إلّا صفات التنزيه، فإنّه[2] لا يتكلّم فيها بهذا النوع؛ كالغنيّ وأشباهه إلّا بعضهم، فإنّه جعل ذلك كلّه معاني قائمة بذات الله، لا هي هو ولا هي غيره، ولكن هي أعيان زائدة على ذاته.

والأستاذ أبو إسحق جعل (الصفات) السبعة أصولا أعيانا زائدة على ذاته، اتّصفتْ بها ذاتُه، وجعل كلّ اسم بحسب ما تعطيه دلالته. فجعل صفات التنزيه كلّها في جدول الاسم الحيّ، وجعل الخبير والحسيب والعليم والمحصي وإخوانه في جدول العلم، وجعل الاسم الشكور في جدول الكلام، وهكذا ألحق الكلّ؛ كلّ صفة من السبعة ما يليق بها من الأسماء بالمعنى، كالخالق والرازق للقدرة، وغير ذلك على هذا الأسلوب، هذا مذهب الأستاذ.

وأجمع المتكلّمون من الأشاعرة، على أنّ ثَمّ أمورا زائدة على الذات، ونصبوا على ذلك أدلّة. ثمّ إنّهم مع إجماعهم على الزائد، لم يجدوا دليلا قاطعا على أنّ هذا الزائد على الذات؛ هل هو عين واحدة لها أحكام مختلفة؟ وإن كان زائدا لا بدّ من ذلك؟ أو هل هذا الزائد أعيانٌ متعدّدة؟ لم يقل حاذقوهم في ذلك شيئا. بل قال: يمكن أن يكون الأمر في نفسه، أن يرجع إلى عين واحدة، ويمكن أن يرجع إلى أعيان مختلفة، إلّا أنّه زائد ولا بدّ.

ولا فائدة جاء بها هذا المتكلّم إلّا عدم التحكم؛ فإنّ[3] الذات إذا قبِلت عينا واحدة زائدة، جاز أن تقبل عيونا كثيرة زائدة على ذاتها، فتكون القدماء لا يُحْصُون كثرة، وهو مذهب أبي بكر بن الطيّب. والخلاف في ذلك يطول، وليس طريقنا على هذا بُني، أعني في الردّ عليهم ومنازعتهم.

لكن طريقنا تبيينُ مآخذ كلِّ طائفة، ومن أين انتحلته في نحلتها؟، وما تجلّى لها؟، وهل يؤثِّر

(١) [الصافات: ١٨٠]
(٢) ص ٨٨ب
(٣) ص ٨٩

ذلك في سعادتها أو لا يؤثِّر؟ هذا حظّ أهل طريق الله من العلم بالله، فلا نشتغل بالردّ على أحد من خلق الله، بل ربما نقيم لهم العذر في ذلك للاتّساع الإلهيّ، فإنّ الله أقام العذر فيمن يدعو مع الله إلها آخر، ببرهانٍ يرى أنّه دليل في زعمه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾[1].

ومن أصولهم الأدب مع الله -تعالى- فلا يسمّونه إلّا بما سمّى به نفسَه ولا يضيفون إليه إلّا ما أضافه إلى نفسه. كما قال -تعالى-: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وقال في السيّئة: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾. ثمّ قال: ﴿قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] قال ذلك في الأمرين إذا جمعتَهما، لا تقل: "من الله" فراعى اللفظ.

واعلم أنّ لجمع الأمر حقيقة تخالف حقيقة كلّ مفرد، إذا انفرد ولم يجتمع مع غيره، كسواد المداد بين العفص والزاج، ففصل -سبحانه- بين ما يكون منه[3] وبين ما يكون من عنده، يقول -تعالى- في حقّ طائفة مخصوصة: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[4] بِبِنية المفاضلة، ولا مناسَبة. وقال في حقّ طائفة أخرى معيّنة صفتها: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾[5] فما هو عنده ما هو عينُ ما هو منه ولا عينُ هويّته، فبين الطائفتين ما بين المنزلتين.

كما قيل لواحد: «ما تركتَ لأهلك؟ قال: اللهَ ورسولَه. وقيل للآخر: فقال: نصفَ مالي. فقال: بينكما ما بين كلمتيكما». يعنى في المنزلة. فإذا أخذ العبد من كلّ ما سِوَاهُ، جعله في الله ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَى﴾ وإذا أخذه من وجه من العالَم يقتضى الحجاب والبعد والذمّ، جعله في ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾ فميّز المراتب.

ثمّ إنّه -سبحانه- عرّفنا بأهل الأدب ومنزلتهم من العلم به، فقال عن إبراهيم خليله إنّه قال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِي. وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِي﴾[6] ولم يقل: يجوّعني ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾

---

(١) [المؤمنون: ١١٧]
(٢) [النساء: ٧٨]
(٣) ص ٨٩ب
(٤) [طه: ٧٣]
(٥) [القصص: ٦٠]
(٦) [الشعراء: ٧٨، ٧٩]

ولم يقل: أمرضني ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[1] فأضاف الشفاء إليه والمرض لنفسه، وإن كان الكلّ من عنده، ولكنّه -تعالى- هو أَدَّب رُسُلَه، إذ كان المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت.

فإنّ الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلّص من هذا الحبس، وتطلبه الأنبياء للقاء الله الذي يتضمّنُهُ، وكذلك أهل الله، ولذلك[2] ما خُيِّر نبيّ في الموت إلّا اختاره؛ لأنّ فيه لقاء الله، فهو نعمة منه عليه ومنّة، والمرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداءه من حقوق الله، لإحساسه بالألم وهو في محلّ التكليف، وما يُحِسُّ بالألم إلّا الروح الحيوانيّ، فيشغل الروح المدبِّر لجسده عمّا دعي إليه في هذه الدنيا، فلهذا أضاف المرض إليه، والشفاء أو الموت للحقّ.[3]

كما فعل صاحب موسى عليه السلام في إضافة خرق السفينة إليه، إذ جعل خرقها عيبا، وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربّه لما فيه من الرحمة بأبويه، ولما ساءهما من ذلك أضافه إليه، وأضاف إقامة الجدار إلى ربّه لما فيه من الصلاح والخير، فقال -تعالى- عن عبده خضر في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾[4] تنزيها أن يضيف إلى الجناب العالي ما ظاهِره ذمٌّ في العُرف والعادة، وقال في إقامة الجدار لَمّا جعل إقامته رحمة باليتيمين، لما يصيبانه من الخير الذي هو الكنز: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ يخبر موسى عليه السلام: ﴿أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾[5]، وقال لموسى في حقّ الغلام: إنّه طُبع كافرا، والكفر صفة مذمومة قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾[6] وأراد أن يخبره بأنّ الله يبدّل أبويه ﴿خَيۡرٗا[7] مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾[8].

فأراد أن يضيف ما كان في المسألة من العيب في نظر موسى عليه السلام حيث جعله نُكرا من المنكر، وجعله نفسا زاكية قُتلت بغير نفس. قال: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾[9] فأتى بنون الجمع.

(١) [الشعراء: ٨٠]
(٢) ص ٩٠
(٣) في الهامش: "أحمد، ومحمد بن زرافة".
(٤) [الكهف: ٧٩]
(٥) [الكهف: ٨٢]
(٦) [الزمر: ٧]
(٧) ص ٩٠ب
(٨) [الكهف: ٨١]
(٩) [الكهف: ٨١]

فإنّ في قتله أمرين: أمرا[١] إلى الخير، وأمرا[٢] إلى غير ذلك، في نظر موسى، وفي مستقرّ العادة. فما كان من خيرٍ في هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون، وما كان فيه من نُكر في ظاهر الأمر وفي نظر موسى عليه السلام في ذلك الوقت، كان للخضر من حيث ضمير النون. فنون الجمع لها وجهان لما فيها من الجمع: وجهٌ إلى الخير به أضاف الأمر إلى الله، ووجهٌ إلى العيب، به أضاف العيب إلى نفسه.

وجاء بهذه المسألة، والواقعة في الوسط لا في الطرف بين السفينة والجدار، ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة وما فيها من خير من جهة الجدار. فلو كانت مسألة الغلام في الطرف ابتداء أو انتهاء، لم تعط الحكمة أن يكون كلّ وجهٍ مخلَصا من غير أن يشوبه شيء من الخير أو ضدّه، فلو كان أوّلا وكانت السفينة وسطا، لم يصل ما في مسألة الغلام من الخير الذي له ولأبويه، حتى يمرّ على حضرة معيبة ظاهرا وهي السفينة وحينئذ[٣] يتّصل[٤] بالخير الذي في الجدار. ولو كان الجدار وسطا وتأخّر حديث الغلام لم يصل عيبُ السفينة إلى الاتّصال بعيب الغلام[٥] حتى يمرّ بخير ما في الجدار، فيمرّ بغير المناسب. ومن شأن الحضرات أن تقلب أعيان الأشياء، أعني صفاتها إذا مرّت بها، فكانت مسألة الغلام وسطا، فَيَلِي وجه العيب جهة السفينة، ويلي جهة الخير جهة الجدار، واستقامت الحكمة.

فإن قلتَ: فلِم جمع بين الله وبين نفسه في ضمير النون، أعني نون ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ وقال ﷺ لمّا سمع بعض الخطباء وقد جمع بين الله -تعالى- ورسول الله ﷺ في ضمير واحد في قوله: "ومن يعصهما": «بئس الخطيب أنت»؟ فاعلم أنّه من الباب الذي قرّرناه، وهو أنّه لا يضاف إلى الحقّ إلّا ما أضافه الحقُّ إلى نفسه، أو أمر به رسوله أومَن آتاه علما من لدنه، كالخضر المنصوص عليه. فهذا من ذلك الباب. فلمّا كان هذا الخطيب عريّا من العلم اللدنّي، ولم يكن رسول الله ﷺ تقدّم إليه في إباحة مثل هذا، لهذا ذمَّه، وقال: «بئس الخطيب أنت» فإنّه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحقّ والخلق في ضمير واحد، إلّا بإذن إلهيّ من رسول أو علمٍ لدنّيٍ، ولم يكن واحدٌ من هذين

---

(١) ق: أمر
(٢) ق: وأمر
(٣) أضيف في الهامش: "الجمال، والخلال".
(٤) ص ٩١
(٥) "لم يصل.... الغلام" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

الأمرين عنده، فلهذا ذمّه رسول الله ﷺ.

وقد[1] قال رسول الله ﷺ في حديثٍ رويناه عنه في خطبةٍ خطبها فذكر الله -تعالى- فيها وذكر نفسه ﷺ ثمّ جمع بين ربّه -تعالى- وبين نفسه فيها في ضمير واحد، فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصها فلا يضرّ إلّا نفسَه ولا يضرّ اللهَ شيئا» ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ ﷺ: ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ. إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[2] وكذا قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾[3] يعني جميع ما فعله من الأعمال، وجميع ما قال من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك فافهم.

فهذا، قد أبنتُ لك عن أصولهم ما فيه كفاية. فالركبان هم المرادون المجذوبون، المصونةُ أسرارُهم في البَيْض، فلا يتخلّلها هواء، مثل القاصرات الطرف من الحور، المقصورات في الخيام ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾[4].

ومن صفاتهم؛ أنهّم لا يكشفون وجوهَهم عند النوم، ولا ينامون إلّا على ظهورهم، لهم التلقّي. لا يتحرّكون إلّا عن أمر إلهيّ، ولا يسكنون إلّا كذلك، بإرادته. إرادتهم ما يراد بهم. ولَمّا كان السكون أمرا عدميّا، لذلك قرنّا به الإرادة دون الأمر، ولَمّا كان التحرّك أمرا وجوديّا، لذلك قرنّا به الأمر الإلهيّ إن[5] فهمتَ.

وهم رضي الله عنهم لا يزاحِمون ولا يزاحَمون، أكثر ما يجري على ألسنتهم: "ما شاء الله"، سُخِّرت لهم السحاب، لهم القدم الراسخة في علم الغيوب، لهم في كلّ ليلة معراج روحانيّ، بل في كلّ نومة من ليل أو نهار، لهم استشراف على بواطن العالَم؛ فرأوا ملكوت السماوات والأرض، يقول الله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[6] وقال في حقّ رسول الله ﷺ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾[7] وهو عين إسرائه. و«العلماء ورثة الأنبياء».

---

(١) ص ٩١ب
(٢) [النجم: ٣، ٤]
(٣) [الكهف: ٨٢]
(٤) [الصافات: ٤٩]
(٥) ص ٩٢
(٦) [الأنعام: ٧٥]
(٧) [الإسراء: ١]

أحوالهم الكتمان؛ لو قُطِّعوا إربا إربا ما عُرِف ما عندهم، لهذا قال خضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾[1] فالكتمان من أصولهم، إلّا أن يؤمروا بالإفشاء والإعلان، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

---

(١) [الكهف: ٨٢]

(٢) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش بقلم ابن العربي: "بلغ قراءة الظهير محمود عليّ. وكتب ابن العربي".

الباب الثاني والثلاثون
في معرفة الأقطاب المدبِّرين
أصحاب الرِّكاب من الطبقة الثانية

إنَّ[1] التَّدَبُّرَ مَعْشُوقٌ لِصَاحِبِهِ ... بِهِ تَعَشَّقَتِ الأَسْمَاءُ والدُّوَلُ
عَلَيْهِ عِنْدَ الَّذِي تَقْضِي سَوَالِفُهُ ... فِي كُلِّ ما يَقْتَضِيْهِ كَوْنُهُ العَمَلُ
بِهِ تَرَتَّبَ ما فِي الكَوْنِ مِنْ عَجَبٍ ... فَكُلُّ كَوْنٍ لَهُ فِي عِلْمِهِ أَجَلُ

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة بأشبيلية من بلاد الأندلس. منهم أبو يحيى الصنهاجي الضرير؛ كان يسكن بمسجد الزبيدي، صحبته إلى أن مات، ودُفن بجبل عال كثير الرياح بالشرف[2]، فكلٌّ الناس شقَّ عليهم صعود الجبل، لطوله وكثرة رياحه، فسكّن الله الريح، فلم تهبّ من الوقت الذي وضعناه في الجبل، وأخذ الناس في حَفْر قبره وقَطْع حجره، إلى أن فرغنا منه وواريناه روضتَه وانصرفنا، فعند انصرافنا هبّت الريح على عادتها، فتعجّب الناس من ذلك.

ومنهم أيضا صالح البربري وأبو عبد الله الشرفي وأبو الحجاج يوسف الشُّبْرُبَلي. فأمّا صالح فساح أربعين سنة، ولزم بأشبيلية مسجد الرُّطَنْدَالِيِّ أربعين سنة على التجريد، بالحالة التي[3] كان عليها في سياحته. وأمّا أبو عبد الله الشرفي فكان صاحب خطوة؛ بقي نحوا من خمسين سنة ما أسرج له سراجا في بيته، رأيت له عجائب. وأمّا أبو الحجاج الشُّبْرُبَلي من قرية يقال لها: شُبَرْبَل بِشَرَفِ أشبيلية؛ كان ممن يمشي على الماء، وتُعاشره الأرواح. وما من واحد من هؤلاء إلّا وعاشرتُه معاشرةَ مودّة وامتزاج ومحبّة منهم فينا. وقد ذكرناهم مع أشياخنا في "الدرّة الفاخرة" عند ذِكْرنا "من انتفعت به في طريق الآخرة".

فكان هؤلاء الأربعة من أهل هذا المقام، وهم من أكابر الأولياء الملاميّة، جعل بأيديهم علم التدبير والتفصيل؛ فلهم الاسم المدبِّر المفصِّل، وهِجّيرهم: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾[4] هم

---

(١) ص ٩٢ب
(٢) شرف الجبل: قمته.
(٣) ص ٩٣
(٤) [الرعد: ٢]

العرائس أهل المنصّات، فلهم الآيات المعتادة وغير المعتادة. فالعالَم كلّه عندهم آيات بيّنات، والعامّة ليست الآيات عندهم إلّا التي هي عندهم غير معتادة، فتلك تنبّههم إلى تعظيم الله.

والله قد جعل الآيات المعتادة لأصنافٍ مختلِفين من عباده؛ فمنها للعقلاء مثل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ[(١)] ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٢)] فثمّ آيات للعقلاء كلّها معتادة. وآيات للموقنين. وآيات لأُولِي الباب. وآيات لأُولِي النهى. وآيات للسامعين؛ وهم أهل الفهم عن الله. وآيات للعالَمين. وآيات للعالِمين. وآيات للمؤمنين. وآيات للمتفكّرين. وآيات لأهل التذكّر.

فهؤلاء كلّهم أصنافٌ نَعَتَهم الله بنعوت مختلفة وآيات مختلفات، كلّها ذكرها لنا في القرآن، إذا بحثتَ عليها وتدبَّرتها علمتَ أنّها آيات ودلالات على أمور مختلفة، ترجع إلى عين واحدة، غفل عن ذلك أكثر الناس، ولهذا عدّد الأصناف.

فإنّ من الآيات المذكورة المعتادة، ما يدرِك الناسُ دلالَتها من كونهم ناسا وجِنًّا وملائكة، وهي التي وصف بإدراكها العالَم -بفتح اللام-. ومن الآيات ما تغمضُ بحيث لا يدرِكها إلّا من له التفكّر السليم. ومن الآيات ما هي دلالاتها[(٣)] مشروطة بأُولِي الألباب، وهم العقلاء الناظرون في لبّ الأمور لا في قشورها، فهم الباحثون عن المعاني، وإن كانت الألبابُ والنُّهى العقولَ. فلم يكتفِ -سبحانه-[(٤)] بلفظة العقل حتى ذكر الآيات لأُولِي الألباب. فما كلّ عاقل ينظر في لُبّ الأمور وبواطنها؛ فإنّ أهل الظاهر لهم عقول بلا شكّ، وليسوا بأُولِي ألباب. ولا شكّ أنّ القصْلة[(٥)] لهم عقول، ولكن ليسوا بأُولِي نُهَى. فاختلفت صفاتهم إذ كانت كلّ صفة تعطى صنفا من العلم لا يحصل إلّا لمن حاله تلك الصفة، فما ذَكَرها الله سُدَى.

وكثّر الله ذِكْر الآيات في القرآن العزيز؛ ففي مواضع أردفها وتلا بعضها بعضا، وأردف صفة

---

(١) ص ٩٣ب

(٢) [البقرة: ١٦٤]

(٣) س، هـ: دلالتها

(٤) ص ٩٤

(٥) القِصْل، بالكسر: الفَسْل الضعيف الأَحمق، وقيل: هو الذي لا يَتَمالك حُمْقًا، والأُنثى قِصْلة. [لسان العرب]

العارفين بها. وفي مواضع أفردها. فمِثل إرداف بعضها على بعض؛ مساقُها في سورة الروم، فلا يزال يقول -تعالى-: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾[1] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾[2] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾[3] فيتلوها[4] جميع الناس ولا يتنبّه لها إلّا الأصناف الذين ذكرهم في كلّ آية خاصة، فكأنّ تلك الآيات في حقّ أولئك أُنزلت آيات، وفي حقّ غيرهم لمجرّد التلاوة ليؤجَروا عليها.

ولَمّا قرأتُ هذه السورة وأنا في مقام هذه الطبقة؛ ووصلتُ إلى قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾[5] تعجّبتُ كلّ العجب، من حسن نظم القرآن وجمعِه، ولماذا قدّم ما كان ينبغي، في النظر العقلي، في ظاهر الأمر، أن يكون على غير هذا النظم. فإنّ النهار لابتغاء الفضل، والليل للمنام، كما قال في القصص: ﴿وَمِن[6] رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾[7] فأعاد الضمير على الليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يريد في النهار فأضمر. وإن كان الضميران يعودان على المعنى المقصود. فقد يعمل الصانع بالليل ويبيع ويشتري بالليل. كما أنّه ينام أيضا ويسكن بالنهار، ولكنّ الغالب في الأمور هو المعتبر.

فلاح لي من خلف ستارة هذه الآية، وحسن العبارة عنها الرافعة سترها، وهو قوله: ﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[8] أمر زائد على ما يُفهم منه في العموم بقرائن الأحوال في ابتغاء الفضل للنهار والمنام للّيل ما نذكره:

وهو أنّ الله نبّه بهذه الآية على أنّ نشأة الآخرة الحسّيّة، لا تشبه هذه النشأة الدنياويّة، وأنّها ليست بعينها، بل تركيب آخر ومزاج آخر، كما وردت به الشرائع والتعريفات النبويّة في مزاج تلك الدار، وإن كانت هذه الجواهر عينها بلا شكّ، فإنّها التي تبعثر في القبور وتنشر، ولكن يختلف التركيب والمزاج، بأعراض وصفات تليق بتلك الدار، لا تليق بهذه الدار، وإن كانت الصورة واحدة في العين والسمع والأنف والفم واليدين والرجلين، بكمال النشأة، ولكنّ الاختلاف

---

(١) [الروم: ٢٠]
(٢) [الروم: ٢١]
(٣) [الروم: ٢٢]
(٤) رسمها في ق أقرب إلى: فيتلونها
(٥) [الروم: ٢٣]
(٦) ص ٩٤ب
(٧) [القصص: ٧٣]
(٨) [الروم: ٢٣]

بيّن؛ فمنه ما يُشعر به ويُحسّ، ومنه ما لا يُشعر به. ولَمّا كانت صورة الإنشاء في الدار الآخرة[1] على صورة هذه النشأة، لم يشعر بما أشرنا إليه. ولَمّا كان الحكم يختلف، عرفنا أنّ المزاج اختلف. فهذا الفرق بين حظّ الحسّ والعقل.

فقال -تعالى-: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2] ولم يذكر اليقظة وهي من جملة الآيات. فذكر المنام دون اليقظة في حال الدنيا. فدلّ على أنّ اليقظة لا تكون إلّا عند الموت، وأنّ الإنسان نائم أبدا ما لم يمت، فذكر أنّه في منامٍ بالليل والنهار في يقظته ونومه، وفي الخبر: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

ألا ترى أنّه لم يأت بالباء في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ واكتفى بباء الليل، ليحقّق بهذه المشاركة، أنّه يريد المنام في حال اليقظة المعتادة، فَحَذْفُها مما يقوّي الوجه الذي أبرزناه في هذه الآية.

فالمنام هو ما يكون فيه النائم في حال نومه، فإذا استيقظ يقول: "رأيت كذا وكذا"، فدلّ أنّ الإنسان في منامٍ ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت، فلم يعتبر الحقُّ اليقظةَ المعتادةَ عندنا في العموم، بل جعل الإنسان في منام في نومه ويقظته كما أوردناه في الخبر النبويّ من قوله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فوصفهم بالنوم في الحياة الدنيا.

والعامّة[3] لا تعرف النوم في المعتاد، إلّا ما جرت به العادة أن يسمّى نوما، فنبّه النبيّ ﷺ بل صرّح أنّ الإنسان في منام، ما دام في الحياة الدنيا، حتى ينتبه في الآخرة. والموت أوّل أحوال الآخرة. فصدقه الله بما جاء به في قوله -تعالى-: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ وهو النوم العاديّ ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ وهو هذا المنام الذي صرّح به رسول الله ﷺ.

ولهذا جعل الدنيا عبرة؛ جسرا يُعبر؛ أي تعبر (الدنيا) كما تعبر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه، فكما أنّ الذي يراه الرائي في حال نومه ما هو مراد لنفسه، إنما هو مراد لغيره، فيعبر من تلك الصورة المرئيّة في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالَم اليقظة، إذا استيقظ من نومه. كذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا، فكلّ ما يراه من حال وقول وعمل في الدنيا،

---

(١) ص ٩٥
(٢) [الروم: ٢٣]
(٣) ص ٩٥ب

إنما هو مطلوب للآخرة، فهناك يُعبر ويظهر له ما رآه في الدنيا. كما يظهر له في الدنيا إذا استيقظ ما رآه في المنام.

فالدنيا جسر يُعْبَر ولا يُعمر، كالإنسان في حال ما يراه في نومه يعبر ولا يعمر. فإنّه إذا استيقظ لا يجد شيئا مما رآه من خير يراه أو شرّ، وديار وبناء وسفر، وأحوال حسنة أو سيّئة، فلا بدّ أن يعبِّر له العارف بالعبارة(١) ما رآه، فيقول له: تدلُّ رؤياك لكذا على كذا.

فكذلك الحياة الدنيا منام؛ إذا انتقل إلى الآخرة بالموت لم ينتقل معه شيء مما كان في يده وفي حسِّه من دار وأهل ومال، كما كان حين استيقظ من نومه لم ير شيئا في يده، مما كان له حاصلا في رؤياه في حال نومه. فلهذا قال -تعالى- إنّنا في منام بالليل والنهار، وفي الآخرة تكون اليقظة، وهناك تُعبر الرؤيا.

فَمَن نوّر الله عين بصيرته وعبر رؤياه هنا قبل الموت أفلح، ويكون فيها مثل(٢) مَن رأى رؤيا، ثمّ رأى في رؤياه أنّه استيقظ، فيقصّ ما رآه، وهو في النوم على حاله؛ على بعض الناس الذين يراهم في نومه، فيقول: رأيت كذا وكذا فيفسّره ويعبّره له ذلك الشخص بما يراه في علمه بذلك، فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنّه لم يزل في منام؛ في حال الرؤيا؛ وفي حال التعبير لها، وهو أصحّ التعبير.

وكذلك الفَطِن اللبيب في هذه الدار، مع كونه في منامه، يرى أنّه استيقظ، فيعبر رؤياه في منامه؛ لينتبه ويزدجر؛ ويسلك الطريق الأسدَّ، فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه وفرح بمنامه، وأثمر(ت) له رؤياه خيرا. فلهذه الحقيقة ما ذَكَر الله في هذه الآية اليقظة، وذَكَر المنام، وأضافه إلينا بالليل والنهار، وكان ابتغاء الفضل فيه، في(٣) حقّ مَن رأى في نومه أنّه استيقظ في نومه، فيعبر رؤياه وهي حالة الدنيا، والله يلهمنا رُشْد أنفسنا.

هذا من قوله -تعالى-: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾(٤) فهذا تفصيل آيات المنام بالليل والنهار والابتغاء من الفضل، وجعله آيات لقوم يسمعون، أي يفهمون. كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ

(١) ص ٩٦
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل.
(٣) ص ٩٦ب
(٤) [الرعد: ٢]

سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[1] أراد الفهم عن الله، وقال فيهم: ﴿صُمُّۢ﴾ مع كونهم يسمعون ﴿بُكۡمٌ﴾ مع كونهم يتكلّمون ﴿عُمۡيٞ﴾ مع كونهم يبصرون ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[2] فنبّهتك على ما أراد بالسمع والكلام والبصر هنا.

فهذه الطبقة الركبانيّة الثانية؛ مآخذهم للأشياء على هذا الحدّ الذي ذكرناه في هذه الآية. وإنما ذكرنا هذا المأخذ لنعرّفك بطريقتهم، فتتبيّن لك منزلتهم من غيرهم. فَلَطائفُهم بالآيات المنصوبة - المعتادة وغير المعتادة- قائمةٌ ناظرةٌ إلى نفوس العالَم، ناظرةٌ إلى الوجوه الغَرضيّة التي إليها يتوجّهون، بسبب أغراضهم. ناظرةٌ إلى الحدود الإلهيّة فيما إليه يتوجّهون، لا يغفلون عن النظر في ذلك طرفة عين. فغفلتهم التي تقتضيها جِبِلَّتهم؛ إنما متعلّقها منهم عمّا ضمن لهم. فهم متيقّظون فيما طُلب منهم، غافلون عمّا ضُمن لهم، حتى لا يخرجون عن حكم الغفلة، فإنّها من جِبلّة الإنسان.

وغير هذه الطائفة صرفتها الغفلةُ عمّا يراد منها[3]. فإن كان الذي يقع إليه التوجُّه طاعة، نظروا في دقائق تحصيلها، ونظروا إلى الأمر الإلهيّ الذي يناسبها، والاسم الإلهيّ الذي له السلطان عليها. فيفصّل لهم الأمرُ الإلهيّ الآيةَ التي يطلبونها. فإن كانت الآيةُ معتادة مثل اختلاف الليل والنهار وتسخير السحاب وغير ذلك من الآيات المعتادة التي لا خبر لنفوس العامّة بكونها حتى يفقدوها، فإذا فقدوها حينئذ خرجوا للاستسقاء، وعرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها وقدْرِها، وأنّهم كانوا في آية وهم لا يشعرون، فإذا جاءتهم وأُمطروا عادوا إلى غفلتهم.

هذا حالُ العامّة، كما قال الله فيهم معجّلا في هذه الدار: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[5] و﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ

(١) [الأنفال: ٢١]
(٢) [البقرة: ١٧١]
(٣) ص ٩٧
(٤) [يونس: ٢٢]
(٥) [العنكبوت: ٦٥]

ٱلۡحَقِّۗ﴾[١] يقول الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[٢] وهكذا يقولون في النار: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾[٣] قال -تعالى-: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾[٤] كما عاد أصحاب الفُلْك إلى[٥] شِرْكِهم وبَغْيِهم بعد إخلاصهم لله.

فإذا نظرتْ هذه الطائفة إلى هذه الآيات، أرسلوها مع أمرها الإلهيّ إلى حيث دعاها. وإن كانت الآية غير معتادة، نظروا أيّ اسم إلهيّ يطلبها؛ فإن طلبها القهّار وإخوانه، فهي آية رهبة وزجر ووعيد؛ أرسلوها على النفوس. وإن طلبها -أعني تلك الآية- الاسم اللطيف وإخوانه، فهي آية رغبة؛ أرسلوها على الأرواح، فأشرق لها نور شعشعانيّ على النفوس، فجنحتْ بذلك النفوسُ إلى باريها، فرزقتْ التوفيق والهداية، وأُعطيت التلذّذ بالأعمال، فقامت فيها بنشاط، وتعرّت فيها من ملابس الكسل، ويبغض إليها معاشرة البطّالين، وصحبة الغافلين اللّاهين عن ذِكْر الله، ويكرهون الملأ والجلوة، ويؤثِرون الانفراد والخلوة.

ولهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر، وكشفِها وسرِّها ومعناها، ولهم فيها حكم إلهيّ اختصّوا به، وهي حظُّهم من الزمان. فانظر ما أشرف مقامهم[٦] إذ حباهم الله من الزمان بأشرفه، فإنّها ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[٧] فيه زمان رمضان ويوم الجمعة ويوم عاشوراء ويوم عرفة وليلة القدر. فكأنّه قال: فتضاعف خيرها ثلاثا وثمانين ضعفا وثلث، لأنّها ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وقد تكون الأربعة الأشهر مما يكون فيها ليلة القدر[٨]، فيكون التضعيف في كلّ ليلة قدر أربعة وثمانين ضعفا. فانظر ما في هذا الزمان من الخير، وبأيّ زمان خُصّت هذه الطائفة، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٩].

انتهى الجزء الثامن عشر والحمد لله، يتلوه الجزء التاسع عشر.[١٠]

---

(١) [يونس: ٢٣]
(٢) [يونس: ٢٣]
(٣) [الأنعام: ٢٧]
(٤) [الأنعام: ٢٨]
(٥) ص ٩٧ب
(٦) لم ترد في ق، ه، وأثبتناها من س
(٧) [القدر: ٣]
(٨) ص ٩٨
(٩) [الأحزاب: ٤]
(١٠) بالهامش: "بلغ".

الجزء التاسع عشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

الباب الثالث والثلاثون

في معرفة أقطاب النّيّات وأسرارهم، وكيفيّة أصولهم، ويقال لهم: النيّاتيّون

الرُّوْحُ لِلْجِسْمِ والنِّيَّاتُ لِلْعَمَلِ   تَحْيَا بِهَا كَحَيَاةِ الأَرْضِ بِالمَطَرِ
فَتُبْصِرُ الزَّهْرَ والأَشْجَارَ بَارِزَةً   وكُلَّ مَا تُخْرِجُ الأَشْجَارُ مِنْ ثَمَرِ
كَذَاكَ تَخْرُجُ مِنْ أَعْمَالِنَا صُوَرٌ   لَهَا رَوَائِحُ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ عَطِرِ
لَوْلَا الشَّرِيْعَةُ كانَ المِسْكُ يَخْجَلُ مِنْ   أَعْرَافِها، هَكَذَا يَقْضِي بِهِ نَظَرِي
إِذْ كانَ مُسْتَنَدُ التَّكْوِينِ أَجْمَعُهُ   لَهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ النَّفْعِ والضَّرَرِ
فَالْزَمْ شَرِيْعَتَهُ تَنْعَمْ بِهَا سُوَرًا   تَحُلُّها صُوَرٌ تَزْهُو عَلَى سُوَرِ
مِثْلَ المُلُوكِ تَرَاهَا فِي أَسِرَّتِهَا   أَوْ كالعَرَائِسِ مَعْشُوقِينَ لِلبَصَرِ

روينا[3] من حديث رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنما الأعمال بالنّيّات، وإنما لامرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اعلم أنّ لمراعاة النيّات رجالا على حال مخصوص ونعت خاصٍّ، أذكرهم -إن شاء الله- وأذكر أحوالَهم. والنيّة لجميع الحركات والسكنات في المكلّفين للأعمال (هي) كالمطر لما تنبته الأرض. فالنيّة من حيث ذاتها واحدة، وتختلف بالمتعلَّق وهو المَنْوِيُّ، فتكون النتيجة بحسب المتعلَّق به لا بحسَبها. فإنّ حظّ النيّة إنما هو القصد للفعل أو تركه. وكون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا، وخيرا أو شرّا؛ ما هو من أثر النيّة، وإنما هو من أمر عارض عرَض، ميَّزه الشارع وعيّنه

(١) العنوان ص ٩٨ب
(٢) البسملة ص ٩٩
(٣) ص ٩٩ب

للمكلَّف، فليس للنيّة أثر أَلْبَتَّة من هذا الوجه خاصّة.

كالماء إنما منزلته أن ينزل أو يسيح في الأرض. وكون الأرض الميتة تحيا به، أو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله، ليس ذلك له. فتخرج الزهرة الطيّبة الريح والمنتنة، والثمرة الطيّبة والخبيثة، من خبث مزاج البقعة أو طِيبها، أو من خبث البزرة[(١)] أو طيبها، قال -تعالى-: ﴿تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾[(٢)] ثمّ قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

فليس للنيّة في ذلك إلّا الإمداد، كما قال -تعالى-: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾[(٣)] يعني المَثل المضروب به في القرآن، أي بسببه، وهو من القرآن. فكما كان الماء سببا في ظهور هذه الروائح المختلفة والطعوم المختلفة، كذلك هي النيّات سببٌ في الأعمال الصالحة وغير الصالحة.

ومعلوم أنّ القرآن مَهداة كلّه، ولكن بالتأويل، في المَثل المضروب؛ ضلّ من ضلّ، وبه اهتدى مَن اهتدى. فهو من كونه مَثلا لم تتغيّر حقيقتُه، وإنما العيب وقع في عين الفهم. كذلك النيّة أعطت حقيقتها، وهو تعلّقها بالمَنْوِيّ، وكون ذلك المنويُّ حسنا أو قبيحا ليس لها، وإنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبح، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي بيّنّا له طريق السعادة والشقاء، ثمّ قال: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[(٤)] هذا راجع للمخاطَب المكلَّف. فإن نوى الخيرَ أثمر خيرا، وإن نوى الشرَّ أثمر شرّا. فما أُتي عليه إلّا من المحلّ؛ من طِيبه أو خَبَثِه.

يقول الله -تعالى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[(٥)] أي هذا أوجبته على نفسي-، كأنّ الله يقول: الذي يلزم جانب الحقّ منكم (هو) أن يبيّن لكم السبيل الموصل إلى سعادتكم، وقد[(٦)] فعلتُ، فإنّكم لا تعرفونه إلّا بإعلامي لكم به وتبييني.

وسبب ذلك أنّه سبق في العلم أنّ طريق سعادة العباد إنما هو في سبب خاص. وسبب شقائهم أيضا إنما هو في طريق خاص. وليس إلّا العدول عن طريق السعادة، وهو الإيمان بالله،

(١) ص ١٠٠
(٢) [الرعد: ٤] وتسقى وفقا لقراءة ورش، وعند حفص: يسقى
(٣) [البقرة: ٢٦]
(٤) [الإنسان: ٣]
(٥) [النحل: ٩]
(٦) ص ١٠٠ب

وبما جاء من عند الله، مما ألزمنا فيه الإيمان به. ولَمّا كان العالَم في حال جهل، بما في علم الله من تعيين تلك الطريق، تعيّن الإعلام به بصفة الكلام، فلا بدّ من الرسول، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١] ولا نوجب على الله إلّا ما أوجبه على نفسه، وقد أوجب التعريفَ على نفسه بقوله -تعالى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ مثل قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٣].

وعلى الحقيقة؛ إنما وجب ذلك على النِّسبة لا على نفسه، فإنّه يتعالى أن يجب عليه شيء من أجل حدِّ الواجب الشرعيِّ، فكأنّه لَمّا تعلّق العلم الإلهيّ أزلا بتعيين الطريق التي فيها سعادتنا، ولم يكن للعلم -بما هو علم- صورة التبليغ، وكان التبليغ من صفة الكلام، تعيّن التبليغ على نسبة كونه متكلّما، بتعريف الطريق التي فيها سعادة العباد التي عيّنها العلم، فأبان الكلام الإلهيّ بترجمته عن العلم ما عيّنه من[٤] ذلك. فكان الوجوب على النِّسبة، فإنّها نسب مختلفة. وكذلك سائر النِّسب الإلهيّة من إرادة وقدرة وغير ذلك.

وقد بيّنّا محاضرة الأسماء الإلهيّة، ومحاورتها ومجاراتها في حلبة المناظرة على إيجاد هذا العالَم، الذي هو عبارة عن كلّ ما سِوَى الله في كتاب "عنقاء مغرب" بوّبنا عليه "محاضرة أزليّة على نشأة أبديّة"، وكذلك في كتاب "إنشاء الجداول والدوائر" لنا.

فقد علمتَ كيف تعلَّق الوجوب الإلهيّ على الحضرة الإلهيّة، إن كنتَ فَطِنا لعلم النِّسب. وعلى هذا يخرج قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[٥] وكيف يُحشر إليه من هو جليسه وفي قبضته؟ سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ فبكى، حتى ضرب الدمعُ المنبرَ، بل روي أنّه طار الدمُ من عينيه حتى ضرب المنبرَ وصاح، وقال: "يا عجبا كيف يُحشر إليه من هو جليسه؟!".

فلمّا جاء زماننا، سُئلنا عن ذلك. فقلت: "ليس العجب إلّا من قول أبي يزيد! فاعلموا إنما كان

---

(١) [الإسراء: ١٥]
(٢) [الروم: ٤٧]
(٣) [الأنعام: ٥٤]
(٤) ص ١٠١
(٥) [مريم: ٨٥]

ذلك لأنّ المتّقي جليس الجبّار، فيتّقي سطوته. والاسم الرحمن ما له سطوة من كونه الرحمن؛ إنما الرحمن يعطي اللين واللطف والعفو والمغفرة. فلذلك يُحشر إليه[1] من الاسم الجبّار، الذي يعطي السطوة والهيبة، فإنّه (أي الاسم الجبّار) جليس المتّقين في الدنيا من كونهم متّقين".

وعلى هذا الأسلوب تأخذ الأسماء الإلهيّة كلّها، وكذا تجدها حيث وردتْ في ألسنة النبوّات. إذا قصدت حقيقة الاسم وتمييزه من غيره، فإنّ له دلالتين: دلالة على المسمّى به، ودلالة على حقيقته التي بها يتميّز عن اسم آخر، فافهم.

واعلم أنّ هؤلاء الرجال، إنما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النيّة، كونهم نظروا إلى الكلمة وفيها، فعلموا أنّها ما أُلّفت حروفُها وجُمعتْ إلّا لظهور نشأة قائمة، تدلّ على المعنى الذي جُمعتْ له في الاصطلاح. فإذا تلفّظ بها المتكلّم، فإنّ السامع يكون همّه في فهم المعنى الذي جاءت له، فإنّ بذلك تقع الفائدة، ولهذا وُجدتْ في ذلك اللسان على هذا الوضع الخاص.

ولهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسماع المقيّد بالنغمات لعلوّ هممهم، ويقولون بالسماع المطلق. فإنّ السماع المطلق لا يؤثّر فيهم إلّا فَهْم المعاني، وهو السماع الروحانيّ الإلهيّ، وهو سماع الأَكابر. والسماع المقيّد إنما تؤثّر في أصحابه النَّغم، وهو السماع الطبيعيّ. فإذا ادّعى من ادّعى، أنّه يسمع في السماع المقيّد بالألحان المعنى، ويقول: لولا المعنى ما تحرّكتُ، ويدّعي[2] أنّه قد خرج عن حكم الطبيعة في ذلك، يعني في السبب المحرّك، وقد رأينا من ادّعى ذلك من المتشيّخين المتطفّلين على الطريقة، فصاحب هذه الدّعوى؛ إذا لم يكن صادقا، (يكون) سريع الفضيحة.

وذلك إنّ هذا المدّعي، إذا حضر مجلس السماع، فاجعل بالك منه. فإذا أخذ القوّال في القول بتلك النغمات المحرّكة بالطبع للمزاج القابل أيضا، وسَرَت الأحوال في النفوس الحيوانيّة، فحرّكت الهياكل حركة دوريّة لحكم استدارة الفلَك، وهو أعني الدور، مما يدلّك على أنّ السماع طبيعي. لأنّ اللطيفة الإنسانيّة ما هي عن الفلك، وإنما هي عن الروح المنفوخ منه، وهي غير متحيّزة، فهي فوق الفلَك، فما لها في الجسم تحريك دوريّ، ولا غير دوريّ، وإنما ذلك للروح الحيوانيّ الذي هو تحت الطبيعة والفلك. فلا تكن جاهلا بنشأتك، ولا بمن يحرّكك.

---

(١) ص ١٠١ب
(٢) ص ١٠٢

فإذا تحرّك هذا المدّعي، وأخذه الحال ودار، أو قفز إلى جهة فوق من غير دور، وقد غاب عن إحساسه بنفسه وبالمجلس الذي هو فيه، فإذا فرغ من حاله ورجع إليه إحساسه، فاسأله: ما الذي حرّكه؟ فيقول: إنّ القوّال قال كذا وكذا. ففهمتُ منه معنى كذا وكذا، فذلك المعنى حرّكني. فقل[1] له: ما حرّكك سِوَى حسن النغمة، والفهم إنما وقع لك في حكم التبعيّة، فالطبع حَكَم على حيوانيّتك، فلا فرق بينك وبين الجمل في تأثير النغمة فيك. فيعزّ عليه مثل هذا الكلام، ويثقل.

ويقول لك: "ما عرفتني، وما عرفت ما حرّكني". فاسكت عنه ساعة. فإنّ صاحب هذه الدّعوى، تكون الغفلة مستولية عليه.

ثمّ خذ معه في الكلام الذي يعطي ذلك المعنى. فقل له: ما أحسن قول الله -تعالى- حيث يقول، واتل عليه آية من كتاب الله تتضمّن ذلك المعنى الذي كان حرّكه من صوت المغنّي، وحقِّقه عنده حتى يتحقّقه، فيأخذ معك فيه ويتكلّم. ولا يأخذه لذلك حال، ولا حركة ولا فناء. ولكن يستحسنه ويقول: لقد تتضمّن هذه الآية معنى جليلا من المعرفة بالله. فما أشدّ فضيحته في دعواه.

فقل له: يا أخي؛ هذا المعنى بعينه هو الذي ذكرتَ لي أنّه حرّكك في السماع البارحة، لَمّا جاء به القوّال في شعره بنغمته الطيّبة، فلأيّ معنى سرى فيك الحال البارحة، وهذا المعنى موجود فيما[2] قد صُغْتُهُ لك وسُقْتُهُ بكلام الحقّ -تعالى- الذي هو أعلى وأصدق، وما رأيتك تهتزّ مع الاستحسان وحصول الفهم، وكنتَ البارحة يتخبّطك الشيطان من المسّ كما[3] قال الله -تعالى-، وحجبك عن عين الفهم السماع الطبيعيّ![4] فما حصل لك في سماعك إلّا الجهل بك. فمن لا يفرِّق بين فهمه وحركته؛ كيف يُرجى فلاحُه؟

فالسماع من عين الفهم هو السماع الإلهيّ، وإذا ورد على صاحبه وكان قويّا، لما يرد به من الإجمال، غاية فعله في الجسم أن يُضجعه لا غير، ويُغيّبه عن إحساسه، ولا يصدر منه حركة

(١) ص ١٠٢ب
(٢) ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٣) ص ١٠٣
(٤) ق: وحجبك عين الفهم عن السماع الطبيعيّ، س: وحجبك عن الفهم من السماع الطبيعيّ.

أصـــلا، بوجهٍ من الوجوه. سَــوَاء كان من الرجال الأكابر أو الصــغار. هذا حكم الوارد الإلهّي القويّ. وهو الفارق بينه وبين حكم الوارد الطبيعيّ، فإنّ الوارد الطبيعيّ، كما قلنا، تحرّكه الحركة الدوريّة والهيمان والتخبّط؛ فعل المجنون.

وإنما يُضجعه الوارد الإلهّي لسببٍ أذكره لك؛ وذلك أنّ نشأة الإنسان مخلوقة من تراب، قال -تعالى-: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾[١] (الإنسانُ) وإن كان فيه من جميع العناصر، ولكنّ العنصر ـ الأعظم التراب، قال ﷻ فيه أيضـا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[٢] والإنســـان في قعوده وقيامه، بَعُدَ عن أصــله الأعظم الذي منه نشـــأ، من أكثر جهاته، فإنّ قعودَه وقيامَه وركوعَه فروعٌ.

فإذا جاءه الوارد الإلهّي، وللوارد الإلهّي صـــفة القيّوميّة، وهي[٣] في الإنســـان من حيث جسميّته بحكم العرَض، وروحه المدبِّر هو الذي كان يقيمه ويقعده. فإذا اشـتغل الروح الإنسـاني المدبِّر عن تدبيره، بما يتلقّاه من الوارد الإلهّي، من العلوم الإلهيّة، لم يبق للجســم مَن يحفظ عليه قيامه ولا قعوده، فرجع إلى أصله؛ وهو لُصوقه بالأرض، المعبَّر عنه بالاضطجاع، ولو كان على سرير، فإنّ السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب. فإذا فرغ روحُه من ذلك التلقّي، وصدر الوارد إلى ربّه؛ رجع الروحُ إلى تدبير جســده؛ فأقامه من ضجعته. هذا سـبب اضـطجاع الأنبياء على ظهورهم، عند نزول الوحي عليهم.

وما سُمع قطّ عن نبيّ، أنّه تخبّط عند نزول الوحي، هذا مع وجود الواسطة في الوحي، وهو الملَك، فكيف إذا كان الوارد برفع الوسائط، لا يصحّ أن يكون منه قطّ غيبة عن إحساسه، ولا يتغيّر عن حاله الذي هو عليه. فإنّ الوارد الإلهّي برفع الوسائط الروحانيّة يسري في كلّيّة الإنسان، ويأخذ كلّ عضو، بل كلّ جوهر فرد فيه، حظّه من ذلك الوارد الإلهّي من لطيف وكثيف، ولا يشعر بذلك جليسه، ولا يتغيّر عليه من حاله الذي هو عليه من جليسه شيء، إن كان يأكل بقي على[٤] أكله في حاله أو شربه، أو حديثه الذي هو في حديثه. فإنّ ذلك الوارد يعمُّ، وهو قوله -

(١) [طه: ٥٥]
(٢) [آل عمران: ٥٩]
(٣) ص ١٠٣ب
(٤) ص ١٠٤

تعالى-: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[1] فمَن كانت أينيّته، في ذلك الوقت حالة الأكل أو الشرب أو الحديث أو اللعب أو ما كان بقي على حاله.

فلمّا رأت هذه الطائفة الجليلة، هذا الفرق بين الواردات الطبيعيّة والروحانيّة والإلهيّة، ورأت أنّ الالتباس قد طرأ على من يزعم أنّه في نفسه من رجال الله -تعالى-، أنِفُوا أن يتّصفوا بالجهل والتخليط، فإنّه محلّ الوجود الطبيعيّ، فارتقت همّتهم إلى الاشتغال بالنيّات، إذ كان الله قد قال لهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ﴾[2] والإخلاص (هو) النيّة، ولهذا قيّدها بقوله: ﴿لَهُ﴾ ولم يقل: "مخلصين".

وهو من الاستخلاص؛ فإنّ الإنسان قد يخلص نيّته للشيطان ويسمّى مخلِصا، فلا يكون في عمله لله شيء. وقد يخلِص للشركة. وقد يخلِص لله، فلهذا قال -تعالى-: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3] لا لغيره، ولا لحكم الشركة.

فشغلوا نفوسهم بالأصل في قبول الأعمال ونَيْل السعادات، وموافقة الطلب الإلهيّ منهم، فيما كلّفهم به من الأعمال الخالصة له، وهو المعبَّر عنه بالنيّة، فَنُسبوا إليها لغلبة شُغلهم بها، وتحقّقوا أنّ الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها[4]، وإنما هي من حيث ما قُصد بها، وهو النيّة في العمل، كالمعنى في الكلمة، فإنّ الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها، وإنما هي لما تضمّنَتْهُ.

فانظر -يا أخي- ما أدقّ نظر هؤلاء الرجال، وهذا هو المعبَّر عنه في الطريق بمحاسبة النفس، وقد قال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا». ولقيتُ من هؤلاء الرجال اثنين: أبو عبد الله بن المجاهد، وأبو عبد الله بن قسّوم، بأشبيلية، كان هذا مقامهم، وكانوا من أقطاب الرجال النِّيَّاتيّين.

ولَمّا شرعنا في هذا المقام تأسِّيًا بهما، وبأصحابه، وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ الواجب امتثاله في أمره: «حاسبوا أنفسكم» وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلّمون به وما يفعلونه، ويقيّدونه في دفتر. فإذا كان بعد صلاة العشاء، وخلَوا في بيوتهم؛ حاسَبوا أنفسهم وأحضروا

(١) [الحديد: ٤]
(٢) [البينة: ٥]
(٣) [البينة: ٥]
(٤) ص ١٠٤ب

دفاترهم[1]، ونظروا فيما صدر منهم في يومهم: من قول وعمل، وقابلوا كلّ عمل بما يستحقّه: إن استحقّ استغفارا استغفروا، وإن استحقّ توبة تابوا، وإن استحقّ شكرا شكروا، إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم، وبعد ذلك ينامون.

فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر، فكنّا نقيّد[2] ما تُحدِّثنا به نفوسنا، وما تَهُمُّ به، زائدا على كلامنا وأفعالنا، وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت، وأحضر الدفتر وأطالبها بجميع ما خطر لها، وما حَدّثت به نفسها، وما ظهر للحسّ من ذاك من قول وعمل، وما نَوَتْهُ في ذلك الخاطر والحديث. فَقَلّت الخواطر والفضول إلّا فيما يعني. فهذا فائدة هذا الباب، وفائدة الاشتغال بالنيّة. وما في الطريق ما يُغفَل عنه أكثر من هذا الباب، فإنّ ذلك راجع إلى مراعاة الأنفاس وهي عزيزة.

وبعد أن عرّفتُك بأصول هذه الطائفة، وما سبب شغلهم بذلك، وأنّه لهم أمر شرعيّ، وما لهم في ذلك من الأسرار والعلوم، فاعلم أيضا مقامهم في ذلك وما لهم. فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فإنّه لَمّا ذهب مغاضبا، وظنّ أنّ الله لا يضيّق عليه، لِما عهده من سعة رحمة الله فيه، وما نظر ذلك "الاتّساع الإلهيّ الرحمانيّ" في حقّ غيره، فتناله أُمّته واقتصر به على نفسه -والغضب ظلمة القلب- فأثّرتْ لِعلوّ منصبه في ظاهره، فأُسكن في ظلمة بطن الحوت، ما شاء الله، لينبّهه الله على حالته حين كان جنينا في بطن أُمّه؛ مَن كان يدبِّره فيه؟ وهل كان في ذلك الموطن[3] يُتصوّر منه أن يغاضِب أو يغاضَب؟ بل كان في كنف الله لا يعرف سِوَى ربّه، فردّه إلى هذه الحالة، في بطن الحوت، تعليما له بالفعل لا بالقول.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ عذرا عن أُمّته في هذا التوحيد، أي تفعل ما تريد، وتبسط رحمتك على من تشاء، ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4] مشتقٌّ من الظُّلمة، أي ظلمتي عادت عليَّ، ما أنت ظلمتني، بل ما كان في باطني سَرَى إلى ظاهري، وانتقل النور إلى باطني فاستنار، فأزال ظلمة المغاضبة، وانتشر فيه نور التوحيد، وانبسطت الرحمة، فسرى ذلك

(١) ق: دفترهم.
(٢) ص ١٠٥
(٣) ص ١٠٥ب
(٤) [الأنبياء: ٨٧]

النور في ظاهره، مثل ما سرتْ ظلمة الغضب.

فاستجاب له ربّه فنجّاه من الغمّ؛ فقذفه الحوت من بطنه، مولودا على الفطرة السليمة، فلم يولد أحدٌ من ولد آدم ولادتين سِوَى يونس عليه السلام، فخرج ضعيفا كالطفل، كما قال: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[1]. وربّاه باليقطين، فإنّ ورقه ناعم، ولا ينزل عليه ذباب، فإنّ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يزيل الذباب عن نفسه، فغطّاه بشجرةٍ؛ خاصِّيَّتها أن لا يقربها ذباب، مع نَعْمَةِ ورقها، فإنّ ورق اليقطين مثل القطن في النَّعمة، بخلاف سائر ورق الأشجار كلّها، فإنّ فيها خشونة[2]. فأنشأه الله عز وجل نشأة أخرى.

ولَمّا رأت هذه الطائفة أنّ يونس عليه السلام ما أُتِي عليه إلّا من باطنه، من الصفة التي قامت به، ومِن قَصْدِهِ؛ شغلوا نفوسهم بتمحيص النيّات، والقصد في حركاتهم كلّها، حتى لا ينوون إلّا ما أمرهم الله به أن ينووه ويقصدوه، وهذا غاية ما يقدر عليه رجال الله.

وهذه الطائفة في الرجال قليلون، فإنّه مقام ضيّق جِدًّا، يحتاج صاحبه إلى حضور دائم، وأكبر مَن كان فيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب اليمامة: "فما هو إلّا أن رأيت أنّ الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ" لمعرفة عمرَ باشتغال أبي بكر بباطنه.

فإذا صدرتْ منه حركة في ظاهره، فما تصدر إلّا من "إلٍّ" وهو عزيز. ولهذا كان مَن يفهم المقامات من المتقدّمين من أهل الكتاب، إذا سمعوا أو يقال لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا، يقولون: "هذا كلام ما خرج إلّا من "إلٍّ" أي هو كلام إلهيّ ما هو كلام مخلوق". فانظر ما أحسن العلم، وفي أيّ مقام ثبتت هذه الطائفة[3]، وبأيّ قائمة استمسكتْ، جعلنا الله منهم؛ فجُلُّ أعمالهم في الباطن. مساكن السائحين منهم: الغِيران والكهوف، وفي الأمصار ما بناه غيرهم من عباد الله -تعالى-، لا يضعون لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انتقل إلى ربّه؛ ما بنى قطّ مسكنا لنفسه.

---

(١) [الصافات: ١٤٥]
(٢) ص ١٠٦
(٣) ص ١٠٦ب

وسبب ذلك أنّهم رأوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم، وهم عابرون فيه، راحلون عنه. فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر خشب؟ لا والله، ولا سيّما وقد عرف أنّ الأمطار تنزل، وأنّ النهر يعظم بالسيول التي تأتي، وأنّ الجسور تنقطع، فكلّ مَن بنى على جسر فإنما يعرّض به للتلف.

فلو أنّ عمّار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا، ويروا النهر الذي بُنيتْ عليه، أنّه خطِر قويّ، ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيّدة. فلم تكن لهم عيون يبصرون بها أنّ الدنيا قنطرة خشب على نهر عظيم جرّار، ولا كان لهم سمعٌ يسمعون به قول الرسول؛ العالِم بما أوحى الله إليه به: «إنّ الدنيا قنطرة» فلا بالإيمان عملوا، ولا على الرؤية والكشف حصلوا، فهم كما قال الله فيهم[1]: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[2] في حال سماعهم من الرسول ﷺ حين قال لهم: «إنّ الدنيا قنطرة» وأشباه ذلك. فلا تشغلوا نفوسكم بعمارتها وانهضوا، فما فرغ من قوله ﷺ حتى رجع كثير منهم إلى عماهم وصممهم، مع كونهم مسلمين مؤمنين. فأخبر الله -تعالى- نبيَّه بقوله: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾[3] بعد التوبة. يقول: ما نفع القول فيهم. يا وليّ؛ لو فرضنا أنّ الدنيا باقية، أَلَسْنَا نبصر رحلتنا عنها جيلا بعد جيل؟

فمن أحوال هذه الطائفة، مراعاتهم لقلوبهم، أسرارُهم متعلّقة بالله من حيث معرفة نفوسهم، لا اجتماع لهم بالنهار مع الغافلين، حركتُهم ليليّة؛ نظرُهم في الغيب، الغالب عليهم مقام الحزن، فإنّ الحزن إذا فُقِد من القلب خَرب، فالعارف يأكل الحلوى والعسل، والمحقِّق الكبير يأكل الحنظل، كثير التنغيص، لا يلتذّ بنعمة أبدا ما دام في هذه الدار، لشغله بما كلّفه الله من الشكر عليها. لقيتُ منهم بدنيسير عمر الفرقوي، وبمدينة فاس عبد الله السمّاد.

العارفون؛ بالنظر إلى هؤلاء، كالأطفال الذين لا عقول لهم، يفرحون[4] ويلتذّون بخشخاشه. فما ظنّك بالمريدين، فما ظنّك بالعامّة. لهم القدم الراسخة في التوحيد، ولهم المشافهة في الفهوانيّة، يقدِّمون النفي على الإثبات، لأنّ التنزيه شأنهم كلفظة "لا إله إلّا الله" وهي أفضل كلمة جاءت

---

(١) ص ١٠٧
(٢) [المائدة: ٧١]
(٣) [المائدة: ٧١]
(٤) ص ١٠٧ب

بها الرسل والأنبياء، توحيدهم كونيٌّ عقليٌّ، ليسوا من الـ"هُوْ" في شيء، لهم الحضور التامّ على الدوام، وفي جميع الأفعال. اختصّوا بعلم الحياة والإحياء، لهم اليد البيضاء، فيعلَمون من الحيوان ما لا يعلمه سِوَاهُم، ولا سيّمَا من كلّ حيوان يمشي على بطنه، لقربه من أصله الذي عنه تكوّن.

فإنّ كلّ حيوان يبعد عن أصله، ينقص من معرفته بأصله، على قدر ما بَعُدَ منه. ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام والقعود، ويبقى طريحا لضعفه -وهو رجوعه إلى أصله- تراه فقيرا إلى ربّه مسكينا، ظاهر الضعف والحاجة بلسان الحال والمقال. وذلك أنّ أصلَه حَكَم عليه، لَمّا قَرُب منه. يقول الله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾(١) وقال: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾(٢) فإذا استوى قائمًا، وبَعُد عن أصله، تفرعن وتجبَّر، وادّعى القوّة وقال: "أنا". فالرجل مَن كان مع الله في حال قيامه وصِحَّته كحاله في اضطجاعه من المرض والضعف، وهو عزيز.

لهم البحث الشديد في النظر في أفعالهم، وأفعال(٣) غيرهم معهم، من أجل النيّات التي بها يتوجّهون، وإليها يُنسبون لشدّة بحثهم عنها، حتى تخلص لهم الأعمال، ويخلصوها من غيرهم. ولهذا قيل فيهم: النيّاتيّون. كما قيل: الملاميّة والصوفيّة، لأحوال خاصّة هم عليها. فلهم معرفة الهاجس والهمّة والعزم والإرادة والقصد، وهذه كلّها أحوال مقدَّمة للنيّة. والنيّة هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله، وهي المعتبرة في الشرع الإلهيّ؛ ففيها يبحثون، وهي متعلّق الإخلاص.

وكان عالِمنا الإمام سهل بن عبد الله يدقِّق في هذا الشأن، وهو الذي نبّه على نقر الخاطر، ويقول: "إنّ النيّة هو ذلك الهاجس، وإنّه السبب الأوّل في حدوث الهمّ والعزم والإرادة والقصد" فكان يعتمد عليه وهو الصحيح عندنا، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(٤).

---

(١) [الروم: ٥٤]
(٢) [النساء: ٢٨]
(٣) ص ١٠٨
(٤) [الأحزاب: ٤]. ومكتوب في الهامش: "بلغ".

الباب الرابع والثلاثون
في معرفة شخص تحقَّق في منزل الأنفاس، فعاين منها أمورا أذكرها -إن شاء الله-

إنَّ[1] المُحَقَّق بِالأَنْفاسِ رَحْمَانُ ... فالعَرْشُ فِي حَقِّهِ إِنْ كانَ إِنْسانُ
وإِنْ تَوَجَّهَ نَحْوَ العَيْنِ يَطْلُبُها ... لَهُ العَمَاءُ وَإِحْسَانٌ فإِحْسانُ
مَقَامُهُ بَاطِنُ الأَعْرافِ يَسْكُنُهُ ... يَزُورُهُ فِيْهِ أَنْصَارٌ وأَعْوَانُ
لَهُ مِنَ اللَّيْلِ إِنْ حَقَّقْتَ آخِرُهُ ... كَمَا لَهُ مِنْ وُجُودِ العَيْنِ إِنْسَانُ
إِنْ لَاحَ ظَاهِرُهُ تَقُولُ: قُرْآنُ ... أَوْ لَاحَ بَاطِنُهُ تَقُولُ: فُرْقَانُ
قَدْ جَمَّعَ اللهُ فِيْهِ كُلَّ مَنْقَبَةٍ ... فَهْوَ الكَمَالُ الَّذِي ما فِيْهِ نُقْصَانُ

اعلم -أيّدك الله بروح القدس- أنّ المعلومات مختلفةٌ لأنفسها، وأنّ الإدراكات التي تدرك بها المعلومات مختلفة أيضا لأنفسها، كالمعلومات، ولكن من حيث أنفسها وذواتها، لا من حيث كونها إدراكات، وإن كانت مسألة خلاف عند أرباب النظر. وقد جعل الله لكلّ[2] حقيقة مما يجوز أن يُعلم إدراكا خاصّا، عادة لا حقيقة، أعني محلّها، وجعل المدرك بهذه الإدراكات لهذه المدرَكات عينا واحدة.

وهي ستّة أشياء: سمع، وبصر، وشمّ، ولمس، وطعم، وعقل. وإدراك جميعها للأشياء، ما عدا العقل، ضروريّ. ولكنّ الأشياء التي ارتبطتْ بها عادة لا تخطئ أبدا، وقد غلط في هذا جماعة من العقلاء، ونسبوا الغلط للحسّ، وليس كذلك، وإنما الغلط للحاكم.

وأمّا إدراك العقل المعقولات، فهو على قسمين: منه (ما هو) ضروريّ مثل سائر الإدراكات، ومنه ما ليس بضروري، بل يفتقر في علمه إلى أدوات ستّ: منها الحواسّ الخمس[3] التي ذكرناها، ومنها القوّة المفكرة. ولا يخلو معلوم يصحّ أن يَعلمه مخلوق (من) أن يكون مدرَكا بأحد هذه الإدراكات.

---

(١) ص ١٠٨ب
(٢) ص ١٠٩
(٣) ق: الخمسة.

وإنما قلنا: إنّ جماعة غلطتْ في إدراك الحواسّ، فنسبتْ إليها الأغاليط، وذلك أنّهم رأوا إذا كانوا في سفينة تجري بهم مع الساحل، رأوا الساحل يجري بجري السفينة، فقد أعطاهم البصر ما ليس بحقيقة ولا معلوم أصلا، فإنّهم عالِمون علما ضروريًّا، أنّ الساحل لم يتحرّك من مكانه، ولا يقدرون على إنكار ما شاهدوه من التحرّك. وكذلك[1] إذا طعموا سكّرا أو عسلا فوجوده مرًّا وهو حلو، فعلموا ضرورة أنّ حاسّة الطعم غلطتْ عندهم، ونقلتْ ما ليس بصحيح.

والأمر عندنا ليس كذلك، ولكنّ القصور والغلط وقع من الحاكم، الذي هو العقل لا من الحواسّ، فإنّ الحواسّ إدراكها لما تعطيه حقيقتها ضروريٌّ، كما أنّ العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطئ، وفيما يدركه بالحواسّ أو بالفكر قد يغلط، فما غلط حسّ قطّ، ولا ما هو إدراكه ضروريّ.

فلا شكّ أنّ الحسّ رأى تحرّكا بلا شكّ، وطعِم مُرًّا بلا شكّ، فأدرك البصرُ التحرّك بذاته، وأدرك الطعمُ المرارةَ بذاته، وجاء عقلٌ فحكم أنّ الساحلَ متحرِّكٌ، وأنّ السكّر مُرٌّ، وجاء عقلٌ آخر وقال: "إنّ الخلط الصفراوي قام بمحلّ قوّة الطعم، فأدرك المرارة، وحالَ ذلك الخلط بين قوّة الطعم وبين السكّر. فإذَنْ فما ذاق الطعم إلّا مرارة الصفراء، فقد أجمع العقلان من الشخصين على أنّه أدرك المرارة بلا شكّ. واختلف العقلان فيما هو المدرَك للطعم. فبان أنّ العقل غلط لا الحسّ، فلا ينسب الغلط أبدا في الحقيقة إلّا للحاكم لا للشاهد.

وعندي في هذه المسألة أمر آخر يخالف ما ادَّعَوْه؛ وهو أنّ الحلاوة التي في الحلو وغير ذلك من المطعومات ليس هو في المطعوم، لأمرٍ إذا[2] بحثتَ عليه وجدت صحّة ما ذهبنا إليه. وكذا الحكم في سائر الإدراكات، ولو كان في العادة فوق العقل مدرِكٌ آخر يحكم على العقل ويأخذ عنه، كما يحكم العقلُ على الحسّ لَغلِط أيضا ذلك المدرِك الحاكم فيما هو للعقل ضروريّ، وكان يقول: إنّ العقل غَلِط فيما هو له ضروريّ.

فإذا تقرّر هذا، وعرفتَ كيف رتّب الله المدرِكات والإدراكات، وأنّ ذلك الارتباط أمرٌ عاديّ، فاعلم أنّ لله عبادا آخرين، خرق لهم العادة في إدراكهم العلومَ؛ فمنهم من جُعِل له إدراكُ ما يدرَك

---

(١) ص ١٠٩ب، وفي الهامش كتب بقلم آخر: تركماني

(٢) ص ١١٠

بجميع القوى، من المعقولات والمحسوسات بقوّة البصر خاصّة؛ وآخر بقوّة السمع، وهكذا بجميع القوى. ثمّ بأمور عرَضيّة خلاف القوى مِن ضربٍ وحركة وسكون، وغير ذلك. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ضرب بيده بين كتفيّ، فوجدتُ برد أنامله بين ثدييّ، فعلمتُ علم الأوّلين والآخرين» فدخل في هذا العلم كلّ معلوم معقول ومحسوس مما يدركه المخلوق. فهذا علم حاصل، لا عن قوّة من القوى الحِسّيّة والمعنويّة، فلهذا قلنا: إنّ ثمّ سببا آخر، خلاف هذه القوى تدرَك به المعلومات.

وإنما قلنا: قد[1] تدرَك العلوم بغير قواها المعتادة، فحكمنا على هذه الإدراكات لمدركاتها المعتادة بالعادة، من أجل المتفرّس؛ فينظر صاحب الفراسة في الشخص، فيعلم ما يكون منه، أو ما خطر له في باطنه، أو ما فعل. وكذلك الزاجر وأشباهه.

وإنما جئنا بهذا كلّه تأنيسا لما نريد أن ننسبه إلى أهل الله، من الأنبياء والأولياء، فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة، فإذا أدركوها نُسبوا إلى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات، فيقولون: فلان صاحب نظر، أي بالنظر يدرِك جميع المعلومات، وهذا ذُقته مع رسول الله ﷺ، وفلان صاحب سمع، وفلان صاحب طعم، وصاحب نفَس وأنفاس، يعني الشمّ، وصاحبُ لمس، وفلان صاحب معنى. وهذا خارج عن هؤلاء، بل هو كما يقال[2] في العامة: صاحب فكر صحيح. فمن الناس مَن أُعطي النظر إلى آخر القوى على قدر ما أعطي وهو له عادة إذا استمرّ ذلك عليه، لأنّه مشتقّ من العَوْد، أي يعود عليه ذلك في كلّ نظرة أو في كلّ شمّ، ما ثمّ غير ذلك.

وكذلك أيضا لتعلم أنّ الأسماء الإلهيّة مثل هذا، وإن كان كلّ اسم يعطى حقيقة خاصّة. ففي قوّته أن يعطي كلّ واحد من الأسماء الإلهيّة ما تعطيه[3] جميع الأسماء، قال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[4] وكذلك لو ذكر كلّ اسم، لقال فيه: إنّ له الأسماء الحسنى، وذلك لأحديّة المسمّى، فاعلم ذلك.

(١) ص ١١٠ب
(٢) ق: يقول
(٣) ص ١١١
(٤) [الإسراء: ١١٠]

فمن الناس من يختصّ به الاسم "الله" فتكون معارفه إلهيّة. ومنهم من يختصّ به الاسم "الرحمن" فتكون معارفه رحمانيّة، كما كانت في القوى الكونيّة يقال فيها: معارف هذا الشخص نظريّة، وفي حقّ آخر: سمعيّة. فهو من عالَم النظر وعالَم السمع وعالَم الأنفاس، هكذا تُنسب معارفه في الإلهيّات إلى الاسم الإلهيّ الذي فُتح له فيه، فتندرج فيه حقائق الأسماء كلّها.

فإذا علمتَ هذا أيضا فاعلم أنّ الذي يختصّ بهذا الباب من الأسماء الإلهيّة لهذا الشخص المعيّن الاسم الرحمن، والذي يختصّ به من القوى فينسب إليها قوّة الشمّ، ومتعلّقها الروائح وهي الأنفاس. فهو من عالَم الأنفاس في نِسبة القوى ومن الرحمانيّين في مراتب الأسماء.

فنقول: إنّ هذا الشخص المعيّن في هذا الباب، سَوَاء كان زيدا أو عمرا، أنّ معرفته رحمانيّة. فكلّ أمر يُنسب إلى الاسم الرحمن في كتاب أو سنّة، فإنّه يُنسب إلى هذا الشخص. فإنّ هذا الاسم هو[1] المِدُّ له، وليس لاسم إلهيّ عليه حكمٌ إلّا بوساطة هذا الاسم، على أيّ وجهٍ كان.

ولهذا نقول: إنّ الله -سبحانه- قد أبطنَ -في مواضعَ- رحمته في عذابه ونقمته، كالمريض الذي جعل في عذابه بالمرض رحمتَه به، فيما يكفّر عنه من الذنوب. فهذه رحمة في نقمة. وكذلك مَن انتُقِم منه في إقامة الحدّ، من قتلٍ أو ضربٍ: فهو عذاب حاضر، فيه رحمة باطنة، بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة. كما أنّه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعِم أبطنَ نقمتَه؛ فهو ينعم الآن بما به يتعذّب، لبطون العذاب فيه في الدار الآخرة أو في زمان التوبة.

فإنّ الإنسان إذا تاب ونظر، وفكّر فيما تلذّذ به من المحرَّمات، تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذابا، وكان قبل التوبة حين استحضرها في ذهنه يلتذّ بها غاية اللذّة. فسبحان من أبطن رحمته في عذابه، وعذابه في رحمته، ونعمته في نقمته، ونقمته في نعمته، فالمبطون أبدا هو روح العين الظاهرة، أيّ شيء كان.

فهذا الشخص لَمّا كانت معرفته رحمانيّة، وكان الاسم الرحمن استوى على العرش، فقال -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] كانت همّة هذا الشخص عرشيّة، فكما كان العرش

---

(١) ص ١١١ب
(٢) [طه: ٥]

للرحمن، كانت الهمّة لهذه المعرفة، محلّا[1] لاستوائها، فقيل: همّته عرشيّة، ومقام هذا الشخص باطنُ الأعراف، وهو السور الذي بين أهل السعادة والشقاء، وللأعراف رجال سيُذكرون، وهم الذين لم تقيّدهم صفة، كأبي يزيد وغيره، وإنما كان مقامه باطن الأعراف، لأنّ معرفته رحمانيّة وهمّته عرشيّة، فإنّ العرش مستوى الرحمن، كذلك باطن الأعراف فيه الرحمة، كما أنّ ظاهره فيه العذاب.

فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلّها؛ بالعصاة والكفّار وغيرهم. قال -تعالى- لسيّد هذا المقام وهو محمد ﷺ حين دعا على رِعْلٍ وذَكْوان وعُصَيَّة[2] بالعذاب والانتقام، فقال: عليك بفلان وفلان، وذكر ما كان منهم، قال الله له: «إنّ الله ما بعثك سبّابا ولا لعّانا، ولكن بعثك رحمة» فنُهي عن الدعاء عليهم وسبّهم وما يكرهون، وأنزل الله ﷻ عليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] فعمّ العالَم[4]، أي لترحمهم وتدعوني لهم لا عليهم، فيكون عِوَض قوله: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾[5] "تاب الله عليهم وهداهم" كما قال حين جرحوه: «اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون» يريد مَن كذّبه من غير أهل الكتاب، والمقلِّدة من أهل الكتب لا غيرهم.

فلهذا قلنا في حقّ هذا الشخص صاحب هذا المقام: "إنّه رحيم بالعصاة والكفّار"، فإذا كان حاكما هذا الشخصُ، وأقام[6] الحدّ أو كان ممن تتعيّن عليه شهادة في إقامة حدّ، فشهد به أو أقامه، فلا يقيمه إلّا من باب الرحمة، ومن الاسم الرحمن في حقّ المحدود والمشهود عليه، لا من باب الانتقام، وطلبُ التشفّي لا يقتضيه مقامُ هذا الاسم، فلا تعطيه حالةُ هذا الشخص، قال -تعالى- في قصّة إبراهيم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[7].

---

(١) ص ١١٢

(٢) رِعْل وذَكْوان وعُصَيّة: أورد البخاري ذكرهم في الحديث التالي: حدثنا حفص بن عمر الحوضي حدثنا همّام عن إسحاق عن أنس رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلمّا قدموا قال لهم خالي أتقدّمكم فإن أمّنوني حتى أبلّغهم عن رسول الله ﷺ وإلّا كنتم مني قريبا فتقدّم فأمّنوه فبينما يحدّثهم عن النبي ﷺ إذ أومَئُوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت وربّ الكعبة ثمّ مالوا على بقيّة أصحابه فقتلوهم إلّا رجلا أعرج صعد الجبل قال همّام فأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ أن بلّغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصيّة الذين عصوا الله ورسوله ﷺ.

(٣) [الأنبياء: ١٠٧]

(٤) "فعمّ العالم" مكتوبتان في الهامش بقلم الأصل.

(٥) [محمد: ٢٣]

(٦) ص ١١٢ب

(٧) [مريم: ٤٥]

ومَن كان هذا مقامه ومعرفته، وهذا الاسم الرحمن ينظر إليه، فيعاين من الأسرار ذوقا، ما بين نِسبة الاستواء إلى العرش، وما بين نِسبة الأين إلى العماء؛ هل هما على حدٍّ واحد أو يختلف؟ ويعلم ما للحقّ من نعوت الجلال واللطف معًا بين العماء والاستواء، إذ قد كان في العماء ولا عرش فيوصف بالاستواء عليه، ثمّ خلق العرش واستوى عليه بالاسم الرحمن، وللعرش حدّ يتميّز به، من العماء، الذي هو للاسم الربّ، وللعماء حدٌّ يتميّز به عن العرش، ولا بدّ من انتقالٍ من صفة إلى صفة.

فما كان نعته -تعالى- بين العماء والعرش، أو بأيّ نسبة ظهر بينهما، إذ وقد تميّز كلّ واحد منهما عن صاحبه بحدِّه وحقيقته، كما يتميّز العماء الذي فوقه الهواء وتحته الهواء، وهو السحاب الرقيق الذي يحمله الهواء الذي تحته وفوقه، عن العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء، فهو عماء غير محمول.

فيعلم[1] السامع أنّ العماء الذي جعل للربّ أينيّة، أنّه عماء غير محمول، ثمّ جاء قوله -تعالى-: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾[2] فهل هذا الغمام هو راجع إلى ذلك العماء، فيكون العماء حاملا للعرش، ويكون العرش مستوى الرحمن، فتجمع القيامة بين العماء والعرش؟ أو هو هذا الغمام المعهود الذي فوقه هواء وتحته هواء؟ فصاحب هذا المقام يعطى علم ذلك كلّه.

ثمّ إنّ صاحب هذا المقام يعطى أيضا من العلوم الإلهيّة من هذا النوع بالاسم الرحمن، نزول الربّ إلى سماء الدنيا، من العرش يكون هذا النزول أو من العماء، فإنّ العماء إنما ورد حين وقع السؤال عن الاسم الربّ، فقيل له (ص): «أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقَه؟ فقال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» فاسم "كان" المضمَر هو "ربّنا"، وقال: «ينزل ربّنا إلى السماء» فيدلّك هذا على أنّ نزوله إلى السماء الدنيا من ذلك العماء، كما كان استواؤه على العرش من ذلك العماء.

فنِسبته إلى السماء الدنيا كنِسبته إلى العرش لا فرق، فما فارَق العرش في نزوله إلى السماء

---

(١) ص ١١٣

(٢) [البقرة: ٢١٠]

الدنيا، ولا فارَق العماء في نزوله إلى العرش، ولا إلى السماء الدنيا. ولَمّا أخبر النبيّ ﷺ أنّ الله يقول في هذا النزول إلى السماء الدنيا: «هل من تائب فأتوب عليه، هل[1] من مستغفِر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه» فهذا كلّه من باب رحمته ولطفه، وهذا حقيقة الاسم الرحمن، الذي استوى على العرش. فنزلتْ هذه الصفة مع الاسم الربّ إلى السماء الدنيا. فهو ما أعلمناك به: أنّ كلّ اسم إلهيّ يتضمّن حكم جميع الأسماء الإلهيّة، من حيث أنّ المسمّى واحد.

فيعلم صاحب هذا المقام، من هذا النزول الربّانيّ السماويّ، ما يختصّ بالاسم الرحمن منه، الذي قال به: «هل من تائب، هل من مستغفر» فإنّ الرحمن يطلب هذا القول بلا شكّ. فهذا حظّ ما يَعلم صاحبُ هذا المقام، من هذا النزول بلا واسطة، ويعلم نزول الربّ من العماء إلى السماء، بوساطة الاسم الرحمن. لأنّه ليس للاسم الربّ على صاحب هذا المقام سلطان، فإنّه -كما قلنا- للاسم الرحمن، فلا يعلم من الاسم الربّ[2] ولا غيره أمرا إلّا بالاسم الرحمن. فيعلم عند ذلك بإعلام الرحمن إيّاه، ما أراد الحقُّ بنزوله من العماء إلى السماء. على هذا الوجه هي معرفته.

ثمّ مما يختصّ بعلمه صاحبُ هذا المقام، بوساطة الاسم الرحمن، علم قول الله: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فأتى بياء الإضافة، في السعة والعبوديّة، فلم يأخذ من[3] الله إلّا قدر ما تعطيه الياء خاصّة. ويتضمّن هذا علمين: علما بما فيه من العناية بعبده المؤمن، فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته. وعلما بما فيه من سِرّ الإضافة بحرف الياء، فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن. فيعلم أنّ السعة هنا؛ المراد بها، الصورة التي خُلق الإنسان عليها.

كأنّه يقول: ما ظهرتْ أسمائي كلّها إلّا في النشأة الإنسانيّة. قال -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[4] أي الأسماء الإلهيّة التي وجدت عنها الأكوان كلّها، ولم تُعْطَها الملائكة. وقال ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» وإن كان الضمير عندنا متوجّها أن يعود على آدم، فيكون فيه رَدٌّ على بعض النظّار من أهل الأفكار، ويتوجّه أن يعود على الله لتخلّقه بجميع الأسماء الإلهيّة.

---

(١) ص ١١٣ب

(٢) ثابت في الهامش بقلم آخر.

(٣) ص ١١٤ وهذه الصفحة ناقصة لدينا من ق، واعتمدنا هنا على هـ، س.

(٤) [البقرة: ٣١]

فَعَلِمْت أنّ هذه السعة إنما قبلها العبد المؤمن، لكونه على الصورة، كما قَبِلت المرآة صورةَ الرائي دون غيرها مما لا صقالة فيه ولا صفاء، ولم يكن هذا للسماء لكونها شفّافة، ولا للأرض لكونها غير مصقولة. فدلّ على أنّ خلق الإنسان، وإن كان عن حركات فلكيّة؛ هي أبوه، وعن عناصر قابلة؛ وهي أُمّه. فإنّ[1] له من جانب الحقّ أمرا ما هو في آبائه ولا في أمّهاته، من ذلك الأمر وسع جلال الله ﷻ، إذ لو كان ذلك من قِبَل أبيه الذي هو السماء، أو أمّه التي هي الأرض، أو منهما، لكان السماء والأرض أَوْلَى بأن يسعا الحقّ ممن تولّد عنهما، ولا سيّما والله يقول: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] يريد في المعنى لا في الجِرميّة. ومع هذا فاختُصّ الإنسان بأمر أعطاه هذه السعة، التي ضاق عنها السماء والأرض. فلم تكن له هذه السعة إلّا من حيث أَمْر آخر من الله، فضُل به على السماء والأرض.

فكلّ واحد من العالَم فاضل مفضول، فقد فضل كلّ واحد من العالَم من فَضَله، بحكمة الافتقار والنقص الذي هو عليه كلّ ما سِوَى الله. فإنّ الإنسان إذا زها بهذه السعة، وافتخر على الأرض والسماء، جاءه قوله -تعالى-: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ وإذا زهت السماء والأرض بهذه الآية على الإنسان جاء قوله: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فأزال عنه هذا العلم؛ ذلك الزهو والفخر، وعنهما، وافتقر الكلّ إلى ربّه، وانحجب عن[3] زهوه ونفسه.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يدلّ على أنّ بعض الناس يعلم ذلك، وعَلِم هذا مَن عَلِمه منّا، من الاسم الرحمن الذي هو له وبه تحقّق، فاسأل به خبيرا. فرحمه عندما زها بعلم ما فَضل به عليه السماءُ والأرضُ، وعَلم من ذلك أنّه ما حصل له من الاسم الرحمن إلّا قدر ما كُشف له مما فيه دواؤه، فإنّ ذلك الأمر الذي به فَضَل السماءَ والأرضَ هذا العبدُ، هو أيضا من الاسم الرحمن ولكن ما جاد به على هذا العبد.

ولا تقول إنّ هذا طعنٌ في كونه نسخة من العالَم، بل هو على الحقيقة نسخة جامعة، باعتبار

---

(١) ص ١١٤ب
(٢) [غافر: ٥٧]
(٣) ص ١١٥

أنّ فيه شيئا من السماء بوجهٍ مّا، ومن الأرض بوجهٍ مّا، ومن كلّ شيء بوجهٍ مّا، لا من جميع الوجوه. فإنّ الإنسان على الحقيقة من جملة المخلوقات، لا يقال فيه: إنّه سماء ولا أرض ولا عرش، ولكن يقال فيه: إنّه يشبه السماءَ من وجه كذا، والأرضَ من وجه كذا، والعرشَ من وجه كذا، وعنصرَ النار من وجه كذا، وركنَ الهواء من وجه كذا والماءَ والأرضَ وكلّ شيء في العالَم. فبهذا الاعتبار يكون نسخة وله اسم الإنسان، كما للسماء اسم السماء.

ومن علوم صــــاحب هذا المقام: نزول القرآن فرقانا[(١)] لا قرآنا. فإذا عَلمه قرآنا فليس من الاسم الرحمن، وإنما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر إلهيّ، يتضمّنه الاسم الرحمن. وأنّه نزل في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، فعرَّف بنزوله مقاديرَ الأشـياء وأوزانها، وعرّف بقدره منها، كما نزل الربُّ -تعالى- في الثلث الباقي من الليل.

فالليل محلّ النزول الزمانيّ للحقّ وصـفته، التي هي القرآن. وكان الثلث الباقي من الليل، في نزول الربّ، غيب محمد ﷺ وغيب هذا النوع الإنسـانيّ، فإنّ الغيب سـترٌ، والليل سـترٌ، وسمّي هذا الباقي من الليل الثلث، لأنّ هذه النشأة الإنسانيّة لها البقاء دائما في دار الخلود. فإنّ الثلثين الأوّلين ذهبا بوجود الثلث الباقي، أو الآخر من الليل، فيه نزل الحقّ فأوجب له البقاء أيضا.

وهو ليل لا يعقبه صـــباح أبدا، فلا يذهب، لكن ينتقل من حال إلى حال، ومن دار إلى دار، كما ينتقل الليل من مكان إلى مكان أمام الشـــمس، وإنما يفرُّ أمامها لئلّا تذهب عينه، إذ كان النور ينافي الظلمة وتنافيه، غير أنّ ســـلطان النور أقوى، فالنور ينفّر الظلمة، والظلمة لا تنفّر النور، وإنما هو النور ينتقل، فتظهر الظلمة في الموضع الذي لا عين للنور فيه.

ألا[(٢)] ترى الحقّ تســمّى بالنور ولم يَتَسَـمّ بالظلمة، إذ كان النورُ وجودا والظلمةُ عدما، وإذ كان النور لا تغالبه الظلمة، بل النور الغالب، كذلك الحقُّ لا يغالبه الخلق، بل الحقّ الغالب؛ فسمّى نفسه نورا.

فتذهب السماء؛ وهو الثلث الأوّل من الليل، وتذهب الأرض وهو الثلث الثاني من الليل، ويبقى الإنســـان في الدار الآخرة، أبد الآبدين إلى غير نهاية، وهو الثلث الباقي من الليل؛ وهو

(١) ص ١١٥ب
(٢) ص ١١٦

الولد عن هذين الأبوين: الســماء والأرض. فنزل القرآن في الليلة المباركة، في الثلث الآخر منها، وهو الإنســان الكامل، ففرق فيه كلّ أمر حكيم. فتميّز عن أبويه بالبقاء، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ. عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[1] هو محمد ﷺ.

ألا ترى الشارع كيف قال في ولد الزنا: «إنّه شَرُّ الثلاثة»، وكذلك ولد الحلال: خير الثلاثة، من هذا الوجه خاصـــة. فإنّ الماء الذي خُلق منه الولد من الرجل والمرأة أراد الخروج وهو الماء الذي تكوّن منه الولد، وهو الأمر الثالث، فحرّك -لمّا أراد الخروج- الأبوين للنكاح ليخرج، وكان تحريكه لهما على غير وجهٍ مرضيٍّ شرعا، يسـمّى سـفاحا فقيل فيه: «إنّه شرّ الثلاثة»، أي هو[2] سبب الحركة التي بها انطلق عليهم اسم الشرّ، فجعله ثلاثة أثلاث: الأبوان ثلثان والولد ثالث.

كذلك قَسَـم الليلَ على ثلاثة أثلاث: ثلثان ذاهبان، وهما السـماء والأرض، وثلث باق وهو الإنســان، وفيه ظهرتْ صـورة الرحمن، وفيه نزل القرآن. وإنما سمّيت السـماء والأرض ليلا، لأنّ الظلمة لها من ذاتها، والإضاءة فيها من غيرها، من الأجسام المسـتنيرة التي هي الشمس وأمثالها، فإذا زالت الشمس أظلمت السماء والأرض.

فهذا -يا أخي- قد استفدتَ علوما لم تكن تعرفها قبل هذا، وهي علوم هذا الشخص المحقَّق بمنزل الأنفاس، وكلّ ما أدركه هذا الشخص، فإنما أدركه من الروائح بالقوّة الشمّيَّة لا غير، وقد رأينا منهم جماعة بأشبيلية وبمكة وبالبيت المقدس، وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال، لا مفاوضة نطق. كما أنّي فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصريّ بالبصر، فكنت أَسأل وأُجاب، ونُسأل ونُجيب بمجرّد النظر، ليس بيننا كلام معتاد، ولا اصطلاح بالنظر أصلا، لكن كنت إذا نظرتُ إليه علمتُ جميع ما يريده منّي، وإذا نظر إليّ علمَ جميع ما نريده منه، فيكون نظره إليّ سؤالا أو جوابا، ونظري إليه كذلك، فنحصّل علوما جمّة بيننا من غير كلام.

ويكفي هذا القدر من بعض علم هذا[3] الشـخص، فإنّ علومَه كثيرة أحطنا بها، فمن أراد أن يَعرف مما ذكرناه شيئا، فليعلم الفرق بين "في" في قوله: «كان في عماء» وبين "استوى" في قوله:

---

(١) [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]
(٢) ص ١١٦ب
(٣) ص ١١٧

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١) ولم يقل: "في" كما قال: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٢) و﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٣) ويتبيّن لك في كلّ ما ذكرناه، مقام جمع الجمع، ومقام الجمع، ومقام التفرقة، ومقام تمييز المراتب، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(٤).

انتهى الجزء التاسع عشر، يتلوه في الجزء العشرين.(٥)

---

(١) [طه: ٥]
(٢) [آل عمران: ٥]
(٣) [آل عمران: ٢٧]
(٤) [الأحزاب: ٤]
(٥) في الهامش: "بلغ".

الجزء العشرون[١]

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

الباب الخامس والثلاثون
في معرفة هذا الشخص المحقَّق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته ﷺ

العَبْـدُ مَنْ كانَ فِي حَـالِ الحَيَـاةِ بِـهِ ... كَحَـالِهِ بَعْـدَ مَوْتِ الجِسْـــمِ والرُّوحِ
والعَبْدُ مَنْ كانَ فِي حَالِ الحِجَابِ بِهِ ... نُورًا كَإِشْرَاقِ ذَاتِ الأَرْضِ مِنْ يُوحِ[٣]
فَحَالَةُ المَوْتِ لَا دَعْوَى تُصَـــاحِبُهَا ... كَمَا الحَيَاةُ لَهَا الدَّعْوَى بِتَصْرِيحِ
فِي حَقِّ قَوْمٍ وَفِي قَوْمٍ تَكُونُ لَهُمْ ... تِــلْكَ الدَّعَــاوَى بِإِيْـمَـاءٍ وَتَـلْـوِيحِ
فـإِنْ فَهِمْـتَ الَّذِي قُلْنَـاهُ قُمْـتَ بِـهِ ... وَزْنًا تَـنَزَّهَ عَـنْ نَـقْـصٍ وَتَـرْجِـيْـحِ
وكُنْـتَ مِمَّنْ تُزَكِّيْـهِ[٤] حَقَـائِقُـهُ ... وَلَا سَـــبِـيْـلَ إِلَى طَـعْـنٍ وَتَجْـرِيحِ
وإِنْ[٥] جَهِلْتَ الَّذِي قُلْنَاهُ جِئْتَ إِلَى ... دَارِ السُّؤَالِ بِصَدْرٍ غَيْرِ مَشْرُوحِ

اعلم -أيّدك الله بروح القدس- أنّ هذا الشخص المحقَّق في منزل الأنفاس، أيّ شخص كان، فإنّ حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى. فلنذكر أوّلا حصر مآخِذ أهل الله العلومَ من الله، كما قرّرناه في الباب قبل هذا، ولنذكر مآلهم وآثار تلك المآخذ في ذواتهم.

فلنقل: اعلم -يا أخي- أنّ علم أهل الله المأخوذ من الكشف، أنّه على صورة الإيمان سَوَاء. فكلُّ ما يقبله الإيمان عليه، يكون كشف أهل الله، فإنّه حقٌّ كلّه، والمخبِر به وهو النبيّ ﷺ مخبِرٌ به عن كشف صحيح. وذوات العلماء بالله -تعالى- تكون على صفة الشيء الذي تأخذ منه العلم بالله، أيّ شيء كان.

(١) العنوان ص ١١٧ب
(٢) البسملة ص ١١٨، ومكتوب بالهامش: "عيسى".
(٣) يوح: الشمس.
(٤) ق: "تركبه" وفي س: "تركيه" والترجيح من هـ.
(٥) ص ١١٨ب

واعلم أنّ الصفات على نوعين: صفاتٍ نفسيّة وصفاتٍ معنويّة. فالصفاتُ المعنويّة في الموصوف: هي التي إذا رفعتَها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التي كانت موصوفة بها. والصفات النفسيّة: هي التي إذا رفعتَها عن الموصوف بها، ارتفع الموصوف بها، ولم يبقَ له عينٌ في الوجود العينيّ، ولا[1] في الوجود العقليّ، حيث ما رفعتَها. ثمّ إنّه ما من صفة نفسيّة للموصوف، التي هي ليست بشيء زائد على ذاته، إلّا ولها صفة نفسيّة، بها يمتاز بعضها عن بعض. فإنّه قد تكون ذات الموصوف مركّبة من صفتين نفسيّتين إلى ما فوق ذلك، وهي الحدود الذاتيّة.

وهنا باب مغلق لو فتحناه لظهر ما يُذهِب بالعقول، ويزيل الثقة بالمعلوم، وربما كان يؤول الأمر في ذلك، إلى أن يكون السبب الأوّل من صفات نفس الممكنات، كما أنّك إذا جعلتَ السبب شرطا في وجود المشروط، ورفعتَ الشرط، ارتفع المشروط بلا شكّ، ولا يلزم العكس. فهذا يطَّرِد ولا ينعكس، فتركناه مقفلا لمن يجد مفتاحه فيفتحه.

وإذا كان الأمر عندنا وعند كلّ عاقل بهذه المثابة، فقد علمتَ أنّ الصفات معانٍ لا تقوم بأنفسها، وما لها ظهور إلّا في عين الموصوف. والصفات النفسيّة معانٍ وهي عين الموصوف. والمعاني لا تقوم بأنفسها، فكيف تكون هي عين الموصوف لا غيره؛ فيوصف الشيء بنفسه، وصار قائمًا بنفسه مَن حقيقتُهُ ألّا يقوم بنفسه؟ فإنّ كلّ موصوف هو مجموع صفاته النفسيّة، والصفات لا تقوم بأنفسها، وما ثمّ ذاتٌ[2] غيرها تجمعها وتظهر.

وقد نبّهتُك على أمر عظيم، لتعرف لماذا (=إلى ماذا) يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم، ويتبيّن لك أنّ العلم الصحيح لا يعطيه الفكر، ولا ما قرّرته العقلاء من حيث أفكارهم، وأنّ العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالِم، وهو نور إلهيّ يختصّ به من يشاء من عباده: من ملَك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن. ومَن لا كشف له لا علم له.

ولهذا جاءت الرسل والتعريف الإلهيّ بما تحيله العقول، فتضطرّ إلى التأويل في بعضها لتقبله، وتضطرّ إلى التسليم والعجز في أمور لا تقبل التأويل أصلا، وغاية أن يقول: "له وجه لا يعلمه إلّا

---

(١) ص ١١٩
(٢) ص ١١٩ب

الله، لا تبلغه عقولنا" وهذا كلّه تأنيس للنفس لا عِلْمٌ، حتى لا تردّ شيئا مما جاءت به النبوّة. هذا حال المؤمن العاقل. وأمّا غير المؤمن فلا يقبل شيئا من ذلك.

وقد وردتْ أخبارٌ كثيرة مما تحيلها العقول: منها في الجناب[1] العالي، ومنها في الحقائق وانقلاب الأعيان. فأمّا التي في الجناب العالي: فما وصف الحقُّ به نفسَه في كتابه، وعلى لسان رسله، مما يجب الإيمان به، ولا يقبله العقل بدليله على ظاهره، إلّا إن تأوّله بتأويل بعيد. فإيمانه إنما هو بتأويله لا بالخبر. ولم يكن له كشفٌ إلهيٌّ[2]، كما كان للنبيّ، فيعرف مراد الحقّ في ذلك الخبر، فوصف نفسه -سبحانه- بالظرفيّة الزمانيّة والمكانيّة، ووصفه بذلك رسوله ﷺ وجميع الرسل، وكلّهم على لسان واحد في ذلك، لأنّهم يتكلّمون عن إلٍّ واحد.

والعقلاء أصحابُ الأفكار؛ اختلفتْ مقالاتهم في الله -تعالى- على قدر نظرهم؛ فالإله الذي يُعبد بالعقل مجرَّدا عن الإيمان، كأنّه -بل هو- إله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك العقل. فاختلفتْ حقيقته بالنظر إلى كلِّ عقل، وتقابلت العقول.

وكلّ طائفة من أهل العقول تُجَهِّلُ الأخرى بالله. وإن كانوا من النظّار الإسلاميّين المتأوّلين؛ فكلّ طائفة تُكَفِّر الأخرى.

والرسل -صلوات الله عليهم- من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ما نُقل عنهم اختلافٌ فيما ينسبونه إلى الله من النعوت، بل كلّهم على لسان واحد في ذلك. والكتب التي جاءوا بها كلّها تنطق في حقّ الله بلسان واحد، ما اختلف منهم اثنان، يُصَدِّق بعضهم بعضا، مع طول الأزمان وعدم الاجتماع. و(مع) ما بينهم من الفِرَق المنازعين لهم من العقلاء؛ ما اختلّ نظامهم.

وكذلك المؤمنون بهم على بصيرة؛ المسْلِمون المسَلِّمون الذين لم يُدخلوا نفوسَهم في تأويل. فَهُم[3] أحد رجلين: إمّا رجلٌ آمن وسَلَّم وجعلَ علمَ ذلك إليه إلى أن مات، وهو المقلِّد. وإمّا رجلٌ عمِل بما علم من فروع الأحكام، واعتقد الإيمان بما جاءت به الرسل والكتب، فكشف الله عن بصيرته، وصيّره ذا بصيرة في شأنه، كما فعل بنبيّه ورسوله ﷺ وأهل عنايته، فكاشف وأبصر-

(١) ق: الجانب
(٢) ص ١٢٠
(٣) ص ١٢٠ب

ودعا إلى الله ﷻ على بصـــيرة، كما قال -تعالى- في حقّ نبيّه ﷺ مخبِرا له: ﴿ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[1] وهؤلاء هم العلماء بالله العارفون، وإن لم يكونوا رسـلا ولا أنبياء، فهم على بيّنة من ربّهم في علمهم به وبما جاء من عنده.

وكذلك وصـف نفســه بكثير من صـفات المخلوقين؛ من المجيء والإتيان، والتجلّي للأشـياء والحدود والحجب والوجه والعين والأعين واليدين والرضا والكراهة والغضب والفرح والتبشبش، وكلّ خبر صحيح ورد في كتاب وسنّة. والأخبار أكثر من أن تحصى ممّا لا يقبلها إلّا مؤمن بها من غير تأويل، أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويلٍ اضطرّه إليه إيمانه.

فانظر مرتبة المؤمن ما أعزّها، ومرتبة أهل الكشف ما[2] أعظمها، حيث ألحقتْ أصحابها بالرسل والأنبياء -عليهم السلام- فيما خُصّوا به من العلم الإلهيّ، لأنّ العلماء ورثة الأنبياء، وما وَرّثوا دينارا ولا درهما؛ وَرّثوا العلم. يقول ﷺ: «إنّا معشر الأنبياء لا نُوَرِّث؛ ما تركنا[3] صدقة» فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا، فليوقفه صدقة على مَن يراه من الأقربين إلى الله، فهو النَّسب الحقيقيّ أو يزهد فيه، ولا يترك شيئا يورَث عنه، إن أراد أن يلحق بهم، ولا يرِث أحدا. فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظّ الوافر. فهذا بعض ما ورد علينا من الله ﷻ في الله -تعالى- من الأوصاف.

وأمّا في قلب الحقائق؛ فلا خلاف بين العقلاء في إنّه لا يكون. ودلّ دليل العقل القاصر؛ من (جهة) فكره ونظره، لا من جهة إيمانه وقبوله، إذ لا أعقل من الرسل وأهل الله (على) أنّ الأعيان لا تنقلب حقيقة في نفسها، وأنّ الصفات والأعراض في مذهب من يقول إنّها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها، ولا بدّ لها من محلّ قائم بنفسه، أو غير قائم بنفسه، لكنّه في قائم بنفسه ولا بدّ. ومثال الأوّل: السواد مثلا، أو أيّ لون كان، (فإنّه) لا يقوم إلّا بمحلٍّ يقال فيه، لقيام السواد به: أسود. ومثال[4] الثاني، كالسواد المشرق مثلا، فالسواد هو المشرق، فإنّه نعتٌ له. فهذا معنى قولي: "أو غير قائم بنفسه، لكنّه في قائم بنفسه".

(١) [يوسف: ١٠٨]
(٢) ص ١٢١
(٣) س: ما تركناه
(٤) ص ١٢١ب

وهذه مسألة خلاف بين النظّار: هل يقوم المعنى بالمعنى؟، فمن قائل به ومانع من ذلك، وقد ثبت أنّ جميع الأعمال كلّها أعراض، وأنّها تفنى ولا بقاء لها، وأنّه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها، ولا توصف بالانتقال، وأنّ الموت إمّا عرَضٌ موجود في الميّت، في مذهب بعض النظّار، وإمّا نِسبة افتراق بعد اجتماع، وكذا جميع الأكوان في مذهب بعضهم، وهو الصحيح الذي يقتضيه الدليل. وعلى كلّ حال فإنّه (أي الموت) لا يقوم بنفسه.

ووردت الأخبار النبويّة، بما يناقض هذا كلّه، مع كوننا مجمعين على أنّ الأعمال أعراض أو نِسب. فقال الشارع وهو الصادق، صاحب العلم الصحيح والكشف الصريح: «إنّ الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح، يعرفه الناس ولا ينكره أحد، فيُذبح بين الجنّة والنار» روي أنّ يحيى عليه السلام هو الذي يُضجعه، ويذبحه بشفرة تكون في يده، والناس ينظرون إليه. وورد أيضا في الخبر أنّ عمل الإنسان يدخل معه في قبره، في صورة حسنة أو قبيحة، فيسأله صاحبه، فيقول: "أنا عملُك[1]". وإنّ مانع الزكاة يأتيه مالُه، شجاعا أقرعَ له زبيبتان، وأمثال هذا في الشرع لا تحصى كثرة.

فأمّا المؤمنون؛ فيؤمنون بهذا كلّه من غير تأويل. وأمّا أهلُ النظر من أهل الإيمان وغيرهم، فيقولون: "حَمْلُ هذا على ظاهره مُحال عقلا، وله تأويل"، فيتأوّلونه بحسب ما يعطيهم نظرهم فيه، ثمّ يقولون -أهل الإيمان منهم- عقيب تأويلهم،: "والله أعلم". يعني في ذلك التأويل الخاص الذي ذهب إليه؛ هل هو المراد لله أم لا؟ وأمّا حَمْلُه على ظاهره فمُحال عندهم جملة واحدة، والإيمان إنّما يتعلّق بلفظ الشارع به خاصة. هذا هو اعتقاد أهل الأفكار.

وبعد أن بيّنّا لك هذه الأمور، ومراتب الناس فيها، فإنّها من هذا الباب الذي نحن بصدده. فاعلم أنّه ما ثَمّ إلّا ذواتٍ أوجدها اللهُ -تعالى- فضلا منه عليها، قائمة بأنفسها، وكلّ ما وُصِفَتْ به، فَنِسَبٌ وإضافات بينها وبين الحقّ من حيث ما وُصِفتْ، فإذا أوجد الموجِدُ، قيل فيه: إنّه قادر على الإيجاد. ولولا ذاك ما أَوْجَد. وإذا خَصّص الممكن بأمر دون غيره مما يجوز أن يقوم به، قيل: مريد. ولولا ذلك ما خصّصه بهذا دون غيره. وسبب هذا كلّه إنما[2] تعطيه حقيقة الممكن،

---

(١) ص ١٢٢

(٢) ص ١٢٢ب

فالممكنات أعطت هذه النِّسب، فافهم إن كنت ذا لُبٍّ ونظر إلهيّ وكشف رحمانيّ.

وقد قرّرنا في الباب الذي قبل هذا، أنّ مآخذ العلوم من طرق مختلفة، وهي السمع والبصر والشمّ واللمس والطعم والعقل، من حيث ضرورياته، وهو ما يدركه بنفسه من غير قوّة أخرى، ومن حيث فكره الصحيح أيضا، مما يرجع إلى طرق الحواسّ، أو الضروريّات والبديهيّات لا غير، فذلك يسمّى علما.

والأمور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع إلى هذه الأصول لا تنفكّ عنها، وإنما سُمِّيَتْ عوارض، من أجل أنّ العادة في إدراك الألوان أنّ اللمس لا يدركها، وإنما يدركها البصر. فإذا أدركها الأَكْمَهُ باللمس، وقد رأينا ذلك، فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها في العادة أن تدركه، وكذلك سائر الطرق إذا عرض لها دَرْكُ ما ليس من شأنها في العادة أن يدرَك بها يقال فيه: عَرَض لها.

وإنما فعل الله هذا تنبيها لنا، أنّه ما ثمّ حقيقة كما يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الاقتدار الإلهيّ، بل تلك الحقيقة إنما هي بجعل الله لها على تلك الصورة، وأنّها ما أدركت الأشياء[1] المربوط إدراكها بها من كونها بصرا ولا غير ذلك، يقول الله بل بجعلنا، فيدرك جميع العلوم كلّها بحقيقة واحدة، من هذه الحقائق إذا شاء الحقّ. فلهذا قلنا: عرَض لها إدراكُ ما لم تَجْرِ العادة بإدراكها إيّاه، فنعلم قطعا أنّه ﷻ قد يكون مما يعرض لها أن تعلم وترى مِن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] وإن كانت الإدراكات لم تدرك شيئا قط إلّا ومثله أشياء كثيرة من جميع المدركات.

ولم ينفِ -سبحانه- عن إدراكه قوّةً من القوى التي خلقها إلّا البصر، فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3] فمنع ذلك شرعا، وما قال لا يدركه السمع ولا العقل ولا غيرهما من القوى الموصوف بها الإنسان، كما لم يقل أيضا: "إنّ غير البصر يدركه"؛ بل ترك الأمر مبهما، وأظهر العوارض التي تعرِض لهذه القوى في معرض التنبيه، أنّه ربما وضع ذلك في رؤيتنا، من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[4]، كما رأينا أوّل مرئيٍّ، وسمعنا أوّل مسموع، وشممنا أوّل مشموم، وطعمنا أوّل مطعوم، ولمسنا أوّل

(١) ص ١٢٣
(٢) [الشورى: ١١]
(٣) [الأنعام: ١٠٣]
(٤) [الشورى: ١١]

ملموس، وعقلنا أوّل معقول، مما لم يكن له مِثل عندنا، وإن كان له أمثال في نفس الأمر.

ولكن في أوّليّة الإدراك سرّ عجيب في نفي المماثلة له، فقد[1] أدرك المدرِك مَن لا مثل له عنده فيقيسه عليه، وكون ذلك المدرَك يقبل لذاته المِثل أو لا يقبله، حكم آخر زائد على كونه مدرَكا لا يُحتاج إليه في الإدراك، إن كنت ذا فطنة.

بل نقول: إنّ التوسّع الإلهيّ يقتضي، أن لا مِثل في الأعيان الموجودة، وأنّ المِثليّة أمر معقول متوهّم، فإنّه لو كانت المِثليّة صحيحة، ما امتاز شيء عن شيء، مما يقال هو مِثله، فذاك الذي امتاز به الشيء عن الشيء ذلك هو عين ذلك الشيء، وما لم يمتزْ به عن غيره فما هو إلّا عين واحدة.

فإن قلت: رأيناه مفترقا مفارقا، ينفصل هذا عن هذا، مع كونه يماثله في الحدّ والحقيقة، يقال له: أنت الغالط، فإنّ الذي وقع به الانفصال هو المعبَّر عنه بأنّه تلك العين، وما لم يقع به الانفصال هو الذي توهّمتَ أنّه مِثل، وهذا من أغمض مسائل هذا الباب.

فما ثَمّ مِثل أصلا ولا يُقْدَر على إنكار الأمثال، ولكن بالحدود لا غير. ولهذا تُطلَق المِثليّة من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة لا الموجودة؛ فالأمثال معقولة لا موجودة. فنقول في الإنسان: إنّه حيوان ناطق بلا شكّ. وإنّ زيدا ليس هو عين عمرو من حيث صورته[2]، وهو عين عمرو من حيث إنسانيّته؛ لا غيره أصلا. وإذا لم يكن غيره في إنسانيّته؛ فليس مثله؛ بل هو هو. فإنّ حقيقة الإنسانيّة لا تتبعّض؛ بل هي في كلّ إنسان بعينها لا بجزئيّتها؛ فلا مِثل لها. وهكذا جميع الحقائق، كلّها.

فلم تصحّ المِثليّة إذا جعلتها غير عين المِثل. فزيد ليس مثل عمرو من حيث إنسانيّته؛ بل هو هو. وليس زيد مثل عمرو في صورته؛ فإنّ الفُرقان بينهما ظاهر. ولولا الفارق لالتبس زيد بعمرو، ولم تكن معرفةٌ بالأشياء. فما أدرك المدرِكُ أيَّ شيء أدرك، إلّا من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[3].

(١) ص ١٢٣ب
(٢) ص ١٢٤
(٣) [الشورى: ١١]

وذلك لأنّ الأصل الذي نرجع إليه في وجودنا، وهو الله -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فلا يكون ما يوجد عنه إلّا على حقيقة أنّه لا مِثل له؛ فإنّه كيف يخلق ما لا تعطيه صفته؟ وحقيقته لا تقبل المِثل؛ فلا بدّ أن يكون كلّ جوهر فرد في العالَم لا يقبل المِثل. إن كنت ذا فطنة ولبّ، فإنّه ليس في الإله حقيقة تقبل المِثل.

فلو كان قبول المِثل موجودا في العالَم، لاستند في وجوده من ذلك الوجه إلى غير حقيقة إلهيّة، وما ثَمّ موجِد إلّا الله، ولا مِثل له، فما في الوجود شيء له مِثل، بل كلّ موجود متميّز عن غيره بحقيقة هو عليها في[1] ذاته، وهذا هو الذي يعطيه الكشف والعلم الإلهيّ الحقّ.

فإذا أطلقتُ المِثل على الأشياء كما قد تقرّر، فاعلم أنّي أطلق ذلك عُرفا. قال -تعالى-: ﴿أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾[2] أي كما انطلق عليكم اسم الأمّة، كذلك ينطلق اسم أُمّة على كلّ دابّة وطائر يطير بجناحيه، وكما أنّ كلّ أمّة وكلّ عين في الوجود ما سِوَى الحقّ تفتقر في إيجادها إلى موجِد، نقول بتلك النسبة في كلّ واحد: إنّه مِثل للآخر في الافتقار إلى الله.

وبهذا يصحّ قطعا أنّ الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[3]، بزيادة الكاف، أو بفرض المِثل، فإنّك إذا عرفتَ أنّ كلّ محدَث لا يقبل المِثليّة كما قرّرناه لك، فالحقّ أَوْلَى بهذه الصفة، فلم تبق المِثليّة الواردة في القرآن وغيره، إلّا في الافتقار إلى الله الموجد أعيانَ الأشياء.

ثمّ أرجع وأقول: إنّ كلّ واحد من أهل الله، لا يخلو أن يكون قد جعل اللهُ عِلْمَ هذا الشخص بالأشياء في جميع القوى أو في قوّة بعينها كما قرّرنا: إمّا في الشمّ؛ وهو صاحب علم الأنفاس، وإمّا في النظر فيقال: هو صاحب نظر، وإمّا في الضرب؛ وهو من باب اللمس، بطريق خاصّ؛ ولذلك كنى عن ذلك بوجود برد الأنامل، فيُنسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها، فيقال: هو[4] صاحب كذا.

---

(١) ص ١٢٤ب
(٢) [الأنعام: ٣٨]
(٣) [الشورى: ١١]
(٤) ص ١٢٥

كما قرّرنا أنّ الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب؛ أعني الصفة النفسيّة. فكما رجع المعنى الذي يقال فيه: إنّه لا يقوم بنفسه، صورة قائمة بنفسها، (كذلك) رجعت الصورة التي هي هذا العالَم معنى، لتحقُّقه بذلك المعنى، وتألُّفه به كما تألّفتْ هذه المعاني، فصار من تأليفها ذاتٌ قائمة بنفسها، يقال فيها: جسم، وإنسان، وفرس، ونبات، فافهم.

فيصير صاحب علم الذوق ذوقا، وصاحب علم الشمّ شمّا، ومعنى ذلك أنّه يفعل في غيره ما يفعل الذوق فيه إن كان صاحب ذوق، أو ما فعل الشمّ فيه إن كان صاحب شمّ، فقد التحق في الحكم بمعناه، وصار هو في نفسه معنى يدرِك به المدرِك الأشياءَ كما يدرك الرائي بالنظر في المرآة، الأشياءَ التي لا يدركها في تلك الحالة إلّا بالمرآة.

كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء، وكان أبو مدين صاحبَ نظر، فكان هذا الصبيّ وهو ابن سبع سنين، ينظر ويقول: أرى في البحر في موضعٍ؛ صفته كذا وكذا، سفنا، وقد جرى فيها كذا وكذا. فإذا كان بعد أيّام وتجيء تلك السفن إلى بجاية؛ مدينة هذا الصبيّ التي كان فيها، يوجَد الأمر على ما قاله الصبيّ. فيقال للصبيّ: بماذا ترى؟ فيقول: بعيني، ثمّ يقول: لا، إنما أراه بقلبي، ثمّ يقول: لا، إنما أراه بوالدي؛ إذا كان حاضرا ونظرتُ إليه رأيتُ[1] هذا الذي أُخبركم به، وإذا غاب عنّي لا أرى شيئا من ذلك.

ورد في الخبر الصحيح عن الله -تعالى- في العبد الذي يتقرّب إلى الله بالنوافل حتى يحبّه يقول: «فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به» الحديث. فبه يسمع ويبصِر ويتكلّم ويبطش ويسعى. فهذا معنى قولنا: يرجع المحقّق بمثل صورة معنى ما تحقّق به. فكان ينظر بأبيه، كما ينظر الإنسان بعينه في المرآة فافهم. وهكذا كلّ صاحب طريق من طرق هذه القوى. وقد يجمع الكلَّ واحدٌ فيرى بكلّ قوّة، ويسمع بكلّ قوّة، ويشمّ بكلّ قوّة، وهو أتمّ الجماعة.

(١) ص ١٢٥ب

وأمّا أحوالهم بعد موتهم؛ فعلى قدر ما كانوا عليه في الدنيا من التفرّغ لأمر مّا معيّن أو أمور مختلفة على قدر ما تحقَّقوا به في التفرّغ له، وهم في الآخرة على قدر أحوالهم في الدنيا؛ فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة مَلِكا محضا، ومن كان في الدنيا يتّصف بالْمِلك ولو في جوارحه أنّها مِلْك له، نقص من مُلكه في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا، ولو أقام العدل في ذلك وصرّفه فيما أوجب الله عليه أن يصرّفه فيه شرعا، وهو يرى أنّه مالك لذلك لغفلةٍ طرأت منه، فإنّ وبال ذلك يعود عليه ويؤثّر فيه.

فلا أعزّ في(١) الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذلّ في جناب الحقّ والحقيقة. ولا أذلّ في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزّة في نفسه، ولو كان مصفوعا في الدنيا، ولا أريد بـ"عزّ الدنيا" أن يكون فيها مَلِكا إلّا أن تكون صفته في نفسه العزّة. وكذلك الذلّة. وأمّا أن يكون في ظاهر الأمر مَلِكا، أو غير ذلك، فما نبالي في أيّ مقام وفي أيّ حال أقام الحقُّ عبدَه في ظاهره، وإنما المعتبَر في ذلك حالُه في نفسه.

ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيري(٢) في بعض كتبه، وغيره، عن رجل من الناس؛ أنّه دفن رجلا من الصالحين، فلمّا جعله في قبره، نزع الكفن عن خدّه، ووضع خدَّه على التراب، ففتح الميّتُ عينيه، وقال له: يا هذا؛ أتذلّلني بين يدي مَن أعزّني؟ فتعجّبَ من ذلك، وخرج من القبر. ورأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحبي الحبشي في قبره، ورآه غاسله وقد هاب أن يغسله، في حديث طويل، ففتح عينيه في المغتسل وقال له: اغسل.

فمن أحوالهم بعد الموت أنّهم أحياء بالحياة النفسيّة التي بها يُسَبِّح كلُّ شيء. ومَن كانت له همّة بمعبده في حال عبادته في حياته، بحيث أن يكون يحفظها من الداخل فيها، حتى لا يتغيّر عليه الحال إن كان صاحب نفَس، فإذا مات ودخل أحدٌ بعده معبدَه، ففعل فيه ما(٣) لا يليق بصاحبه الذي كان يعمره؛ ظهرت فيه آية. وهذا قد رويناه في حكاية عن أبي يزيد البسطامي؛ كان له بيت يتعبّد فيه يسمّى: "بيت الأبرار" فلمّا مات أبو يزيد، بقي البيت محفوظا محترما لا

---

(١) ص ١٢٦

(٢) أبو القاسم القشيري: الأستاذ الشافعي (ت: ٤٦٥هـ) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بنى قشير شيخ خراسان في عصره ومن كتبه: التيسير فى التفسير، ولطائف الإشارات، والرسالة القشيرية.

(٣) ص ١٢٦ب

يُفعل فيه[1] إلّا ما يليق بالمســـاجد، فاتّفق أنّه جاء رجلٌ فبات فيه، قيل: وكان جُنبا، فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة، ففرّ من البيت؛ فما كان يدخله أحد فيفعل فيه ما لا يليق إلّا رأى آية.

فيبقى أثر مثل هذا الشـخص بعد موته، يفعل مثل ما كان يفعله في حياته سَـوَاء، وقد قال بعضهم، وكان محبّا في الصلاة: "يا ربّ؛ إن كنتَ أَذِنْتَ لأحد أن يصلّي في قبره فاجعلني ذلك"، فريئ (=فرؤي) وهو يصـلّي في قبره. وقد مرّ رسـول الله ﷺ ليلة إسرائه بقبر موسى عليه السلام فرآه وهو يصــلّي في قبره، ثمّ عرج به إلى الســماء، وذكر الإسراء وما جرى له فيه مع الأنبياء، ورأى موسى في السماء السادسة وقد رآه وهو يصلّي في قبره.

فمن أحوال هذا الشخص بعد موته، مثل هذه الأشـياء لا فرق في حقّه، بين حياته وموته، فإنّه كان في زمان حياته في الدنيا، في صـــورة الميّت حالُه الموت، فجعله الله في حال موته، كمن حاله الحياة، "جزاء وفاقا".

ومن صـــفات صـــاحب هذا المقام في موته، إذا نظر الناظر إلى[2] وجهه وهو ميّت، يقول فيه: حيٌّ، وإذا نظر إلى مجسِّ عروقه يقول فيه: ميّت، فيحار الناظر فيه، فإنّ الله جمع له بين الحياة والموت، في حال حياته وموته.

وقد رأيت ذلك لوالدي -رحمه الله-، يكاد أنّا ما دفنّاه إلّا على شكٍّ، مما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء، ومما كان من سكون عروقه وانقطاع نفَسه من صورة الأموات. وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته، وأنّه يموت يوم الأربعاء، وكذلك كان. فلمّا كان يوم موته وكان مريضا شديد المرض، استوى قاعدا غير مستنِد، وقال لي: يا ولدي؛ اليوم يكون الرحيل واللقاء. فقلت له: كتب الله سلامتك في سفرك هذا، وبارك لك في لقائك. ففرح بذلك، وقال لي: جزاك الله -يا ولدي- عنّي خيرا، كلّ ما كنت أسمعه منك، تقوله ولا أعرفه، وربما كنت أنكر بعضه، هو ذا أنا أشهده. ثمّ ظهرتْ على جبينه لُمعة بيضاء، تخالِف لون جسده من غير سوء، له نور يتلألأ. فشعر بها الوالد. ثمّ إنّ تلك اللمعة انتشرتْ على وجهه إلى أن عمّتْ بدنَه. فقبّلته

(١) ثابتة في الهامش بقلم الأصل مع إشارة التصويب.
(٢) ص ١٢٧

ووادعته، وخرجت من عنده، وقلت له: أنا أسير إلى المسجد الجامع، إلى أن يأتيني نَعْيُك. فقال لي: رح ولا تترك أحدا يدخل عليّ. وجمعَ أهله وبناته. فلمّا جاء الظهر[1] جاءني نعيُه. فجئت إليه، فوجدته على حالة يَشكّ الناظر فيه بين الحياة والموت. وعلى تلك الحالة دفنّاه، وكان له مشهد عظيم. فسبحان من يختصّ برحمته من يشاء.

فصاحِب هذا المقام؛ حياته وموته سَوَاء. وكلّ ما قدّمناه في هذا الباب من العلم، هو علم صاحب هذا المقام، فإنّه مِن علم الأنفاس، ولهذا ذكرنا ما ذكرنا من ذلك، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

---

(١) ص ١٢٧ب

(٢) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: بلغ"، يليه بخط ابن العربي: "بلغ قراءة للظهير محمود وكتبه ابن العربي".

الباب السادس والثلاثون
في معرفة العيسويّين وأقطابهم وأصولهم

كُلُّ مَنْ أَحْيَا حَقِيْقَتَـهُ   وشَـــفَى مِنْ عِلَّةِ الحُجُبِ
فَهْوَ عِيْسَى لا يُنَاطُ بِهِ   عِنْـدَنَا شَيْءٌ مِنَ الرِّيَـبِ
فَلَقَـدْ أَعْطَـتْ سَجِيَّتُـهُ   رُتْبَةً تَسْـــمُو عَلَى الرُّتَبِ
بِنُعُوتِ القُـدْسِ تَعْرِفُـهُ   فِي صَرِيحِ الوَحْيِ والكُتُبِ
لَمْ يَنَـلْهَـا غَـيْرُ وَارِثِـهِ   صِـفَةً فِي سَـالِفِ الحِقَبِ
فَسَرَتْ فِي الكَوْنِ هِمَّتُهُ   فِي أَعَـاجِيمَ[(١)] وفِي عَرَبِ
فَبِهَـا تَحْيَـا نُفُوسُـــهُمُ   وَبِهَـــا إِزَالَةُ الــنُّــوَبِ

اعلم -أيّدك الله- أنّه لَمّا كان شرع محمد ﷺ تضمّن[(٢)] جميع الشرائع المتقدّمة، وأنّه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلّا ما قرّرته الشريعة المحمديّة، فبتقريرها ثبتتْ، فتعبّدنا بها نفوسَنا، من حيث أنّ محمدا ﷺ قرّرها، لا من حيث أنّ النبيّ المخصوص بها في وقته قرّرها. فلهذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم.

فإذا عمل المحمدي -وجميع العالَم المكلَّف اليوم من الإنس والجنّ محمدي، ليس في العالَم اليوم شرع إلهيّ سِوَى هذا الشرع المحمدي- فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمّة أن يصادف في عمله فيما يفتح له منه، في قلبه وطريقه، ويتحقّق به طريقةً مِن طُرق نبيّ من الأنبياء المتقدّمين، مما تتضمّنه هذه الشريعة، وقرّرت طريقته، وصحبتها نتيجته. فإذا فُتح له في ذلك، فإنّه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة، فيقال فيه: عيسويّ، أو موسويّ، أو إبراهيميّ، وذلك لتحقيق ما تميّز له من المعارف، وظهر له من المقام، من جملة ما هو تحت حَيطة شريعة محمد ﷺ.

---

(١) ق، هـ: "أعاجم"، والترجيح من س
(٢) ص ١٢٨

فيتميّز بتلك النِّسبة أو بذلك النَّسب من غيره، لِيُعرف أنّه ما ورث من محمد ﷺ إلّا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حيّا واتّبعه، ما ورث إلّا ذلك منه. ولَمّا تقدّمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جَعلنا هذا[1] العارف وارثا، إذ كان الورث للآخر من الأوّل، فلو لم يكن لذلك الأوّل شرع مقرَّر قبل تقرير محمد ﷺ لساوينا الأنبياء والرسل، إذ جمَعَنا زمان شريعة محمد ﷺ كما يساوينا اليوم إلياس والخضر وعيسى إذا نزل، فإنّ الوقت يحكم عليه، إذ لا نبوّة تشريع بعد محمد ﷺ.

ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة: "إنّه محمدي" إلّا لشخصين: إمّا شخص اختصّ بميراث عِلْمٍ من حُكمٍ لم يكن في شرعٍ قبله، فيقال فيه: محمدي. وإمّا شخص جمع المقامات ثمّ خرج عنها إلى لا مقام، كأبي يزيد وأمثاله. فهذا أيضا يقال فيه: محمدي. وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبيّ من الأنبياء، ولهذا ورد في الخبر أنّ «العلماء ورثة الأنبياء»، ولم يقل ورثة نبيّ خاص، والمخاطَب بهذا علماء هذه الأمّة. وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله ﷺ: «علماء هذه الأمّة أنبياء سائر الأمم» وفي رواية «كأنبياء بني إسرائيل».

فالعيسويون الأُوَل هم الحواريّون أتباع عيسى، فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد ﷺ وآمن به واتّبعه، واتّفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة، ما كان قبل هذا شرعا لعيسى عليه السلام فيرث من[2] عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب، ثمّ يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد ﷺ ميراث تابع من تابع، لا من متبوع، وبينهما في الذوق فُرقان. ولهذا قال رسول الله ﷺ في مثل هذا الشخص: «إنّ له الأجر مرّتين» كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان، ولا يُنسب فيهما إلّا إلى ذلك النبيّ عليه السلام.

فهؤلاء هم العيسويّون الثواني، وأصولهم توحيد التجريد من طريق المثال، لأنّ وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذَكَرٍ بشري، وإنما كان عن تمثُّلِ روحٍ في صورة بشر. ولهذا غلب على أُمّة عيسى بن مريم، دون سائر الأمم القول بالصورة، فيصوِّرون في كنائسهم مُثُلا، ويتعبَّدون أنفسهم بالتوجّه إليها. فإنّ أصل نبيّهم عليه السلام كان عن تمثُّل. فَسَرَتْ تلك الحقيقة في أمّته إلى الآن. ولَمّا جاء شرع

(١) ص ١٢٨ب
(٢) ص ١٢٩

محمد ﷺ ونهى عن الصور، وهو ﷺ قد حوى على حقيقة عيسى، وانطوى شرعه في شرعه، فشرع لنا ﷺ أن نعبد الله كأنّا نراه، فأدخله لنا في الخيال، وهذا هو معنى التصوير. إلّا أنّه نهى عنه في الحِسّ، أن يظهر في هذه الأمّة بصورة حِسّيّة.

ثمّ إنّ هذا الشرع الخاصّ[١] الذي هو «اعبد الله كأنّك تراه» ما قاله محمد ﷺ لنا بلا واسطة، بل قاله لجبريل عليه السلام وهو الذي تمثّل لمريم ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر: "إيّاكِ أعني فاسمعي يا جارة" فكنّا نحن المرادين بذلك القول، ولهذا جاء في آخر الحديث: «هذا جبريل أراد أن تُعلَّموا إذا لم تَسألوا» وفي رواية: «جاء ليعلِّم الناسَ دينهم» وفي رواية: «أتاكم يعلِّمكم دينكم» فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين[٢] بالتعليم.

ثمّ لتعلم أنّ الذي لنا من غير شرع عيسى عليه السلام قوله: «فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» فهذا من أصولهم.

وكان شيخنا أبو العباس العريبي -رحمه الله- عيسويّا في نهايته، وهي كانت بدايتنا، أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسويّة. ثمّ نُقِلنا إلى الفتح الموسويّ الشمسيّ، ثمّ بعد ذلك نُقِلنا إلى هود عليه السلام ثمّ بعد ذلك نُقِلنا إلى جميع النبيّين -عليهم السلام- ثمّ بعد ذلك نُقلنا إلى محمد ﷺ هكذا كان أمرُنا في هذا الطريق، ثبّته الله علينا ولا حاد بنا عن سَوَاء السبيل. فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي[٣] أنشأنا الله عليها في هذا الطريق، وجه الحقّ في كلّ شيء، فليس في العالَم عندنا في نظرنا شيء موجود، إلّا ولنا فيه شهود عين حقٍّ، نعظّمه منه، فلا نرمي بشيء من العالَم الوجوديّ.

وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام يحيون وهم منقطعون عن الناس. فأمّا القوم الذين من قوم يونس، فرأيت أثره بالساحل، كان قد سبقني بقليل، فشبرت قدمه في الأرض، فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا[٤] بشبري. وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خزر الطنجي؛ أنّه اجتمع به في حكاية، وجاءني بكلام من عنده، مما يتّفق في الأندلس في سنة

---

(١) ص ١٢٩ب
(٢) ق: "المصدقين" وصححت في الهامش بقلم الأصل.
(٣) ص ١٣٠
(٤) "ونصفا وربعا" هي في ق: "ونصف وربع".

خمس وثمانين وخمسمائة، وهي السنة التي كنّا فيه، وما يتّفق في سنة ست وثمانين مع الإفرنج، فكان كما قال، ما غادر حرفا.

وأمّا الذي في الزمان من أصحاب عيسى، فهو ما رويناه من حديث عَرَبشاه بن محمد بن أبي المعالي العلويّ النوقي الخبوشاني كتابة، قال: ثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي؛ (قال): أنا أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفارمدي؛ أنا أحمد بن الحسين بن عليّ، قال: ثنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد إملاءً؛ ثنا يحيى بن أبي[1] طالب، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي، ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص وهو بالقادسيّة، أن وَجِّهْ نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليُغِرْ على ضواحيها. قال: فوجَّهَ سعدٌ نضلةَ في ثلاثمائة فارس، فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق، وأغاروا على ضواحيها، وأصابوا غنيمة وسبيا، فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقتْ بهم العصر، وكادت الشمس أن تغرب.

فألجأ نَضْلةُ الغنيمةَ والسبيَ إلى سفح الجبل، ثمّ قام فأذّن فقال: "الله أكبر الله أكبر" قال: ومُجيبٌ من الجبل يجيبه: كبّرتَ كبيرا يا نضلة. ثمّ قال: "أشهد أن لا إله إلّا الله" فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة. وقال: "أشهد أنّ محمدا رسول الله" فقال: هو الدين وهو الذي بشّرنا به عيسى بن مريم -عليهما السلام-، وعلى رأس أُمّته تقوم الساعة. ثمّ قال: "حيّ على الصلاة" قال: "طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها" ثمّ قال: "حيّ على الفلاح" قال: "قد أفلح من أجاب محمدا ﷺ وهو البقاء لأُمّته" قال: "الله أكبر الله أكبر" قال: "كبّرتَ كبيرا" قال: "لا إله إلّا الله" قال: "أخلصتَ الإخلاص -يا نضلة- فحرَّم الله جسدك على النار.

قال: فلمّا فرغ من أذانه قمنا فقلنا: من أنت يرحمك الله: أَمَلَكٌ[2] أنت؟ أم ساكن من الجنّ؟ أم من عباد الله أسمعتَنا صوتك؛ فأرنا شخصَك؟، فإنّا وفد الله ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب.

---

(١) ص ١٣٠ب
(٢) ص ١٣١

قال: فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا زريب بن برثملا؛ وصيّ العبد الصالح عيسى بن مريم -عليهما السلام-، أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء، إلى نزوله من السماء؛ فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرّأ مما نحلته النصارى. ما فعل النبيّ ﷺ؟ قلنا: قُبِض. فبكى بكاء طويلا حتى خضّب لحيته بالدموع.

ثمّ قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: أبو بكر. قال: ما فعل؟ قلنا: قُبِض قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: عمر. قال: إذا فاتني لقاء محمد ﷺ فأقرئوا عمر منّي السلام وقولوا:

يا عمر؛ سدِّد وقارِب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها. يا عمر؛ إذا ظهرت هذه الخصال في أمّة محمد ﷺ فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسَبوا[١] في غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرُهم صغيرَهم، ولم يوقِّر صغيرُهم كبيرَهم، وتُرِك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به، وتُرِك النهي عن المنكر فلم يُنْهَ عنه، وتعلّم عالِمُهم العلم، ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطرُ قيظا، والولد غيظا، وطوَّلوا المنابر، وفضّضوا[٢] المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرِّشى، وشيّدوا البناء، واتّبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفّوا الدماء، وتقطّعت الأرحام، وبيع الحكم، وأُكِل الربا، وصار التسلّط فخرا، والغنى عِزّا، وخرج الرجل من بيته فقام إليه مَن هو خير منه، ورَكِبت النساءُ السروجَ.

قال: ثمّ غاب عنّا. فكتب بذلك نضلةُ إلى سعد، وكتب سعدُ إلى عمر، فكتب عمر: ائت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار، حتى تنزل هذا الجبل، فإذا لقيتَه فأقرئه منّي السلام، فإنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام نزل بذلك الجبل بناحية العراق. فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما، ينادي بالأذان في وقت كلّ صلاة.

---

(١) ص ١٣١ب

(٢) الحروف المعجمة مهملة في ق

لم يتابع الراسبي على قوله عن مالك بن أنس، والمعروف في هذا الحديث مالك بن[١] الأزهر، عن نافع وابن الأزهر مجهول، قال أبو عبد الله الحاكم: لم يسمع بذِكْر ابن الأزهر في غير هذا الحديث. والسؤال عن النبيّ ﷺ وعن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن ابن الأزهر. قلنا: هذا الحديث وإن تُكُلِّمَ في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفا، وقوله في زخرفة المساجد وتفضيض المصاحف؛ ليسا على طريق الذمّ، وإنما هما دلالة على اقتراب الساعة وفساد الزمان، كدلالة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهديّ وطلوع الشمس من مغربها معلوم كلّ ذلك أنّه ليس على طريق الذمّ، وإنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة.

هذا الوصيّ العيسوي ابن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبّد لا يعاشر أحدا، وقد بُعث رسول الله ﷺ أتُرى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى؟ لا واللهِ فإنّ شريعة محمد ﷺ ناسخة. يقول ﷺ: «لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا أن يتّبعني" وهذا عيسى إذا نزل ما يؤمُّنا إلّا منّا أي بسنّتنا، ولا يحكم فينا إلّا بشرعنا.

فهذا الراهب ممن هو علي بيّنة من ربّه، علّمه ربّه من عنده ما افترضه عليه من[٢] شرع نبيّنا محمد ﷺ على الطريق التي اعتادها من الله. وهذا عندنا ذوقٌ محقَّق، فإنّا أخذنا كثيرا من أحكام محمد ﷺ المقرّرة في شرعه عند علماء الرسوم، وما كان عندنا منها علم فأخذناها من هذا الطريق، ووجدناها عند علماء الرسوم كما هي عندنا، ومن تلك الطريق نصحّح الأحاديث النبويّة، ونردّها أيضا إذا أُعلمنا أنّها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله ﷺ وإن قرّر الشارع حكم المجتهد وإن أخطأ[٣]، ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلّا بما حكم به رسول الله ﷺ.

وهذا الوصيّ من الأفراد، وطريقه في مآخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وإن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح، فإنّ ذلك لا يقدح في العلم. قال رسول الله ﷺ فيمن أعطي الولاية من غير مسألة: «إنّ الله يعينه عليها، وإنّ الله يبعث إليه ملَكا يسدِّده» يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به، قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾[٤] وقال عليه السلام:

---

(١) ص ١٣٢
(٢) ص ١٣٢ب
(٣) "وإن أخطأ" مكتوبتان بالهامش بقلم الأصل.
(٤) [الكهف: ٨٢]

«إن يكن في أمّتي محدَّثون فمنهم عمر».

ثمّ إنّه قد ثبت عندنا أنّ النبيّ ﷺ نهى عن قتل الرهبان الذين اعتزلوا الخلق وانفردوا بربّهم، فقال[1]: «ذروهم وما انقطعوا إليه» فأتى بلفظٍ مجمل، ولم يأمرنا بأن ندعوهم، لعلمه ﷺ أنّهم على بيّنة من ربّهم، وقد أُمر ﷺ بالتبليغ، وأَمرنا أن يبلّغ الشاهدُ الغائبَ. فلولا ما علم رسول الله ﷺ أنّ الله يتولّى تعليمهم مثل ما تولّى تعليم الخضر وغيره، ما كان كلامه هذا، ولا قرّره على شرع منسوخ عنده في هذه الملّة، وهو الصادق في دعواه ﷺ أنّه بُعث إلى الناس كافّة، كما ذكر الله -تعالى- فيه. فعمّت رسالتُه جميعَ الخلق. وروح هذا التعريف أنّه كلّ من أدركه زمانه، وبلغت إليه دعوته، لم يتعبّده الله إلّا بشرعه، فإنّا نعلم قطعا أنّه ﷺ ما شافهَ جميعَ الناس بالخطاب في زمانه، فما هو إلّا الوجه الذي ذكرنا.

وهذا الراهب من العيسويين الذين ورثوا عيسى عليه السلام إلى زمان بعثة محمد ﷺ فلمّا بُعث محمد ﷺ تَعبّد الله هذا الراهب بشرعه ﷺ وعلّمه من لدنه علما، بالرحمة التي آتاه من عنده، كان وِرْثُه أيضا حالة عيسويّة من محمد ﷺ فلم يزل عيسويّا في الشريعتين. ألا ترى هذا الراهب قد[2] أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبر أنّه إذا نزل يقتلُ الخنزيرَ، ويكسر الصليب. أتراه بقي على تحليل لحم الخنزير؟ فلم يزل هذا الراهب عيسويّا في الشريعتين، فله الأجر مرّتان: أجر اتّباعه نبيَّه، وأجر اتّباعه محمدا ﷺ وهو في انتظار عيسى إلى أن ينزل.

وهؤلاء الصحابة قد رأوه مع نضلة، وما سألوه عن حاله في الإسلام والايمان ولا بما يتعبّد نفسه من الشرائع، لأنّ النبيّ ﷺ ما أمرهم بسؤال مثله، فعلمنا قطعا أنّ النبيّ ﷺ لا يقرّ أحدا على الشرك، وعُلم أنّ لله عبادا يتولّى الحقّ تعليمهم من لدنه، علمَ ما أنزله على محمد ﷺ رحمةً منه وفضلا، وكان فضل الله عظيما. ولو كان ممن يؤدّي الجزية، لقلنا إنّ الشرع المحمدي قد قرّر له دينه، مادام يعطي الجزية، وهذه مسألة دقيقة في عموم رسالته، وإنّه بظهوره لم يبق شرع إلّا ما شرعه، ومما شرع: تقريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية، إذا كانوا من أهل كتاب، وكم لله -تعالى- من هؤلاء العباد في الأرض.

---

(١) ص ١٣٣

(٢) ص ١٣٣ب

فأصل العيسويين كما قرّرناه، تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الأمّة العيسويّة، والْمُثل التي لهم في الكنائس، من أجل أنّهم على شريعة محمد ﷺ[1] ولكنّ الروحانيّة التي هم عليها، عيسويّة في النصارى وموسويّة في اليهود من مشكاة محمد ﷺ من قوله: «اعبد الله كأنّك تراه» و«الله في قبلة المصلّي» و«إنّ العبد إذا صلّى استقبل ربّه» ومن كلّ ما ورد في الله من أمثال هذه النِّسب.

وليس للعيسويّ من هذه الأمّة من الكرامات المشي في الهواء، ولكن لهم المشي على الماء، والمحمدي يمشي في الهواء بحكم التبعيّة، فإنّ النبيّ ﷺ ليلة أسري به وكان محمولا، قال في عيسى عليه السلام: «لو ازداد يقينا لمشى في الهواء» ولا نشكّ أنّ عيسى عليه السلام أقوى في اليقين منّا بما لا يتقارب، فإنّه من أُولِي العزم من الرسل، ونحن نمشي في الهواء بلا شكّ.

وقد رأينا خلقا كثيرا ممن يمشي في الهواء، في حال مشيهم في الهواء، فعلمنا قطعا، أنّ مشينا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعيّة لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام: "قد علم كلٌّ منّا مشربه" فمشينا بحكم التبعيّة لمحمد ﷺ من الوجه الخاص الذي له هذا المقام، لا من قوّة اليقين كما قلنا، الذي كنّا نفضل به عيسى عليه السلام حاشى لله أن نقول بهذا، كما أنّ أمّة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعيّة، لا بمساواة يقينهم يقين[2] عيسى عليه السلام.

فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصّوا بها من الله، وظهر أمثالها علينا بحكم التبعيّة، كما مثّلناه في كتاب "اليقين"، أنّ المماليك الخواصّ الذين يمسكون نعال أستاذيهم من الأمراء، إذا دخلوا على السلطان، وبقي بعض الأمراء خارج الباب، حين لم يؤذن لهم في الدخول؛ أترى مماليك الداخلين مع أستاذيهم، أرفع منصبا من الأمراء الذين ما أُذن لهم؟ فهل دخلوا إلّا بحكم التبعيّة لأستاذيهم؟ بل كلّ شخص على رتبته، فالأمراء متميّزون على الأمراء، والمماليك متميّزون على المماليك في جنسهم. كذلك نحن مع الأنبياء فيما يكون للأتباع من خرق العوائد.

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ ما مشى في الهواء إلّا محمولا على البراق، كالراكب وعلى الرفرف كالمحمول في

(١) ص ١٣٤
(٢) ص ١٣٤ب

المحقّة، فأظهر بالبراق والرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه، بأنّه محمول في نفسه. و(أظهر) نسبةً أيضا إلهيّة من قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١) ومن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾(٢) فالعرش محمول. فهذا حمل كرامة بالحاملين، وحال راحة ومجد وعزّ للمحمولين.

وقد قرّرنا لك في غير موضع؛ أنّ المحمول أعلى من غير المحمول في هذا المقام وأمثاله، وأنّه "لا حول ولا قوّة إلّا بالله" مما اختصّ به الحملة، وإن(٣)كان جميع الخلق محمولين، ولكن لم يُكشف ذلك الحمل لكلّ أحد، وإن كان الحمل على مراتب: حمل عن عجز، وحمل عن حقيقة كحمل الأثقال، وحمل عن شرف ومجد. فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهرا، كما هو الأمر في نفسه باطنا، لتبرّيهم من الدّعوى كما قرّرناه في بابه.

وللعيسويين همّةٌ فعّالة، ودعاءٌ مقبول وكلمةٌ مسموعة. ومن علامة العيسويين إذا أردتَ أن تعرفهم، فتنظر كلَّ شخص فيه رحمةٌ بالعالَم، وشفقةٌ عليه، كان مَن كان، وعلى أيّ دين كان، وبأيّة نحلة ظهر، وتسليمٌ لله فيهم. لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حقّ الخلق أجمعين عند خطابهم عبادَ الله.

ومن علامتهم أنّهم ينظرون من كلّ شيء أحسنه، ولا يجري على ألسنتهم إلّا الخير. واشتركتْ في ذلك الطبقة الأُولَى والثانية؛ فالأُولَى مثل ما روي عن عيسى عليه السلام أنّه رأى خنزيرا فقال له: "انجُ بسلام" فقيل له في ذلك، فقال: "أُعوِّد لساني قول الخير". وأمّا الثانية فإنّ النبيّ ﷺ قال في الميتة حين مرّ عليها: «ما أحسن بياض أسنانها» وقال مَن كان معه: "ما أنتن ريحها" وأنّ النبيّ ﷺ وإن كان قد أمر بقتل الحيّات(٤) على وجهٍ خاص، وأخبر أنّ الله يحبّ الشجاعة، ولو على قتل حيّة، ومع هذا فإنّه كان بالغار في مِنى، وقد نزلت عليه سورة "والمرسلات" -وبالمرسلات يُعرف الغار إلى الآن، دخلتُه تَبَرُّكًا- فخرجت حيّة فابتدر الصحابة إلى قتلها، فأعجزتهم. فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله وقاها شرّكم كما وقاكم شرّها» فسمّاه شَرًّا مع كونه مأمورا به، مثل قوله -تعالى-

---

(١) [طه: ٥]
(٢) [الحاقة: ١٧]
(٣) ص ١٣٥
(٤) ص ١٣٥ب

في القصاص: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[1] فسمّى القصاصَ سيّئةً، وندب إلى العفو، فما وقعت عينه ﷺ إلّا على أحسن ما كان في الميتة.

فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كلِّ منظور إلّا أحسن ما فيه، وهم العُمْيُ عن مساوي الخلق، لا عن المساوي، لأنّهم مأمورون باجتنابها، كما هم صُمٌّ عن سماع الفحشاء، كما هم البُكْمُ عن التلفُّظِ بالسُّوءِ من القول، وإن كان مباحا في بعض المواطن. هكذا عرفناهم. فسبحان من اصطفاهم واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[2].

فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد ﷺ لأنّه تقدّمه بالزمان، ونُقِلَتْ عنه هذه الأحوال، قال -تعالى- لنبيّه ﷺ حين ذكر في القرآن مَن ذكر من النبيّين، وعيسى في جملة من ذكر -عليهم السلام-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ[3] هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

وإن كان مقام الرسالة يقتضي تبيين الحسن من القبيح، لِيُعلم كما قال -تعالى-: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[4] فإن بَيَّن السوءَ في حقّ شخص، فَبِوَحْيٍ من الله، كما قال في شخص: «بئس ابن العشيرة»، والخضر قتل الغلام، وقال فيه: «طُبِع كافرا» وأخبر لو تركه بما يكون منه من السُّوءِ في حقّ أبويه، وقال: "ما فعلت ذلك عن أمري".

فالذي للرجال من ذواتهم القول الحسن، والنظر إلى الحسَن، والإصغاء بالسمع إلى الحسَن. فإن ظهر منهم وقتا مّا خلافُ هذا؛ من نبيّ أو وليّ مرحوم، فذلك عن أمر إلهيّ، ما هو لسانهم. فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويّين ما يَسَّرَه الله على لساني، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[5].

---

(١) [الشورى: ٤٠]
(٢) [الأنعام: ٩٠]
(٣) ص ١٣٦
(٤) [النحل: ٤٤]
(٥) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب السابع والثلاثون
في معرفة الأقطاب العيسويّين وأسرارهم

فاعلم -أيّدك الله بروح القدس- أنّ:

القُطْبُ مَنْ ثَبَتَتْ فِي الأَمْرِ أَقْدَامُهْ   والعِيْسَــوِيُّ الَّذِي يُبْدِيْهِ إِقْدَامُهْ
والعِيْسَــوِيُّ[1] الَّذِي يَوْمًا لَهُ رُفِعَتْ   بَيْنَ النَّبِيِّينَ فِي الإِشْـــهَادِ أَعْلَامُهْ
وَجَــاءَهُ مِــنْ أَبِـيْـهِ كُلُّ رَائِحَــةٍ   كَالمِسْــكِ فِي شَمِّهَا بِالوَحْيِ إِعْلامُهْ
لَهُ الحَيَـاةُ فَيُحْيِي مَنْ يَشَـــاءُ بِهَـا   فَلا يَمُوتُ وَلا تُفْنِيــهِ أَيَّامُـهْ
فَـلَـوْ تَـرَاهُ وَقَـدْ جَـاءَتْـهُ آيَـتُـهُ   تَسْـعَى لِتَظْهَرَ فِي الأَكْوَانِ أَحْكَامُهْ
مُوَاجَهًا بِلِسَـــانٍ: أَنْتَ قُلْتَ لَهُمْ   بِـأَنَّـكَ اللهُ؟ وَهْوَ اللهُ عَلَّامُـهْ
جَوَابُهُ: قِيْلَ ما قَدْ قِيلَ فَاعْفُ وَلا   تَنْظُرْ لِجُرْمِ الَّذِي أَرْدَاهُ إِجْرَامُـهْ
صَـــلَّى عَلَيْـهِ إِلَهُ الخَلْقِ مِنْ رَجُـلٍ   أَعْطَى وَأُعْطِي الَّذِي أَعْطَاهُ إِكرامُهْ

اعلم -أيّدك الله بروح القدس- أنّا قد عرّفناك أنّ العيسويَّ من الأقطاب هو الذي جُمع له الميراثان: الميراث الروحانيّ الذي به يقع الانفعال، والميراث[2] المحمّديّ ولكن من ذوق عيسى عليه السلام لابدّ من ذلك، وقد بيّنّا مقاماتهم وأحوالهم، فلنذكر في هذا الباب نُبَذا من أسرارهم.

فمنها؛ أنّهم إذا أرادوا أن يُعْطُوا حالا من الأحوال التي هم عليها وهي تحت سلطانهم، لِمَا يرون في ذلك الشخص من الاستعداد؛ إمّا بالكشف وإمّا بالتعريف الإلهيّ، فيلمِسون ذلك الشخص، أو يعانقونه، أو يقبّلونه، أو يعطونه ثوبا من لباسهم، أو يقولون له: "ابسط ثوبك". ثمّ يغرفون له مما يريدون أن يعطوه -والحاضر ينظر أنّهم يغرفون في الهواء- ويجعلوه في ثوبه على قدر ما يجدّ لهم من الغَرْفات. ثمّ يقولون له: "ضُمَّ ثوبك مجموعَ الأطراف إلى صدرك"، أو "البسه" على قدر الحال التي يحبّون أن يهبوه إيّاها. فأيّ شيء فعلوا من ذلك، سَرَى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور، المراد به من وقته لا يتأخّر.

وقد رأينا ذلك لبعض شيوخنا؛ جاء لأقوامٍ من العامّة، فيقول لي: هذا شخص عنده استعداد، فيقرب منه. فإذا لمسه أو ضربه بصدره في ظهره، قاصدا أن يهبَه ما أراد، سَرَى فيه ذلك الحال

(١) ص ١٣٦ب
(٢) ص ١٣٧

من ساعته، وخرج مما كان فيه، وانقطع إلى ربّه.

وكان أيضا له هذه الحال مكّي الواسطي، المدفون بمكة تلميذ أردشير؛ كان إذا أخذه الحال يقول لمن يكون[1] حاضرا معه: عانقني، أو تَعرَّفَ الحاضرُ أمرَه، فإذا رآه متلبّسا بحاله عانقه، فيسري ذلك الحال في هذا الشخص ويتلبَّس به.

شكا جرير بن عبد الله البجلي[2] لرسول الله ﷺ أنّه لا يثبت على ظهر الفرس، فضرب في صدره بيده؛ فما سقط عن ظهر فرسٍ بَعد. ونخس رسولُ الله ﷺ مركوبا كان تحت بعض أصحابه[3] بطيئا يمشي به في آخر الناس، فلمّا نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه، وكان يتقدّم على جميع الرّكاب. وركب رسولُ الله ﷺ فرسا بطيئا لأبي طلحة، يوم أُغِير على سَرْحِ[4] رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ في حقّ ذلك الفرس: «إن وجدناه لَبَحْرًا» فما سُبِق بعد ذلك.

وشكا لرسول الله ﷺ أبو هريرة أنّه ينسى ما يسمعه من رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا هريرة؛ ابسط رداءك، فبسط أبو هريرة رداءه؛ فاغترف رسول الله ﷺ غَرْفة من الهواء أو ثلاث غَرْفات وألقاها في رداء أبي هريرة، وقال له: ضُمَّ رداءك إلى صدرك، فضمّه إلى صدره فما نسي بعد ذلك شيئا يسمعه» وهذا كلّه من هذا المقام.

فانظر في سِرِّ هذا الأمر، إنّه ما ظهر شيء من ذلك إلّا بحركة محسوسة، لإثبات الأسباب التي وضعها الله، لِيُعْلَم أنّ الأمر الإلهيّ لا ينخرم، وأنّه[5] في نفسه على هذا الحدّ. فيعرف العارف من ذلك نِسب الأسماء الإلهيّة، وما ارتبط بها من وجود الكائنات، وأنّ ذلك تقتضيه الحضرة الإلهيّة لذاتها، فيصرف العالِم المحقّق بهذه الأمور والتنبيهات الإلهيّة على أنّ الحكمة فيما ظهر، وأنّ ذلك لا يتبدّل وأنّ الأسباب لا ترتفع أبدا. وكلّ مَن زعم أنّه رفع سببا بغير سبب، فما عنده علم؛ لا بما رفَع به ولا بما رفَع. فلم يُمنح عبدٌ شيئا أفضل من العلم والعمل به، وهذه أحوال الأدباء من عباد الله -تعالى-.

ومِن أسرارهم أيضا؛ أنّهم يتكلّمون في فصول البلاغة في النطق، ويعلمون إعجاز القرآن، ولم يُعلم منهم ولا حصل لهم من العلم بلسان العرب، والتحقّق به على الطريقة المعهودة، من قراءة

---

(١) ص ١٣٧ب
(٢) ق: "جابر بن عبد الله" ومصححة بالهامش بخط آخر: "جرير بن عبد الله البجلي"
(٣) عرّفه في الهامش بخط آخر أنه: جابر بن عبد الله.
(٤) السَّرْحُ: المالُ السائم. الليث: السَّرْحُ المالُ يُسامُ في المرعى من الأنعام. [لسان العرب]
(٥) ص ١٣٨

كتب الآداب، ما يعلمون أنّهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة، بل كان ذلك لهم من الهبات الإلهيّة، بطريقٍ خاص يعرفونه من نفوسهم، إذا أُعطوا العبارة عن الذي يَرِد عليهم في بواطنهم من الحقائق.

وهم أُمّيّون؛ وإن أَحسنوا الكتابة من طريق النقش، ولكن هم عوامّ الناس، فينطقون بما هو خارج في المعتاد عن قوّتهم، إذ لم يكونوا من العرب، وإن كانوا من العرب فلم يكونوا إلّا بالنَّسب لا باللسان، فيعرف الإعجاز فيه منه، فمن هنالك يعرف إعجاز القرآن، وذلك قول الحقّ.

قيل لي في بعض الوقائع: أتعرف[1] ما هو إعجاز القرآن؟ قلت لا. قال كونه إخبارا عن حقّ، الْتزِمِ الحقَّ يكن كلامك معجزا. فإنّ المعارَض للقرآن؛ أوّل ما يكذب فيه أنّه يجعله من الله، وليس من الله، فيقول على الله ما لا يعلم، فلا يثمر ولا يثبت، فإنّ الباطل زهوق لا ثبات له. ثمّ يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها، بأمور تناسبها في الألفاظ، مما لم تقع ولا كانت. فهي باطل، والباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود. والقرآن إخبار عن أمر وجوديّ حقّ في نفس الأمر، فلا بدّ أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله. فمن التزم الحقّ في أفعاله وأقواله وأحواله، فقد امتاز عن أهل زمانه، وعن كلّ من لم يسلك مسلكه، فأَعجز من أراد التصوّر على مقامه من غير حقّ.

ومن أسرارهم أيضا علمُ الطبائع، وتأليفها، وتحليلها، ومنافع العقاقير، يَعلم ذلك منها كشفا. خرّج شيخنا أبو عبد الله الغَزّال كان بالمريّة -رحمه الله- في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العرّيف[2]، وكان ابنُ العرّيف أديبَ زمانه، فهو بالأحرش بطريق الصُّمادِحيّة، إذ رأى أعشاب ذلك المَرْجِ كلّها تخاطبه بمنافعها، فتقول له الشجرة أو النجم: خذني، فإنّي أنفع لكذا، وأدفع من المضار كذا. حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كلّ شجرة منها تحبُّبا له وتقرُّبا منه.

فرجع إلى الشيخ وعرّفه بذلك، فقال[3] له الشيخ: ما لهذا خدمتنا، أين كان منك الضارّ النافع، حين قالت لك الأشجار إنّها نافعة ضارّة؟ فقال: يا سيّدي؛ التوبة. قال له الشيخ: إنّ الله فتَنَكَ واختبرك، فإنّي ما دللتك إلّا على الله لا على غيره، فمِن صِدق توبتك، أن ترجع إلى ذلك الموضع فلا تكلّمك تلك الأشجار التي كلَّمَتْك، إن كنت صادقا في توبتك. فرجع أبو عبد الله

---

(١) ص ١٣٨ب

(٢) سبق تعريفه في السفر الثاني.

(٣) ص ١٣٩

الغزّال إلى الموضع، فما سمع شيئا مما كان قد سمعه. فسجد لله شكرا، ورجع إلى الشيخ فعرّفه. فقال الشيخ: الحمد لله الذي اختارك لنفسه، ولم يدفعك إلى كونٍ مثلك من أكوانه تَشرُف به، وهو على الحقيقة يَشرُف بك. فانظر همّته ﷺ.

وإذا عَلِم أسرار الطبائع ووقف على حقائقها؛ عَلِم من الأسماء الإلهيّة التي علّمها الله آدمَ ﷺ نِصْفَها، وهي علوم عجيبة، لَمّا أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة، رأينا أمرا هائلا، وعلِمنا مِن سرّ الله في خلقه، وكيف سرى الاقتدار الإلهيّ في كلّ شيء، فلا شيء ينفع إلّا به، ولا يضرّ إلّا به، ولا ينطق إلّا به، ولا يتحرّك إلّا به.

وحجب العالَم بالصوَر، فنسبوا كلّ[1] ذلك إلى أنفسهم، وإلى الأشياء، والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2] وكلامه حقّ، وهو خبر. ومثل هذه الأخبار لا يدخلها النسخ، فلا فقر إلّا إلى الله. ففي هذه الآية تَسمّى الله بكلّ[3] شيء يُفتقر إليه، ومن هذا الباب يكون الفقيرُ مَن يَفتقر إلى كلّ شيء، ولا يَفتقر إليه شيء، فيتناول الأسباب على أوضاعها الحِكْميّة، لا يُخِلُّ بشيء منها.

وهذا الذوق عزيز، ما رأينا أحدا عليه فيمن رأيناه، ولا نُقِل إلينا سماعا لا في المتقدِّم ولا في المتأخِّر، لكن رأينا ونُقل إلينا عن جماعةٍ إثباتُ الأسباب، وليس من هذا الباب فإنّ الذي نذكره ونطلبه سريان الألوهة في الأسباب، أو تجلّيات الحقّ خلف حجاب الأسباب، في أعيان الأسباب. أو سريان الأسباب في الألوهيّة[4]. هذا هو الذي لم نجد له ذائقا، إلّا قول الله -تعالى- . فهي الآية اليتيمة في القرآن، لا يعرف قدرها، إذ لا قيمة لها، وكلّ ما لا قيمة له ثبت بالضرورة أنّه مجهول القدر، ولو اعتُقِدَتْ فيه النفاسة.

ومن أسرارهم أيضا: معرفة النشأتين في الدنيا؛ وهي النشأة الطبيعيّة والنشأة الروحانيّة، وما أصلها؟ ومعرفة النشأتين في الدار الآخرة الطبيعيّة والروحانيّة، وما أصلها؟ ومعرفة النشأتين: نشأة الدنيا ونشأة الآخرة. فهي ستة علوم لا بدّ له من معرفتها.

ومن أسرارهم: أنّه ما منهم شخصٌ كمُل له هذا المقام إلّا ويوهب ستمائة قوّة إلهيّة، وَرِثها من

---

(١) ثابتة في الهامش بخط الأصل.
(٢) [فاطر: ١٥]
(٣) ص ١٣٩ب
(٤) ق: "الإلهية" وأثبت فوقها بقلم الأصل: "الألوهيّة"

جدّه الأقرب لأبيه، فيفعل بها بحسب ما تعطيه، فإن شاء أخفاها وإن شاء أظهرها، والإخفاء أعلى[(١)]. فإنّ العبودة إنما تأخذ من القوى ما تستعين بها على أداء حقٍّ، أو أمرِ سيّدها، لثبوت حكم عبوديّتها. فكلّ قوّة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو مطلوبا لرجال الله، فإنّهم لا يزاحِمون ذا القوّة المتين، فإنّ الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه إلّا في عبادته، لا أن يَظهروا بها ملوكا أربابا، كما زعمتْ طائفة من أهل الكتاب، ممن اتّخذوا عيسى ربًّا، قالوا: إنّ محمدا يطلب منّا أن نعبده كما عبدنا عيسى، فأنزل الله -تعالى-: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[(٢)].

ومن أسرارهم أيضا أنّهم لا يتعدَّوْن في معارجهم، من حيث أيبهم، السماءَ الثانية، إلّا أن يتوجّهوا إلى الجدّ الأقرب، فربما ينتهي بعضهم إلى السدرة المنتهى، وهي المرتبة التي تنتهي إليها أعمالُ العباد لا تتعدّاها، ومن هناك يقبلها الحقُّ وهي برزخها إلى يوم القيامة الذي يموت فيه صاحب ذلك العمل، ويكفي هذا القدر من علم أسرار هذه الجماعة، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[(٣)].

انتهى الجزء العشرون، يتلوه في الجزء الحادي والعشرين.[(٤)]

---

(١) ص ١٤٠

(٢) [آل عمران: ٦٤]

(٣) [الأحزاب: ٤]

(٤) في الهامش: "بلاغ". وكتب في هامش الصفحة من جهة اليمين والأسفل السماعات التالية: "سمع من البلاغ بخط القارئ في الجزء الثامن عشر إلى هنا على مصنفه الإمام العالم الأوحد محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد وأحمد، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن الصفار، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن يرنقش المعظمي، ويعقوب بن معاذ الوربي، ويونس بن عثمان الدمشقي، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو بكر بن محمد البلخي، وأحمد بن محمد بن سليمان، وعلي بن يوسف المقدسي، وعمران بن محمد بن عمران النشبي، وعلي بن أبي بكر الدمشقي، ومحمد بن علي المطرز، وعلي بن محمود بن أبي الرجاء، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج، ومظفر بن محمود –الحنفيون- ومحمد بن نصر الله الملطي، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف- وحسين بن محمد الموصلي، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل الملطي، وأبو بكر بن يونس بن الخلال، وأبو المظفر يوسف بن الحسن النابلسي، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي.- وسمع من مواضع ابن إبراهيم بن أبي بكر الخلال إلى هنا، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وعبد الله بن عبد الوهاب بن شجاع، وأحمد بن موسى بن حسين التركماني.- وسمع من أول الجزء العشرين عيسى بن إسحق بن يوسف الهذباني، وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمنزل المسمع بدمشق، والحمد لله وصلاته على محمد وآله وصحبه وأزواجه وسلامه".
يليه: "وسمع مع الجماعة بالقراءة والتاريخ أبي عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي الواعظ والده. ألحقه إبراهيم القرشي حامدا ومصليا."
يليه: "وأعيدت لمحمد بن بدر قدر ما فاته وكتبه علي بن المظفر النشبي".

الجزء الحادي والعشرون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

الباب الثامن والثلاثون
في معرفة من اطّلع على المقام المحمّديّ
ولم ينله من الأقطاب

بَيْنَ النُّبُوَّةِ والوِلايَـةِ فـارِقٌ ... لَكِنْ لَهَا الشَّرَفُ الأَتَمُّ الأَعْظَمُ
يَعْنُو لَهَا الفَلَكُ الْمُحِيطُ بِسِرِّهِ ... وكَـذَلِكَ القَلَمُ العَلِيُّ الأَفْخَمُ
إِنَّ النُّبُوءَةَ والرِّسَـــالَةَ كَانَتَا ... وَقَدِ انْتَهَتْ وَلَهَا السَّبِيلُ الأَقْوَمُ
وأَقَـامَ بَيْتًـا لِلوِلَايَـةِ مُحْكَمًـا ... فِي ذَاتِـهِ فَلَهُ البَقَـاءُ الأَدْوَمُ
لَا تَطْلُبَنْهُ نِهايَةً يُسْــعَى لَهَا ... فَيَكُونَ عِنْـدَ بُلُوغِـهِ يَتَهَـدَّمُ
صِــفَةُ الدَّوَامِ لِذَاتِهِ نَفْسِـيَّةٌ ... فَـهُوَ الـوَلِيُّ فَـقَـهْرُهُ مُـتَـحَـكِّمُ
يَـأْوِي إِلَيْـهِ نَبِيُّهُ وَرَسُــــولُهُ ... والعـالَمُ الأَعْلَى ومَنْ هُوَ أَقْدَمُ

ثبت(٣) أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت؛ فلا رسول بعدي ولا نبيّ" الحديث بكماله. فهذا الحديث مِن أشدّ ما جرعت الأولياء مرارته؛ فإنّه قاطعٌ للوصلة بين الإنسان وبين عبوديّته. وإذا انقطعتْ الوصلة بين الإنسان وبين عبوديّته من أكمل الوجوه؛ انقطعتْ الوصلة بين الإنسان وبين الله، فإنّ العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديّته، ينقصه من تقريبه من سيّده، لأنّه يزاحمه في أسمائه، وأقلّ المزاحمةِ الاسميّةُ، فأبقى علينا اسمَ الوليّ؛ وهو من أسمائه - سبحانه-. وكان هذا الاسم قد نزعه من رسوله وخلع عليه، وسمّاه بالعبد والرسول، ولا يليق بالله

(١) العنوان ص ١٤٠ب
(٢) البسملة ص ١٤١
(٣) ص ١٤١ب

أن يسمَّى بالرسول. فهذا الاسم من خصائص العبوديّة، التي لا تصحّ أن تكون للربّ. وسبب إطلاق هذا الاسم (هو) وجودُ الرسالة، والرسالة قد انقطعتْ. فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها، من حيث نِسبتها بها من الله.

ولَمّا علم رســـول الله ﷺ أنّ في أمّته من يَجْرَع مثل هذا الكأس، وعَلِم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم؛ لذلك رحمهم؛ فجعل لهم نصيبا ليكونوا بذلك عبيد العبيد. فقال للصحابة: «ليبلِّغ الشـاهدُ الغائبَ» فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ، لينطلق عليهم أسـماء[1] الرسـل التي هي مخصــوصــة بالعبيد. وقال ﷺ: «رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها» يعني حرفا حرفا، وهذا لا يكون إلّا لمن بلّغ الوحيَ من قرآن أو ســنّة، بلفظه الذي جاء به. وهذا لا يكون إلّا لِنَقَلَة الوحي من المقرِئين والمحدِّثين؛ ليس للفقهاء، ولا لمن نقل الحديث على المعنى -كما يراه سفيان الثوريّ، وغيرُه- نصيبٌ ولا حظٌّ فيه. فإنّ الناقل على المعنى، إنما نقل إلينا فهمَه في ذلك الحديث النبويّ، ومَن نقل إلينا فهمَه، فإنما هو رســول نفسِــه، ولا يُحشر يوم القيامة فيمن بلَّغ الوحي كما سمعه، وأدّى الرسالة كما يُحشر المقرئ والمحدِّث الناقل لفظَ الرسول عينَه، في صفّ الرسل -عليهم السلام-.

فالصحابة إذا نقلوا الوحي على لفظه، فهم رسل رسول الله ﷺ، والتابعون رُسُلُ الصحابة، وهكذا الأمر جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة. فإن شئنا قلنا في المبلِّغ إلينا: إنّه رسول رسول الله. وإن شـئنا أضـفناه لمن بلَّغ عنه. وإنما جوَّزنا حَذْفَ الوسـائط؛ لأنّ رسـول الله كان يخبره جبريل عليه السلام و(هو) ملَك من الملائكة، ولا نقول فيه: رســول جبريل، وإنما نقول فيه: رســول الله، كما قال الله -تعالى-[2]: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُـــولَ ٱللَّهِ﴾[4] مع قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ. عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾[5] ومع هذا فما أضافه الله إلّا إلى نفسه.

(١) ص ١٤٢
(٢) ص ١٤٢ب
(٣) [الفتح: ٢٩]
(٤) [الأحزاب: ٤٠]
(٥) [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]

فهذا القدر بقي لهم من العبوديّة. وهو خيرٌ عظيم امتنّ الله به عليهم. ومهما لم ينقله الشخص بسنده متّصلا غير منقطع، فليس له هذا المقام، ولا شمّ له رائحة، وكان من الأولياء المزاحمين الحقَّ في الاسم الوليّ، فنقصه من عبوديّته بقدر هذا الاسم. فلهذا اسم المحدَّث -بفتح الدال- أَوْلَى به من اسم الوليّ، فإنّ مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله ﷺ إلّا بقدر ما بيّنّاه، فهو الذي أبقاه الحقّ -تعالى- علينا. ومن هنا تعرف مقام شرف العبوديّة، وشرف المحدِّثين، نقلة الوحي بالرواية. ولهذا اشتدّ علينا غلق هذا الباب، وعلِمنا أنّ الله قد طردنا من حال العبوديّة الاختصاصيّة، التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها. وأمّا النبوّة فقد بيّنّاها لك فيما تقدّم في باب معرفة الأفراد وهم أصحاب الرِّكاب.

ثمّ إنّه -تعالى- من باب طردِنا من العبودة ومقامها، قال -تعالى-: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» ومَن نحن حتى تقع القسمة بيننا وبينه؟، وهو السيّد الفاعل المحرِّك، الذي يُقَوِّلنا في قولنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] وأمثال ذلك مما أضافه[2] إلينا، وقد علمنا أنّ نواصينا بيده في قيامنا وركوعنا وسجودنا وجلوسنا وفي نطقنا.

يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] يقول الله: «حمدني عبدي» تفضُّلا منه؛ فإنّه مَن قوّله بهذه اللفظة. وما قَدْرُهُ حتى يقول السيّد: قال عبدي وقلت له؟ هذا حجابٌ مُسدَل. فينبغي للعبد أن يعرف أنّ لله مكرا خفيّا في عباده، وكلّ أحد يمكر به على قدر علمه بربّه. فيأخذ هذا التكريم الإلهيّ ابتلاء من الله مدرجا في نعمة، فإذا صلّى وتلا وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقولها حكاية من حيث ما هو مأمور بها لتصحّ عبوديّته في صلاته، ولا ينتظر الجواب ولا يقول ليجاب، بل يشتغل بما كلّفه سيّده به من العمل، حتى يكون ذلك الجواب والإنعام من السيّد، لا من كونه قال. فإنّ القائلَ على الحقيقة خالقُ القول فيه، فنسلم من هذا المكر، وإن كان منزلة رفيعة، ولكن بالنظر إلى من هو في غير هذه المنزلة ممن نزل عنها.

فما ورثنا من رسول الله ﷺ من هذا المقام الذي أُغلق بابه دونَنا، إلّا ما ذكرناه من عناية الحقّ، بمن كَشَفَ له عن ذلك ورزقه علمَ نقل الوحي بالرواية من كتاب وسنّة. فما أشرف مقام

---

(١) [الفاتحة: ٥]
(٢) ص ١٤٣
(٣) [الفاتحة: ٢]

أهل الرواية من المقرئين والمحدِّثين، جعلنا الله ممن اختصّ بنقله[1] من قرآن وسنّة، فإنّ «أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته» والحديث مثلُ القرآن بالنصّ، فإنّه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2]. وممن تحقّق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي؛ كشف له منه بعد السؤال والتضرّع، قدر خَرْتِ[3] الإبرة، فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق، فعلم أنّه لا يُنال ذوقا وهو كمال العبودة.

وقد حصـــل لنا منه ﷺ شـــعرة، وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلّا ظلّه، ولَمّا أطلعني الله عليه، لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية من الله، ثمّ إنّه أيّدني فيه بالأدب رزقا من لدنه وعناية من الله بي، فلم يصدر منّي هناك ما صدر من أبي يزيد، بل اطّلعت عليه وجاء الأمر بالرقيّ في سُلَّمِه. فعلمتُ أنّ ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشريف، على أنّه قد يكون بعض الابتلاء تشريفا، فتوقّفتُ وسألتُ الحجاب، فعُلم ما أردتُ، فوضع الحجاب بيني وبين المقام. وشُكِر لي ذلك، فمنحني منه الشعرة التي ذكرناها، اختصاصا إلهيّا، فشكرتُ الله على الاختصاص بتلك الشعرة، غير طالب بالشكر الزيادةَ، وكيف أطلب الزيادة من ذلك، وأنا أسأل الحجاب، الذي هو من كمال العبوديّة، فَسَرَتْ[4] فِيَّ العبودة، وظهر سلطانها، وحيل بيني وبين مرتبة السيادة. لله الحمد على ذلك. وكم طُلِبتُ إليها وما أجبتُ، وهكذا -إن شاء الله- أكون في الآخرة، عبدا محضا خالصا، ولو ملّكني جميع العالَم، ما ملكتُ منه إلّا عبوديّته خاصّة حتى تقوم بذاتي جميع عبوديّة العالَم.

وللناس في هذا مراتب؛ فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره، فإن أطلق اللهُ ألسنةَ الخلق عليه، بأنّه وليّ لله، ورأى أنّ الله قد أطلق عليه اسما أطلقه -تعالى- على نفسه، فلا يسـمعه ممن يسـمّيه به، إلّا على أنّه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل، حتى يشـمّ فيه رائحة العبوديّة، فإنّ بِنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل.

وإنما قلنا هذا، من أجل ما أمرنا أن نتّخذه -سبحانه- وكيلا فيما هو له مما نحن مستخلَفون

---

(١) ص ١٤٣ب

(٢) [النجم: ٣، ٤]

(٣) الَخرْت: للإبرة والفأس ونحوه، وهو ثقبه، ويُجمع على الخُروت. [تهذيب اللغة]

(٤) ص ١٤٤

فيه، فإنّ في مثل هذا مكرا خفيّا، فتحفّظْ منه. ويكفي من التنبيه الإلهيّ العاصم من المكر كونك مأمورا بذلك فامتثِلْ أمره واتّخِذه وكيلا، لا تدّعي المِلك فإنّ الله تولّاك فإنّه قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١) واسم الصالح من خصائص العبوديّة، ولهذا وَصف محمد ﷺ نفسه بالصلاح؛ فإنّه ادّعى حالة لا تكون إلّا للعبيد الكمّل.

فمنهم من شهد له بها الحقّ ﷻ بشرى(٢) من الله، فقال في عبده يحيى عليه السلام: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣) وقال في نبيّه عيسى عليه السلام: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٤) وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٥) من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا: وهي قوله عن زوجته سارة أنّها أخته بتأويل، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾(٦) اعتذارا، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾(٧) إقامة حجّة.

فبهذه الثلاثة يَعتذر يوم القيامة للناس، إذا سألوه أن يسأل ربّه فتْح باب الشفاعة، فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة، إذ لم يؤاخذه بذلك، كما قال الله -تعالى- لمحمد ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(٨) وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(٩) فقدَّم البشرى قبل العتاب، وهذه الآية عندنا بشرى خاصّة ما فيها عتاب، بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقّهم.

وأمّا سليمان وأمثاله -عليهم السلام-، فأخبرنا الحقّ أنّه قال: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١٠) وإن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله، فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به، مع كونه نعتا عبوديّا لا يليق بالله، فما ظنّك بالاسم الوليّ الذي قد تسمّى الله به بمعنى الفاعل.

---

(١) [الأعراف: ١٩٦]
(٢) ص ١٤٤ب
(٣) [آل عمران: ٣٩]
(٤) [آل عمران: ٤٦]
(٥) [البقرة: ١٣٠]
(٦) [الصافات: ٨٩]
(٧) [الأنبياء: ٦٣]
(٨) [الفتح: ٢]
(٩) [التوبة: ٤٣]
(١٠) [النمل: ١٩]

فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد، وإن[١] أطلقه الحقّ عليه، فذلك إليه -تعالى-، ويلزم الإنسان عبوديّته وما يختصّ به من الأسماء التي لم تنطلق قطّ على الحقّ لفظا، فيما أنزله على نبيّه ﷺ. فلمّا أنزل الله -تعالى- على عبده محمد ﷺ هذه الآية ليعرّف الناس بها؛ فكأنّ الله حكى عن نبيّه ﷺ ما لا بدّ له أن يقوله ويتلفّظ به، فجعله -تعالى- قرآنا يُتلى، إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر.

فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢] فشهد له بالصلاح؛ إذا كان الحقّ حاكيا في هذه الآية. وإن كان آمرا فيكون من المشهودين لهم[٣] بالصلاح. فعرَّفنا أنّ الله تولّاه، وأخبرنا أنّ الله يتولّى الصالحين، فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه، ولم يُنقل ذلك عن غيره، بل نُقِل ما يقاربه من قول عيسى ؑ: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا. وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا. وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٤] يقول الله -تعالى-: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[٥] أي فكذلك أنت، فكان من فضله[٦] نيل مثل هذا المقام.

فاحفظ -يا وليّ- نفسك في التخلّق بأسماء الله الحسنى، فإنّ العلماء لم يختلفوا في التخلّق بها، فإذا وُفِّقْتَ للتخلّق بها، فلا تَغِبْ في ذلك عن شهود آثارها فيك، ولتكن فيها ومعها بحكم النيابة عنها، فتكون مثل اسم الرسول لا تشارك الحقَّ في إطلاق اسمٍ عليك من أسمائه بذلك المعنى، والزم الأدب ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[٧] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٨].

---

(١) ص ١٤٥
(٢) [الأعراف: ١٩٦]
(٣) ق: "له" وصححت بالهامش بقلم الأصل.
(٤) [مريم: ٣٠ - ٣٣]
(٥) [البقرة: ٢٥٣]
(٦) ص ١٤٥ب
(٧) [طه: ١١٤]
(٨) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب التاسع والثلاثون
في معرفة المنزل الذي يحطّ إليه الوليّ
إذا طرده الحقّ -تعالى- من جواره

إذا حُطَّ الوَلِيُّ فَلَيْسَ إلَّا عُـرُوجٌ وارْتِـقَـاءٌ فِي عُـلُـوِّ
فـإنَّ الحَقَّ لا تَقْيِيـدَ فِيْـهِ فَفِي عَيْنِ النَّوَى عَيْنُ الدُّنُوِّ
فَحَـالُ المُجْتَبَى فِي كُلِّ حَـالٍ سُمُـوٌّ فِي سُمُـوٍّ فِي سُمُـوِّ
فَلا[1] حُكْمٌ عَلَيْـهِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَلا تَـأْثِيْرَ فِـيْـهِ؛ لِـلـعُـلُـوِّ

اعلم -أيّدك الله بروح منه- أنّ الله -تعالى- يقول لإبليس: "اسجد لآدم". فظهر الأمر فيه. وقال لآدم وحوّاء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّـجَرَةَ﴾[2]. فظهر النهي فيهما. والتكليف مقسّـم بين أمر ونهي؛ وهما محمولان على الوجوب، حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينةُ حال. وإن كان مذهبنا فيهما التوقيف. فتعيّن امتثال الأمر والنهي. وهذا أوّل أمر ظهر في العالم الطبيعيّ، وأوّل نهي.

وقد أعلمناك أنّ الخاطر الأوّل؛ وأنّ جميع الأوّليّات، لا تكون إلّا ربّانيّة. ولهذا تصـدقُ ولا تخطئ أبدا. ويقطع به صاحبه، فسلطانه قويٌّ. ولَمّا كان هذا أوّل أمر ونهي، لذلك وقعت العقوبة عند المخالفة، ولم يمهل.

فإذا جاءت الأوامر بالوسائط، لم تَقْوَ قوّة الأوّل. وهي الأوامر الواردة إلينا على ألسنة الرسل. وهي على قسمين: إمّا ثوان؛ وهو ما يلقي الله إلى نبيّه في نفسه من غير واسطة الملَك، فيصل إلينا الأمر الإلهيّ، وقد جاز على حضرة كونيّة، فاكتسب منها حالة لم يكن عليها. فإنّ الأسماء الإلهيّة تلقَّتْهُ في هذه الحضرة الكونيّة، فشاركته بأحكامها في حكمه. وإمّا أن ينزل عليه بذلك الأمرُ المَلَكُ، فيكون الأمرُ الإلهيّ قد جاز على حضرتين من الكون: جبريل وأيّ مَلَك كان[3]، وأيّ

(١) ص ١٤٦
(٢) [البقرة: ٣٥]
(٣) "وأي ملك كان" ثابتة في الهامش بقلم الأصل.

نبيّ كان[1]، فيكون فعلُه وأثره في القوّة، دون الأوّل والثاني. فلذلك لم تقع المؤاخذة معجّلة: فإمّا إمهال إلى الآخرة، وإمّا غفران، فلا يؤاخذ بذلك أبدا، وفَعل اللهُ ذلك رحمةً بعباده.

كما أنّه -تعالى- خصّ النهي بآدم وحوّاء. والنهي ليس بتكليفٍ عمليّ، فإنّه يتضمّن أمرا عدميًّا، وهو: لا تفعل. ومن حقيقة الممكن أنّه لا يفعل. فكأنّه قيل له: لا تفارق أصلك. والأمر ليس كذلك؛ فإنّه يتضمّن أمرا وجوديّا، وهو أن يفعل. فكأنّه قيل له: أخرج عن أصلك. فالأمر أشقُّ على النفس من النهي، إذ كُلِّفَ الخروج عن أصله. فلو أنّ إبليس لَمّا عصى ولم يسجد، لم يقل ما قال؛ من التكبّر، والفضليّة التي نسبها إلى نفسه على غيره، فخرج عن عبوديّته بقدر ذلك، فحلّت به عقوبة الله. وكانت العقوبة لآدم وحوّاء لَمَّا تَكَلَّفا الخروج عن أصلهما، وهو الترك -وهو أمر عدميّ-، بالأَكل -وهو أمر وجوديّ-، فشرّك الله بين إبليس وآدم وحوّاء في ضمير واحد -وهو كان أشدّ العقوبة على آدم- فقيل لهم: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾[2] بضمير الجماعة.

ولم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحوّاء؛ وإنما كان عقوبة لإبليس. فإنّ آدم أُهبط لصدق الوعد؛ بأن يُجعل في الأرض خليفة، بعد ما تاب عليه واجتباه، وتلقّى الكلمات من ربّه بالاعتراف. فاعترافه ﷺ[3] (هو) في مقابلة كلام إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[4]، فعرّفنا الحقُّ بمقام الاعتراف عند الله، وما يُنتجه من السعادة، لنتّخذه طريقا في مخالفتنا. وعرّفنا بدعوى إبليس ومقالته، لنحذر من مثلها عند مخالفتنا.

وأُهبطتْ حوّاء للتناسل، وأُهبط إبليس للإغواء. فكان هبوطُ آدم وحوّاء هبوطَ كرامة، وهبوطُ إبليس هبوطَ خذلان وعقوبة واكتساب أوزار. فإنّ معصيته كانت لا تقتضي تأبيد الشقاء؛ فإنّه لم يشرك؛ بل افتخر بما خلقه الله عليه، وكتبه شقيّا. ودار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك. فأنزله الله إلى الأرض ليسنّ الشرك بالوسوسة في قلوب العباد. فإذا أشركوا وتبرّأ إبليس من المشرك ومن الشرك، لم ينفعه تبرّيه منه. فإنّه هو الذي قال له: ﴿ٱكۡفُرۡ﴾[5] كما أخبر الله -تعالى-.

(١) ص ١٤٦ب
(٢) [البقرة: ٣٦]
(٣) ص ١٤٧
(٤) [الأعراف: ١٢]
(٥) [الحشر: ١٦]

فحار عليه وِزْرُ كلّ مشرك في العالَم، وإن كان (هو) موحّدا. فإنّه «مَن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها».

فإنّ الشخص الطبيعيّ؛ كإبليس وبني آدم، لابدّ أن يَتصوّر في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه. فما سنّ الشركَ ووسوس به حتى تصوّره في نفسه، على الصورة التي إذا حصلتْ في نفس المشرك، زالت عنه صورة التوحيد. فإذا تصوَّرها في نفسه بهذه الصورة، فقد خرج التوحيد عن تصوّره في نفسه، ضرورة[1]. فإنّ الشريك مُتَصوَّرٌ له في نفسه إلى جانب الحقّ الذي في نفسه متخيَّلا، أعني من العلم بوجوده. فما تركه في نفسه وحده. فكان إبليس مشرِكا في نفسه، بلا شكّ ولا ريب. ولا بدّ أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك، ليمدّ بها المشركين مع الأنفاس، فإنّه خائف منهم أن تزول عنهم صفةُ الشرك، فيوحّدوا الله، فيسعدوا. فلا يزال إبليسُ يحفظ صورة الشريك في نفسه، ويراقب بها قلوب المشركين، الكائنين في الوقت، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا. ويردّ بها الموحِّدين، في المستقبل، إلى الشرك، ممن ليس بمشرك.

فلا ينفكّ إبليس دائما على الشرك، فبذلك أشقاه الله. لأنّه لا يقدر أن يتصوّر التوحيد نفَسا واحدا، لملازمته هذه الصفة، وحرصه على بقائها في نفس المشرك. فإنّها لو ذهبتْ من نفسه، لم يجد المشرك مَن يحدّثه في نفسه بالشرك، فيذهب الشرك عنه. ويكون إبليس لا يتصوّر الشريك، لأنّه قد زالتْ عن نفسه صورة الشريك، فيكون لا يعلم أنّ ذلك المشرك، قد زال عن إشراكه. فدلّ (هذا) أنّ الشريك يستصحب إبليس دائما. فهو أوّل مشرك بالله، وأوّل مَن سنّ الشرك، وهو أشقى العالَمين. فلذلك يطمع في الرحمة من عين المنّة. ولهذا قلنا: إنّ العقوبة في حقّ آدم، إنما[2] كان في جمعِه مع إبليس في الضمير، حيث خاطبهم الحقّ بالهبوط، بالكلام الذي يليق بجلاله. ولكن لا بدّ أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضيها لفظُ الضمير، فإنّ صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص، وهذه طريقة لم تجعل العلماء بالَها من ذلك.

وإنما ذكرنا مسألة آدم تأنيسا لأهل الله -تعالى-؛ إذا زلّوا فحطّوا عن مقامهم؛ أنّ ذلك الانحطاط لا يقضي بشقائهم، ولا بدّ، بل يكون هبوطهم كهبوط آدم؛ فإنّ الله لا يتحيّز ولا يتقيّد. وإذا كان

---

(١) ص ١٤٧ب
(٢) ص ١٤٨

الأمر على هذا الحدّ، وكان الله بهذه الصفة من عدم التقييد، فيكون عينُ هبوط الوليّ عند الزلّة، وما قام به من الذلّة والحياء والانكسار فيها، عينَ الترقّي إلى أعلى مما كان فيه؛ لأنّ علوّه بالمعرفة والحال. وقد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده؛ ومن الحال -وهو الذلّة والانكسار- ما لم يكن عليها، وهذا هو عين الترقّي إلى مقامٍ أشرف، فإذا فقد الإنسان هذه الحالة في زلّته، ولم يندم ولا ذلّ ولا انكسر، ولا خاف مقام ربّه؛ فليس من أهل هذه الطريقة. بل ذلك جليس إبليس. بل إبليس أحسن حالا منه؛ لأنّه يقول لمن يطيعه في الكفر: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

ونحن إنما نتكلّم على زلّات أهل الله، إذا[2] وقعتْ منهم. قال -تعالى-: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾[3] وقال رسول الله ﷺ: «الندمُ توبة» وإنما الإنسان الوليُّ إذا كان في المقام الذي كان، والحال التي كان عليها، ملتذّا بها؛ فلذّته إنما كانت بحاله. فإنّ الله يتعالى أن يُلْتَذَّ به، فلمّا زلّ، وعَرَته حالة الذلّة والانكسار؛ زالت -ضرورة- الحالة التي كان يلتذّ بوجودها، وهي حالة الطاعة والموافقة. فلمّا فقدها تخيّل إنّه انحطّ من عين الله. وإنما تلك الحالة لَمّا زالت عنه انحطّ عنها، إذ كانت حاله تقتضي الرفعة. وهو الآن في معراج الذلّة والندم والافتقار والانكسار والاعتراف والأدب مع الله -تعالى-، والحياء منه، فهو يترقّى في هذا المعراج. فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج، حالةً أشرف من الحالة التي كان عليها، فعند ذلك يعلم أنّه ما انحطّ، وأنّه ترقّى من حيث لا يشعر أنّه في ترقٍّ.

وأخفى الله ذلك عن أوليائه، لئلّا يجترئوا عليه في المخالفات. كما أخفى الاستدراج فيمن أشقاه الله، فقال: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[4] فهم كما قال الله -تعالى- فيهم: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[5] كذلك أخفى -سبحانه- تقريبه وعنايته فيمن أسعده الله، بما[6] شغله الله به من البكاء على ذنبه، ومشاهدته زلّته، ونظرِه إليها في كتابه، وذهل عن أنّ ذلك الندم يعطيه الترقّي عند الله؛ فإنّه ما بشّره بقبول التوبة، فهو متحقّق وقوع الزلّة، حاكم عليه الانكسار والحياء،

(١) [الحشر: ١٦]
(٢) ص ١٤٨ب
(٣) [آل عمران: ١٣٥]
(٤) [الأعراف: ١٨٢]
(٥) [الكهف: ١٠٤]
(٦) ص ١٤٩

مما وقع فيه، وإن لم يؤاخذه الله بذلك الذنب. فكان الاستدراج حاصلا في الخير والشرّ، وفي السعداء والأشقياء.

ولقيتُ بمدينة فاس، رجلا عليه كآبة، كان يخدم في الأَتُّون. فسألت أبا العباس الحصّار -وكان من كبار الشيوخ- عنه، فإنّي رأيته يجالسه ويحنّ إليه، فقال لي: هذا رجل كان في مقام، فانحطّ عنه، فكان[1] في هذا المقام. وكان من الحياء والانكسار بحالة أوجبتْ عليه السكوت عن كلام الخلق. فما زلتُ ألاطفه بمثل هذه الأدوية، وأزيل عنه مرض تلك الزلّة، بمثل هذا العلاج. وكان قد مكنني من نفسه. فلم أزل به حتى سرى ذلك الدواء في أعضائه. فأطلق محيّاه، وفُتِح له، في عين قلبه، باب إلى قبوله، ومع هذا فكان الحياء يستلزمه. وكذلك ينبغي أن تكون زلّات الأكابر غالبا: نزولهم إلى المباحات لا غير، وفي حكم النادر، تقع منهم الكبائر.

قيل لأبي يزيد البسطامي ﷺ: "أيعصي العارف؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[2]". يريد أنّ[3] معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم، لا أنّهم يقصدون انتهاك حرمات الله. هم، بحمد الله، إذا كانوا أولياء عند الله -تعالى وجلّ- معصومون في هذا المقام، فلا تصدر منهم معصية، أصلا، انتهاكا لحرمة الله، كمعاصي الغير. فإنّ الإيمان المكتوب في القلوب يمنع من ذلك. فمنهم من يعصي غفلة، ومنهم من يخالف على حضور، عن كشف إلهيّ، قد عرّفه الله فيه، ما قدّره عليه قبل وقوعه، فهو على بصيرة من أمره، ببيّنة من ربّه.

وهذه الحالة له بمنزلة البشرى؛ في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4] فقد أَعلمه بالذنوب الواقعة المغفورة، فلا حكم لها ولا لسلطانها فيه. فإنّه إذا جاء وقت ظهورها؛ يكون في صحبتها الاسم "الغفّار". فتنزل بالعبد، ويَحجبُ الغفّارُ حكمَها. فيكون بمنزلة من يلقى في النار ولا يحترق، كإبراهيم عليه السلام فكان في النار، ولا حكم لها فيه بالحجاب الذي هو المانع. كذلك زلّة العارف؛ صاحب مقام الكشف للأقدار؛ تحلّ به النازلة، وحكمُها بمعزل عنها، فلا تؤثّر في مقامه. بخلاف مَن تحلّ فيه، وهو على غير بيّنة ولا بصيرة بما قُدِّر عليه، فهذا يستلزمه الحياء والندم

(١) ق، س: وكان
(٢) [الأحزاب: ٣٨]
(٣) ص ١٤٩ب
(٤) [الفتح: ٢]

والذلّة، وذلك[1] ليس كذلك. وهنا أسرار إلهيّة لا يسعنا التعبير عنها.

وبعد أن فهّمناك مراتبهم[2] في هذا المقام، وفرّقنا لك بين معصية العارفين وبين معاصي العامّة من علماء الرسوم ومقلّديهم؛ فاعلم أنّه حكي عن بعضهم أنّه قال: "أُقعد على البساط" يريد بساط العبادة "وإيّاك والانبساط" أي التزم ما تعطيه حقيقة العبودة، من حيث أنّها مكلِّفة، بأمور حدَّها لها سيّدُها، فإنّه لولا تلك الأمور لاقتضى مقامُها الإدلال والفخر والزهو، من أجل مقامِ مَن هو عَبْدٌ له، ومنزلته. كما زها يومًا عتبةُ الغلام وافتخر. فقيل له: "ما هذا الزهو الذي نراه في شمائلك، مما لم يكن يُعرف قبل ذلك منك؟ فقال: وكيف لا أزهو، وقد أصبح لي مولى، وأصبحت له عبدا".

فما قَبَض العبيدَ من الإدلال، وأن يكونوا في الدنيا مثل ما هم في الآخرة؛ إلّا التكليفُ. فهم في شغل بأوامر سيّدهم إلى أن يفرغوا منها، فإذا لم يبقَ لهم شغل، قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبوديّة، وذلك لا يكون إلّا في الدار الآخرة. فإنّ التكليف لهم مع الأنفاس، في الدار الدنيا. فكلّ صاحب إدلال في هذه الدار؛ فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله. ولا يبلغ درجة غيره ممن ليس له إدلال أبدا. فإنّه فاتته أنفاسٌ كثيرة، في حال إدلاله، غاب عمّا يجب عليه فيها من التكليف، الذي يناقض الاشتغالُ به الإدلالَ، فليست[3] الدنيا بدار إدلال.

ألا ترى عبد القادر الجيلي؛ مع إدلاله، لَمّا حضرته الوفاة، وبقي عليه من أنفاسه في هذه الدار، ذلك القدر الزماني، وضع خدَّه في الأرض، واعترف بأنّ الذي هو فيه الآن هو الحقّ الذي ينبغي أن يكون العبدُ عليه في هذه الدار. وسبب ذلك أنّه كان في أوقات، صاحبَ إدلال لِما كان الحقّ يعرّفه به من حوادث الأكوان. وعصم أبا السعود تلميذه من ذلك الإدلال، فلازم العبوديّة المكلّفة مع الأنفاس، إلى حين موته. فما حكي أنّه تغيّر عليه الحال عند موته كما تغيّر على شيخه عبد القادر.

وحكى لنا الثقة عندنا، قال: سمعته يقول: طريق عبد القادر في طرق الأولياء غريب. وطريقنا

(١) "ذلك" بالهامش بقلم الأصل.
(٢) ص ١٥٠
(٣) ص ١٥٠ب

في طريق عبد القادر غريب. -رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم-. والله يعصمنا من المخالفات، وإن كانت قُدِّرت علينا، فالله أسأله أن يجعلنا في ارتكابها على بصيرة، حتى يكون لنا بها ارتقاء درجات. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

(١) [الأحزاب: ٤]. وفي الهامش: "بلغ".

الباب الأربعون

في معرفة منزلٍ مجاورٍ لعلمٍ جزئيٍّ من علوم الكون، وترتيبه، وغرائبه، وأقطابه

نظمٌ[1] يتضمّن ما ترجمنا عليه:

يُجَاوِرُ عِلْمَ الكَوْنِ عِلْمٌ إِلَهِيٌّ   يَقُولُ الَّذِي يُعْطَاهُ: كَشْفٌ حَقِيْقِيٌّ
وَما هُوَ مِنْ عِلْمِ البَرَازِخِ خَالِصٌ   وَمَا هُوَ عُلْوِيٌّ وَمَا هُوَ سُفْلِيٌّ
لَهُ فِي العُلَى وَجْهٌ غَرِيْبٌ مُحَقَّقٌ   وَفِي السُّفْلِ وَجْهٌ بِالحَقَائِقِ عُلْوِيٌّ
وَلَيْسَ الَّذِي يَدْرِيْهِ مَلْكٌ مُخَلَّصٌ   وَلا هُوَ جِنِّيٌّ وَلا هُوَ إِنْسِيٌّ
ولَكِنَّهَا الأَعْيَانُ لَمّا تَأَلَّفَتْ   بَدَا لَكَ شَكْلٌ مُسْتَفَادٌ كِيَانِيٌّ
فَقُلْ فِيْهِ ما تَهْوَاهُ يَقْبَلْهُ أَصْلُهُ   فَلَسْتَ تَرَاهُ وَهْوَ لِلْعَيْنِ مَرْئِيٌّ
فَمَا هُوَ مَحْكُومٌ وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ   فَمَا هُوَ غَيْبِيٌّ وِمَا هُوَ حِسِّيٌّ
تَنَزَّهَ عَنْ حَصْرِ الجِهَاتِ ضِيَاؤُهُ   فَلَا هُوَ شَرْقِيٌّ وَلا هُوَ غَرْبِيٌّ
فَسُبْحَانَ[2] مَنْ أَخْفَى عَنِ العَيْنِ ذَاتَهُ   وَيَسْرِي مِثَالٌ مِنْهُ فِيْنَا اتِّصَالِيٌّ
نَرَاهُ إِذا كُنَّا وَمَا هُوَ عَيْنُهُ   وَلَكِنَّهُ كَشْفٌ صَحِيْحٌ خَيَالِيٌّ
تَجَلَّى لِرَأْيِ العَيْنِ فِي كُلِّ صُوْرَةٍ   فَذَلِكَ مَقْصُودِي بِقَوْلِي: مِثَالِيٌّ

اعلم -أيّدك الله بروح القدس- أنّ هذا المنزل، منزل الكمال -وهو مجاورٌ منزل الجلال والجمال- هو من أَجَلِّ المنازل، والنازلُ فيه أتمُّ نازل.

اعلم أنّ خرق العوائد على ثلاثة أقسام: قسم منها يرجع إلى ما يدركه البصر، أو بعض القوى، على حسب ما يظهر لتلك القوّة، مما ارتبطت في العادة بإدراكه، وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوّة، مثل قوله -تعالى-: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[3] وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر. وهو على قسمين: منه ما يرجع إلى قوّةٍ نفسيّة، ومنه ما يرجع إلى خواصّ أسماء،

---

(١) ص ١٥١
(٢) ص ١٥١ب
(٣) [طه: ٦٦]

إذا تلفّظ بتلك الأسماء، ظهرت تلك الصور، في عين الرائي أو في سمعه خيالا، وما ثَمّ في نفس الأمر[1] -أعني في المحسوس- شيء من صورة مرئيّة ولا مسموعة، وهو فعل الساحر. وهو على علم أنّه ما ثمّ شيء مما وقع في الأعين والأسماع. والقسم الآخر، الذي هو قوّة نفسيّة، يكون عنها فيما تراه العين، أو أيّ إدراك، كان ما كان، من الأمر الذي ظهر عن خواصّ الأسماء. والفرق بينهما؛ أنّ الذي يفعله بطريق الأسماء -وهو الساحر- يعلم أنّه ما ثمّ شيء من خارج، وإنما لها سلطان على خيال الحاضرين. فتخطف أبصار الناظرين؛ فيرى صورا في خياله، كما يرى النائمُ في نومه، وما ثَمّ من خارج شيء مما يدركه.

وهذا القسم الآخر؛ الذي للقوّة النفسيّة؛ منهم مَن يعلم أنّه ما ثمّ شيء من خارج، ومنهم من لا يعلم ذلك، فيعتقد أنّ الأمر كما رآه. ذكر أبو عبد الرحمن السلمي[2] في كتاب "مقامات الأولياء" في باب الكرامات منه -والله أعلم-؛ عن عُلَيْم الأسود، -وكان من أكابر أهل الطريق- أنّ بعض الصالحين اجتمع به في قصّة، أدّته إلى أن ضرب عليم الأسود إلى اسطوانة كانت قائمة في المسجد من رخام، فإذا هي كلّها ذهب. فنظر إليها الرجل أسطوانة ذهب، فتعجّب، فقال له: يا هذا؛ إنّ الأعيان لا[3] تنقلب، ولكن هكذا تراها لحقيقتك بربّك، وهذا غير ذلك. فخرج من كلامه، فيما يظهر لمن لا علم له بالأشياء ببادي الرأي أو مِن أوّل نظر، أنّ الأسطوانة حجر كما كانت، وليست ذهبا إلّا في عين الرائي، ثمّ إنّ الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا كما كانت أوّل مرّة.

قال -تعالى- في عصا موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ. قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾[4] ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ. فَأَلْقَىٰهَا﴾[5] من يده في الأرض ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[6] فلمّا خاف موسى عليه السلام منها، على مجرى العادة في النفوس، أنّها تخاف من الحيّات إذا فاجأتها، لِما قرن الله بها من الضرر لبني آدم، وما عَلِم موسى مراد الله في ذلك، فلو علِمه ما خاف. فقال الله -تعالى- له: ﴿ خُذْهَا

---

(١) ص ١٥٢

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي (٣٢٥ - ٤١٢ للهجرة) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن النيسابوري. وهو ابن أخت أبي عمرو إسماعيل بن نجيد السلمي السالف. كان رأسا في أخبارهم، صنف لهم " سننا " و " تفسيرا " و " تاريخا " وله بنيسابور دويرة معروفه لهم. وقبره يتبرك به. [طبقات الأولياء (١ / ٥٣)]

(٣) ص ١٥٢ب

(٤) [طه: ١٧، ١٨]

(٥) [طه: ١٩، ٢٠]

(٦) [طه: ٢٠]

﴿وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾[1] أي ترجع عصا كما كانت. أو ترجع تراها عصا كما كانت. الآية محتملة، فإنّ الضمير الذي في قوله ﷻ: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ إذا لم تكن عصا، في حال كونها في نظر موسى حيّة، لم يجد الضمير على من يعود. كما أنّ الإنسان إذا عوّدك أمرا مّا - وهو أنّه كان يحسن إليك ثمّ أساء إليك- فتقول له: قد تغيّرتْ سيرتُك معي، ما أنت هو[2] ذاك الذي كان يحسن إليّ. ومعلوم أنّه هو. فيقال له: سيعود معك إلى سيرته الأُولَى من الإحسان إليك، وهو في صورته ما تغيّر، ولكن تغيّر عليك فِعْلُه معك.

وقدّم الله هذا لموسى عليه السلام توطئة لما سبق في علمه -سبحانه- أنّ السحرة تُظهر لعينه مثل هذا، فيكون عنده علمٌ من ذلك، حتى لا يذهل ولا يخاف، إذا وقع منهم عند إلقائهم حبالَهم وعصيَّهم، وخيِّل إلى موسى أنّها تسعى. يقول له: فلا تخف إذا رأيت ذلك منهم؛ يقوّي جأشه.

فلمّا وقع من السحرة ما وقع، مما ذكر الله لنا في كتابه، وامتلأ الوادي من حبالهم وعصيّهم، ورآها موسى فيما خيّل له حيّات تسعى، ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾[3] فلم تكن نسبةُ الخوف إليه في هذا الوقت، نسبةَ الخوف الأوّل. فإنّ الخوفَ الأوّل كان من الحيّة فـ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾[4] حتى أخبره الله -تعالى-. وكان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين، لئلّا تظهر عليه السحرة بالحجّة، فيلتبس الأمر على الناس. ولهذا قال الله له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[5] ولَمّا ظهر للسحرة خوفُ موسى مما رآه، وما علموا متعلَّق هذا الخوف، أيّ شيء هو، علموا أنّه[6] ليس عند موسى من علم السحر شيء، فإنّ الساحر لا يخاف مما يفعله، لِعلمه أنّه لا حقيقة له من خارج، وأنّه ليس كما يظهر لأعين الناظرين، فأمر الله موسى أن يلقي عصاه، وأخبر أنّها ﴿تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾[7].

فلمّا ألقى موسى عصاه فكانت حيّة، عَلِمت السحرة بأجمعها، مما علمت من خوف موسى،

---

(١) [طه: ٢١]
(٢) ص ١٥٣
(٣) [طه: ٦٧]
(٤) [النمل: ١٠]
(٥) [طه: ٦٨]
(٦) ص ١٥٣ب
(٧) [طه: ٦٩]

أنّه لو كان ذلك منه، وكان ساحرا ما خاف. ورأوا عصاه حيّة حقيقة، علموا عند ذلك أنّه أمر غيْبٌ من الله، الذي يدعوهم إلى الإيمان به. وما عنده من علم السحر خبر. فتلقّفت تلك الحيّة جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصيّ، أي تلقّفت صور الحيّات منها، فبدتْ حبالا وعِصيّا كما هي، وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك، فإنّ الله يقول: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ﴾ وما صنعوا الحبال ولا العصيّ، وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيّات، وهي التي تلقّفت عصا موسى.

فتنبّه لما ذكرتُ لك، فإنّ المفسّرين ذهلوا عن هذا الإدراك، في إخبار الله -تعالى-. فإنّه ما قال: "تلقف حبالهم وعِصيّهم" فكانت الآيةُ عند السحرة، خوفَ موسى، وأخذ صور الحيّات من الحبال والعصيّ. وعلموا أنّ الذي جاء به موسى (هو) من عند الله، فآمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم، وخرّوا سجّدا عند هذه الآية، وقالوا:(1) ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾(2) حتى يرتفع الالتباس. فإنّهم لو وقفوا على العالَمين، لقال فرعون: أنا ربّ العالَمين. إيّايَ عَنَوا. فزادوا ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، أي الذي يدعو إليه موسى وهارون، فارتفع الإشكال. فتوعّدهم فرعون بالعذاب، فآثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة. وكان من كلامهم ما قصّ الله علينا.

وأمّا العامّة، فنسبوا ما جاء به موسى إلى أنّه من قبيل ما جاءت به السحرة، إلّا أنّه أقوى منهم، وأعلمُ بالسحر، بالتلقّف الذي ظهر من حيّة عصا موسى عليه السلام فقالوا: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(3) ولم تكن آية موسى عند السحرة، إلّا خوفه وأخذ صور الحيّات من الحبال والعصيّ خاصّة. فمثل هذا خارج عن قوّة النفس وعن خواصّ الأسماء، لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أوّل مرّة، فكان الفعل من الله.

ولَمّا أوقع السحرة اللَّبْس على أعين الناظرين؛ بتصيير الحبال والعصيّ حيّات في نظرهم، أراد الحقّ أن يأتيَهم من بابهم الذي يعرفونه، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(4) فإنّ الله يراعي في الأمور المناسبات، فجعل العصا حيّة كحيّات عِصيّهم، في عموم الناس، ولبّس على

(1) ص ١٥٤
(2) [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]
(3) [النمل: ١٣]
(4) [الأنعام: ٩]

السحرة بما أظهر من خوف موسى، فتخيّلوا أنّه خاف من الحيّة[١]، وكان موسى في نفس الأمر غيرَ خائف[٢] من الحيّات، لِما تقدّم له في ذلك من الله في الفعل الأوّل، حين قال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾[٣]. فنهاه عن الخوف منها، وأعلمه أنّ ذلك آية له. فكان خوفه الثاني على الناس لئلّا يلتبس عليهم الدليل والشبهة، والسحرة تظنّ أنّه خاف من الحيّات، فلبّس الله عليهم خوفه، كما لبّسوا على الناس. وهذا غاية الاستقصاء الإلهيّ في المناسبات في هذا الموطن. لأنّ السحرة لو علمت أنّ خوف موسى من الغلبة بالحجّة لَمَا سارعت إلى الإيمان، ثمّ إنّه كان لحيّة موسى التلقّف، ولم يكن لحيّاتهم تلقّف ولا أثر، لأنّها حبال وعصيّ في نفس الأمر.

فهذا المنزل الذي ذكرناه في هذا الباب، أنّه مجاور لعلم جزئيٍّ من علوم الكون، هو هذا العلم الجزئيُّ: علم المعجزات، لأنّه ليس عن قوّة نفسيّة، ولا عن خواصّ أسماء. فإنّ موسى عليه السلام لو كان انفعال العصا حيّة، عن قوّة همّته، أو عن أسماء أعطيَها؛ ما ولّى مُدْبِرا ولم يعقّب خوفا. فعلمنا أنّ ثمّ أمورا تختصّ بجانب الحقّ في علمه، لا يعرفها مَن ظهرت على يده تلك الصورة. فهذا المنزل مجاور لما جاءت به الأنبياء، من كونه ليس عن حيلة، ولم يكن مثل معجزات الأنبياء -عليهم السلام- لأنّ الأنبياء لا علم لهم بذلك، وهؤلاء ظهر ذلك عنهم، بهمّتهم أو قوّة نَفْسِهم أو[٤] صِدقهم، قل كيف شئت، فلهذا اختصّت باسم الكرامات، ولم تسمّ معجزات ولا سمّيت سِحرا.

فإنّ المعجزة ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، إمّا صرفا، وإمّا أن تكون ليست من مقدورات البشر، إلى عدم قوّة النفس وخواصّ الأسماء، وتظهر على أيديهم. وإنّ السِّحْر هو الذي يظهر فيه وجهٌ إلى الحقّ، وهو في نفس الأمر ليس حقّا، مشتقّ من السَّحَر الزماني، وهو اختلاط الضوء والظلمة؛ فما هو بِلَيْلٍ، لِما خالطه من ضوء الصبح، وهو ليس بنهار، لعدم طلوع الشمس للأبصار. فكذلك هذا الذي يسمّى سِحْرا؛ ما هو باطلٌ محقَّق، فيكون عدما؛ فإنّ العين أدركت أمرا مّا لا تشكّ فيه. وما هو حقّ محض، فيكون له وجود في عينه؛ فإنّه ليس في نفسه كما تشهده العين ويظنّه الرائي.

(١) لعله يقصد: الحيّات.
(٢) ص ١٥٤ب
(٣) [طه: ٢١]
(٤) ص ١٥٥

وكرامات الأولياء ليست من قبيل السِّحر؛ فإنّ لها حقيقةً في نفسها وجوديّة، وليست معجزة؛ فإنّه على علم وهي عن قوّة همّة.

وأمّا قول عُلَيم: "لحقيقتك بربّك تراها ذهبا". فإنّ الأعيان لا تنقلب. وذلك لَمّا رآه قد عظَّم ذلك الأمر عندما رآه. فقال له: "العلم بك أشرف مما رأيتَ، فاتَّصِف بالعلم، فإنّه أعظم مع كون الأسطوانة كانت ذهبا في نفس الأمر". فأعلَمَهُ أنّ الأعيان لا تنقلب، وهو[1] صحيح في نفس الأمر. أي أنّ الحَجريّة لم ترجع ذهبا، فإنّ حقيقة الحَجريّة قَبِلها هذا الجوهر، كما قَبِل الجسمُ الحرارةَ، فقيل فيه: إنّه حارّ. فإذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب؛ خلع عنه صورة الحجر، وكساه صورة الذهب، فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهبا. كما خلع عن الجسم الحارّ الحرارة، وكساه البرد فصار باردا. فما انقلبتْ عينُ الحرارة برودةً، والجسم البارد بعينه هو الذي كان حارًّا، فما انقلبت الأعيان.

كذلك حكاية عُليم: الجوهر الذي قَبِل صورة الذهب عند الضرب، هو الذي كان قد قَبِل صورة الحجر. والجوهر هو الجوهر بعينه. فالحجر ما عاد ذهبا، ولا الذهب عاد حجرا. كما أنّ الجوهرَ الهيولائيَّ قَبِل صورة الماء، فقيل هو ماء بلا شكّ، فإذا جعلته في القِدْر وأغلَيْتَها على النار، إلى أن صَعِد بخارا، فتعلم قطعا أنّ صورة الماء زالت عنه، وقَبِل صورة البخار، فصار يطلب الصعودَ لعنصره الأعظم. كما كان إذ قامت به صورة الماء، يطلب عنصره الأعظم فيأخذ سفلا. فهذا معنى قول عُلَيم في هذا المنزل المختصّ بالأولياء والهمّة المجاورة لعلم المعجزة: إنّ الأعيان لا[2] تنقلب.

وقوله: "لحقيقتك بربّك" أي إذا اطّلعت إلى حقيقتك؛ وجدتَ نفسك عبدا محضا، عاجزا ميّتا ضعيفا عدما لا وجود لك. كمثل هذا الجوهر: ما لم يلبس الصور، لم يظهر له عينٌ في الوجود.

فهذا العبد يلبس صور الأسماء الإلهيّة: فتظهر بها عينه، فأوّل اسم يلبسه: "الوجود" فيظهر موجودا لنفسه، حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الموجود، من حيث ما هو موجود. فيقبل

(١) ص ١٥٥ب
(٢) ص ١٥٦

جميع ما يخلع عليه الحقّ من الأسـماء الإلهيّة؛ فيتّصف عند ذلك؛ بالحيّ والقادر والعالِم والمريد والسميع والبصير والمتكلّم والشكور والرحيم والخالق والمصوّر وجميع الأسماء، كما اتّصف هذا الجسم بالحجر والذهب والفضّة والنحاس والماء والهواء، ولم تَزُل حقيقة الجسميّة عن كلّ واحد، مع وجود هذه الصفات. كذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا، إنسانا، مع وجود هذه الأسماء الإلهيّة فيه.

فهذا معنى قوله: "لحقيقتك بربّك" أي لارتباط حقيقتك بربّك. فلا تخلو عن صورة إلهيّة تظهر فيها، كذلك هذا الجسم لا يخلو عن صورة يظهر فيها، وكما تتنوّع أنت بصور الأسماء الإلهيّة، فينطلق عليك بحسب كلّ صورة، اسمٌ غير الاسم الآخر، كذلك ينطلق على هذا الجوهر اسم الحجريّة والذهبيّة، للوصف لا لعينه.

فقد[1] تبيّنتْ فيما ذكرناه، الثلاثةُ الأقسام في خرق العوائد؛ وهي المعجزات والكرامات والسِّحر، وما ثَمّ خرق عادة أكثر من هذا. ولست أعني بالكرامات إلّا ما ظهر عن قوّة الهمّة، لا أنّي أريد بهذا الاصطلاح في هذا الموضع؛ التقريب الإلهيّ لهذا الشخص، فإنّه قد يكون ذلك استدراجا ومكرا. وإنما أطلقتُ عليه اسم الكرامة، لأنّه الغالب، والمكر فيه قليل جدًّا. فهذا المنزل مجاورٌ آيات الأنبياء -عليهم السلام- وهو العلم الجزئيّ من علوم الكون، لا يجاور السحر. فإنّ كرامة الوليّ، وخرق العادة له، إنما كانت باتّباع الرسول، والجري على سنّته، فكأنّها من آيات ذلك النبيّ، إذ باتّباعه ظهرت للمتحقّق بالاتّباع؛ فلهذا جاورته.

فأقطاب هذا المنزل: كلُّ وليّ ظهر عليه خرقُ عادة عن غير همّته، فيكون إلى النبوّة أقرب ممن ظهر عنه خرق العادة بهمّته.

والأنبياء هم العبيد على أصلهم. فكذلك أقطاب هذا المنزل. فكلّما قَرُبَتْ أحوالك من أحوال الأنبياء -عليهم السلام- كنت في العبودة أمكن، وكانت لك الحجّة، ولم يكن للشيطان عليك سلطان. كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[2] وقال: ﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

---

(١) ص ١٥٦ب

(٢) [الحجر: ٤٢]

وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[1] فلا أثر للشيطان فيهم، فكذلك مَن[2] قَرُبَ منهم.

ولَمّا عاينتُ هذا المشهد قلتُ القصيدة التي أوّلها:

تَنَزَّلَـتِ الأَمْلَاكُ لَيْلًا عَلَى قَلْبِي ... ودَارَتْ عَلَيْـهِ مِثْـلَ دَائِرَةِ القُلْـبِ
حذَارًا مِنِ الْقَاءِ اللَّعِينِ إذا يَرَى ... نُزُولَ عُلُومِ الغَيْبِ عَيْنًا عَلَى القَلْبِ
وذَلِكَ حِفْظُ اللهِ فِي مِثْلِ طَوْرِنَا ... وَعِصْـمَتُهُ فِي المُرْسَـلِينَ بِلَا رَيْبِ

القصيدة بكمالها، وهي مذكورة في أوّل الباب الثلاثين وثلاثمائة من هذا الكتاب[3].

وترتيب هذا الباب هو ما ذكرناه من مراتب خرق العوائد. وأمّا ما فيه من الغرائب: فإلحاق البشر بالروحانيين في التمثّل، وإلحاق الروحانيين بالبشر في الصورة، وظهور صورة عنهم، شبيه الصورة التي يتمثّلون بها. قال -تعالى-: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[4] يسمّى روحا، مثل ما هو جبريل روح، فيحيي الموتى كما يحيي جبريل، قال ابن عباس: "ما وطئ جبريل عليه السلام قطّ موضعا من الأرض إلّا حيي ذلك الموضع" ولهذا أخذ السامريّ قبضة من أثره، حين عرفه، لَمّا جاء لموسى، وقد[5] علم أنّ وطأته يحيا بها ما وطئه من الأشياء، فقبض قبضة من أثر الرسول، فرمى بها في العِجل الذي صنعه، فحيي ذلك العجلُ، وكان ذلك إلقاء من الشيطان في نفس السامريّ، لأنّ الشيطان يعلم منزلة الأرواح، فوجد السامريّ في نفسه هذه القوّة، وما علم أنّها من إلقاء إبليس، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾[6] وفَعل ذلك إبليسُ من حرصه على إضلاله، بما يعتقده من الشريك لله -تعالى-.

فخرج عيسى على صورة[7] جبريل في المعنى والاسم والصورة الممثّلة. فالتحق البشر بالروحاني، والتحق الروحاني بصورة البشر في نازلة واحدة. ويكفي هذا القدر من هذا الباب، فإنّه باب واسع. لمريم وآسية ولحقائق الرسل -عليهم السلام- فيه مجال رحب، فإنّه منزل الكمال،

(١) [الجن: ٢٧]
(٢) ص ١٥٧
(٣) وردت القصيدة كاملة في أول الباب ١٦٠ في السفر ١٤
(٤) [مريم: ١٧]
(٥) ص ١٥٧ب
(٦) [طه: ٩٦]
(٧) ق: كتب فوقها من غير إشارة الاستبدال: سورة

مَن حصّله ساد على أبناء جنسه، وظهر حاكما على صاحب الجلال والجمال، وهو من مقامات أبي يزيد البسطامي والأفراد. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١).

انتهى الجزء الحادي والعشرون، وبانتهائه انتهى السفر الثالث من الفتوحات المكيّة، يتلوه الجزء الثاني والعشرون من السفر الرابع -إن شاء الله تعالى-.(٢)

---

(١) [الأحزاب: ٤]

(٢) خلف الصفحة (أي في ص ١٥٨) كتب السماعان التاليان: "سمع جميع هذا الجزء من الفتوحات على مصنفه الإمام العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي بقراءة الإمام أبي الحسن علي بن المظفر النشبي الأئمة: أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الإربلي، وأبو الفتح نصر الله بن العز بن الصفار، وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب، وأبو بكر بن سليمان الحموي، وابناه عبد الواحد وأحمد، ويوسف بن عبد اللطيف البغدادي، ومحمد بن يرنقش المعظمي، ويوسف بن الحسن النابلسي، ومحمد بن نصر بن هلال، ويعقوب بن معاذ الوربي، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر البلخي، وعيسى بن إسحق الهذباني، وعبد الله بن محمد بن أحمد الأندلسي، وعمران بن محمد بن عمران، ومحمد بن علي بن محمد المطرز، وأحمد بن عبد الرحيم بن بنان، وعلي بن محمود بن أبي الرجا، وأحمد بن محمد بن أبي الفرج التكريتي -الحنفيان-، وأبو المعالي محمد وأبو سعد محمد -ابنا المصنف-، ومحمد بن أحمد بن زرافة، وأحمد بن أبي الهيجاء، وأبو بكر بن يونس الخلال، وابنه إبراهيم، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي، ويحيى بن إسماعيل بن محمد الملطي، وعلي بن أبي الغنائم بن الغسال، وحسين بن محمد الموصلي، وأحمد بن محمد بن سليمان الحريري، وكاتب السماع إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي. وذلك في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمنزل المصنف بدمشق. والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه".
يليه: "قرأت وأنا محمود بن عبيد الله بن أحمد الزنجاني جميع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مؤلفه الشيخ الإمام العلامة محيي الدين شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي-ضاعف الله قدره- في مجالس آخرها يوم الأربعاء حادي وعشرين رمضان سنة ست وثلاثين وستمائة في منزله بدمشق في مؤرخه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين".
وعقبه شهادة الشيخ الأكبر بخط يده: "صحّ ما ذكره من القراءة عليّ. وكتب محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي".
يلي ذلك ختم الأوقاف الإسلامية برقم ١٧٥٧

المحتويات



الفتوحات المكيّة

للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق : عبد العزيز سلطان المنصوب

عامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته؛ فعامل الله بالوفاء؛ لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيته عليك، وهو الصاحب بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وعامل الآيات بالنظر فيها، وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار، وعامل الرسل بالاقتداء بهم، وعامل الملائكة بالطهارة والذكر، وعامل الشيطان – إذا عرفت أنه شيطان من إنس وجان – بالمخالفة، وعامل الحفظة بحسن ما تملى عليهم، وعامل من هو أكبر منك بالتوقير، ومن هو أصغر منك بالرحمة، ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار، وأن تطالب نفسك بحقّه عليها، وترك حقّك له.

وأياك أن تكون معنتا، ولا متعنتا، ولا منفرا، ولا معسرا؛ وكن ميسرا، ومعلما، ومبشرا.

محيي الدين بن عربي؛ الفتوحات المكية، ج. (12).

الغلاف: عبد العزيز السماحي